

جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن

تأليف

صالح مسعود أبو بصير

١٣٦٨ هـ - ١٩٦٨ م

محتويات الكتاب

مقدمات

- الفصل الأول : خديعة بريطانيا للعرب
- الفصل الثاني : بعض النتائج السريعة للثورة العربية
- الفصل الثالث : شعب فلسطين يواجه المحنة
- الفصل الرابع : صورة من تأمر الاستعمار والصهيونية على فلسطين
- الفصل الخامس : ثورة العرب عام ١٩٢٩
- الفصل السادس : ثورة العرب الكبرى ١٩٣٦
- الفصل السابع : لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين
- الفصل الثامن : التطورات الخطيرة أمام شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية
- الفصل التاسع : الحرب بين عرب فلسطين واليهود
- الفصل العاشر : الحرب الرسمية ونتائجها ١٩٤٨ - ١٩٤٩
- الفصل الحادي عشر : صلابة شعب فلسطين أمام المحن
- الفصل الأخير : الأحداث الخطيرة قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧

الملاحق

المراجع

الاهتداء

- إلى ذكرى كل شهيد من شهداء أمتنا في تاريخنا الطويل وفي كل قطر من أقطارها .
- وإلى الفدائيين الذين حملوا الأرواح على الرّاح وذهبوا يجاهدون في سبيل الله والوطن .
- وإلى كل شهيد ذاق مرارة الهجرة ، وضيق الاغتراب .
- وإلى كل مختلص يحسّ بعق النكبة وضرورة الاعتداد ، أقدم صفحات خالدة عن شعب خالد ، جهاداً وهجرةً وتصميماً .

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ،

وأخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ وبشر المؤمنين

(قرآن كريم)

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٦٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تقديم الكتاب

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ احمد حسن الباقوري

مدير جامعة الازهر
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

- ١ -

يقولون ان الانسان كلما تقدمت به سنه الى امام ، تراجمت به ذاكرته الى وراء ، حتى ليكاد يدرك الصور التي عاش فيها ابان صباه ، بله ابان شبابه .

ولست اراني في حاجة الى من يؤكد لي صحة هذه المقالة ، وذلك انني في هذه اللحظة التي اتناول فيها القلم ، محاولا كتابة مقدمة لرسالة الاستاذ صالح مسعود ، اكاد اتمثله جالسا امامي مع اخوانه طلاب الازهر ، قبل ربع قرن ، واكاد اتمثل قسما وجهه وهو يتلقى عني دروس الادب العربي التي كنت مكلفا اداؤها يومذاك .

واحب ان اشير الى انني لم اكن اتقيد في التدريس بالمنهج الازهري الخالص في علوم اللغة او علوم الدين ، بل كنت امزج السياسة بالعلم ، والحاضر بالتاريخ ، واتناول الدين بروح الدنيا ، والدنيا بروح الدين . كما كنت حين اجد وسيلة للحديث عن الاستعمار البريطاني ، احاول استقصاء سيئاته ، وتحليل العناصر الخطيرة الكامنة فيه وتحديد الغايات البعيدة التي يتفياها في بلاد العروبة والاسلام .

وليس يخفى ان الاستعمار البريطاني كان كالأفعى ، تكون قاتلة السم على مقدار ما تكون ناعمة الممس ، خلاف استعمار الآخرين من الاوروبيين فانهم في اكثر الاحيان ، كانوا اجلافا قساة ، يتناولون مقدسات الشعوب التي يستعمرونها تناول الحاقد المغيظ ، الذي لا يبالي يقظة الضفائن ، واضطرام الاحقاد ، وثورات الشعوب .

والذين يقرأون تاريخ استعمار فرنسا للجزائر ، وايطاليا لليبيا

- ١ -

وبلجيكا للكنغو ، وهولندا لاندونيسيا ، وما الى ذلك ، يرون اللف والدوران واللجا الى سعة الحيلة واللياذ بالاساليب الخفية الماكرة في الاستعمار البريطاني ، على قدر ما يرون الخشونة والجلافة ومواجهة الصعاب والاستخفاف بعواطف الشعوب في الوان الاستعمار الاخرى .

واني لاكاد اتمثل في هذه اللحظة وجه الطالب الليبي صالح مسعود ، يوم كنت اتحدث حديثي ذلك ، وهو بين يدي يستمع ، وقد ارتسمت على وجهه امارات الدهشة مما اقول ، ولعل ذلك لانه كان لا يرى استعمارا افزع من الاستعمار الايطالي الجاثم على وطنه ، ولان خواطره كانت اسيرة خيالات مغزعة ، لا تجرى في وهم صورة ابشع منها ولا ادخل في باب الوحشية والاجرام .

ولعله من اجل ذلك كان يرى استاذه مبالغا ، او متحاملا ، او غير مستوعب لما يجري على ايدي المستعمرين في شعوب كثيرة نكبت بالاستعمار وذلك هو ما جعل وجهه يتراءى يومذاك ، مغمورا بالشك وعدم الاقتناع بما يسمع من كلام وينساق الى اذنيه من حجج وبراهين .

- ٢ -

اقول هذا وبين يدي الآن صورة مجملة للبحث الذي نال به الاستاذ صالح مسعود درجة الماجستير من جامعة الازهر ، وهو البحث الذي رجونا ان يخرج في كتاب ينتفع به الظالمون الى المعرفة من شباب العروبة والاسلام .

تضمن هذا البحث الصور البطولية لجهاد شعب فلسطين ، كيف قاوم مؤامرة القوتين الكبيرتين الصليبية الاستعمارية ، والصهيونية العالمية ، وكيف ثبت ضد جور تلك القوتين الغريبة الشاذة ، وكيف بذل الارواح على مر التاريخ ، فلا يكاد تهدا له ثورة ، حتى يبدأ ثورة جديدة ، وكيف كان محتاجا لعون اخوانه - الذين منعهم عنه جور الاستعمار ومشاكله - فبقي وحيدا في معركته المرة عشرات السنين . واحاط المؤلف بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، احاطة يحتاجها شبابنا اليوم ليسيروا مع تاريخ قضية المصير العربي ، في جميع مراحلها ، وكلها دروس وعبر ، ومعالم جهاد ، وثبات وتضحية .

وقد تضمن هذا البحث ايضا الصورة الافغانية للاستعمار البريطاني الذي كان يتجهج لها من قبل صالح مسعود الطالب ، ثم لم يلبث ان امتلا بها ذهنه وجرى بها قلمه بعد ان درس وبحث بعقل ثاقب وبصر نافذ وتجربة مريرة وصبر طويل .

- ٣ -

وأحب ان اعطي قارئ هذا الكتاب صورة مجملته له تتجلى فيها الآراء التي كنت ادين الله عليها منذ عرفت الطريق الى السياسة واخذت نفسي بالنظر الفاهه فيها والدراسة المستوعبة لها .

وفي هذه الصورة المجملته ، تناول الاستاذ المؤلف الاحداث التاريخية، منذ ثار الحسين بن علي على الدولة العثمانية ، من حيث كانت هذه الثورة هي التي فتحت الباب لدخول الانجليز فلسطين عام ١٩١٧ . وقد التزم الجانب العلمي في بحثه ، فدرس اسباب تلك الثورة ، وتصرفات جمعية الاتحاد والترقي، التي اندست فيها جماعات من اليهود «الدونما» تعاونوا مع الانجليز على تحطيم الروابط في الدولة المسلمة بين العرب والترك وهم الاخوة الذين جمعتهم كلمة الاسلام ، وبدلوا دماءهم قرونا طويلة في سبيل الأمة الاسلامية .

وقد تحدث المؤلف عن فلسطين في ظل الانتداب البريطاني ، وأثبت ان اليهود سعوا جاهدين لجعل بريطانيا هي الدولة المنتدبة ، بعدما اتفقوا معها على صك الانتداب ، وضمنوه وعد بلفور ، ليصدر بعد ذلك على انه صك دولي يقضي على فلسطين ان تصير على وضع اقتصادي واجتماعي وسياسي ، تتحول به الى وطن قومي لليهود .

كذلك اوضح افغوانية السياسة البريطانية في تلك البقعة العزيزة على العرب جميعا مسلمين ومسيحيين ، وكيف ادار الانجليز سياسة هذه البقعة الطهور خلال ثلاثين عاما ، ادارة جعلتها اسيرة الأوضاع التي تضمنتها صك الانتداب ، وخاضعة لقوانين خبيثة تستهدف سلب حق العرب في ارضهم واقتصادهم ، وتسليط الظلم عليهم ، وانزال اقسى العقوبات بهم .

- ٣ -

والذين يدرسون القوانين التي سنتها بريطانيا لفلسطين ، يجد في ثابا سطورها ان بريطانيا كانت تعتبر فلسطين بلدا بلا شعب ، وتستهدف الا يكون شعبها الا من اليهود . فقد سنت قانون الهجرة اليهودية الذي فتحت بها ابواب فلسطين لجميع اليهود من جميع بقاع الدنيا وسائر انحاء الارض .

ولقد بلغت افغوانية الاستعمار البريطاني ذروتها حين نصت في دستور فلسطين هذا النص العجيب :

« انه ما دام الشرع الاسلامي يبيع لسلطان تركيا حق التصرف في الارض ، وما دام المندوب السامي البريطاني حل محل السلطان ، فان من حقه

ان يتصرف كيف شاء في ارض فلسطين » .

وفي مادة اخرى من مواد الدستور تقول السياسة الافغوانية التي لبست جلد النمر بدلا من جلد الافعى :

« ان المندوب السامي البريطاني غير مكلف بتطبيق العدالة والمساواة ومبادئ التشريع العام في فلسطين ، الا حيث تسمح له الظروف » .

ويعرف العقل والمنطق والعاطفة وكل الناس ان الظروف لا يمكن ان تسمح بحال ، لان اهل فلسطين يواصلون جهادهم ضد صك الانتداب وضد وعد بلفور ، وبذلك يكون المندوب السامي غير مكلف بتطبيق العدالة والمساواة في فلسطين .

وتمضي السياسة البريطانية مرتدية جلد النمر وناضية جلد الثعبان فتقول في احد القوانين :

« ان اصحاب المشاريع من حقهم الاستيلاء على اي ارض تخص مشاريعهم اذا لم يوافق مالكاها على بيعها ، ولصاحب المشروع ان يودع الثمن المحكمة بأمر المندوب السامي » .

ولا يجهل احد ان اصحاب المشاريع كلهم من اليهود ، وان ملاك الارض كلهم من العرب .

والعجيب ان هذه القوانين الافغوانية ، لا يكاد المرء يظن انه رآها في كتاب عربي من قبل ، ولا انه سمعها من زعيم عربي من قبل ، مع اليقين الذي لا يرقى اليه الشك ، ان كثرة كثيرة من زعماء العرب وقادتهم لم تكن تخفى عليه هذه القوانين .

- ٤ -

ان الذين يفضون ابصارهم عن جريمة الانجليز في اقامة دولة اسرائيل وتشريد العرب ، هم من ذوي النظر القصير او الفكر التافه او الوطنية المريضة . فان هذه الجريمة من الظهور والاستعلان بحيث لا تخفى على دارس يبتغي الطريق الى الحق ، ليقيم مشاعره واحاسيسه على اسس صحيحة لا يرقى اليها الوهم ولا ينفع معها الخداع .

ولقد اذكر انه حين انتهى الى مجلس لنا صغير ، نبأ استشهاد الشيخ عز الدين القسام في المعارك التي كانت ناشبة بين الانجليز واليهود من جانب والعرب من جانب آخر قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يستطع اسن القوم في ذلك المجلس الصغير ، ان يحبس الدموع في عينيه ، فراح يبكي كما يبكي الطفل الصغير ، لا يبالي ان يستخفه المصاب ، مع كبر سنه

- ٥ -

- ٥ -

وعظم قدره وجلال وقاره .

ولقد اشترك في هذه السياسة كثير من زعماء الفكر ، بعضهم بنية سيئة غاية السوء وبعضهم بنية حسنة ممن يقول فيهم رجال علم مصطلح الحديث : مغفلون او بتعبير ادق واراق ، تدركهم غفلة الصالحين . واظن ان التاريخ لا يعرف دولة كدولة الأتراك بدلت في سبيل الاسلام من دمها ومالها وزهرات شبابها ما بدلت ، ثم لقيت من الجحود ما لقيت .

انني في هذه الكلمات لا احاول تبرئة تركيا العثمانية من المظالم البشعة التي كانت تقتربها ضد رعاياها في كل مكان . ولا احاول ان انفي عنها العنجهانية العنصرية التي كانت تعتنقها وتؤمن بها وتسلمها على العرب بوجه خاص ، ولكنني اريد ان اقول ان ها هنا خدائع صليبية استعمارية تأثر بها العرب كما تأثر بها الأتراك العثمانيون ، ولو قد كان لهؤلاء وهؤلاء ان ينتهوا لتربص السياسة الغربية بهم وبالدولة التي كانوا ينتسبون اليها ، لما وقع ما وقع من الفتن والاضطرابات والهزائم التي لم تاكل نارها تركيا العثمانية وحدها بل اكلت معها بلاد العرب وبلاد المسلمين في كل مكان. ولا شك ان كمال اتاتورك نفسه كان خديعة استعمارية كبرى وان انتصار جيشه ذلك الانتصار الرائع الذي صوره الشاعر احمد شوقي وهو يقول مخاطبا مصطفى كمال :

الله اكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب
اقول ان هذا الانتصار الذي احززه كمال اتاتورك كان انتصارا هيا الاسلام اسبابه حيث استطاع اتاتورك ان يعيى بروح الدين نفوس الشعب التركي فخاض معه معركة حاسمة وفاصلة ، ولكن أوروبا التي قبلت هذا النصر استطاعت ان تسخر مصطفى كمال بعد ذلك فيما تريد من ازالة الخلافة والقضاء على الدولة وانتهاج مخلفاتها من شعوب واقطار وكفور .

ولست اشك في ان الحسين بن علي رحمه الله كان رجلا تلهف غفلة الصالحين ، وهو يطعن الجيش التركي من الخلف ، ويدع اولاده يظهرون الجيش الصليبي الاستعماري الزاحف على الأتراك ، والمتربص بهم في كل مكان .

وان مما ياكل القلب حسرة واسى ، ان نرى الامير فيصل الذي ولي ملك العراق بعد ذلك يعمل في جيش اللورد اللبني قائد جيش الحلفاء في منطقة الشرق الاوسط .

ووجه الغرابنة ان الشريف حسين والمحيطين به والمنتصرين لدعوته والقائمين معه في تأسيس الدول العربية شقا لعصا الطاعة على الخلافة

ولما استطاع ان يكفكف دموعه وان يهيمن على مشاعره ، قيل له :
« فأن الصبر ، ولم تبكي عز الدين القسام ؟ وقد لحق بالرفيق الاعلى وصار الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

وعوض ان تكون هذه الكلمات وسيلة تهدئة ، كانت مسعرا يؤجج نيران حزنه ، فازداد نحيبه ارتفاعا ودمعه تدفقا ، حتى اذا سكت عنه الحزن ، ورقا الدمع ، وهذا النسيج ، راح يقول في نغمة آسية اسيف :
انني لا آسى على القسام رضي الله عنه ولا على الذين يلحقون به من خلفه ، ولكنني ابكي لانني ارى ما لا ترون ، واتصور ما لا تتصورون .

ان الإستعمار البريطاني فيما اعتقد كانت له غايتان كبيرتان في دنيا العروبة والاسلام . وقد ظفر بالفاية الاولى على اتم وجه يتهماً به الظفر . وبقيت له الغاية الثانية . واذا كان تحقق غايته الاولى نذيرا بتحقيق غايته الثانية ، فان دولة اسرائيل لا بد ان تقوم ولو لفترة من الزمان ستكون عصبية جدا على العالم العربي جميعه .

فاما غاية الاستعمار الاولى فهي القضاء على الخلافة الاسلامية ، قضاء تتفرق به كلمة المسلمين وتشعب وحدتهم ويملا اليأس نفوسهم ، حتى تخلو للنفوذ البريطاني دنيا العروبة والاسلام .

لقد سلك الاستعمار البريطاني في تقويض الخلافة الاسلامية وقتل ثقة المسلمين بعضهم في بعض ، سبيلا يعيا بسلوكها الشياطين . وساسة بريطانيا اهدى من القطا بسبل الشحاء والبغضاء ، وفصم العرى ، وتقطيع اواصر الود ، التي احكمتها الاخوة بين الاخوة على مر الزمن وتعاقب العصور .

فقد لجأت السياسة البريطانية الى التشنيع بما كانت تسميه الستار الحديدي المضروب على تركيا ، سلطانا وحكومة وشعبا ، وراحت تزعم للشعوب في مختلف أنحاء العالم ، ان هذا اللون من العزلة ، هو تغطية للاستبداد القاتل الذي يمانيه الشعب التركي من حكامه المستبدين ، وما زالت تلح في هذا المعنى ، وتشره على الناس في كل مكان حتى اصطنعت داخل تركيا انتصارا من حزب الاتحاد والترقي لتجريح الخلافة والخليفة ، واصطنعت في خارج تركيا ومن ابناء الامة العربية والامة الاسلامية الانتصار الذين يأخذون بوجهة النظر الاستعمارية ، فينتكرون اشد التنكر للخليفة ويعلنون على الناس في كل مكان سيئاته في صورتها الحقيقية او في صورة مضاعفة آلاف المرات .

التركية ، كان من أكبر ما يتذرعون به الى السخط على دولة الخلافة أن
جمعية الاتحاد والترقي كانت تنتكر للاسلام وتظاهر الملحدين وتعتنق
فكرة الحادية واضحة المعالم بين الشعب التركي ، وأن خروج الشريف
ومن لف لفه ودعا بدعوته انما خرجوا على الخلافة من أجل ذلك .

أقول ان من الغرابة بمكان مكين أن يكون احترام الاسلام والغيرة
عليه سببا من اسباب خروج الشريف على الدولة ثم يكون هو ومن معه
مناصرين للسياسة الاستعمارية الصليبية وأن يكون أحد اولاده ضابطا في
جيش تعلقوا راسه راية الصليب الاستعماري .

وايا ما كان الامر فان من حق هذه النظرات أن تجد لها من يبسطها
بسطا واضحا ومن يتناولها بمعرفة مستوعبة وعلم غزير وفقه للاساليب
الاستعمارية عظيم ، حيث يستبين غاية الاستبانة أن السياسة البريطانية
الاقوامية هي قائد هذه الحملات المظفرة وعذيقها المرجب وجذيلها المحكك
على حد التعبير العربي القديم .

- ٥ -

ذلك حديث عن احدي الغايتين الكبيرتين للاستعمار البريطاني ، فاما
الغاية الاخرى : فهي ان تقوم لليهود دولة في منطقة الشرق الاوسط وان
قيام دولة لليهود في منطقة الشرق الاوسط لأمر تنشده السياسة البريطانية
كما تنشده المطامع اليهودية على قدر سواء، فقد كان البريطانيون يرون قناة
السويس دائما سبيل حياة دولتهم العظيمة ، فقد كانت طريقا الى الهند
واستراليا ونيوزيلندة، وكانوا يرون ان مصر اذا قويت واتحدت مع اخواتها
العربيات اتحادا قائما على اساس قوي وسليم ، فان من الممكن أن يكون
لها موقف زعامي عظيم تهدد به نفوذ بريطانيا وحياة السياسة الاستعمارية
البريطانية في كل مكان .

ومن أجل ذلك اعانت وحرضت وظهرت قيام دولة اسرائيل في
منطقة الشرق الاوسط لتكون ملجأ لها ومفرعا تفرع اليه لتقلم اظافير
القوة المصرية حين تصبح خطرا على الاستعمار والمستعمرين .

وقد بدا هذا التفكير واضحا في حرب ١٩٥٦ ، حين اجتمعت انجلترا
وفرنسا واسرائيل على حرب الشعوب العربية ممثلة في مصر التي وقفت
- في تلك الفترة - موقف الزعيم المفدى المقدور .

ومن أجل ذلك اراني دائما شديد الحذر في النظر الى بريطانيا
وتصرفاتها ، فانها دولة تمتاز بالصبر العظيم ، ذلكم الصبر الذي يصفه
الشاعر العربي بأنه أعظم نفوذا من العقل كذلك حيث يقول:

لا يبلغ العقل والدنيا تساس به ما يبلغ الصبر في الاحداث والنوب

ثم ذلكم الصبر الذي حاول المصريون أن يتخذوا حوله ملحة بارعة
في الحرب العالمية الثانية ، حين اجتمع روزفلت وستالين وتشرشل في
مؤتمر يالتا . فقد روى ظريف مصري عن المناقشات التي دارت في هذا
الاجتماع الثلاثي فقال : حين انتظم عقد الاجتماع قال ستالين ان هذه
المعركة بيننا وبين النازية والفاشية تحتاج الى اصول ثلاثة ، الى العندد ،
والى العندد ، والى الصبر .

ثم راح الثلاثة يتوزعون هذه الاصول ، فقال ستالين : ان على روسيا
العندد لان فيها خلقا كثيرة ، وقال روزفلت : ان على امريكا العندد فان فيها
صناعة راقية وغنا طائلا . وقال تشرشل : فاما ما على بريطانيا فهو الصبر .

انني حين اسوق هذه المضحكة لا اكاد اجد للضحك سبيلا الى نفسي
لان الحقيقة ان بريطانيا شديدة الصبر على المكاره ، بعيدة الهمة في تحقيق
الامال، ولهذا لا ينبغي لنا ان نفتر بمواقفها السطحية منا، فان في سياستها
السم القاتل .

- ٦ -

وهكذا يظهر ان صالح مسعود حين كان طالبا قادما من بلد ضاق
بظلام الاستعمار وظلمه واكتوى بسياسة الابادة والطينة ، وشهد تضحيات
شعبه الكبيرة ، كان ينظر الى السياسة الايطالية على انها اشد السوان
السياسة عنفا ، واخلفها بغيظ الناس وحنقهم ، واولاها بالمقاومة والدفاع،
غير أنه حين مضى به الزمن الى امام ، درس ما لم يكن درس ، وراى ما لم
يكن راى ، فصور للناس في رسالته هذه السياسة البريطانية الاستعمارية،
صورة قبيحة اشد القبح ، مؤلمة اشد الالام . وهو بهذا يكون قد التقى مع
استاذة ولو بعد زمن طويل .

اما بعد : فانه ليسعدني ابلغ السعادة ، ويكسبني اعظم الفخر ان
اقدم الى العالم العربي والعالم الاسلامي والعالم الانساني هذا الجهد العلمي
المخلص الذي بذله في هذه الرسالة لله ثم للحقيقة والتاريخ ، تلميذي
المخلص وابني البار الاستاذ صالح مسعود ، حفظه الله وادام عليه نعمة
التوفيق .

احمد حسن البافوري

القاهرة ٥ ربيع الاول ١٣٨٨

١ حزيران ١٩٦٨

- ٣ -

- ٢ -

خاطر ، ويقدمون حين يحجم الناس ، ويستبسلون في المعارك ، ويستقتلون في الحرب .

وكنت بالإضافة الى اتصالي الشخصي المباشر بقسم من الفلسطينيين، اقرا كل كتاب يصدر عن القضية الفلسطينية ، واتابع بشوق غامر اخبار ثورة فلسطين واخبار الثوار الأبطال ، واستوعب كل ما يقع بيدي عن فلسطين ، واصفي بانتباه شديد الى كل ما يمت بصلة قريبة او بعيدة بفلسطين وبرجالها وتاريخها وجغرافيتها ، واقتني كل خريطة عسكرية او مدينة لفلسطين .

وقبيل دخول الجيوش العربية فلسطين ، كنت اتابع جهاد رجالها في الارض المقدسة ، وانلقف انباء المجاهدين الفلسطينيين باعجاب شديد .

- ٢ -

لم اكن غريبا على اهل فلسطين عندما قدمتها مع الجيش العراقي الذي استقر في المثلث العربي : نابلس - طولكرم - جنين .

ولكنني بعد مكوثي فيها سنة كاملة ، ازددت علما بها ، فربطتني بأهلها - خاصة اهل جنين الكرام - روابط من الصداقة والثقة المتبادلة والحب الصادق ، تلك الروابط التي لا تزداد مع الأيام الا قوة ومثانة ، فكنت اتصل بهم بالرسائل ، وارعى اولادهم من التلاميذ والطلاب الذين يدرسون في مدارس العراق ومعاهده وجامعاته .

كانت رسائلهم تردني تباعا كل يوم تقريبا قبل نكبة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وكان اكثرهم يحل ضيفا في داري ببغداد كلما زاروا العراق ، وكان اولادهم ولا يزالون اولادي ، يزورونني وازورهم ، ويعرضون علي مشاكلهم كلما حز بهم امر من الامور ، فاذا غابوا عني فترة من الزمن فتثقت عنهم في مدارسهم ومعاهدهم وكياناتهم اسألهم عن دروسهم ، واتسقت اخبار اهليهم ، فأفرح لفرحهم واحزن لحزنهم ، وما اكثر احزانهم واقل افراحهم اليوم !

ذكرت ذلك ، لانني اريد ان انبه الى ما طوقني به وطوق به اهل (جنين) الأكارم كل العراقيين من فضل لا ينسى أبدا .

كان اهل (جنين) يرعون العراقيين رعاية لا توصف : بيوتهم مفتوحة للجميع ، يتلقونهم فيها بالاحضان ، ويقدمون عليهم من كرمهم وأريحياتهم ، فكانوا بحق اهلهم بعد اهلهم ، وقد انسوهم بما بذلوه من كرم ولطف انهم

- ٥ -

جَهَادُ الْفِلَسْطِينِيِّينَ

بقلم
اللواء الركن محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي ببغداد
وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو اللجنة المجمعية بالرباط

- ١ -

كنت ضابط ركن جحفل اللواء الرابع الذي كان في مدينة (جنين) الحبيبة خلال حرب عام ١٩٤٨ ، فمكثت فيها سنة كاملة .

واتاحت لي الظروف ان اتولى منصب الحاكم العسكري لمدينة (جنين) بالإضافة الى منصبي في جحفل اللواء ، فأصبح اتصالي مباشرة بأهل المدينة وبالنازحين اليها من منطقة (خيفا) من الفلسطينيين المدنيين .

وكنت اعرف قسما من الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ ، فقد كنت على اتصال وثيق بالمجاهدين الفلسطينيين منذ عام ١٩٢٨ حين كان الشهيدان البطلان : العقيد الركن صلاح الدين الصباغ والعقيد الركن محمد فهمي سعيد ، يمدان الثورة الفلسطينية بالسلاح والعتاد سرا ، وكنت يومها اسلم السلاح والعتاد لهؤلاء المجاهدين الفلسطينيين في منطقة (ابي غريب) من ضواحي بغداد .

ولما اشتبك الجيش العراقي بالقوات البريطانية في ثورة عام ١٩٤١ ، كان المجاهدون الفلسطينيون من جماعة مفتي فلسطين الأكبر في عون الجيش العراقي في حربه ضد بريطانيا ، وقد كنت على اتصال وثيق بهم .

كانت معلوماتي الأولية عن الفلسطينيين انهم رجال أبطال مقاتلون من الدرجة المتميزة ، يتلقون الأوامر بتفهم عجب ، وينفذونها عن طيبة

- ٤ -

بغيدون عن وطنهم ، وأشعروهم بأنهم بين ذويهم الأقربين .

أذكر أنني كنت أتناول الطعام في منازلهم أكثر مما كنت أتناوله في مطعم الضباط ، وقد تدخلوا حتى في أبسط شؤوني الإدارية ، وكنت إذا مرضت عادوني ، وإذا غبت عنهم سألوا عني .

لقد كانوا أهلي ، وكانت (جنين) بلدي ، ولا أزال حتى اليوم اتحسر على تلك الأيام التي قضيتها بين أهلي أهل جنين وفي بلدي (جنين) . وما يقال عني ، يقال عن العراقيين الآخرين .

- ٣ -

تلك هي لمحات من إنسانية أهل فلسطين ممثلة بأهل (جنين) .

فماذا عن جهادهم الذي لمسته فيهم يوم كنت مع الجيش العراقي في الأرض المقدسة ؟

منذ حلت أرض فلسطين ، كانت أفواج الفلسطينيين تتقاطر على المقرات العسكرية تطالب بالسلاح وبالتدريب العسكري وباللقاء مهمات عسكرية على عاتقها للنهوض بها .

وكانت إسرائيل قد احتلت (جنين) في شهر حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، فاستطاع الجيش العراقي طرد الصهاينة من (جنين) بمعاونة المتطوعين الفلسطينيين .

وقد جرت معارك طاحنة بين جيش إسرائيل والجيش العراقي لاستعادة قرية (عارة) وقرية (عرعة) وقرية (صندلة) من قرى (جنين) ، وكان للمتطوعين الفلسطينيين أثر أي أثر في انتصار الجيش العراقي على القوات الإسرائيلية ، واستعادة هذه القرى وغيرها إلى العرب .

وكان للمتطوعين الفلسطينيين جهاد مشكور في منطقة (طولكرم) وفي المناطق الفلسطينية الأخرى .

وكان لجماعة الجهاد المقدس جهاد عظيم في منطقة القدس ، إذا نساه الناس ، فلن ينساه رب الناس .

وكان للشهيد عبد القادر الحسيني عليه رضوان الله جهاد عظيم في منطقة القدس ، حتى قدّم حياته الغالية في معركة (القسطل) .

وقد نظم الجيش العراقي في منطقتيه أربعة أفواج من الفلسطينيين

- ٦ -

أطلق عليهم اسم : المناضلين الفلسطينيين ، وكان لهؤلاء جهاد مشرف في قطاع جنين وقطاع طولكرم .

وقد انخرط في فوج صلاح الدين وفوج خالد بن الوليد وفوج الكرمل وفوج سعد رجال دين وأساتذة ووجهاء وطلاب جامعات وفلاحون وعمال وكسبة ، فاتقنوا التدريب العسكري وفنون القتال في فترة قصيرة ، ووصلوا إلى درجة عالية من الضبط والنظام والتدريب والتنظيم .

لقد استطاعوا أن يتقنوا التدريب العسكري بمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر ، وكان منهج تدريبهم يطبق على غيرهم من العرب خلال سنتين .

أنني أسجل هذا التفوق في التدريب العسكري للفلسطينيين فخورا بهم معتزا بمقدرتهم العقلية وقابلياتهم العسكرية .

ولست أنسى يوم جرى استعراض عسكري في (جنين) للمناضلين الفلسطينيين ، وكان ذلك في شهر أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٤٨ ، ثم أعقبه تمرين تعبوي بالعتاد الحي في منطقة معسكر (حلبة) ، فقد كان ذلك الاستعراض باهرا حقا ، وكان التمرين متميزا ناجحا إلى أبعد الحدود .

وأشهد أن الفلسطينيين كانوا جنودا بكل ما في الجندية من معاني الضبط والنظام ، والتضحية والفداء ، وكانوا ملء العين قدرا وجلالا ، وبطولة وشجاعة .

لقد كانوا رجالا في مزاياهم الإنسانية والعسكرية على حد سواء .

- ٤ -

وفرضت الهدنتان الأولى والثانية على العرب عام ١٩٤٨ ، وجمدت الجيوش العربية في الأرض المقدسة ، وانقلبت خطط تلك الجيوش من خطط هجومية هدفها انقاذ الأرض المحتلة من فلسطين واستعادتها إلى أصحابها العرب ، إلى خطط دفاعية هدفها المحافظة على ما تبقى من أرض فلسطين .

ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ، لم تتبدل خطط الجيوش العربية ، فهي خطط دفاعية مستكنة (١) لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا !!!

(١) الدفاع المستكن : هو الدفاع الجامد الذي يكتفي بتلقي الضربات ثم لا يفعل شيئا غير صد تلك الضربات إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، دون أن يهاجم عدوه ليكيّل له الصاع صاعين . ولن يؤدي الدفاع المستكن إلى النصر مطلقا .

- ٧ -

وتقبل الفلسطينيون الهدنتين على مضض ، وكانوا يقولون علنا :
« اننا كبدا يهودا خسائر فادحة ، حين كنا وحدنا في الميدان قبل دخول
الجيش العربية ارض فلسطين ، وكان يهود يخشوننا فهم دائما مدافعون
ونحن دائما مهاجمون ، فكيف يصح ان نتقبل خطة الدفاع والجيش
العربية معنا ؟؟ » .

وذهبت صرخاتهم المتهبة هباء ، وتبددت احتجاجاتهم في الهواء ...

وكان الاتجاه الرسمي للجيش العربية حينذاك هو قبول الهدنة ،
ولكن قسما من ضباط الجيش العربية تجاوبوا مع الفلسطينيين ، فكانوا
يرخون لهم العنان ، ويشجعون تسللمهم الى داخل ارض العدو ، ويمدونهم
بالسلاح والعتاد سرا ، ويقضون النظر عن حركاتهم الهجومية ، وينظمون
معهم الخطط الهجومية لضرب العدو في عقر داره .

في منطقة الجيش العراقي في (جنين) مثلا ، كان للفلسطينيين نشاط
كبير في ضرب قوات العدو كل يوم تقريبا .

كانوا يتغلغلون في الارض المحتلة ، فيقاتلون دوريات العدو ، ويقطعون
خطوط مواصلاته ، ويقضون مضاجعه ، ويعودون غالبا بالفنائم من السلاح
والعتاد والمواشي والأسرى .

وقد استطاع احد المجاهدين الفلسطينيين (٢) قبيل عودة الجيش
العراقي من فلسطين الى العراق وعودة الجيوش العربية الأخرى الى
اوطانها في منتصف عام ١٩٤٩ ، استطاع هذا المجاهد وحده ان يعود بأكثر
من مائتي رأس من الغنم مع راعيها اليهودي من الارض المحتلة الى فلسطين
العربية في منطقة (جنين) ، وكان هذا المجاهد البطل يردد كل يوم :
« اتركونا وحدنا لنقاتل الصهانية ، فحرام ان نراهم يسرحون ويعرحون
دون رقيب او حسيب » .

ولست انسى ما حييت منظر المجاهدين الفلسطينيين ، وهم يطاردون
فلول الصهانية المنسحبين عن مدينة (جنين) البطلة وعن قراها العربية .

وكان في نية قطعات (جنين) العسكرية من الجيش العراقي ، القيام
بهجوم ليلي بانجهاه (العفولة) في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ ،

(٢) هو المجاهد مصطفى الاسمر عليه الف تحية وسلام .

وكان العراقيون يريدون خمسمائة مناضل فلسطيني للتعاون مع الجيش
العراقي المهاجم .

وما كاد الفلسطينيون يتسامعون بخطة الهجوم العراقية ، الا
وتوافدوا على مقر جحفل اللواء الرابع بأعداد ضخمة بلغت خلال ساعتين
فقط ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مقاتل ، كان من بينهم شيوخ يزيد عمرهم
على السبعين سنة ، وكان من بينهم شباب لم ييلفوا الحلم ، وكان بينهم
سيدات وآنسات (٣) .

ولقد بكيت يومها لمنظر الشيوخ والشباب والنساء وهم يصرون
اصرا عنيدا على الجهاد في الخطوط الامامية .
لقد كان منظرهم لا ينسى أبدا .

- ٥ -

ومضت الجيوش العربية عائدة الى بلادها ، ونجحت اسرائيل في
توطيد اركان دولتها ، واصبحت القضية الفلسطينية كقميص عثمان
بالنسبة للدول العربية ، يذكرونها دائما ، ولا يكادون يفعلون من اجلها
شيئا .

ومضى (اللاجئون) الفلسطينيون ينتظرون يوم العودة الى ديارهم
التي اخرجوا منها بغير حق ، فكانوا كل يوم يسمعون (تصريحا) رنانا .
وكانوا كل ساعة يقرأون خبرا يبشرهم بالعودة .

وكان قائلهم يقول : اما ان لهذا الليل من آخر ؟! فيجيبه من هناك
اخ له عربي بقوله : لقد اوشك الصبح ان ينجلي ...!

ومضت السنون ثقيلة الخطى مليئة بالاحداث الجسام ، حتى جاء
حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، فلم يتحقق املهم بالعودة ، بل تضاعف
عددهم ، فكانوا مليونا قبل تلك الحرب فأصبحوا مليونين بعدها !!!

لقد حصل اللاجئون على شيء واحد فقط خلال عشرين عاما كلها
وعود واماني ...

ذلك هو انهم كانوا يسمون : (اللاجئون) ، فأطلق عليهم اسم
(العائدون) (٤) ...

(٣) لم تنفذ الخطة في اللحظة الاخيرة لتدخل السياسة في القضايا العسكرية .

(٤) اللاجئون والعائدون هنا مبيتان على الحكاية .

تبدل اسمهم فقط خلال تلك الفترة الطويلة من عمر الزمن ، ولم يتبدل من امرهم شيء غير الاسم ... أصبحوا رجالا بلا غد .

- ٦ -

وكان الدرس الاول الذي تعلمه الفلسطينيون من هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، أنهم يجب أن يعتمدوا على انفسهم أولا وقبل كل شيء لتحرير وطنهم السليب .

لقد نفصوا عن انفسهم غيار (التخدير) الذي عاشوا في بحرانه عشرين عاما ، فحزموا امرهم وازمعو على أن يثبتوا للعالم كله أنهم اولاد الفاتحين الاولين وابناء خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص والمثنى بن حارثة الشيباني وصلاح الدين .

وكان طريقهم الى اثبات رجولتهم هي الدماء والعرق والدموع .

لقد نجحت منظمة (فتح) في ان تخرج القضية الفلسطينية من ركودها الزمني ، وتهز ركائزها بعد ان أجهزت عليها نكبات ثلاث .

وفي هذا المجال ، ظفرت (فتح) باعادة القضية الفلسطينية الى مكانها الطبيعي ، حيث وضعتها بين ايدي اصحابها وبنيتها وهم شعب فلسطين .

واستطاعت (فتح) خلق قيادة فلسطينية اصيلة قادرة ، تقود ركب الجهاد بالدماء لا بالأقوال .

لقد اعادت (فتح) للفلسطينيين احساسهم بوجودهم وثقتهم بانفسهم ، وهيات لهم الشروط والظروف اللازمة لتنظيم صفوفهم ، بعد ان طعنت كرامتهم ووصموا بالتقصير والتقاعد في الدفاع عن فلسطين .

وشقت (فتح) وحدها الطريق امام الفلسطينيين ليتحرروا من الوصاية والتبعية والانتكال ، فأعادت اليهم ارادتهم بعد ان كادوا أن يضيعوا في التيه ويغلبوا على امرهم في ارض اخوانهم العرب .

وعاد الناس في العالم كله يقولون : ان شعب فلسطين هنا ...

وما دامت منظمة (فتح) قد نجحت في جهادها ، فلا بد من أن يلتف اهل فلسطين حولها ، وأن يجتمعوا تحت رايتها صفا واحدا يعملون بقيادة واحدة لتحقيق هدف واحد .

- ١٠ -

وليس عربيا من يضع العراقيل في طريق شعب فلسطين .
وليس مسلما من لا يؤيد شعب فلسطين في جهاده المقدس .
وليس عربيا مسلما من لا يزوج بكل طاقاته المادية والمعنوية لتأييد شعب فلسطين .

ان نجاح ثورة اهل فلسطين ، هو نجاح للعرب من المحيط الى الخليج والمسلمين من المحيط الى المحيط .
واسرائيل لا تفهم غير لغة واحدة ، هي لغة القوة وحدها .
وكل ادعاء يخالف ذلك هراء .

ان الله سبحانه وتعالى يفتاز على المسجد الأقصى ان ترتفع عليه اعلام اسرائيل
ويغار على مسرى النبي صلى الله عليه وسلم ان تنتهك حرمانه .
والله سيأخذ بأيدي العرب والمسلمين لانقاذ الأرض المقدسة من ايدي الصهاينة المجرمين .

وقد بدا النور بالعمل الفدائي لمنظمة (فتح) ، والله يأبى الا أن يتوره على الرغم من اسرائيل ومن وراء اسرائيل .
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

تحية تقدير للاستاذ صالح مسعود على جهوده المشكورة الموقفة في كتابه : جهاد شعب فلسطين .

وآمل ان يقرأه كل عربي وكل مسلم ليطمئن الى ان شعب فلسطين قام بواجبه أمس ، ويقوم بواجبه اليوم ، وسيقوم بواجبه غدا ...
والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله وعلى آله واصحابه اجمعين .

محمود شيت خطاب

بغداد - الاعظمية في : ٩ صفر ١٣٨٨

١٩٦٨/٥/٧

- ١١ -

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله واصحابه المجاهدين

وبعد، فقد كنت طالبا يافعا عام ١٩٣٨ م حين كانت المظاهرات تخرج من الأزهر الشريف هاتفة «فلسطين للعرب لا لليهود»، وكان منبر الأزهر يهتز تحت نبرات الخطباء ينددون بطفيان الانجليز ومظالمهم، ويشيدون بشعب فلسطين العربية، ولم أكن أستطيع الاحاطة بما يقولون، فسني لم تتجاوز الثلاثة عشر عاما. ولكنني تابعت في شغف واهتمام اخبار فلسطين.

اني لقادم من ليبيا حيث يجثم آنذاك الاستعمار الإيطالي، مباعدا بين الشعب العربي فيها وبين سائر شعوب الامة العربية، وقاطعا كل صلة له باوطان الامة العربية وتطور قضاياها، ومثقلا روح المقاومة في الشعب الليبي، وحائلا بينه وبين الثقافة والتاريخ والاحاطة، الا ان تكون ثقافة ايطالية، وتاريخا رومانيا، واحاطة فاشستية، ولهذا كان تتبعي لما اسمع من الخطباء تتبع الظلم المتلف، ذلك الذي يريد ان يفهم وان يعلم وان يحيط.

كنت قادما من بلد ارغم على القاء سلاحه آنذاك منذ ست سنوات، فسمعت ان شعبا عربيا ما زال يكافح حاملا سلاحه في وجه الأعداء. كان قلبي يفيض كرها لايطاليا التي احتلت بلدي، وقتلت قومي، وشردت جموعهم، ونصبت المشانق في كل قرية ومنتجع، فسمعت ان الانجليز يهدمون القرى العربية في فلسطين، ويفرضون الغرامات الجماعية. ويرفعون على أعواد المشانق كل من حمل سلاحا أو شبه سلاح.

كنت أحمل بين جنبي حقا مريرا للايطاليين الذين اغتصبوا اراضي قومي، وجاءوا بجموعهم تسكنها وتحتلها، ورموا بأصحاب الأرض في الصحارى، فسمعت ان الانجليز فتحوا ابواب فلسطين لليهود وحاربوا العرب في حياتهم واراضيهم وحقوقهم.

كنت أدرك الالم الذي يحيط بالجموع العديدة من شعب ليبيا ومجاهديها المشردة في ريف مصر وصعيدها، وقرى فلسطين وسوريا والعراق، والذين وصلوا الى كل مكان في الوجود هربا من جور الاستعمار وطغيانه، والذين حاربوا ايطاليا ثم ارغمتهم الظروف على هجر الوطن،

واستبدلوا التشرد والفقر والجوع والفاقة بحياة العزة والسيادة. وكنت لذلك اشعر بالمرارة القوية لما يفعله الانجليز بفلسطين، حين اتخيل انهم يهدفون الى خلق هجرة فلسطينية تشبه هجرة قومي من ليبيا امام جحافل الاستعمار ومظالمه.

كنت افخر بأبطالنا الذين ذهبوا في ليبيا الى الله على أعواد المشانق. او في لهيب المعارك، وأعيد في زهو وافتخار أسماء عيسى الكوكاك، وسعدون السويحلي، وعمر المختار، ويوسف بو رحيل، والفضيل بو عمر، وعوض العبار، ومئات الالاف غيرهم في ليبيا الواسعة، فسمعت آنذاك ان ابطالا آخرين قادوا الثورة في حيفا العربية والقدس والخليل ويافا وجبال نابلس، من امثال عز الدين القسام، وفرحان السعدي، وموسى كاظم الحسيني وعبد الرحيم الحاج محمد وغيرهم... وغيرهم، فازددت بقومي العرب كلهم فخرا، واخذني الاعتزاز بانهم في كل مكان يدفعون الارواح في سبيل الوطن ويدافعون بصدق من اجل المقدسات.

ومضت سنوات، وتتابعت احداث، حتى حل عام النكبة ١٩٤٨ م، وكانت احوال وطني الصغير قد تغيرت، وجلت ايطاليا منهزمة في الحرب العالمية الثانية، واصبح لليبيا قضية وجيش وعلم، وامكن الشعب العربي فيها ان يرفع صوته في وجه الانجليز، اننا لن نستبدل سيدا بسيد، وان شهداءنا انما ذهبوا في سبيل الحرية لا في سبيل الوصاية ولا من اجل الاحتلال.

وبدأت جموع قومي النازحة تعود الى الوطن، فاتحة او راجعة، وامكن قومي ان يبعثوا برعيل من ابنائهم المتطوعين والفدائيين الذين رافقوا البطل الشهيد احمد عبد العزيز، والذين اسهموا بقسط من واجب الدم فوق اديم الارض المقدسة.

ووسط الاعتزاز والفخر تنادى العرب لطرده عصابات صهيون، وفي



بعض المتطوعين الليبيين في فلسطين ١٩٤٨



المؤلف يتحدث الى المتطوعين الليبيين خارج مدينة بنغازي
وهم في طريقهم الى فلسطين ١٩٤٨

ولكم تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية الفلسطينية ، ولم يشعروا يوماً بأيام الجفاء في حياتهم الرخية ، ولم يتعبوا انفسهم ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين العربي وكم كابد ، وكم ضحى في صراع مرير دائم ، وكان محور الجدل دائما دور عرب فلسطين في قضية بلادهم ، قضية المصير العربي ، وعمق تلك الفرية التي اطلقها الصهيونيون والانجليز فلاقت آذانا صاغية لدى مجموعة كبيرة من العرب ، واصبحت حديثا مرجعا لدى شبابهم الذين لم يطلعوا ، ولدى سطحييهم الذين لم يلموا ، ولم يدركوا ان هذه الانتقال والنكبات التي يعانها العالم العربي اليوم، انما بدأت بشعب فلسطين، فقاومها وبدل في سبيلها الكثير ، واستمرت ثوراتها وامتد جهده وجهاده مع تعاقب السنين وحتى يوم الناس هذا .

غمرة من ثقة بالنصر تبدل كل شيء وتهاوى عديد من المفاهيم .
اصبح لليهود دولة تجلس في الامم المتحدة ، متخذة مقعدها فوق اشلاء الشعب العربي في فلسطين ، وواضحة نقلها فوق كرامة كل عربي بل كل مسلم في الوجود ، واصبح شعب فلسطين موزعا وشريدا في اكر نكبة حلت بالعرب في قلب وطنهم منذ ان وحدهم محمد الرسول العظيم ، ومنذ ان ساروا في دروب العالم يقدمون رسالة الخير ، وبينون الحضارة الصادقة في وثوق وتصميم .

وقد عاصرت نكبة شعبنا في فلسطين وانا امر بأدوار مهمة في حياتي ، عاصرتها وانا رئيس لتحرير « برقة الجديدة » في بنغازي ، وذقت عنق الانجليز وهم يتحكمون ويقاومون ما نسطر لتجميع الراي العام العربي لصالح القضية الفلسطينية .

وعاصرتها والانجليز يمنعون مجلتي (الفجر الليبي) من شرح نكبتنا في فلسطين ودورهم فيها .

وعاصرتها وانا اشترك مع شباننا من جماعة عمر المختار ورابطة الشباب الاسلامية ، في تعبئة ومعاونة المتطوعين من وطني ومن شمال افريقيا وارسالهم لاداء الواجب المقدس .

ثم عاصرتها حين كنت عضو المعارضة بمجلس النواب البرقاوي خلال سنتي ١٩٥٠ / ١٩٥١ م وبدت محاولات استعمارية فاشلة لتصدير شيء من بلدي الى اسرائيل ، وكان صراعا قويا مثل الحرية والقوة والعروبة الاصيلة . ثم عاصرتها صاحباً لجريدة « الدفاع » التي اتخذتها منبرا حيا لكل قلم شريف وكل قضية مصيرية وكانت فلسطين رأس كل موضوع .

وعاصرتها وكيلا لمجلس النواب الليبي خلال سنوات ١٩٥٣/٥٤/١٩٥٥ ، ثم اضطرت لمفادرة وطني الحبيب ، حافظا له الولاء ، معتززا بتاريخه ، وفخورا به (*) .

وها انا اذا اعيش وقد ذقت طعم التشرد واللجوء ، فأحسست عن تجربة ومع الفارق بالآم ذلك الشعب الكريم الذي أبعد عن وطنه ، وأخرج من دياره ومزارعه ، والذي اضطر مكرها أن يعيش في مختلف البقاع عيش اللاجيء الكسير ، وان يبقى في اكواخ المشردين يرنو بأبصاره الى أرضه ومقدساته ، وينتظر اليوم الحق .

(*) الى الاخوة الذين كاتبوني من طرابلس يستغربون اهتمامي بجهاد شعب فلسطين ، وانا الذي اوذيت من مقدسي منحرف ، رافق جيوش الاحتلال واحتفظ بهوانه ، تطوع بدسيسة كاذبة حرمتني من وطني ، وبقي هو يرقل في نيمه قرير البال والضمير ! اقول ان انحراف فرد أو قلة لا يجعلني انسى واجبي تجاه فلسطين وشعبها العظيم ، واحيل الاخوة الى بحثي في صفحة (٥٠١) .

العربي حتى هذا التاريخ (١) ؟

وأخيرا هل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما ، لا في سبيل فلسطين وحدها ، وإنما كانوا يمثلون الخط الأمامي لكل الأمة العربية ومقدساتها ، وان الخطر اليوم ليهدد كل العرب ، ويهدد أيضا أكثر دولهم أهمية ومكانة ، بل انه ليهدد موطن الهجرة المحمدية الطاهر ، ومثواه المقدس الكريم ؟

هذه هي الأسئلة التي اعرض اجابتها في هذا الكتاب ، غير متهم بالدفاع عن نفسي ، فإني أحد أفراد الشعب العربي في ليبيا ، وعلاقتي بفلسطين والفلسطينيين ، هي الشعور بالمسئولية الحتمية على كل عربي ، والادراك كامل الادراك لوحدة القضية العربية ، وحدة نصرها ، ووحدة فجرها ، ووحدة أقطارها ، ووحدة أخطارها .

لقد قدم الفلسطينيون كثيرا من التضحيات في معارك غير متكافئة ضد قوى عالمية ، وهم اليوم لا يكادون ينصفون لدى الشعب العربي ، الذي يتحمل وزر النكبة والذي عليه أن يحسن دراسة تلك الصفحات الخالدة ، وان يدرك أن تضحيات العرب الفلسطينيين ونكباتهم فتحت للأمة العربية مجال العمل والثورة واصلاح دولها اصلاحا طور كل شيء في وجودها (٢) .

هذا هو مجمل للخطوط الرئيسية في هذا البحث (٣) ، وأرجو ان اكون قد وفقت فيه ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

- (١) انما نعتي التملك الشرعي المستندي ، لا الاحتلال في عامي ١٩٤٨ او ١٩٦٧ وكان هذا الكتاب معدا للمناقشة بجامعة الأزهر لدرجة الماجستير منذ اوائل عام ١٩٦٥ .
- (٢) اكرر ان هذا سطر قبل النكبة الاخيرة (١٩٦٧) بثلاث سنين وقد اثبتت الاحداث التي نحبها الان ان التاريخ يكرر نفسه ونحن نرى الشعب الفلسطيني يواصل ثورته على الاحتلال الصهيوني ويقدم شهداءه الابطال كل يوم ، شجاعا في لقاءه ، كما حدث طوال سنوات الانتداب البريطاني التي نفضلها هنا .
- (٣) قدم هذا البحث لجامعة الأزهر ، وقد اشرف على الرسالة الاستاذ الدكتور عبدالعزيز الشناوي رئيس قسم التاريخ الحديث والمعاصر بالجامعة وبذل لي جهدا كبيرا وطيبا وتكونت لجنة المناقشة منه ومن الدكتور ابراهيم شعوط استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الأزهر ومن الدكتور الاستاذ محمد رفعت رمضان استاذ التاريخ بأداب القاهرة وعميد كلية آداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم . واني لاسجل شكري لمناقشتهم التاريخية الخالدة ولقرائهم بدرجة الامتياز الذي اعتبره اقرارا علميا واشادة جامعية بجهد شعب فلسطين العظيم .

ان اولئك السطحين ليقولون ، كان على شعب فلسطين ان يثور ايام الانتداب ثورة مدوية كما حدث في الجزائر ، وان يتمسك بأرضه فلا تتسرب لاعدائه ، وان يعزف عن الهجرة فلا تغادر جموعه بلادها ، وان يعزف عن السلبية كلما سنحت فرص التفاهم مع الانجليز .

ولعل اولئك القائلين بهذا يقصدون ان شعب فلسطين كان سيحول دون قيام دولة الصهاينة لو سلك ما يرددون ، وان هذا الخطر الذي يهدد العرب كلهم اليوم ، ما كان ليوجد حينئذ .

وبحثي هذا يستهدف تصوير الواقع الصحيح الذي مرت به منذ اول يوم تلك المؤامرة الخطيرة بانقالها واجراءاتها ومظالمها ، وتعاون دولي ضد شعب صغير اعزل ، استطاع ان يصمد ثلاثين عاما ، ثم اخذ يواصل نضاله ويقدم ضحاياه مع مر السنين حتى الان ، لا يابه بدول مفروضة ، ولا تشغله ارواحه التي يقدمها على مذبج الحرية في سبيل وطنه، وفي سبيل عالم العرب والاسلام .

ترى هل يحيط الشباب العربي بتلك المراحل المريرة الدامية التي مرت بشعب فلسطين خلال انتداب الانجليز الكريه ؟

ترى هل مضت السنون الثلاثون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين، حتى سنة ١٩٤٨ حين هيئوا كل سبب لانتصار اليهود والفتك بالعرب ؟

ترى هل كان سهلا على عرب فلسطين ان يغادروا بلادهم ؟

ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والالم والكفاح الذي تحمّله شعب فلسطين وحده ، خلال مجابهته للصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطننا قوميا لليهود ؟ فسنوا لذلك القوانين الجائرة الغربية يرهقون بها العرب وينمون اليهود ويسلطون جيوشهم ومحاكمهم لتنفيذ تلك القوانين .

ترى هل يدرك قومي العرب في مختلف ديارهم الفرق الزمني ، والتطوري ، بين السنوات التي صاحبت جهاد الشعب الفلسطيني وبين السنوات التي صاحبت نضال الجزائر المظفر ؟

ترى هل يعلم شعبنا العربي الموزع بين المحيط والخليج ، ان دولة الصهاينة انما تقام الآن فوق ارض لم تتمكن رغم برنامج الانجليز وطفيانهم ان تملك فيها مستنديا أكثر من ٨٪ ، وان الباقي هو ملك لشعب فلسطين

مدخل إلى البحث

العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود :

هل لليهود علاقة بفلسطين ؟ هل لهم واقع تاريخي يسمح لهم بأن يطالبوا بها ؟ هل يحفظ لهم التاريخ ذكرى تسبق ذكرى العرب وتاريخهم ، او تستطيع أن تزحزح من واقع العرب في فلسطين ؟

لنبدأ الموضوع من حيث واصله الانجليز عام ١٩١٧ .

فلسطين جزء صغير من بلاد الشام (سوريا - لبنان - الاردن - فلسطين) ولقد عرفت دائما على تعاقب التاريخ بأنها القسم الجنوبي من تلك البلاد ، هكذا سماها المؤرخون العرب ، وهكذا تحدث عنها هيرودوت المؤرخ اليوناني منذ قديم الزمان ، وبنفس هذا الاسم وردت لدى مؤرخي الحروب الصليبية .

وفلسطين هذه التي هي الجزء الجنوبي من بلاد الشام تخضع لسلطان الخلافة العثمانية ويسكنها حوالي ٧٥٠ ألف ، منهم نحو ٥٥ ألف يهودي بواقع لا يتجاوز ٧٪ من مجموع السكان العرب .

وكان التاريخ حتى هذا العهد يدرس في حواضر العالم بالشرق وبالغرب أن بيت المقدس الاسلامي وكنيسة القيامة المسيحية ومولد المسيح عليه السلام ، توجد كلها في جنوبي الشام (فلسطين) ، وأن هذا القسم مر بأدوار تاريخية واضحة تبدأ منذ أن عرف بأرض كنعان عام ٢٥٠٠ ق . م . وأن هؤلاء الكنعانيين العرب استمروا سادة البلاد ، يحكمونها ويمرونها ألفا وخمسمائة سنة حتى سميت باسمهم حين تحدثت توراة اليهود عن عبورهم نهر الاردن واستقرارهم جنوبي القدس بأرض كنعان .

كان أول من عبر ذلك النهر النبي ابراهيم مع مجموعة من قومه ، واشترى حفيده اسرائيل مزرعة فتملكها كما يتملك اي فلاح لاجيء غريب ، تملكها في ظل الكنعانيين العرب وكون مع قومه ما يشبه جالية اجنبية صغيرة

عهد... وعهد

● ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي ، من العريش الى الفرات ، رجالهم ونساؤهم وآبائهم مرابطون الى يوم القيامة ، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام او بيت المقدس فهو في جهاد الى يوم القيامة .

الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يخاطب الصحابي
معاذا رضي الله عنه

● « هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان ، اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم... لا تسكن كنائسهم ولا تهدم... ولا يكرهون على دينهم ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود .»

من عهد سيننا عمر لمسيحي القدس ٦٢٦ م

● « اياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط الله عليهم عدوهم »

من خطاب الخليفة عمر في جموع المسلمين المتصدين
بالقدس عام ٦٢٦ م

● وتذكرت طارق بن زياد وابن سرح وعقبة الخالدينا
وتراعى رويغ وزهير في ليوث الانصار والتابعينا
شيعوا الشمس للغروب الى فا س وراحو للهند مستقبلينا
ه وزدنا عليه عارا وشينا اورثونا مجدا تليدا اضمنا
الشاعر الليبي رفيق المهدي

في عرف التعبير الحديث (٤) .

وعندما تاه موسى باليهود اربعين عاما في صحراء سيناء سنة ١٢٩٠ ق . م حسب الف حساب لعرب كنعان ، فلم يغزهم بجموعه التائهة ، وبقي بعيدا عنها يحذر دخولها ، لقد كان وضعه يختلف عن وضع ابراهيم فلقد كان موسى مع قومه الهاربين من سلطان فرعون مجموعة كبيرة من الناس، لا يمكن ان تدخل ارضا معمورة دون ان تلتفت الأنظار ، وتضيق بها الاماكن ولهذا حين صمم خليفته يوشع بن نون على دخول فلسطين عام ١١٨٦ ق . م قاد البدو الرعاة الاجلاف من اليهود الذين توالدوا في الصحراء اثناء التيه ، واحتل بهم فجأة مدينة اريحا العربية الكنعانية ، وهدمها وأجرى السيف في سكانها ، فأسال دماءها انهارا ، واهلك أغلب من فيها ، تماما كما فعل اللاحقون من اليهود في قرية دير ياسين بعد ذلك بثلاثة آلاف عام في ابريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ م ، وهكذا بدأت فكرة التجمع اليهودي منذ ذلك التاريخ مبنية على الأشلاء والدماء وهياكل العظام .

وبرغم هذه الغزوة الشريرة المفاجئة التي استحل فيها القتل ، وأبيحت فيها الدماء فان الكنعانيين ظلوا محتفظين بأجزاء عديدة من فلسطين ، حتى ان داود لم يؤسس مملكة اسرائيل الا عام ١٠٠٠ ق . م ، بعد ان سقطت القدس (اورشليم) التي كانت تمثل آخر حصون الكنعانيين(٥) ، ولكن هذه المملكة لم تدم الا خمسة وستين عاما ، ثم انهارت بموت سليمان عام ٩٣٥ ق.م ، فانقسمت الى مملكتين مليئتين بالفتن والدسائس والقتال : مملكة اسرائيل ، ومملكة يهودا ، وقد ضمت الاخيرة اورشليم (القدس) والمناطق المجاورة لها ، ولم تمض الا سنوات حتى هاجمها ملك مصر شيشق الليبي فدمرها وأخذ كنوز سليمان من الهيكل عام ٩٢٠ ق . م ، وتحطمت المملكتان تحت اقدام الأشوريين والكلدانيين ، حتى دكت مملكة يهودا نهائيا عام ٥٨٤ ق . م حين حرق نبوخذ ناصر هيكل سليمان ، ثم ساق الجند والملك اسرى الى بابل ، فعادت فلسطين من جديد عربية وأستقبلت هجرات العرب من الجزيرة ومن سوريا والعراق (٦) .

(٤) شفيق الرشيدات : فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦١ ص ١٦ - ٢١
(٥) الفريق محمد فوزي وعمر رشدي : الصهيونية وريبتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٢ - ص ١٠ .

(٦) ورد اسم هذا الملك في التواريخ العربية مختلف النطق ، منها نبوخذ نصر ويختصر ونبوخذ ناصر ، وقد اخترنا الاخير لتناسبه مع الاسماء التي ارتبط بها التاريخ بتطهير القدس كالناصر صلاح الدين والناصر قلاوون .

ولكن ما فعله اليهود سنة ١٩١٧ م وقبلها من تملق للانجليز سبق ان فعلوه في عام ٥٣٩ ق . م حين تملقوا ملك الفرس « كورش » ، ولا ريب انهم كانوا له جواسيس وطابورا خامسا ، حتى استطاع ان ينتصر على بابل ، فكافأ اليهود باباحة العودة الى فلسطين .

ومع هذا لم يقيموا دولة بالمعنى المعروف حتى في غابر الأزمان ، ولكنهم عاشوا يجتروا ذكريات الهيكل وتاريخ دولتهم البائدين .

وتناولت ايدي الاسكندر المقدوني مقدرات فلسطين حين طرد منها الفرس ، واستمرت مسكونة بشعب عربي كنعاني وقلة يهودية حتى هاجمتها العرب الأنباط عام ٩٠ ميلادية ، والحقوها بالبتراء العاصمة ذات التاريخ والآثار المعروفة .

ومنذ اوائل القرن الاول الميلادي خضعت منطقة البحر المتوسط لحكم الرومان ، وكانت فلسطين ضمن هذه المنطقة ، ولكن التاريخ لا يغفل ان اليهود حاولوا عام ٧٠ م وعام ١٣٥ م القيام بحركة ثورية ، فحطمهم الرومان الذين تلقوا مساعدة قوية من العرب ، فاحتلوا القدس وقتلوا معظم السكان اليهود ، فهرب عديد منهم الى سوريا ومصر وليبيا وشمال افريقيا وغيرها من البلاد ، وبنيت مدينة جديدة في المكان الذي كان يشغله اليهود وحرم على اليهود سكانها ، ويعتبر المؤرخون ان هذا كان آخر عهد اليهود بأرض فلسطين ولم يعد لهم فيها اي نشاط سياسي او قومي .

وعلى الرغم من ان العرب ظلوا سكان فلسطين واكبر مجتمعاتها فان السلطان السياسي ظل بيد الرومان ، ولهذا اشتعلت ثورة تقودها ملكة تدمر العربية (الزباء) ضد الرومان عام ٢٦٧ م وانزلت بالقائد الروماني «هوقلبان» هزيمة ساحقة ، واحتلت فلسطين وحكمتها اعواما حتى تمكن الرومان من استرداد سلطانهم فيها (٧) .

٢ - فلسطين في ظل الاسلام :

كان العرب في فلسطين قبل اليهود ، وهم العرب الكنعانيون الذين سميت البلاد باسمهم حتى في كتب اليهود المقدسة ، وظل العرب مستقرين فيها حتى في اثناء الفترات التي حكم فيها اليهود بقاعا صغيرة ، فلما انهارت ممالكهم توافد العرب من كل صوب الى اجزائها التي لهم فيها تراث وتاريخ

(٧) اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ، ص ٢٢ .

وذكرى ، وهكذا حدث حين تحطمت اليهودية تحت اقدام الاشوريين والبابليين ، وتحت سياط نبوخذ ناصر وهكذا حدث ايضا حين ضمها العرب الانباط الى عاصمتهم البتراء ، ثم حين تقدمت فرق من هؤلاء الانباط تمزج الجيش الروماني الذي دانت له كل منطقة البحر المتوسط في القرن الاول الميلادي ، وكان العرب في فلسطين حين هدم هارديان الروماني هيكل اليهود وحرم عليهم سكنى المدينة التي اسسها فوق انقاض اورشليم المهدمة وعلمهم الهجرة والهرب الى كل موطن مجاور وبعيد .

وفي عام ٦٣٦ م بعد هجرة النبي محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) بخمسة عشر عاما رفع علم العرب المسلمين على القدس ، وانهارت امامهم حصون الرومان وقواهم ، وهناك خرجت القدس كلها تستقبل الفتح الاسلامي ، وتمد يدها بالسلام والامان الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ، مكبرة روح العرب في فتحهم ، وبعدهم عن اراقة الدماء ، وحفاظهم على الصغير والشيخ الكبير ، وعزوفهم عن ارهاق احد او اذلاله ، الا حاملا لسلاح ، محاربا ومقاتلا .

وطلب البطريرك صفرونيوس ممثل المسيحية في فلسطين ان يحرر شروطا مع الخليفة عمر ، ولم تكن شروطا تتسم بشيء من الامتياز للمسيحيين ، او اعفاء من ضرائب ، او اقامة حكم ذاتي يرأسه المسيحيون وبقايا الرومان ، او ابعاد المسلمين من سكنى القدس واقامة مساجدهم فيها ، فقد ادرك القوم سمو الروح التي كانت تشع في اولئك الابطال الاوائل ذوي المثل والقيم .

ولكنهم كانوا يخشون تسامح المسلمين وتساهلهم ونظرتهم باحترام الى الاديان الاخرى ، فأحتاطوا لانفسهم واشترطوا ان يستمر منع اليهود من سكنى القدس ، وان يستمر تحريمها عليهم ، وذلك كله مخافة ان يعودوا فيقيموا فيها معابد وهيكل ، ثم يتسربون الى الحياة العامة ليشيعوا فيها المكر ، والحدق والخديعة ، كجزء من مراسم معتقداتهم ، فيفسد بذلك المجتمع الذي يريده كل من الاسلام والمسيحية حينئذ على السواء كريما معافى .

وهكذا اعطى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه العهد التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الامان . اعطاهم امانا

لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود .

وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله ، حتى يلبغوا مآمنهم ، ومن اقام منهم (فهو) آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يلبغوا مآمنهم .

ومن كان فيها (ايلياء) من اهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية .

كتب وحضر سنة خمسة عشر ، وشهد على ذلك خالد بن الوليد ، عبد الرحمن ابن عوف ، عمرو بن العاص ، معاوية بن ابي سفيان (٨) . ولا يزال هذا العهد الذي اعطي ارضاء واکراما لسكان القدس محفوظا لدى سدنة كنيسة القيامة فيها ، ويعتبر اقدم ميثاق دولي رفيع يدعو الى احترام الشعائر الدينية وصيانة الاماكن المقدسة (٩) .

وحين استقر الخليفة عمر في القدس القى خطبته المشهورة في جموع المسلمين الفاتحين والتي يليق ان نستعيدها هنا :

« يا اهل الاسلام ، ان الله تعالى قد صدقكم الوعد ، ونصركم على الأعداء ، وأورثكم البلاد ، ومكن لكم في الأرض ، فلا يكون جزاؤه منكم الا الشكر ، وإياكم والعمل بالمعاصي ، فان العمل بالمعاصي كفر بالنعم ، وقلما كفر قوم بما انعم الله عليهم ثم لم يفزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط

(٨) عارف العارف : الفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف - القدس - ١٩٦١ ص ٩١
(٩) دكتور احمد طريين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة - ١٩٥٨ ص ٤

الله عليهم عدوهم (١٠) .

وحين أتم الخليفة خطابه أذن بلال أول أذانه منذ وفاة الرسول الكريم ،
وسمع الصحابة صوته فتذكروا رسولهم وقائدهم فبكوا ، وكان أكثرهم
تأثرا القائد المنتصر ابو عبيدة بن الجراح .

واستمرت فلسطين عربية خالصة منذ ذلك اليوم ، وتحطمت على
صخرتها جيوش الصليبية حين استغلت ضعف العرب وتوزعهم ، واقامت
لنفسها دولا حطماها البطل الخالد صلاح الدين الأيوبي في يومه المشهور عند
بطاح حطين عام ١١٨٧ م ، ثم جلوا نهائيا أمام جيوش مصر في معارك عديدة .

وكان هذا الجزء الثمين من بلاد الشام مهوى كثير من أبطال العرب
المسلمين ، فقد ذكر ان آلافا من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وتابعيه قد دفنوا بها ، ومن أشهرهم القائد ابو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ
ابن جبل ، والفضل بن العباس ، وسلمة بن هشام المخزومي وعبدالله بن
الزبير ، وطليب بن عمر القرشي ، وأبان بن سعيد العاص ، وتميم بن
الحارث السهمي وقيس بن الحارث السهمي ، والحارث بن
عتيك ، وهرا ب بن الأسود المخزومي ، وهشام بن العاص بن وائل ، ونعيم
ابن عبدالله بن النحام ، وشداد بن أوس الصحابي عالم بيت المقدس ،
وعبادة بن الصامت الانصاري احد نقباء الأنصار ، وغيرهم كثيرون .

وتوجد اعداد كبيرة من شهداء المسلمين وارثها الارض هناك في معارك
اليرموك واجنادين ، ثم في الحروب الصليبية ، وحروب التتار (١١) .

وفي ظل الاسلام انتعشت الحضارة البناءة في فلسطين ، وانتجت كثيرا
من العلماء والمفكرين والقادة والشعراء ، واذا كان هذا ليس موضوع بحثنا
فان ذكر القليل منهم يسهم في اعطاء صورة عن هذا البلد الهام السليب ،
لقد انتجت ارض فلسطين القائد الاسلامي الكبير موسى بن نصير فاتح
الاندلس ، وكان من أبناء الخليل ، والى فلسطين ينسب الاديب العالم وزير
الدولة للبطل صلاح الدين « القاضي الفاضل » المولود بعسقلان ، ومنها
خليل ابن ابيس الصفدي الاديب والمؤرخ الاسلامي الشهير صاحب المؤلفات
العديدة ، والى قيسارية بفلسطين ينسب رئيس فن الكتابة وشيخ
الدواوين وسيد الانشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الأموي مروان بن

محمد ، والى فلسطين ينسب العالم الكيمائي العربي خالد بن يزيد
الأموي اول من نقل علوم الافرنج الى اللغة العربية في دولة الاسلام ، وينسب
اليها أيضا القاضي عماد الدين أحمد الكركي الذي تولى منصب قاضي
قضاة الديار المصرية ، والملك شرف الدين الأيوبي المجاهد ضد جيوش
الصليبيين والعالم الذي كانوا يطلقون عليه اسم المأمون الثاني ، واليهما
ينسب أيضا الشيخ مرعي الكرمي الذي تولى الافتاء في الديار المصرية
بالأزهر الشريف ، والشيخ محمد بن مصطفى اللبدي الفقيه العالم الذي
تولى الافتاء في حاضرة الشام دمشق .

والى فلسطين ينسب مئات بل آلاف الأدباء والشعراء والعظماء والقواد
وانك لو اوجدتهم في كتب التاريخ منتهية أسماء بالصفدي والطبري وما مائل
ذلك ، بل ان الامام الشافعي صاحب المذهب كان فلسطينيا وكان يردد في
شوق الى بلاده بيتين شهيرين :

واني لمشتاق الى ارض غزوة وان خانني بعد التمزق كتماني
سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها كحلت به من شدة الشوق اجفاني

وفي تاريخنا المعاصر منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم ، ما فتئت
فلسطين تمد الوطن العربي برجال الفكر والادب ، نجد انه من حق هذا
الوطن الخالد ان نسجل بعض أسماء أولئك الرجال ممن وصلت اليها
اسماؤهم على سبيل المثال لا الحصر ، فقد عرف من شعرائها ابراهيم
الدباغ ، وعبد الرحيم محمود ومحمود سليم إبحوت ، وهارون هاشم رشيد
وعلي هاشم رشيد ، وابراهيم طوقان ، وفدوى طوقان ومحمد العدناني ،
ويوسف الخطيب ، ومعين بسيسو ، ولكل واحد من هؤلاء ديوان او أكثر من
ديوان . وعرف منهم في مجال القصة والادب والبحث والمقالة والترجمة :
اسعاف النشاشيبي ، وخليل السكاكيني وأحمد سامح الخالدي ، واسحاق
موسى الحسيني ، واكرم زعيتر ، ومحمد سيف الدين الإيراني ، ونجاتي
صدقي ، وسميرة عزام ، ومحمد عادل زعيتر ، وخليل بيدس ، وأحمد خليفة
ومحمد عزة دروزة ، ورفيق التميمي ، وعارف العارف ، واحسان عباس ،
ومحمد يوسف نجم . ولكل هؤلاء بحوث معروفة واسماء خالدة في الوطن
العربي كله بما انتجوا للفكر والادب والتاريخ (١٢) .

على انه من المناسب ان نسجل ان شعب فلسطين واصل على الدوام

(١٢) راجع التفاصيل في كتاب الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، كامل
السوافيري ، مطبعة نهضة مصر ١٩٦٤ .

(١٠) الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٠١ .

(١١) الهيئة العربية العليا - المقدسات الاسلامية بفلسطين ١٩٦٢ - ص ١٥ وما بعدها

تقدمه العلمي حتى ان اغلب الاوائل الناجحين في الجامعات العربية كانوا من بين افراده، ومع الاقرار ان الجامعات تضع شروطا شديدة لقبولهم فيها بحيث يكون مجموع النجاح في الثانوية العامة هو اعلى مجموع فرض على جميع ابناء البلاد العربية الذين يتقدمون للجامعات نظرا لمستوى ابناء فلسطين الرفيع واقبالهم الشديد .

اما في المجال السياسي فقد انجبت فلسطين زعامات خالدة لم تكن امام الاعداء ولم تخضع لهم وانجبت شهداء اقرّ العدو نفسه ببطولتهم .

وذكر المؤرخون ايضا ان سكان فلسطين ذاقوا دائما ويلات الحروب ، فقد حطم الصليبيون مساجد المسلمين (١٣) في القدس ، ثم أجروا السيف فيها فسالت الطرقات بانهار الدماء ، كما حدث في القدس ويافا وغيرهما من البلدان .

ولكن هذه الدماء والضحايا التي بذلها العرب طوال تاريخهم منذ عام ٢٥٠٠ ق . م وخلال اكثر من اربعة آلاف سنة ، لم تكن كافية لدى المخطط البريطاني الذي استهدف خداع الامة العربية ثم تجزئة وطنها ، فأعطى من العهود للشريف حسين بن علي ما يعد بتكوين دولة عربية مستقلة موحدة كبرى لقاء ان يحارب العرب الأتراك المسلمين ، لاجلائهم عن كل ارض عربية، وسالت من جديد دماء العرب في معاركهم الشهيرة ، تلك المعارك التي وقعت بتأثير من خداع الانجليز وحيلهم ، في الوقت الذي كان الانجليز فيه يقتسمون سرا البلاد العربية مع فرنسا ، ويعدون اليهود بفلسطين .

أقوال للتاريخ

« ان فلسطين ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي ، الذي رواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وان عمل المبضع في بدني لاهون علي من ان ارى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون » .

السلطان عبد الحميد يرد على زعيم الصهيونية هرتسل عام ١٩٠١

« ان الخطر الذي يهدد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط الذي يقيم على شواطئه شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، ويجب ان تعمل الدول الاستعمارية على تجزئته وتفككه ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة في تحقيق اغراضه » .

لجنة كامبل باترمان ١٩٠٧

« انا نصرح مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة » .

من ماکماهون نائب ملك بريطانيا الى الشريف حسين ١٩١٥

« طالعت كتابكم بكل احترام رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطةنا الاساسية اعني نقطة الحدود (ان تعترف انجلتورا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، ومن البحر الاحمر والمتوسط حتى مرسين غربا)» من الشريف حسين الى سير ماکماهون ١٩١٥

« من المتفق عليه ان تنظر الحكومتان بريطانيا وفرنسا في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية» . اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية » . بالفور وزير خارجية بريطانيا ١٩١٧

(١٣) اقرا ضحايا الفلسطينيين عبر التاريخ في الفصول القادمة من هذا الكتاب .

« ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الاترياب والشك بين الحلفاء والعرب ، وهي توسوس للعرب ان الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية ، ان بريطانيا وحلفاءها ستقف بجانب الامم العربية لتبني عالما عربيا ، وهي تكرر وعددها السابق بتحرير الشعوب العربية، وستساعد العرب لينالوا حريتهم » .

بالفور الى الشريف حسين ١٩١٨

« الانجليز وما ارا ك بامرهم غير العليم

قد يستنيم اذاهم حينا وليس بمستقيم

كالنار تذكيا السريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

خير الدين الزركلي عن الانجليز مع الحسين

لفصل الأول

خديعة بريطانيا للعرب

١ - هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟

ان اللجنة العلنية الاولى التي وضعها الانجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بالفور ، ذلك الوعد الذي بدأ الانجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام ١٩١٧ ، حيث تبذلت على الارض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضع في وجهها السدود ، الى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك باهلها وانزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الانجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الانجليز في حرب الاتراك والاضرار بهم ، مشاركة ارغمت تركيا على ان تحارب في ميدان كانت آمنة فيه معتزة به ، ومكنت الانجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنودهم لميادين اخرى ، واطمانوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية الى اقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية .

وليس معنى هذا اننا نستطيع ان ندين قوما العرب في هذا الكتاب ، بانهم اسباب النكبة وعواملها الاوائل ، فان هذا يقتضي بحثا اشمل ، ومقارنة دقيقة ، وتعمقا في دراسة مؤيدة بالاسانيد عن العلاقات التركية العربية آنذاك .

ولكن الذي نريد ان نصل اليه هو اعطاء صورة سهلة عن الوضع الظاهري لتلك العلائق التي ادت الى الثورة ، والتي غداها الانجليز ، ووعدوا في سبيل قيامها وعودا مهمة ، كانوا ينوون خلفها قبل ان يسطروا نصوصها .

فلقد كانت الامبراطورية العثمانية تعيش تحت حكم السلطنة المباشر ، وكانت تتألف من اجناس متعددة ، تضم الى جانب الاتراك انفسهم البلغار

« ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الاترياب والشك بين الحلفاء والعرب ، وهي توسوس للعرب ان الحلفاء يرغبون في الأراضي العربية ، ان بريطانيا وحلفاءها ستقف بجانب الامم العربية لتبني عالما عربيا ، وهي تكرر وعددها السابق بتحرير الشعوب العربية، وستساعد العرب لينالوا حريتهم » .

بالفور الى الشريف حسين ١٩١٨

« الانجليز وما ارا ك بأمرهم غير العليم

قد يستنيم اذاهم حينا وليس بمستقيم

كالنار تذكيا السريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

خير الدين الزركلي عن الانجليز مع الحسين

لفصل الأول

خديعة بريطانيا للعرب

١ - هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟

ان اللجنة العلنية الاولى التي وضعها الانجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بالفور ، ذلك الوعد الذي بدأ الانجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام ١٩١٧ ، حيث تبذلت على الأرض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضع في وجهها السدود ، الى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك بأهلها وانزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الانجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الانجليز في حرب الاتراك والاضرار بهم ، مشاركة أرغمت تركيا على أن تحارب في ميدان كانت آمنة فيه معتزة به ، ومكنت الانجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنودهم لميادين أخرى ، واطمانوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية الى اقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية .

وليس معنى هذا اننا نستطيع ان ندين قوما العرب في هذا الكتاب ، بانهم اسباب النكبة وعواملها الاوائل ، فان هذا يقتضي بحثا اشمل ، ومقارنة دقيقة ، وتعمقا في دراسة مؤيدة بالاسانيد عن العلاقات التركية العربية آنذاك .

ولكن الذي نريد ان نصل اليه هو اعطاء صورة سهلة عن الوضع الظاهري لتلك العلائق التي ادت الى الثورة ، والتي غداها الانجليز ، ووعدوا في سبيل قيامها وعودا مهمة ، كانوا ينوون خلفها قبل ان يسطروا نصوصها .

فلقد كانت الامبراطورية العثمانية تعيش تحت حكم السلطنة المباشر ، وكانت تتألف من اجناس متعددة ، تضم الى جانب الاتراك انفسهم البلغار

واليونان والصرب واليوغسلاف ، كما تضم البلاد العربية ، ولا ريب أن العرب اسهموا زمنا طويلا مع الأتراك في انتصارهم وثبات دولتهم ، فقد كان الدين الاسلامي الوشيجة الاولى التي ربطت بين جنسين اخلصا لهذا الدين زمنا طويلا ، والركيزة الأساسية التي قام عليها الود والألفة ، فعاشا في دولة واحدة تستمد منهما القوة والثبات .

لقد كانت هناك شكاوى من تسلط الحكام وانعدام الحياة البرلمانية ، وكانت انظار العرب تتجه دائما الى الأساليب الحديثة في الحكم ، وهم يشعرون أن الحياة بلا دستور يضمن حق الكلمة والتعبير والمساواة ، واتاحة الفرص هي حياة بعيدة عن معناها العميق ، وحين أعلن « المشروطية » (١٤) الدستور العثماني عام ١٩٠٨ اتبحت الفرص لهم أن يسهموا في الحياة النيابية بعاصمة الخلافة ، إذ دخل كثير من العرب مجلس « المبعوثان » وهو المجلس النيابي التركي ، ومارسوا الحياة البرلمانية داخله ، وكونوا جبهة عربية فيه كان لها مواقف مشهودة في المناقشات البرلمانية (١٥) .

ولكن تلك الفرصة التي اتبحت للعرب لم تكن هي التي حمت فلسطين من تغفل اليهود وتسلطهم في فلسطين ، فان التاريخ يثبت قبل ذلك أن السلطان عبد الحميد أشهر سلاطين آل عثمان قوة وانفرادا بالحكم ، لم ينصع لاغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة ، فقد كانوا يعرضون المساعدة على انشاء اسطول عثماني بحري ، ومساعدة السلطان في سياسته الأوروبية ، وانشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس تغني عن الذهاب لأوربا ، والمساعدة في المشروعات العمرانية ، وأن يعقدوا له قرضا ماليا يكفي لتنفيذ المشروعات المقررة (١٦) ، وأن يسددوا ديون الدولة العثمانية وكانت كبيرة ثقيلة ، وأن يدفعوا اتاوة سنوية تساعد الدولة على اصلاح اقتصادها المنهار ، وأن يكونوا لها عوناً لدى الدول الغربية ، وكانت هذه الدول تعد العدة للقضاء على تركيا .

ومع هذه العروض التي كانت مهمة جدا بالنسبة للوضع العام في دولة الخلافة ، كان اليهود يصوغون طلباتهم صياغة بعيدة عن فكرة الغزو

(١٤) هذا هو التعبير الذي اطلق في حينه على معنى الدستور باعتباره وثيقة ذات شروط للحكم بين الخليفة والشعب .

(١٥) دكتور محمد أنيس وليف من زملائه أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة القاهرة : المجتمع العربي . القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٠٦

(١٦) عجاج نوبهض مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٢٧ من ابريل (نيسان) ١٩٦٥

والاحتلال ، مظهرين أن قصدهم ينحصر في أن يجدوا ارضا يسكنونها ، ويتجمعون فيها ، تحت رعاية الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من هذه الحيل كان رد عبد الحميد عام ١٩٠١ م وقيل صدور الدستور بسبع سنوات ، وقبل أن يسهم العرب في الحياة البرلمانية العثمانية ، كان من القوة والصد بحيث سجله زعيم الصهيونية الكبير دكتور هرتسل في مذكراته (١٧) :

« انصحوا الدكتور هرتسل بالألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، اني لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهي ليست ملك يعني ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم واذا مزقت امبراطوريتي يوما فانهم يستطيعون أنذاك ان يأخذوا فلسطين بلائمن ، اما وانا حي فان عمل المضع في بدني لاهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون . اني لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة(١٨) » .

ويحدثنا التاريخ أن هذا الرفض القوي من دار الخلافة في تركيا لم يكن الاوول للوقوف ضد مطامع اليهود في فلسطين ، بل لقد حدث أن حددت الولايات المتحدة هجرة اليهود اليها عام ١٨٨٢ م ، وبدا السفير الامريكي في الاستانة يراجع وزير خارجية تركيا ويبدل لديه الجهود بشأن اسكان اليهود في فلسطين وسوريا ولكن الباب العالي الذي قبل اسكانهم في بعض المناطق رفض السماح لهم بسكنى فلسطين ، ولم يسفر تدخل بريطانيا في الامر عام ١٨٨٧ م عن نتيجة ايجابية (١٩) .

وهناك حادث سياسي آخر له دلالة العميقة ، إذ انتهز السلطان عبد الحميد الثاني فرصة وفاة الخديوي توفيق في ٧ من يناير (كانون ثاني) ١٨٩٢ وتولية ابنه عباس حلمي فأراد اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري وكانت التقاليد تقضي عند تولي وال جديد حكم مصر ان يصدر « فرمان » من سلطان تركيا بتعيينه في هذا المنصب ، وأن ينص في فرمان التعيين على حدود الولاية التي يناط به حكمها ، وصدر فرمان السلطاني

(١٧) احمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين : معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٤ .

(١٨) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١١ .

دون ذكر لشبه جزيرة سيناء ، وحضر المشير أحمد أيوب باشا الى مصر لتلاوته في الحفل التقليدي الذي يقام في هذه المناسبة .

ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بأمر هذا الفرمان ، ثارت ثائرتها ، ووقعت أزمة عنيفة حتى قررت تركيا في ٨ من ابريل (نيسان) ١٨٩٢ ترك شبه جزيرة سيناء جزءا من الاراضي المصرية (٢٠) .

وقد اختلفت آراء الباحثين في تفسير الباعث الذي حمل السلطان عبد الحميد على اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري ، ونرى انه كان هدفا لضغط صهيوني شديد وأن الصهيونية كحركة سياسية هادفة قد اشتد ساعدها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وأن الصهيونية قد استعانت في ضغطها على السلطان ببريطانيا وفرنسا والمانيا على السواء ، وكان يشعر بثقل هذا الضغط ، اذ كان قد مضى على توليه العرش قرابة ستة عشر عاما ، خبر فيها التيارات السياسية التي كانت تعمل سرا وجهرا لتأييد الصهيونية ، وأن الصهيونية ترنو بأبصارها نحو شبه جزيرة سيناء ، وهو يعرف عطف بريطانيا على الصهيونية واهدافها . وخشي أن تستغل بريطانيا نفوذها وسيطرتها على الحكومة المصرية الواقعة تحت نير الاحتلال البريطاني ، فتقدم بريطانيا تسهيلات توطيد اليهود في هذه المنطقة فأراد أن يقضي على مثل هذا الاحتمال بإبعاد شبه جزيرة سيناء من نفوذ الانجليز .

وإذا كان قد أقر أخيرا حدود مصر الطبيعية بسيناء فان حركة الفصل المذكورة كانت اعلانا وتحذيرا لحكومة مصر وللشعب المصري مما يخشاه على سيناء ولعل ذلك امر فعلا .

على أن اليهود وهم اصحاب المكر والحيل كانوا قد تسربوا في تركيا عن طريق طائفة الدونمة التي تظاهر افرادها بالاسلام وحملوا الأسماء التركية ، وانضموا تحت لواء « جمعية الاتحاد والترقي » . ويوم انتصر الاتحاديون على السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٠٩ ، وأوفد مجلس النواب ثلاثة من أعضائه لخلعه عن العرش ، كان أحد هؤلاء الثلاثة يهوديا يدعى « قره

(٢٠) عبد الرحمن الرفاعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠ ص ٢١٥ - ٢١٧ .
دكتور حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم يتاير (كانون ثاني) ١٩٦٢ ص ٦٢٤ - ٦٢٥ .

صو افندي « (٢١) سبق ان طرده السلطان من مجلسه في قصر « يلدز » حين حاول التأثير عليه لاسكان اليهود بفلسطين . وانه لمنظر مليء بالشماتة والحق ، أن يخلع سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وأن يحمل له بلاغ الطرد احد ابناء اليهود الذين حرم عليهم فلسطين ، وفرض عليهم الجواز الأحمر الذي لا يبيح لهم الإقامة اكثر من ثلاثة شهور .

ولكن الصهيوني هرتسل كان قد وجه انذارا قبل ذلك الى السلطان عبد الحميد ، ضمن خطابه الموجه الى يوسف الخالدي كبير النواب العرب في مجلس « المبعوثان » العثماني يقول فيه :

« قدمت الى عظمة السلطان عروضنا العامة ، واني واثق انه بفضل ذكائه الفائق سوف يوافق مبدئيا على الفكرة على أن يبحث مستقبلا تفاصيل اخراجها الى حيز التنفيذ ، اما اذا رفض فسنواصل البحث ، وصدقني سوف نهتدي الى مكان آخر وفقا لما نريده ، وفي هذه الحالة سيضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها ان من يصارحكم بهذا القول هو صديق مخلص للاتراك ، فاذكروا ذلك دوما » (٢٢) .

٢ - الجمعيات العربية :

وكانت الجمعيات العربية قد بدأت تعمل سرا ، يدعو اكثرها الى اثبات حق العرب لحكم انفسهم في نظام لا مركزى ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتتابع تأسيس هذه الجمعيات لا سيما بعد أن استولت جماعة الاتحاد والترقي على حكم الامبراطورية العثمانية ، واتضح بسرعة اتجاهها القومي الطوراني الذي كان يتمثل في احياء أمجاد الأتراك الأوائل وربط الأتراك المعاصرين بتراثهم الحضاري التركي الأصيل ، وتخليص الفكر التركي من المؤثرات الخارجية العربية والفارسية التي دخلت عليه .

وكان هذا الاتجاه الطوراني في لحمته وسداه دعوة سافرة لسيادة الجنس التركي في الامبراطورية العثمانية ، وانعكس هذا الاتجاه الطوراني بشكل عنيف على الولايات العربية فيما يعرف بحركة التتريك ، أي تترك الولايات العربية ، فجعلت اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم

(٢١) أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٧ ص ١٢٠ .
(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨ .

وغيرها (٢٣) .

ولا شك ان سياسة حزب الاتحاد والترقي الذي تسرب اليه اليهود « الدونمة » كما اسلفنا والذي سيطر على الحكم في الدولة من سنة ١٩٠٩ حتى قيام الحرب العالمية الاولى قد استنفرت العرب، فالفوا الجمعيات السرية والاحزاب الوطنية العلنية . فكانت الجمعيات العربية على التوالي :

جمعية الاخاء العربي المؤسسة بالاستانة سنة ١٩٠٨ ، وجمعية المنتدى العربي سنة ١٩٠٩ ، والجمعية القحطانية سنة ١٩٠٩ ، وجمعية العربية الفتاة المؤسسة في باريس ثم في سوريا سنة ١٩١٢ ، وجمعية العلم الأخضر المكونة في الاستانة سنة ١٩١٢ ، وجمعية بيروت الاصلاحية سنة ١٩١٢ ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، وجمعية العهد المؤسسة بالاستانة سنة ١٩١٣ وجمعية الجامعة العربية المؤسسة بالقاهرة سنة ١٩١٠ ، ثم حزب اللامركزية المكون في مصر والذي ضم نخبة من رجالات الشام كان من اشهرهم رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي شميل وسامي الجريتلي وغيرهم ، ويتبع ذلك انعقاد مؤتمر الشبان العرب في باريس سنة ١٩١٣ وقرارهم الارتباط مع حزب اللامركزية في مصر (٢٤) .

وعلى الرغم من تعدد هذه الجمعيات العربية ، لم تخرج واحدة منها عن صداقة الاتراك ، والعمل على النهوض بالعرب والدفاع عنهم في الدولة ، وتمكينهم من حكم انفسهم في نظام لا مركزي ، وضمن اطار الدولة .

ولا يستثنى من هذه المبادئ الا الجمعية القحطانية المؤسسة في مصر (٢٥) ، فقد اختلفت حولها آراء الباحثين ، يرى بعضهم انها تنادي بمقاومة الترك وتحريض العرب على الثورة والانتفاض (٢٦) ، ويرى البعض الآخر ان هدفها كان تحقيق مشروع جديد جريء ، وهو تحويل الامبراطورية

(٢٣) المجتمع العربي ، ص ٢٠٧ .

(٢٤) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن .

لثلاثة اجزاء . مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ، د . ت ا ج ا ص ٢٥ .

(٢٥) عرف من اعضائها حقي العظم ، فؤاد الخطيب ، عزت الجندي ، عزيز المصري .

(٢٦) جورج انطونيوس : يقظة العرب . تاريخ حركة العرب القومية . تعريب الدكتورين

ناصر الدين الاسد واحسان عباس . بيروت ١٩٦٢ ص ١٨٦ .

وانظر ايضا جلال يحيى : المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث دار المعارف

القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

وانظر كذلك المجتمع العربي ، ص ٢١٣ .

العثمانية بجناحيها التركي والعربي الى امبراطورية ثنائية تشبه الامبراطورية النمساوية المجرية التي كانت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . فتؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولغتها الرسمية عربية، على ان تكون هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركيا، وبهذه الطريقة يصبح مصير العرب والاتراك اوثق التحاما على اسس ثابتة ، لانها اسس اقرب الى تمثيل الواقع .

٣ - الشريف حسين بن علي :

وكان الشريف الحسين بن علي يمثل في ذلك الوقت اكبر الاسر العربية مكانة ، فهو امير مكة والمهيم على الحرمين الشريفين ، وكان يمثل جانبا محترما لدى الدولة العثمانية ، واليه تنو انظار العرب في اقطارهم المجاورة في نظرة مليئة بالاكبار والاحترام .



الشريف حسين بن علي

وكان الشريف الحسين ابا لاربعة من الأبناء هم علي ، وعبدالله ، وفيصل ، وزيد ، وكان فيصل ذا صلة بدولة الخلافة ، يتردد على الاستانة ويزورها ، ويمر في طريقه اليها بديار الشام لحاجة في نفسه هي ان يكون على اتصال وثيق مستمر بالزعماء فيها ، فكان يجتمع في دمشق وغيرها بالعديد من شباب العرب المثوب والمليء حماسة على حقوق العرب ، والدافق غيرة على بعض ما يديه الأتراك من اهانة للعرب أو اضهاد أو اهمال .

٤ - الانجليز يبدؤون التفرير بالعرب :

لم يكن الانجليز بعيدين عن أحداث العرب وعلاقتهم بالترك واستغلال اي خلاف يبدو بينهم .

وكان الامير عبدالله يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية في روحاته العديدة بين مكة والاسانة ، وتقابل مرارا مع بعض موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة الذين زاروه حين نزل ضيفا على الخديوي ، فأحجم عن مبادلتهم الود وأخبر الممثل العثماني بذلك ثم تطور هذا الاحجام الى لقاء اكثر تجاوبا ، وحدث في اثناء مقابلة تمت بالقاهرة في ٥ من فبراير (شباط) ١٩١٤ مع لورد كتنشر المعتمد البريطاني في مصر ان افاض الامير عبدالله في شرح اسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك وسخط العرب عامة عليهم ، بسبب الاتجاهات الطورانية التي طبعت تصرفات رجال الاتحاد والترقي ، وأشار عبدالله انه من المحتمل اذا عزل الأتراك والده من امارة مكة ان تندلع الثورة قوية رهيبية في اقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين ، وقرر ان والده قد بدا في الاستعداد لمواجهة مثل هذا الموقف ، وان زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد (٢٧) وأنهم يسوا تماما من اقتناع الأتراك بأحقية العرب في مطالبهم المتواضعة وبحق العمل معهم في اطار الوحدة العثمانية ، وقد شهد هذه المقابلة رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني ، وقد لقي هذا التلميح العربي استجابة لدى الانجليز ومن ثم بدأت بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والأتراك على السواء ، والوصول الى خلق أسفين صهيوني في قلب العالم العربي ، فسلم رونالد ستورز بالسفارة البريطانية بالقاهرة كتابا من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين في مكة كان ملخصه:

(٢٧) المجتمع العربي ، ص ٢١٩ .

ان بريطانيا تشكر الشريف على خدمته للاماكن المقدسة وسهره على راحة الحجاج ثم دست عبارة مثيرة هامة أنهت بها رسالتها :

« انها لا تعارض في ارجاع الخلافة الى العرب (٢٨) »

ولا ريب ان هذه الكلمة التي اطلقتها بريطانيا في رسالتها الى الشريف حسين ، بقيت تختمر عنده وتعظم ، وتزيدها الأحداث أهمية منذ تاريخ ارسالها في الشهر الثامن من عام ١٩١٤ ، الى اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، حيث بدأت ثورة مسلحة وقوية، يحطم بها العرب المسلمون مراكز الأتراك المسلمين وحصونهم .

ولكن بين هذين التاريخين ، وخلال الاثني والعشرين شهرا ، وقعت أحداث هامة لا يمكن اغفالها في الحديث عن الباب الذي دخل منه الانجليز الى جزء مهم من القضية العربية الكبرى ، والى فلسطين بنوع خاص .

فقد دخلت تركيا الحرب الى جانب دولتي الوسط في ٣١ من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤ في اثناء الاتصالات التي قامت بين الانجليز وبين الشريف حسين ، وبدأت تعد كل امكانات الامبراطورية العثمانية لمواجهة القتال والاشتراك فيه .

٥ - العلاقات العربية التركية :

وبينما كان الامير علي بن الحسين يرافق وهيب باشا قائد الحجاز وواليه في يناير (كانون ثاني) ١٩١٥ للاشتراك في حملة عسكرية على قناة السويس ، اذ سقطت احدى الحقايب من بين امتعته الشخصية ، وتدل ملابس الحادث على ان فقد الحقيبة كان مدبرا فقد لاحظ الشريف حسين تغيرا ملموسا في موقف الوالي وهيب باشا ، ومما يدل على ان الأمر كان مبيتا أن الحقيبة لم تسلم لصاحبها بل حملت الى الحسين وفحصت وعثر فيها على وثائق تتضمن الدليل على مؤامرة تدبرها الجهات الرسمية على حياته هو واولاده ، واتخذ الحسين من هذا الحادث ذريعة لكي يرسل ابنه الأمير فيصل الى الاستانة ، ليعرض على دوائرها العليا قصة الوثائق ، وييدي استياء والده العميق من هذا التآمر على حياته وحياة اولاده ، وفي الواقع كان الدافع لسفر الأمير فيصل هو المرور بدمشق ، والاتصال بالزعماء العرب في عاصمة الشام ، ومعرفة موقفهم من عروض انجلترا .

(٢٨) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٢٧ .

دورها الكبير لدى مجامع العرب ، حتى ارسل الحسين الى انور باشا وزير الحربية البرقية التالية :

« ان خروج الدولة العلية منصوره من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ، والجانب الاهم من ميادين القتال في بلادهم وتأييدهم لها قلبا وقالباً في نضالها .

ويلوح لي ان ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم امام المحاكم العسكرية بالدواء التالي :

١ - اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢ - ازالة سوريا ما تطلبه من استقلال مركزي .

٣ - جعل وراثة مكة وراثية في اولادي وبقائها على حالتها الحاضرة .
فاذا قبلت هذه المطالب فاتهمد بحشد القبائل العربية بقيادة ابنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ، واذا لم تقبل فارجوكم الا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتهاج للحق جل وعلا بان يهب للدولة النصر والتوفيق (٣٠) .

والحق ان هذه البرقية كانت مفتاحاً صالحاً لفتح مغلقات التفاهم بين الجانبين ، فكان من الممكن جداً ان ترد السلطات التركية بقبول بعض بنودها ، ورفض بعضها الآخر ، وكان من الممكن ايضا تأجيل النظر في استقلال سوريا الداخلي (وكانت سوريا تمثل كل الشام من حدود مصر الى حدود تركيا) وتأجيل وعد الشريف بوراثة ابنائه ولكن الجميع كان يهتم ويشغل بأمر الشبان العرب المعتقلين في عاليه ، ولهذا كان يجب على انور باشا ان يستجيب لهذا الطلب حتى يساعد في اقامة حجة تاريخية هامة سيما وان موضوع المعتقلين كان قد بحث ايضا بين جمال باشا نفسه والأمير فيصل في مقابلات عديدة كان واضحاً فيها اصرار جمال على سياسته الارهابية .

بل ان الشريف حسين نفسه ابرق الى الدولة يشترط لالتزامه الهدوء والسكينة ، الاعتراف باستقلال الحجاز ، والعدول عن محاكمة احرار العرب ، واطلاق عفو عام عن المعتقلين ، وعاد الحسين فأبرق من جديد الى جمال باشا مختصراً طلباته وحاصراً لها في اطلاق سراح المعتقلين واطلاق عفو عام .

(٣٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١١٠ - ١١١ .

ومدى تحمسهم لها واستعدادهم لتنفيذها (٢٩) .

لم يكن فيصل مكتفياً آنذاك بنقل الوالي المذكور ، ولكنه أبدى استعداداً لقيادة قوة عربية جديدة ، والاشتراك جدياً في حملة القنطرة الثانية ، بعد ان فشلت الحملة الاولى ، ولكنه طالب رجال الحكومة الاتحادية باطلاق سراح شباب العرب المعتقلين في عاليه بجبل لبنان ، واصفا سياسة جمال باشا حاكم الشام بأنها سياسة عداء للعرب ، وطالب باللامركزية للحجاز ، وبامارة وراثية لوالده .

ولا ريب ان تولي احمد جمال باشا حكم الشام كان نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والترك ، لا سيما في ذلك التاريخ الذي شحنت فيه النفوس بالاستعداد للحرب ، والدفاع عن ارض الدولة العثمانية ، ذلك ان جمالا هذا صور حزب الاتحاد والترقي اشنع صورة يمكن ان تظهر لشعب محكوم ، فقد كون مجلساً عسكرياً في عاليه ، واعتقل عدداً من شباب العرب ورجالهم ، واحاط تحقيقه بسرية رهبة مخيفة ، وانتشرت الاشاعات والافوايل بان تركيا تستهدف قهر العرب وتتركهم واذابتهم . ولهذا حين ناقش فيصل سلطات العاصمة التركية في امر ورائق وهيب باشا المشار اليها ، اضاف الى نقاشه ايضا ، ضرورة اطلاق سراح المعتقلين ، واشعار الشعب العربي بأنه جزء مهم من الدولة ، يمثل الثقة والتعاون لا الخيانة والمروق .

وعلى الرغم من الامل الذي خامر فيصل فان شيئاً من تبدل سياسة جمال في الشام لم يطرا .

وحين كان الانجليز يفرغون الحسين بملك عربي كبير واعادة الخلافة الى العرب ، كان الحسين يحاول ان يصل مع الأتراك الى تفاهم جذري ، يصلح الامر ، ويضمن للعرب حكماً مركزياً داخل نظام الدولة العثمانية ، ومع طول الانتظار بدأ يرسل الأتراك جهرة بأرائه ويحدد مطالبه .

والآن ونحن نتجه الى الحديث عن فلسطين ومقدمات نكبتها والدور البطولي الذي قام به شعبها ، لا بد لنا من ان نرجع قليلاً الى الثغرات التي تسرب منها الانجليز ، حتى نفذوا مخططهم في قلب الأمة العربية ، وزرعوا شجرة السوء الاسرائيلية في فلسطين .

فما كادت قضية المعتقلين السياسيين الذين كبلهم جمال باشا تأخذ

(٢٩) بقظة العرب ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

مبيتا ، ودون النظر الى ما يوجهه او يدفع اليه (٣٣) .

على أنه من انصاف التاريخ أن نذكر أنه بينما كان المجموع الأكبر من هؤلاء الشهداء أرباء أحرارا ، فإن قلة صغيرة أهدمت في تواريخ متتابعة يقول جمال باشا أن أسماءهم وجدت في مستندات القنصلية الفرنسية حين طوح بالعرف الدبلوماسي بعيدا ، وهاجم القنصلية مفتشا عن المستندات وباحثا عنها ، وكانت تقارير القناصل الفرنسيين تشير الى اتصالات مشبوهة ، يتضح منها محاولة الاستعانة بفرنسا وانجلترا على حرب الأتراك ، ومخاطبة فرنسا باعتبارها الحامية للوطنية في لبنان وسوريا .

بل بلغ من بعضهم أن لام القنصل الفرنسي لأن زعماء فرنسا الذين يسيطون في بياناتهم حنوهم على المسيحية في لبنان يتناسون المسلمين على الرغم من ودهم لفرنسا وثقتهم بها ، وحين يثبت (٣٤) هذا قضائيا لا ينتظر من جمال باشا ولا من غيره أن يفعل غير ما حدث .

على أن حكام تركيا من الاتحاديين كانوا قد عرفوا أحرار العرب منذ أن أباح الدستور العثماني حرية الصحافة وحق الكلمة الحرة ، والظاهر أنهم صمموا أن يزولوا من طريقهم أولئك الذين أسهموا في تكوين الرأي العام العربي ، والذين حملوا في مقالاتهم على سياسة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة في تركيا ، ولهذا نجد أن كثيرا من أولئك الشهداء كانوا من الصحفيين أو رجال القلم الى جانب بعض من رجال الأحزاب والهيئات العربية (٣٥) .

ولاحقت أحكام الاعدام الغيابية جمعا آخر من رجال الصحافة العرب من أبناء الشام المقيمين في مصر (٣٦) ، وغيرهم ممن يتولون الكتابة

(٣٣) القضية الفلسطينية ، ص ٢٨ .

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٢ . وهم عبد الحميد الزهراوي صاحب جريدة الحضارة الاستوائية ، عبد الفنى العريسي والأمير عارف الشهابي من جريدة المفيد البيروتية ، وعمر حمد المحرر بالمفيد ، والشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاصلاح البيروتية ، وسعيد عقل المحرر بها ، جرجس حداد محرر جريدة الراوي الدمشقية ، وعلى ارضازي صاحب نهر العاصي الحموية ، وشكري المسلي صاحب القيس الدمشقية ، ويندوباولي صاحب الوطن البيروتية .

(٣٦) هم الدكتور بشر فارس صاحب المقطم ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وداود بركات محرر الاهرام ، ومحب الدين الخطيب المحرر في المؤيد ، وابراهيم سليم النجا ، قسطنطين بني محرر جريدة دليل حمص ، وخليل زينة محرر جريدة الثبات في بيروت .

ولكن السياسة التي كانت تسير عليها الدولة في ظل حزب الاتحاد والترقي لعبت بها الصهيونية ، وتسربت فيها سياسة الارهاب التي بداها وغداها جمال باشا ، وكانت واضحة في الرد الذي تلقاه الشريف من انور باشا ، كان ردا بعيدا عن اللين وسياسة الايلاف والتفاهم ، وتحديا صريحا للشريف الذي كان يتلقى العروض والخطابات من الانجليز وهو متردد في اجابتهم والسير معهم ، ولعله كان في حاجة الى اقل تقارب واکرام من دولته الاسلامية لتقوي روحه في مدافعة الانجليز ورفض عروضهم ، والوقوف الى جانب دولة الخلافة ، ولكن رد انور باشا جاء يقول :

وصلت برقيتكم الهاشمية الفائلة ان احراز النصر يكون باشتراك ابناء الأمة قلبا وقالبا ، ولما كان طلب اعلان عفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء اماره مكة في شخصكم السامي وفي اولادكم خارجا عن اختصاصكم ، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء ، واني ابلغكم انه لا بد من أن ينال الموقوفون عقابهم . الى آخر البرقية الشديدة اللهجة العنيفة التعبير (٣١) .

وفي العشرين من اغسطس (آب) ١٩١٥ بدأ الارهاب يأخذ صورة خطيرة ، يراد بها تحطيم اعصاب الشعب العربي واذلاله ، ويرتسم في معاملة لم تعرف الا من حكومات الاستعمار والظقيان ، فقد دفع جمال باشا بنخبة من احرار العرب الى المشانق في بيروت ودمشق (٣٢) ، وقد بلغ عددهم اثنين وثلاثين من رجالات العرب ، وهم الأحرار الذين طالما جادل الحسين في سبيل العفو عنهم واطلاق سراحهم ، وعلى الرغم من محاولة التشنيع لبعض هؤلاء الأحرار ووصفهم بالخيانة للدولة في وثائق يدعى الحصول عليها من قنصلية فرنسا في بيروت ، فإن البيانات الرسمية وكذلك مذكرات جمال نفسه لم تستطع أن تلتصق بهم الا الانتماء الى الجمعيات العربية وحزب اللامركزية ، وهي هيئات لا تدعو الى ما يعاقب عليه بالاعدام ، ولكنها هادفة الى اصلاح حال العرب والنهوض بهم ، وتمكينهم من حكم مناطقهم حكما يتلاءم مع الدولة العثمانية ، ويتفق مع المصالح المشتركة بين العرب والترک ، والواضح ان تلك المشانق التي نصبت في بيروت ودمشق عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ كانت معدة قبل المحاكمة السرية السورية التي تمت في عاليه بلبنان والتي ثبت أن الاعدام كان امرا

(٣١) المرجع السابق .

(٣٢) ٦ من مايو (ايار) ١٩١٦ .

والمطالبة بالحقوق للعرب ، وصدرت احكام بالابعاد على عدد آخر من رجال القلم العرب(٣٧) .

ويأتي دور رجال السياسة والجمعيات فأعدم جمال باشا صديقه المقرب عبد الكريم الخليل احد مؤسسي المنتدى الادبي في الاستانة ، وأعدم ايضا سيف الدين الخطيب وتوفيق رزق سلوم ، كما اعدم كل من امكن اعتقاله من رجال حزب(٣٨) اللامركزية او الداعين اليها .

ويلحق بهؤلاء السياسيين بعض الضباط العرب الذين اراد بهم جمال باشا ارهاق العنصر العربي في الجيش العثماني ، فأعدم منهم الأمير سليم الجزائري ، وامين لطفي الحافظ وعلي النشاشيبي(٣٩) ، كما اعتقل من اعتقل من الضباط العرب في عاليه ومنهم علي رضا البيلاني ، وجميل الالشي ، ورضا الخطيب ، وسالم مظلوم ، وأرسل عددا من الضباط العرب الى خطوط النار في ميادين القتال ، وقد استشهد كثيرون منهم .

(٣٧) منهم يوسف العيسى ، وعيسى العيني صاحب جريدة فلسطين اليافوية ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل الحيفاوية ، محمد صبحي عقدة صاحب جريدة الجانوس اللاذقية ، وعلي الفرا صاحب جريدة التمدد الدمشقية ، وامين القريب صاحب جريدة الحارس البيروتية . واعتقل ايضا الصحفي العراقي حلمي العمر ، ونجيب شقير صاحب جريدة بياض ، واحمد عزت الاعظمي صاحب مجلة المنتدى الادبي وتوفيق اليازجي محرر جريدة الاصلاح البيروتية .

(٣٨) منهم صالح حيدر وسليم الاحمد عبد الهادي - ذكر الاستاذ اكرم زعيتير بمجلة العربي مارس (ايار) ١٩٦٤ انه يحتفظ بوصية الشهيد المكتوبة بخط يده وهذا نصها :

« اكتب هذه الوصية في الساعة الثانية والنصف من ليلة السبت الموافقة ١١ شوال ١٣٣٠ عربية حيث حكم علي بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة اعني اني اكتب هذه قبل موتي بنصف ساعة واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » .

ويؤكد الاستاذ زعيتير انها مكتوبة بخط جميل ، يدل على استجماع مبقري للذهن في ساعة الموت الرهيبة ، ومسلم عابدين ومحمود الحمصاني ومحمد الحمصاني ونور الدين القاضي وعبد القادر الخرسا ، ومحمود العجم ، اما الشيخ سعيد الكرمني وحافظ السعيد فقد حكم عليهما بالسجن المؤبد .

(٣٩) هذا الفقيه العربي ذكر في المجلد الاول من كتاب الثورة العربية الكبرى للاستاذ امين سعيد باعتباره احد ضباط الجيش التركي على حين ذكره الاستاذ اكرم زعيتير في عدد مارس (اذار) ١٩٦٤ من مجلة العربي باعتباره احد رواد القضية العربية الاولى الذين تفخر فلسطين بانجابهم وكان طبيبا بيطريا ، وهو احد اقطاب الجمعية التحطانية ، وموقد جدور الوطنية في ناشئة القدس ، وقد اتهم بأنه يسوق الى استقلال العرب على حد تعبير الحكمة العرفية .

ثم عمد جمال باشا حاكم الشام التركي الى اجلاء عدد كبير من الاسر العربية عن ديارها ، والاستيلاء على اراضيها ، وأرسلها الى جبال الاناضول وانحاء متفرقة من تركيا ، بعيدين عن ديارهم ومواقع صباهم ، وموزعين بين مجموعات جديدة لم تألفهم من قبل ، ولم يسبق لهم معها عهد ، لا سيما وقد سبقهم ما انتشر من انباء من أنهم عرب ابعدوا ضمنا لمصلحة الامن ، وحفاظا على الدولة ، ولا بد أن هذا خلف نظرة ساخطة لدى الاهالي والأتراك بالنسبة لهم ، فكانوا يلقون كثيرا من المتاعب والهوان ، لا يخفها ابدا ما اقطعوه من اراضي ، بدلا من اراضيهم المصادرة في بلادهم ، فكان هذا عملا تعسفيا جديدا اضيف الى قوافل الشهداء الذين اعدموا ، والى العدد الكبير الذي امتلأت به السجون والمعتقلات .

ولقد كان العرب يتوون مساعدة الدولة على الرغم من الخلاف السياسي ، ويحفظ لنا التاريخ ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل شكري باشا الأيوبي في ١٥ مارس (اذار) سنة ١٩١٥ وحضره الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسيني وعبد الكريم الخليل وغيرهم ، وقرروا مساعدة الدولة والمخاربة الى جانبها ضد الأعداء ، وتآليف عصابات عربية لتواصل الحرب اذا اضطر الترك الى الانسحاب(٤٠) .

بل وصل الأمر لاكثر من هذا ، فبينما كان دعاة الاصلاح يطالبون باللامركزية وبمطالبتهم المعروفة لصالح العرب ، تألف في دمشق حزب الاصلاح الحقيقي ، وكان يضم عددا مهما جدا من كرام العرب ورجالهم(٤١) ، وأصدر بيانا أنحى فيه باللائمة على مؤتمر الاصلاح المنعقد في باريس ، واتهمه بأنه يعمل ضد الدولة بمعاونة الأجانب ، وأن الدولة في محتنتها بحرب البلقان تحتاج الى المساعدة ، وأن الجميع يطلب اصلاحا ، ولكنهم لا يكيدون للدولة ، بل هم يطلبونه مباشرة وبلا واسطة ، ودعوا الى عقد مؤتمر في الاستانة (عاصمة بلادنا المحبوبة) (٤٢) . ونادوا بتأييد

(٤٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤٢) كان من أشهر رجال هذا الحزب رئيسه محمد فوزي باشا العظم ، وعبد الرحمن اليوسف ، والامير شكيب ارسلان ، والشيخ احمد الشقيري ، والدكتور حسن الامير ، وطه المدور والشريف علي حيدر باشا والشريف جعفر باشا ، والزعيم الليبي سليمان الباروني والنائب الليبي يوسف شتوان ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ صالح التونسي ، والشيخ اسماعيل أنصف وغيرهم .

الدولة في كفاها الخارجي وعدم ازعاجها بمطالب داخلية .

٦ - تلهف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين :

وإذا راجعنا التاريخ الذي حاول فيه الحسين صرف الدولة العثمانية عن اعدام الاحرار العرب الذين اعدوا بعد ذلك بين ٢٢ من أغسطس (آب) ١٩١٥ و ٦ من مايو (ايار) ١٩١٦ ، نجد أن هذه الفترة استغلتها بريطانيا لاغراء الشريف واعداه نفسيا للثورة ، وهي تمنيه بمجد باذخ وملك شامخ ، وهي تدرك تماما أنه اهتم بمراجعة الأتراك لاصدار عفو شامل واطلاق سراح المعتقلين، وأن الأتراك رفضوا هذه الوساطة بصلف وكبرياء.

وكانت بريطانيا قد اوفدت قبل ذلك مندوبا لا شبهة عليه (علي افندي اصفر) من حي الجمالية بالقاهرة ، فحمل رسالة الى الأمير عبدالله من مستر رونالد ستورز السكرتير الشرقي لدار الحماية البريطانية ، وكانت الرسالة الأولى التي يتساءل فيها رونالد ستورز هذا باسم لورد كتنشر وزير الحربية البريطانية عما اذا كان عبد الله والدة لا يزالان على رأبهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب وبعد بأن الحكومة البريطانية عازمة على تقديم كل مساعدة للعرب ضد الأتراك الذين سوف يدخلون الحرب في زمرة الأعداء .

وعاد المندوب دون جواب ، فلم تطق بريطانيا صبرا وهي المتحرقة على فتح جبهة جديدة هامة ضد الأتراك ، عندما يحاربون ، ومن مكان كانوا يأمنونه ويركنون فيه الى الهدوء والاطمئنان ، فلم يمض أسبوعان حتى عاد المندوب من جديد ومعه رسالة موجزة ملحة تصور مبلغ القلق البريطاني والتلهف على رد الشريف حسين وكان نصها :

« ان الفرصة سانحة لكم لتحقيق مطالب العرب ، فأنا آسف لترككم كتابي بلا جواب ، وآمل الاسراع في ارسال الرد على سؤالي » .

ولكن المندوب الذي لم ينل جوابا ولثاني(٤٦) مرة عاد من جديد برسالة ثالثة ، وكان ذلك في نوفمبر (تشرين ثاني) من عام ١٩١٤ ومعه رسالة تكرر :

« اننا على استعداد لمساعدة شريف مكة في قضيته ، وتقديم كل ما يريده من مساعدة » .

(٤٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

على ان اولئك الذين اجتمعوا في منزل الأيوبي ، صدموا باحكام الاعداء وتنفيذها ، فكانوا بعد ذلك من اكثر المشجعين على الثورة والمهتمين بها ، ولقد حدث بعضهم فيصل فاكدوا له استعدادهم ، وأنهم لا يطلبون الا قيادة والده الشريف حسين ، وأعطاه الشيخ بدر الدين الحسيني أكبر علماء دمشق خاتمه لتسليمه الى والده في مكة دليل الاستعداد والموافقة ، فأخذه الى والده في مكة(٤٣) .

هذه صورة بيانية عن الحالة بين العرب والأتراك ، وهي صورة مليئة بالخطوط المتعارضة وبالظلال الكثيفة السوداء ، التي لا ريب أن جمالا حاكم الشام التركي والذي لقبه العرب بجمال السفاح ، يتحمل فيها الوزر الأكبر والأثم التاريخي الكبير ، فهو راسمها وطابعها ، « وهو الذي جعل أسباب الثورة العربية أكثر دفعا للعرب واشد تحمسا »(٤٤) ، وهو الذي عبد بذلك الطريق الذي سلكه الانجليز في التفرير بالشريف حسين وقومه العرب .

على ان الوثائق التي تكشف خلال الحرب العامة ، وأثناء الثورة الشيوعية اثبتت ان جمالا هذا كان يبدي عناية كبيرة بالأرمن المبعدين من تركيا ، وكان هؤلاء يفاوضونه باسم المخابرات البريطانية والفرنسية عملا على مساعدته ثائرا ضد الخلافة وحكام الاستانة(٤٥) . والرجل الذي يفاوض الأعداء ضد دولته في أثناء الحرب لا يستغرب منه أن يسير مساعدا لمخطط يعمل لهدم روح التعاون بين العرب والأتراك تجاه الأعداء .

(٤٣) بقظة العرب ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٤٤) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ ص ٧١

(٤٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

الاحيرة ان يعيشوا ، وان يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا انه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى ان تساعدهم وتعاونهم للوصول الى امانهم المشروعة ، وهي الاماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ...

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن اية حكومة اخرى نظرا لمركزهم الجغرافي ، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا ...

انه بالنظر لهذه الاسباب كلها يرى الشعب العربي ان من المناسب ان يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب ان تصادق بواسطة مندوبها او ممثلها على الاقتراحات الاساسية التالية :

اولا : ان تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - ادنه - حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين (٤٨) غربا ، على ان توافق انجلترا ايضا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية انجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

(٤٨) جرت اغلب المؤلفات العربية على نشر الحدود المطلوبة من الشريف في مكاباته بصيغة تحتاج الى امان ، والنص الوحيد الذي بدأ لنا سليما جدا هو التعبير الانجليزي المنشور في مجلد الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين الذي نشرته الامانة العامة للجامعة العربية ونصه كما يلي :

Great Britain recognises the independence of the Arab countries which are bounded : on the north by the line Mersin-Adana to parallel 37 on and thense along, the line Birejik-Urfe-madait-Jajirat (ibn Umer) Amadia to the Persian frontier, on the east by the Persian frontier down to the Persion Gulf; on the south, by the Indian Ocean (with the exclusion of Aden whose status will remain as at present); on the west by the Red Sea and the Mediterranean Sea back to Mersin.

وهنا جاء الرد الاول من الشريف حسين :

« ليس في استطاعتي ان اعمل شيئا قبل ان استشير العرب ، واسألهم رأيهم » .

كان الشريف حسين يمر ساعتئذ بأزمة نفسية حادة ، فقد كان في صراع بين الغريزة والروح ، انها ازمة الاقدام على قرار خطير ، يحارب به الدولة التي ارتبط بها العرب اربعة قرون ، واختلط اثناءها الدم العربي بالدم التركي ، وسالا في معارك طويلة ضد البلغار والروس واليونان ، وفي مختلف بقاع الامبراطورية الكبيرة .

ومضت فترة طويلة لم يحفظ فيها التاريخ مراسلات جديدة ، ولا ريب انها الفترة التي حاول فيها الحسين ان يتفاهم مع جمال باشا ، ومع الاتحاديين بالعاصمة الكبيرة ، وهي الفترة التي قام فيها باتصالاته وبإيفاد ابنه فيصل طالبا اعلان العفو عن المعتقلين ، والوصول الى تفاهم حول آمال العرب الكبرى ، والظاهر انه تأكدت لديه نية جمال باشا المتجه الى القمع والاعدام ، ورمى الحسين حينئذ آخر سهم لديه كان يشده الى الأمل .

٧ - مراسلات حسين - ماکماهون :

في شهر يوليو (تموز) سنة ١٩١٥ كان الشريف حسين يبعث بمذكرته التاريخية الى سير ماکماهون نائب ملك بريطانيا في مصر .

وتقتضينا امانة البحث العلمي ان ننشر هنا النص الحرفي لأولى رسائل الشريف حسين الى ماکماهون ، وهي مؤرخة في ١٤ من يوليو (تموز) ١٩١٥ :

المذكرة الأولى من الشريف الحسين الى ماکماهون(٤٧) :

تبدأ المذكرة بعد عبارات من المجاملة والنصح بالتوقف عن ارسال المناشير بالطائرات وتقول :

« لما كان العرب بأجمعهم - دون استثناء - قد قرروا في الأعوام

(٤٧) الامانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ القاهرة ١٩٥٧ وثيقة رقم ١ ص ٦ - ٨ .

من ماكماهون الى الشريف حسين (٤٩) :

« الى السيد الحسيب النسيب ، سلاله الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الأحمديّة ، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية ، السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ، دولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة ، قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لآظهاركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك ان نعلم ان سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز والعكس بالعكس ، ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم اقوال فخامة اللورد كنشور التي وصلت الى سيادتكم على يد علي أفندي ، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

واما بخصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها تظهر انها سابقة لاوانها وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة راحها ، ولان الأتراك ايضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الأخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن ان فريقا من العرب القاطنين بين تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها ، وبدل اقدم ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الألمان والظالمين القدماء وهم الأتراك.

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته الينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالباً ، مستنشقين رائحة

(٤٩) المصدر السابق ، وثيقة رقم ٢ ص ٩ - ١٠ .

ثالثا : تتعاون الحكومتان الانجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم احد الفريقين ، ذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتأمينا لأفضلية انجلترا الاقتصادية فيها ... على ان يكون هذا التعاون في كل شيء في القوة العسكرية والبحرية والجوية ...

رابعا : اذا تعدى احد الفريقين على بلاد ما ونشب بينه وبينها قتال وعراك فعلى الفريق الآخر ان يلزم الحياض ، على ان هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين ان يجتمعا معا وان يتفقا على الشروط .

خامسا : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة ، واذا شاء احد الفريقين تجديدها عليه ان يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق (والحمد لله) على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الامر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية ان تجيبه سلبا او ايجابا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح ، واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر انفسنا - اذا ام يصل الجواب - احرارا في القول والعمل من كل التصريحات والوعود التي قدمناها بواسطة علي أفندي .

وكانت مذكرة واضحة تحدد مطالب العرب في خلق دولة كبرى مستقلة وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، وتحدد وقتا للاستجابة لا يزيد عن ثلاثين يوما ، انها مذكرة من يشعر بأهمية حركته وقيمتها الكبرى ، ويتحدث في اعتزاز طالبا عهدا لم يخالجه الشك في صدق اعطائها وتنفيذها .

وجاء رد ماكماهون ردا انجليزيا واهنا مفعما بالاسراف في اضاء القاب التمجيد والتفخيم والتزلف ، وسنرى ان الحسين استاء من هذا الهراء ، وأعرب عن استيائه في رده ، وما دامت الأحداث اللاحقة قد اوضحت لنا مقدار تعمد الانجليز للخيانة والتفجير ، وما دما قد تعلمنا ان الكلمة تعطى مدلول لفظها الا عند الانجليز ، فلا بد من ايراد تلك العبارات الواردة في رد ماكماهون ، لنذكر في خاتمة المأساة عمق استهانة الانجليز بالالفاظ والقاب التجلة والاحترام :

مودتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه
وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام ارفع الى السدة العلية كامل تحياتي وسلامي وفائق
احترامي .

المخلص

تحريرا في ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ . (السير آرثر ماكماهون)
الموافق ٣٠ اغسطس ١٩١٥ م .
نائب جلالة الملك

ال الشريف يُؤنب ماكماهون :

وفي رد الشريف على هذه الرسالة ، يزداد وضوحه في مطالبه ،
وتقوى عباراته وتمسكه بالحدود المهمة للدولة العربية ، بل انه يسجل
ان وجود فرنسا في شواطئ بيروت لا بد ان يبحث بعد الحرب ، وان البلاد
كلها عربية ، واصفا كتاب ماكماهون بالبرود والتردد والغموض ، فيقول
في رسالته المؤرخة في ٢٩ من شوال سنة ١٣٣٣ هـ . الموافق ٩ من سبتمبر
(ايلول) ١٩١٥ :

« طالعت كتابكم بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته
وتردده فيما يتعلق بنقطننا الأساسية ، اعني نقطة الحدود » .

وبعد بعض عبارات المجاملة يضيف :

« يجب ان اؤكد لكم ايضا ان مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب
الحدود التي ذكرتها لكم ، وان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد
لنتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد
ان حياته في هذه الحدود ، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد ، وهذا
ما جعل الشعب يعتقد ان من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل
شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ، ويعلقون عليها الامال وهي
بريطانيا العظمى » .

ويضيف في قضية الحدود قوله :

« وانا على ثقة يا صاحب الفخامة انكم لا تشكون قط بانني لست انا
شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات
شعب بأسره يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية » .

الحسين لم يفرط ابدا في الحدود :

ثم يسير في نقاش مهم ردا على رسالة ماكماهون ، ويعود الى
موضوع الحدود قائلا :

« واود هنا يا صاحب الفخامة ان اؤكد لكم بصراحة ، ان كل الشعب
ومن جملته هؤلاء الذين تقولون انهم يعملون لصالح تركيا والمانيا ، ينتظرون
بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات ، المتوقفة على موافقتكم ، او رفضكم ،
قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمائتهم من كل اذى او
خطر » .

ثم ينتقل بعد قليل الى اشعار حليفته الجديدة ان دولته العربية
المرتبقة لا توافق حتى على مجاورة فرنسا في بقعة صغيرة من الوطن العربي
فيقول :

« ولذلك نرى من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في اول
فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست ارى حاجة لان الفت نظركم من الآن الى ان خطتنا هي آمن
على مصالح انجلترا من خطة انجلترا على مصالحنا ، ونعتقد ان وجود
هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق افكارنا كما يقلق افكارها . وفوق هذا
فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطروننا
لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة تفوق في
صعوبتها المتاعب الحاضرة ، وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء
على قطعة صغيرة من تلك المنطقة (٥٠) .

وبسرعة وصل الرد من ماكماهون وفيه الاعتذار عما فهم الشريف من
برود الرد السابق .

وانه لايضاح اساليب التفرير الانجليزية واثباتها امام التاريخ الذي
سجل نتائج تلك المراسلات ، ينبغي ان نثبت رد ماكماهون نائب ملك
بريطانيا كما سجلته الوثائق الرسمية :

(٥٠) ان هذا الجزء الذي اثبتناه هنا من رسالة الشريف حسين القوية الى ماكماهون
نشر تحت رقم ٣ ص ١١ في مجلد الجامعة العربية عن الوثائق الرئيسية لقضية
فلسطين مأخوذا عن النص الرسمي الذي وزعته بريطانيا في لندن اثناء مؤتمر
فلسطين عام ١٩٣٩ وقد اثبتنا هنا اهم ما في الخطاب متعلقا بالحدود التي
يطلب بها الحسين لدولته كشرط للثورة وهي حدود تشمل فلسطين دون شك .

« الى فرع الدوحة الحمديّة ، وسلالة النسل النبوي الحسيني
النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع الامير المعظم السيد الشريف بن
الشريف امير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء ، جعله الله حرزا منيعا
للاسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين ، وهو دولة الامير الجليل الشريف
حسين بن علي ، اعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩
شوال ١٣٣٢ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما اورثني رضاء
وسرورا .

انه ليوسفني انكم لاحظتم في كتابي الاخير وحديثي عن قضية الحدود
شيئا من البرود والتردد ، مع اني لم اكن اقصد ذلك بل كنت اود ان
اقول بان الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا منتجا ، وقد ادركت انكم
تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود ، وانكم تعتبرونها من المسائل
الحיוية ، فارسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية ، وانه ليسرني
ان ارسل اليكم البيانات التالية ، والتي اتق كل الثقة بانها ستفوز
برضاكم :

ان مرسين واسكندرونة ، وبعض الاقسام السورية الواقعة غربي
دمشق وحمص وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة ، فيجب
ان تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على
تلك الحدود . اما الاراضي التي تستطيع انجلترا فيها العمل بالحرية ،
ودون ان توقع ضررا بحليفتها فرنسا ، فان لي السلطة التامة باسم حكومة
صاحب الجلالة ان اعطيكم التامينات التالية جوابا على كتابكم :

١ - ان انجلترا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف
باستقلال العرب ، وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها الشريف
مكة .

٢ - تحمي بريطانيا الاراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف
بوحدها .

٣ - تقدم بريطانيا للعرب عند الحاجة كل مساعدة ، او نصيحة
تلزم ، وتعاونهم في تشكيل افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف
البلاد العربية .

اما ما يتعلق بولايي البصرة وبغداد ، فان العرب يعرفون ان مركز
انجلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا اداريا خاصا ومراقبة خاصة للمحافظة

على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية ، وتأمين راحة واطمئنان السكان
وتوحيد مصالحنا المشتركة فيها » .

ورفض الشريف حسين في رده على ماكماهون ان يوافق مطامع
بريطانيا في العراق ، ووافق لها مؤقتا ببقاء جزئي نظير اجر تستعين به
الدولة العربية في فترة نموها ، وتتنازل فقط عن مرسين وادنه باعتبارهما
ليستا عربيتين ، ويقول عن ملاحظات ماكماهون بالنسبة لاستثناء مناطق
غربي دمشق وحلب وحمص وحماه :

« اما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفة ، وليس
هناك فرق بين المسلم العربي ، والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسل
واحد ، وسوف يتمتع المسيحيون بما تتمتع به من حقوق بما يتفق
ومصلحة الشعب اجمع .

وتوالت مكاتبات الحسين وماكماهون في هذا الاطار ، ولم يخطر مطلقا
ببال الاول ان هناك نية مبيتة لتقسيم بلاد العرب بين فرنسا وبريطانيا ،
وان هناك تخطيطا يمكن لليهود في فلسطين ، لا سيما بعد ان اثبت
ماكماهون في رسالته المؤرخة ١٤ من ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٥ ان
بريطانيا دونت طلبات الشريف حول الحدود لتراجعه مع فرنسا ، فرد
الشريف انه لا يمكن ان يوافق على غير ذلك (٥١) .

٩ - بدء الثورة العربية :

انتهت هذه المكاتبات والحسين يحلم بملك عريض وامبراطورية
عربية ، وخلافة اسلامية ، وفي صباح اليوم الثاني من يونيو (حزيران)
١٩١٦ ، اطلق الرصاص على القلعة التركية في مكة ، وكان ايدانا بيد
صراع مرير لم تنته آثاره حتى الان .

لقد استطاعت الحيلة البريطانية التي فاوضت الشريف الحسين ان
تجعله محاربا في صفها ، وصف حلفائها الفرنسيين والروس ، وان تدفعه
ليقاتل هو وابناؤه جنود الدولة الكبرى التي كان العرب يسعون للاصلاح
فيها ، ولا يهدفون الى تحطيمها .

وهكذا هاجم الامير علي مع ستة آلاف مقاتل « محطة المحيط » ، ثم

(٥١) المصدر السابق ، وثيقتان رقم ٦ ، ٧ ص ١٩ - ٢٢ .

وانظر ايضا محمد عزة دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٢٨ .

الحسا واشتبك مع فخري باشا في صراع دموي ، واختص فيصل بطريق المدينة فتولاه بجيشه العربي .

اما عبد الله فقد كان يقيم قرب الطائف التي يوجد بها الوالي التركي غالب باشا ، وكان الجدل عنيفا بين هذا الوالي وحاشيته التي تصر على اعتقال عبد الله ، وفي يوم الجمعة ٩ من يونيو (حزيران) ١٩١٦ أعلن عبد الله انه ذاهب بعد صلاة الجمعة لتأديب قبيلة التعموم وكانت قبيلة عاصية ، وطبقا للتقاليد ذهب للقاء الوالي ووداعه ، واخترق المعسكر التركي ، فاصطف الجنود والضباط الأتراك لتحية الأمير الهاشمي ، ثم خرج الوالي لوداعه امام ضباطه وجنوده ، وتذكر الوالي ما كان يسمع من ان عبد الله ينوي مهاجمة الجيش التركي ، وظن ان من ينوي المهاجمة لا يمكن ان يأتي للوداع وبروح كلها ود واستئذان وتلطف عميق ، تذكر الوالي كل هذا فعانق الأمير عبد الله امام الجند والضباط وتفاعلت في احساسه روح الأخوة الاسلامية فبكى بكاء مرا وهو ما زال يعانق الأمير العربي وكان مشهدا مؤثرا(٥٢) .

وحين وصل الأمير خارج الطائف بادر مسرعا بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية ثم هاجم الأتراك مساء في نفس « القشلاق » الذي ودع فيه الوالي ، وتبادل معه التحية والعناق .

١٠ - اتفاقية سايكس - بيكو :

عندما أعلن الحسين ثورته ضد الدولة العثمانية ، وسارت جيوشه تحاصر المدن والمواني ، وتحطم في طريقها كل ما يمكن ان تستفيد منه دولة الخلافة في حربها الضروس البعيدة المدى ، كان مخدوعا بتلك الوعود وآمنا للعظمة البريطانية ، وواقفا من انه يجب ان يسهم في نصر الانجليز ، وكان الشريف حسين يحلم ان اسهامه في هذا النصر سوف يقيم له دولة كبرى تخفق عليها الراية العربية من حدود تركيا الى سيناء ، ومن البحر الى ايران .

واستمرت ثورة الحسين تعطي كل يوم لهذا الحلف نصرا جديدا ،

(٥٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

وعلى حين فجأة احتل الشيوعيون موسكو في ثورتهم الدامية ، وأعلنوا تلك الاتفاقيات السرية التي عقدت ابان الحرب بين الحلفاء الثلاثة والتي وجدوها ضمن خزائن خارجية القصر الذبيح ، ويا لهول ما اوضحت تلك الاتفاقات .

بينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف وتغريه وتعهده وتمنيه طوال عام ١٩١٥ م . ، وتصدر له الرسائل من القاهرة حيث دار العتمد البريطاني ، وبعد ان اطمانت الى ان ثورة العرب أصبحت حتمية ، وأن سهمها التفريزي قد نفذ واصاب ، وبعد آخر خطاب(٥٣) أرسله ماكماهون الى الشريف حسين في ١٠ من مارس (آذار) ١٩١٦ وهو الخطاب الذي يستجيب فيه لطلباته ويعلمه معتزا بما يلي :

« يسرني ان ابلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي(٥٤) ، وهم الذين اصبحوا ضحية دسائس الأتراك والامان ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وقد هزمت هذه القوات التي جمعها الدساسون ضدنا . »

وعلى التحديد في مايو (ايار) ١٩١٦ كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية ، واشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا لتطبيق المبادئ المقررة بموجب المعاهدة الثلاثية بينهم ، ووزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية على الخرائط ، ووقع عليها كل من « مارك سايكس » عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشئون الشرق الأدنى ، « والمسيو جورج بيكو » قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي

ووزعت البلاد العربية بين هاتين الدولتين ، والعرب سادرون في ثقتهم ببريطانيا ، وماضون في شحذ أسنة حراهم لمحاربة الأتراك ، والشريف آمن مطمئن لما في الحافظة من رسائل ، ولما في الرسائل من عهود ومواثيق . . ولهذا من غير الطبيعي ان يتحدث منصف عن وعود الانجليز للعرب دون ان يسجل ان النية كانت مبيتة لخلفها قبل ان تسطر نصوصها .

(٥٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ١٠ ص ٢٧ - ٢٨

(٥٤) هاجم الامام أحمد الشريف السنوسي بالتعاون مع الأتراك حدود مصر الغربية من ليبيا قاصدا تخفيف الضغط البريطاني على قناة السويس ، وقد احتل السلم وسيدي براني وأنزل بالانجليز خسائر كبيرة في ممرته المشهورة ، وقد فشلت هذه الحملة السنوية لعوامل اقتصادية وعسكرية ليس هنا موضع شرحها . وسوف نفضلها في بحث عن ليبيا .

وفي يوم ٩ من مايو (ايار) ١٩١٦ تلقى وزير الخارجية البريطانية من
سفير فرنسا في لندن خطابا يقول فيه :

« امرت ان ابلفكم ان الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت
على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جوزج بيكو »
ورضيت بالمبادئ التي دارت عليها المفاوضات بينهما « (٥٥) .

ثم ارفق بالخطاب المعاهدة المشار اليها ، او التوزيع المسطر على
الخريطة والمثبت في مواد تعطي لكل دولة منطقة نفوذ ، وتحصر الاستقلال
العربي الخاضع لاشراف احدى الدول في مناطق داخلية ضيقة ، وتمزق
بلاد العرب تمزيقا كان اشنع ما عرف منذ ان انتشر العرب في منطقتهم
الكبرى خلال قرون طويلة .

وانه من المهم لمن يطلع على مراسلات الشريف حسين مع ماكماهون
ان يطلع ايضا على النصوص الرسمية لاتفاقية سايكس - بيكو :

معاهدة سايكس - بيكو

في يوم ٩ من نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩١٥ عينت الحكومة
الفرنسية جورج بيكو قنصلها العام في بيروت سابقا ، مندوبا ساميا لمنابعة
شؤون الشرق الأدنى ، ولمفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد
العربية ، فلم يلبث ان شد زحاله الى القاهرة ، فاجتمع الى السير مارك
سايكس النائب في مجلس العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون
الشرق الأدنى ، وكانت المواد التي اسفر عنها الاجتماع هي :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا
وتحميا دولة عربية مستقلة او حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في
المنطقتين (ا) داخلية سورية ، (ب) داخلية العراق ، البينتين في الخريطة
الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا في منطقة (ا) ولانكلترا في منطقة (ب) حق
الاولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في منطقة (ا)
وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب بناء على طلب
الحكومة العربية ، او حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية)
ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد الى خليج

(٥٥) النودة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٨٨ .

فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة او بالوساطة او من
المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين
شكلها بعد استشارة روسيا والاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي الشريف مكة :
المادة الرابعة : تنال انجلترا ما يأتي :

(١) ميناء حيفا وعكا .

(٢) يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (ا) للمنطقة

(ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بان لا تدخل في مفاوضات ما مع
دولة اخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدبر وتكون

المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا
ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط . ويجب
ان يكون معلوما لدى الحكومتين ان هذا الخط يجب ان يسهل اتصال حيفا
ببغداد ، وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال (ان وجدت) في المنطقة
السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا ، فالحكومة
الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بريرة - ام قيس -
ملقى - ايدار - فسطا مغيار ، قبل ان يصل الى المنطقة (ب) .

المادة التاسعة : من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة

في اي وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة
الزرقاء لدولة اخرى الا للدولة او حلف الدول العربية بدون ان توافق
على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا
فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين

بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة او حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان

في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية (٥٦) .

(٥٦) لقد تمعدنا ان نسجل المواد المهمة في هذه المعاهدة السرية ونستغني عن بعض

المواد التفصيلية غير ذات العلاقة بهذا الموضوع . انظر النصوص الخاصة بالبلاد

العربية التي جاءت بها اتفاقية سايكس - بيكو في الوثائق الرئيسية في قضية

فلسطين ، وثيقة رقم ٢٢ ص ٨٤ - ٨٦ وانظر النصوص الكاملة لهذه الاتفاقية في

Hureuetz Cf. C. ; Diplomacy in the Near and Middle East 2

vols New York 1956 L 2 p.p. 18-22.

١١ - تصريح بالفور لليهود (٢ نوفمبر ١٩١٧) :

هناك عديد من الرسائل والعهدود تبودلت بين الشريف حسين وسير ماكماهون في سبيل استمالة العرب الى جانب بريطانيا ، ومحاربة الأتراك ، والتلويح والتعهد باقامة دولة عربية كبرى وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، ثم تقسيم لهذه البلدان العربية بين بريطانيا وفرنسا ، ورسم خريطة توزع بمقتضاها مناطق النفوذ ، وخلق كيانات عديدة موزعة ضعيفة .



اللورد بالفور صاحب الوعد المشؤوم

كل هذا يحدث وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد ، وتستهدف بتخطيطها سلخ جزء مهم من الوطن العربي ، واقامة « اسفين » وسط البلاد العربية ، وخلق نقطة ارتكاز ينطلق منها الاستعمار وتستنفذ جهود العرب ، تصرفهم عن البناء والانشاء ، وتسعى لتحطيم كياناتهم والتهام اوطانهم .

وبالفور وزير الخارجية الذي ارسل برقية مهمة الى الحسين والتي يتعهد فيها بحرية العرب والحفاظ على اوطانهم (٥٨) كان هو نفسه ذو الوجهين الذي اعطى وعده المشهور لليهود في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، بانشاء وطنهم القومي في فلسطين ، وكان بداية المعركة التاريخية التي خاضها شعب فلسطين وحده .

وقد صاغ وعده في العبارات التالية :
« عزيزي اللورد روتشليد

(٥٨) انظر وعد بالفور للعرب في الصفحات التالية من هذا الكتاب .

ويعلق احد الباحثين العرب على اتفاقية سايكس - بيكو فيقول ، انها وثيقة مروعة فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوأ صوره حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدي الى الحماسة ، بل هي ايضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر (٥٧) .

والحق ان اتفاقية سايكس - بيكو قد وضعت عراقيل امام الوحدة العربية ، وعملت على تفتيت الشرق العربي الآسيوي كما انها تتعارض تعارضا صارخا مع ما كان قد تم الاتفاق عليه بين العرب والانجليز في مراسلات حسين - ماكماهون مما يجعل اتفاقية سايكس - بيكو صورة بشعة لنفاق السياسة الانجليزية تجاه العرب .

والحق ان بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الصليبية الاستعمارية ، حافظتا على روح اتفاقية سايكس - بيكو التي نفذت بكل اهتمام ، واصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ، التي جزئت ليتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا .

كما اصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن ، ومنع السلاح عن العرب بموجب هذه الاتفاقية ، فلم تتمكن هذه الحكومات الهزيلة التي اقيمت شكلا في بعض البلدان من التسلح ، الامر الذي ظهرت آثاره واضحة عام ١٩٤٨ حين استطاع اليهود جلب السلاح من جميع اوربا ومن امريكا . وحرار العرب من اين لهم السلاح ؟ فقد اوصدت بريطانيا ابوابها وتبعتها فرنسا وامريكا ، كما اوصدتها روسيا وتشيكوسلوفاكيا في ذلك الوقت ، وحين باعت بعض المصانع الايطالية كميات من السلاح للعرب ، كانت علة التساهل هو ان السلاح كان فاسدا ومدمرا لمستعمله ، لا لمن يوجه اليه ، بينما اعطي لليهود بسماع وكرم على مختلف انواعه .

وحين وقف الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ واعلن ان احتكار السلاح قد حطم ، وانه قد تمكن من استيراد الأسلحة الى مصر ، هاجت بريطانيا ودول المعسكر الغربي وضجوا في قلق وحيرة فقد ازعجهم ان يتمكن العملاق الذي اوصدوا عليه القمقم بالمادة ١٢ من اتفاقية سايكس - بيكو ، ان يحطم قمقمهم وان يخرج حرا متجاهلا لهم متسلحا وبانيا لنفسه .

(٥٧) بقظة العرب ، ص ٢٥٢ .

ولما تلقى فيصل هذه الرسالة أحالها الى والده في الحجاز فقد كان هو المرجع الأعلى في مثل هذه المسائل المهمة .

ولا ريب أن الشريف تأثر جدا بهذه الاتفاقية التي فوجيء بها ، ولكنه لم يفكر مطلقا في امكان خلع المحالفة المعقودة مع بريطانيا ، ولعله اعتقد أن خطاب الأتراك وما صاحبه ليس الا خدعة يراد بها اضعاف جانب أعدائهم .

ويظهر أن الحركة العربية آنذاك كانت حركة مرتجلة غير مدروسة ، وأن الشريف كان يحتاج الى هيئة عربية مليئة بالعلم وغنية بالثقافة ، يعود اليها وتمده بالرأي والمشورة ، ذلك أنه لو كانت هناك هيئة عربية عليمه او قيادة سياسية مدركة ، لاتخذ الحسين طرقا عديدة للتأكد من صحة تلك الاتفاقية او عدمها ، ولبنى قراره على ما يتضح بعد ذلك ، ولما اقدم على بعث تلك الرسالة التركية التي تعد العرب بالدولة الاتحادية وتكشف لهم نوايا حلفائهم المخادعين الى سير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر وقتذاك ، وطلب منه تفسيرا عن هذه الاتفاقية السرية ، وشعر الأخير بحرج كبير ، ولم يجد مخرجا من هذا المأزق الا أن أحال بدوره الموضوع الى وزارة الخارجية البريطانية التي ما كادت تتسلم رسالة الحسين حتى أدركت أن ذلك الميدان الحربي الكبير الذي ائقل كاهل تركيا والذي خفف عن بريطانيا وحلفائها ونصرهم ، يوشك أن ينقلب فيه ميزان القوى ، وخشيت أن يعقد العرب صلحا منفردا مع الأتراك ويقبلوا ذلك العرض الهام القوي ، فشاء وزير الخارجية ارثر جيمس بالفور صاحب الوعد المشهور أن يوغل ايغالا بعيدا في خديعة العرب ، وأبرق الى الملك حسين ينكر وجود معاهدة معقودة ، بل ان ما وجده البولشفيك في وزارة الخارجية الروسية لم يكن سوى محادثات مؤقتة بين انجلترا وفرنسا وروسيا في اوائل الحرب وقبل قيام الثورة العربية ، واتهم جمال باشا بالخيب والجهل (٦٠) .

على أن بالفور لم يقنع بهذه البرقية ، بل قرنها بمذكرة رسمية حررت باللغة العربية ومؤرخة في ٨ من فبراير (شباط) ١٩١٨ عهد الى الكولونيل باست المقيم البريطاني في جدة برفعها الى الحسين ملك الحجاز ، ويحسن بنا اثبات صورتها الزنكوغرافية هنا :

(٦٠) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٢٦ .

ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوما أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها (٥٩) .

١٢ - تسليح بالفور للعرب :

ان اتفاقية سايكس - بيكو التي أبرمتها بريطانيا في مايو (ايار) ١٩١٦ لم يعلم بها العرب ، ولم تدع نصوصها ، ولا كان من المقدر أن تعرف ، لولا اندلاع الثورة الشيوعية التي ارادت ان تعلن كل أسرار الحرب والاتفاقات السرية بين الدول الثلاث .

وسرعان ما تلقفتها تركيا ، وسارع احمد جمال باشا قائد القوات التركية في الشام الى ايفاد رسول الى العقبة في الأسبوع الأخير من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، وكان يحمل رسالتين مؤرختين في ٢٦ من نوفمبر (تشرين ثاني) احدهما مسهبة الى الأمير فيصل والأخرى موجزة الى جعفر باشا ، وقد ذكر جمال باشا في رسالتيه أن فيصل واباه قد ضللتها الوعود التي اعطتها بريطانيا باستقلال البلاد العربية ، وأكد أن بريطانيا وفرنسا قد وضعتا مخططا استعماريًا خطيرا لاقتسام البلاد العربية وقال ان الواجب الديني يدعو فيصل واباه الى العودة الى حظيرة دولة الخلافة الاسلامية .

ووجه الدعوة الى فيصل كي يحضر الى دمشق آمننا مطمئنا لمقد اتفاق ينص على اعطاء الولايات العربية في الدولة العثمانية استقلالًا ذاتيا تتحقق به جميع الاماني القومية للعرب ، وأن سلطان تركيا وامبراطور المانيا يضمنان الاستقلال ، وأن ينضم العرب الى الأتراك في محاربة القوى الاستعمارية التي تريد التغلغل في البلاد العربية .

وخلص جمال باشا من هذا العرض الى القول بأنه جدير بالزعماء العرب الا يخدعوا انفسهم ، والا يخونوا الامانة ، وعليهم أن يدركوا أن التعاون مع بريطانيا وحليفها سيجر البلاد العربية الى المذلة والمهانة ، والاستعباد ، على يد بريطانيا وفرنسا وروسيا .

(٥٩) دكتور محمد حافظ غانم : المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٥ ص ٥٨ .

كتاب الكولونيل باست الى المرحوم الملك حسين

الشتمل علي نص برقية اللورد بالفور وزير الخارجية البريطانية

مع في روبري ١٩١٧ - ١٩١٧/٤٧

تجدد صاعدا سيادة الظن ملكة الحجاز وبيته ملك وادراكه المظفر
بديناه ما يجب بانه سلاسله والنوفية قد اميرت حيا بتمامه ملكه
انه بلغ جعلتكم الرتبة التي وصلت اليها من ذنابة الخارجه البريطانية
بلنه قد قد عنونتم مكرمه ملكه ملكه بريطانيا العظمى باسم جعلتكم وهذا
بالمنه المرحوم

كلمة تقية والبراهمة التامة التي اتخذتموها جعلتكم في اعوانكم التورات
التي اسرنا القامة الكبرى في سوريا الا سراً الا في جعل وفضلنا ابا الاحياء
فخامة تامة جعلتكم الملكة كما له لها اعظم الشكر الجسم لدى مكرمه جعلتكم
ملكه بريطانيا العظمى وانه الاوصاف التي اتخذتموها جعلتكم في هذا الصدد
لا تكتمه رملا لمبرعه تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائما لها الصداقة
بمنه كونه الحكومة المحاربة ومكرمه جعلتكم بريطانيا العظمى وبالرغم
ان دليل انه السياسة التي تنسب عليها تركيا هي ايجاد الازمنة والملك منه
دول الخلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم اشراف جعلتكم في ذلك
الهمة الشكر لظفروا باعادة هراتهم القديمة انه السياسة التركية لرفعنا
تفريسي ذلك الازمنة به انه تروستوس للعرب انه دول الخلفاء العثمانيين
الاراضى العربية وتلف باذعانه دول الخلفاء انه يمكن ايجاد الوقت من جعلتكم
وكلمة اقواله السياسي ان تفوس على ايجاد الشكاه بينه الالديه الجرحه
عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد

انه مكرمه جعلتكم بريطانيا العظمى وخلصنا ما نزلت واقفة موقف الشاب
كله ليعنه لودس الا محرم الوم المظفره وهو بصحة انه تقف بجانب
الوم العربية في حوزة دها لده تبين عالمنا عربيا الذي لود فيه القانوه
واستخرج دول الظلم العثماني وتحمه التنافس الضاعف الذي احدثته
الصفاة الرسمية التركية وانه مكرمه جعلتكم بريطانيا العظمى
تقدم وعدها السالفه في حرم الوم العربي وانه مكرمه جعلتكم
ملكه بريطانيا العظمى قد ملكت ملكه سياسة التوسير وتصداده
تسمه غلته في كل استقامة وتحمه باه كقط العرب الذين هم محرم وانه
الخطوط في وحدة الدمار وتسامع لهيئة الذميه لوزير الوم تحت ليد الظلم
لينا لخره هريتم (الزهره)
والمخاتم التي فيقول خلاص النجيات وعظيم ارضنا ما والتمنيات

تاريخه ليعنه لودس
الكولونيل باست

حسين ، فسعى ليتحقق من أمر تلك الشكوك بالطريقة الوحيدة التي يسلكها رجل شريف ، ذلك بأن عرضها على حلفائه ، وكان الرد الذي تسلمه منهم يهدف بوضوح الى مخادعته ، لا لأنه رد حاد عن صلب الموضوع فحسب ، تجنب الاجابة على هذا السؤال هل صحيح ان الحلفاء عقدوا اتفاقات سرية ذات اثر في تدبير البلاد العربية في المستقبل ؟ بل لأنه كان ردا مطويا على المخادعة والغش اذ كسا التهرب من الاجابة لغة توحى بأن مثل تلك الاتفاقات لم تعقد ابدا ، وتقبل حسين هذه الرسالة الماكرة على ظاهرها ، وقعد مستريح البال لان ايمانه بالمعاملة النزيهة في مقاييس الخلق الانجليزي لم يكن قد تززع بعد (٦١) .

ويصف احد الباحثين العرب هذه الرسالة بأنها غادرة ويعلق عليها فيقول :
« ان عرض الصلح الذي قدمه الأتراك اثار شكوكا في ذهن الملك

(٦١) بقطة العرب ، ص ٢٦٤ .

الفصل الثاني

بعض النتائج السريعة للثورة العربية

١ - روح صليبية صهيونية عنيفة :

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ١٩١٨ ، وكانت جيوش الانجليز قد دخلت القدس في أواخر ١٩١٧ ، وهناك ترحل اللورد اللنبي القائد البريطاني ماشيا الى قلب المدينة ، كأنه يحاول التشبه بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب منذ أكثر من ألف عام ، وعندما اشرف اللنبي على كنيسة القيامة المسيحية قال :
« اليوم انتهت الحروب الصليبية » .



اللينبي القائد البريطاني يترجل في خطواته الأولى بالقدس ١٩١٧
ويعلن انتهاء الحروب الصليبية .

الوفاء ... في أوروبا

« اليوم انتهت الحروب الصليبية »

اللورد اللنبي قائد الجيش البريطاني يوم
احتلال القدس ١٩١٧

« أصبحت يوم ٢٠ يونيو ١٩١٦ وأنا أمام ثورة الشريف التي كانت
ضربة قاضية على حملة القناة »

مذكرات جمال باشا قائد الجيش التركي

« اشترك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش
السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، واحتل مع الحلفاء دمشق وحلب
في منتهى الجراة والاقدام »

كليمنصو وزير خارجية فرنسا ١٩١٩

« ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين »

الجنرال غورو الفرنسي واضعا رجليه على ضريح
البطل في دمشق ١٩٢٠

« عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها
على استقلال فلسطين وجملت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وإذا لم
تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة »
منشور الحسين لشعب فلسطين ١٩٢١

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ولا يمكنها
أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع » .

من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين
أخذته الى قبرص ١٩٢٢

« من الذي دفع اليهود وشجعهم على احتلال فلسطين وقضى على
الشعب العربي ، انها بريطانيا ، هي الداء وهي البلاء الأول » .

جمال عبد الناصر - ١٩٥٢

قم تحدث ابا علي الينا كيف غامرت في جوار الأرقام
قد رجوت من المغانم حظا ووردنا الوغي فكنا الفنانم
من رثاء شوقي للشريف حسين

الفصل الثاني

بعض النتائج السريعة للثورة العربية

١ - روح صليبية صهيونية عنيفة :

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ١٩١٨ ، وكانت جيوش الانجليز قد دخلت القدس في أواخر ١٩١٧ ، وهناك ترحل اللورد اللنبي القائد البريطاني ماشيا الى قلب المدينة ، كأنه يحاول التشبه بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب منذ أكثر من ألف عام ، وعندما اشرف اللنبي على كنيسة القيامة المسيحية قال :
« اليوم انتهت الحروب الصليبية » .



اللينبي القائد البريطاني يترجل في خطواته الأولى بالقدس ١٩١٧
ويعلن انتهاء الحروب الصليبية .

الوفاء ... في أوروبا

« اليوم انتهت الحروب الصليبية »

اللورد اللنبي قائد الجيش البريطاني يوم
احتلال القدس ١٩١٧

« أصبحت يوم ٢٠ يونيو ١٩١٦ وأنا أمام ثورة الشريف التي كانت
ضربة قاضية على حملة القناة »

مذكرات جمال باشا قائد الجيش التركي

« اشترك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش
السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، واحتل مع الحلفاء دمشق وحلب
في منتهى الجراة والاقدام »

كليمنصو وزير خارجية فرنسا ١٩١٩

« ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين »

الجنرال غورو الفرنسي واضعا رجليه على ضريح
البطل في دمشق ١٩٢٠

« عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها
على استقلال فلسطين وجملت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وإذا لم
تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة »
منشور الحسين لشعب فلسطين ١٩٢١

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ولا يمكنها
أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع » .

من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين
أخذته الى قبرص ١٩٢٢

« من الذي دفع اليهود وشجعهم على احتلال فلسطين وقضى على
الشعب العربي ، انها بريطانيا ، هي الداء وهي البلاء الأول » .

جمال عبد الناصر - ١٩٥٢

قم تحدث ابا علي الينا كيف غامرت في جوار الأرقام
قد رجوت من المغانم حظا ووردنا الوغي فكنا الفنانم
من رثاء شوقي للشريف حسين

ولقد كشفت هذه العبارة التي القاها القائد البريطاني على ما يضمه في نفسه يخالف كثيرا ظواهر الأحوال في اتفاقيات الشريف ومكماهون ، ويخالف أيضا تلك المنشورات (1) التي كانت تلقها بريطانيا على اراضي فلسطين وفوق مدنها ، معلنة انه تم فعلا الاتفاق مع الشريف حسين لتحرير العرب ، وبناء دولتهم الجديدة ، ويخالف أيضا مقتضيات اللياقة والمجاملة للشعب الذي يسكن تلك البقعة ، فقد كان الشعب الفلسطيني يبلغ قرابة سبعمائة وخمسين الف (2) نسمة منهم ٦٠٠ الف عربي مسلم ، ومائة الف عربي مسيحي ، وخمسون الف يهودي .

وكانت واجبات الأدب والعدالة تقتضي ان يشيد النبي بجهود العرب التي خففت نقل الحرب على دولته وان يقوي أمل الشعب في حريته ، ولكن النبي كان يترجم عما في عقله الباطن من ان الحرب التي اشتعلت نارها عام ١٩١٤ والتي زجت دولته بالعرب فيها ليحاربوا دولة ارتبطوا معها طويلا ، وكانوا احد اركانها المهمة القوية ، انما كانت حربا تستهدف تحطيم العرب والأتراك على السواء ، مع توزيع اوطانهم وتمزيق كياناتهم ، هادفة الى احتلال اراضيهم والاستيلاء على خيراتهم ، وابعادهم عن ركب الحضارة عهودا طويلة .

واذا كان وعد بلغور قد جاء اعلانا صريحا عما يبنيه الانجليز متعاونين مع الصهيونية ، من عمل شرير ضد هذه المنطقة العربية ، فانه من صدق القول ان نسجل اعتبار هذا الوعد وتحقيقه غاية ووسيلة في ذات الوقت ، فهو وسيلة ترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعمارية لخلق جسم غريب في قلب ديار العرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحطيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والأتراك في وطن كبير واحد .

« فقد راع اهل الغرب عامة والانجليز خاصة ما بلغته الامبراطورية العثمانية من مكانة وشوكة في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ووجدوا فيها عقبة كاداء تقف في طريق توسعهم واستعمارهم ، وكذلك هال اهل الغرب قيام الخلافة الاسلامية في استانبول ، وبعث نفوذها العظيم في ديار المسلمين التي كانوا يطعمون في الاستيلاء عليها واستعمارها ، فثارت في نفوس الغربيين « العصبية الصليبية » والروح الاستعمارية ، وصار هدفهم تفويض تلك الامبراطورية والقضاء على الخلافة الاسلامية (٣) » .

(١) بحوث مؤتمر فلسطين في لندن ١٩٢٩ .

(٢) يقول السفري ٦٠٠ الف ، منهم ٥٣ الف يهودي .

(٣) اميل النوري : المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحق العرب ، القاهرة

١٩٥٥ ، ص ١٨ .

على ان هذا العدوان المبيت لم يكن مرتجلا ، بل لقد أسهمت كل الدول الصليبية في دراسته والاعداد له منذ تاريخ بعيد . ولعل ذلك المؤتمر الاستعماري الذي عقد عام ١٩٠٧ ونتج عنه تقرير خطير يسمى تقرير « كامبل باترمان » رئيس وزراء بريطانيا آنذ ، لعل ذلك التقرير يوضح لنا صورة المؤامرة وفداحتها ، فقد تنادت الدول الاستعمارية المعروفة في تلك الأيام ، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وهولندا واسبانيا وبلجيكا والبرتغال وايطاليا الى مؤتمر دولي دعت اليه الحكومة البريطانية واقترحت ان يكون على مستوى الحلقات الدراسية ، وان تمثل فيه الدول المختلفة بخبرائها واسانذتها الجامعيين ...

وقد تضمن تقرير ذلك المؤتمر : ان الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط والذي يقيم على سواحله الشرقية الجنوبية شعب واحد يتميز بكل مقومات الوحدة والترابط ، وبما في اراضيه من كنوز وثروات ، تتيح لاهلها مجال التقدم والرقي في طريق الحضارة والثقافة .

واوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر بأن تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة والابقاء على تفككها .. واقترح كوسيلة عاجلة العمل على فصل الجزئين الأفريقي والاسيوي في هذه المنطقة احدهما عن الآخر ، واقامة حاجز بشري قوي وغريب في نقطة التقاء الجزئين ، يمكن للاستعمار ان يستخدمه اداة في تحقيق اغراضه (٤) .

وتقول اللجنة الملكية البريطانية في تقريرها المنشور عام ١٩٣٧ :

« عندما صحت النية على زحف الجيوش البريطانية على فلسطين شهر فبراير (شباط) ١٩١٧ فتح باب المفاوضات الرسمية بين الصهيونية والحكومة البريطانية ، وتلتها مفاوضات أخرى بينهم وبين الحكومة الفرنسية والاطالية ، فتمت الموافقة رسميا على المشروع الصهيوني في باريس وروما كما تمت في لندن ، وارجىء نشر هذه الموافقة حتى اواخر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٧ » .

وكان نص تصريح بلغور قد عرض قبل نشره على الرئيس الأمريكي واقرن بموافقته (٥) .

ولقد بلغ من تجلي معنى الصليبية ان اجراس الكنائس في برلين قد

(٤) خيرى حماد : التطورات الاخيرة في قضية فلسطين ، الدار القومية للطباعة

والنشر ١٩٦٤ ، ص ٢٦ .

(٥) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٧ .

على الأستانة عار على المدنية يجب محوه (١٠) »

وإذا كانت هذه هي صور المؤامرة الصليبية منذ بعيد ، فقد أصبح منطقياً أن يعلن القائد البريطاني انتهاء الحروب الصليبية يوم دخل القدس ، أي أنه أعلن بذلك هزيمة العرب والمسلمين منذ أن انتصروا تحت لواء صلاح الدين وأمثاله من الأبطال .

وهكذا تجاهل النبي أصحاب البلاد الشرعيين الذين عمروها قبل المسيح وبعده ، والذين لازموا تاريخها منذ أن كانت فلسطين أرضاً للكنعانيين العرب ، وقبل أن تطأها أقدام اليهود العابرة في غابر الأزمان .

وهكذا دخل النبي القدس وهو يمتطي وعد بالفور الذي أعطى لليهود بإنشاء وطن قومي في فلسطين ، واليهود يومئذ أقلية ضئيلة فيها ، ذلك الوعد الذي لم يشر إلى السكان الطبيعيين في فلسطين إلا واصفاً لهم بأنهم طوائف أخرى ، على ما في هذا التعبير من التجاهل للحقيقة والمغالطة فيها . فكانما اليهود البالغ عددهم خمسين الفا عام ١٩١٧ هم الأكثرية في نظر بالفور وحكومته ، وكان العرب الذين يقارب عددهم اثني عشر ضعفاً لعدد اليهود هم طائفة فقط لا كيان لها ولا مكان .

ولقد كان النبي صادقاً في تعبيره عن انتهاء الحروب الصليبية يوم دخوله القدس ، فقد كان الوعد الذي دخل القدس ، مؤثراً به يمثل تماماً تحالف الصليبية الاستعمارية مع الصهيونية العالمية ضد المسلمين والعرب في فلسطين ، بل في كل أوطانهم . فلقد ثبت أنه ما كاد يذاع ذلك الوعد الذي وصفه الرئيس جمال عبد الناصر : « وعد من لا يملك لمن لا يستحق (١١) : ما كاد ينشر بجريدة الجيش كرونكل اليهودية في ٦ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ ، وتذيعه رويتر في العالم يوم ٨ نوفمبر (تشرين ثاني) حتى أسرع فرنسا بتأييده .

وفي يوم ١٤ من فبراير (شباط) ١٩١٨ صدر في باريس بلاغ رسمي (١٢) يقول :

« استقبل المسيو ستيفان بيشون وزير الخارجية المسيو سوكولوف ممثل الجمعيات الصهيونية ، فأعرب عن ارتياحه إلى التضامن المشهود بين

دعها حراسها فرحا يوم دخول (٦) النبي القدس ، وبرلين هذه هي عاصمة ألمانيا الحليفة العسكرية لتركيا ، بل يقول محمدر دعلي أن الكنائس جميعها في قلب القدس قد أعلنت ابتهاجها ذلك اليوم ، بما في ذلك كنائس الألمان ، وهكذا ينسى الأعداء خصومتهم السياسية واندحارهم العسكري تحت لواء تمكن الصليبية الاستعمارية من القدس .

وكان البابا في روما قد دعا اتباعه في العالم بأسره وكثيرون منهم الألمان ونمساويون (في الدول المحاربة مع تركيا) أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال القدس ، وينهاهم عن السعي لاعادتها إلى تركيا (٧) .

يقول صاحب كتاب « الصليبية الجديدة في فلسطين » أن الدول الأوروبية اجتمعت كلها على هدف واحد ، برغم ما بينها من تباين آراء وتضارب مصالح وهو القضاء على الامبراطورية العثمانية ، وادعوا أن الأتراك المسلمين يضطهدون المسيحيين ، وأن هذه الدولة تقوم على عنصر ديني ، وتستهدف استئصال المسيحيين من سائر القارة الأوروبية إذا تسنى لها ذلك ، وعلى هذه الصورة امتدت أصابع الاستعمار الغربي إلى صميم الشرق العربي رويدا رويدا ، وقد رأينا جيوش الصليبية الجديدة تغمر سواحل البلاد العربية ، وقد حاولت أن تستغل حركة التحرر العربي ، حتى إذا تم لها الفتح وساعدها سكان البلاد كشرت عن أنيابها ، ووقفت تقول للشعوب العربية : انتم جزء من الفنائم والأسلاب ، لا شركاء في الظفر والفتح (٨) .

ولقد كان تحطيم تركيا وإخراجها من الأستانة وأوروبا هدفاً لم يخفه كثير من رجال الإنجليز ، يقول جيمس بالفور صاحب الوعد الصهيوني المشهور في خطاب له : « لقد زال اليوم من تركيا وهي تحت سلطة الألمان كل مظهر سلمي وظهرت للعيان أنها آلة قتال وخراب ، ونحن نؤمل أن إخراج تركيا من أوروبا لا يكون مفيداً للسلم فقط بل لتنفيذ واسترداد سائر الممتلكات التي فقدتها الحلفاء (٩) .

وذلك سير وليم رمسي البريطاني المعروف يكتب مقالا أثناء الحرب يندد بالأتراك وينادي بإخراجهم من أوروبا ثم يقول : « أن سيادة تركيا

(٦) من بيانات الأمير شكيب أرسلان الذي كان يقيم ببرلين عام ١٩١٧ - ١٩١٨ .

(٧) مجلة الكوكب القاهرة عدد ٧٤ الصادر في ٢٥ من ديسمبر ١٩١٧ .

(٨) وديع تلحوق : الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ ، ص ١٧ - ٢١ .

(٩) مجلة الكوكب عدد ٢١ الصادر في ٢٧ من فبراير ١٩١٧ .

(١٠) المصدر السابق العدد الصادر في ٦ من مارس ١٩١٧ .

(١١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر للرئيس كنيدي ١٧ من أغسطس ١٩٦١ .

(١٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ص ٤٥ .

الحكومتين البريطانية والفرنسية في قضية اسكان اليهود في فلسطين » .

وفي ١٩ من مايو (ايار) ١٩١٨ اتصل الرئيس امبريال سفير ايطاليا في لندن بالمستر سوكولوف ، معربا له بأسم ايطاليا عن استعدادها لتسهيل العمل الخاص باتخاذ فلسطين مقرا لليهود .

وفي ٣١ من اغسطس (آب) ١٩١٨ تقدم الرئيس ولسون صاحب مبادئ حقوق الانسان التي خدعت كثيرا من الشعوب ، فأعرب للحاخام ستيفان وايز الصهيوني الكبير عن ارتياحه الى النجاح الذي ادرسته الصهيونية ، وعد ذلك موافقة ضمنية على وعد بالفور .

وفي ٣٠ من يونيو (حزيران) ١٩٢٢ اصدر الكونجرس الامريكي بالاجماع قراره التالي :

« ان الولايات المتحدة الأمريكية تحبذ انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، على ان يعلم بجلاء أنه سوف لا يعمل شيء من شأنه ان تمس الحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والطوائف غير المسيحية الأخرى في فلسطين » .

وقبل ذلك اعترفت الصرب واليونان وغيرها بوعد بالفور هذا .

٢ - تفتيت الوطن العربي الآسيوي :

وهكذا بدأ الشريف حسين يشهد النتائج العملية لتلك الثورة العارمة التي قاد فيها الشعب العربي الى الحرب في جانب بريطانيا وحلفائها ، وبدأ ايضا يلتمس مقدار الصديق في كلمة الانجليز ووعودهم .

ولم تمض مدة طويلة حتى رأى بعينه وسمع بأذنيه ، ما فعلوا في سوريا التي ضمنوها له ضمن ملكه الموعود .. اذ اطلقوا يد فرنسا فيها ، وشجعوها على قتل الاستقلال الوليد تطبيقا لاتفاقية سايكس - بيكو السرية ، ولقد رضخ فيصل الملك العربي في سوريا لمطالب فرنسا وانذاراتها المرسله له من الجنرال غورو في لبنان ، وكانت كل موافقة منه ومن حكومته السورية على مطلب فرنسي تلاحق بمطلب جديد ، امعانا من حلفاء العرب في اشاعة روح الاذلال والهوان بينهم ، وتصغيرا لاستقلال العرب واحتقارا لهم .

وابت فرنسا الا ان تتخذ الحل المبيت في مخطتها ، فزحفت بجيوشها تقاتل وتدمر ، ويفصل يحاول ان يعيد السلام ، وأن يستنجد برأي الانجليز ويتقوى بهم ، ولكن الانجليز ينصحون بالخضوع لفرنسا والاستسلام لها ، وينصرفون عن معاونته ويسحبون قواتهم لتتمكن فرنسا من الاحتلال .

وما ان قرر الملك وحكومته الحرب حتى تحطم الجيش العربي في « ميسلون » فطارت فرنسا فيصلا ومنعته من البقاء في أي أرض سورية ، وفي آخر معقل له في حوران استلم انذارا موقعا عليه من الحكومة السورية التي اقامتها فرنسا « ان اخرج من سوريا » ، فغادرها مهزوما ، وبريطانيا الحليفة سادرة في برنامجها لانشاء الوطن القومي اليهودي في أرض العرب ، وحمائته بتحطيم كل حكم عربي من حوله .

وبعيد التاريخ نفس الصورة العدائية التي سجلها في القدس ، فيقف القائد الفرنسي المتعجرف جنرال غورو على قبر صلاح الدين الذي حطم الصليبية يوم حطين ، ليعلم بصوته امام قواده واضعا رجله على ضريح البطل : « ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين » .

ومرغت فرنسا متفقة مع الانجليز وجه حلفائهم العرب في التراب ، واصدر قائدها الذي عاد الى قبر صلاح الدين اوامره :

(١) ان ينزع سلاح الجيش السوري ، ويحول الى قوة بوليس ، وتسلم اسلحته كلها الى الجيش الفرنسي غنيمة حربية .

(٢) ان يسلم كبار المدنيين ليحاكموا امام المحاكم العسكرية .

(٣) الغاء حكم الملك فيصل ، ونزع سلاح الاهالي ، وأن يقدموا عشرة آلاف بندقية الى الجيش الفرنسي .

(٤) ان يدفع الشعب السوري عشرة ملايين فرنك غرامة حربية الى فرنسا . ونفذت كل هذه المطالب .

ورأى الحسين ما تم في لبنان الذي سبق ان تمسك به في رسائله مع ماكماهون ، وقرر آنذاك أنه سوف يعيد النظر بعد انتهاء الحرب في بقاء فرنسا هناك ، رأى كيف عملت فرنسا الرصاص في رجاله ، وكيف ملأت السجون بزعمائه ، عاملة على فرنسته والبقاء فيه الى الأبد ، وبريطانيا موافقة راضية ، كأنها لم تخط حرفا ، ولم تعط وعدا .

ورأى الحسين ما تم في العراق الذي سبق ان شملته رسائله مع الانجليز ، والذي رضي ان تبقى بريطانيا في جزء منه مؤقتا ، نظير اجر يساعد الدولة المرتقبة فقد دخلته جيوش الانجليز وأعلن قائدهم « ان امنية مليكة وامنية حلفائه ان يعود العراق كما كان في السابق مخصبا ، وكان

العالم يتغذى من البان آدابه وعلومه وحرفه (١٣) .

ولكن هذا البيان لم يكن الا اضافة جديدة لتلك الوعود المخلوقة ، فما كادت تستقر لهم الامور حتى عسكروا فيه محتلين ، ومتناسين الاستقلال بل لم يكذبوا ذلك المداد الذي سطر به المنشور السابق حتى أعلن الحاكم البريطاني منشورا خطيرا في ١٩ من نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٨ :

« لا يمكن للذين لم يحصلوا على اختبار عملي في الامور احرار كثل ذلك مرة واحدة ، بل يرقون اليه تدريجيا ، وطبقا لهذه (١٤) الخطة تقرر ان ينشأ في بغداد مجلس بلدي يعينون أعضاؤه بمرتبات حكومية ، وتحس رعاية الحاكم البريطاني ، ويختص بالأسعاف والمستشفيات والصحة والنظافة في ميزانية قدرها ٥٠٠ روبية » .

ثم بدأ الانجليز الحلفاء يحاولون اخذ الموافقة من شعب العراق على تعيين السير برسي كوكس معتمد بريطانيا في الخليج رئيسا للدولة العربية العراقية المرتقبة ولقد كاد الانجليز ان يصلوا الى بغيتهم ، فوقع بعض ضعاف النفوس لهم مستندات تنادي بذلك الانجليزي رئيسا للدولة ، ولولا يقظة عراقية كان الدين الاسلامي اهم عوامل نجاحها ، لثم لبريطانيا ما ارادت ، ذلك انه بينما استعمل الانجليز دسائسهم واساليبهم لأخذ التواقيع العديدة ، ووسط حيرة الشعب العراقي لهذه الجراة الخطيرة ، ارتفع صوت الاسلام ينادي به الحجة محمد تقي الدين الشيرازي :

« ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب او يختار للأمانة او السلطنة على المسلم غير المسلم (١٥) »

وعلى الرغم من فشل المخطط البريطاني فقد دفع الشعب العراقي اعدادا هائلة من الشهداء قبل ان يتحقق استقلاله او يجاب الى غايته الحرة .

وهكذا شهد الحسين في العراق خيبة الأمل التي تجسمت من قبل في ديار الشام ، فأوفد المندوبين الى بريطانيا وأرسل الخطابات والبرقيات عسى ان يثير فيها همة ، او يعيد لها منة ، ولكن كل هذا ذهب وراح بلا طائل .

وتم لبريطانيا ما ارادت من تمزيق عهدها للعرب ، وتقسيم الوطن العربي بينها وبين حلفائها ، واصبحت الدولة المرتقبة نهبا مقسما ، ولا بد لهذا الجسم المهدود من اجراء المشروط خلاله ، لا لعلاجه ، ولكن لضعافه وتجزئته وتمكيننا للاستعمار فيه .

فصلت فلسطين عن امها سوريا (١٦) ، وكانت تمثل جزءها الجنوبي، وقسمت سوريا الباقية الى حكومات في حلب وجبل الدروز ودمشق والعاويين ولبنان ، واعطي لكل قسم من هذه الاقسام قدر كاف من المشكلات ليتلهى فيه ويشغل به ، وكان أكثر هذه المشكلات صعوبة وخطرها شرا تلك التي حددت لفلسطين ، من فتح ابوابها لهجرة يهودية ، وتهيئتها بكل السبل لتكون دولة لليهود وسط بلاد العرب .

٣ - الحسين يصير على عروبة فلسطين :

وماذا بقي امام بريطانيا ؟ لم يبق الا الحسين نفسه في ملكه بالحجاز، فوافدت له في أواسط عام ١٩٢١ « لورانس » مستشار فيصل في ثورته العارمة ، يعرض على حد تعبيره تسديد الدين على مراحل ، وقد صاغت له لندن معاهدة للصدقة ، يعترف فيها بوضع خاص للانجليز في فلسطين، وبكل عهودهم فيها .

ورفض الحسين توقيعها رغم اصرار الكثيرين ، ومنهم أسرته ، وعاد لورانس يلح في الموافقة ، وعاد الحسين يجدد القسم بالرفض (١٧) .

ومضت الأيام في محاولات بريطانية عديدة بددها الحسين بآخر تصريحاته :

« لقد عرضت علي الحكومة البريطانية معاهدة ، وجدت في بعض موادها ما لا يتفق مع العهود المقطوعة لي ، فعدلت المعاهدة تعديلا هاما ينص فيه على استقلال فلسطين استقلالاً تاماً مطلقاً يخول الفلسطينيين ادارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها ، وبذلك جعلت وعد بالفور في حكم انه لم يصدر ، وقضي عليه بالموت ، وأؤكد انه اذا لم

(١٦) يقول الوزير البريطاني الصهيوني هربرت سمويل انه هو الذي نصح بفصل فلسطين

عن سوريا وذلك في برنامجه المقدم للوزارة البريطانية عام ١٩١٤ . انظر الصفحات

التالية من هذا الكتاب .

(١٧) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(١٣) الثورة العربية الكبرى ج ٢ ص ١١

(١٤) المصدر السابق ص ١٦ .

(١٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٩ .

تقبل الحكومة البريطانية التعديلات التي طلبتها فلا يمكن ان اوقع
المعاهدة (١٨) .

وبعد ، فقد صحا الحسين على غدر الانجليز ، وهو يرفض اقرار وعد
بالفور ويتمسك بفلسطين ، اذن فهو يرفض المعاهدة مع بريطانيا الا ان
تكون كما يريد .

وبدا السعوديون يهاجمون الحجاز فقد كان الخلاف بينهما مستمرا
منذ امد ، واخذت قواعده تهوى واحدة بعد اخرى ، وتنازل الملك وسط
جو مربك ، واصبح ابنه «علي» ملكا على حين كان الحسين منزويا في العقبة .

٤ - ابعاد الحسين الى قبرص :

وفجأة تقدمت بريطانيا لا تحمي حليفها القديم او مساعدته ، ولا لتطبيق
معه نصوص المعاهدة التي حوتها المراسلات ، ولكن لتأمره بمغادرة العقبة
الى خارج الحجاز ، غير قابلة نقاشا ولا سامعة رايًا ، وهنا تبدلت لهجة
المخاطبة مع الحسين ، وضاعت مع ارواح قتلى العرب في سبيل الانجليز ،
تلك الالقاب التي دججها ماكماهون باسم بريطانيا :

« الى السيد الحسين النسيب سلالة الاشراف ، وتاج الفخار ، وفرع
الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الاحمدية ، صاحب المقام الرفيع ،
والمكانة السامية السيد ابن السيد ، والشريف ابن الشريف ، السيد
الجليل المبجل دولة الشريف حسين سيد الجميع ، امير مكة المكرمة ، قبلة
العالمين ، ومحط رحال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس اجمعين » .

ضاعت هذه الالقاب ، وكان خطاب الانذار موجزا موحشا :

« الى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا بلغ حكومة جلالة
ملك بريطانيا ان عظمة سلطان نجد هيا قوة لمهاجمة العقبة والباعث هو
جلالتكم وحكومة الحجاز » الى ان يقول الخطاب :

« وفي هذه المناسبة تصر بالحاج بوجوب مغادرتكم العقبة قائلة لا يمكنها
ان تسمح لكم بالبقاء اكثر من ثلاثة اسابيع »

ورست بارجتان بريطانيتان في العقبة ، ورفضت بريطانيا السماح له
بالسكنى في يافا او حيفا العربيتين (١٩) .

ومر الحسين عبر قناة السويس مأخوذا الى قبرص ، فصحبه بعض
كبار العرب من السويس الى بورسعيد ، وسمعه يتحدثهم في أسى والم :
انه كان مخطئا وانه لم يكن يعرف اخلاق الاوروبيين ، وما ينطوون عليه
وقال انه يشهد انه فعل ما فعله عن حسن نية (٢٠) .

وفي ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٢٢ نزل الحسين في « فاما جوستا »
بقبرص منفيا شريدا ، بعيدا عن الاصدقاء ، فاقتدا الملك والوطن ، مرهبا
بحلفائه وخادعيه .

ووجد العرب انفسهم تحت حكم الاستعمار الفاشم ، وبدوا كفاحهم
المزير الطويل مقدمين شهداءهم في كل صقع وقطر .

اصبح الحسين ملك الحجاز وشريف مكة ، والحسيب والنسيب
وتاج الفخار والشريف ابن الشريف ... ، والذي منوه بخلافة اسلامية
وملك عريق ، اصبح ضيف حلفائه الانجليز وسط المنفى في جزيرة قبرص ،
وهنا تتضح الصورة من جديد ، في تحالف الصهيونية العالمية مع
الصليبية الاستعمارية ، فتنفذ الثانية ما ارادته الاولى ، لمن وقف غير
معترف بها .

وفي قبرص نزل الحسين ضيفا مبعدا ، ولكن حاكم قبرص البريطاني
كان رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المندوب السامي بالقاهرة
اثناء الحرب العظمى ، وكثيرا ما جاء مندوبا الى الحسين من حكومته ،
فاجزل الحسين له العطايا ، واثقله بالهدايا ، وظن الحسين انه حتى في
ابعاده ، سوف يلقي الخير من صديقه ذلك ، وسوف يحيا في منفاه
مكرما ومعززا . ولكن ما رآه الحسين من ذلك الصديق البريطاني ، كان قاسيا
ورهيبا ، وبريطانيا تريد ان ترهب العرب وترعبهم في ذلك الوقت ، فليكن
حليفها الحسين امثولة للجميع .

برز فجأة في قبرص شخص ادعى انه عربي من الخليج ، وادعى
قضايا انه سلم الحسين ذهبا ، واقرضه مالا ، وانه يطلب رد ذهبه ،
وسداد ماله ، وطلب الى الحسين ملك العرب ان يحضر الى المحاكمة ،
وسعى الحسين الى صديقه الحاكم العام واني لاتصوره يقول :

« انها قضية مفتعلة مدسوسة ، وهي مع ذلك قضية مدنية ، يكفي

(٢٠) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢١١ .

(١٨) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

(١٩) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٠٩ .

وهدمت العرب والاسلام » .

ه - ماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الأتراك ؟

ترى ماذا كان يمكن أن يحدث لو لم يثر العرب على الأتراك ؟

ان الثورة العربية أسهمت بقوة وعمق في انتصار الانجليز وحلفائهم ، لقد تحول الموقف في سيناء بعد الثورة العربية ، فان قسما من الجند المعد للهجوم على قناة السويس كان يتكون من متطوعة الحجاز والقبائل العربية ، وقد تصرم جبل هؤلاء ، فأصبحوا في صفوف اعداء الأتراك ، وان عددا كبيرا من ضباط العرب الذين اسرهم الانجليز من الجيش التركي في حملة القناة الأولى ، سرعان ما أعلن رغبته في المقاتلة الى جانب قوات العرب الشائرة .

ويقول جمال باشا حاكم الشام ، وقائد الجيش التركي في تلك المنطقة ، والسفاح الذي أضرم نار الحقد في نفوس العرب بسفكه الدماء وتشريده الأسر يقول :

« كان جل همي في ذلك الوقت فبراير (شباط) ١٩١٦ ان اعمل لحمل الشريف على ارسال كتيبة بقيادة احد ابنائه ، واصبحت يوم ٢ يونيو (حزيران) ١٩١٦ امام ثورة الشريف التي كانت ضربة قاضية على حملة القناة . واتضح بعد ذلك من تاريخ آخر خطاب أرسله الشريف الى الانجليز ، ومن انشائهم الاستحكامات عند الضفة الشرقية ، ان الانجليز لم يقرروا العبور او بدء الهجوم على فلسطين الا بعد ان استوثقوا من الشريف ، وتأكدوا ان ثورته ستضطرنا الى اتخاذ تدابير خاصة لحماية الحجاز وان تسحب من فلسطين بعض قواتها(٢١) » .

بل ان الحلفاء انفسهم يقررون ان تلك الثورة اسرعت بالنصر لهم ، وفي ٢٨ يوليو (تموز) ١٩١٨ قال القائد البريطاني العام اللورد اللنبي في تقريره لوزارة الحربية :

« اشكر لجلالة الحسين بن علي ملك الحجاز اخلاصه العظيم لقضية الحلفاء ، ولا املك نفسي عن توجيه عاطر الشاء الى سمو الامير فيصل لما اظهره من براعة في القيادة ، وعلى اخلاصه القلبي وعلى ما ابداه من بسالة ومهارة في الاعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي ، وقد ساعدت

(٢١) احمد جمال باشا ، تعريب على احمد شكري ص ٢٨٩ .

في حضورها اي موكل او محام ، فلا ضرورة لحضوري وسط المحكمة ، ثم انا الشريف الذي ناصركم ، وحارب دولته ، وصدق عهودكم ، وأنا بعد ذلك شيخ كبير ، لي عند قومي اسم وذكر وتاريخ ، فكيف يليق ان أفق مع رجل مجهول وسط محكمة في ديار الغربة ؟ »

ولكن الحاكم البريطاني لا يكره اذلال ملك العرب ، فيجيب :

« انها محكمة ولا سلطان لنا عليها » .

ويتناسى ذلك الحاكم ان القضايا المدنية ليس حتما فيها احضار المدعى عليه ، الا ان يكون الشريف الحسين بن علي في رحاب ضيافة بريطانيا . وسيق الحسين سوفا الى المحاكمة في قبرص .

وعجز المدعي ان يثبت دينه ، ولكن الهدف ليس الدين بل الاذلال ، فقال لدي شاهد ، ترى من الشاهد ؟ انها الشريفة زوجة الحسين .

قال المدعي : لقد سلمت الذهب والمال في حضورها .

واصدرت المحكمة البريطانية في قبرص امرها باحضار الشريفة زوجة الحسين . وسمى الحسين من جديد الى صديقه الحاكم العام يقول :

« يكفي يا صديقي ستورس انسي اخذت الى المحاكمة ، لم تراع سني ، ولم تهتم باسمي ولا بتاريخي ، واوقفت مدعى عليه ، ويكفي ذلك اذلالا وامتهانا » .

ان زوجتي لم يسبق لها ان رفعت القناع عن وجهها في مجمع خارج اسرتها ، ولم يحدث مطلقا ان جالست لي ضيفا ، او شاركت في حديث ، فكيف يعقل ان اشركها في استلام دين ، من رجل مجهول كما يدعى الآن ضدي ، انه يقصد جر زوجتي الشريفة المخدرة الى المحاكم ، وانه اذلال ما بعده اذلال ، وارجوكم التدخل والحيلولة دون سوق الحرائر الى مجالس القضاء الاجنبي ، وامام نظر الصحفيين »

ولكن الصديق البريطاني يرفض هذا ايضا .

وهاجم الشلل الشريف ملك العرب ، واستراحت بريطانيا ، فقد نشغل عنها الملك المبعد بأمراضه ومتاعبه ، وعاد الى القدس مريضا ليدفن في المسجد الأقصى بعد ان يقول لأصدقائه :

« اياكم وتصديق الانجليز ، فكم ذقت مرا من صداقتهم التي هدمتني

الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب (٢٢) .

وقال النبي في تقرير آخر :

« لقد ساعدنا الجيش العربي مساعدة عظيمة القيمة ، بقطع مواصلات العدو قبل القتال ، وبمنعه فرار جانب من الجيش العثماني الرابع ، وانزل بالعدو خسارة كبيرة أثناء الزحف على دمشق (٢٣) .

وتلك براءة الوسام الفرنسي الى فيصل الممنوحة له من المسير كليمنصو تقرر :

« لقد ساعد الحلفاء ، ولازم جنوده ، ونظم الهجمات الحربية ، وادار جبهة كبيرة ، واسر عددا كبيرا من الأسرى ، واشترك في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، ودخل مع الحلفاء دمشق وحلب في منتهى الجراة والاقدام (٢٤) .

وذلك أن لورنس البريطاني الذي عرف في التاريخ بمرافقته للجيش العربي الثائر يقرر :

« كلنا يعرف أن فيصل بذل جهدا كبيرا في نشر الوية الثورة التي اعلنت في مكة ، وبفضل بسالته وحكمته اسدت هذه الثورة اعظم خدمة للحلفاء في ميدان فلسطين ، وقد تم للجيش العربي اسر ٣٥ الف جندي تركي ، واخرج عددا لا يقل عن هذا العدد من خطوط القتال ، واستولى على ما مساحته مائة الف ميل مربع من الاراضي ، ولقد ادى العرب هذه الخدمة في زمن كنا في اشد الحاجة اليها ، فنحن مدينون لهم (٢٥) » .

ويتحدث مدير المخابرات التركية في الجيش الرابع عن احدى المعارك فيقول :

« ومشى مشاة الترك الى الجبل تحت حماية المدفعية ، ويتقدمهم كمال بك ممتشقا حسامه ، يضرم في صدورهم نيران الحماسة ، فصمد العرب لهم ونازلوهم منازل الأبطال ، وقد اظهر الفريقان من البسالة والبطولة ما يحير العقول ، وبدات المجزرة الكبرى حينما بلغ الترك خنادق العرب ، ودار قتال بالسلاح الابيض ، وجرح كمال بك للمرة الرابعة

(٢٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .

عشرة ، وسقط من الترك ٢٠٠ قتيل وجريح ، واستولى العرب على مستشفى الجرحى الترك لأننا عجزنا عن انقاذه أثناء انسحابنا (٢٦) » .

ويقول المارشال ليان فون ساندرس القائد العام للجيش التركية في بلاد العرب وهو يشرح اسباب انهزام تركيا في مذكراته بعد الحرب :

« لقد ادت الثورة العربية خدمات عظيمة للجيش البريطاني خلال تقدمه في شبه جزيرة سيناء ، فكان الانجليز آمنين مطمئنين يفعلون ما يشاؤون ، كأنهم في داخل بلادهم ، بعكس الترك الذين حاربهم اهل البلاد وملوهم ، فكانوا يسوقون جيوشهم كأنهم في بلاد معادية لهم (٢٧) » .

وقال كاتب تركي استشهد به صاحب كتاب « الثورة العربية الكبرى » :

« ولولا وجود جيش عربي وقف موقف العداء من الترك في جزيرة العرب في ساحة حربية طولها الف كيلومتر ، لما تم للجيش البريطاني احراز ما احرزه من النصر بهذه السرعة العظيمة ، والى الجيش العربي يعود الفضل في بلوغ الانجليز قلب البلاد العربية واحتلال القدس ، والمرابطة امام السلط وجناحهم الايسر مكشوف ، ولولا جيش العرب لالتف الترك على الجيش البريطاني ، واجبروه على التراجع (٢٨) » .

هذه بيانات عديدة تحوي بعضها الاشادة بحركة العرب الثورية ، واثرها في نصر الحلفاء ، وهي بيانات جاءت من مصادر مختلفة ، بعضها من الحلفاء الذين ناصرناهم ، وبعضها من المسلمين الأتراك الذين حاربناهم .

وهكذا نصل الى انه لو لم يثر العرب على الأتراك لاسهموا بقوة في هزيمة الحلفاء ، ولعله من المنطق ايضا أن تكون النتيجة ساعتئذ أن ينتصر الأتراك وسط ميدان ترافقوا فيه مع العرب ، فيكون النصر نصرا مشتركا ، لا تبعد ثمراته المقتطفة عن شعبنا العربي .

والأمر المؤكد في هذا المجال ان أرجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة ، وسوف تبقى هذه البقعة المقدسة لاهلها ، ولن يحرم سكانها من اراضيهم ومزارعهم وبيوتهم ، ولن تتحول حياتهم الى هجرة ولجوء وتشرد ،

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٢٦٧ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٦٦ .

ولن تحدث تلك المذابح الجماعية التي أجرتها الصهيونية في قراهم ومدنهم بعد أن مكنت لها بريطانيا التي أدخلتها وأقامتها ، وقوتها ، وحميتها .

وعلى فرض أن الحلفاء كانوا سينتصرون ، حتى في حالة اشتراك العرب مع الأتراك ، فهل كان العرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري ؟ ان الجواب بالنفي ، والنفي السريع القاطع دون ريب ، واننا لنأني بهذا النفي من النتائج التي حصل عليها العرب بعد انتصار الحلفاء ، وتضحيات العرب المغرر بهم .

فهل يمكن ان تكون النتائج حينئذ أسوأ مما حدث فعلا ؟ هل تكون أسوأ من تلك المآسي التي أوردناها في أول هذا الفصل ، من تقسيم بلادهم ، وحكمها حكما استعماريًا غاشما ، بواسطة الانتداب الأجنبي ، ورزوحها (١٩) عشرات السنين تجاهد في جميع بقاعها مستهدفة الاستقلال وطردهم الغزاة الأجانب .

والتاريخ يحفظ الأعداد الهائلة من شهداء العرب في العراق والشام الذين ذهبوا في معارك غير متكافئة مع الإنجليز والفرنسيين ، والتاريخ أيضا يتحدث كثيرا عن خيرات العرب التي امتصها هؤلاء المستعمرون من بلادنا العربية ، فلقد تمتعت فرنسا طويلا بخيرات الشام ومصادراته ، كما اثرت بريطانيا وشركائها من بتروال العراق ومنتجاته ، ومكنت لشركاتها في هذه الثروة الهائلة تمكينًا ما زال ينهب ثروات العرب حتى الآن .

انها لسنوات الثورات الطويلة تلك التي تسببوا خلالها في حرمان الأمة العربية من العلم والمعرفة حتى باعدوا بينها وبين ركب الحضارة والمجد البناء .

اذن فالنتيجة التي حصل عليها العرب بعد الحرب العالمية الأولى ، هي أنهم اصبحوا وجها لوجه أمام الاستعمار الأجنبي ، يلتف برداء الصليبية الاستعمارية ، ويعمل على زرع الصهيونية العالمية في ديارهم تسوهم العذاب والارهاق .

لم يجمع العرب على حرب الأتراك :

لقد كان بين العرب عام ١٩١٦ من ينادي بمحاربة الإنجليز وعدم الثورة على دولة الخلافة ، وكان الليبيون بقيادة الامام احمد الشريف السنوسي يهاجمون الإنجليز في السلوم والصحراء الغربية ، وكانت مصر المجاهدة ضد الإنجليز تنو الى هزيمتهم ، ولا تؤيد الثورة ضد الأتراك ، وهكذا كان عديد من العرب بينهم الامير شكيب ارسلان والشيخ عبد العزيز

جاويش ، وعديد من زعماء الشام ورجال العروبة يرون مساندة الأتراك والتعاون معهم .

بل لقد بكى الرصافي يوم سقوط بغداد بيد الإنجليز ، وهو الثائر المندد بحكم الأتراك والمطالب بالاصلاح ، بكى هزيمتهم وتمنى نصرهم واشاد بودهم :

انا ادري بأنهم بعد هجري لم يدوقوا طعما ولم يرتاحوا
ان تأنوا فربضة الليث تأتي بعدها وثبة له وكفاح
كيف يفضون عن اغائنة واد زانه من ودادهم أوضح
انا باق على الوفاء وان كا نت بقلبي ممن احب جراح
ولقد كان الكثيرون يصرحون لقومهم في كل مناسبة ، بان دول
الصليبية الاستعمارية انما تحاول تحطيم الاسلام في امتيه العرب
والأتراك على السواء .

لقد اقيم حفل بالاستانة قبيل قيام الحرب بسنة واحدة ، وشارك فيه امير البيان المجاهد شكيب ارسلان وهو من يعرف كل الاحرار العرب ، انه العربي الذي حمل أمل الدفاع عن امته طيلة حياته ، ولم يستطع الأجنبي أن يجعله عميلا ولا من الخاضعين ، فأنشد في ذلك الحفل قصيدة طويلة يحذر فيها امته من الدسائس الدولية ويقول (٢٩) :

فيا وطني ، لا تترك الحزم لحظة
وكمن يقظا لا تستنم لمكييدة
وكيد على الأتراك قيل مصوب
تذكر قديم الأمر تعلم حديثه
اذا غالت الجلى اخاك فانه
فليست بغير الاتحاد وسيلة
وليس لنا غير الهلال مظلة
ولو لم يغدنا عبرة خطب غيرنا
سيعلم قومي انني لا اغشهم

لقد كانت آخر معارك العرب مع الأتراك في تلك الثورة هي تلك التي خاضها الجيش العربي بقيادة الامير فيصل في سهول حلب في ٢٥ سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ ، واشتعلت هناك نار حامية عنيدة بين فريقين تخاصما بعد ود متين ، وكان يقود الجيش العثماني في تلك الواقعة التاريخية مصطفى كمال باشا (اتاتورك) الذي اضطر الى الانسحاب امام الجيش

(٢٩) دكتور أحمد الشرباصي : امير البيان شكيب ارسلان القاهرة ج ١ ص ٨٨ .

أقوال منهم ...

« لقد كنت الشخص الأول من الشعب اليهودي الذي قدر له أن يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، ولعل الفرصة سنحت أمامي لتحقيق وإعادة انشاء دولة يهودية في فلسطين ، لقد سألتني وزير الخارجية عما اذا كنت اعتقد أن سوريا يجب أن تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبته ليس من الحكمة ذلك لأن العدد الكبير من السكان لا يمكن تمثيلهم » .

الوزير البريطاني هربرت صمويل ١٩١٤

« ان المخاوف التي تساور العرب والتي يشيرون اليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك « تركيا » ، ولذلك لم أر مندوحة من تحذير الناس من تصديق أن اليهود يرمون الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد » .

وايزمان بالقدس ١٩١٨

« ان الحكام العسكريين لايتدخلون في الشؤون السياسية والحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف أن يصلوا الى تسوية تطابق رغبات الشعوب » .

رسالة اللورد اللنبي قائد الجيش

البريطاني الى أمير فيصل ١٩١٨

« ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة وتتعدى عليها ، وعبثا نقول للمسلمين والمسيحيين أننا محافظون على الحال القديم ، فالحال تشهد بخلاف ذلك ، من ادخال اللسان العبري كلفة رسمية الى اقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية للجنة الصهيونية الى الامتيازات لأعضائها ، أنه لا يمكن اقناع احد أننا معشر غير محابين » .

الجنرال بولس حاكم القدس العسكري ١٩٢٠

« وجه اللنبي الدعوة الى هربرت صمويل الصهيوني ليسانع على

العربي ، وبقيت ندوب تلك الهزيمة التي مني بها من العرب مقرحة في قلبه ، ولا شك انها جروح عميقة لازمته محزنة محيرة كلما تذكر ان ذلك الاندحار كان بسبب العرب ولصالح الانجليز ، ولقد تركز في ذهنه ذلك العمل تركيزا حاد به عن جادة التفكير الطبيعي ، وحين تمت له الغلبة في انقلابه المعروف واصبح رئيسا لجمهورية تركيا ، كان أبرز اعماله ان ظهرت اعماق آلامه من العرب في قراراته التي حاول ان يقطع بها كل صلة معهم ، فحارب اللغة العربية ، وحرم الحروف العربية ، وباعد بين الدولة وبين الاسلام الذي يعتبره دين العرب وقرآنه لسانهم ، وأبعد كل الضباط العرب من تركيا ، واقام حواجز سميكة فاصلة بين الشعبين الخالدين ، وحاول في سبيل ذلك محاولة بعيدة عن النظرة الصائبة فلحق التاريخ لتلاميذ المدارس وفيه شرح عميق لما اسماه خيانة العرب وتمردهم .

ولم يستثن « اتاتورك » من هذه الاجراءات العنيفة الا عرب ليبيا ، فلقد حارب معهم الطليان في عامي ١٩١١ ، ١٩١٢ في سفوح الجبل الأخضر وهضاب بنغازي ، وانه ليشعر لهم بالود والمنة ، ويذكر لهم محاولتهم لحرب الانجليز عام ١٩١٦ في صحراء مصر ، كما يذكر لهم شهداءهم في معركة الدردنيل ، وفي ضواحي ازميز ، ولهذا اقام على ودادهم ، ومكن لمن بقي منهم في تركيا ، ووصلوا في جيشه ودوائره لاعلى المناصب .

وبعد ، لماذا لا يكون السؤال هل كان العرب يثورون على الأتراك لولا عسف جمعية الاتحاد والترقي التي تسرب في ثناياها عديد من اليهود المستترين بالاسلام ؟ ، ولولا الارهاب والقتل والتشريد الذي عمد اليه جمال باشا سفاح ديار الشام ؟

وكيفما كانت الأسئلة والاجوبة ، فان الانجليز كانوا قديرين على اهتبال الفرصة لاضرام نار العداء بين الفريقين ، بل انهم لوحوا في اول اشارة لهم عام ١٩١٣ لعبد الله بأنهم لا يمانعون في ارجاع الخلافة للعرب ، وكان هذا التلويح طعما جذابا لسمك جوعان ، وكان التعبير الصحيح التي يختفي وراء هذا هو أنهم لا يمانعون في تحريك الأطماع حتى تدفع الى حمل السلاح والثورة ، فيخرج منها الترك والعرب مغلوبين امام غالب واحد ، هو التحالف القوي المبيت بين الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، حيث كانت تلك السطور السبعة الموجزة من وعد بالفور أقوى وانفذ من رسائل ماكماهون الطويلة المسهبة الى الشريف حسين ، ورحم الله شوقي في قوله وهو يخاطب الشريف :

كلنا وارد السراب وكل حمل في وليممة الذئب طاعم
قد رجوت من الغنم حظا ووردنا الوغى فكنا الغنائم

الاهرام يناير ١٩٢٠

« اني ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومتي
لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » .

هربرت صمويل يناير ١٩٢٠

« لقد تاكدنا بانفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية بفلسطين لما
لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشئون المحلية ، ان كره العرب
للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية .

صرح لنا الدكتور ايدر رئيس اللجنة الصهيونية وهو معتدل بالنسبة
لغيره ولا يرغب نشر افكار تهيج العرب : يجب ان يتغلب اليهود على العرب
متى تكاثرت عددهم ، يجب ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب ، يجب
ان لا يسمح للعرب بحمل السلاح » .

قاضي القضاة سير هايكوت في تقرير
لجنة ١٩٢٩

كذب ما شاع عن عدلكم
خنتم مستامتيكم بعدما
ما عهدنا دولة من اجل ان
تسدك الدور اذ سكانها
ايكون العدل بغيا واجتراما
نصروكم وانا لوكم مراما
تسكن الطاريء تقصي من اقاما
حاملات وشيوخ وايامي

الشاعر امين ناصر الدين

الفصل الثالث

شعب فلسطين يواجه المحنة

١ - اليهود يمهدون لغرض الانتداب البريطاني على فلسطين :

تم للانجليز ما ارادوه ، واصبح سلطانهم العسكري هو المهيم
الوحيد في فلسطين ، حين اتموا احتلال جميع اطرافها في اواخر عام
١٩١٨ ، وقد حيل بين شعب فلسطين وباقي اخوته العرب ، ففصلت
فلسطين عن بقية سوريا التي احتلتها فرنسا ، وتركزت برامج الانجليز في
تمكين الصهيونية في هذا الجزء العربي من سوريا الجنوبية ، وادرك شعب
فلسطين انه يواجه مؤامرة خطيرة ، قد تؤدي به الى مصر اليم ، وانه
فصل عن سوريا ليكون وحيدا في معركة مصيرية كبرى ، وليثقل كاهله
بعبء كبير خطير .

وهكذا اصبح الشعب العربي في فلسطين يئن تحت الحكم العسكري
البريطاني الذي بدا واضحا من اول وهلة انه ينفذ برنامج التهويد الرهيب .

ولا يحتاج الامر الى تساؤل ، فان الوطن القومي اليهودي الذي
عدت به بريطانيا اليهود في فلسطين قد فسره اللورد كيرزون تفسيراً
واضحاً حين قال :

« ان الوطن القومي مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود ، ويدير شؤونه
اليهود ، ويحكم وفقاً لمصالح اليهود (١) » .

ولكن هذا الوطن القومي الذي يسعى له اليهود لن يكون خاصاً
باليهود الذين يقطنون فلسطين ، فهم قلة قليلة الى جانب السكان العرب ،
ولذلك لا بد من فتح باب الهجرة اليهودية من جميع انحاء العالم ، حتى
يتكاثروا ويكونوا اغلبية او شبه اغلبية ، ولا بد من ارض يستولون عليها
فهجرة دون ارض هي اغتراب لا يساعد على تنفيذ البرنامج الصهيوني ،

(١) محاضرات في قضية فلسطين ، ص ٤٣ .

الاهرام يناير ١٩٢٠

« اني ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومتي
لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين » .

هربرت صمويل يناير ١٩٢٠

« لقد تاكدنا بانفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية بفلسطين لما
لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشئون المحلية ، ان كره العرب
للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية .

صرح لنا الدكتور ايدر رئيس اللجنة الصهيونية وهو معتدل بالنسبة
لغيره ولا يرغب نشر افكار تهيج العرب : يجب ان يتغلب اليهود على العرب
متى تكاثرت عددهم ، يجب ان يكون لليهود حق التسلط والتغلب ، يجب
ان لا يسمح للعرب بحمل السلاح » .

قاضي القضاة سير هايكوت في تقرير
لجنة ١٩٢٩

كذب ما شاع عن عدلكم
خنتم مستامتيكم بعدما
ما عهدنا دولة من اجل ان
تسدك الدور اذ سكانها
ايكون العدل بغيا واجتراما
نصروكم وانا لوكم مراما
تسكن الطاريء تقصي من اقاما
حاملات وشيوخ وايمام

الشاعر امين ناصر الدين

الفصل الثالث

شعب فلسطين يواجه المحنة

١ - اليهود يمهدون لغرض الانتداب البريطاني على فلسطين :

تم للانجليز ما ارادوه ، واصبح سلطانهم العسكري هو المهيم
الوحيد في فلسطين ، حين اتموا احتلال جميع اطرافها في اواخر عام
١٩١٨ ، وقد حيل بين شعب فلسطين وباقي اخوته العرب ، ففصلت
فلسطين عن بقية سوريا التي احتلتها فرنسا ، وتركزت برامج الانجليز في
تمكين الصهيونية في هذا الجزء العربي من سوريا الجنوبية ، وادرك شعب
فلسطين انه يواجه مؤامرة خطيرة ، قد تؤدي به الى مصر اليم ، وانه
فصل عن سوريا ليكون وحيدا في معركة مصيرية كبرى ، وليثقل كاهله
بعبء كبير خطير .

وهكذا اصبح الشعب العربي في فلسطين يئن تحت الحكم العسكري
البريطاني الذي بدا واضحا من اول وهلة انه ينفذ برنامج التهويد الرهيب .

ولا يحتاج الامر الى تساؤل ، فان الوطن القومي اليهودي الذي
وعدت به بريطانيا اليهود في فلسطين قد فسره اللورد كيرزون تفسيراً
واضحاً حين قال :

« ان الوطن القومي مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود ، ويدير شؤونه
اليهود ، ويحكم وفقاً لمصالح اليهود (١) » .

ولكن هذا الوطن القومي الذي يسعى له اليهود لن يكون خاصاً
باليهود الذين يقطنون فلسطين ، فهم قلة قليلة الى جانب السكان العرب ،
ولذلك لا بد من فتح باب الهجرة اليهودية من جميع انحاء العالم ، حتى
يتكاثروا ويكونوا اغلبية او شبه اغلبية ، ولا بد من ارض يستولون عليها
فهجرة دون ارض هي اغتراب لا يساعد على تنفيذ البرنامج الصهيوني ،

(١) محاضرات في قضية فلسطين ، ص ٤٣ .

والهجرة لا بد لممارستها من دولة تحميها ، وتلك الأرض التي يسعون لامتلاكها لن تكون سهلة ميسرة ما لم تكن فلسطين واقعة تحت نفوذ دولة صدقت لهم الود ، ومدت لهم اليد .

وانطلقت الصهيونية العالمية تسعى في كل مكان ليقول مؤتمر الصلح كلمته ، وتكون تلك الكلمة : ان بريطانيا (صاحبة وعد بالفور) هي الدولة المنتدبة على فلسطين .

بينما يخطب وايزمان في نقابة الصهيونيين الانجليز في اواخر عام ١٩١٩ مدعيا ان حالة اليهود في اوربا سيئة جدا ، ويجب الاستعداد لترحيل مليون يهودي الى فلسطين ، ليكونوا عمالا وصناعا مهرة ، واصحاب اموال ، بينما يقول وايزمان هذا مناديا بالهجرة اليهودية ومحددا معالمها ، كان قد صرح قبل ذلك بمدة في محاضرة اخرى بقوله :

« ان هدفنا لا يزال الدولة اليهودية في فلسطين ، ولكن بلوغ هذا الهدف لا يأتي دفعة واحدة ، بل يجري على مراحل متعددة ، واول هذه المراحل ان توضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا ، لتسهل لنا الهجرة والسكنى ، وتمكننا من تحضير الجهاز الاداري اللازم لبلوغ هدفنا ، وان الحكومة البريطانية موافقة على هذه الخطة ، ومستعدة لتسهيل تنفيذها » .

واقبلت وفود اليهود اللورد سيسل وكيل الخارجية البريطانية معلنة انها تصر على ان يكون الانتداب بريطانيا على فلسطين ، ولم يجد هذا صعوبة في ان يتناسى عرب فلسطين ، وانها الوطن الذي دفع العرب الملايين من الشهداء دفاعا عنه ، وكان سكان فلسطين هم الخطوط الاولى والضحايا المتتابعة ، واصحاب انهار الدماء في ربوعها .

لم يجد وكيل الخارجية البريطانية صعوبة في ان يتناسى كل هذا ، فرحب بالوفود اليهودية ، واوعز لها ان تحرض يهود العالم لاعلان رغبتها في انتداب بريطانيا ، وطالبهم بان يذهب الدكتور وايزمان كصهيوني رائد الى فلسطين فورا .

وتحركات المؤامرة في كل مكان تريد تأكيد الانتداب البريطاني وجعله حقيقة واقعة ، فعقد النواب اليهود اجتماعا كبيرا في لندن ١٨ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ واعربوا عن املهم في الا تعدل بريطانيا عن تولي الانتداب على فلسطين ، وتحركت اللجان القومية لحزب العمال البريطاني في ٢٢ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ ، فأبرقت الى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا

الموجود آنذاك في سان ريمو وسط المؤتمر العالمي للصلح ، وطالبوه باسم المعارضة ان تقبل حكومته الانتداب على فلسطين ، لتنفيذ سياسة الوطن القومي اليهودي فيها(٢) .

واذن فقد سارت بريطانيا شوطا بعيدا في تنفيذ مخططاتها الاستعماري الرهيب ، الذي كانت تعده للعالم العربي ، فاستلت الموافقة على وعد بالفور من كبار الدول والعالم الصليبي ، ثم خشيت ان يكون هذا غير كاف ولا ضامن فأوعزت بالتحرك لضمان ان يكون الانتداب على فلسطين من نصيبها ، وهي بذلك تقيم لليهود وطنا وسط العرب ، فتشغلهم به وتهدهم ، وهي بذلك تفصل بين العالم العربي مشرقه ومغربيه وهي بذلك تقيم دولة تشعر بفضلها ، وتعمل بوحيا ، الى جانب قناة السويس التي كانت تعتقد انها سيدتها وحاكمتها الى ابد الأبد .

وبينما تحرك الصهيونية العالمية للمناداة ببريطانيا منتدبة على الأرض المقدسة ، تسير بريطانيا في داخل فلسطين بسرعة في تهيئتها للبرنامج الخطير ، وممكنة للصهيونية من العمل دون انتظار لقرار مؤتمر الصلح بالانتداب ، ودون توقف على اسناد هذا الانتداب لها .

واذا كان صك الانتداب لم يبرم الا في يوليو (تموز) ١٩٢٢ فان بريطانيا اصدرت امرها منذ ابريل (نيسان) ١٩١٨ الى الادارة العسكرية الحاكمة ان تسمع وان تطيع اوامر اللجنة الصهيونية التي وصلت في ذلك الحين الى فلسطين برئاسة وايزمان(٣) .

واعطيت اللجنة فورا جميع التسهيلات في تنقلاتها وتحريراتها ، واصبحت المرجع المهم للادارة الحاكمة ، وسرعان ما فتحت ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ، وبدت للعيان واضحة مظاهر الاحترام والتقدير الذي تقدمه اجهزة الحكومة العسكرية لهذه اللجنة الصهيونية .

يحدث كل هذا بينما كان الشعب العربي في فلسطين قد حصر في دياره معزولا عن اخوانه في بقية ديار الشام ، مدركا ان الخطر اصبح يحيط به من كل جانب ، لا سيما وان سلطات الاحتلال التي سهلت لليهود كل اسباب العمل والحركة والتصرف ، حرمت على العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم ، بل حرمت عليهم في تلك الحقبة الخطيرة حتى السفر او التجول .

(٢) جريدة الاهرام ١٩ و ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٣) محاضرات من اساندة قضية فلسطين ، ص ٧٤ .

وتمت تلك الأحداث قبل أن يعلن الانتداب رسمياً ، بل لقد اتم دعامة الاستعمار الانجليزي « ونستون تشرشل » زيارته لفلسطين ومناذاته بالصهيونية فيها ، قبل أن تتسلم دولته زمام الانتداب الذي عملت له وهيات له جميع الأسباب .

على أن خطاب وايزمان في القدس يوضح الكثير من محاولة التفرير والتهديد وفرض السلطان حين(٤) يقول « لا ريب أن جميع المخاوف التي تساور العرب الآن والتي يشيرون اليها سرا أو علنا نشأت عن سوء فهمهم لمقاصد الصهيونية ، أو عن الدسائس التي يدسها لهم العدو المشترك (تركيا) ، ولذلك لم ار مندوحة عن تحذير الناس من تصديق ذلك وايهامهم أن اليهود يرمون الى الاستئثار بالسلطة السياسية في البلاد ، أن الحكم في هذا العصر هو فن من أعقد الفنون لا يتعلم في يوم واحد اذ لا بد له من اساتذة آمناء متمرنين ، والصهيونيون يصرحون علنا بانهم يطلبون أن تكون السلطة العليا في يد احدى الدول الديمقراطية التي تختارها جمعية الأمم لذلك ، وسوف نعلن رأينا مستقبلا في تلك الدولة ولكن لا يمكن أن يكون الحكم هنا دوليا او باشراف دولتين بل ان البلاد بجملتها يجب أن تكون خاضعة لحارس واحد ، ولا يصح القول أننا (قادمون) الى فلسطين بل نحن (راجعون) اليها ، ان آباءنا دافعوا عن هذه البلاد ببسالة ولم يتخلفوا عنها الا عندما شاءت الافئدة ، ولكنهم لم يتخلوا قط عما كان لهم فيها من حقوق » .

وانه لواقع مر هذا الذي حدث في فلسطين ، واقع سيء لم يحدث مثله في اي بلد عربي آخر من تلك البلاد التي نكبت بالاستعمار او الانتداب او الحماية . لقد قررت الحماية على مصر في الحرب الأولى ، فلم تكن الا محاولة بريطانية لاستغلال خيرات مصر ، وتأخير نهضتها وابعادها عن امجادها التاريخية ، وفرض الانتداب على سوريا ولبنان ، فكان حكما اجنبيا يعترف بأهل البلاد مهما لازمه من طغيان واذلال وارهاق . وفرض الانتداب على العراق ، فكان حكما بريطانيا يتستر وراء ملك عربي ، ولكن العراق العربي بقي للعراقيين دائما .

واحتلت فرنسا بلاد المغرب وتونس ، فاستفادت من قدرة شعبيهما البشرية في عديد من حروبها ، واستنزفت خيراتها لصالح فرنسا ، واستمرت فيها صور للحكم الوطني مهما ضعف ، كان يمثل الاصل الحقيقي الواقعي لكليهما . وسارت فرنسا على سياسة الادمج في

(٤) مجلة الكواكب عدد ٩٥ الصادر في ٢١ من مايو ١٩١٨ .

الجزائر ، وسمت الوطنيين بالفرنسيين الجزائريين ، وبدلت جهدا كبيرا لطمس معالم العروبة وابعاد الاسلام عنها ، ولكن مع هذا لم تفكر في جعل الفرنسيين أكثرية في الجزائر ، وطوال ١٣٢ عاما من احتلالها الكريه لم يزد الفرنسيون عن نسبة ١٠٪ أو أقل الى أن أعاد الأحرار الجزائريون وطنهم الى حظيرة القومية ومجمع الأمة العربية .

ورزحت ايطاليا بكلكلها في ليبيا ، وحاولت أن تعتبرها الساحل الرابع الايطالي ، وسمت أهلها بالاطاليين المسلمين ، وجاهدت لتقنعنا بأننا بقايا الرومان القدماء ، وأن العرب هم المستعمرون لأجدادنا الاقدمين . وبعثت بمجموع ابنائها لتسكن وتحتل وتملك حتى تم اجلاؤها بعد أكثر من ربع قرن ، وعلى الرغم من التشابه الكبير بين مأساة ليبيا منذ عام ١٩١١ الى الحرب العالمية الثانية ، وبين مأساة فلسطين ، على الرغم من هذا فان الذي فعلته بريطانيا في البلاد المقدسة كان يمثل نكبة لا تعادلها نكبة ، نكبة أريد بها القضاء على شعب فلسطين قضاء كاملا ، واغتصاب اراضيها ، واقامة حكومة يهودية في ربوعه .

ومن هنا يتضح ان الشعب العربي في فلسطين ناضل وحده طغيانا كان يمكن أن ينوء به كاهل عدد كبير من الشعوب ، ومن هذا يتضح أيضا أنه لا يوجد أي شعب عربي وجهت اليه مؤامرة تضافرت فيها جهود دولية ، وسياسات عالمية وائقال مادية صهيونية ، الا الشعب العربي في فلسطين ، الذي لا ريب ان كفاحه البطولي طوال ثلاثين عاما كان مفخرة ترفع جباه الشعب الفلسطيني .

٢ - الثورة الأولى ابريل ١٩٢٠ :

وبينما كان العرب يجرون احتفالهم التقليدي بالنبي موسى في الرابع من ابريل (نيسان) عام ١٩٢٠ ، اذ اعترضهم بعض اليهود محاولين خطف العلم العربي ، واهانة حامله ، ودارت معركة اصطف فيها العرب الى جانب ، واليهود والجيش البريطاني الى جانب آخر ، وحاصرت قوات بريطانيا المدينة المقدسة ، واستمر القتال الى نهاية اليوم الخامس ، وصدر بلاغ بريطاني رسمي بأن القتال اسفر عن موت تسعة من اليهود واربعة من العرب و ٢٥٠ جريحا .

وكان هؤلاء الأربعة هم الطليعة الأولى لجماهير عديدة من شهداء فلسطين ، وكان استشهادهم يحمل ايضاحا بوقوف الجيش البريطاني عمليا مع اليهود ، وضد سكان الوطن الفلسطيني الطبيعيين .

وحين أقت السلطات البريطانية القبض على الأمير محمود الزناتسي في ٢١ من ابريل (نيسان) ١٩٢٠ ، هاجمت جموع العرب السجن المحروس بالبريطانيين وأخرجوا السجن عنوة وقوة ، وتجمعت قوات الانجليز من حيفا وطبريا ، ونشب قتال كبير هاجم العرب خلاله سمنخ وبيسان وبعض القرى اليهودية التي هرب منها اليهود تحت وطأة ثورة الفلسطينيين (٥) .

كان الشعب الفلسطيني يجمع انفاسه عقب احداث الحرب العالمية الاولى ، وكانت ظروف الحرب قد انهكتة كثيرا ، وما كاد شبها يتوارى حتى تكب بنكت الانجليز لمهودهم مع العرب ، وتبين لعرب فلسطين انهم فريسة لتجمعات صهيونية ، تؤيدها وتحميها جيوش بريطانيا التي كانت تحتل مصر ، وشرق الاردن ، والعراق ، والهند ، والتي كانت صاحبة اكبر قوة ضاربة في البحر والبر وهي ذات العلم الذي لا تغرب عنه الشمس آنذاك .

ولكن هذا الشعب العربي برغم حصره في جزء ضيق من ارض الشام ، ومجاهته قوة كبيرة عالمية ، فقد كان صادق العزم في الحفاظ على وطنه ، وكان قوي التصميم في مجابهة الاعداء .

واصدر الجنرال بولس الحاكم العسكري بلاغا مليئا بالوعيد والتهديد ، وقال : « انه دعا سماحة المفتي امين الحسيني ، والسادة موسى الحسيني وعارف الدجاني وعارف فيض الله وراغب النشاشيبي عن العرب المسلمين ، كما دعا خمسة من العرب المسيحيين ، وذكر اسما واحدا من اليهود ، وأبلغهم تحذيرا شديدا من الاضطراب :

« ان في البلاد حكومة واحدة فقط ، وهذه الحكومة هي انا ، واني مجهز بقوة عسكرية هائلة لسحق كل من يعكر الأمن ، وسأستخدمها في المستقبل دون قيد (٦) .

ولكن الجنرال بولس نفسه عاد بعد شهور وأدرك ان العدل والانسانية والصدق تتجافى كلها مع ما هو حادث في فلسطين ، ولقد كشف بنفسه اطماع الصهيونية ورضوخ دولته لها ، حين كتب تقريره المشهور الى قيادة الجيش البريطاني في القاهرة يقول فيه (٧) :

« لقد لزماني ان ألع في تبيان ما اعانيه من الصعوبة في ضبط اي موقف

كهذا الموقف في المستقبل ، اذ ركنت مضطرا الى التفاوض مع ممثل الطائفة اليهودية ، والذي يهددني بانارة هياج الفوغاء وبقامته مقام القانون ، وبرفض الرضى بسلطات القانون والنظام ، ان اللجنة الصهيونية تدعي لنفسها سلطتي وسلطة كل دائرة من دوائر الحكومة ، وتتعدى عليها ... وعبثا نقول للمسلمين والنصارى اننا قائلون بما صرحنا به من المحافظة على الحال القديم ، مما عهدوه وعهدناه يوم دخول القدس . فالحقائق تشهد بخلاف ذلك ، فمن ادخال اللسان العبري كلفة رسمية ، الى اقامة قضاء يهودي ، الى التشكيلات الحكومية التي تتألف منها اللجنة الصهيونية والامتيازات المخصصة الممنوحة لاجراء اللجنة الصهيونية في السفر والانتقال ، كل ذلك قد حمل العناصر غير اليهودية على الاقتناع باننا معشر محاربون . انه ليستحيل ارضاء ذوي فكرة مخصصة لا يطلبون رسميا الا «وطنا قوميا» ولكنهم بالفعل لا يقتنعون بما هو اقل من حكومة يهودية بمقتضياتها السياسية » .

ولكن هذا التقرير الذي قدمه الجنرال بولس ، والذي يورد فيه ادلة حاول ان يقنع بها حكومته لتتصرف عن مظهر المحاباة لليهود ، الذين يهددونهم بانارة الفوغاء ، والذين يعملون بقوة لخلق حكم يهودي ، ان هذا التقرير الذي اعتقد بولس انه يشير به اذهان حكومته ، لم يحدث شيئا الا ابعاد بولس عن الحكم ، وكان بريطانيا ترد على تقريره تقول : انك يا بولس لم تفهم اعماق السياسة البريطانية التي تهدف فعلا الى قيام وطن وحكومة يهودية وسط وطن العرب وفوق ارضهم ، وعلى اسلائهم .

ولماذا لا تفعل بريطانيا هذا ؟ الم يصرح الصهيوني البريطاني المعروف هربرت صمويل في رسالة له الى جراي وزير الخارجية البريطانية « ان نحن اجبنا مطالب اليهود في فلسطين نكن قد اوجدنا في جوار مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لنا » .

٣ - تعيين صهيوني بريطاني مندوبا ساميا لبريطانيا في فلسطين :

قبل ان يتقرر مصير فلسطين في مؤتمر الصلح ، وقبل ان يحدد شكل من اشكال المستقبل الذي ينتظر شعب هذه البقعة الضيقة من الارض ، أعلن ان اللورد النبي القائد العام لجيوش الحلفاء ، وصاحب التصريح المعروف الموجه منه الى الامير فيصل في ١٧ من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ والذي يقول فيه :

« ان التعليمات الصادرة الى الحكام العسكريين تمنع اي تدخل في الشؤون السياسية ، واني سأعزل منهم من يخالف هذه الاوامر ، وان

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٨٨ .

(٦) جريدة الاهرام ٩ ابريل (نيسان) ١٩٢٠ .

(٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٨٠ .

الحلفاء ملزمون بحكم واجب الشرف ان يحاولوا الوصول الى تسوية تطابق رغبات الشعب (٨) .

اعلن انه قد وجه الدعوة الى اليهودي البريطاني السير هيربرت صموئيل ليسانع على تسوية شئون فلسطين (٩) .

وفي السادس من يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ صرح السير هيربرت صموئيل انه ذاهب الى فلسطين لاتخاذ مشروعات وتنفيذ اوامر حكومته لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولنحيط احاطة كاملة بمدى الثقل الخطير الذي وضع على كاهل شعب فلسطين العربي وحده ، في عزلته التي حددتها له بريطانيا ، ولندرك الى اي مدى كان حكم الانجليز لفلسطين يعمل في مجموعه وفي كامله لتهويد ارضنا السليب ، ولنعلم ان معركة فلسطين لم تكن صغيرة الشأن حدثت فجأة في عام ١٩٤٨ وانهمز فيها العرب على حين انتصر فيها اليهود ، لندرك كل ذلك يجب ان نفهم تفاصيل المعركة التاريخية المستمرة منذ ان وطأت اقدام صموئيل هذا ارض فلسطين . ترى من هو هيربرت صموئيل ؟



هيربرت صموئيل

(٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٢ .

(٩) جريدة الاهرام ٢٧ من يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ .

لنترك صموئيل يتحدث عن نفسه في كتابه « ذكرى » الصادر سنة ١٩٤٥ :

« اني احتفظت بالحوادث التي ادت في النهاية الى تعييني في فلسطين ، لاسردها كقصة متتابعة ، واني اطلب الى القارئ ان يرجع بذاكرته الى اوائل الحرب الاولى عندما توقعنا هزيمة دول الوسط ، ولم يخامرنا الا القليل من الشك بأنه سيفتح امام فلسطين مستقبل آخر ، وفي اللحظة التي دخلت فيها تركيا الحرب تغير الوضع تماما ، فان قدر لفلسطين ان تحظى بمصر جديد ، فان بريطانيا العظمى هي صاحبة الشأن الاول في ذلك المصير بما لها من مصالح استراتيجية هامة في الشرق الاوسط .

وان على حكومتنا ان تولي عنايتها موضوع من سيخلف الأتراك في السيطرة على فلسطين ، ذلك البلد الذي يتاخم قناة السويس ، وبالنسبة لشخصي فقد كان لهذا الموضوع اهمية زائدة وخاصة ، فقد كنت الشخص الاول من الشعب اليهودي الذي قدر له ان يحتل مقعدا في الوزارة البريطانية ، لقد حددت آرائي جدا في الحال ، الأمر الذي دعاني لمقابلة وزير الخارجية ، ومحادثته بشأنها ، وسجلت في مذكرتي بتاريخ ٩ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٤ اني تكلمت مع السير ادوار جراي حول مستقبل فلسطين ... ولعل الفرصة قد سنحت امامي لتنفيذ اماني الشعب اليهودي القديمة ، واعادة انشاء دولة يهودية فيها . واعتقدت ان النفوذ الانجليزي يجب عليه ان يقوم بدور هام في تأسيس مثل هذه الدولة ، لأن وضع فلسطين الجغرافي ، وقربها من مصر ، يجعل صداقتها لانجلترا أمرا له اهميته للامبراطورية البريطانية(١٠) .

٤ - عزل الفلسطينيين عن العرب لاذابتهم :

ويتابع صموئيل حديثه المليء بأسرار الاعداد لاذابة الفلسطينيين وعزلهم ، وتوزيع استعمار بلاد الشام فيقول :

« ولقد سألتني جراي (وزير الخارجية) عما اذا كنت اعتقد ان سوريا يجب ان تضم الى فلسطين بحكم الضرورة ؟ فأجبت : كلا فان الأمر على العكس فليس من حكمة الرأي ادخال أمكنة بيروت ودمشق ، لأنها تحتوي على عدد كبير من السكان الذين لا يمكن تمثيلهم .

وقلت ايضا : سيكون هناك نفع عظيم اذا ضمت بقية سوريا الى

(١٠) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٨٩ .

فرنسا ، اذ انه اجدى للدولة اليهودية ان تكون لها جارة اوربية من ان تكون تلك الدولة هي تركيا .

ولقد سنحت لي فرصة اليوم جرى فيها حديث موجز مع لويد جورج في نفس الموضوع ، لقد اشار في مجلس الوزراء الى مصر فلسطين النهائي ، وقال لي : « انه مشتاق جدا لان يرى دولة يهودية قد انشئت هناك » ، لقد صفت آرائي في مذكرة وزعتها على الرئيس وعلى عدد من زملائي الوزراء ، ثم نقحت مذكرتي في شهر مارس (آذار) واعدت توزيعها ، وركزت مذكرتي على احتمال هام ، وهو فرض حماية بريطانية ، مع تشجيع استقرار اليهود ، وقد ايدت هذا البند ووافقت عليه .

ولقد حادثت (من جديد) مستر جراي في الخامس من شهر فبراير (شباط) ١٩١٤ واعربت له عن ارتياحي عما اذا كان السكان العرب ، وهم يمثلون خمسة اسداس السكان ، يوافقون على مثل حكومة فلسطين تمثل الحكومات الاوربية والبابا وامريكا ، وتخلق مجلس شورى لليهود ، فقال : « قد يكون في بقاء السيادة التركية اذا وجدت ضرورة لذلك ، حل آخر لتأسيس حكومة قريبة الشبه نوعا بحكومة لبنان(١١) ... » فاكذت له الخطر من وجود اي دولة غير انجلترا تتصرف في فلسطين وما في اقامة ادارة دولية من مجازفة قد تنتهي بسيادة احدى الدول الاوربية .

وقد ارسل لي وايزمان الذي تعرف بالمستر بالفور في مانشستر كتابا مؤرخا في ٢١ من مارس (آذار) ١٩١٥ يقول : « لقد سنحت لي فرصة الحديث الى مستر بالفور وسيساعدنا اذا كانت الامور قد وضحت بالنسبة لفرنسا » هكذا بدأ الاتصال بين بالفور والصهيونية ، حيث ساهه الاهتمام والحماس حتى نهاية حياته ، وكان مقدرا له ان تكون له نتائج تاريخية » .

ويمضي هربرت صموئيل في حديثه الذي كشف فيه مخبات الصهيونية وسط دوائر الوزارة البريطانية ، والخطط الخطيرة التي عمل على تنفيذها حين قدر ان يكون حاكما لفلسطين ويقول : « لقد تبلورت الآراء في ناحية ايجاد نوع من الحماية البريطانية كلما ازداد المرء ارتياحا للموضوع ... »

وليس من الضروري ان تقبل الوضع بان السكان الحاليين القلائل - كما هي الحال - يجب ان يكون لهم الحق في سد الباب امام عودة

الشعب الذي سبقت علاقته بالبلاد علاقتهم هم ، خصوصا وان علاقة اليهود بالبلاد قد انتجت آثارا روحية وثقافية ذات قيمة للبشرية بشكل يلفت النظر بمقارنته بالتاريخ المقفر للألف سنة الماضية(١٢) .

هكذا يتحدث هربرت صموئيل الوزير البريطاني اليهودي عن فلسطين ، وبرنامج بريطانيا فيها .

واذن من العبث ان نقول ان الانجليز قد اعطوا وعدا لقوم لا حق لهم في فلسطين ، وانهم اعطوه قبل ان يكونوا الغالبين في تلك البقعة من ديار الشام ، وانهم خالفوا مبدأ تقرير المصير الذي نادوا به طوال الحرب العامة ، من العبث ان نسوق اي قول من هذا بعد ان اتضحت هذه الحقائق التي تكشف الستار عن نواياهم ، وانهم كانوا مقررين تهويد فلسطين ، لدرجة انهم اعتبروا اقليتها اقلية ، واعتبروا سكانها الاصليين طوائف ، وسلخوا في برنامجهم كل سبيل يمكن لليهود من ان يصبحوا اكثرية وملاكا وحكاما لهم السيطرة ويدهم المقدرات .

وهكذا نجد ان هربرت صموئيل خطط لقيام دولة اليهود عندما كان وزيرا في الوزارة البريطانية عام ١٩١٤ وقبل احتلال الانجليز لفلسطين ، وحين اعطي الانتداب لبريطانيا تحت تأثير الصهيونية العالمية ونفوذها عين هذا البريطاني الصهيوني مندوبا ساميا في فلسطين ، ل يتم مهمة القهر المتمثل في القوة العسكرية ، وفي الصلاحيات القانونية المخولة له طبقا لصك الانتداب .

ومنذ استولت بريطانيا على فلسطين خلال عام ١٩١٨ ، بدأت تنفذ برنامج تسليم فلسطين لليهود ، ولعلها كانت تعتقد ان سكان فلسطين العرب من السهولة والسذاجة ، حتى انهم لن يقيموا امامها العراقيل ، وان برنامج التهويد سوف يمر في سلام ، ولكن الثورة العربية في ابريل (نيسان) ١٩٢٠ واحتجاجاتهم الدائمة ومظاهراتهم المتكررة وفي كل مناسبة ضد وعد بالفور وسياسة التهويد ، اشعرت بريطانيا ان الامر ليس من السهولة التي تتصورها .

وما كاد مؤتمر الحلفاء في سان ريمو يخضع لبريطانيا والصهيونية ، ويقرر تضمين صك الانتداب وعد بالفور وقبل انتظار لمصادقة عصبة الامم على صك الانتداب ، حتى اسرعت بريطانيا وعينت هربرت صموئيل

(١٢) فكرة مزورة مخالفة للتاريخ ولا يقره توراة صموئيل نفسه من ان فلسطين كانت ارض كنعان قبل اليهود .

(١١) المصدر السابق ص ٩٠ - ٩٤ .

اليهودي البريطاني الشهير والذي تحدثنا عنه في الصفحات السابقة . مندوبا ساميا لها في فلسطين ، فقد ضج الصهيونيون من حكم العسكريين وهم يطالبون بالادارة المدنية(١٣) ، وداست بريطانيا كل المبادئ الانسانية وحطمت المثل الديمقراطية ، وبدأت تسلم رسميا البلاد الى حكم اليهود .

فعلى الرغم من ان الانتداب الذي قرر باحتيال منها ، وتملصا من عهودها للشريف حسين ، كان ينص في المادة ٢٢ من ميثاق الأمم « ان بعض الشعوب الصغيرة التي كانت سابقا ضمن السلطنة العثمانية ووصلت الى درجة من الرقي ، يمكن الاعتراف بها مبدئيا كشعوب مستقلة ، على ان تقدم لها المشورة او المساعدة الادارية من جانب احدي الدول المنتدبة ريثما يصبح في استطاعتها الوقوف منفردة بنفسها ، ويجب مراعاة رغائب هذه الشعوب في اختيار الدولة المنتدبة » .

وعلى الرغم من ان الشريف حسينا رفض التوقيع على صك الانتداب بما فيه هذه المادة واعتبره مغايرا ومخالفا لما اعطي من عهود ، على الرغم من هذا ، فان الانجليز داسوا هذه المادة بالنسبة لفلسطين اذ تتضح مخالفتهم حين لم يعتبروا ان لفلسطين شعبا يسكنها ، وان مهمتهم التعاون معه حتى ينشئ دولة ويقف منفردا بنفسه ، بل اعتبروا ان جميع يهود العالم هم شعب فلسطين ومن حقهم دخولها والاقامة فيها .

وهم لم يراعوا رغبات سكان فلسطين على ما عليه اليهود من نسبة عددية ضئيلة حين تم الاحتلال ، بل اعتبروا سكانها العرب طوائف اخرى تعامل معاملة الاقلية ، مهما كان عددها ، وهم بعد كل هذا وقبل كل هذا يتخذون جميع الوسائل لتهويد فلسطين ، منذ ان احتلوها غير منتظرين صك الانتداب ولا متوقفين عليه ، ولماذا لا يفعلون ؟ الم تؤيدهم الدول الصليبية الاستعمارية كلها معترفة بوعد بالفور لليهود منذ ان كانت نار الحرب مشتعلة مع الدولة العثمانية خلال عام ١٩١٧ ، ١٩١٨ .

٥ - تهويد اجهزة الحكم :

ولتتم الصورة اصبح هربرت صموئيل حاكما مدنيا لفلسطين واصبحت بذلك الدولة اليهودية في الارض المقدسة موجودة فعلا اذ ان السلطة العليا تنتهي دائما الى هذا المندوب السامي ، وسرعان ما خلق

جهازا يرضي اليهود ، وينفذ اغراضهم .

وماذا يمنع قيام الوطن اليهودي اذا كان الحاكم يهوديا ، يستمد سلطانه من لندن وقواتها العسكرية ، وما هو الاشكال الذي يمكن ان يقف في طريقه ، هل يخشى ان تكون اعماله محتاجة لسند قانوني ، انه يعين المستر نورمان بنتويتش اليهودي سكرتيرا قضائيا(١٤) (نائبا عاما) في حكومة الانتداب ، ويتولى هذا وضع القوانين وسن التشريعات اللازمة لفلسطين ، وتصدر موقعة من هربرت صموئيل المندوب السامي ، وقد سنّت في عهد صموئيل هذا مئات من القوانين التي حدّت من نشاط العرب ، وحمّت اليهود وسهلت هجرتهم ، والتي منعت تصدير الحاصلات العربية ، لتكسب تجارة الشعب العربي ، وليثن الفلاحون العرب تحت وطأة الديون ، وتباع اراضيهم سدادا لتلك الديون .

وفتح ابواب المناصب لليهود برغم قلة عددهم حتى اصبحت اربعة(١٥) اضعاف العرب ، وسلم ادارة المهاجرة لمدير يهودي يدعى « هايمون » ، كما سلم ادارة التجارة لليهودي آخر ولم تبق دائرة الا ويراسها يهودي او يساعد مديرها البريطاني يهودي آخر .

واذا كان هربرت صموئيل قد وضع اللبنة الاولى للتهويد ، فان بريطانيا تنفيذا لذلك المخطط واصلت طوال انتدابها عمل صموئيل المذكور، ويكفي ان نثبت هنا الشكل العام لجهاز الحكم منقولا عن الكتاب الرسمي لحكومة فلسطين الصادر عام ١٩٣٨ ومنه يتضح ان العرب الفلسطينيين كانوا يغالون امكانيات التاريخ في سبيل الحفاظ على وطنهم الذي حكمته فعلا حكومة يهودية فجعلت الاغلبية العظمى من كبار موظفيه يهودا هذه اسماؤهم :

هيئة الحكومة

- ١ - اسحاق ابراهام - المترجم الاول في الحكومة .
- ٢ - انجلو عنيتية - رئيس الكتبة
- ٣ - الكسندر ابشتاين - قائممقام تل ابيب .
- ٤ - جوزيف كوبرمان - قائممقام يافا .
- ٥ - باروخ بينا - القائمقام المالي لحيفا .

(١٤) يقول وايزمان في مذكراته ان بنتويتش هذا كان ممثلا لاتحاد الصهيونيين بلندن ١٩١٦

انظر الوثائق الرئيسية للجامعة ، ص ٩٩ .

(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٧٨ .

(١٢) راجع شكوى الجنرال بولس من اليهود واقصائه عن حكم فلسطين ص ٦٨ من هذا الكتاب .

والثوار(١٦) .

وقد نشرنا في غير هذا المكان الأعضاء الموكل اليهم امور تسوية الاراضي وامور تنفيذها وهي واضحة لا تحتاج الى تعليق(١٧) .
وبينما اخضع صموئيل المدارس العربية لاشرف المفتشين الانجليز ، اطلق لليهود حرية التعليم واستقلال المدارس بعد ان قررت لغتهم العبرية كلفة رسمية مع الانجليزية والعربية في فلسطين .

٦ - اخضاع اقتصاديات فلسطين لليهود :

وتقب صموئيل عن كل اسلوب يهودي لافقار العرب وابعادهم عن الارض ، فادرك ان اكثرية الفلاحين منهم تهتم بالزراعة الموسمية للحبوب او تعنى بالزيتون وانتاج زيتته ، فشجع الفلاحين على الاستدانة من المرابين وهم يعتمدون على الاسعار العالمية الجزية سواء في تجارة القمح او الزيت ، وحين تم ضم المحصولات في الاسواق وعجز الفلاحون الصغار عن سداد الديون ، واقامت حجوزات عديدة بيعت فيها محاصيل الفلاحين الصغار ، ثم بيعت اراضيهم نفسها سدادا لتلك الديون على الطريقة اليهودية العالمية حيث كان صموئيل قد اصدر امرا بمنع تصدير المحصولات فكسدت الائمان .

وحين وضع صموئيل اللبنة الاولى في افقار العرب ، وسلخ اراضيهم ، اخذ يضع اللبنة القوية في تنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصاديا من فلسطين .

والمادة الثالثة عشر من دستور فلسطين ، انما وضعت لصالح اليهود وحدهم ، وقد برهنت كل الاحداث على ذلك ، وكان نصها كما يلي :

« للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الاراضي العمومية او أي معدن او منجم وله ان يأذن باشغال مثل هذه الاراضي بصفة مؤقتة وبالشروط او المدد التي يراها ملائمة ، ويشترط ان تجري كل هبة كهذه

(١٦) شوقي سعد زوج لسيدة فرنسية مما خلق صداقة قوية بينه وبين سفير فرنسا بليبيا أيام ثورة تونس والجزائر ، لم تتركه بريطانيا بفلسطين فأحضرته الى ليبيا بعيد احتلالها عام ١٩٤٤ وتولى مركزا كبيرا في مباحث الشرطة هناك بطرابلس وعاصر في ليبيا حركات الوطنيين في سبيل الاستقلال ١٩٤٤ - ١٩٥١ كما عاصر تحركات الثوار التونسيين والجزائريين ولم يكن الشعب يرى فيه فارقا عن الضباط الانجليز نسوة وشدة وارهابا .

(١٧) راجع صفحة ٢٥٢ - ٢٥٣ من هذا الكتاب .

- ٦ - جاكوب برقمان - قائمقام حيفا ونابلس .
- ٧ - جاكوب كيزلوف - قائمقام منطقة القدس .
- ٨ - ايزكومروف - خلف ابشتاين بتل اييب .
- ٩ - ازفي شمبشي - خلف لكوبرمان بيافا .
- ١٠ - اسحاق شيزك - خلف لبرقمان بحيفا .
- ١١ - ابراهيم برجمان - مساعد قائمقام للعفولة بالجليل .
- ١٢ - دافيد بروتمان - مساعد قضاء الجليل .
- ١٣ - دافيد لبيجار - مساعد طبرية .
- ١٤ - جوشا جوبلرلك - مساعد قائمقام بحيفا .
- ١٥ - هنري كافترفيتش - مساعد محامي الحكومة لشئون الاراضي (وجميع هؤلاء من اليهود) .

دائرة الخزينة

- ١ - داكري هارفي - المساعد الاول لمدير الخزينة .
- ٢ - مستر وولف - مساعد لمدير الخزينة .
- ٣ - ناتاتين ديفيس - مساعد بالخزينة .
- ٤ - نسيم ليفي - مساعد لمدير الخزينة .
- ٥ - دكتور باتون - مراقب البنوك (وليس بين هؤلاء الخمسة اليهود الا ثلاثة من الانجليز) .

دائرة الشرطة (البوليس)

- ١ - كولمان كوهين - مساعد المفتش العام .
 - ٢ - اديري سيلفر - مساعد المفتش العام .
 - ٣ - سلمون شيف - مساعد المفتش العام .
 - ٤ - ناتان كريمير - مساعد المفتش العام .
 - ٥ - سلمون سوفر - مساعد المفتش العام .
 - ٦ - ادولفي ليفز - مساعد المفتش العام .
- وكلهم يهود مساعدون للمفتش العام وكان معهم اكبر الضباط العرب رتبة المدعو شوقي سعد ويجمع المجاهدون الفلسطينيون انهم لم يتلقوا منه اي رحمة او مساعدة بل كان شرطيا صادق النية ضد الثورة

او ايجار وفقا لمرسوم او تشريع او قانون معمول به في فلسطين او سيعمل به فيما بعد ، او وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالتة وختمه او بواسطة الوزير المختص تنفيذا لأحكام صك الانتداب » .

وهذه المادة تفرض على قارئها ان يعود الى المادة الثانية من صك الانتداب التي تنص على ان بريطانيا تتعهد بأن تجعل فلسطين في وضع سياسي واقتصادي واجتماعي صالح لانشاء وطن قومي لليهود(١٨) .

وكانت الخطوات التي اختارها صموئيل لبناء اليهود اقتصاديا وتمكينهم من فلسطين هي تسليمهم الأراضي ، فأقطعهم ٢٠٠ الف دونم في مرج ابن عامر واجلى ٩٠٠ اسرة عربية عن املاكها التاريخية ، وسلط الجيش والبوليس لتنفيذ امر الطرد والاستيلاء .

كما اقطعهم اراضي الكباره وعتليت وتلال قسارية(١٩) في مجموع ١٧٥ الف دونم من اراضي سكنها العرب ، وفلحوها منذ أكثر من الف عام ، بل منذ آلاف السنين وأقطعهم وأجر لهم بايجارات اسمية ، واغتصب من الاراضي العربية بشتى الوسائل والحيل ما سنفضله في موضعه .

وعمد الى المشروعات الهامة فسلمها الى اليهود وحدهم بتسهيلات كبيرة ، وكان من أهمها امتياز الكهرباء المنسوح في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٢١ ويكفي القليل من مواده في استيضاح أهميته وخطورته . فضلا عن ان هذا الامتياز قصد منه تقوية اليهود اقتصاديا بتسليمهم مشروعا مهما للكهرباء وجني الأرباح الكبيرة العائدة من ذلك ، حرص المندوب السامي على ان ينص بصراحة على حق صاحب الامتياز اليهودي في نزع ملكية الأراضي .

واذا ادركنا ان تلك الأراضي كلها عربية ، اما بالتملك او بالاستعمال والاستثمار منذ اجيال بعيدة ، ادركنا المعنى الخفي الذي كان يقصده المندوب السامي حين يشرع ويفتح باب نزع الملكية على اوسع نطاق ويقول :

« تحريرا في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٢١

بين النبيل السير هربرت صموئيل المندوب السامي لفلسطين بمقتضى المنصب الذي تقلده من وكلاء التاج للمستعمرات فريق اول .

وبين بنحاس روتنبرغ من القدس مهندس مدني فريق ثاني .

مادة ٢ : يمنح المندوب السامي بمقتضى منصبه لصاحب هذا الامتياز امتيازاً مطلقاً لمدة ٣٢ سنة من تاريخه ... الخ .

مادة ١٣ : على المندوب السامي بناء على طلب صاحب الامتياز(٢٠) الخطي ، وعلى نفقته ان ينزع ملكية طاحونة جريشه ، واي ملك او ارض او مباني او مرافق مقتضاه لانشاء سد الهدار وبناء القنال ، ومحطة القوة في جريشه ، وبناء طاحونة الدقيق ، والمكاتب والمباني والمستودعات او المنافع ، ويدفع تعويض عادل يتفق عليه مع صاحب الامتياز ، او يقدر وفقا لقانون نزع الملكية الساري اذ ذاك في فلسطين عند عدم الوصول الى اتفاق » .

وهكذا(٢١) وتحت سطوة قانون نزع الملكية الذي انفرد بتنفيذه المندوب السامي اخذ اليهود يستولون بقوة بريطانيا على الأراضي قطعة وراء اخرى ، وكان ذلك القانون يخول للمندوب اغتصاب الاراضي التي يرفض أهلها ثمنها او التخلي عنها وتسليمها الى اصحاب المشروعات .

وحين صدر قانون جديد لامتيازات الكهرباء عام ١٩٢٧ م. في بداية عهد المندوب السامي الجديد اللواء بلومر . تركز اهتمامهم على المياه ، يستعملونها بحرية وينظموها ويستولون عليها ، ولهذا جاءت المادة الثالثة من ذلك القانون تنص على ما يلي :

« يمنح المندوب السامي للشركة امتيازاً مطلقاً باستعمال المياه الآتي ذكرها لمدة ٧٠ سنة من تاريخ هذا العقد :

أ - مياه نهر الأردن وحياضه ، ويشمل ذلك مياه نهر اليرموك وجميع روافد نهر الأردن وحياضه الكائنة تحت اشرافه او مراقبة المندوب السامي الآن ، والتي تكون تحت اشرافه ومراقبته في المستقبل .

ب - مياه نهر الأردن وحياضه وروافده ، ومياه نهر اليرموك وروافده الواقعة خارج حدود البلاد الكائنة تحت اشراف المندوب السامي التي تقرر استعمالها لفلسطين او شرق الأردن او الاثنين معا ، بموجب الاتفاق الانجليزي الفرنسي المعقود في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ او بموجب اي اتفاق آخر لتوليد الكهرباء من تلك المياه ... »

(٢٠) نشرنا هنا ما يتصل بموضوع الاستشهاد تاركين تسلسل المواد .

(٢١) افرا بعض مواد هذا القانون في صفحة ٣٤٧ عند حديثنا عن الاراضي في فلسطين .

(١٨) راجع النص ص

(١٩) القضية الفلسطينية ، ص ٨١ .

ولرغبة بريطانيا في تقوية اليهود ، وانجاح مشروعاتهم جاءت المادتان ٣٥ ، ٣٦ من قانون الكهرباء بالنص التالي :

« مادة ٣٥ : اذا فرضت ضرائب في فلسطين ، ووقعت هذه الضرائب على ارباح الشركة العائدة اليها من الامتياز خلال العشر سنوات الاولى ، فان ارباح الشركة المخصصة للاستهلاك ولهبوط القيمة والامتياز ، تعتبر استيفاء لهذه الضرائب انها من المصاريف وليس من الأرباح حتى تعفى من الضرائب ولا يستوفى في خلال العشر سنوات المذكورة على اية ارباح ربحتها الشركة من المشروع علاوة على المصاريف المنوه عنها ، الا اذا كان المشروع قد اعطى زيادة عن تلك المصاريف مما يكفي في السنة التي استوفيت فيها الضرائب ، وعن كل سنة سابقة للمدة المذكورة لدفع ربح متجمع معدله لا يقل عن ستة في المائة في السنة خالص الضرائب ، على رأس المال المؤلف من الأسهم المتفق عليها . . . واذا فرضت بعد تاريخ هذا الامتياز ضريبة على القوة الكهربائية او ضريبة اضافية . . . يحق للشركة أن تزيد الرسوم التي تتقاضاها من المستهلكين بموجب المادة ٢٢ من هذا الامتياز .

مادة ٣٦ : على الشركة ان تدفع على ما تستورده من الآلات وخلافها من المواد جميع الرسوم التي تستوفى على واردات فلسطين او شرق الأردن على ان يؤجل بناء على طلب الشركة دفع هذه الرسوم . . الى ان تصبح ارباح المشروع بعد تحديد المبالغ المطلوبة للاستهلاك والهبوط والاحتياط بالدرجة الاولى كافية لتمكين الشركة من دفع ربح لا يقل عن ثمانية في المائة بالسنة ، خالص الضرائب على رأس المال المكتتب به ، والموضوع في المشروع ، وقد تدفع الشركة بعدئذ ما تأجل دفعه من الرسوم الجمركية ورسوم الوارد المستحقة عليها ، بأقساط سنوية لا تزيد عن خمسة في المائة من مجموع المبالغ الواجب دفعها من الرسوم الجمركية وغيرها .

على ان امتيازات الكهرباء لم تكن وحدها المشروعات المهمة التي سلمت الى اليهود ، فقد سلمهم اللورد برومر ، وكان ضالعا مع الصهيونيين كسلفه هربرت صمويل حسب شهادة وايزمان نفسه (٢٢) ، امتياز استثمار البحر الميت الذي قدرت كنوزه بأربعة عشر مليار جنيه وحرر ذلك العقد بين المندوب السامي وبين اليهوديين نوفوسكي وطولوخ لمدة ٧٥ عاما (٢٣) . وكانت التقارير تفيد ان ما في البحر الميت من املاح

(٢٢) مذكرات وايزمان ، ص ٤٠٦ .

(٢٣) القضية الفلسطينية ، ص ٧٥ .

البوتاس تقدر بألفي مليون طن ، ومن بروميد المغنسيوم بتسعمائة مليون طن عدا كميات ملح الطعام والفوسفات . واسرعت سلطات الاحتلال الى منح اليهوديين اراضي شاسعة على حدود البحر الميت كما اجرت لهما ٦٤ الف دونم بايجار اسمي ، وسلط الجيش البريطاني والبوليس على الفلاحين يطردونهم من اراضيهم ويمنعونهم حق البقاء بمجرد تغيير المالك او صدور امر الاستيلاء .

وكان صموئيل قد اصدر عفوه عن المساجين اليهود الذين جرموا في الممارك مع العرب ، واخفى تقرير اللجنة البريطانية التي ادانت الصهيونية ، واستمر صموئيل ومن جاء بعده من الحكام يتخذون كل يوم اجراء جديدا لصالح اليهود ، على حين تميز صمويل بأنه كان يحسن لقاء كل وفد عربي يحضر لمقابلته والاحتجاج على التصرفات الخطيرة المتخذة ، وكان يحسن ايضا توديع تلك الوفود واظهار الاحترام لهم .

والصورة الحقيقية لهذه الشخصية لهذه الشخصية الخطيرة التي لعبت اكبر الأدوار في تاريخ النكبة العربية انما يرسمها زعيم الصهيونية الأكبر وايزمان حين يقول : « ان صموئيل نتاج يهوديتنا ، ونحن الذين عيناه مندوبا ساميا ، انا المسئول عن تعيين سير هربرت صموئيل في فلسطين ، ان صموئيل هو صديقنا ، ولم يقبل ان يقوم بهذه المهمة العسيرة الا نزولا عند رغبتنا ، نحن حملناه هذه الاعباء ، ان صموئيل هذا هو صموئيلنا (٢٤) » .

٦ - اشتداد وطأة الاضطرابات :

هكذا وجد الشعب العربي الفلسطيني نفسه محاطا بالاعداء ، وراى ان التخطيط الانجليزي الصهيوني يقفل جميع الجوانب التي يمكن ان يسلكها في سبيل المحافظة على وطنه ، وان القوة التي امامه ليست عادية ولا سهلة .

وبينما كان صموئيل ينفذ برنامجه الخطير هذا ، كان الحكم العربي يهوي في سوريا ، وكانت فرنسا تمرغ وجه العرب في التراب ، وكان فيصل يفادر البلاد طريدا بلا مجد ولا تاج .

ان بريطانيا لم تدخل فلسطين غازية لها حتى يلام العرب على عدم

(٢٤) قضية فلسطين ، ص ٧٦ .

وانظر ايضا :

مقاتلتها منذ اول يوم ، فهي لم تسلك السبيل الذي سلكته في احتلال مصر ، حين خشيت استفحال الروح الوطنية ، وصممت على تحطيم الجيش المصري واخماد تلك الجذوة الحرة التي اشعلها البطل عرابي ، وهي ايضا لم تسلك مسلك ايطاليا حين احتلت ليبيا فهاجمتها في سنة ١٩١١ واطلقت عليها سيل قنابلها ، فهض أهل الوطن يحاربونها ويعادونها، وايضا لم تسلك مسلك فرنسا في احتلال تونس والجزائر والمغرب غازية معادية .

انها لم تفعل شيئا من ذلك ، بل جاءت مسالة متظاهرة بصدقة العرب والتحالف معهم ، ورمت المنشورات فوق اراضي فلسطين تليفهم انها تعاهدت مع الشريف حسين لتوحيد الأمة العربية واعادة مجدها(٢٥) .

لهذه الاعتبارات بقي الشعب الفلسطيني السنوات الاولى بعد الاحتلال وهو يواجهها بفيض من الاحتجاجات التي صاحبها مرارا مضاعفات جانبية حدثت حيناً وحيناً .

وفي الثامن والعشرين من مارس (آذار) ١٩٢١ وقف في القدس ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني يمجّد قتل الصليبيين والياكبيين اليهود ، فتظاهر العرب ضد خطابه هذا منددين بالخيانة البريطانية للعرب ، هاتفين بسقوط بالفور ووعده وحكومته ، ولكن الجنود البريطانيون يطلقون رصاصهم فيسقط عديد من صرعى العرب ، وتحول فلسطين الى بلدهائج ضد الوطن اليهودي لا يعرف الهدوء ولا السكون(٢٦) .

ولكن تشرشل يمضي في صهيونيته ، فيشارك اليهود غرس نخلة في مكان انشاء الجامعة العبرية ، ويأمل أن تكون هذه الشجرة في نموها رمزا الى مجهودات الحركة الصهيونية .

وكممت افواه العرب في فلسطين ، بل كمت خارج فلسطين ، والمراجع لمجموعات الصحف العربية القديمة لا يجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الأخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين .

وفي مناسبة مفتنمة نشرت جريدة الأهرام(٢٧) خطابا مفتوحا الى تشرشل موقعا من مجهول باسم فلسطيني صميم ، يلقي ضوئا على احوال فلسطين في تلك البرهة المهمة من التاريخ ، ويبدأ ذلك الخطاب المهم

بالاشارة الى تلك الاراضي الخصبة التي باعها اناس غير فلسطينيين ويسميه آل سرسق ، والى أن الجند طردوا الفلسطينيين من تلك الاراضي عنوة وبالقوة ، وسلموها الى اليهود برغم عظم مساحتها وعديد قراها ، ويضيف :

« ومع أن تصدير الحاصلات هو المورد الطبيعي للبلاد ، فقد وضعوا امامه العوائق السنة تلو السنة برغم وفرة المحصول ، فهبطت الاسعار ، وضاعت قيمة الاراضي الزراعية ، وزاد الأهالي فقرا على فقرهم ، مما مكن اليهود من شراء الاراضي بدرهيمات معدودة .

وكان في البلاد على العهد التركي بنك زراعي ، وقام اليهود وقعدوا لعودته ، ثم استصدروا امرا من لندن باغلاقه فأغلق ، ودهش الناس لجراتهم وابتوا يحسبون لمستقبلهم الف حساب . ان الحكومة تصرف ملايين الجنيهات لتحسين مزارع اليهود ، ومد السكك الحديدية الى مزارعهم ومستعمراتهم ، ويضنون من جهة أخرى على نشر التعليم في البلاد ، يقولون للصحافة انك حرة ، ثم يرسلون لاصحابها الانذار تلو الانذار ، يحذرونهم من نشر ما لا يطيب لهم نشره من انتقاد او احتجاج او بيان شعور الأمة ، يصدرن القانون تلو القانون دون استشارة احد ، حافظين لانفسهم السلطة المطلقة في التغيير والتبديل .

فأصبح الناس غير واثقين ممن كان يدعي صداقتهم وتحريرهم من نير جمال باشا فصدقوه ، فهل من القرابة والحالة هذه أن يصمم الفلسطينيون عامة التصميم الأكبر على مقاومة سياسة ترمي الى الحصول منهم على الرضى بوعد لو قبلوه لجنوا على الوطن جناية كبرى » .

ذهبت جميع احتجاجات العرب وتحركاتهم ادراج الرياح ، لم تهتم بريطانيا بتلك الاضطرابات التي حدثت في القدس عام ١٩٢٠ اثناء الاحتفال بعيد النبي موسى ، ولم تهتم بأحداث بيسان في أواخر ابريل (نيسان) من نفس العام ، واشتعلت النار بين العرب واليهود بيافا في مايو (ايار) ١٩٢١ ، حيث اصدرت السلطات البريطانية بلاغا رسميا ، ذكرت فيه ان اليهود خسروا ٣٠ قتيلاً و ١٤٣ جريحا بينما خسر العرب ١٠ من القتلى و ٢٧ جريحا .

واستمر الندوب السامي في طريقه المرسوم ، فقد اصدر امرا خلال ابريل (نيسان) عام ١٩٢١ بتسليم اراضي الفور للصهيونيين ، وكان هذا الفور مسجلا باسم السلطان عبد الحميد اثناء العهد العثماني ، يفلحه العرب ويعمرونه ، ويملك من يستصلح ويستقر ، وما كاد الندوب

- ٥٢) بحوث مؤتمر المائدة المستديرة بلندن ١٩٢٩ .
- ٢٦) جريدة الأهرام ٢٩ من مارس ١٩٢١ .
- ٢٧) جريدة الأهرام العدد ١١ من مارس ١٩٢١ .

السامي يستقر في فلسطين حتى اعلن ان الحكومة اقطعت الجمعيات الصهيونية هذا الغور لزراعته والانتفاع به ، ويقضي هذا بطرد الآلاف من الفلاحين العرب الذين توارثوا زراعته منذ مئات السنين ، وقامت المظاهرات العربية في كل مكان تعلن سخطها واستنكارها(٢٨) .

وبينما كان المندوب السامي يزور بيسان في ١٤ من ابريل (نيسان) ١٩٢١ خطب امامه الشاب العربي جبران كيخريا معلنا ان المندوب ينفذ اجراءات التهويد في فلسطين العربية ، ورد صموئيل ان الارض ملك للحكومة وتدخل الأمير بشير الحسن من رؤساء القبائل معلنا ان الاراضي ملك للعرب واجدادهم ، وان الهجرة اليهودية تمكن لليهود كي يصبحوا اغلبية ، وينفذوا وعد بالفور بمساعدة الانجليز ، وطالب الشاب العربي جبران الانجليز ان تطبق المادة ٢٢ من صك عصبة الأمم ويستفتى السكان، وحينئذ سوف يتضح اذا كانت حكومة الانتداب هذه شرعية او غير شرعية(٢٩) .

وانتشرت الاضطرابات ، فوصلت الناصرة وحيفا وطبريا والجليل ونابلس ، واصدر المندوب امره ، فالقي القبض على مئات من الشبان العرب ، وبينهم الشاب جبران الذي صرخ في وجه المندوب السامي في احتفال بيسان ، وطالب باستفتاء الشعب لاطهار تزوير الانتداب وعدم شرعيته .

٨ - وحدة المسلمين والمسيحيين في فلسطين :

وتجمع العرب من كل مكان ، واتحد المسلمون والمسيحيون ، وادرك الجميع الخطر الذي يبيت لبلادهم ، فلم تكن وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية ، العرب المسيحيين عن شعورهم بالوطنية والاخاء العربي ، واصدرت لجنة المؤتمر الاسلامي المسيحي الفلسطيني بيانا للشعب ، ضمنته احتجاجها الذي ارسلته الى دول عديدة بالاضافة الى ملك الانجليز ومختلف مجالسهم ، واستشهد هذا البيان بالتقرير الذي وضعت له لجنة هايكرت عن حوادث يافا ، وطالب بوقف الهجرة اليهودية .

واذا كنا قد قدمنا الدليل تلو الدليل في بداية بحثنا عن التحالف الصهيوني العالمي مع الصليبية الاستعمارية ، فانه من صدق القول ان

تقرر ان المسيحيين العرب كانوا شركاء لآخوانهم المسلمين في الجهاد وفي النكبة ، وكانوا اعضاء عاملين في كل تحرك عربي هناك ، على ان هذا لم يكن جديدا ، فقد حفظ لنا التاريخ تلك المعاملة الكريمة الحادبة التي سنها الخليفة العادل عمر بن الخطاب في معاملة المسيحيين بعد فتح القدس ، وحفظ لنا التاريخ ايضا ان كثيرين من المسيحيين العرب تعاونوا مع البطل صلاح الدين ، وكان بعضهم يتولى مناصب مأمورية الاغاثة (التموين) ودوائر المال ، بل ان موقف المسيحيين العرب حين حاصر الصليبيون عكا ، كان ابلغ في وحدة شعورهم بوحدة المصير مع المسلمين ، اذ كان البحارة من مسيحيي بيروت يلبسون البسة الافرنج الصليبيين ويحملون الغداء لمعونة عكا المحاصرة من الصليبيين(٣٠) ، واثناء النضال ضد الانتداب كان المسيحيون العرب يسيرون في نفس الصف الذي يسير فيه المجاهدون العرب المسلمون ، بل ان ذلك البطل الذي نسف الوكالة اليهودية في حادث تاريخي معروف كان مسيحيا من شباب القدس .

٩ - اللجنة البريطانية الاولى :

كانت لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني ، اول لجنة بريطانية تشكل للبحث في اسباب اضطراب فلسطين ، وقد رحب الشعب العربي للوهلة الاولى باهتمام الحكام وتأليف لجنة تبحث اسباب الاضطراب ، ولكن ظهر مع مرور الزمن ان سياسة اللجان سياسة بريطانية ، يقصد منها تخدير الشعب ، ثم يصرف النظر عن تقريرها كلما كان ذلك في صالح العرب ، وانا لنقتبس بعض الفقرات من تقرير هذه اللجنة مما يتصل بموضوع هذا البحث :

« الشغب الحقيقي الذي نبحث عنه ، ليس شغبا اعتياديا لانه دام عدة ايام ، وهو يقع كلما تقابلت جماعات المسلمين مع جماعات من اليهود ، وقد ازداد يوما بعد يوم ، الى ان عم قضاء يافا باجمعه ، وهوجمت المستعمرات اليهودية القريبة من يافا بشدة زائدة ... »

ولا شك ان العداء لليهود كان متأصلا في نفوس جميع الوطنيين بصورة لا تقبل الجدل ، وقد ظهر لنا ان الوطنيين ينفرون من الحكومة لاتباعها سياسة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ... وانتشر الاعتقاد في البلاد من اولها لآخرها بان الحكومة عرضة لضغط الصهيونيين عليها ، وهي لذلك تتحيز لليهود وتساعدهم في جميع اعمالهم ومقاصدهم بالرغم

(٢٨) جريدة الاهرام ١٥ من ابريل ١٩٢١ .

(٢٩) جريدة الاهرام ٢ من مايو ١٩٢١ .

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٦ .

من كونهم اقلية قليلة ، وقد اكد لنا الكثيرون وتأكدنا بأنفسنا انه لولا وجود القضية اليهودية في فلسطين لما لاقت الحكومة اقل صعوبة في ادارة الشؤون المحلية ، ونعتقد ان كره العرب للبريطانيين نشأ عن مساعدة الحكومة للسياسة الصهيونية . ثم قال تقرير اللجنة :

« لو ظل اليهود اقلية كما كانوا ايام الترك ، وحافظوا على ادبهم واعتدالهم لما عكر صفو عيشهم أحد ، لكن العرب لما راوا ان اليهود اصبحوا اصحاب الكلمة النافذة عند الحكومة ، تقموا عليهم واضمروا لهم الشر ، وابتدوا ينتظرون اول حركة تبدو منهم ليهيجوا عليهم الرأي العام ، وقد ابدوا هذا الشعور مرارا عديدة بانتهاك حرمة كثير من اعيان اليهود واهانتهم شر اهانة » .

وقد نشرت اللجنة ظلامات يشكو منها العرب ، وتسببت في ثورتهم عام ١٩٢١ وانها لظلامات توضح الموقف العربي في ذلك الوقت ، ومقدار الأثقال التي وضعتها السلطات البريطانية على الشعب العربي في فلسطين ، ونورد بعضها كما جاءت بنصها الرسمي في تقرير قاضي القضاة البريطاني : ان المظالم التي يشكو منها العرب والتي كان لها دخل عظيم في المشاغبات هي :

١ - لان بريطانيا العظمى اسست الحكومة الفلسطينية بحسب رغائب الصهيونيين ، واتبعت سياسة انشاء الوطن القومي ، ولم تراع منافع سكان فلسطين الأصليين .

٢ - لان الحكومة الفلسطينية استعانت بصورة رسمية بتأييد لهذه السياسة بلجنة صهيونية تساعدها في اعمالها ، فما كان من هذه اللجنة الا انها الفت حكومة ثانية في قلب الحكومة الفلسطينية واخذت تعنى بمصالح اليهود ، وتهمل مصالح الوطنيين .

٣ - لان عدد الموظفين اليهود كثير بالنسبة الى عددهم .

٤ - لان برنامج الصهيونيين يقول بلزوم افحام فلسطين بأناس اقدر وامهر من العرب في تعاطي التجارة والصناعة قصد الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من ايدي ابنائها .

٥ - لان قدوم المهاجرين خطر على اهل البلاد وعلى اقتصادياتهم .

ثم يستأنف قاضي القضاة البريطاني تقريره الذي نستطيع ان نأخذ منه صورة واضحة لوضع العرب في فلسطين ، رسمها بريطاني وكل اليه

ان يدرس وان يقول :

« كان لتدخل اللجنة الصهيونية في سن القوانين وتعيين الموظفين واعادة المأمورين المعزولين الى وظائفهم وقع سيء في نفوس العرب ... »

صدقنا الظلامات بعد سماع معتدلي اليهود ، ولم تمر لجننتنا اذنا صاغية ، ولا اهتمت بمثل هذه الأقوال ، ولا علمت مقدارها عند الصهيونيين ، فلما تقابلت وتباحثت مع الدكتور ايدر الرئيس العام للجنة الصهيونية الذي كان معتدلا بالنسبة الى غيره ، والذي لا يرغب في نشر افكار تهيج العرب ، سئل الدكتور « ايدر » عن بعض الأمور المهمة ، اجاب عليها بحرية زائدة واطهر آمال الصهيونيين بجرأة وقال :

« انه لا يمكن الا ايجاد وطن قومي واحد في فلسطين ، وهو الوطن القومي اليهودي ، ولا يمكن المساواة بالحقوق بين العرب واليهود ، بل يجب ان يتغلب اليهود على العرب متى تكاثر عددهم » .

وابى ان يعترف او يقبل عبارة « ان يكون لليهود سلطة او سلطان قومي » ، ووضع عوضا عنها عبارة « ان يكون حق التسلط والتغلب » وقال ايضا بصريح العبارة : « يجب ان يسمح لليهود لا العرب بحمل السلاح » وأكد ان تسليح اليهود يحسن العلاقات بينهم وبين العرب ، وقال ايضا : « يجب ان يسمح للهيئة الصهيونية ان تعترض على الحكومة ، وان تقدم اليها أسماء الذين ترغب في ترشيحهم لمنصب المندوب السامي ، فتنتخب الحكومة منهم واحدا (٣١) » .

ثم اخذ رئيس اللجنة وهو قاضي القضاة البريطاني يقدم نصائحه ، فاقترح ان يجتمع وجوه العرب واليهود ، بشرط ان يعطي العرب عهدا مسبقا بموافقتهم على تصريح بالفور ، وان يعترف اليهود بأنهم قادمون لانشاء وطن وسط ارض مليئة بالعرب .

وعلى الرغم مما حواه هذا التقرير من عبارات واضحة تكشف نوايا الصهيونية كشفا لا لبس فيه ، اعلنه امام اللجنة الدكتور ايدر الرئيس العام للجنة الصهيونية ، وهو الذي وصفته اللجنة بأنه أكثر اعتدالا بالنسبة الى غيره ، وعلى الرغم من ظلامات العرب التي تأيدت لدى اللجنة ، بعد ان قابلت الصهيونيين وسمعت منهم ، على الرغم من كل هذا ، لم يكن لتقرير اللجنة اي تأثير في سير الأمور لدى المندوب السامي وسياسة

حكومته ، بل لقد استمر حكم اللجنة الصهيونية كما لو كان تحقيق اللجنة قد اوضح ظلمات اليهود ، وانه لا وجود للعرب .

ولم يجد المندوب السامي غضاضة في ان يرسل جنوده الى ميناء يافا حيث تجمع العرب لمنع المهاجرين اليهود من النزول ، وأن يعلن الأحكام العرفية ويطلق رصاصه ، فيقتل عددا من اهل البلاد الشرعيين في سبيل ادخال اغراب ، هدفهم تملك البلد وتشريد اهله ، وحين تظاهر العرب في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢١ لمناسبة ذكرى وعد بالفور نشب قتال عنيف في طريق يافا - القدس ، قتل وجرح خلاله اربعون من العرب واليهود ، كل ذلك يحدث ولم يجف بعد المداد الذي سطر به تقرير لجنة قاضي القضاة ، والذي كان مفروضا ان لجنته عينت لتستكشف اسباب الاضطراب الاولى ، وعلى ضوء تقريرها يحدد العلاج ويرسم المنهج السليم .

الاغتصاب... وحكم الغاب

« تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل فلسطين في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي » .

المادة الثانية من صك الانتداب ١٩٢٢

« على حكومة فلسطين ان تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة » .

المادة السادسة من صك الانتداب

« من الضروري ان يعلم الشعب اليهودي ان وجوده في فلسطين هو حق وليس منة » .

تشرشل في كتابه الابيض ١٩٢٢

« يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به الظروف وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة » .

المادة ٤٦ ف ٣ من دستور فلسطين

البريطاني ١٩٢٢

« بما ان الشرع الاسلامي خول السلطان صلاحية تحويل الاراضي المري الى اراضي الملك فانه من المناسب تحويل المندوب السامي هذه الصلاحية » .

مادة اضافية بدستور فلسطين ١٩٢٢

« ومن الذي اعطى فلسطين لليهود غير الانجليز الذين كانوا قائمين بالانتداب وتركوا فلسطين لياخذها اليهود » .

جمال عبد الناصر

٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٦٢

« أصبح اله التوراة الها انجليزيا .. وقد وضع هذا الاله لشعبه اخلاقا وقوانين تقرر ان المنفعة الانجليزية وحدها هي مقياس الخير والشر » .

غوستاف لوبون

روح التربية ترجمة د . طه حسين

ضاعت فلسطين لا بالسيف من يدنا لكن باصبع غدار ومنسحب قد فرقنا وما زالت تفرقنا عدوة الشرق والاسلام والعرب

الشاعر الليبي احمد رفيق المهدي

وفي عام ١٩٤٩ وبعد انهزام الدول العربية السبع نشر وايزمان مذكراته فقال « ان اليهودي الاميركي بنيامين كوهين كان يتولى مع سكرتير اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية وضع صك الانتداب والاتفاق على نصوصه » .

وهكذا يتضح كذب السياسة البريطانية ، وسلوكها مسلك الخداع والمغالطة في جميع مراحلها .

٣ - نظرات ونصوص في صك الانتداب على فلسطين :

« لما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا في ٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ ، وصادقت عليه الدول المذكورة ، بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي ، مع البيان الجلي بأن لا يفعل شيء بغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى .

ولما كان ذلك اعترافا بالصلة التاريخية التي تصل الشعب اليهودي بفلسطين ، والبواعث التي تبعث اعادة انشاء وطنهم القومي في تلك البلاد ، ولما كانت دول الحلفاء اختارت الحكومة البريطانية لتكون الدولة المنتدبة لفلسطين .

ولما كانت الحكومة البريطانية قد قبلت الانتداب على فلسطين ، وتعهدت بتنفيذه بالنيابة عن جمعية الامم طبقا للنصوص والشروط التالية :

مادة ٢ : تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، كما جاء في ديباجة هذا الصك ، وترقية أنظمة الحكم الذاتي ، وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين، بقطع النظر عن الاجناس والاديان .

مادة ٤ : يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية ، لتشر وتعاون في ادارة فلسطين في الامور الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك ، مما يؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وتساعد وتشارك في ترقية البلاد تحت سيطرة حكومتها . ويعترف بأن الجمعية الصهيونية هي هذه الهيئة المنصوص عنها فيما تقدم ، ما دامت الدولة المنتدبة ترى ان نظامها وتأييها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ، وعلى الجمعية الصهيونية ان تتخذ ما يلزم من التدابير بعد

فصل الرابع

صُور من تَامُر الاستعمار والصّهْيونية

على فلسطين

١ - الصهيونية العالمية تضع صك الانتداب :

لم يكن الامر في حاجة الى لجنة او الى تحقيق ، فان الاهداف المشتركة لدى الصهيونية وبريطانيا كانت قد نجحت في جعل الانتداب البريطاني على فلسطين وثيقة مهمة تستهدف تهويد فلسطين ، وتحمل هذه الوثيقة توقيعات الدول اعضاء عصبة الامم .

ولقد جاء صك الانتداب يحمل في ظاهره صورة المستند الصادر من جمعية الامم الملتزمة به بريطانيا ، كما لو كانت هي بعيدة عن وضعه ومجبرة على تنفيذه ، ولكن الأيام اثبتت عكس ذلك تماما .

فبينما كان الوفد الفلسطيني العربي مجتمعاً برئيس الوزارة البريطانية في مايو (ايار) عام ١٩٣٠ حدثت مناقشة بين هذا الرئيس وبين المفتي امين الحسيني الذي حمل على صك الانتداب ، واصفا له بأنه صك متحيز لصالح اليهود وحدهم ، وضار بمستقبل العرب اهل البلاد الاصليين ، فأجاب رئيس الوزارة البريطانية « ان عصبة الامم هي التي وضعت صك الانتداب وان بريطانيا ملزمة بذلك » .

وفي شهر يونيو (حزيران) سافر المفتي الى جنيف وقابل اريك دراموند السكرتير العام لجمعية الامم وكان بريطانيا ، وبحث موضوع صك الانتداب بحضور الامير شكيب ارسلان والسيد احسان الجابري ، وقد نفى السكرتير العام ما صرح به الرئيس البريطاني قائلا « ان الجمعية لم تضع صك الانتداب ، بل ان الحكومة البريطانية هي التي وضعت بالتفاهم مع اليهود (١) » .

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٧ .

استشارة الحكومة البريطانية للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي .

مادة ٦ : على حكومة فلسطين - مع كفالة عدم الحاق الضرر بحقوق جميع طوائف الأهالي - أن تسهل هجرة اليهود الى فلسطين في احوال مناسبة ، وتنشط بالاتفاق مع الهيئة اليهودية استقرار اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات المطلوبة للأعمال العمومية .

مادة ٧ : يترتب على حكومة فلسطين ان تسن قانونا للجنسية ، يتضمن نصوصا بتسهيل حصول اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاما دائما لهم على الرعية الفلسطينية .

اذن استطاعت الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية ان تفرض بريطانيا لتكون هي الدولة المنتدبة في فلسطين ، وأعطتها في صك الانتداب حدودا اتفقوا جميعا عليها ، وهي أن تكون مسؤولة عن جعل فلسطين في احوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

ولعل هذه المادة تحمل من الوضوح ما لا يحتاج الى تفسير طويل ، ولا يكون ايجازه الا جعل فلسطين من الناحية السياسية وطنا يهوديا يضم شعبا ثقافته يهودية وجهازه يهودي ، ونفوذه يهودي ، والا جعلها من الناحية الادارية أيضا وطنا يهوديا بحيث تكون ادارته غنية باليهود ودوائره مليئة بهم ، فيعطون من المناصب اعلاها ، ومن الرتب اقواها واحلاها . والا جعلها من الناحية الاقتصادية وطنا يهوديا ، فتسهل بريطانيا لليهود كل عمل اقتصادي يقوي من ثروتهم ، ويبني مشروعاتهم ، ويساعد في فتح بنوكهم اليهودية ، وتمطيهم امتياز الكهرباء ، وتوزع عليهم البذور مجانا .

والى جانب هذه الخطوات الهامة ، لا تنسى بريطانيا أن تضع العراقيل في وجه كل تقدم للعرب ، فتحرمهم من البنوك الزراعية ، وتحارب بقوانينها تقدمهم الاقتصادي ، وتعمد افقارهم ، وتحارب بمختلف الاساليب كيانهم القومي او محاولة بنائه .

وفوق هذا نجد اللغة العبرية لغة رسمية ، والمدارس اليهودية حرة لا سلطان عليها الا للجنة اليهودية ، ولتكن كما وصفها تشرشل في كتابه الأبيض :

« فهذه الطائفة سكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ولغتها الخاصة ، وعوائلها ، وطرق معيشتها الخاصة ، لها في الحقيقة مميزات توسعية ، وحتى يكون للطائفة اليهودية

عمل وطيء في تقدمها الحر ، ويفسح للشعب اليهودي مجال واف ، لكي يظهر فيه مقدرته ، كان من الضروري أن يعلم أن وجوده في فلسطين هو حق وليس منة (٢) » .

وتلك الاجراءات السياسية التي لا بد من اتخاذها طبقا لصك الانتداب ، تقتضي بالنسبة للعرب العكس تماما ، فلا شيء لهم من الناحية السياسية ، ومدارسهم يجب ان تخضع للحكومة ، حتى تبعد بينهم وبين مجالهم الطبيعي للعلم ، وحتى تقف دون رغباتهم وذكايتهم في التحصيل . ولا بد ان تبعدهم عن الجهاز المهم في الميدان السياسي ، حتى تظهر فلسطين بمظهر يهودي اكثر مما هي عربية .

وهذه الاجراءات الادارية تقتضي تركيز اليهود في المناصب المهمة ، وتكثر من عددهم النسبي في الدوائر المختلفة ، وقد أسرعت بريطانيا في تنفيذ ذلك ، فلم يمض شهر يونيو (حزيران) ١٩٢١ حتى كانت نسبة الموظفين اليهود تقارب الثلث ، على حين لم يصل عددهم بالمهاجرين المفروضين ثمانين الفا ، فاذا اضيف اليهم عدد الموظفين البريطانيين واليهود البريطانيين كذلك ، وما يلحق بهم من نفوذ وسلطان ، تم المظهر المطلوب من جعل فلسطين في احوال ادارية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، بل لم تمض سنة ١٩٢٥ في ظل حكم هربرت صموئيل حتى كان عدد الموظفين من اليهود والعرب في حكومة فلسطين ٦٧٨ يهوديا و ٦٣٢ مسلما (٣) .

وهكذا دخلت بريطانيا فلسطين وهي متمنقة بهذا الصك الخطير للانتداب ، الذي تقمص بالفور ووعده في كل بند من بنوده ، والذي حور وعد بالفور من وعد بريطاني الى صك عالمي .

وكما في وعد بالفور لا يوجد في صك الانتداب اي ضمان للعرب مسلميه ومسيحييه من اهل فلسطين ، الا ضمان حقوقهم المدنية والدينية ، وهي حقوق مكفولة لكل اجنبي منح الاقامة في بلد ما ، فكان اهل البلاد هم الاجانب الوافدون ، وكان اليهود المستجلبين هم اهل البلاد الشرعيون ، فلا يهتم الانتداب الا باليهود ينميهم اقتصاديا ، ويقويهم اداريا ، ويكونهم سياسيا .

والحق انه انتداب غريب ، يتضمن جريمة عالمية ، ويفرض على وطن

(٢) من الكتاب الأبيض الذي أصدره تشرشل عام ١٩٢٢ .

(٣) رد وزير المستعمرات أورميس في مجلس العموم ، جريدة الاهرام ١٦ يونيو ١٩٢٥ .

ماهول بسكان تاريخيين يساعد على طردهم ، وابدانهم ، واحلال غيرهم من الغرباء محلهم ، وهو يفعل ذلك بجميع الوسائل ومختلف الحيل والاساليب .

وماذا ابقى لسكان فلسطين الآخرين وهم الاغلبية الساحقة ، بل هم كل ساكنيها ؟

ما هي تلك الحقوق التي نص صك الانتداب على عدم المساس بها ما دام قد احتكر التهيئة السياسية والادارية والاقتصادية ، واعتبرها اركاننا لقيام وطن يهودي ؟

ماذا ابقى للأغلبية الا ما نص عليه من الحقوق المدنية والدينية ، بحيث لا يمنع السكان من ارتياد المساجد والكنائس ومن حقهم في اخذ رخص لقيادة السيارات مثلا ، وفتح المتاجر ومزاولة العمل اذا وجدوا عملا ، والمرور في الشوارع ، والجلوس على المقاهي ، ومثل هذه الاشياء مما يدخل ضمن الحقوق المدنية ، وهي حقوق تصطدم دائما مع آمال اهل فلسطين فانها تمارس ضمن الاطار العام لمخطط النكبة في وعد بالفور وصك الانتداب ، وبالتالي فهي تقف عند الحدود التي لا تمس هذا الوعد وذلك الصك ؟

ولم يتنع واضعو صك الانتداب بكل هذا ، بل هم اجرا على الحق واشجع ، فنص المادة الرابعة على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتعاون في جميع الامور التي لها علاقة بالوطن القومي اليهودي ، وبذلك ضمنت بريطانيا ورضيت لتاريخها ان تكون الدولة اليهودية موجودة فعلا منذ اعلان الانتداب ، ولم تكن هذه الجمعية الصهيونية الا الحكومة الفعلية المسيطرة والمهيمنة والامرة والناحية في جهاز المندوب السامي ، الذي جاء ليشراف على سحق العرب وخلق دولة يهودية ، وهذه اللجنة الصهيونية التي يعترف بها صك الانتداب هي التي اشار اليها تحقيق قاضي القضاة البريطاني وقال :

« ان رئيسها لا يرغب في نشر افكار تثير العرب ، وطالب فقط بتسليح اليهود وحدهم ، وان يكون لهم حق التسلط والتغلب ، وان تكون فلسطين وطنا لليهود وحدهم(٤) » .

بل ان هذه المادة تنص بصراحة على انه يجب على الجمعية ان تتخذ

(٤) راجع النص في ص ٨٤ من هذا الكتاب .

ما يلزم للحصول على معونة الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن القومي اليهودي ، وهي بذلك تكون قد نصبت منذ اول يوم في منصب من يفكر ويعمل ، اي من يشرع وينفذ في اي اجراء تراه لازما لمعونة اللذين يحتاجون هذه المساعدة في سبيل وطن اليهود الموعد .

ولعل ذلك المستشار القانوني في ادارة الانتداب ، والذي كان من اكبر الصهيونيين البريطانيين المدعو بنتويتش كان يتفهم هذه المادة وهو يشرع كل يوم قانونا صالحا لليهود وضارا للعرب ، فاغتصاب الاراضي العربية هو عمل يدخل ضمن المعونة اللذين يبغون المساعدة من اليهود . والاستحواذ على المزارع التي كان المزارعون العرب يعمرونها منذ العصر التركي في الاراضي المملوكة للدولة هو عمل يدخل ضمن تلك المعونة لصالح اليهود ، وتسهيل تحويل الاموال للملاك من السوريين واللبنانيين اللذين اغرتهم الصهيونية ، او يسوا من البقاء في فلسطين ، ومنع المزارعين العرب من تصدير حاصلاتهم استهدافا لافلاسهم واقعاعهم تحت طائلة الديون والقروض ، وحرمان العمال العرب من العمل بالمزارع اليهودية . وانشاء الطرق ومد السكك الحديدية الى جوار المستعمرات اليهودية . وتجاهل القرى العربية وحرمانها من المعونات الحكومية ، بل وتسليح اليهود تسليحا رسميا وعلنيا ، بحجة الدفاع عن المستعمرات ، وتحريب السلاح على العرب تحريبا كاملا والمعاقبة على حيازته وبأشد العقوبات ، كل هذه الاعمال تدخل ايضا ضمن تلك المعونة التي نص عليها صك الانتداب لصالح انشاء الوطن القومي اليهودي ، بالاضافة الى المساعدة المادية التي تنادي ارباب المال من يهود العالم لتقديمها الى جمعياتهم وهيئاتهم في فلسطين .

والان وقد ضمن صك الانتداب جعل فلسطين في وضع سياسي واداري واقتصادي يكفل انشاء الوطن القومي اليهودي ، ونص على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة تشير وتنفذ في كل ما يتصل بالوطن اليهودي ، لم يبق لسك المؤامرة الا ان يخلق الشعب الذي لا بد منه ليلبس جلباب بريطانيا الذي خاطته ، وليقف مؤتزرا به وسط الامة العربية وفي صميم ديارها .

فنص المادة السادسة بوجود تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، وان يستقروا في الاراضي الاميرية والاراضي البور .

وقد جعلت هذه المادة اليهود المهاجرين من نوع خاص ، وانهم لمهاجرون ترعاهم الدولة باسم الانتداب ، وتسكنهم في اراضي مملوكة للغير .

ولقد جاء قانون المهاجرة البريطاني الذي وضع لتسهيل هجرة اليهود

الى فلسطين قانونا يبيح ولا يمنع ، قانونا يفتح لهم كل باب ، ويسهل لهم كل صعب ، ويقدم لهم كل عون .

٣ - بريطانيا تصدر دستورا لفلسطين لدعم اليهود :

وإذا كنا تحدثنا فيما سبق عن صك الانتداب وكيف تحالفت بريطانيا على صوغه وادعت أنها ملتزمة به فكان صكا يهوديا لا يستهدف الا تهويد فلسطين العربية ، اذا كنا قد اوضحنا ذلك فان هناك فرية بريطانية أخرى لا تقل جريمة عن صك الانتداب ، بل لا تقل شناعة عن وعد بالفور ومعاهدة سايكس - بيكو ، ونعني بتلك الجريمة البريطانية التاريخية ما سبق ان سمي بدستور فلسطين ذلك الذي صدر ونشر خلال أغسطس (آب) ١٩٢٢ (٥) .

وإذا كانت دساتير الامم العديدة ، قد عرفت على الدوام بأن الدستور هو قانون القوانين ، يحوى المبادئ العامة ، ويهتم بوصف الدولة وكيانها والحقوق الانسانية المقررة ، وما يجب مراعاته من حقوق وواجبات للحاكم والمحكوم ، اذا كانت هذه هي الدساتير لدى جميع الامم وفي كل البلدان ، فان ما أسمته بريطانيا دستور فلسطين كان شيئا غير ذلك تماما ، كان قانونا قاسيا للعقوبات ، وكان لائحة ممتدة من صك الانتداب لتنظيم عملية التهويد ، وكان اطلاقا لليد الحمراء الرسمية تعمل كل ما يبدو لها من اجرام في سبيل التهويد دون رادع من دستور أو خوف من قانون ، بل في حماية دستور لا يلتزم بالعدالة في معناها المتوارث . وهذه بعض مواد ذلك الدستور الفريد :

مرسوم دستور فلسطين

« صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم الرابع عشر من اغسطس (آب) ١٩٢٢ الحضور : صاحب الجلالة الملك ، رئيس الامناء الوزير شورت ، اللورد ستامورث هام ، المستر ماكراي .

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على ان يعهد بادارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها من اجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم .

(٥) مجموعة النشائر والاورام والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت ، دستور رقم ١ المسجل بالمكتبة تحت رقم ٥٦٦ - ٢٤٩ ، راجع النص الانجليزي كما صورناه مطابقا تماما للنص العربي المذكور من التحف البريطاني بلندن . وقد اثبتنا النصين في ملحق رقم ١ .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته في الاصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ واقتره الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على ان يفهم بجلاء انه لا يأتي امر من شأنه ان يجحف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين ، او بالحقوق والاحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد أخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالاته للانتداب على فلسطين ، ولما كان جلالاته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين ، بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة او ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة ، لذلك وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم ما يأتي (٦)

المادة ١٢ : يناط بالمندوب السامي آتخذ جميع الحقوق في الاراضي العمومية او الحقوق المتعلقة بها ، وله ان يمارس تلك الحقوق بصفة كون امينا من حكومة فلسطين .

المادة ١٣ - للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الاراضي العمومية او اي معدن او منجم وله ان ياذن باشغال هذه الاراضي بصفة مؤقتة وبالشروط والمدد التي يراها ملائمة ... ويشترط في كل هذا ان تجرى كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لمرسوم او تشريع او قانون معمول به بفلسطين ، او سيعمل به فيما بعد ، او وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالاته وختمه او بواسطة الوزير تنفيذًا لاحكام صك الانتداب .

المادة ١٨ : للمجلس التشريعي السلطة والصلاحيه التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من اجل السلام والنظام . . ولا يجوز ان يصدر قانون يكون مناقضا او مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه .

المادة ١٩ : يؤلف المجلس التشريعي من ٢٢ عضوا بالاضافة الى المندوب السامي ، ويكون عشرة من هؤلاء اعضاء موظفين واثنا عشر منهم اعضاء غير موظفين .

المادة ٢٠ : الاعضاء الرسميون في المجلس التشريعي هم الاشخاص الذين يشغلون اذ ذاك بصورة مشروعة المناصب التالية :

(٦) استغنيا عن مواد الدستور الاولى ، وعيننا بتسجيل بعض المواد التي تتضمن اشياء غير عادية وذات علاقة بالموضوع ، ويمكن مراجعة النصين الكاملين العربي والانجليزي لهذا الدستور ملحق ٢ .

١ - السكرتير العام - ب - النائب العام - ج - مدير المالية - د -
مفتش البوليس العام - ه - مدير الصحة - و - مدير الأشغال العامة -
ز - مدير المعارف - ح - مدير الزراعة - ط - مدير الجمارك - ي - مدير
التجارة والصناعة .

المادة ٢٥ : للمندوب السامي ان يعلن موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته مع مراعاة التعليمات الصادرة اليه بتوقيع الملك وختمه .

المادة ٣١ - على كل عضو من اعضاء المجلس التشريعي قبل ان يتبوا مقعده ، ويحق له التصويت ، ان يقسم اليمين بالنص التالي امام الرئيس :
وان يوقع على هذا اليمين بامضائه « انا ... اقسم بالله العظيم اني ساكون امينا مخلصا لحكومة فلسطين » .

المادة ٤٦ : الفقرة ٣ : يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف المشار اليها في هذا الدستور في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوالها ، ومدى اختصاص جلالته الملك فيها ، وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة .

المادة ٦٨ : اذا قضت احدى المحاكم بادانة مجرم وحكمت عليه بالحبس واستصوب المندوب السامي ان يقضي المحكوم عليه مدة الحكم الصادر بحقه خارج فلسطين فيجب ان يكون المكان المرسل اليه المجرم في احدى ممتلكات جلالته خارج المملكة المتحدة .

المادة ٦٩ : اذا ثبت للمندوب السامي بنية مشفوعة باليمين ان شخصا يسلك سلوك خطر على الامن والنظام في فلسطين ، او انه يسمي لاثارة العداء بين اهالي فلسطين والدولة المنتدبة او انه يكيد لسطة الدولة المنتدبة بفلسطين ، فيجوز للمندوب السامي اذا استصوب تلك ان يصدر امرا موقعا بتوقيعه يقضي فيه بابعاد ذلك الشخص من فلسطين الى المكان الذي يعينه .

المادة ٧٠ : لا يستأنف امر الابعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

المادة ٧٢ : اذا تقرر نقل اي شخص او ابعاده عن فلسطين يوقف اذا دعت الحاجة الى ذلك تحت الحفظ او في السجن بمذكرة من المندوب السامي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله او ابعاده واذا كان المراد بابعاده الى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالته الحربية واذا لم يكن ثمة سفن كهذه ، فيوضع على ظهر باخرة بريطانية او اية باخرة ملائمة اخرى .

المادة ٨٥ : اذا كانت اية طائفة دينية او فريق كبير من سكان فلسطين

يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب ، فيحق للطائفة او للفريق المذكور ان يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي بواسطة عضو من اعضاء المجلس التشريعي .

التوقيع المبرك فيتزدوي

مرسوم بتعديل في دستور فلسطين ١٩٣٣ :

بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الاراضي الميري الى اراضي ملك ، وورد نص بهذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الاراضي العثماني المادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير منقولة ٣٠ مارس (اذار) ١٨٢٩ .

وبما انه من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الاراضي الميري بفلسطين ، لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور الى « يجوز للمندوب السامي ان يحول بمرسوم يصدره اية ارض بفلسطين يسميها في المرسوم من صنف الميري الى صنف ملك » .

٠.ب. ا هانوكي
التوقيع

١٦ اذار ١٩٣٣

وهكذا لا تجد بريطانيا انها قد اكتفت بصك الانتداب قيذا مكبلا للعرب ، وضامنا للتهويد ، بل يبدو حرصها على تلك الجريمة التاريخية ، وسلوك كل طريق في سبيل تنفيذها فيما تتضمنه بعض مواد هذا الدستور ، الذي يعطي للمندوب السامي حق رفض القوانين وحق التصرف في الاراضي وحق السجن والابعاد وحق قبول الشكوى اذا كانت عن تقصير في تنفيذ صك التهويد (الانتداب) وهو دستور وصل في غرابته انه اباح للمندوب السامي الا ينفذ العدل والمساواة ومبادئ القانون العام الا في حدود الامكان وحسب الاحوال بفلسطين ، وبذلك لم تجد بريطانيا ما يمنعها من ان تسجل في تاريخ البشرية ان القانون قابل للرفض ، وان مبادئ العدل والمساواة ليست ملزمة الا حيث تهدا الامور في فلسطين ، ويسير سبيل التهويد سيرا مرضيا لا اعتراض عليه .

ولكن هذا التفسير البريطاني ليس الوحيد في الدستور ، بل ان ذلك التعديل الذي احدث عام ١٩٣٣ لم يجد مانعا من ان يعطي الحقوق والصلاحيات التي كان الشرع الاسلامي يعطيها لخليفة المسلمين باعتبارد رئيس الامة ، لم يجد مانعا بل حرص ان يعطيها للمندوب السامي البريطاني التي اختارته دولته والصهيونية العالمية لتهويد ارض فلسطين .

اما قصة المجلس التشريعي الذي نص عليه هذا المرسوم ، فهي قصة المحاولة البريطانية لاستلال الموافقة من عرب فلسطين على التهويد ، مما

سنفصله في بحث السلبية والايجابية في ظل الانتداب (٧) .

٤ - بريطانيا تصدر قانون الهجرة لأغراق فلسطين باليهود :

ولكي يرى العربي وجه الصهيونية الحاكمة في فلسطين منذ دخلها الانجليز ، عليه ان يدرك ان المشرع هو المدعو بنتويتش اليهودي ، وان مدير المهاجرة هو المدعو هايمون اليهودي ، ولتقرا معا جزءا من قانون المهاجرة الفلسطيني .

بعد ان اوضح القانون ان الهجرة جائزة ، ليس فقط لمن وصل فلسطين ، بل لمن يعولهم ايضا ، قال :



هكذا كان تيار الهجرة اليهودية يتدفق على فلسطين تحت بصر الحكومة البريطانية وسممها طوال الفترة التي فضاها البريطانيون في هذه البلاد (١٩١٧ - ١٩٤٧)

« المادة ٢ : تعنى لفظة المال اي الشخص الذي تتوقف معيشته واعالته كليا ومباشرة على احد المهاجرين ، او احد المقيمين اقامة دائمة في فلسطين ، اما قبل وصوله اليها او لدى وصوله ويكون من اقارب ذلك المهاجر او المقيم الدائم ، اي انه زوجته او احد والديه او جديه او احد والدي زوجته ، او جديها او ابنته ، او حفيدته او اخته او ابنة اخته او ابنة زوجته او حفيدتها

(٧) راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب .

او اختها او ابنة اختها سواء اكانت غير متزوجة او ارملة او مطلقة ، او ابنه او حفيده او اخوه او ابنة اخيه او ابن زوجته ، او حفيدها او اخوها او ابن اخيها اذا كانت سنه دون الثامنة عشر او اذا تجاوز هذا السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها اعالة نفسه .

المادة ٤ : يجوز للمندوب السامي في بعض الاحوال الاستثنائية ان يمنح اذنا بالدخول الى فلسطين كمسافر الى اي شخص لا يستطيع حقيقة ان يحصل على جواز سفر او مستند سفر ، اما لعدم اعتراف اي دولة به او لاسباب اخرى ، ولكنه حسب رايه شخص يليق دخوله الى فلسطين .

المادة ١٢ : لا تتخذ الاجراءات القانونية بشأن اي جرم ينطبق على احكام هذا القانون بعد مضي سنتين من ارتكابه .

ثم يرى المندوب السامي ان هذه التسهيلات كلها قد لا تكون شاملة ، فيصدر نظاما لاحقا يضيف الى تسهيلات القرابة او انعدام جواز السفر تسهيلات تتعلق بالمال ، والمال سند اليهود وسلاحهم ولديهم ما اسهله :

المادة ٤ : ١ - لا يمنح احد شهادة مهاجرة او اذنا الا اذا كان ينسب الى احد الاصناف التالية :

الصف ١ - ذوو الوسائل المستقلة ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي :

١ - كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن الف جنيه ، ويشترط في ذلك انه اذا كان هذا الشخص تعاطي الزراعة فيجوز ان يشمل رأس المال ثمن الأرض والأدوات الزراعية والمواشي التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اي وكالة تعتبر من قبل الحكومة ، تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي ، واي مال تسلفه له على ان تسدد على مدار عدد من السنين ، واذا اراد تعاطي الأشغال الصناعية فيجوز ان يشمل رأس المال موقع الأرض الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات الميكانيكية ، وان تحسب من قيمة الأرض التي قد تضعها تحت تصرفه اي وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية ، واي مال تسلفه له على ان يسدده على مدار عدد من السنين .

فاذا لاحظنا ان بريطانيا اخذت على عاتقها ان تمد المؤسسات اليهودية بالأراضي ، وانها امدتها فعلا بمئات الآلاف من الدونمات ، وسهلت استيلاءها على مقادير كبيرة من الأراضي ، اذا لاحظنا هذا ، ادر كنا مقدار الهوان في المادة السابقة التي تبيح دخول كل من تقرضه مؤسسة من المؤسسات او يملك أرضا منها .

ويستمر المندوب السامي في ملء فلسطين باليهود فيشرع :

٢ - كل شخص ينتسب الى احدى المهن الحرة ولديه تحت تصرفه رأس مال لا يقل عن ٥٠٠ جنيه .

٣ - كل شخص حاذق في احدى المهن او الحرف او الصنائع ولديه وتحت تصرفه المطلق دون تحديد في الزمن رأس مال لا يقل عن ٢٥٠ جنيتها ويجوز لمدير الهجرة عند حساب رأس المال أن يأخذ بعين الاعتبار قيمة الأدوات والمخزونات التي يملكها ، والتي لا غنى عنها لحرفته او صناعته ... الخ .

الصنف ب : الأشخاص المؤمنة لهم اسباب المعيشة وهم :

١ - كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة ، او بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

٢ - كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

٣ - كل طالب امن دخوله الى معهد علمي في فلسطين ، وضمنت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف ج : الأشخاص الذين لهم أمل ثابت في الاستخدام في فلسطين

الصنف د : الأشخاص الذين يعولهم احد المقيمين الدائمين ، او المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الاصناف ا ، ب ، ج ، د .

المادة ٥ : ٤ - يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين أن تبلغ مدير الهجرة وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الأشخاص في فلسطين سواء بذكر اسمائهم او بدون ذكرها ، وان تطلب منه ان ياذن لهم بدخول فلسطين على ان يرفق الطلب بكفالة لاعالة الأشخاص لمدة سنة على الأقل .

المادة ٨ : ١ - رغبة في تعيين عدد الأشخاص الذين يقعون تحت ج ويجوز ادخالهم الى فلسطين ، يعد مدير الهجرة من حين لآخر جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها الوكالة اليهودية بذلك الشأن . ويعد جدولا واحدا عن الأشهر الستة التي تنتهي في ٣٠ مارس (آذار) ويذكر أقصى عدد من أصحاب المهن والحرف من الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات

مهاجرة « (٨) .

لقد اثبتنا سلفا بعض فقرات من قانون المهاجرة الذي كان اولى بالانجليز ان يصوغوه في الفاظ قليلة تؤدي ملخصه المنفذ وهي « ان دخول فلسطين واستيطانها مباح لكل يهودي » .

وما دامت بريطانيا دخلت فلسطين وهي متمنقة بوعد بالفور ومؤنزة بصك الانتداب الذي استلت له تأييد عصبة الامم عقب الحرب العالمية الاولى بانشاء وطن اليهود في فلسطين ، وجعلت كل بند من بنود ذلك الصك يتقصد وعد بالفور ويزيد من فاعليته ونفوذه . وما دامت بريطانيا قد اوكلت تنفيذ هذا الانتداب الى الصهيونيين البريطانيين من امثال هربرت صموئيل ومن امثال بنتويتش ، وما دام العرب الفلسطينيين قد عزلوا في ديارهم ، حتى أصبحوا قلة محاصرة ، وواجهتهم بريطانيا بهذا الانتداب الخطير المميت ، فانه من واجبا ان ندرک ذلك الموقف الاليم الذي جابهه الشعب العربي في فلسطين ، انه موقف يتلخص في مجابهة قوة خطيرة عالية ، تسندها الجيوش والطائرات ، ويؤيدها القانون المفروض بتشريعات المندوب السامي ، وفوق كل ذلك تؤيدها اكثرية عصبة الامم التي تشكلت بعد الحرب العالمية الاولى .

وانه لثقل رهيب هذا الذي وضع على كتف الشعب العربي في فلسطين ، ثقل مقاومة اخطر قوتين في العالم ، قوة الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، وكل ذلك سخرت له القوة الجديدة المرتسمة في عصبة الامم التي ترعى تنفيذ صك الانتداب .

٥ - غفلة الجماهير العربية عن اخطار الصهيونية :

واذا كانت عصبة الامم منذ تشكيلها بعد الحرب العالمية الاولى الى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ هي الهيئة التي تمثل العالم اجمع بما فيه دوله العديدة واركانه المترامية ، كان لنا ان نقرر ان الشعب العربي الفلسطيني كان يواجه قوة العالم التي اعماها الاستعمار البريطاني ، وضلها خداع الصهيونية ، وان هذا الشعب بقائه محافظا على تراثه ومقدساته ولغته وارضه ، حتى اجلي عن بعض مدنه وقراه في فلسطين عام ١٩٤٨ ، انما ضرب مثلا فريدا في الجهاد والكفاح ، واثبت وجوده اثباتا سوف نذكر قليلا من صورته ومعاله في هذا الكتاب .

(٨) مجموعة المنشور والوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت . وانظر ايضا : النص بملحق رقم ١ بهذا الكتاب .

اما العالم العربي من اقصاه الى اقصاه ، فقد كان اما مستقلا استقلالا شكليا ، كما كان الوضع في مصر والعراق وسوريا ، واما كان يرضح تحت حكم اجنبي سافر كما كانت الحال في جميع دول شمال أفريقيا العربية ، وكان هؤلاء واولئك منصرفين الى قضاياهم ومشكلاتهم .

وكان من مظاهر هذه الأوضاع ان استغلت لصالح الصهيونية ، وظهر اتجاه بعض الصحف العربية لتأييد مطامع اليهود في فلسطين ، فقد افردت جريدة المقطم وصاحبها فارس نمر باشا صفحاتها لنشر انباء النشاط الصهيوني في فلسطين ، وتحمس يهود مصر لانشاء الوطن القومي الموعد (٩). بل لقد سارعت المقطم الى نشر وعد بالفور مرتين . ووالت نشر الانباء الصهيونية باهتمام وتفصيل حيث نشرت ابتهاج الجالية الصهيونية في الاسكندرية بصدور وعد بالفور ، وان اليهود اقاموا احتفالا كبيرا في حديقة رشيد بالاسكندرية على اثر صدور ذلك الوعد ، وقرب تحقيق آمالهم بجعل فلسطين وطنا قوميا لهم . وقد شكر خطباؤهم لبريطانيا العظمى (هذا الوعد الشريف آملين تحقيقه في القريب العاجل) ثم طاف المحتفلون بشوارع الاسكندرية الكبرى هاتفين للحلفاء ولبريطانيا العظمى بدوام النصر (١٠) ، واستمرت المقطم ناشرة لسنوات طويلة اخبار الصهيونية مهتمة (١١) بها .

وتلحق جريدة الاهرام بجريدة المقطم في هذا الموضوع ، فتنقل عن المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في القاهرة جزءا من خطة الصهيونية :

« لقد كانت خطة الصهيونية حتى الآن محددة ببرنامج « بال » وهو انشاء وطن لليهود في فلسطين ، ولقد اتخذت الوسائل لتنفيذ هذه الخطة بطريقة سلمية ، فنجحت كما تدل على ذلك المزارع اليهودية بفلسطين ، ولكننا لم نكن يومئذ الا في الخطوات الأولى ، اما الآن فقد وثقنا من استلال وطن لنا فانطلقت امانينا ومطامعنا من كل عقال (١٢) .

وتنشر الاهرام نقلا عن المجلة الصهيونية ايضا :

« ان شعارات اليهود هي انشاء وطن قومي في فلسطين ، بحيث يستطيع اليهود ان يعودوا الى التكلم بلغتهم ، ويجددوا تقاليدهم ويتابعوا

تحقيق امانيتهم (١٣) » . وازافت الى ذلك ان اليهود في مصر ساهموا ماليا لمساعدة العمل السياسي في فلسطين .

واذا كان نشر هذه الانباء في صحافة مصر العربية بعيد الحرب العالمية الاولى دون معارضة ولا نقد ، يدل على استغلال الصهيونية لبعض صحافة ذلك التاريخ وتسربها عن طريقها ، فانه يدل ايضا على ان الشعب العربي في مصر وفي غيرها لم يكن مقدرا لخطر ذلك المخطط الصهيوني ، ولم يكن مدركا بالمعنى الصحيح لوحدة الوطن العربي في اقطاره وفي اخطاره .

حتى ان تلك الصحف وهي تنشر هذه الانباء لم تحرك ساكنا في جموع الشعب العربي في مصر وجاراتها العربيات ، ومضت الامور كان الامر سهل لا خطورة فيه .

على ان الصحافة آنذاك لم تبخل بالثناء والتأييد للانجليز انفسهم ، وهم اس البلاء واصل النكبة ، وفيما نشرته مجلة الكوكب ناعية للورد كرومر ما يكفي ايضا :

« ظهر لعقلاء المسلمين وللقائمين باصلاح الازهر فضل اللورد كرومر على مشروعاتهم الاسلامية ، وتبين لهم ان السياسة البريطانية ليست عدوة للنهضة الاسلامية ، بل هي صديقتها ومحبة لها ، وفي ايام اللورد كرومر انتشرت الفكرة العربية انتشارا اقام « عبد الحميد » (السلطان) واقعده واقلق راحته ، وكان اصحاب الفكرة او القائمون بالحركة العربية في امن واطمئنان من حكومة عبدالحميد وبطشه، النهضة (العربية) كانت أمنية اماني اللورد لانه كان اول المستقبلين لها بالفرح والسرور والابتهاج والدعوة الى تأييدها وشد ازرها (١٤) » .

وهكذا يرتفع في ربوع الكنانة صوت يقدس كرومر ، وينسب اليه العطف على الاسلام والعرب ، وكرومر هو من نعرف جميعا الحاكم القاهر لمصر المجاهدة ، وهو صاحب دنشواي ، ومدمر العلم ، وعدو النهضة .

ولقد ذهل الشعب الفلسطيني من هول المفاجأة ، فبعد ان كان يبعث بمندوبيه ونوابه الى الاستانة ، وبعد ان كان يتمتع بانتخاب مأموريه ورؤساء بلدياته ، وبعد ان كان آمنا في دياره مستقرا بها ، اذا به يواجه فجأة وعدا اعطي بخلق وطن في ارضه ليهود العالم المشردين ، وان بريطانيا نفسها التي

(٩) جريدة المقطم ١٠ من نوفمبر ١٩١٧ وايضا ١٢ من نوفمبر ١٩١٧ .

(١٠) جريدة المقطم ١٣ نوفمبر ١٩١٧ .

(١١) راجع جريدة المقطم ٢٥ فبراير ١٩١٩ .

(١٢) جريدة الاهرام ٨ من مارس ١٩١٩ .

(١٣) جريدة الاهرام ١٣ مارس ١٩١٩ .

(١٤) جريدة الكوكب العدد ٢٨ في ٦ من فبراير ١٩١٧ .

اغري بعودها هي صاحبة ذلك الوعد ، وهي العاملة على تنفيذه .

وتلفت الشعب الفلسطيني يبحث عن الدولة العربية الموعودة للحسين من الانجليز ، فوجدها نهبا مقسما بين الانتداب ، والاحتلال ، والتهويد ، واستمر يرفع البصر باحثا عن الحسين القائد الثائر . . فوجده معزولا في رقعة الصغيرة بالعقبة ، ثم اسيرا فوق بارجة بريطانية تعبر به عباب البحر الى منفاه في قبرص .

٦ - المؤتمرات الفلسطينية الوطنية :

وجمع شعب فلسطين شمله ، وعقد مؤتمره الاول في ٥ من مارس (آذار) ١٩١٩ ، مشتركة فيه القرى والمدن والعشائر ، معلنا رفض الانتداب ووعده بالفور والهجرة اليهودية ، موضحا ان فلسطين جزء من سوريا ، متمسكا بالوحدة السورية العربية ، وكما فعل كل شعب ، وعلى النسق الذي سارت عليه شعوب عربية اخرى ، انتخب شعب فلسطين لجنة تتولى تنفيذ القرارات ومراجعة السلطات الانجليزية بشأنها .

ولكن الانجليز كانوا ماضين في برنامجهم ، فلم يعيروا مطالب العرب اي اهتمام وذهبت مراجعة الزعماء والعلماء لجهات الاختصاص هباء ، فتنادوا لعقد مؤتمرهم الثاني في فبراير (شباط) ١٩٢٠ ، ولكن بريطانيا التي عرفت اتجاه الشعب ، وسبق ان تسلمت مطالبه في المؤتمر الاول ، والتي كانت تدرك بعمق كبير ان الحكم العربي في سوريا ما زال قائما ، وان هذه المؤتمرات الفلسطينية سوف تعرقل طريقها اليهودي (١٥) ، فأصدرت امرها وسلطت قوتها المسلحة لمنع المؤتمر الفلسطيني من الانعقاد ، ثم اصدرت اوامرها لمنع المظاهرات ، والاجتماعات ، وفرضت رقابة على الصحف العربية ، بينما استمرت تبيح لليهود كل ما منعه عن العرب (١٦) .

وحينما اتمت فرنسا تحطيم الحكم العربي في سوريا ، وتم احتلالها واجلاء فيصل عنها ، لم تجد بريطانيا مانعا من ان يعقد المؤتمر الثالث في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ ، وهنا طالب الفلسطينيون من جديد بالفناء للانتداب ووعده بالفور وتأسيس حكومة وطنية ، وابرق المؤتمر الى عصبة الأمم والى مجلس العموم البريطاني والى مجلس اللوردات ، والى كل جهة في العالم يعتقدون انها ذات صلة او انها صاحبة حول او طول ،

(١٥) راجع تحذير اليهودي صموئيل من وحدة الشام ص ٧٠ من هذا الكتاب .

(١٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٥٦ .

ولكن قوى الأعداء كانت اقوى من صرخات الفلسطينيين ، فلم يابه احد لهم ولم يهتم .

وقبل ان تمضي سنتان وبضعة شهور على المؤتمر الاول ، تنادى الفلسطينيون بعقد مؤتمرهم الرابع في القدس يونيو (حزيران) ١٩٢١ وراوا ان مطالبهم لم تأخذ باهتمام احد ، وان برنامج العدوان قد بدا يتضح ، من مظالم فرنسا في سوريا ، وبرنامج الانجليز في فلسطين ، اذن فليكن لهم مع لندن لسان مباشر ، ولينتخبوا وفدا يسافر اليها ، عسى ان يكون في التفاوض المواجه سبيل للاقناع وطريق للتفاهم .

وفد فلسطين في لندن :

وسافر الوفد الفلسطيني الاول الى لندن ، حيث اجرى اتصالات عديدة ، واستعان ببعض الصحفيين الأحرار ، وأوضح المظالم لأعضاء المجالس العامة ، ورفض مجلس اللوردات صك الانتداب لمناقضته للمهود التي قطعت للعرب في الحرب العامة ، ولكن كل هذا لم يثن الحكومة الانجليزية عن تنفيذ برنامجها الخطير ، ولم تأبه بقرار مجلس اللوردات .

كان الوفد العربي الفلسطيني يتكون من أعضاء عرب يمثلون ٩٤ في المائة من سكان فلسطين ، ولم يكن اليهود في فلسطين آنذاك يمثلون غير ستة في المائة ، ومع هذا يشترط تشرشل وزير المستعمرات آنذاك على الوفد العربي ان يفوض الدكتور وايزمان اليهودي رئيس المنظمة الصهيونية والذي لم يكن من سكان فلسطين يوما من الأيام ، ويسرع وايزمان فينشر بالصحف استعداداه لمفاوضة العرب على شرط الا يناقش وعد بالفور ولا يسمح بمساسه .

ورفض الوفد العربي مفاوضة وايزمان ، وقدم مذكرة ضافية الى بريطانيا دون جدوى ودون اهتمام .

وعلى الرغم من ان بريطانيا كانت قد الفت لجنة التحقيق الاولى والمدة لجنة « هيكرافت » ، والتي سجلنا بعضا من تقريرها الواضح في الفصل السابق مبينة فيه مظالم العرب والاجحاف بهم ، فان حكومة لندن لم تأبه بشيء من هذا .

وبينما كان العرب يدقون بابوزارة المستعمرات ووزيرها ونستون تشرشل ، آملين ان يجدوا شيئا من يقظة الضمير ، او شرعة الانصاف . كان المؤتمر الصهيوني بكرلسباد يتلو برقية من تشرشل نفسه يتمنى

المؤتمر النجاح في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين (١٧) ، وهو نفس المؤتمر الذي كان قد اعلن عالميا انه قرر انشاء فرقة يهودية مسلحة للدفاع في فلسطين ضد العرب (١٨) .

وبينما كان العرب مستمرين في محاولاتهم اليائسة ، ولمدة اثني عشر شهرا يمدون فيها يد الصداقة للانجليز ، ويحاولون تذكيرهم بثورة العرب والمواثيق المعطاة للشريف حسين ، وابناء العرب وشبابهم الذين بدلوا ارواحهم في الحرب فداء لحلف الحسين - مكماهون ، بينما العرب كذلك ، اذ سرت اشاعة تقول ان بريطانيا تعد كتابا ابيض رسميا توضح فيه سياستها في فلسطين ، وفيه الكثير مما يطمئن العرب ، ولكن هذا الكتاب الابيض جاء اصرارا على الباطل محاربا الاماني الفلسطينية ، وبعد ربع قرن حين نشر وايزمان مذكراته ، اتضح ان ذلك الكتاب الابيض الذي صدر في لندن يحمل توقيع تشرشل كان قد صاغه في فلسطين الصهيوني البريطاني المعروف هيرت سموئيل .

نرى ما هو الكتاب الابيض الاول الذي نشره تشرشل ، وسطره هيرت سموئيل ، وكان من اخطر وثائق بريطانيا وسياستها العدائية للعرب في قضية فلسطين بعد وعد بالفور ؟

٧ - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٢٢ :

بدا تشرشل كتابه الابيض بذكر تفصيل موجز عن مخاوف العرب ، ومخاوف اليهود ، ثم تكلم عن اليهود بالتفصيل ، فقال :

« وقد اعاد اليهود في الجيلين او الثلاثة الاجيال الاخيرة انشاء طائفة لهم في فلسطين ، يبلغ عددها الآن ثمانين الفا ، ربعمهم تقريبا مزارعون او عملة في الأرض ، ولهذه الطائفة ادارات سياسية خاصة ، منها مجمع منتخب لادارة شؤونها الداخلية ومجالس منتخبة في المدن وهيئة تشرف على مدارسها ورئاسة حاخامين ومجلس رباني لادارة شؤونها الدينية .

وتدار اعمال هذه الطائفة باللغة العبرية كلفتها الوطنية ، ولها صحف عبرية تفي بحاجتها ، وهي تتبع نمطا تهديبيا يميزها عن سواها وتبدي نشاطا كبيرا في الحركة الوطنية الاقتصادية ، فهذه الطائفة بسكان المستعمرات والمدن ، وهيئاتها السياسية والدينية والاجتماعية ، ولقتها

(١٧) جريدة الاهرام ١٥ من سبتمبر ١٩٢١ .

(١٨) جريدة الاهرام ٢١ من اغسطس ١٩٢١ .

الخاصة وعوائلها ، وطرق معيشتها الخاصة، لها في الحقيقة مميزات قومية .»
وبعد ان قال تشرشل انه لا يهدف الى فرض الجنسية اليهودية على كل فلسطيني ، وشرح هذا المعنى بحماس مستغرب قال ان الغرض هو :

« زيادة رقي الطائفة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين في جميع انحاء العالم ، حتى تصبح مركزا يكون للشعب اليهودي فيه مقدرته ، وكان من الضروري ان يعلم ان وجوده في فلسطين هو كحق وليس كمنة ، ذلك هو السبب الذي جعل من الضروري ضمان انشاء الوطن القومي اليهودي ضمانا دوليا ، والاعتراف رسميا بأنه يستند الى صلة تاريخية قديمة .

وتكلم الكتاب عن مطالب الوفد العربي في لندن ، وذكر انها مطالب مستندة الى الكتاب المرسل من ماكماهون الى الشريف حسين ، وان الوفد يدعي ان هذا الكتاب تضمن وعدا بدولة عربية تشمل فلسطين ، وانكر تشرشل هذا الكتاب مدعيا استثناء لبنان وفلسطين (١٩) .

ثم لفت النظر الى ان الادارة الحالية قد نقلت للمجلس الاسلامي الاعلى المنتخب من الطائفة الاسلامية والحاكم الشرعية ، وقد اعادت الادارة لهذا المجلس ايضا اختيارا منها ايرادات كبيرة لاوقاف قديمة كانت الحكومة العثمانية قد ضبطتها .

وواضح من هذا الكتاب البريطاني ان الانجليز يغالطون في سياستهم مع العرب في فلسطين ، فهو بينما يشيد باليهود وتاريخهم فيها ، يقرر انه من الضروري ان تعتبر عودتهم حقا وليست منة ، وان هذا هو السبب في اعطائهم ضمانا دوليا لوطنهم القومي ، بينما لا يشير الى العرب الا كطائفة فسي فلسطين ، ويمن على المسلمين انه اعطاهم حرية في اوقافهم ومحاكمهم الشرعية ، وهي لعمر الحق حرية منقوصة ، فقد ثبت ان اليهود كانوا احرارا في التسليح والتدريب، وانتخاب المجالس البلدية، ونظامهم الزراعي، وحركتهم الاقتصادية ، على حين لم يجد تشرشل شيئا يمن به على العرب الا حرية الاوقاف الاسلامية ، مع العلم بأنه حتى هذه الاوقاف لم تستمر حريتها بل تعرضت لاضطهاد رجالها والحد من افعالها .

وتشرشل يتنصل من وعد دولته للشريف حسين بانشاء دولة عربية تضم وطننا عربيا كبيرا بما فيه فلسطين، ويدعي ان فلسطين كانت مستثناة، وعلى الرغم من ان قوله هذا تكذبه الخطابات الرسمية التي قدمها العرب ،

(١٩) راجع نص الكتاب الرسمي الذي يشمل فلسطين في الفصل الاول من هذا الكتاب .

والتي اضطرت بريطانيا لنشرها بعد ذلك عام ١٩٣٩ ، على الرغم من كل هذا ، فان الدولة العربية التي اعترف تشرشل بأن حكومته وعدت بها العرب والتي ادعى ان فلسطين مستثناة منها ، لم تتكون ولم تف بريطانيا بها .

ان واقع الحال في عام ١٩٢٢ حين اصدر تشرشل كتابه الرسمي المذكور ، يثبت ان الوطن العربي مزق تحت سنابك خيل الانجليز والفرنسيين وانهم حين كانوا يحتلون العراق ويهودون فلسطين كانت سوريا تترنح تحت ضربات الفرنسيين المدمرة ، تلك الضربات التي باركتها بريطانيا وايدتها .

والذين خانوا عهودهم واصروا على خلفها حتى فيما لا ينكرون الوعد به ، لا ينتظر ان يصدقوا فيما يصرون على انكاره .

وكان طبيعيا ان يرى العرب في الكتاب الابيض استمرارا بريطانيا للسياسة المعادية لهم ، لا سيما وقد الحقته بريطانيا بما اسمته دستور فلسطين الذي كان من ابرز ما يقضي به تأسيس مجلس تشريعي فلسطيني يتكون من اثنين وعشرين عضوا ، عشرة منهم موظفون بريطانيون يعينهم المندوب السامي ، وينتخب اثنى عشر آخرون يكون منهم اثنان من اليهود واثنان من العرب المسيحيين وثمانية مسلمون ، وللمندوب السامي الراي الاخير في المجلس الذي ليس من شأنه البحث في الانتداب ولا وعد بالفور .

وقاطع العرب الانتخابات الخاصة بذلك ، ففشلت وطوت الحكومة مشروعها عارضة اقتراحا بمجلس استشاري لا يختلف عن سابقه ، ثم عرضت تاليف وكالة عربية على نسق الوكالة اليهودية وبنفس الاختصاصات السابقة التي رفضها العرب من جديد .

واستمر الشعب العربي يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثا حاول ان يصل الى نقاط يمكن ان يطمئن بها العرب ويعملوا بها ولها ، برغم وفوده المتلاحقة الى لندن ، ومحاولة خلق جو للفهم والتفاهم .

بلفت المؤتمرات العربية من العدد سبعة ، كان آخرها ذلك المؤتمر المعقود في القدس في ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٢٨ ، وتقدم من جديد يطالب بحكومة نيابية والحد من الموظفين البريطانيين ، والاحتجاج على منح امتياز البحر الميت لشركة يهودية ، وعلى ايثار العمال اليهود بالعمل بدلا من العمال العرب ، والمطالبة بوقف سن القوانين ريثما تؤلف حكومة نيابية .

لقد ثار الشعب الفلسطيني عدة مرات خلال هذا التاريخ

ثم ركن الى المسألة املا ان تدرك بريطانيا تصميمه على النضال ، وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تفتت به اثناء الحرب العالمية الاولى ، وتبعد عن الخداع وتكث الجهود ، وهي التي طالما شنعت في منشوراتها بالمانيا واصفة لها بعديمة العهد والمخادعة .

ولكن اليهود الذين خبروا قوتهم المستمدة من سلطات الانتداب منذ احتلال الانجليز لفلسطين بداوا يغيرون لهجتهم ، فبعد ان كانوا يحاولون خديعة العرب بأنهم لا يضمرون لهم شرا ، وانهم سوف يحيلون فلسطين الى جنة جديدة لصالح العرب واليهود ، وان رؤوس اموالهم وخبرتهم وقدرتهم العالمية سوف تتيح لشعب فلسطين العربي ، ان يخدموا بلادهم بأنفسهم ، بعد هذه اللهجة الودية المخادعة ، ومجرد ان انتهى اليهود مؤتمرهم العالمي المعقود في زيوريخ عام ١٩٢٨ (٢٠) ، تغيرت لهجتهم واساليبهم ، فأعلن الحزب اليهودي الاصلاحى بلسان رئيسه جابوتنكسي الدعوة الى اليهود ليتسلحوا وان يسلكوا طريق العنف والقوة لتحقيق اهدافهم ، وتشجع اليهود ، وطالبوا صراحة بحائط البراق الشريف ، وساروا جماعات يوم ١٥ من اغسطس (آب) ١٩٢٨ فرفعوا عليه العلم اليهودي هاتفين « الحائط حائطنا » (٢١) رافعين صوتهم باناشيدهم الصهيونية .

واستمر صراع جدلي بين العرب واليهود على مختلف انواع التظاهر وفوق اعمدة الصحف ، حتى اذا علم ان الميجر ساندروس البريطاني بدا يوزع السلاح فعلا على اليهود ويجند بعضهم في الفرق النظامية (٢٢) ، انطلقت الشرارة الثورية ، وبدا العرب معركة كانوا وحدهم في صفها يقاتلون جموع اليهود المسلحين ودولة الانتداب بجيوشها .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(٢١) صدر عام ١٩٢١ بلاغ بريطاني سمي برسوم الحائط الغربي او حائط المبكى وجاء بمجموعة الناشرة البريطانية بالجامعة الامريكية ببيروت ونصه كما يلي :
« للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف التي هي من املاك الوقف وللمسلمين ايضا تعود ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقفا حسب احكام الشرع الاسلامي لجهات البر والخير » .

(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٣ .

على ما يسد به رمق العائلة » .

تقرير سير جون هوب سمبسون ١٩٢٠

« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود أراضي في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد (اليهود) ، وهي تعلن أنه من الخطأ اعتبار الفقرات المتعلقة بالوطن اليهودي هي اساس صك الانتداب

الكتاب الابيض البريطاني اكتوبر (تشرين اول) ١٩٢٠

« ان الكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك أراضي جديدة ولا يتضمن هذا المنع، وليس في النية وضعه، والحكومة لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف او منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها » .

الكتاب البريطاني الاسود نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٢٠

« ان خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي ، هو ان نحفظ له ارضه من الفاصيين ، ففي انجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الانجليز » .

تقرير مستر فرانكسي ١٩٢١

قوموا اسمعوا من كل ناحية
قوموا انظروا الوطن الذبيح
يصيح دم الشهيد
من الوريد الى الوريد

ابو سلهى في قصيدته « ماسوك العرب »

الحق ... والباطل

« ان ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين امر لا يمكن ان ينظر اليه نظرة جدية ، ولذلك يجب ان يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية»

اللجنة الامريكية لفلسطين ١٩١٩

« يجوز بيع أي ارض ارتهنها مصرف تسليف بأمر من مأمور الاجراء بلا امر أو قرار من المحكمة » .

المادة ١٠ فقرة ١ من قانون الرهونات لفلسطين ١٩٢٦

« ان الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصيا بالشئون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين فالقرويون والفلاحون هنا يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا بسياسة انشاء الوطن اليهودي ونرى ان الفلاحين العرب يهتمون بالأمر السياسي أكثر من كثير من اهالي أوربا » .

تقرير سير والتر شو قاضي القضاة البريطاني ١٩٢٩

« يا مستر أبرامسون لي عندك رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا ان تعمل حسابا في أموالنا التي تريدها لجماعتك اليهود ، توسط لنا عندهم ليقترضونا اياها بالربح الذي تراه لتتمكن من دفع ما غرمتنا به !! »

محمد علي الطاهر جريدة الشورى ١٩٢٩

« ان العمال اليهود الذين ساعدتهم حكومة فلسطين هم الذين جاءوا من آفاق العالم يمتصون كالملق دماء الشعب العربي الفقير البائس ، الذي اهلكته الحكومة ، وارهقته بالضرائب وسيول القوانين حتى بارت زراعته وباع ارضه ليدفع الضرائب المفروضة عليه . »

جريدة الجامعة العربية القدس ١٩٢٩

« سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول الأرض فقد اضطر البعض لبيع أرضه ، أما لتسديد ديونهم أو لدفع ضرائب الحكومة ، أو للحصول

الفصل الخامس

ثورة العرب عام ١٩٢٩

١ - بداية الثورة :

في يوم ٢٠ من أغسطس (آب) ١٩٢٩ قامت معركة عنيفة عند معر « البراق » في بيت المقدس لم يتمكن البوليس من انهاءها الا بجهد ومشقة ، ولم يجد العرب لغة يمكن ان تستعمل مع تلك القوى المتكاثفة عليهم الالفة الاستمرار في الثورة ، فجددوا هجماتهم على مجموعات مسلحة من اليهود استمرت كل يوم ٢٣ أغسطس (آب) وجرح خلالها ١٠٧ من الفريقين ، وخسر اليهود ٢٨ قتيلًا وذهب من العرب ١٣ جريحًا ، وكانت المعركة تدور في شوارع القدس من ركن الى ركن .

وسرت انباء الثورة في انحاء فلسطين ، فقامت معركة في الخليل حيث اعلن رسميا مصرع ستين يهوديا وجرح خمسين آخرين ، ولم تنم بريطانيا ولم تهذا ، على الرغم من آلاف اليهود الذين دربتهم وجاءت بهم من مختلف انحاء العالم لتخلق لهم وطن اليهود في فلسطين ، فقد اسرعت بتوزيع السلاح على الرعايا البريطانيين ، وكان عدد كبير من اليهود يحمل الرعية البريطانية .

وهاجم العرب مراكز البوليس ، ونشبت معركة جديدة في ضواحي الخليل ، كان قتلى العرب واليهود فيها مائة قتيل ، ونشبت يومها معركة في صفد استمرت ساعات طويلة ، قتل فيها تسعة من اليهود وجرح ٢٨ يهوديا .

ولم يكن تسليح اليهود سرا ، فقد نشرت جريدة الاهرام القاهرية برقية تعلن فيها ان الادلة تتوافر كل يوم على ان اليهود مسلحون، وان العرب يعتبرون عزلا من السلاح (١) .

(١) جريدة الاهرام ٢٨ من أغسطس ١٩٢٩ .

ومع هذا تمكن هؤلاء العزل من الايقاع بأعدائهم ، ومن مهاجمة المواصلات والطرق . وبينما كان الشعب الفلسطيني يتحرك ، في طول فلسطين وعرضها دفاعا عن بقاءه واستماتة في خط الدفاع الاول عن الامة العربية ، كانت الامة العربية الموزعة مشغولة مشغولة منهوكة القوى ، ولم تنل فلسطين من اهتمامها أكثر من بعض المظاهرات قامت في سوريا ، وبرقيات الاحتجاج من المهاجرين العرب في امريكا .

واستدعت بريطانيا قواتها من داخل فلسطين وخارجها ، وجاءت بسرب يتكون من ١٣ طائرة تحلق في عنف وارهاب فوق الحرم القدسي ، حينما كان المسلمون يؤدون فريضة الجمعة في اليوم الاخير من شهر اغسطس (آب) ١٩٢٩ .

ويستمر الطغيان الانجليزي المصري على تهويد فلسطين ، فيتعاون مع السلطات الفرنسية لتشدد قبضتها على حدود سوريا الفلسطينية حتى تمنع كل معونة محتملة ، وتسلب جيشها على العرب في «السحة» فيستشهد منهم ٢٤ عربيا ليلة ٣ سبتمبر (ايلول ١٩٢٩) (٢) .

يفخر بذلك وزير المستعمرات فيعلن في مجلس العموم « ان حكومته استطاعت ان تجمع تجمعا عربيا حيث قتلت الطائرات البريطانية عددا كبيرا منهم ، ونشبت المعارك وامتدت الى القبائل العربية في النقب ، واعلن رسميا ان بريطانيا بدأت تسليح اليهود دفاعا عن مستعمراتهم .

يقول كاتب عربي معاصر لهذه الاحداث : « ان الثورة استمرت خمسة عشر يوما ، قتل وجرح خلالها ٤٧٢ يهوديا وكانت ضحايا العرب ٣٣٨ بين جريح وقتيل (٣) » .

لقد كانت هذه الثورة العارمة التي خاضها الشعب العربي في فلسطين رد فعل للتحدي الصهيوني السافر ، وللخداع البريطاني المستمر ، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم ، فما من معركة نشبت بين العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب ، ولقد تجاوزوا حد المعارك الى المهاجمة للبيوت العربية وتقتيل الاسر الامنة والتمثيل بها .

(٢) برقية لرويتز من لندن في ٤ من سبتمبر ١٩٢٩ . جريدة الاهرام ٥ من سبتمبر ١٩٢٩

(٣) عيسى السفري ، فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، طبعة القدس ١٩٢٧ ، ص ١٦ .

٢ - المندوب السامي يندد بالثوار العرب :

وجاء المندوب السامي تشانسلور عاجلا من لندن ، لم يسلك السبل الطبيعية في دراسة أسباب الاضطرابات والبحث عن علاجها ، فهو في غنى عن هذا ، وهو يعلم ان العلاج يتلخص في الحد من طغيان الصهيونية ، وتمكين العرب من الحفاظ على ديارهم وارضيتهم ، ومقدساتهم ، وهو بالتالي يعلم ان هذا العلاج مستحيل ، فان وعد بالفور وصك الانتداب يدعوان ويعملان لغير هذا .

اذن فاولئك الذين ثاروا ضد اليهود مجرمون في تقديره ، وسرعان ما اعلن للعالم ان العرب كانوا وحوشا في قتالهم . وكان مما جاء في منشور المندوب السامي قوله :

« عدت من المملكة المتحدة فوجدت بمزيد الأسى ان البلاد في حالة اضطراب ، واصبحت فريسة لأعمال العنف غير المشروعة ، وقد راغني ما علمته من الأعمال الفظيعة التي اقترفتها جماعات من الأشرار سفاكي الدماء عديمي الرافة وأعمال القتال الوحشية التي ارتكبت في افراد من الشعب اليهودي ، خلوا من وسائل الدفاع بقطع النظر عن عمرهم ، وعمّا اذا كانوا ذكورا او اناثا ، والتي صحبتها كما وقع في الخليل أعمال همجية لا توصف ، وحرقت المزارع والمنازل في المدن وفي القرى ونهب وتدمير الأملاك .

ان هذه الجرائم أنزلت على فاعليها لعنات جميع الشعوب المتقدمة في انحاء العالم قاطبة ، فواجبي الأول ان اعيد النظام الى نصابه في البلاد ، وان اوقع القصاص الصارم بأولئك الذين سوف يثبت عليهم أنهم ارتكبوا أعمال العنف ، وستتخذ جميع التدابير الضرورية لانجاز هاتين الغايتين » (٤) .

٣ - العرب يتحدثون المندوب السامي :

وسرعان ما اصدر العرب ردهم القوي التالي :

« اطلع عرب فلسطين بدهشة عظيمة على منشور فخامتكم الصادر

في سبتمبر (ايلول) ١٩٢٩ ولم يكن احد منهم يتوقع ان يرى الحقائق التي عرفها القاضي والداني والتي اعترفت بها الحكومة وهي :

١ - ان اكثر اليهود كانوا مسلحين أنفسهم .

٢ - ان الحكومة سلحت عددا منهم .

٣ - انه لم يوجد في قتلى اليهود اي تمثيل او تشويه حتى في الخليل ، كما تؤيد هذا التصريح ادارة الصحة العامة البريطانية بفلسطين .

٤ - ان بعض قتلى العرب قد مثل اليهود بهم .

٥ - ان جموع اليهود قد قتلت نساء واطفالا من العرب على انفراد .

٦ - ان اليهود هم الذين بدأوا قتل النساء والاطفال من العرب .

٧ - ان الجنود البريطانية النظامية قتلت النساء والاطفال والرجال من العرب في فراشهم في قرية صور باهر وغيرها .

٨ - ان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية انما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية ، التي ترمي الى افناء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها .

كل هذه الحقائق لم يكن احد من العرب يتوقع اغفالها في منشور صادر على عجل وسابق لأوانه ، وتعلمون فخامتكم ان عرب فلسطين قد تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم ، وهم لا يترددون ان يتكبدوا اكثر من ذلك ، وكانت الجنود البريطانية تجدهم عزلا من السلاح عند اي ضربة تنزل بهم .

فاذا كان لم يزل ثمة عدالة يحق للعرب ان يطلبوا نصيبهم منها ، فهم يلحون بطلب اجراء تحقيق نزيه من اشخاص من خارج فلسطين ، لا يتأثرون اثناء قيامهم بواجبهم نحو العدالة بالنفوذ الصهيوني ، وان التحقيقين اللذين اجرىا في فلسطين في ظروف سابقة من قبل لجان بريطانية ، قد اظهرا للملا مطالب العرب الحقّة ومقاصدهم النبيلة ، كما اظهرا مصائبهم السياسية .

ان العرب يعتقدون كل الاعتقاد ان تحقيقات نزيهة كتلك ستروي للعالم حكاية حالهم الآن في هذه الاضطرابات الحاضرة ، رواية اكثر صدقا مما صورتموه للعالم في منشوركم الصادر ، قبل اعطاء العرب فرصة لسمع صوتهم . ثم يقول البيان العربي :

(٤) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ٢٢٣ .

وان مثل هذا المنشور كان ينبغي اصداره بعد اجراء التحقيقات التي ينشدها العرب ، وليس قبل اجرائها ، لذلك نحن نتأكد انكم لو اعدتم النظر في الحالة الحاضرة لتوصلتم الى حكم عادل(٥) .

رئيس اللجنة التنفيذية العربية
موسى كاظم الحسيني

الامناء : مغمم الياس مغمم - عوني عبد الهادي - جمال الحسيني
في ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ .

لقد كان منشور المندوب السامي البريطاني ، منشورا سيء العبارة ، حارحا لشعور العرب ، متهما لهم بالوحشية وسفك الدماء ، ولهذا اصّر العرب على وجوب اجراء تحقيق ليتضح اذا كان العرب قد مثلوا فعلا بقتلى اليهود في الخليل كما شاءت الصهيونية أن تشنع بهم عالميا .

وتحت ضغط الرأي العام اضطرت بريطانيا الى ان تؤلف لجنة كان اغلبها اطباء بريطانيون ، وقررت هذه اللجنة انه لا يوجد تشويه ولا تمثيل في اي من القتل اليهود الذين اخرجوا من قيورهم وعانيتهم اللجنة من جديد .

٤ - المندوب السامي ينكل بالعرب :

واستمر المندوب السامي البريطاني يعصف بالشعب العربي لثورته دفاعا عن وجوده ومقدساته ، فاعتقل مئات من الشباب وصدر الحكم باعدام ٢٠ عربيا (ونفذ فوراً في الشهداء الثلاثة فؤاد حجازي - وعطا الزير - ومحمد جمجوم) وحكم بالسجن المؤبد على ٢٣ مجاهدا ، وحكم على ١٨٧ عربيا بالسجن بين ثلاثة اعوام و ١٥ عاما ، وتنوعت الأحكام حتى بلغ عدد العرب المحكوم عليهم ٧٩٢ عربيا ، وفرضت غرامة مالية على عدد من القرى العربية وحددت اقامة كثير من الزعماء في أماكن نائية من فلسطين(٦) .

وهكذا اخذ عديد من شباب يافا مبعدين ، وحددت اقامتهم في الناصرة ، واخذت مجموعات من حيفا مبعدين الى صفد ، واخذت جماعات اخرى فأبعدت الى جنين ، وشرد الألوف من الشباب والرجال وحيل بينهم وبين مواصلة عملهم وحياتهم .

وتوالى احكام الاعدام تصدر للارهاب دون شفقة ، على حين لم يدين يهودي بالاعدام في هذه الأحداث التي كانوا سببها باستثناء اليهودي خانكيز الذي كان شرطيا دخل بسلاحه فأباد أسرة عربية من سبعة أفراد ، واذاقت رويتر (٧) في السابع والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني ١٩٢٩) ان محكمة حيفا ادانت تسعة من العرب بالاعدام وحكمت على اثنين آخرين بالسجن خمسة عشر عاما لاتهامهم بقتل أسرة يهودية ، كما نفذ حكم الاعدام فوراً في ثلاثة من شباب فلسطين اظهروا من آيات البطولة والشجاعة ما قدسهم به الشعب واتخذهم مثلاً للبطولة .

٥ - الأبطال الثلاثة :

حكم بالاعدام على فؤاد حجازي وعطا الزير ومحمد جمجوم ، وتقرر يوم الثلاثاء السابع عشر من يونيو (حزيران) سنة ١٩٣٠ موعدا لتنفيذ الحكم ، وتدخل رجالات العرب فأبرقوا الى صديقتهم بريطانيا العظمى ، ورفع التماس الى مجلس الملك الأعلى بلندن ، وبذلت كل المحاولات فذهبت جميعها ادراج الرياح .

وقد اظهر الثلاثة شجاعة بطولية جعلتهم مضرب الامثال ، استوى في ذلك الشاب فؤاد حجازي الذي لم يتجاوز الاثنى عشر والعشرين ربيعا ، ورفيقاه الآخرا اللذان دخلا الحلقة الرابعة من العمر ، وحين ابلغوا بساعات التنفيذ وتاريخها ، وسمح لذويهم بزيارتهم لم يزددهم ذلك الا ايمانا ، قال فؤاد حجازي لزائريه « اذا كان اعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانجليز عن الأمة العربية الكريمة ، فليحل الاعدام في عشرات الألوف مثلنا لكي يزول هذا الكابوس عنا تماما .

وأمّن الشهيد محمد جمجوم على قول رفيقه عطا الزير « نحمد الله على أننا نحن الذين لا أهمية لنا نذهب فداء الوطن ، لا اولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم » ، وطلب هذان الشهيدان حناء خضبا بها ايديهما حسب عوائد أهل الخليل في أيام افراحهم . وتخاصم الثاني مع الاول عندما حانت ساعة اعدامه ، وأبى الا أن يسبق رفيقه الى شرب هذه الكأس رغم أن دوره كان الثالث وطلب أن تفك قيوده ، فلما رفض طلبه حطم السلاسل بقوة عضلاته ، وتقدم مبتسما بثبات الى المشنقة .

(٧) جريدة الاهرام ٢٨ نوفمبر ١٩٢٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٦) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٦٨ .

وقالت جريدة الزهور الحيفاوية تصف يوم الأعدام :

« لم تجتز فلسطين في ادوارها السابقة يوما مثل يوم ١٧ يونيو (حزيران) الرهيب لقد تصاعدت اصوات المؤذنين على المآذن تستنزل الرحمت ، وقرعت نواقيس الحزن في الكنائس ، وولولت النساء ، وتصاعد عويلها في البيوت ، وتساقطت الدموع غزيرة من مآقي الرجال المجتمعين في الجوامع والمعابد وأنشدت الجماهير : « يا ظلام القبر خيم » وقد خيمت روعة الموت ، وسادت رهبة الموقف ، بينما وقف الجند يتبخثرون ذهابا وايابا ، والمدفع معد ، والسيف مصلت ، والطائرات سابحة في الفضاء الواسع ترقب الحالة عن كئيب (٨) .

وفي الساعة الثامنة نفذ الحكم في الشهيد فؤاد حجازي ، وفي الساعة التاسعة نفذ في الشهيد عطا الزير ، وفي الساعة العاشرة نفذ في الشهيد محمد جمجوم ، وكانت الجماهير تقف خاشعة كلما دقت الساعة معلنة الثامنة والتاسعة والعاشرة ، ويملا الفضاء بأصوات المؤذنين وقرعات اجراس الكنائس حزنا على الشهداء » .

ووصف الشاعر الفلسطيني المرحوم ابراهيم طوقان ساعات التنفيذ الثلاث في قصيدة معبرة ردها طويلا احرار فلسطين ، تقتطف منها هذه الابيات :

الساعة الاولى

انا ساعة النفس الايبه الفضل لي بالاسبقه
انا بكر ساعات ثلاث كلها رمز الحميه
قسما بروحك يا فؤاد سعدت جوانحها زكيه
عاشت نفوس في سبيل بلادها ذهبت ضحيه

الساعة الثانية

انا ساعة الموت المشرف كل ذي فعل مجيد
بطلي يحطم قيده رمزا لتحطيم القيود
قسما بروح محمد تلقى الردى حلو الورود
قسما بأمك عند موتك وهي تهتف بالنشيد
ما نال من خدم البلاد اجل من اجر الشهيد

الساعة الثالثة

انا ساعة الرجل الصبور انا ساعة القلب الكبير
بطلي اشد على لقاء الموت من صم الصخور
يلقى الاله مخضب الكفين في يوم النشور
قسما بروحك يا عطاء وجنة الملك القدير
وصفارك الاشبال تبكي الليث بالدمع الغزير
ما انقذ الوطن المفدى غير صبار جسور

٦ - اعمان في سياسة التنكيل :

لم تكتف السياسة البريطانية بالارهاب والابعاد وبالاعدام ، انها تتخذ كل أسلوب لارهاق الشعب العربي ، ومن تلك الأساليب ارهاق العرب اقتصاديا ، وفرض غرامات على القرى العربية المهيضة الجناح ، وكانت غرامات باهظة ثقيلة مفروضة على قرى اضعفتها الديون ، وأثقلت بالضرائب ، وهدتها الرهونات .

ونقب المندوب السامي عن يهودي قدير يكل اليه تحديد الغرامات على القرى العربية ، فاختر اليهودي البريطاني « ابرامسون » الذي انزل جام غضبه وحقده على القرى العربية ، مثقلا لها بالغرامات الفادحة ، قالت جريدة الشورى :

« اصدر المستر ابرامسون قرارات عديدة غرم بها مختلف القرى في فلسطين ، وكان آخرها ما فصلته برقية من القدس في ٢٤ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٢٩ من انه قدر الأضرار اللاحقة بمستعمرة بيار تعيبا اليهودية بالقرارات التالية التي فرضها على قضاء غزة :

ثلاثة آلاف جنيه على قرية بيت دارس ، ٣ آلاف جنيه على اسدود ، اربعمائة جنيه على برقا ، ألف جنيه على ياسود ، ألف جنيه على البطانة الغربي ، ثمانمائة جنيه على البطانة الشرقي ، ثمانمائة جنيه على سوافير شمالي ، ألف جنيه على سوافير غربي ، اربعمائة جنيه على تل الطرس ، ستمائة جنيه على المغار .

آمر بعد موافقة المندوب السامي بفرض الغرامات المبينة أعلاه بوجه التكافل على دافعي الضرائب من اهالي القرى المذكورة (٩) .

ابرامسون

(٩) جريدة الشورى ، العدد ٣٠ شهر نوفمبر ١٩٢٩ .

(٨) جريدة الزهور ، حيفا عدد ١٩ من يونيو ١٩٢٠ .

وإذا عدنا الى عامي ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ادركنا فداحة هذه الغرامات الكبيرة ، فقد كان الجنيه الواحد يمثل مبلغا كبيرا ، لا سيما في القرى العربية التي تعيش على زراعة الحبوب من الشعير والقمح ، وهي اذا استطاعت أن تستفيد من الأمطار وتضمن محصولا طيبا ، فانها عرضة للأوامر التي تستهدف صالح اليهود وحدهم .

وتستمر حملة أبرامسون اليهودية البريطانية تفرض الغرامات على مختلف القرى العربية ، وتشد الوطأة على شعب فلسطين ، فكتب الأستاذ المجاهد محمد علي الطاهر رسالة الى ذلك البريطاني اليهودي في أسلوب يجمع الألم الى الجد والسخرية ، ويقول له :

« الى المستر أبرامسون ... اعاهدك يا حضرة المستر بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نعود نذكر جمال باشا وظيفانه ، وعبد الحميد واستبداده ، ولن نذكر بعد الآن الا المستر أبرامسون وغراماته . اعاهدك يا حضرة الحاكم بالنيابة عن اخواني الفلاحين اننا لن نسبح الله قبل ذكرنا للوطن القومي ، ولن نصلي على رسول الله قبل ذكرنا لوعد بالفور .

لذلك ارجوك ان تطلق لقلمك العنان ، لينشر الأصفار ذات اليمين لا ذات اليسار ، ولن اتوسل اليك أن تدع عنك هذا النثر لاني متأكد أنك وانت ترمي الأصفار الى اليمين تذكر أنك تتحكم في حياتنا ... في حياتنا نحن فلاحى البلاد .

ولكن لي عندك رجاء ... رجاء بحق العيش والملح الذي بيننا - وما اكثره - أن تعمل حسابا في اموالنا التي تريد ادخالها في جيوب جماعتك . بالله عليك أعمله وتوسط لنا عندهم من الآن ليقرضونا اياه بالربح الذي تراه لنتمكن من دفع ما غرمت (١٠) .

وكانت بريطانيا متخذة كل أسلوب ضار بالعرب ، فما كاد الفلاح في ذلك العام يتم حصاد زراعته حتى أوقفت حركة التصدير للخارج فهبط سعر الشعير ، وما كاد يتم حصاد القمح حتى ورد اليهود الدقيق الاجنبي بكميات كبيرة ف ضرب المحصولات المحلية ضربة شديدة (١١) .

وتصور جريدة فلسطينية معاصرة احوال فلسطين فتقول :

« ان ادارة الأشغال بفلسطين انفقت في ٢١ شهرا نحو نصف مليون

من اموال أهالي فلسطين على عمال اليهود الفرباء العاطلين عن العمل .

نصف مليون جنيه ، واي بطالة هذه ، بطالة العمال اليهود الذين جاءوا من آفاق العالم بالأغراء الى هذه البلاد ، يمتصون كالمعلق دماء الشعب العربي الفقير البائس الذي لا يجد لقمة يتبلغ بها ، والذي اهلكته حكومة فلسطين وارهقته بالضرائب المختلفة وسيول القوانين ، حتى بارت زراعته وكسدت تجارته ، وأصبح يبيع أرضه لانه عجز عن اسئمارها ، ودفع الضرائب المفروضة عليها .

الفلاح العربي البائس المعدم يضطر الى ان يبيع أرضه ، ليقدم ثمنها الى العامل اليهودي الجشع الذي اغرتة بريطانيا واغراه زعماء الصهيونية على القدوم الى هذه البلاد الفقيرة ليجد فيها لبنا وعسلا ، وما هو واجد في الحقيقة الا دما ولحما ، هما دم هذا الشعب العربي المسكين ولحمه .

نصف مليون جنيه ، انه مبلغ هائل كانت تستطيع حكومة فلسطين لو كانت تنوي حقيقة اسعاد هذه البلاد او تضرع الخیر لأهلها ، أن تنفقه على انشاء بنك زراعي يقرض الفلاح ويساعده على تحسين حاله وشئونه ، او على انشاء مدارس عالية تغني أهل فلسطين عن ارسال ابنائهم الى الخارج لتلقي العلوم العالية ، وعلى زيادة عدد المدارس الابتدائية ومدارس القرى التي ترفض في مفتتح كل عام مئات الطلاب بحجة عدم وجود امكان ومقاعد لهم * .

وموضوع الضرائب الذي يضطر العربي الى بيع أرضه كما يشير هذا المقال يمضي بالحديث الى بنوك التسليف والرهونات اليهودية التي شرعت بريطانيا من أجلها قانونا خطيرا يستهدف افقار العرب حتى يضطرهم ان يفترضوا بضمانه أرضهم تمهيدا لاستيلاء بنوك التسليف اليهودية على تلك الأراضي ، مما يحسن بنا اثبات بعض موادها هنا :

قانون مصارف التسليف :

« المادة ٧ : (١) على الرغم مما ورد في قانون الرهونات العثمانية المؤرخ في اليوم الأول من ربيع ثاني ١٣٣١ هـ يجوز رهن حق الإيجار في الاموال غير المنقولة ، لمدة تتجاوز خمس سنوات لمصرف تسليف ، على أن يراعى في ذلك اي اتفاق مثبت في عقد الإيجار ، فيما يتعلق بالانتقال أو الرهن ، ويعقد هذا الرهن بمقتضى احكام القانون المذكور . كان هذا الحق هو اموال

* جريدة الجامعة العربية ، القدس ، يوليو ١٩٢٩ .

(١٠) جريدة الشورى العدد الصادر في ٤ من ديسمبر ١٩٢٩ .

(١١) جريدة الشورى العدد الصادر في ١٠ من يوليو ١٩٢٩ .

على مستقبلهم الاقتصادي ، والشعور السائد اليوم يستند على خوف العرب المزدوج بأنهم سيحرمون من وسائل معيشتهم ، وسيطر عليهم اليهود سياسيا يوما ما بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي .

وإدى هذا التفاعل في التطلعات السياسية والاقتصادية الى زيادة شعور الاستياء ، وأصبح جميع الاهالي العرب خطوة فخطوة متحدين مع زعمائهم ، في مقاومة الوطن القومي اليهودي وفي طلب الحكم الذاتي .

واعيدت الى ذاكرتهم المهود التي قطعت لهم اثناء الحرب ، والمركز الدستوري الذي تتمتع به البلاد العربية الأخرى ، ودفعوا الى الاعتقاد بأنه بإنشاء الحكم الذاتي في البلاد تخفض الضرائب ، وتقيد الهجرة ان لم توقف ، وتؤمن لكل فلاح ملكيته في أرضه .

ونحن نعتقد ان شعور الاستياء الذي يسود الاهالي العرب والناشئ عن عجزهم المتواصل عن نيل أي قسط من الحكم الذاتي يزيد في خطورة مصاعب ومشاكل الإدارة المحلية .

وترى اللجنة ان السير جون كامبل كان محقا بلا ريب عندما ذكر في تقريره ان أزمة سنتي ٢٧ ، ١٩٢٨ نشأت في الواقع بأن المهاجرين الذين قدموا البلاد كانوا اكثر مما تستطيع البلاد استيعابه .

ثم تحدثت اللجنة عن مشكلة الأراضي العربية ، وطالبت بوضع ضمانات للعرب في أراضيهم ، ثم تحدثت عن الفلاح العربي قائلة :

« الادعاء بأن الفلاح لا يهتم شخصا بالشؤون السياسية لم يؤيد اختبارنا في فلسطين ، ولا يستطيع من تجول في البلاد كما تجولنا ، وسمع أصوات الهتاف التي قاطعت عبارات كثيرة وردت في الخطب التي القاها رؤساء العرب والشيوخ ، ان يرتاب بأن القرويين والفلاحين على حد سواء يهتمون اهتماما حقيقيا وشخصيا في نتائج سياسة انشاء الوطن القومي ، وفي مسألة ترقية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين ، ولهذا نرى أن الفلاحين العرب يهتمون في الامور السياسية أكثر من كثير من اهالي أوروبا (١٢) .

أنه من المحتم علينا أن نبدي ما يسود العرب في فلسطين من شعور واستياء من الحالة الحاضرة ، فبالرغم من أنهم يؤلفون الاكثرية الكبرى من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالإدارة ، على حين أن

(١٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٢٦ .

غير منقولة حسب المعنى المقصود من ذلك القانون .

ويراعى في تحصيل دين المرتهن الحق المخول له بمقتضى هذا القانون ، او أي تشريع آخر اما بطريق البيع او خلافه بالمدي نفسه كرهن أي حق آخر في اموال غير منقولة .

(٢) تباشر الحقوق المخولة للمرتهن فيما يتعلق بالبيع او خلافه دون حاجة الى اخذ موافقة المؤجر .

المادة ١٠ : (١) على الرغم مما ورد في المادة ١٤ من قانون انتقال الأراضي يجوز بيع أي أرض ارتهنها مصرف تسليف ، سواء كانت واقعة في منطقة بلدية او في منطقة تنظيم مدن بأمر من مأمور الاجراء بلا امر او قرار من المحكمة مع اذار المدين بالسداد قبل ثلاثة شهور من الاجل « (١٢) .

ومعلوم ان اولئك الذين اقترضوا بضمان اراضيهم لدى بنوك التسليف قد اتخذت كل الاجراءات الضامنة لاقفارهم وكساد انتاجهم ، ولن يكون بإمكانهم السداد الا ببيع تلك الأرض المرهونة التي اعتبرها القانون كأنها اموال غير منقولة .

٧ - لجنة شو ١٩٢٩ :

وعلى عادة بريطانيا في انتهاز سياسة المراوغة والخداع ، سارعت فأعلنت في مواجهة الثورة انها سترسل لجنة للتحقيق في اسباب هذه الثورة وعلاجها .

وجاءت الى فلسطين لجنة برلمانية تمثل الأحزاب الثلاثة ، يرأسها سير والترشو الذي كان قاضيا للقضاة البريطانيين في احدى المستعمرات ، وقد بدأت اللجنة عملها في اواخر اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٢٩ ، وعقدت ٤٧ جلسة علنية و ١١ جلسة سرية ، واستمعت الى ٦١٠ شهود من موظفين وعرب ويهود ، وقدمت تقريرها الى وزارة المستعمرات ، وكان من أهم ما جاء في تقرير تلك اللجنة :

« ان السبب الاساسي الذي لولاه في رأينا لما كانت الاضطرابات قد وقعت ، او لكانت عبارة عن فتنة محلية ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعور نشأ عن خيبة امانهم السياسية والوطنية ، وخوفهم

(١٢) مجموعة الناشير والقوانين الفلسطينية : الجامعة الامريكية ، بيروت رقم

أقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسومية معها ، وهي في مباشرتها
لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح تلك الأقلية فقط » .

هذه لجنة بريطانية الفت تحت ضغط من ثورة العرب الصارمة عام
١٩٢٩ ورات بريطانيا ان تكون مؤلفة من اعضاء برلمانيين يمثلون الأحزاب
البريطانية الثلاثة ، وان يرأسها رجل من علماء القانون البريطاني هو
« والترشو » ، وهذا هو تقريرها يقرع البريطانيون باللائمة ، على سياستهم
تجاه العرب في فلسطين الذين ابدوا عن حكم بلادهم وسياستها ، وقرّب
بدلا عنهم ممثلين للأقلية اليهودية ، ويقرر ان ثورة العرب كانت بسبب
شعورهم بالعداء لليهود المفروضين عليهم ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي
وان جميع العرب متحدون في دفع الخطر اليهودي ، وانهم يهدفون الى
حكم ذاتي يخفف عن كاهلهم الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، ويقيد
الهجرة الخطيرة على وطنهم .

ان تقرير لجنة شو يشير بصراحة الى حاجة الفلاحين العرب لان
يؤمنوا في ملكيتهم لأرضهم ، وان هؤلاء الفلاحين يهتمون بالامور السياسية
اكثر من كثير من اهالي اوربا ، وفي هذا تلويح بما كانت تعمد اليه السياسة
البريطانية من تحويل الأراضي الميري الى اراضي ملك ، ثم بيعها واهدائها
الى المؤسسات او الافراد اليهود ، وهو اجراء سارت عليه بريطانيا في
فلسطين طوال حكمها الكريه ، ونفذت به مخطط صك الانتداب التحيز .

بل لقد اضافت بريطانيا مادة خاصة الى دستور فلسطين ، لتضفي
شيئا من الشرعية البريطانية على فعلها ذلك ، وانه لتعليل طريف ذلك
الذي عمدت اليه بريطانيا حين قالت : « بما ان احكام الشرع الاسلامي
كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الأراضي الميري الى اراضي ملك
وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الأراضي العثماني،
والمادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير منقولة لعام ١٣٢٩ هـ ، بما انه من
المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الأراضي الميري
في فلسطين لذلك تعدل المادة ١٦ من مرسوم الدستور التي يجوز للمندوب
السامي ان يحول بمرسوم يصدره اية ارض في فلسطين يسميها في المرسوم
من صنف الميري الى صنف الملك (١٤) » .

ولقد نتج عن هذا حرمان الفلاحين العرب من اراضي توارثوا استقلالها

(١٤) مجموعة المناشير والوامر والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الاميركية
بيروت ، دستور رقم ١ المسجل تحت رقم ٥٦٩ - ٢٤٩ .

قرونا طويلة ، ثم لعبت بها اليد البريطانية ، واخرجوا منها قسرا وعنوة
وسلمت الى الجمعيات اليهودية تحت اسم لجان التسوية او بقرارات من
المندوب السامي .

ورحب العرب بتقرير اللجنة برغم انه كان اقل من طلباتهم ، وسرعان
ما القوا وفدا من كبار رجالهم رحل فورا الى لندن ، وكان قوامه : موسى
كاظم الحسيني ، وامين الحسيني ، والفريد روك ، وراغب النشاشيبي ،
وعوني عبد الهادي ، وجمال الحسيني .

ومن جديد قدم العرب الى رامزي مكدونالد زعيم حزب العمال ورئيس
الوزارة البريطانية آنذاك مطالبهم الوطنية في ايقاف الهجرة اليهودية ، ومنع
انتقال الأراضي وانشاء حكومة وطنية على اساس سكان البلاد ، ولكن
جهود العرب الايجابية في لندن ذهبت كلها ادراج الرياح ، فقد صرح
مكدونالد رئيس الوزراء بان على بريطانيا التزاما مزدوجا نحو اليهود ونحو
الجماعات غير اليهودية ، وان بريطانيا لن تتأثر بالضغط والتهديد ، ولن
تخالف صك الانتداب ، فايقن العرب من جديد ان فكرة الحق والعدل
ليست موجودة في قاموس فلسطين لدى بريطانيا ، واذاغت دار المندوب
السامي في ٣٠ مايو (ايار) سنة ١٩٣٠ « ان الدولة المنتدبة لم تقبل
مطالب العرب الدستورية ، لانها منافية لصك الانتداب ، غير ان الحكومة
ستلجأ الى صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين . . . وهي
مصممة على عدم السماح باتباع سياسة تعرض تلك الطوائف للخطر ،
ولهذا السبب ووفقا لاقتراح لجنة شو اوفد السير جون هوب سمبسون
ليدرس مسائل الهجرة والاسكان والتنمية على الارض الفلسطينية نفسها
ويرفع تقريرا عنها » .

واوفدت بريطانيا سمبسون هذا ، ولم يكن ايفاده الا نوعا من سياسة
اضاءة الوقت على العرب ، والاستمرار في سياسة التهويد ، اذ لم تكن
بريطانيا تجهل حقيقة الاوضاع وطرق الاصلاح ، وليس بعيدا عنها تقرير
اللجنتين السابقتين ، ولكنه استمرار في المخادعة والتضليل ، وكتب
سمبسون الى حكومته التي كانت تصدر مراسيمها بالاستيلاء على الارض
واعتبارها ملكا حكوميا ، وتسلمها الى الجمعيات اليهودية ، كتب يقول :

« لقد اصبح اكثر من ٢٩٪ من العائلات العربية القروية دون ارض
كما ان الأراضي الصالحة للزراعة لدى العرب لا تكفي لضمان معيشة
السكان والمحافظة على مستوى المعيشة ، ونتيجة لسياسة الحكومة في
موضوع الأراضي اضطر قسم كبير من الفلاحين الى ان يفقدوا عملهم

وأرغموا على مغادرة أراضيهم ، ويرزح الفلاح العربي تحت عبء الديون ، مثقلا بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها ، الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق .

وقد تناقست الأراضي التي يملكها الأفراد تناقضا مطردا ، حتى اني سمعت في كل قرية زرتها شكوى حول هذه النقطة ، وذلك ان بعض الأهالي اضطر الى بيع أراضيه ، اما لتسديد ديونهم ، او لدفع ضرائب الحكومة او للحصول على ما يسد به رمق العائلة ، وعلى الحكومة حين تضع جدول العمال اليهود للهجرة الى فلسطين ان تدرس حقيقة البطالة بين العرب ، لا البطالة اليهودية وحدها(١٥) .

واستغرب التقرير في مرارة ان يسمح لعمال يهود من ليتوانيا وبولونيا او اليمن ان يشغلوا عملا في فلسطين ، ما دام يوجد عمال قادرين على ذلك ، ولا يجدون لانفسهم عملا ، لا سيما وان اليهود يحرمون بشدة عمل غير اليهودي فيما يستولون عليه من اراضي .

٨ - الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

تجمعت لدى الحكومة البريطانية آراء قيمة وقوية ، وجاءت كلها متساندة من لجنة سير والترشو ومن تقرير سير سامسون ، وهي كلها آراء تنادي بوجود وضع حد لهجرة اليهود ، وتأمين الفلاح العربي في ارضه ، واشعار العرب بأنه لا خطر على مستقبلهم ، واتاحة الفرصة امامهم لحكم بلادهم ، وعلى عادة بريطانيا اصدرت كتابها الأبيض في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٣٠ معتمدا على تلك الآراء ، وموضحا مع ذلك انه ليس في نية بريطانيا الاخلال بصك الانتداب ولا النكوص عن وعد بالفور ، ثم كرر نفس الفقرات المهمة لصالح اليهود والتي سبق ان وردت في الكتاب الأبيض الذي اصدره تشرشل عام ١٩٢٢ من ان اليهود حين يعودون الى فلسطين ليجعلوها مركزا يكون فيه لليهود اهتمام وفخر ، فان عودتهم تلك الى فلسطين تعتبر حقا لا منة .

وبعد ان يسهب الكتاب الأبيض في شرح مواد صك الانتداب ، واغلبها وضع لصالح اليهود ، تغير لهجته قليلا ويقول :

« ان سكان فلسطين على الاطلاق .. لا فئة منهم فحسب .. هم الذين يجب ان يكونوا موضع عناية الحكومة ، ان النص القائل باتخاذ

التدابير مع الوكالة اليهودية لاقامة او ادارة الأعمال والمصالح والمنافع العمومية هو نص اختياري فقط لا اجباري ، وليس من الجائز ان يتعارض مع مصلحة الأهالي المطلقة .

لقد حاول البعض ان يجادل تأييدا للدعوات الصهيونية بأن الفقرات المتعلقة بالوطن القومي اليهودي هي الأساس الرئيسي لصك الانتداب ، وبأن الفقرات التي ترمي الى صيانة مصالح غير اليهود ، انما هي اعتبارات ثانوية تفيد نوعا ما يدعى بأنه القسم الرئيسي الذي وضع صك الانتداب من أجله ، ان حكومة جلالتة ما فتئت تعتبر ان من الخطا الكلي فهم هذه الأحكام على هذا الوجه » .

ثم تحدث الكتاب الأبيض عن ثورة العرب فقال :

« ان الاضطرابات التي وقعت فيما مضى قد اخمدت فورا ، وتخذت تدابير خاصة لمعالجة اية حالة اضطرارية قد تنشأ في المستقبل .

وقد قررت حكومة جلالتة ان تحتفظ في فلسطين في الوقت الحاضر بفريقيين من المشاة وسريين من الطائرات ، واربع فرق من السيارات المسلحة ميسورة في فلسطين وشرق الأردن ، وقد زيدت فرقنا البوليس البريطاني والفلسطيني ، ووضع مشروع الدفاع عن المستعمرات اليهودية(١٦) » .

بعد ان تكلم الكتاب الأبيض عن مشروعات المجالس والانتخابات التي اخفقت نظرا لمقاطعة العرب لها قال :

« ومما يذكر ان بريطانيا مسئولة بموجب صك الانتداب عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي اليهودي . وتأمل بريطانيا ان تنال معاونة السكان جميعا في فلسطين لتشكيل مجلس تشريعي ، وانها سوف تقم كل محاولة يقوم بها اي فريق من السكان للحيلولة دون تنفيذ قرارها » .

وأعلن كتاب بريطانيا الأبيض :

« انه يعلن بكل حزم عدم وجود اراضي في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ، باستثناء اراضي الوكالة اليهودية على سبيل الاحتياط ، وقد وجه فيما مضى انتقاد شديد بشأن الاراضي الاميرية القليلة المساحة التي وضعت تحت تصرف المزارعين اليهود ، الا انه

(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

(١٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٩٥ ، ١٠٢ .

من الخطأ ان يتبادر الى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحة شاسعة من الاراضي المحلولة ، التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود لاستعمارها ، ذلك ان مساحة الاراضي التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها ، فالحكومة تدعي مساحات كبيرة من الاراضي التي يتصرف فيها العرب في الواقع ويفلحونها ، غير انه حتى - ولو سلم بملكية الحكومة لها وملكيتهها مختلف فيها في كثير من الاحوال - فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، بالنظر لوجودها في ايدي المزارعين العرب ، ولضرورة ايجاد اراضي اضافية اخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين اصبحوا الآن بلا اراضي» .

وبعد ان تكلم كتاب بريطانيا عن الفوائد التي جناها العرب من هجرة اليهود ، ومن مستعمراتهم يقول :

« ان نتيجة الاستعمار اليهودي على الاهالي الحاليين تتأثر تأثرا كبيرا بالشروط التي تمتلك الهيئات اليهودية المختلفة بموجبها الاراضي وتستغلها وتؤجرها ، فقد نص دستور الوكالة اليهودية الموقع في زيورخ « ١٤ اغسطس ١٩٢٩ » على ان الاراضي التي تمتلك تعتبر ملك الشعب اليهودي ، وملكيته غير قابلة للانتقال ، وعلى وجوب مراعاة مبدأ تشغيل العمال اليهود في جميع الأشغال والمشاريع .

ويوجد ايضا تعهد يقضي على المستأجرين بان يقوموا بجميع الأشغال المتعلقة بزراعة الأرض بواسطة العامل اليهودي فقط ، وفرضت شروطا شديدة لتأمين مراعاة هذا التعهد ، وهناك تعهد يرتبط به اهالي مستعمرات السهل الساحلي يحتم استئجار العمال اليهود فقط ، وجاء هذا الشرط ايضا في الاتفاقات الخاصة بمستعمرات مرج ابن عامر .

انه من الصعب ان تتفق هذه الاحكام الشديدة مع التصريح الذي ادلى به الصهيونيون عام ١٩٢١ في مؤتمرهم « من ان الشعب اليهودي يرغب ان يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة واحترام متبادلين وان يعمل بالاشتراك مع الشعب العربي على ترقية البلاد المشتركة بينهما ، بحيث تؤمن رفاهية كلا الشعبين ، ويستهدف اليهود بهذه الشروط التمكن من ادخال أكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد غير ملاحظين ان بريطانيا ملزمة بعدم الحاق اي ضرر او حيف بحقوق ومركز سائر طوائف الاهالي غير اليهود ...

لقد ابدت بيانات تحمل على الاعتقاد بان درجة البطالة بين العرب بلغت حدا خطرا ، وانها بين اليهود قد أدت الى نواح غير مرضية ، ولذلك

يجب الحكم على مقدرة فلسطين الاقتصادية على استيعاب مهاجرين جدد ، بتفهم حالة فلسطين فيما يتعلق بالبطالة ، وكل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الأضرار بالسكان العرب في حصولهم على الاعمال يجب استنكاره .

ثم يعترف الكتاب الابيض بأنواع الهجرة المختلفة تلك التي طالما نفتها بريطانيا لدى كل احتجاج عربي ، فيقول :

« هنالك ناحية اخرى غير مرضية ، هي ان عددا كبيرا من المسافرين الذين يدخلون البلاد بالاستناد على اذن يخولهم الإقامة مدة محدودة يقعون في البلاد بدون موافقة ، ويقدر عدد الذين دخلوا من هذا الصنف في الثلاث سنوات الاخيرة ٧٨٠٠ شخصا ، ثم يلي ذلك ناحية خطيرة اخرى ، هي عدد الذين يدخلون البلاد مجتنبين أماكن المراقبة على الحدود ...

لذلك فان بريطانيا تدعو العرب الى الاعتراف بحقائق الحالة ، والى التعاون للوصول بالبلاد الى رخاء ويسر ، يشمل جميع السكان . وبريطانيا ايضا تطلب الى زعماء اليهود ان يعترفوا بضرورة اجراء بعض التنازل من جهتهم عن التصورات الاستقلالية الانفصالية ، وان يتمكن العرب واليهود من الرقي والتقدم بوفاق وقناعة (١٧) .

نظر العرب الى الكتاب الابيض مسن زوايا تناوله لخطر الهجرة اليهودية وضرورة ايقافها ، والى ان الاراضي التي يشغلها العرب من الحق عدم حرمانهم منها ، وابعاد الفلاح عنها ، والى ان الوعد بوطن لليهود يسير الى جانبه الوعد بعدم الاضرار بغير اليهود من شعب فلسطين ، فأصدروا بيانا قانونيا وتاريخيا مهما وقالوا :

« ما دام الكتاب الابيض يؤكد بكل حزم انه لا توجد في فلسطين اراضي ميسورة للمزارعين الجدد من المهاجرين ، وما دام الوطن القومي اليهودي لا يؤسس بدون ارض وبدون رجال كما اعلن ذلك وايزمان في رسالته للمندوب السامي في ٢ مايو ، فلنا ان نقول بكل حزم انه لا يمكن التوفيق بين خلق وطن قومي لليهود في فلسطين وعدم الاضرار بالعرب فيها » .

وناقش البيان العربي تهرب بريطانيا من تأسيس حكومة في فلسطين

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

وانظر ايضا : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٦٧ - ١٦٨ .

وفقا للمادة ٢٢ من صك الانتداب الذي يفرض وجود دولة منتدبة لحكومة مندوب عليها ، واكد البيان العربي ان بريطانيا لم تنفذ الى الآن من مواد صك الانتداب الا القسم المتعلق بتأسيس الوطن القومي اليهودي .

ولم يفغل العرب عن حقيقة الأوضاع ، فأوضحوا انه اذا كان من شأن الكتاب الأبيض ان يزيل بعض المخاوف ، ويعطي شيئا من الضمانات حول الأراضي ، والهجرة ، والبطالة ، وان بريطانيا قد اكدت انها لن تحيد عن تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض بالضغط والتهديد ، ولن تعمل لصالح جماعة دون اخرى ، فانهم يعرفون مقدرة اليهود في الدعايات الخادعة ، ويعرفون ايضا ضعف بريطانيا تجاه هذه الدعايات (١٨) ، ولم يرفض العرب الكتاب الأبيض وما تضمنه من تعديل في سياسة بريطانيا ، ولكنهم اعلنوا ان المهم ليس المبادئ والنصوص ، ولكن المهم تنفيذها ...

٩ - الكتاب الأسود :

ماذا يحدث عندما يحدث الخلاف في الراي داخل الحزب الواحد ؟ ويعلن الرئيس رأيا معيناً يخالفه فيه نائب الرئيس وأعوانه ، ان الذي يحدث هو ان ينسحب نائب الرئيس مستقيلا ، ويستقيل معه المؤيدون لرايه ، ثم تقوم حملة من أنصاره تأييدا لموقفه في محاولة ليرضخ الرئيس من اجل الهدف المشترك .

وهذا ما حدث تماما في الموقف الذي اعقب الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٠ بين حكومة لندن والهيئات الصهيونية ، حدث ما اعطى صورة مكررة من ان الجميع يعملون في نطاق واحد ولمصلحة بينهما محددة مشتركة ، ففي اليوم التالي لاعلان الكتاب الأبيض ، استقال وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية ، واستقال خلفه عديد من الصهيونيين المعروفين ، وتحركت الصهيونية في اوربا وامريكا ، وقامت المظاهرات في هذه البلدان تستنكر الكتاب الأبيض البريطاني وتؤيد الصهيوني الدكتور وايزمان ، وتسلمت عصبة الأمم سيلا من البرقيات من ٤٨ دولة حتى ان أحد أعضائها كان يتساءل هل نحن امام مؤامرة عالية (١٩) .

واعلن تشرشل وسمطس وغيرهم من حماة الصهيونية معارضتهم

للكتاب الأبيض ، وقبل ان تمر عشرون يوما على الكتاب الأبيض الذي قبله العرب ، وحاربه اليهود ، وعلى التحديد في { نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٣٠ ، اعلن وزير المستعمرات في كتاب ارسله الى جريدة التيمس : « انه ليس في نية بريطانيا ايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وان هجرة العمال اليهود سوف لا تتأثر بزيادة العاطلين عن العمل من العرب » .

ولم يكن هذا الخطاب كافيا لليهود ، فأعلن رئيس الوزراء البريطاني في رسالة الى وايزمان الغاضب المستقيل ، ينسخ فيها اهم ما حواه الكتاب الأبيض ، ويتراجع عن الاتجاهات القليلة الطيبة فيه ، ويقدم للصهيونية ما يرضيها قائلا :

« ان الالتزام القائل بوجوب تسهيل الهجرة اليهودية وتشجيع اليهود في أراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذها بدون الحاق ضرر بحقوق الفئات الاخرى بفلسطين . »

وان الحكومة لتقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الاميرية وغيرها المسورة الآن ، والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة ، واعدادها لاستيطان اليهود ، وان الاجراءات التي تتخذ لمراقبة انتقال الأراضي يقصد منها تنظيم معاملات التملك لا منع ذلك ، **والكتاب الأبيض لا يعني منع اليهود من امتلاك اراضي جديدة ، ولا يتضمن مثل هذا المنع ، وليس في النية وضعه ، والمقصود هو عدم الاضرار بمشروع استثمار الأراضي المزعم انشاؤه .**

وان حكومة جلالتهم لم تقر ، ولم يخطر ببالها ايقاف او منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وسوف تستمر العادة المتبعة من حيث الموافقة على « جدول العمال » للمهاجرين الذين يدخلون البلاد للاكتساب بواسطة العمل ، وسيُنظر دائما الى الاعمال التي تقتضي عمالا من اليهود ، باعتبارها تقوم على رؤوس اموال يهودية ، وينظر ايضا بعين الاعتبار الى حصول اليهود على نصيب من الاعمال المسورة على اساس ما يدفعه اليهود من الضرائب للخرانة ، وتعترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في الا تستخدم سوى العمال اليهود ، وتتعهد ان تأخذ هذا الحق بعين الاعتبار عندما تحدد مقدار الهجرة وقوة استيعاب البلاد الاقتصادية (٢٠) .

وسمى العرب هذا التصريح البريطاني الجديد بالكتاب الأسود ، ومن حقهم ان يسموه بذلك ، فقد رضخت بريطانيا وركمت على ركبتيها امام

(٢٠) المصدر السابق ص ١٤١ - ١٤٢ .

وانظر ايضا : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ١٨٨ - ١٩٤ .

(١٨) المصدر السابق ص ١١٩ .

(١٩) المصدر السابق ص ١٤٠ .

« ان حكومة جلالتة لم تقرر ولم يخطر ببالها ايقاف او منع الهجرة اليهودية على تباين أنواعها ، وتمترف الحكومة بحق المنظمات الصهيونية في الا تستخدم سوى العمال اليهود » .

وقالت بريطانيا في كتابها الابيض اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٠ :
« ان الحكومة تعلن بكل حزم عدم وجود اراضي في فلسطين صالحة لاستقرار المزارعين من المهاجرين اليهود الجدد باستثناء اراضي الوكالة اليهودية التي هي على سبيل الاحتياط » .

وقالت بريطانيا في كتابها الأسود الخنوع في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ :

« ان الحكومة تقوم بتحقيق يرمي للتأكد من مقدار الأراضي الاميرية وغير الاميرية الآن والتي يمكن الحصول عليها بصورة مشروعة واعدادها لاستيطان اليهود » .

تم كل هذا التناقض في السياسة والمجاهرة بالاغاليط في زمن حكومة العمال البريطانية التي يرأسها رامزي مكدونالد ، ويتولى وزارة المستعمرات فيها باسفيلد من أشهر رجال بريطانيا وعلماؤها ، وكان مكدونالد يعتد ويفخر بأنه ليس خاضعا للصهيونية ، وأنه شديد المراس قويه .

وحين كان الوفد العربي في لندن عام ١٩٣٠ صارحه مفتي فلسطين السيد محمد امين الحسيني قائلا :

« لقد دلت التجارب على ان كل تقرير يكون في صالحنا ولا يريد اليهود لا ينفذ ، وان كان التقرير في صالح اليهود نفذ فورا ، والدليل على هذا ازماكم ارسال لجنة سمبسون ، ولما يجف مداد لجنة شو ، واننا لنخشى ان يؤثر اليهود على اعضائها » .

وقال مكدونالد :

« ان هذه اللجنة فنية لبحث شئون الأراضي ومقدار استيعابها » .

وقال مازحا :

« لا يستطيع اليهود ان يؤثروا على السير سمبسون مطلقا فهو انجليزي اصيل مثلي(٢١) » .

(٢١) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٣٩ ، وحقائق عن قضية فلسطين

استفالة وايزمان ، وغضبة الصهيونية ، وتنكرت لما سبق ان نشرته على العالم قبل ايام ليست بعيدة ، من اعترافها بتضرر العرب من الهجرة اليهودية وانتشار البطالة بينهم ، وعدم استيعاب الأراضي للمهاجرين ، واستحالة اخراج الفلاحين العرب من اراضيهم حتى في حالة التشكك في الملكية .

وجاءت في تصريحها الجديد تعدد اليهود وتسترصهم وتملقهم ، وتنكر انها فكرت في ايقاف سيل هجرتهم ، وتعد بتدبير الأراضي الاميرية وغيرها لهم ، وهي الأراضي الكثيرة التي لم تسجل ملكيتها وبقيت مشاعة بين العرب ، فأخرجتهم منها بريطانيا بقوة الحديد والنار ، وسلمتها للمهاجرين والمزارعين اليهود .

١٠ - مقارنة لوعود بريطانيا المتناقضة :

كم هي عميقة تلك الخطة التي تسلكها بريطانيا محاطة بالكذب والتضليل والخداع في سبيل حرب الامة العربية .

قال الكتاب الابيض البريطاني في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٠ :

« انه من الخطأ ان يتبادر الى الذهن ان حكومة فلسطين تملك مساحات شاسعة من الأراضي المحلولة التي في الامكان وضعها تحت تصرف اليهود واستعمالها ... والحكومة تدعي بمساحات كبيرة من الأراضي التي يتصرف فيها العرب واقميا ويفلحونها ، غير انه حتى ولو سلم بملكية الحكومة لها فليس في الاستطاعة وضعها تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، نظرا لوجودها في ايدي المزارعين العرب ، ولضرورة ايجاد اراضي اضافية اخرى لاسكان المزارعين من العرب الذين اصبحوا الآن بلا ارض » .

وقال التصريح الجديد في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ الذي اسماه العرب الكتاب الأسود :

« ان الالتزام القائل بوجود تسهيل الهجرة اليهودية ووجوب حشد اليهود في اراضي البلاد يبقى التزاما ايجابيا من التزامات الانتداب ، وفي الاستطاعة تنفيذه دون الحاق ضرر بغير اليهود » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الابيض في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٠ :

« كل قرار يتخذ لادخال مهاجرين جدد دون اعتبار عدم الاضرار بالسكان العرب في حصولهم على الاعمال يجب استنكاره » .

وقالت بريطانيا في الكتاب الأسود نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ :

وتبين وجه الزور في حديث ماكدونالد ، فمسخ بنفسه سطور الكتاب الابيض، وكذب علنا وعالميا راضحا لليهود ، وقبل أن يمر شهر أو نحو شهر على الكتاب الابيض ، ولم ينج وهو « الانجليزي الاصيل » (كما صرح) من الهوان والرضوخ ، وأما الوزير العالم باسفيلد فقد حاربه اليهود في بلاده ، واستقال من الوزارة ، ولم يظهر منذ ذلك الحين على المسرح السياسي أبدا (٢٢) .

ها قد مضى أكثر من ثلاثة عشر عاما على دخول الجيوش البريطانية الى فلسطين عام ١٩١٧ ، والفلسطينيون يتجرعون كل يوم كأسا جديدة مليئة بالالام والأحزان . وما من لجنة بريطانية الا رأت وجه الحق ظاهرا في صالح العرب ، وانصفتهم وأنحت باللائمة على نظم حكومتها .

ولكن بريطانيا برغم اللجان العديدة التي أرسلتها الواحدة تلو الأخرى ، وبرغم اعلانها في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أنها سوف تنفذ محتوياته بحزم مهما كانت المعارضة ، برغم كل هذا فقد كانت تتعقد نية الخلف في ضميرها ، قبل أن يجري لفظ الوعد للعرب على لسانها ، وكانت تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفتها بريطانيا خالية من السكان، وهي تفتح أبوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها .

والشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركة غير متكافئة ، يبحث بوفوده الى لندن ويقابل ويفاوض ويقدم احتجاجاته الى جمعية الأمم ، ويتظاهر في الداخل ، ويثور ويفقد الضحايا مئات وراء مئات ، ويقاوم اليهود الذين تسلحهم بريطانيا رسميا وهو أعزل الا من قطع من السلاح قليلة وقديمة مخلقة عن الحرب او متسربة بصعوبة وقلة وندرة .

وجيرانه ، بل اخوته العرب في شغل عنه شاغل ، لكل منهم مشكلة يعانها ، والرأي العام العالمي لا يعنى بالعرب الفلسطينيين ، وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود ، وصحافة العالم مسيرة لهم ، او مجاملة لحكومتها المتآمرة مع الصهيونية ، والشعوب تتأثر بأجهزة اعلامها المختلفة ، او بأراء احزابها وقادة الرأي فيها ، وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف تسابقت الدول الأوروبية الى تأييد وعد بالفور ، وخلق وطن قومي لليهود في فلسطين وشايعتها في ذلك صحافتها الا قليلا ، وخطب قادة رأياها ، فنادوا بوجوب تهويد فلسطين ، ويكفي ان الأحزاب

(٢٢) المؤامرة الكبرى ، ص ٧٨ .

البريطانية الثلاثة مجمعة على ذلك برغم الخلف بينها في برامجها العامة ، والتنافس بين رؤوسها ومحركيها .

ويتضح نفس الموقف لدى الحزبين الأمريكيين حتى ان الكونجرس الأمريكي اصدر قرارا اجماعيا ، يؤيد به خلق الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وهكذا صدم الشعب العربي في فلسطين بخطاب ماكدونالد الى وايزمان الذي اعتبر سحبا للكتاب الابيض .

١١ - المؤتمر الاسلامي في القدس ١٩٣١ :

وجاشت خواطر الشعب الفلسطيني ، فقامت مظاهراته في كل صقع من أصقاعه ، تدعو الى التسليح والى توجيه الثورة ضد الانجليز باعتباره المسئولين اولاً عن أحداث فلسطين ، وهكذا تنادى الخطباء وهاجم الجند المتظاهرين وسقط مئات من الجرحى ، واكتظت السجون بالمعتقلين العرب ، وتلفت الفلسطينيين الذين خاب املمهم في الرأي العام باوربا وأمريكا ، تلفتوا الى اخوانهم في الجنس والدين وتنادوا الى عقد مؤتمر اسلامي في القدس .

ان القدس تمثل القبلة الاولى للاسلام وهي مسرى الرسول العربي محمد العظيم عليه الصلاة والسلام ، وهي ثالث الحرمين الشريفين ، وفي بطاح فلسطين مئات من صحابة الرسول الكريم ، وفي ثغورها وعلى هضابها ذهب مئات الالاف من سكانها صرعى تحت سلاح الصليبيين وهجماتهم ، اذن فلتكن الدعوة الى المؤتمر الاسلامي عسى أن تكون فيه القوة التي تحسب لها بريطانيا حسابها ، لا سيما وان أكثر مستعمراتها مسكونة بالمسلمين .

وفي ليلة الاسراء والمعراج في الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣١ ، انعقد المؤتمر الاسلامي الذي شهده مندوبون عن أكثر من اثنين وعشرين قطرا ، واسهم فيه عديد من كبار المفكرين والزعماء ، واصدر قرارات مهمة دعا فيها العالم الاسلامي الى مقاطعة البضائع الصهيونية ، ونادى بوجوب وقف الهجرة اليهودية ، وقرر انشاء جامعة اسلامية في القدس ، وانشاء شركة زراعية لانقاذ اراضي فلسطين والحيلولة دون استيلاء اليهود عليها .

غير ان هذا المؤتمر الذي نجح في صوغ القرارات واحداث صدى لها

مسموع في العالم ، لم يستطع أن يخلق لها الأثر العملي ، فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين .

وما كان ممكنا انشاء جامعة كبرى تنافس الجامعة العبرية في القدس ، ولا كان ممكنا انشاء شركة زراعية تحافظ على اراضي العرب ، الا بقوة مالية تسند العرب في مشروعهم ، والا بقوة من الحكومة توافق على استعمال ذلك المال .

وذهب وفد فلسطيني يجوب العالم الاسلامي ، ويقنع زعماءه بالخطر على المقدسات الاسلامية والوجود الاسلامي ، في ارض مسرى الرسول ، واستجاب المسلمون لهذه الدعوة ، وتسايقوا يسجلون اكتتابهم بمبالغ كبيرة في انحاء الهند الشاسعة ، ولكن بريطانيا تكتب من لندن الى حكومة الهند بوجود عرقلة هذه المساعي ومنع تحويل الاموال (٢٣) .

ان فكرة جمع الاموال من العالم الاسلامي فكرة هزت بريطانيا واقفلتها ، فان انشاء جامعة في القدس تهيء لشباب فلسطين سبيل العلم في بلادهم دون حاجة الى الاغتراب ، وسيطرة بريطانيا على التعليم سيطرة كانت تستهدف نوايا معينة ليست في صالح العرب ، على حين هي تعطي لليهود حرية التعليم في مدارسهم وبرامجهم التعليمية ، وهم يقيمون جامعة عبرية في القدس منذ عام ١٩٢١ يضع تشرشل حجر اساسها ويباركها ، واذا اسس العرب جامعة لهم في القدس ، كان معنى هذا ان النهضة التعليمية العربية لا تقل عن النهضة اليهودية ، وهو امر تحاربه بريطانيا في برامجها السرية والعلنية ، ويختلف عن المفهوم العام لوعده بريطانيا البلفوري في خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

وان انشاء شركة زراعية عربية تمول بأموال الأغنياء من مسلمي العالم ، سوف يكون عملا شبيها بالجمعيات اليهودية التي تتمول ماليا من يهود العالم كله ، وتمدهم بالملايين من اوروبا وأمريكا ، ولكن الاموال اليهودية تجد في رحاب القوانين البريطانية بفلسطين متسعا وترحيبا فتباع لها الأراضي المسيرة تحت اشراف الحكومة ، وتباع لها الأراضي الحكومية ، وتصادر أنواع أخرى (٢٤) ، بمراسيم من المندوب السامي وتعطى للوكالات

اليهودية باعتبار ذلك يتفق مع المنفعة العامة حسب التعابير التي تتردد في تلك المراسيم .

واذا اسست شركة زراعية عربية توافرت لها القدرة المالية ونافست في شراء الأراضي التي تعلنها الحكومة او التي يضطر اصحابها العرب لبيعها تحت وطأة قوانين بريطانيا التي نددت بها نفس اللجان البريطانية ، اذا اسست هذه الشركة كان معنى هذا ان اليهود لن يجدوا كل شيء مسيرا لهم في التملك والانشاء والانماء ، ولهذا حاربت بريطانيا جمع المال المسلم لفلسطين ، ومنعت تحويل الاموال ، واصدرت اوامرها الى حكومة الهند لمنع تحويل المال الى فلسطين .

كان وفد المؤتمر الاسلامي الى الهند يتكون من عدد كبير من زعماء العرب المخلصين ومن بينهم مفتي فلسطين السيد امين الحسيني ، والزعيم المصري المعروف المرحوم محمد علي علوية وشاعر الاسلام الهندي الكبير محمد اقبال ، وسرعان ما تبرع نظام حيدرآباد بمليون روبية ، وتبرع سلطان البهرة وبعض اتباعه بنصف مليون ، وتعد امير بهوبال بأموال كبيرة ، ولكن سكرتير اللجنة الاسلامية في الهند فيروز خان نون الذي كان يومئذ وزير معارف البنجاب اطلع على تعليمات وارده من حكومة لندن الى المدعو ونجتون نائب الملك في الهند ، تطلب اليه ان يعامل وفد المؤتمر الاسلامي بالاحترام ، وان يحال بجميع الوسائل دون نجاح مهفته ، لان من شأن نجاحه ان يعرقل سياسة حكومة جلالتة في فلسطين (٢٥) .

وبالفعل منع الانجليز خروج الاموال من الهند ، واحبطوا مهمة الوفد ، وبهذا لم تنجح فكرة مؤتمر العالم الاسلامي الذي انعقد في فلسطين ، لم تنجح حتى في مقاطعة البضائع اليهودية لدى المسلمين ، فلم يقف سيل التصدير من الشركات اليهودية في فلسطين ، ومن البيوت الصهيونية في العالم الى مختلف انحاء العالم الاسلامي ، الذي كان محكوما ببريطانيا وفرنسا وايطاليا ، ولم يكن لسكانه من رأي في منع التصدير الا بمقدار ما لهم من حكم بلادهم وهو قدر ضئيل تولاه التافهون في اغلب الاحوال .

١٢ - تقشير العرب وبذل اليهود :

على انه من الصدق ان لا نبريء انفسنا من الشح وعدم الاكتراث ، فان اجراءات الانجليز ليست وحدها التي حالت دون تقوية اهل فلسطين

(٢٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ١٢٩ .

(٢٤) راجع فصل الارض في اواخر هذا الكتاب .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ماديا ، بل كان الموقف العربي العام يسهم كثيرا في ذلك الضعف والفقر والعوز .

لقد كان عرب فلسطين يأملون العون من اخوانهم القريبين ، وكان فيهم اغنياء عديدون وملوك اثرياء واصحاب اقطاع ومزارع .

ولطالما صدرت نداءات مؤثرة من فلسطين تستنهض الهمم وتطلب القوة والعون ، ولكن شعوب العرب كانت تقابل تلك الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ، فيتكرم القليل بارسال البرقيات ، ولربما خرجت مظاهرة صاخبة في دمشق او بيروت ، وحين تبدأ الاكتتابات لا يزيد حجم التبرع عن فتات قليل لا يسمن ولا يغني من جوع .

اذاع عرب فلسطين بيانات عديدة اثناء احداث عام ٢٩ ، ١٩٢٠ ، جاء فيها :

« ان اللجنة العليا لاعانة المنكوبين تواجه الصعاب الشداد في أداء مهمتها التي لم تنته بعد ، لا يزال في السجون عدد عظيم تركوا وراءهم اطفالهم ونساءهم بدون عائل ، وهناك عدد كبير من القضايا بين يدي القضاء في حاجة الى العناية والانفاق ، وعدد كثير من الجرحى لم يستعيدوا فواهم ، ولم يستطيعوا الرجوع الى اعمالهم ، هذا عدا هناك من ايتام الشهداء ، واراملهم الذين هم في اشد الحاجة الى الاستمرار في العناية بهم وسد رمقهم ، لذلك فاللجنة تعود وقد نفذ ما لديها فتدعو كل كريم محسن الى مد يده الكريمة لتخفيف النكبة وسد العوز (٢٦) » .

لكن هذه النداءات كانت تنشر لا ليتحمس العرب ، بل ليتحمس اليهود ، فيسخون بالاموال الكبيرة والالاف الكثيرة ، فيعلن اليهودي اسحق رئيس الجمعية الصهيونية في الكاب انه تبرع بألف جنيه للجامعة العبرية في القدس .

ويكتب الأمير المجاهد المرحوم شكيب ارسلان منددا بموقف العرب والمسلمين وبخلهم ازاء نكبة الأرض المقدسة ، مقارنا بين مجموع التبرعات التي احصاها واصلة فلسطين من جميع المهتمين بها ، فكانت ثلاثة عشر ألف جنيه ، وبين النشرة الصهيونية التي تحصي تبرعات اليهود الى منكوبيهم في نفس الثورة ، فكانت اكثر من مليون جنيه ، ولا يشمل هذا المبلغ الملايين الأخرى الخاصة بالمشروعات الاقتصادية المختلفة التي

(٢٦) جريدة الشورى العدد ١٧ من يوليو ١٩٢٩ .

تنفقها الصهيونية هنالك (٢٧) .

وعلى الرغم من تلك النداءات المؤثرة الحزينة التي كانت تذيعها اللجنة العليا لفلسطين ، فان آذان حكامهم واغنيائهم كانت مقفلة صماء ، وحين يخرجون فيتبرعون لا ترقى تبرعاتهم الى مستوى الاحداث ، ولا تمثل الا نقطة ماء امام سدود اليهود المحصنة .

كان احد ملوك العرب يمثل في بلاده الملك والوزير والحاكم ، والمحافظ وجابي المال ، وكان شعبه ملزما بتقديم الزكاة والاعشار والضرائب اليه ، فكان هو المحاسب ، وكانت ميزانية بلاده تحت يده يصرفها ويتصرف بها كما يشاء ، وتقدم خطوة ليشترك في التبرع لفلسطين فلم يزد تبرعه عن ثلاثمائة جنيه ، وحرص على ان تنشر في الصحف كما لو كانت الملايين التي توسع ضائقة العرب (٢٨) .

وتنشر الصحف قوائم من التبرعات لاعانة منكوبي فلسطين وفيها حماة المسجد الأقصى ، فتأتي مجموعة من مختلف الوطن العربي والاسلامي فلا تصل كلها نصف الالف ، ولننشر لذلك مثلا :

« نشر في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٠ كشف من اربعة اقطار مختلفة ، واشترك في كل قطر عديد من التبرعين ، فكان المجموع واحدا وثلاثين جنيها ، وسبعة مليم ونصف اضيف الى مجموع سابق كانت قد جمعته جريدة الشورى ، فلم يزد الكل عن مائة وستين جنيها وثلاثة وسبعين قرش ونصف (٢٩) .

على ان الصهيونيين لم يحتاجوا يوما الى المال ، فهم اصحابه يجمعونه بكل الوسائل ، ومن جميع بلاد العالم بما في ذلك الوطن العربي ، ولقد نشرت المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في مصر ان يهود القاهرة ارسلوا اiban احتلال الانجليز ثلاثة آلاف جنيه تبرعا الى يهود يافا ، وذكرت ان يهود امريكا تبرعوا في عام واحد مجرد دخول النبي القدس بمبلغ مليوني جنيه للصهيونية في فلسطين ، كما تبرع روزلد جليوس من شيكاغو لليهود بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه .

وحين تضرر المسجد الأقصى ، وتألقت لجنة عليا في القاهرة لاعادة

(٢٧) الامير شكيب ارسلان ، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ، وانظر ايضا : حقائق

عن قضية فلسطين ، ص ١٦١ .

(٢٨) كتب وكيله خيرا بذلك التبرع في جريدة الشورى القاهرية عام ١٩٢٠ .

(٢٩) جريدة الاهرام العدد ٣ فبراير ١٩١٨ .

عمارته . لم ترد التبرعات عن عدد قليل من الافراد ولم تتجاوز بضعة الاف من الجنيهات ، ولم يجد كبار القوم من اصحاب الثروات والالقب الفخمة مانعا من ان يتبرع احدهم بمبالغ صغيرة لا تزيد عن العشرة او العشرين جنيها .

بل كان التجار اليهود يعملون بحرية وقدرة ونشاط في جميع انحاء العالمين العربي والاسلامي ، فهم في لبنان محميون بقوانين فرنسا وقد تجاوزوا التجارة فيه الى الاشراف على نظام الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وحين اكتشفت الجهة اليهودية التي تتخذ بيروت مركزا لتسريب اليهود الى فلسطين ، غضب العرب اللبنانيون ولكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا اكثر من الألم الدفين ينفثون آهاته في سكون ...

وهم في مصر يتمركزون في اهم البيوتات المالية ، لهم الكلمة العليا ، ويدهم الحول والطول ، فشيكوريل وبنزاويون وصيدناوي وقطاوي ومزراحي وهانو يتصرفون في المال والتجارة بحرية كما لو كانوا في ارضهم وبلادهم ، وكان جاتينيو وفلكس دانا ومانيو اسرائيل وسلفاجوربسيس وكوري ودافير محرز وليفرا وشاربيقتشو وموصيري وجوزيف ليفي واوفاديا سالم وروفيه وجرسين يتحكمون في البورصة وتجارة القطن والبصل وشركاته والمقاولات ويتصرفون في الاقتصاد المصري كما لو كانوا اسياده وحماته (٣٠) .

وفي شمال افريقيا بأقطارها الاربعة ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، كان اليهود يتحكمون في تجارة السكر والدقيق والصوف ويتعاونون مع دول الاستعمار مترجمين وعملاء وجواسيس .

وفي العراق استمر نشاط الصهيونية التجاري يسيطر مدة طويلة على تجارة العراق الخارجية في تصديره واستيراده .

ومن حصيلة نشاطهم في العالم العربي كانت تجمع اعاناتهم لليهود في فلسطين كما كان اليهود في بقية ارجاء العالم يجمعون الملايين لصالح مشروعاتهم في فلسطين . وتعتقل فرنسا لجنة التبرعات لفلسطين بالجزائر على حين يجمع العمون لليهود تحت حمايتها علنا(٣١) .

ولم يكن اليهود في العالم العربي يحسبون لشعوبه حسابا ، ولقد بلغ من استهانتهم ان نشروا في مصر انهم جمعوا لصالح الصهيونية آلاف

(٣٠) فني الرمي ، الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار - القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١١٧ .

(٣١) جريدة النورى العدد الصادر في ٢٥ من اغسطس سنة ١٩٢٧ .

الجنيهات ، ونشرت الأهرام ذلك دون ان تثير اهتمام احد ، فقد كان الجميع مشغولا بنكبات الانجليز ، اما الاغنياء وكانوا مجموعة كبرى غارقة في خير مصر فهم في شغل شاغل من لهوهم وعبتهم عن ان يفكروا في مستقبل الشعب الفلسطيني الذي يواجه وحده صراعا خطيرا ضد الصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية .

لقد استنجد شعب فلسطين بالعالم العربي حين اتضح ان ثورته عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ خلفت اسرا فقدت اربابها ، واطفالا مشردين وعائلات دون مأوى هدم الانجليز بيوتها واحرق جنودهم مزارعها .

وحين يتحدث اليوم بعض السطحيين العرب فيكيلون اللوم لشعب فلسطين مدعين انه لم يحافظ على ارضه ، يتناسون عن عمد او عن جهل ان المال العربي او الثروة العربية لم تتحرك من عالمنا يومئذ لتتف في صف الفلاح العربي الذي حرمته بريطانيا ارضه ، فاعتبرتها ارضا حكومية، تحت نظم النسوية التي ابتكرتها ، ولم يتحرك يومئذ ليساعد الفلاح الذي اثقلته بريطانيا بالضرائب واضطرته للبيع امام ملايين اليهود وسداد الديون (٣٢) .

١٢ - تقريرا جونسون وفرانسي :

ما من مرة تستشعر بريطانيا حركة مهمة تدب بين العرب الفلسطينيين الا عمدت الى سلاحها التاريخي في المماثلة والتخدير والمغالطة ، ولعل النفوس الهائجة والاعصاب المتوترة وحالة القلق التي كانت بادية في فلسطين في عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠ هي التي دفعت المندوب السامي البريطاني تشاسلون الى تعيين لجنة جديدة من موظفي حكومة فلسطين ، وعين لها المستر جونسون نائب مدير المالية رئيسا لها .

وكل لجنة عينت للتحقيق في احوال فلسطين اصدرت لجنة جونسون تقريرها موضحة الانتقال الخطيرة التي يشن تحتها الفلاح العربي ، ولا سيما تلك الضرائب الفادحة التي اوصلت المزارع العربي الى حالة من الفقر خطيرة .

واعلن التقرير في وضوح مسئولية الحكومة عن مساعدة الفلاح الذي زاد شقاؤه عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩ بالمئة الى ٣٣ بالمئة ، وفضحت هذه اللجنة البرنامج الحكومي الذي استهدف في

(٣٢) تقرير مستر فرانسي ، الخير البريطاني عام ١٩٢٨ ، ص ٢٧ .

١٤ - اصوات الحق العربي لا تسمع في بريطانيا :

باعت بالفشل كل تلك المحاولات التي بذلها الشعب العربي في فلسطين، من ارسال الوفود تعبر الاجواء الى لندن، تفاوض حكومتها وتحدث صحافيا ، وتباحث اعضاء مجالسها ، وتظهر لهم وجه الحق ، وتستنهض هممهم للوقوف الى جانب العدالة العربية في فلسطين، وتسربت الى الهواء واهملت كل تلك التقارير التي دبجتها اللجان العديدة، واوضحت فيها ظلامة العرب على تعاقب السنين .

اهمل تقرير اللجنة الامريكية التي جاءت الى فلسطين عام ١٩١٩ ، وبعد جولة كبيرة اعلنت في وضوح ان اخضاع شعب لهجرة يهودية غير محدودة ، واضغط اقتصادي واجتماعي من شأنه ان يجبره على تسليم البلاد ، يعتبر خرقا صريحا لمبدأ ويلسون الذي اعلن في الرابع من يوليو (تموز) ١٩٢٨ الذي ينص على ضرورة تسوية كل قضية على اساس قبول السكان لتلك التسوية ، بحرية لا اساس للمصلحة المادية لشعب مراعاة لنفوذه الخارجي ، ثم ان ادعاء اليهود بحقهم في فلسطين امر لا يمكن ان ينظر اليه نظرة جديده، ولذلك يجب ان يصرف النظر نهائيا عن جعل فلسطين دولة يهودية (٣٤) .

واهمل ايضا تقرير لجنة هيكرافت لعام ١٩٢١ الذي اعلن « ان استياء العرب ناتج عن ان بريطانيا راعت في تشكيل الحكم بفلسطين رغائب الصهيونيين متناسية حقوق السكان الاصليين ، وان اقحام فلسطين باناس اقدر من العرب على التجارة والصناعة عمل يقصد به الاستيلاء على موارد البلاد ونزعها من ايدي ابنائها » .

واهمل ايضا تقرير شو القاضي البريطاني الشهير الذي قال :
« انه من المحتم علينا ان نبدي ما يسود العرب في فلسطين من استياء عن الحالة الحاضرة ، فبالرغم من انهم يؤلفون الاكثريه الكبرى من السكان ، ليس لديهم مرجع معترف به للاتصال بالادارة ، على حين ان اقلية من شعب آخر لها علاقات معينة ورسمية معها ، وهي في مباشرتها لهذه العلاقات توجه نظر الحكومة الى مصالح الاقلية فقط (٣٥) .

واهمل ايضا تقرير سمبسون الخبير البريطاني الشهير والذي قال :

- (٣٤) النورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ - ٦٢ .
وانظر : بقطة العرب ، ص ٤٤٣ .
وانظر وثائق رئيسية من تاريخ قضية فلسطين ص ١١٦ - ١٢١ .
(٣٥) راجع بحثنا حول هذا التقرير ص ١٤٦ من هذا الكتاب .

فلسطين خلق وضع يحمي الانتاج اليهودي ، فيمنع استيراد كل ما يمكن ان تنتجه المصانع اليهودية ، على حين ترك باب التجارة مفتوحا بالنسبة الى الانتاج العربي ، فمن حق اليهود ان يستوردوا القمح والشعير كلما شاءوا ذلك ، مهما كان هذا الاستيراد ضارا بمصالح العرب مفلسا لهم ، وليس للعرب ان يستوردوا شيئا من تلك الاشياء التي ينتجها اليهود في فلسطين .

وذهب تقرير جونسون ادراج الرياح ، كما ذهب كل تقرير مماثل ينصف العرب ، ولكن بريطانيا لا تمل هذه السياسة التسوية المعرقة ، فكلفت من جديد المستر لويس فرنشي لدراسة الوسائل الكفيلة لتنفيذ مشروعات التنمية ، وكان ذلك في صيف ١٩٣١ ، ونشر فرنشي تقريرا مهما انحى فيه هو ايضا باللائمة على بريطانيا وقال :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما راينا مشكلة المزارعين الذين لا ارض لهم » .

واضاف فرنشي الذي كان يعتقد ان حكومته صادقة في تكليفه للبحث عن الحقيقة ، اضاف يقول :

« يجب على الحكومة المنتدبة ان تعمل بجد في الحال على ايقاف انتقال الاراضي للصهيونية ، ففي انجلترا نفسها سن قانون مماثل لحماية الفلاحين الانجليز ، واذا كنا نريد ان نحفظ وان نحمي حقوق الاغنياء واصحاب النفوذ اليهود ، فمن باب اولى يجب علينا حفظ وحماية حقوق الضعفاء والفقراء ، وبديهي ان خير ما يمكن به حماية الفلاح العربي هو ان نحفظ له ارضه من الفاصبين ، ولقد عرض كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة المطالبة ، اراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربقة هذه الديون (٣٣) .

ولم تكن تلك الديون التي يعينها فرنشي الا المبالغ التي اضطرت السياسة البريطانية الفلاح العربي الى ان يستدينها في سبيل اصلاح ارضه وزراعتها ، ثم كسدت محصولاته تحت تاثير اللوائح والقوانين البريطانية . فوجد الفلاح نفسه مدينا مطالبا منهار الاقتصاد وواهن القوى .

(٣٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٨ .

« ان الفلاح العربي يزرع تحت عبء الديون ، مثقل بالضرائب التي يتعذر عليه دفعها الا اذا عمد للاستدانة بفائدة كبيرة لا تكاد تصدق ، ان قسما من الشعب اضطر الى بيع ارضه ، اما لتسديد ديونه ، او لدفع ضرائب الحكومة ، او للحصول على ما يسد به رمق العائلة(٣٦) » .

واهملت بريطانيا ايضا كتابها الأبيض لعام ١٩٣٠ والذي يقول :

« ليس في استطاعة الحكومة وضع الأراضي تحت تصرف اليهود لاستقرارهم فيها ، وذلك لوجودها فعلا بيد العرب ، ولضرورة ايجاد اراض للمزارعين العرب الذين اصبحوا بلا اراضي (٣٧) » .

واهمل ايضا تقرير جونسون الذي ابان ظلم حكومة فلسطين للفلاح العربي الذي اصبح يدفع ٣٣٪ ضريبة ثابتة ، فأوقع العرب تحت طائلة الديون المرهقة ، والافلاس الشنيع بالاضافة الى حماية الانتاج اليهودي وفتح السوق لزحامة الانتاج العربي .

واهمل ايضا تقرير لجنة فرانش الذي فضح سياسة حكومته في تسليم الأراضي لليهود قائلا :

« لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها لما راينا مشكلة المزارعين الذين لا ارض لهم ، وعلى بريطانيا ان توقف فورا انتقال الأراضي الى اليهود ففي انجلترا نفسها يوجد قانون لحماية الفلاحين الانجليز » .

١٥ - اشتداد النضال الفلسطيني :

وعلى ما في هذه التقارير من تعبيرات مقنعة لسلطات الانتداب ، فان السياسة البريطانية التي ترمي الى تهويد فلسطين لم تتغير ، وصمم العرب على ان يوجهوا اهتمامهم الى الانجليز انفسهم ، وقد كانوا في معظم حركاتهم يحاربون الصهيونية ، ولكنهم تأكدوا ان اولئك الذين سحجوا الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذين ساروا على طريقة اللجان تبحث وتنشر تقاريرها ثم تذهب ادراج الرياح ، ان اولئك هم الانجليز انفسهم ، وهم الذين بيدهم الحكم وفي استطاعتهم الاستماع لو شاءوا الى نداء الضمير ومنطق الصدق ، ولهذا لم يجد العرب بدءاً في مؤتمريهم المنعقد في القدس عام ١٩٣٣ من مواجهة سلطات الانتداب بمطالبهم واعلانهم عدم التعاون معها ، والامتناع عن قبول دعوات حفلاتها ، وانهم سوف يعطون لتلك

السلطات شهرا آمليين ان تتخذ من الاجراءات ما يمنع تدفق المهاجرين اليهود ، وتسرب الارض الى ايديهم ، وحاولت السلطات منع العرب من اجراءاتهم ، ولكن الشعب اعلن اضرابه في جميع ارجاء البلاد في مارس (آذار) ١٩٣٣ .

وفي مدينة يافا اجتمع العرب من جديد ، معلنين انه لم يعد هناك امل في ان يراجع الانجليز موقفهم ، او يحدوا عن اسلوبهم الخطير في البلاد ، وقرر المؤتمر مقاطعة الحفلات الحكومية واللجان الرسمية والبضائع الانجليزية والصهيونية ، كما قرروا تأليف لجنة من جميع الاحزاب للاشراف والمشاركة في تنفيذ المقاطعة وان تبذل الجهود لدى الاهلين لشراء اسهم شركة انقاذ الأراضي .

لم يكن في جهد شعب فلسطين غير هذا ، فان مبدا المقاطعة للحكومة ومنتجات بريطانيا والصهيونية كان مبدا يستطيع العرب تنفيذه ، ولهذا عمدوا اليه برغم انه ضعيف التأثير ، لان شعب فلسطين ليس من العدد الكبير الذي تتأثر به صناعة بريطانيا ، ولو ان العرب في العالم كانوا يستطيعون المساهمة في ذلك الوقت لحدثوا حدثا مؤثرا مهما ، والقادة الفلسطينيين حين يحاولون حث الشعب على شراء اسهم انقاذ الأراضي ، انما يحاولون جمع مبالغ ايهامية فقد استطاعت بريطانيا بسياستها خلال انتدابها ان تحرم الفلسطينيين من الثروات ، واذا كان اغلب الشعب الفلسطيني من المزارعين ، فان في تلك التقارير الرسمية التي اوردنا نصيبا منها في الصفحات السابقة ما يثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الفلاح العربي كان فقيرا مثقلا بالديون مرهقا بالضرائب ، وان الحاصلات العربية التي يشترك في خيرها الفلاح او الممول او التاجر كانت دائما عرضة للخطر ، لا حماية لها ولا اهتمام بها .

لقد كان الهدف هو بذل محاولة لمنافسة اليهود في شراء الأراضي التي تعرضها الحكومة للبيع ، سواء بعد معاملة التسوية(٣٨) ، او بفعل الديون والافلاسات او سدادا للضرائب الكبيرة ، وكان يمكن ان يكون هذا العمل مشمرا لو ان العالم العربي والاسلامي اسهم في خلق هذه المحاولة وغذاها ومد لها يده ليستطيع عرب فلسطين ان يقفوا امام اموال اليهود التي ترد من جميع انحاء العالم ، وسياسة الانتداب التي تعهدت باعطاء الأراضي لليهود ...

(٣٦) راجع نص هذا التقرير ص ١٤٩ في هذا الكتاب .

(٣٧) راجع ما كتب عن هذا الموضوع ص ١٥٠ - ١٥٢ من هذا الكتاب .

(٣٨) راجع بحثنا عن الارض في الفصول الاخيرة من هذا الكتاب .



مشهد من مظاهرة جرت في يافا ، وفيها يسدو الزعيم
موسى الحسيني ، وقد انهال الجنود البريطانيون عليه ضربا

على ان الموقف ازداد حرجا حين اعلن ان عشرة آلاف يهودي دخلوا فلسطين بطرقهم الخاصة مهربين ، وانهم باقون بها ، وان آفا اخرى اعطيت لها تأشيرات الدخول على التوالي ، وبينما تندد الصحف العربية بسياسة بريطانيا وتهاجمها ، اعلن مؤتمر الصهيونية في براغ ضرورة فتح فلسطين للهجرة اليهودية دون تقييد ولا تحديد .

وكانت بريطانيا تحرّم على العرب التظاهر ، وتمنع حمل السلاح ، على حين انها تسلح اليهود ، وكانت تبيح التظاهر لليهود وتمطيهم الترخيص بذلك كلما طلبوه ، ولم يعد للعرب - بعد ان اعلنوا عن سياسة المقاطعة - حاجة لان يطلبوا منها تصريحا بالتظاهر ، فأعلنوا انهم متظاهرون في تواربخ يحددونها دون ترخيص ولا استئذان ، وجن جنون سلطات الاستعمار ، واعلنت انها لن تسمح بأي مظاهرة .

وفي يوم الجمعة الموافق ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٣ غادر المسجد الأقصى المبارك آلاف عديدة من المسلمين ، وانضم اليهم جمع كبير من المسيحيين ، وتقدمهم الزعيم موسى كاظم الحسيني وتعرض الجند البريطاني للمظاهرة الساخطة طالبا تفرقها ، ثم استعمل سلاحه فخرّ ٣٥ جريحا عربيا وعدد قليل من رجال الامن .

وفي نفس تلك الليلة حيث كانت خمس وثلاثون اسرة عربية تضمد جراح فتيانها ، اعلن الزعماء العرب انهم سيقومون بمظاهرة اخرى دون تصريح حكومي في مدينة يافا ، وطالب المندوب السامي بعدم التظاهر ، ولكن العرب لم يكونوا معترفين بتلك المطالبة ، ولا مصفين لرئيس دائرة التهويد ، وفي الموعد المحدد الجمعة ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) كان الشعب العربي يتجه من القدس والخليل وحيفا وكل انحاء فلسطين الى يافا ، وامام باب الجامع الكبير في يافا وقع اصطدام مع الجند الذين كانوا يمثلون قوات كبيرة من مشاة الجيش البريطاني وخيالته ومدرعاته ، وبينما كان الشباب العربي ينادي بسقوط بريطانيا وحياة الأمة العربية ، اطلقت النار على جموع المتظاهرين ، فاستشهد من العرب اثنان وثلاثون شابا ، وجرح ١٦٧ عربيا ، وضرب الشيخ الجليل موسى كاظم الحسيني في رأسه فرجع جريحا جرحا لم تفارقه آلامه حتى توفي شهيدا في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٣٤ .

وقرر ان تقام مظاهرة اخرى اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) ولكن المندوب السامي اصدر امره فاعتقل الزعماء العرب الذين كانوا يعتقدون اجتماعهم في مقر الجمعية الاسلامية المسيحية في يافا ، واخذهم الى سجن عكا بعد ان اشبعهم اهانة وضربا . وعمت المظاهرات المدن الفلسطينية ، وتحرك الفلاحون يشاركون اهل المدن مظاهراتهم في الرملة والقدس وعكا وحيفا ونابلس والخليل ، وكان البوليس يفرقها مستعملا الرصاص في جموع العرب .

واعلن شعب فلسطين الاضراب لجميع قطاعاته اسبوعا كاملا ، احتجاجا واطهارا لسخط الشعب العربي على السياسة البريطانية .

ولئن تميزت هذه الفترة بالمظاهرات والاضطرابات من الشعب الذي اعلن مقاطعته للحكومة وعدم التعاون معها ، فان ذلك لم يكن هو كل العمل المجدي الممكن القيام به ضد سياسة الانجليز في فلسطين ، لكن القوانين التي اصدرها الحكام البريطانيون ارغمت الشعب العربي ان تطول فترة استعداده للثورة ، وهي فترة قضاها يبحث عن السلاح مهما كان شأنه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته قديما ، ومهما كان مفعوله ضعيفا ، وهو حين يبحث عن السلاح لا بد له من الاتصالات السرية مع قومه العرب في شرق الأردن وسوريا والعراق ، وللانجليز في جميع تلك البلدان القول الأعلى ، ولهم فيها مخابرات فطنة تحصي حركات الفلسطينيين وتتبع اتصالاتهم .

ولهذا لم يكن سهلا على شعب فلسطين ان يتسلح من العراق واغلب وزاراته في ذلك الحين محكومة بوزارة الخارجية البريطانية ، ولم يكن مسيرا له التسلح من سوريا ولبنان وكتلتاهما تعاني مظالم فرنسا ووحشيتها ، وتقع حدودها تحت الرقابة الصارمة المتفق عليها بين الانجليز والفرنسيين ، ولم يكن يسهل عليه ان يتسلح من شرق الأردن ، وجهاز الحكم فيه في تلك الفترة يمثل مظرا لامارة عربية يدير افكارها مندوب بريطاني ، ويتحكم في جيشها ويفرض وجوده واحترامه على الجميع ، ولم تكن مصر في حساب من يمكن الاستعانة بهم لعرب فلسطين ، فالمعسكرات الانجليزية تحتل مواقعها في القاهرة وعلى ضفاف النبال ، وهي الاحتياطي القوي الذي كثيرا ما استعين به لمحاربة تحركات العرب في فلسطين ، ولم يكن ممكنا ان يتسلح عرب فلسطين مباشرة ، فان الجمارك والسواحل والحدود محكومة اما بضباط بريطانيين او بضباط من اليهود ، ولم يكن للعرب شأن يذكر في مجال هام من تلك المجالات .

وعاد عرب فلسطين الذين اعياهم التظاهر والاضراب .

عادوا يبحثون في باديتها ولدى فلاحها عن السلاح القديم ، هذا مزارع اخفى منذ احتلال الانجليز سلاحا عثمانيا وقليل من رصاص ، وهذا عامل استطاع ان يستولي على بعض القطع من جيش الاحتلال في اثناء وصوله ، وذلك تاجر كان قد خشي مصيبة القوانين البريطانية فأخفى ما امكن اخفاؤه حتى ليكاد ينسى مكانه ، وسرت روح قومية بين الشعب العربي كل يتنادى الى السلاح ، وكل يعمل على جمعه ، ولكن السلاح نادر ، عزيز ، قليل .

كان كثير من المهتمين يعتقدون ان الاجراءات التهويدية التي اتخذها هيربرت صموئيل اول مندوب سام بريطاني ، جاءت مدفوعة بعقيدته اليهودية ، وعلاقته التاريخية مع الصهيونية التي اعترف بها هو نفسه ، والتي اشرنا الى تقريره عنها في الفصول السابقة (٣٩) ، ولكن ثبت ان كل حاكم بريطاني سار على نفس الدرب مما يدل على انها سياسة مرسومة . وقد تابعه في نفس خطواته كل من خلفه من المندوبين الاخرين ، وقد خلفه بعد ذلك عام ١٩٢٥ المدعو لورد بلومر وعلى الرغم من انه لم يكن يهوديا فان سياسته كانت طبق الأصل لسلفه (٤٠) ، وفي عهده حدثت ثورة ١٩٢٩ وفي عهده ايضا سلب كثير من الاراضي من ايدي العرب وسلم الى اليهود .

وتولى الجنرال ارثر واكوب ادارة فلسطين في اواخر عام ١٩٣١ وكان رجلا عسكريا يتولى قيادة القوات البريطانية في ايرلندا ، فاعتقد البعض انه بعيد عن التأثيرات اليهودية ، ولا بد ان يحدث تغيير في سياسة حكومة فلسطين ، ولم يلبث هذا الامل ان تبدد ، ففي سنوات حكمه اكتشف السلاح اليهودي المهرب ، والمغمضة عنه عين الحكومة ، وفي ايامه بلغت الهجرة اليهودية ذروة نشاطها ، فبينما كان عدد اليهود في اواخر عام ١٩٣١ لا يزيد عن ١٧٠ الفا بلغ عددهم ٢٣٤،٢٦٧ في اواخر عام ١٩٣٦ بمعدل ٤١٠،٦٨ شخصا سنويا ولم يزد معدلهم السنوي قبل ذلك عن ٣ آلاف (٤١) ، بل لقد ثبت انه اغمض العين خلال حكمه عن الهجرة غير الشرعية ، ويقصد بها هنا تلك الهجرة التي تتم دون اذن من سلطات الانتداب البريطاني ، حتى قدرت الاعداد التي تسربت الى فلسطين بنحو ستة وعشرين الفا لعام ١٩٣٣ و ٣٦،٤٠٠ لعام ١٩٣٥ ، وقد اعترف بذلك

(٣٩) راجع ما كتبه في صفحات ٦٨ ، ٦٩ من هذا البحث .

(٤٠) WEIZMANN TREAL AND EROOR, LONDON, 1949, P. 406

(٤١) جامعة الدول العربية ، الهجرة الفلسطينية ، ص ١٥ .

واكهوب نفسه قائلا في خطاب له :

« ان عددا كبيرا من اليهود يدخلون البلاد تهريبا بصورة غير مشروعة دون علم الحكومة او باذنها ومراقبتها ، وعددهم لا يقل في الواقع عن عدد اليهود غير المهريين » .

وفي عهد واهوب هذا تم استيلاء اليهود على مستنقعات الحولة التي كانت مقطعة لأسرة سلام البيروتية(٤٢) منذ العهد العثماني ، لاستغلال الارض المجففة ، وتوزيعها بثمن معقول على الفلاحين العرب ، ولم ينفذ اعتراض المزارعين الفلسطينيين واعتبارهم البيع باطلا ، واستجارتهم بالحكومة ، لم ينفذهم هذا بل سلطت الحكومة جنودها وبوليسها ، واخرجت عنوة واقتدارا ١٦ ألف عربي وهدمت اكواخهم واستولت على بيوتهم ، واطلقت النار على جموعهم ، فقتلت وجرحت الكثيرين ، وسلمت لليهود قرابة ١٥ الف متر مربع في منطقة الحولة .

وبنفس روح العنف والشدة سلط واهوب جنوده المدججين بالسلاح على الفلاحين العرب في وادي الحوادث فأخرج المزارعين العرب من ديارهم حيارى ، سيقوا مع مواشيهم بالقوة ، وأبى بعضهم أن يترك أرضه ومرابعه فسقط شهيدا برصاص السلطة .

حقا لقد كان واهوب البريطاني الأصيل يمثل الصورة الصحيحة للسياسة البريطانية التي تحدث عنها مفتي فلسطين في كتابه « حقائق عن قضية فلسطين » ، والذي ذكر فيه ان رسلا بريطانيين اتصلوا به وبغيره من الفلسطينيين عام ١٩٣٤ وعرضوا ان ينقل عرب فلسطين الى شرق الأردن ، على أن يعطوا ضعف مساحة الأراضي التي كانوا يملكونها ، وان يقدم اليهود جميع الأموال المطلوبة لذلك ، ولم يكن هذا غريبا على بريطانيا التي شرحتنا في الفصول السابقة اوجه خداعها وصور مواقفها العدائية العديدة للشعب العربي في فلسطين وللأمة العربية جمعاء .

ويتفق هذا مع ما ذكره وايزمان في مذكراته من أنه اتفق مع بريطانيا على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب(٤٣) .

وفي هذا الجو الملبد المشحون بالعواطف الثائرة المتأثرة ، دعا المفتي زعماء الأحزاب الستة لتناسي الخلاف وللوقوف صفا واحدا تجاه

السياسة البريطانية ، وقدم رؤساء الأحزاب مذكرة الى المندوب السامي مطالبين بانشاء حكومة وطنية ووقف الهجرة ، ومنع انتقال الأراضي لليهود ، ولم تأبه بريطانيا بالمذكرة العربية ، ولم تخش شيئا مما تضمنته من انذار .

١٦ - مؤتمر العلماء :

ومن جديد وتحت ارهاق واهوب المندوب السامي الجديد ، انعقد مؤتمر العلماء برئاسة مفتي فلسطين وحضره مئات من قادة الدعوة الاسلامية والقضاة والمدرسين وغيرهم ، واصدروا قرارات حول الأراضي والهجرة وضرورة اباحة وقف الارض لصالح المسلمين ، ولكن هذا المؤتمر الديني الفلسطيني لم يئأس من عون العرب والمسلمين ، انه ما زال كالفريق الوحيد الذي يأمل النجاة متعلقا بأوهى الاسباب واضعف الوسائل ، انه يذيع نداء الى ملوك المسلمين والعرب وامرائهم وزعمائهم عن حالة فلسطين ولاخطار التي تتهددها ، وذهب نداء العلماء ادراج الرياح ، فقد كان الملوك والرؤساء والزعماء كما يصفهم ابو سلمى الشاعر الفلسطيني :

قالوا الملوك وانهم	لا يملكون سوى الهيد
دكت عروش زينوها	بالسلاسل والقيود
المجد ان يحمي الرصاص على	المدى حمر البنود
قوموا اسمعوا من كل ناحية	يصيح دم الشهيد
قوموا انظروا الوطن الذبيح	من الوريد الى الوريد

ولكن احدا منهم لم يقم لينظر مذابح الشعب العربي في فلسطين ، وضاع صوت عرب فلسطين في قصور العواصم العربية ، ولم يلتفت احد من الحكام العرب لنجدة شعب فلسطين .

ولم يعد امام شعب فلسطين الا ما صوره شاعرهم المرحوم ابراهيم طوقان :

امامك ايها العربي يوم	تشيب لهوله سود النواصي
فلا رحب القصور غدا بياق	لساكنها ولا ضيق الخصاص
مناهج للابادة واضحات	وبالحسنى تنفذ والرصاص

١٧ - ثورة الشهيد عز الدين القسام :

كان الشيخ عز الدين القسام داعية من دعاة الاسلام ، وبطلا من ابطاله ، اشترك من قبل في الثورة العامة التي قامت في سوريا ضد

(٤٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٦٤ .

(٤٣) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٣٠ .

الفرنسيين ، وحمل سلاحه حتى قدر لتلك الثورة ان تقف ، فجاء الى حيفا متخذاً منها مقاما ومستقرا ، وكان « القسام » رجلا عالما مؤمنا صادقا ، فكان يلتقي بتلاميذه في مسجد حيفا الكبير تحت ستار الدروس الدينية ، وما كان درسه موقوفا على البحث عن فتوى الزواج والطلاق ،



الشهيد الشيخ عز الدين القسام

ولا عن افتراضات الفقهاء في عصور التأخر ، ولكنه كان درسا من دروس اعلام المسلمين الذين يؤمنون بان الجهاد العملي والقتال الصادق هو خير منطق يجابه به الاعداء الذين يهاجمون ارضنا ويدنسون مقدساتنا ، وانه لا كرامة لمسلم يرضخ للاعداء او يعاملهم او يصادقهم او يطمئن اليهم ، وما انتهى يوما من الايام من درسه الا وختمه بقوله تعالى : « ومن يتولهم منكم فانه منهم » وكان الشباب والرجال يلتفون حول الشيخ عز الدين القسام ، وحين يعودون الى بيوتهم يتحادثون حول الوطن ، ويستعيدون دروسه

وتعاليمه ، وابتدأت المنطقة تشهد اعمالا بطولية عظيمة ، فمنذ اوائل ١٩٣٥ شهد المثلث العربي « جنين ، نابلس ، طولكرم » سيلا من الاغتيالات للضباط الانجليز ونسفت القطارات ، وهاجمت معسكرات الجيش البريطاني ، وقتل اي عربي يثبت لدى الوطنيين اتصاله بالبريطانيين اتصالا مرييا .

وكانت هذه الاعمال تتم تحت جنح الظلام ، وفي فترات متعاقبة غاية في الدقة والتنظيم والسرية ، وسرت روح الجهاد بين الشعب ، فتتابع تنظيم التشكيلات السرية ، وزادت متاعب البريطانيين وارهابهم . ولقد كان القسام صادق الرأي مخلص العقيدة ، فربا بنفسه ان يدعو الى الجهاد ولا يجاهد ، وان يشهد تلاميذه يقاتلون ولا يقاتل ، وان يكون قائد الجهاد قابعا وراء احد اعمدة المساجد ، او بعيدا عن الميدان كما يفعل عديد من قواد المعارك او الدعوات ، ربا بنفسه عن هذا واعلن في قوة وجهر عن معاداته لسلطات الانتداب ، وعزمه على منازلة الجنود البريطانيين في سبيل عروبة فلسطين .

وحاصرت قوات الاحتلال عرين البطل المجاهد ودارت معركة في غابة « يعبد » بمنطقة جنين ، انتهت يوم ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٥ باستشهاد القائد وبعض رفاقه ، واصر الباقون من عصبته المؤمنة ، ليسجنوا ويعذبوا طويلا في سجون الاستعمار ، وذهب القسام البطل المجاهد الى ربه شهيدا ، فجدد في النفوس معنى التضحية والاعتزاز بالبطولة ، وقوى من عزائم شعب فلسطين الابي برغم قلة العتاد وضالة الزاد .

ورثاه الشاعر فؤاد الخطيب فقال :

اولت عمامتك العمائم كلها	شرفا تقصر عنده التيجان
ان الزعامة والطريق مخوفة	غير الزعامة والطريق امان
ما كنت احب قبل شخطك انه	في بردتبه يضمها انسان
يا رهط عز الدين حسبك نعمة	في الخلد لا عنت ولا احزان
شهداء بدر والبقيع تهلت	فرحا ، وهش مرحبا رضوان

صُورٌ ... مَكْتُوبَةٌ

مشتركة على جميع المكلفين من سكان المنطقة التي ارتكب فيها الهجوم « .
قانون العقوبات المشتركة بفلسطين ، مادة ٥ و هـ

« ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب قانون منع الجرائم اثبات ان المتهم ارتكب فعلا معيناً او افعالا معينة من شأنها ان تظهر غايته « .

المادة هـ فقرة هـ ، قانون منع الجرائم بفلسطين

« لقد عاد اليهود الى بلادهم وشكروا لمن رفضوا اقتراح كينيا ، لو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة لاعطيناها اليوم « .

وزير المستعمرات البريطانية - ١٩٣٥

« اني اطالب العالم العربي والاسلامي ان يدرك فلسطين قبل ان تصبح اندلسا ثانية « .

امين الحسيني - ١٩٣٦

« ندعوكم للاخلاق الى السكنية معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وسبواصل السعي في سبيل مساعدتكم « .

نداء الملوك العرب لشعب فلسطين - ١٩٣٦

« مثل الدين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون «
قرآن كريم

يا جهادا صفق المجد له	لبس الفار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به	وبناء للمعالي لا يدانى
قم الى الأبطال نلمس جرحهم	لمسة تمسح بالطيب يدانا
قم نجع يوما من العمر لهم	هبه صوم الفصح هبه رمضان
انما الحق الذي ماتوا له	حقنا ، نمشي اليه حيث كانا

الاختل الصغير
عن ثورة فلسطين ١٩٣٦

اتخذوا يا المان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم ، انهم يكافحون انجلترا (اكبر امبراطورية في العالم) واليهودية العالمية معا ، ببسالة خارقة ، وليس لهم في الدنيا نصير او مساعد ، اما انتم فان المانيا كلها من ورائكم « .

رسالة هتلر الى المان السوديت - ١٩٣٦

« ان خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يقومون بحرب العصابات ، لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح « .

الجنرال ولسون ، وكان قائدا بريطانيا في بعض معارك فلسطين

« لقد يسنا من عدالة بريطانيا ، قلنا لها يا صديقة الاسلام والعرب احذري ان تفجئينا بفلسطين الأقصى وفلسطين القيامة فلم تسمع ، ايها الانجليز ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام فاخثاروا ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا اقسنا ان تظل فلسطين لنا او نظوي شهداء « .

الحرس الوطني الفلسطيني - ثورة ١٩٣٦

« اذا لم تتوقفوا (عن الثورة) فلن يكون هناك اعفاءات من الضرائب ، ولا اعانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو انتم وقرابتكم - .
قبل ثلاثة اشهر كان التاجر العربي والفلاح العربي يفيد عائلته ويؤمن راحتها ، واليوم اصبح التاجر والفلاح في فقر ، ان المداومة على أعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم « .

فقرات من المنشور البريطانية التي التقتها الطائرات
على معاول المجاهدين الفلسطينيين - ١٩٣٦

« يجوز للمندوب السامي ان يأمر بزيادة قوة البوليس في اي منطقة اضطراب ويلزم المكلفون من سكان المنطقة بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة ، ولحاكم اللواء بموافقة المندوب السامي ان يأمر بفرض غرامة

الفصل السادس

ثورة العرب الكبرى

١٩٣٦

١ - الاضراب الشامل :

كان لثورة الشهيد عز الدين القسام التي ابتدأت سرية ، ثم اعلنت عن نفسها في ذكرى وعد بالفور ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٥ ، صدى بعيد المدى في نفوس البريطانيين ، فقد هالهم ان يستطيع شعب فلسطين الثورة المسلحة ، ويحاول مقاومة الجيوش البريطانية اسابيع طويلة ، ورغم تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها بريطانيا ضد التسليح ، وبرغم سياسة الافقار والتجويع والحصار التي سنتها في فلسطين منذ احتلالها .

ولم يمر شهر على استشهاد القسام حتى اعلن المندوب السامي انه عازم على تأسيس مجلس تشريعي في فلسطين يتكون من اربعة عشر عضوا عربيا واربعة عشر عضوا من اليهود والبريطانيين والاجانب ، وانه سوف يضع قانونا يمنع انتقال الارض في بعض المناطق ، ويحتم استبقاء جزء كاف لاعالة الأسرة .

ولكن هذا المشروع على ضعفه الذي اراد به الانجليز تهدئة ثائرة العرب ضدهم ، لم يعش الا اياما ، فقد رفضه اليهود بعنف وقوة ، وتحرك اساطين الاستعمار بعد ذلك فأعلنوا معارضتهم له ، لم يتخلف عن ذلك المدعو (سنل) زعيم المعارضة العمالية ، ولا (تشرشل) وامثاله من المحافظين ، ولم تتقدم بريطانيا بعد معارضة اليهود خطوة واحدة في صالح العرب ولم يجرؤ المندوب السامي على تنفيذ شيء مما اعلنه ، وكان شعب فلسطين يدرك لسوابق الاحداث ان بريطانيا لن تحيد عن طريق التهويد الذي سنت من اجله صك الانتداب وجعلته متمما لوعده بالفور .

وبينما كانت نفوس الشعب العربي تغلي لهذا الموقف البريطاني

المريز ، وبينما ردد الجميع قصص الثورة المجيدة التي تحركت في قضاء جنين ، تتقدم سلطات فلسطين لاغتصاب اربعمائة الف متر مربع من ارض المدرسة الزراعية العربية بطولكرم لتسلمها الى اليهود(١) ، فيتظاهر الطلاب ، وينتشر السخط بين السكان ، ثم اقدمت بريطانيا على اعطاء مقاليد يهودي بناء ثلاث مدارس في قلب يافا العربية ، وحرمت هذا العمل على العمال العرب واختص اليهود وحدهم ، وحين تظاهر العمال العرب هاجمهم الجند ، واعتقل عديدا منهم ، وترك قسما من قواته تحمي العمل اليهودي(٢) .

ويعلن اليهود رسميا انهم فتحوا اکتتابا في امريكا لجمع سبعمائة الف جنيه ، حتى يتم نقل الف شاب من المانيا الى فلسطين .

وتستمر مناقشات مجلس العموم البريطاني ، وتنشر وتقرأ في فلسطين ، وكلها مليئة بالفكر اليهودي والمحاورة للعرب حتى اواخر مارس (آذار) من نفس العام .

وتظاهر العرب معلنين سخطهم على سلطات الانتداب ، وتتابعت احداث واضطرابات طوال شهر ابريل (نيسان) .

وفجأة ظهرت جماعة عربية مسلحة ، واعترضت سيارات كانت تعبر الطريق الى يافا ، فسلبت اموالها وقالت للركاب العرب اننا نأخذ اموالكم لكي نستطيع ان نحارب العدو وندافع عنكم ، وقتلت يهوديا ، وهاجم اليهود عربيين فقتلوهما عند مستعمرة بتاح تكفا اليهودية ، واستمرت الحوادث وتطورت الى قتال بين العرب واليهود ، فلم يحن يوم ٢٠ من ابريل (نيسان) ١٩٣٦ الا وكان قد قتل ١٢ يهوديا وجرح ٦٥ منهم ، وجرح ٤٧ عربيا واستشهد ٦ اشخاص ، وعمت الاضطرابات القدس والخليل وحيفا ، ومن حيفا ابتدأت الدعوة للاضراب العام تعبيرا عن السخط ضد السياسة البريطانية .

ولم يحن اليوم العشرون من ابريل (نيسان) حتى كان الاضراب يعم فلسطين كلها ، ولكنه لم يكن اضرابا جزئيا ولا محدودا ، بل كان عاما شاملا مؤثرا مستمرا ، كان اضرابا وحيدا في نوعه لم يعرف له مثل في التاريخ ، ابتدا في ابريل واستمر ستة اشهر حتى اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٦ .

لقد شاهدنا اضطرابات سياسية عديدة في منطقتنا العربية ، التي

(١) جريدة الامرام ١٥ فبراير ١٩٣٦ .

(٢) جريدة الامرام ٢٤ فبراير ١٩٣٦ .

واستمع شعب فلسطين لنداء اللجنة ، ونفذ قراراتها ، اضرب طلاب المدارس ، وتوقف المحامون عن حضور المحاكمات ، واغلقت الغرف التجارية في القدس وحيفا ويافا ونابلس وجميع أرجاء فلسطين ، وامتنع عن العمل رؤساء المدن والمناطق ومديرو البلديات ، واغلق المجلس الاسلامي دوائره العديدة ، وامتنع السجناء العرب عن العمل التي اعتادت السلطة تكليفهم به ، واصر رجال البوليس العربي في طولكرم ويافا والقدس على الاضراب ، واعلن الأطباء العرب أنهم سوف يعالجون المرضى مجانا مهما طال الاضراب ، وشاركت المرأة رجال الوطن وأسهمت بجهودها في استمرار الاضراب ، واضرب سائقو السيارات والموظفون والمدرسون ، واغلقت المتاجر الكبيرة والصغيرة ، وامتنع القرويون عن انزال محصولاتهم الى الأسواق ، واغلق بائعو الخضروات متاجرهم ، ولم تبق الا الصيدليات والأفران توزع الخبز تحت ارشاد من زعماء الاضراب .

٢ - اشتعال الثورة :

وفي مطلع شهر مايو (ايار) بدأت انفجالات الاضراب العربي تتحول الى جهد مسلح ، وصدر في الثالث منه بلاغ رسمي من دائرة المندوب السامي ، يعلن وقوع حوادث عديدة في مختلف المدن الفلسطينية ، فقد اشعل العرب حريقا هائلا في ساحة الأخشاب بميناء يافا ، وألقيت القنابل في عديد من المدن ، واعتقلت السلطات اثني عشر عربيا في مدينة حيفا .

وبدا الفلسطينيون يكتلون الرأي العام ، وتوزع المسلمون والمسيحيون العرب يخطبون في الكنائس والمساجد ، ويحاربون سياسة بريطانيا في بلادهم ، ونادت اللجنة العربية العليا بالامتناع عن دفع الضرائب ، وتابع العرب جهادهم ، فأشعلوا حرائق جديدة في أنحاء مختلفة من فلسطين ، وقتل احدهم برصاص البوليس ، وقطعت المواصلات بين يافا وتل أبيب .

ولم يفت في عضد العرب تكرار سلطات الانتداب لاندازهم في الخامس والسادس من مايو (ايار) بانهم سوف يجمعون الاضراب والاضطراب بشدة وعنق ، ولم يزددهم هذا الانذار الا تمسكا وتصميما (٥) .

واعلنت بريطانيا ان كل قرية او مدينة يخل فيها النظام ستعين فيها مجموعات من البوليس على حساب تلك القرية (٦) . ونفذت ذلك في جنين

(٥) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٥ من مايو ١٩٢٦ .

(٦) جريدة الاهرام العدد ٤ من مايو ١٩٢٦ .

بليت بالاستعمار وهددها الطفيان الاجنبي ، وكان الاضراب يستمر يوما او يومين ، ولربما بدأت شكاوى عديدة من الاضرار بالمصالح او فساد الحاجيات ، وتوقف دولا العمل ، اما ان يستمر الاضراب شهرا كاملا ثم يمتد حتى يتم شهوره الستة ، فهذه صورة رائعة نادرة من صور البطولة العربية التي رسمها شعب فلسطين ، وهكذا استمع الشعب لنداء الحزب العربي الفلسطيني ، بان يستمر اضرابه ، وكان هذا الحزب طليعة من طلائع الحركة المنظمة للجهاد ، حتى تكونت اللجنة العربية العليا وضمت كل احزاب فلسطين .

وواجهت هذه اللجنة المؤتلفة التي تم تشكيلها من جميع الاحزاب على ما بينها من تفاوت (٣) في التفكير والأسلوب ، واجهت الاحداث بشجاعة ، واجمعت كلها على ضرورة مقاومة السياسة البريطانية مقاومة عملية ، لم يشد عن ذلك حتى حزب المعارضة الذي يمثلته راعب النشاشيبي ، والذي يتهم بالاعتدال ، ويرى الفائدة في التفاهم السلمي مع الانجليز ، واعلنت اللجنة انها سوف تستمر تدعو الشعب الى الاضراب والجهاد ريثما تجاب مطالبه التي حددتها في :

١ - ايقاف المهجرة اليهودية نهائيا .

٢ - منع انتقال الاراضي الى اليهود .

٣ - انشاء حكومة وطنية في حياة برلمانية .

ومن جديد تلفت عرب فلسطين الى ملوك وامراء ورؤساء العرب والمسلمين ، آملين ان يعملوا على انقاذهم وتحرير المقدسات ، ولكنهم لم يجدوا احدا ... وبدت فلسطين بلدا توقفت فيه الحركة تماما ، فقد كان اليهود برغم سيل هجرتهم لا يمثلون الاكثرية ولا ما يقاربها ، وظهرت الصورة الحقيقية لفلسطين العربية امام العالم اجمع ، واخذت الصحف العالمية تنشر تحقيقاتها اليومية متابعة ايام الاضراب المتواصلة ، وانك لتجد فيها تلك الايام الخالدة الشجاعة مسطرة بعناوين مثيرة : « اليوم التسعون لاضراب فلسطين » « اليوم المائة لاضراب فلسطين » « اليوم المائة والعشرون (٤) » ... وهكذا .

(٣) كانت هذه اللجنة تتألف من السيد امين الحسيني والفرد روك ، والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الفصين ، وجمال الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، واحمد حلمي باشا ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج ، وعبد اللطيف صلاح ، ومحمد عزة دروزه ، وفؤاد ساياب .

(٤) راجع مجموعات الصحف العربية بدار الكتب بالقاهرة ، وبنكبة الجامعة العربية .

التي رشق أهلها بعض السيارات بالحجارة ، وكان يراد من هذا الاجراء البريطاني ارهاق الشعب العربي ووقفه عن مواصلة الكفاح .

وطبقت (٧) بريطانيا على مدن فلسطين وقراها العربية المادة الرابعة من قانون العقوبات المشتركة :

« اذا رأى المندوب السامي أن منطقة أو قسما منها في حالة خطر أو اضطراب فيجوز له أن يعلن ذلك بأمر أو مرسوم يصدره ، وأن يأمر بزيادة قوة البوليس التي تقيم عادة في تلك المنطقة ، وإلى الحد الذي يراه ضروريا ، وللمدة التي تعين في الأمر أو المرسوم ، ويلزم المكلفون من سكان تلك المنطقة ، أو ذلك القسم بالنفقات الناشئة عن تلك الزيادة (٨) » .

وكانت بريطانيا قد أثقلت كاهل الشعب الفلسطيني بهذا القانون وتلك المادة طوال مدة انتدابها منذ أن شرعته في ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٢٦ .

وفي السابع من مايو (أيار) والاضراب مستمر قوي عنيد ، اجتمعت اللجنة العربية في مؤتمر عام بالقدس ، واشترك المندوبون من القرى والمدن ، وقد أعلن السيد أمين الحسيني رئيس لجنة الاضراب المؤتلفة ، « أن العرب لم يعودوا يثقون في الانجليز » وأهاب بالأمة أن تثبت إلى النهاية ، مستعرضا أحداث فلسطين وعهود بريطانيا للعرب ، وطالب العالم العربي والاسلامي « أن يدركوا فلسطين قبل أن تصبح أندلسا ثانية (٩) » .

لقد كان هذا الانذار الموجه للأمة العربية التي سقت عبر التاريخ ارض فلسطين بدمائها ، وللأمة الاسلامية التي تهفو قلوبها إلى أولى القبليين وثالث الحرمين الشريفين ، منبثقا من صميم الاحساس المدرك للخطر ، ولكن العرب والمسلمين لم يكونوا قد استطاعوا ان يفكروا بحرية حتى يدركوا الخطر المحدق بفلسطين ، والذي سوف يحيلها إلى أندلس ثانية ، ثم تصبح محتلة بالاعداء ، شوكة في جنب الأمة العربية وقاسما لشرورها ، ومانعا من وحدة أراضيها .

وأصدر المؤتمر قرارات اهاب فيها بالأمة أن تقف صفا واحدا في وجه العواصف المبيتة للوطن ، وأن تتوقف عن دفع الضرائب بتاتا ، وأن

يستمر اضرابها إلى أجل غير مسمى ، وبدأ الطلاب والشباب والعمال يطوفون اطراف القدس قبل الفجر ويمنعون أي بائع يصل المدينة بأي شيء من الخضار أو اللحوم أو الفاكهة .

وواصلت دار المندوب السامي اصدار بلاغاتها الرسمية ، فأعلنت في التاسع من مايو (أيار) (١٠) أن النار أطلقت على سيارة يهودية كانت بين الرملة ويافا ، وأن الحرائق اشتعلت في معمل الظروف بقربة عتليت قرب حيفا ، واستمرت من الصباح إلى الرابعة مساء . وتصف البرقيات الصحفية الواردة من القدس فلسطين بأنها تظهر شاحبة الوجه بسبب الاضراب وكأنها تقترب من عاصفة لا يعلم أحد متى تبدأ بالهبوب .

ولم تتراجع بريطانيا عن سياستها تجاه شعب فلسطين ، وأعلنت عن وصول امدادات عسكرية كبيرة قادمة من مصر ، وهي التي سبق أن أعلن كتابها الأبيض أنها تحتفظ في فلسطين بفرقتين من المشاة وسربين من الطائرات وأربع فرق من السيارات المسلحة من قواتها العسكرية .

ان تحرك الشعب العربي في فلسطين ، برغم قلة عدده متسلحا بالشجاعة والایمان بحقه ، أرغم الامبراطورية العجوز أن تستعين بقوات جديدة ، غير مكثفة بما في فلسطين من فرق اعدتها لتحارب العرب ولتهود فلسطين ، وفي اليوم الثاني لاعلان وصول القوات العسكرية الكبيرة من مصر أعلن المندوب السامي أن الحكومة قادرة في كل وقت على اخماد كل حركة خارجة على القانون .

وسلط المندوب السامي جنوده وبوليسه ، يمتقل الشباب العربي لاتفه اشتباه ، وقد بلغ عدد المعتقلين إلى اليوم العشرين من الاضراب ستمائة عربي (١١) .

وتشير البرقيات الصادرة من القدس في التواريخ الواقعة بين اليوم الثالث عشر واليوم الثلاثين من مايو (أيار) ١٩٢٦ إلى أن حالة الهياج في فلسطين تبدو شديدة مقلقة ، وأن مدن فلسطين تترنح بين القنابل والحرائق ، ففي حيفا القيت قنبلة على مركز البوليس وحطمت ثلاث سيارات نقل يهودية ، وفي يافا اشعلت النار في مدرسة يهودية ، واسفرت الاضطرابات الدموية عن جرح ١٧ عربيا . وفي القدس أعلن منع التجول من الثامنة مساء حتى السادسة صباحا ، وقد قتل من العرب واليهود

(١٠) جريدة الاهرام العدد ٨ و ١١ من مايو ١٩٢٦ .

(١١) جريدة الاهرام ١٢ و ١٨ من مايو ١٩٢٦ .

(٧) جريدة الاهرام العدد ٧ من مايو ١٩٢٦ .

(٨) مجموعة القوانين والناشر الفلسطيني ، مكتبة الجامعة الامريكية ، بيروت .

(٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية .

سبعة افراد ، وجرح كثيرون .

واضطر الموظفون اليهود الى الاضراب لعدم تمكنهم من اداء اعمالهم ، كما اضطر اليهود القاطنون في القدس القديمة الى النزوح عن مساكنهم خوفا من ثورة العرب ، وهجر اليهود مستعمراتهم الى القدس الجديدة ، وتصادم المساجين العرب مع حراسهم ، بينما هاجم العرب المستعمرات اليهودية واطلقوا عليها الرصاص . واعلن الكناسون العرب انضمامهم الى الاضراب ، فاضطربت بلدية القدس اضطرابا كبيرا ، واستعانت الحكومة بالبوليس لأعمال الكناسة .

وخرجت المظاهرات في جميع المدن ، وحطمت الأنايب التي تسقي القدس بالمياه ، وقطعت الاسلاك التليفونية بين مدن فلسطين ، وقطعت اسلاك الإذاعة في القدس ، وانتشر الجنود البريطانيون يحرسون دار المندوب السامي ودوائر الحكومة والسكك الحديدية ، واستشهد عربي تبادل اطلاق النار مع كونستابل بريطاني ، والقيت قنبلة أخرى على مبنى البوليس في يافا ، واعلن رسميا أن تعزيزات بريطانية أرسلت الى بئر السبع ، وبينما كان منع التجول مستمرا ، قررت حكومة فلسطين دفن القتلى ليلا لكي لا تقع أحداث دموية أثناء تجمهرات الدفن ، وبلغ عدد القنابل التي اقيت في الثالث والعشرين من مايو (ايار) بنابلس على الجنود البريطانيين ١٥ قنبلة .

وبينما زحف عرب قرية بلعا الى طولكرم اصطدموا مع الجنود ووقعت معركة كبيرة ، وتكرر الصدام بين العرب والجنود في يافا ، واصبحت مساجد يافا الاسلامية تحت اشراف الجنود الانجليز ، واعلنت يافا عصيانها قانون منع التجول الذي فرضه المندوب السامي ، فحدثت معارك طاحنة بين الشعب والجنود البريطانيين ، واعلن المندوب السامي أن الجيش البريطاني احتل نابلس عسكريا ، ثم عاد واعلن ذلك بالنسبة لطولكرم أيضا ، وبينما تجري مصادمة بين الجند البريطاني والمتظاهرين في القدس ، اقيمت المتاريس والحواجز في شوارع المدينة كجزء من اقامة العوائق امام تحركات العرب .

واعلن رسميا (١٢) أن الطائرات البريطانية اكتشفت تجمعا لعصابات عربية في الجبال وأنها طاردتهم بقنابلها ، واعلن أن الاضطرابات والاضرابات تحولت الى ثورة مسلحة ، وقد هاجمت مجموعة من الشباب العربي معسكرا

(١٢) جريدة الاهرام ٢٤ من مايو ١٩٣٦ .

للجيش البريطاني واستولت على البنادق والذخيرة .

ونصب الجيش المدافع الرشاشة على الأسطح ، وبرغم منع التجول فان صوت الرصاص لم ينقطع طول الليل (١٣) . وارشدت الطائرات البريطانية عن أماكن تجمعات المجاهدين العرب في جبال نابلس ، فخرجت القوات البريطانية ، ونشبت معركة شديدة قرب قرية « توزا » واستمرت ساعتين ، وهاجم المجاهدون مستعمرة « مليس » اليهودية وأحرقوا مخازن البرتقال فيها ، واستمر دوي الرصاص وانفجار القنابل طول ليل السابع والعشرين في يافا ، وقطع المجاهدون الطريق الى القدس ونشبت معركة حامية بينهم وبين الجنود البريطانيين .

وفي اليوم الثامن والعشرين أسفرت الثورة عن وجهها بوضوح اكبر، وتقول البرقيات « لا تزال الحالة على أشدها في جميع أنحاء فلسطين ، فالجبال غاصة بالعصاة (المجاهدين) والمدن والقرى مضرية ومنتشرة على قوانين الحكومة ، والطرق غير مأمونة ورجال المصائب (المجاهدون) يهاجمون المستعمرات والمزارع اليهودية بلا انقطاع ، والمصادمات وحوادث القتل والتدمير تتوالى في كل مكان ، واسلاك التليفون والتلغراف تقطع مرة أو مرتين في اليوم ، والخواطر قلقة والافكار مضطربة (١٤) .

وفي اليوم الثلاثين من مايو (ايار) اعلن أن المجاهدين هاجموا مستعمرة كينوتس هايجار واشعلوا النار في الممتلكات اليهودية بجوار يافا ، وسمع دوي الرصاص والقنابل في الرملة ونشبت معركة بين المجاهدين والبوليس ، وقد أسر احد افراد البوليس لدى الثوار العرب ، وسقط تسعة عشر جريحا عربيا في مظاهرات غاضبة ، واضرب العمال العرب في شركة البوتاس واستقال افراد من البوليس العربي فقدموا الى المحاكمة ، وهوجمت مستعمرة يهودية ، وأحرق المهاجمون خمسمائة ألفين من شجر البرتقال، وأتلفوا المحصولات الزراعية اليهودية ، وهاجم فدائيان عربيان اثنين من الكونستبلات الانجليز وقتلا أحدهما ، كما نسف الجسر الممتد شمال أريحا (١٥) ،

وهكذا انقضى شهر مايو (ايار) من سنة ١٩٣٦ وفلسطين العربية كلها نائرة مجاهدة . لقد كان سكان فلسطين العرب يقاربون السبعمائة الف نسمة ، وكانوا يكافحون بريطانيا بجيوشها واساطيلها وطائراتها ،

(١٣) جريدة الاهرام ٢٧ من مايو ١٩٣٦ .

(١٤) جريدة الاهرام ٢٩ من مايو ١٩٣٦ .

(١٥) جريدة الاهرام ٣٠ من مايو ١٩٣٦ .

ويكافحون معها الصليبية الاستعمارية متمثلة في فرنسا وأمريكا ، وإيطاليا وهولندا وبلجيكا واليونان وكلها دول أسرعت بتأييد وعد بالفور ، والعمل على تهويد فلسطين ، ويكافحون أيضا الصهيونية العالمية التي سيطرت على دول أوربا وأمريكا ودوائر المال فيها فسيرتها لمصالحها ، وأصبحت صاحبة الحول والطول لدى أحزابها ورجالها .

واشتطت سلطات الانتداب البريطاني من جديد في تطبيقها التعسفي لقانون العقوبات المشتركة ، وارهقت الشعب مستهدفة أبقاره واعوازه . فطبقت المادة الخامسة من ذلك القانون ، والتي نصها :

إذا ارتكب جرم ، أو الحق ضرر بالاموال في منطقة ، وكان لدى حاكم اللواء ما يحمله على الاعتقاد بأن سكان تلك المنطقة :

أ - ارتكبوا ذلك الجرم ، أو تسببوا في ايقاع التلف أو الضرر .

ب - تواطؤوا على ارتكاب ذلك الجرم ، أو على ايقاع التلف والضرر .
أو ساعدوا على ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر بأي وجه من الوجوه .

ج - تخلفوا عن تقديم ما في وسعهم من مساعدة لظهور الجرم أو المجرمين أو للقبض عليهم أو عليه .

د - تواطؤوا على فرار أو إيواء أي مجرم أو شخص يشتبه أنه اشترك في ارتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو بأن له ضلعا في ذلك .

هـ - تعاونوا على اخفاء بيانات جوهرية ، تتعلق بأرتكاب الجرم أو ايقاع التلف أو الضرر .

فيجوز له بعد إجراء التحقيق بموافقة المندوب السامي أن يأمر بفرض غرامة مشتركة على جميع المكلفين من سكان تلك المنطقة (١٦) .

وكانت بريطانيا قد اعلنت منذ أوائل مايو (أيار) قانون الطوارئ الذي جاء رهيبا عنيفا ، وقد أعطى للحكومة حق انزال العقوبات الصارمة لمن تقتنع أنه مخل بالامن ، وأن للسلطة أن تضع يدها على أي منزل أو بناء تقتنع أن رصاصة أو قنبلة أو مواد متفجرة قد أطلقت منه ، وللمندوب السامي أن يأمر بهدم ذلك المكان أو التصرف فيه كيفما يشاء (١٧) .

(١٦) راجع نص القانون في مجموعة اللوائح والقوانين الفلسطينية بمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت تحت رقم ٥٦٩ - ٢٤٩ .
(١٧) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين .

وكعادة بريطانيا في سياستها التقليدية ذات الوجهين ، بينما كانت اجراءاتها التعسفية تستمر ضد الشعب العربي بشدة وعنف ، كانت تحاول تهدئتهم وانهاء اضرابهم وثورتهم بطرق الترغيب والخداع .

ووصل نوري السعيد يحاول التوسط ، وعاد دون جدوى ، وسعت بريطانيا للايقاع بين العرب المسيحيين والمسلمين ، وأسندت الى عدد كبير من المسيحيين مناصب استحدثتها للفرض المذكور والفتى في البرلمان البريطاني لجنة برئاسة المدعو وتترتون ادعت صداقة العرب والدفاع عنهم بقصد تضليلهم وتهدة ثورة نفوسهم واقناعهم الا يقطعوا آمالهم في الانجليز .

وظهر الأمير عبدالله (١٨) على مسرح الاهتمام ، وسعى لوقف الثورة وانهاء الاضراب، ولكن الشعب الفلسطيني الممثل في مؤتمر القدس قرر الاستمرار في الكفاح حتى النهاية، واستمر جهاد شعب فلسطين، وعلى طلقات الرصاص ودوي القنابل وأنين الجرحى وسلاسل المعتقلين اصدر الحرس الوطني منشوره التالي :

« ايها الشعب الباسل :

باسم الحرس الوطني نوجه اليك هذا النداء ، فقد رأينا ان نغير اساليب كفاحنا قبل ان نطلب الى الانجليز تغيير سياستهم ، ووسائلنا معهم كانت احتجاجات وبيانات ، وسيلتنا الآن كفاح عملي شريف ، هم الاصل في قضيتنا واليهود فرع ، هم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء ابنائنا دفاعا عن هذه الحركة الائمة ،

ابتها الامة الشريفة .

سيري في اضرابك العظيم الى النهاية ، الرجوع قتل لوطنيتنا انه انتحار ، مضيا الى ان تنال البلاد حقها ، واذا الانجليز استكبروا صمدنا لهم الى النهاية فأما فلسطين عربية واما كل عربي فيها شهيد .

الى الانجليز :

لقد يسنا من كل شيء اسمه عدالة بريطانيا ، رجونا ، طلبنا ، استعطفنا ولكن ذهب كل محاولتنا عبثا ، قلنا لها - يا صديقة الاسلام والعرب - احذري ان تفجعي العرب والاسلام بفلسطين الاقصى والقيامة

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

مدينة القدس ، وقد نشرت برقيات الصحف في الرابع من يونيو (حزيران) ان مدينة القدس قد ضاقت باللاجئين اليها من المستعمرات اليهودية ، واصح امر اعاشتهم عسيرا جدا .

وقد طالبت الهيئات اليهودية حكومة الانتداب وضع حد لهذه الاضرابات ، ورفض اهالي بني مالك دفع الضرائب للحكومة استجابة لنداء رئيس اللجنة العربية العليا ، وانفجرت قنابل عديدة في اللد وعكا وطبريا ، واطلق المجاهدون الرصاص على مركز البوليس في بيت دجن ، ونسفوا الجسرين الواقعين بين القدس والخليل وقتلوا يهوديين ، وتمرضت دوريات الجنود البريطانيين لهجمات عديدة من الثوار المجاهدين .

وبينما تتحرك نابلس فترسل لها الدبابات والطائرات يهاجم المجاهدون مستعمرتي الكركور وعين شمس .

واعلن ان خسائر اليهود حتى الرابع من يونيو (حزيران) بلغت مليونين من الجنيهات ، وجرح ثمانية من اليهود حيث القيت قنبلة على سيارة كانوا يستقلونها ، وهاجم المجاهدون مستعمرتي بيت الفا وخابوري ، وقطعت اشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، واشتبك المجاهدون في معركة مع الجنود البريطانيين في الخليل ، وهوجمت قافلة من السيارات اليهودية ، وهاجم العرب خفيرا يهوديا فقتلوه ، ونسفوا الجسر الواقع بين حيفا واللد .

ونشبت معركة بجوار نابلس ، وهاجم المجاهدون المستعمرات اليهودية بجوار القدس واحرقوا ١٨ الف شجرة برتقال ، وحطموا اعمدة التليفون ، ولم يستطع الجنود البريطانيون التحرك اذ نسف المجاهدون جسور الطرق العامة .

وبينما يعلن في القدس عن وصول امدادات كبيرة من الجند البريطاني في مصر يهاجم المجاهدون الحرس العسكري في محطة اللد ، ويهجمون على القطار الذي يقل الجنود البريطانيين ، وعلى دورية بريطانية بجوار تل ابيب ، كما هاجموا مستعمرة الخضيرة ، ونسفوا جميع جسور السكك الحديدية (٢٣) .

ووزعت المنشورات في جميع المدن والقرى تدعو الى الثورة ، كما هاجم المجاهدون قوة من رجال الشرطة فسلموا لهم سلاحهم ، وقتلوا كونستبلا عربيا لعدم تعاونه مع الثورة ، وهاجموا معسكرات الشرطة

(٢٣) جريدة الامرام ٤ و ٨ و ٩ من يوليو ١٩٢٦ .

فلم تسمع ، حقنا داسوه ، شرفنا تعرض للشتيمة ، بلادنا كادت تصبح للعدو بالمره ، اذن سماعا ايها الانجليز : لا مهادنة بيننا وبينكم ، حتى تجاب مطالبنا الحققة ، وهذه لا تحتاج الى ذكرها لكم ، يدركها الطفل في مهده ، والشيخ على حافة قبره ، ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام ، فاختاروا الذي تريدون ، اننا لا نهدد قواتكم الهائلة ، ولكننا اقسمنا مع ذلك ان تظل فلسطين لنا او نظوي شهداء (١٩) .

وعادت بريطانيا سيرتها الاولى ، سيرة ارسال اللجان والتحقيق حتى اذا ظهر وجه الحق واعلنت وفود بريطانيا تقاريرها استمرت في باطلها الثقيل .

فقد اعلنت في ١٨ مايو (ايار) انها سوف ترسل لجنة ملكية لبحث اسباب الثورة ، وبدا المندوب السامي يلح على اللجنة العربية العليا ، ويقابلها مرات كل يوم محاولا اقناعها بايقاف الاضراب وتهذئة الخواطر ، ولكن العرب كانوا قد ملوا اللجان والتقارير واستنفدوا كل وسيلة سلمية يمكن ان تؤدي الى الحق مع بريطانيا ، ولقد سبق لهم ان اسمعوا وسمعوا ، وقابلوا اكثر من سبعة لجان فاعلنوا مقاطعتهم للجنة الملكية المقترحة (٢٠) .

ووسط معائل الثوار تساقطت المنشورات البريطانية تدعو المجاهدين الى وقف الثورة ، وعلى ما في هذه المنشورات من محاولة التفرير والخداع ، فان العرب لم ينسوا سوابق اللجان والمحققين ، ولهذا لم تجد المنشورات لدى عرب فلسطين الا اعراضا .

وجاء شهر يونيو (حزيران) ١٩٣٦ والثورة تأخذ شكلها الجدي .

هاجم المجاهدون فصيلة من الجنود البريطانيين وقتلوا ضابطا وجنديين ، وقتل يهودي في مستعمرة « كيزال شاول » (٢١) وهاجم العرب مستعمرة « هاتفكا » اليهودية ، واحرقوا عدة منازل ، والقوا قنبلة على دار الحكومة في القدس ، واشعلوا حريقا كبيرا في يافا ، فاحدثوا خسائر كبيرة جدا ، ونسفوا الخط الحديدي بين القدس واللد ويافا ، ووزع المجاهدون منشورات دعوا فيها الشعب الى الثورة (٢٢) .

وتحت الضربات العربية اضطر اليهود الى هجر مستعمراتهم الى

(١٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية . ص ٨٢ .

(٢٠) جريدة الامرام ٢ يوليو ١٩٢٦ .

(٢١) جريدة الامرام ٢ من يوليو ١٩٢٦ .

(٢٢) جريدة الامرام ٣ من يوليو ١٩٢٦ .

في الجنوب ، واستمر قطع اشجار اليهود ، فقطعت ٢٨٠٠ شجرة برتقال في مستعمرة يهودية ، واحرقوا سيارتين يهوديتين ، واحرقوا غابة بالفور ، وتوقفت السيارات اليهودية عن السير في طريق القدس - حيفا - نابلس لشدة تربص المجاهدين بها ، وظهر جنود البحرية البريطانية يحرسون محطات السكك الحديدية .

واطلق الرصاص على المندوب السامي في اليوم الحادي عشر من يونيو (حزيران)، وأعلن عن مهاجمة العرب للمستعمرات اليهودية في يافا، وعن مهاجمتهم الجند البريطاني في طريق بيت لحم والمخيمات البريطانية في جوار نابلس ، واطلق الرصاص على المدعو « سيكرست » مفتش البوليس البريطاني في القدس ، فنقل في حالة خطيرة الى المستشفى ، وحدثت معركة بين المجاهدين والجنود البريطانية عند قرية «دير شرف» وهاجم أحد الثوار في يافا شرطيا بريطانيا فظمنه بخنجره في صدره ، واستشهد الثائر برصاص الجند البريطاني ، وانفجرت قنبلة في طريق حيفا اللد ، وأعلنت الحكومة جوائز مالية للارشاد عن الثوار ، وأصدرت قانونا لمصادرة اموال الاعانات .

ولكن الثوار لم يهدأوا ، فهاجموا سيارة تقل جنودا بريطانيايين وسيارات يهودية بين القدس - يافا ، كما هاجموا مستعمرة كفار عصيون، واتفوا الوفا من الاشجار ، وتبادلوا الرصاص مع الجند البريطاني ، واحرقوا معملا يهوديا في القدس ، وهاجموا مركز البوليس في عكا واتفوا كثيرا من اشجار البرتقال في مستعمرة انثيا (٢٤) .

ودارت معارك بين الثوار والجند البريطاني بجوار جنين ، وهاجم المجاهدون قوة من الجند بين سبلة الزهر وجنين حيث وقعت معركة كبيرة ، وقطعت اسلاك التليفونات بين القدس وأريحا ، واطلقوا النار على القطار الحديدي ، وهاجموا مركز البوليس في بيت لحم ، واحرقوا بعض الاكواخ في محطة طيران اللد .

وهاجم المجاهدون العمال الذين يعملون في الخط الحديدي الجنوبي ، وقطعوا اسلاك التليفون عند خان الله ، واتفوا اشجار البرتقال والكروم بالقرب من مستعمرة « زهرون يعقوب » فجزوا قنبلتين في دار بلدية حيفا ، واطلقوا النار على جبال كنعان واشعلوا حريقا في مستعمرة منحا .

وفي الثاني والعشرين من يونيو (حزيران) أعلنت السلطات عن نشوب اعظم معركة بين جنودها وبين الثوار العرب ، وقد اشتركت فيها الدبابات

(٢٤) جريدة الاهرام العدد ١٨ و ١٩ و ٢٢ من يونيو ١٩٢٦ .

والطائرات على خط طوله عشرون كيلو مترا ، وقد عززت القوات البريطانية اثناء المعركة بنجديات من فرقة السيפורت ، مع عدد من الدبابات والطائرات وقد اتقسم الثوار الى فريقين احدهما تحصن في جهة الشمال واحتش القسم الأكبر في الجنوب ، وقد استؤنفت المعركة بشدة في ميدان ازدا طوله الى ثلاثين كيلومترا وهاجم الثوار المستعمرات اليهودية في « راما هاكوتش » و « مال لنفسكي » و «مجل» كما هاجموا حاميات القطارات

وتستمر البلاغات الرسمية البريطانية تعلن عن الحوادث اليومية ويتضح انها كانت ثورة شاملة قوية موزعة .

وقد اجرينا احصائية للاحداث التي اعترفت بها حكومة فلسطين فر بلاغاتها الرسمية الصادرة من الرابع والعشرين من يونيو الى الثلاثين من سنة ١٩٣٦ ، فبلغت ستة عشر بلاغا رسميا عن سبعة ايام مما يدل على انه اضطرت الى اصدار اكثر من بلاغ واحد في بعض الايام .

وتفيد بلاغاتها الصادرة بين التاريخين المذكورين عن وقوع اربعمير حادثة من الحوادث المختلفة ، كمهاجمة المستعمرات اليهودية ، واتفاء اشجار البرتقال في المستعمرات اليهودية ، وتعطيل المواصلات التليفونية ونسف الجسور بين المدن المختلفة ، والايقاع بالقوافل اليهودية ، ومهاجمة محطات السكك الحديدية ، ونشوب معارك مختلفة متنوعة بين المجاهدين العرب والبوليس البريطاني تارة، وبينهم وبين الجنود البريطانيين تارة اخرى. وفي مختلف البقاع من نابلس وجنين الى القدس وبيت لحم الى الخليل ويافا وبمستعمرات تل ابيب على ساحل البحر .

وجن جنون المندوب السامي ، فأصدر امره بابعاد امين سر اللجن العربية العليا الى الحفير ، ثم أمر بابعاد رئيس لجنة اضراب السيارات . ثم أمر بابعاد رئيس بلدية يافا ، واستمر المندوب ينزل جام غضبه على شعب فلسطين العربي حتى شرد من كل بيت عددا وابعده من كل أسرة قسما . وكانت بريطانيا قد أعدت لذلك الأمر تشريعها المشهور « قانون منع الجرائم » الصادر في ٢٢ من ديسمبر (كانون اول) ١٩٣٣ ، والذي نثبت هنا بعض من مواده تسجيلا لاساليب بريطانيا في تهويد فلسطين :

« المادة ٥ فقرة ٤ ب : ليس من الضروري في الاجراءات التي تتخذ بموجب هذا القانون اثبات ان المتهم ارتكب فعلا معيناً او افعالا معينة من شأنها أن تظهر غايته ، او تنم عن نيته ، أو أخلاقه ، ويجوز اصدار قرار بحقه ليستمر الاعتقال أو التعمد أو اطلاق السراح اذا ثبت لحاكم اللواء او لرئيس المحكمة المركزية من ظروف القضية او من أخلاقه المعروفة وجوب

اصدار قرار بحقه ، ويحظر على من طبق عليه هذا القانون أن :

١ - ينقل مكان اقامته الى اي قضاء او مدينة او قرية اخرى .

٢ - ان ينقل مكان اقامته الى اية منطقة بوليس اخرى .

٣ - أن يغادر القضاء او المدينة او القرية ويجب عليه أن :

١ - يعلم مدير بوليس اللواء الذي يقيم فيه عن حركته او مسكنه .

٢ - ان يحضر الى اقرب مركز بوليس كلما كلف بذلك .

٣ - ان يبقى داخل مسكنه من غروب الشمس الى شروقها ،
وللبوليس أن يزوره في مسكنه في اي وقت يشاء .

وكل مخالف يعاقب بالحبس او الغرامة (٢٥) .

٣ - صور من الفدائية والبطولة :

ومن واقع الجرائد اليومية التي واصلت نشر البلاغات البريطانية خلال عام ١٩٣٦ احصينا حوادث شهر يوليو (تموز) ١٩٣٦ فكانت كما يلي :

اشمل الثوار ثلاثة حرائق كبيرة في انحاء مختلفة من فلسطين ، والقوا حوالي ثلاثين قنبلة لاتلاف الخطوط الحديدية ، وفي الطريق بين المدن والقرى والمستعمرات اليهودية وتحت الجسور وبجوار منازل الحكام البريطانيين وعلى مراكز الشرطة .

وشنوا اثني عشر هجوما على مستعمرات اليهود ومخازن بضائعهم في مختلف انحاء البلاد ، واتفوا ثمانية واربعين الف متر مربع بما فيها من اشجار مثمرة في مستعمرات اليهود وبساتين الحكومة ، وقطعوا اسلاك التليفون ثلاث مرات بين عديد من المدن والقرى ، وقامت اربع وعشرين معركة بين المجاهدين والجيش البريطاني في نابلس وصفد وطرطوف وعكا والخليل ومستعمرة بن شيمان وغزة وبجوار اللد وطولكرم وكفر سبع وكفر عشيون ، واعترفت البلاغات الرسمية خلال هذا الشهر بثمانية وعشرين قتيلًا وجريحًا من البريطانيين واليهود ، وتم اعتقال ستة وثمانين عربيًا وانزلت الغرامات المالية على تسعة من المدن والقرى العربية (٢٦) .

(٢٥) مجموعة المنشور والقوانين الفلسطينية ، مكتبة الجامعة الامريكية بيروت ، رقم

٢٤٩ - ٥٦٩

(٢٦) احصائية عن جريدة الاهرام، الاعداد الصادرة من ١ يوليو الى ٢١ يوليو ١٩٣٦ .

ورفع اليهود شكواهم الى سلطات الانتداب البريطاني راجين حفظ الامن ، وبدأت جموع منهم تغادر فلسطين ، الامر الذي اثار قلق بريطاني خوفي على انهيار برنامجها الخطير فيها ، واستمر اعلان الاحكام العرفية وفرض منع التجول في جميع انحاء فلسطين من الساعة مساء الى الساعة صباحا ، ثم استعان المندوب السامي بالطائرات تلقي قنابلها على معازل المجاهدين يوما ، وتلقي المنشورات تدعوهم فيها الى انتهاء الاضراب والثورة يوما آخر ، واذاغ المندوب السامي بيانا طويلا طالب فيه العرب بالهدوء والاقلاع عن الاضراب واعمال العنف ، ولكن المجاهدين اترفوا انايب بتروال العراق ثلاث مرات متوالية برغم التعزيزات العسكرية التي صدرت بلاغات سمية تفيد القيام بها لحراسة تلك الانايب ، وبلغ من سيطرة المجاهدين ن البلاغات كانت تعترف بدخولهم الى قلب المدن والقرى واحداثهم التفجيرات في عديد من الاماكن ، واضطربت حال اليهود اضطرابا خطيرا فهجروا مستعمراتهم وتجمعوا في تل ابيب وهددتهم المجاعة فظاهروا يطالبون بالخبز (*) .

ولكن الاحداث كانت تتوالى بسرعة كل يوم منبعثة من تصميم شعب فلسطين وشجاعته ، فلم يلتفت احد الى المنشورات ولا الى النداءات ، وهكذا وضع لسلطات بريطانيا في فلسطين الموقف الحازم الذي اتخذه الشعب العربي هناك ، واحتارت في ذلك الاجماع الذي وحّد صفوفه حتى لم يشذ احد عن الكفاح ، فاتجهت الى محاولة جديدة عسى ان تصل بها الى الافساد بين صفوف الشعب المتحد ، فهي قد يئست من ارضاخ اللجنة العربية العليا ، وهي قد ارتبك موقفها في فلسطين امام انظار العالم ، فاخذت تلقي بمنشوراتها على معازل الثوار وفوق القرى والجبال عسى ان يجدوا فيها مطمعا يبعدهم عن مشقة الجهاد .

ولنظهر صورة صادقة لعجزها في مقاومة الثورة ، وحيرتها امام الجهاد العربي ، ثبت فقرات من تلك المنشور العديدة :

المنشور الاول :

« من الذي يخسر بسبب الأعمال الخارجة عن القانون القائمة الآن ؟
ان الرجل الفني يعيش مرتاحا في المدينة ، وهو لا يعرض اسباب معيشتة للخطر .. ان الذي يخسر هو ذلك التاجر الصغير الذي اجبر على

(*) جريدة الاهرام اعداد ٢١٥٢٧ و٢١٥٢٨ و٢١٥٢٩ و٢١٥٣٠ من يوليو ١٩٣٦ .

اغلاق دكانه . ان الذي يخسر هو ذلك البائع الصغير التي تتلف بضائعه فيما لو حاول بيعها . ان الذي يخسر هو الفلاح الذي لا يستطيع ان يبيع محصولاته في السوق .

اليس صحيح؟... الزموا الهدوء والسكينة ودعوا التحقيق يبدأ (٢٧)»

وأستمر عرب فلسطين في جهادهم ، فلم يكن المنشور يحوي ابلغ ولا اقوى من العبارات التي سبق أن تضمنتها وعود بريطانيا للشريف حسين ، فعمدت بريطانيا الى التهديد والوعيد وتبذر بطايراتها منشورا جديدا .

فقرات من المنشور الثاني :

« في اوقات العنف عندما امسكت السماء عن المطر ، وامحلت مزروعاتكم اعنتكم الحكومة من دفع الضرائب ، ولكنها تنفق اموالها الآن على توقيف الاعمال الخارجة عن القانون ، فاذا لم تتوقفوا عن الاعمال الخارجة عن القانون وتحافظوا على النظام ، فلا يكون هنالك اعفاءات من الضرائب ، ولا اعانات ، وترتفع الضرائب ، ان الذي يخسر هو انتم وقربتكم » .

ولم ينفع هذا المنشور ايضا في وقف الثورة العربية ، ولم يخش العرب ارتفاع الضرائب ولم يطمعوا في اعانات بريطانيا ، فسلكت هذه لغة جديدة ملؤها اللوم والوعود ، فالقت منشورا جديدا .

فقرات من المنشور الثالث :

« لماذا الاستمرار على اعمال العنف والاضطراب ؟ ما دمتم لا تجنون من ذلك سوى تأخير الوقت الذي ستسمع فيه ظلامات العرب ، لقد وعدت حكومة جلالته ان تكون اللجنة الملكية حيادية وذات سلطة ، ولكنها لن تأتي حتى يعود النظام الى نصابه، ضعوا حدا للشقاء الذي تسببه اعمال العنف، ودعوا اللجنة الملكية تبدأ عملها في الحال »

ولم يكن مصير هذا المنشور بأحسن من غيره ، فعمدت الى التهديد من جديد ، تحاول به انزال الرعب بسكان القرى العربية واستغلال تخويفهم ، فالقت طائراها منشورا جديدا .

(٢٧) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١١٨ - ١٢٠ .

فقرات من المنشور الرابع :

« لقد احضرت الجنود البريطانية الى فلسطين لمساعدة الحكومة على توطيد القانون والنظام ، وواجههم هو القبض على العصابات التي تقو بارهاب البلاد ، وتجريد هذه العصابات من السلاح ، عندما تأتي الجنو لتفتيش قرية تضرب حولها نطاقا من العساكر لمنع العصابات من الفرار . . . واذا حاولتم الفرار يظنكم الجند من افراد العصابات . . . فلا تمدوا اذ يد المساعدة الى العصابات ولا تدعوها تدخل قريتم . حالما يستتب النظا . ولكن ليس قبل ذلك سيجري تحقيق شامل في جميع ظلاماتكم » .

ولحق المنشور الرابع ما سبقه من منشورات ، والسياسة البريطانية لا تياس ، وهي تدرك أن الثورة ليست لبنا وعسلا ، وأن العرب وه ناثرون ومضربون لا بد انهم يقاسون من التضحية ويدركون متاعب الحياة فلتاتهم من هذا الباب ، وجاء بيانها الجديد في المنشور الخامس .

فقرات من المنشور الخامس :

« كيف اصبحت حال فلسطين اليوم ؟ قبل ثلاثة اشهر كان فلسطين ترتع في رخاء ، وكان التاجر العربي يبيع بضائعه ويفيد عائلته ، ويؤمن راحتها ، وكان الفلاح يجلب محصولاته الى السوق ويبيعها ويربح ، وكان لدى الحكومة اموال تصرفها على تحسي احوال القرى ، فكيف اصبحت حال فلسطين اليوم ؟ لقد اصبح التاج العربي في حالة فقر ، واصبح مديونا وليس لدى الفلاح سوق ليبيد محصولاته واموال الحكومة تصرف على القوات المسلحة ، فما الفائدة من كل هذا ؟ ان اللجنة الملكية ستقوم بالتحقيق الوافي في ظلامات العرب بدو تحيز او محاباة ، المداومة على اعمال العنف تؤخر ذلك اليوم الذي تسه فيه ظلاماتكم » .

ولم تفد هذه المنشورات الخمسة في وقف الجهاد العربي ، فقه مضت تسعة عشر عاما والعرب لا يتلقون كل يوم من الانتداب البريطاني الا طعنا لقضيتهم ، وحرمانا من حقوقهم ، وعملا بريطانيا صليبيا بأ فلسطين بلد لليهود ، سواء الذين يسكنونها او الذين يقيمون في مختلة الأقطار الأخرى مهما بعدت اوطانهم في غرب الارض أو شرقها .

فقرات من المنشور السادس :

« لا تعيروا اذنا صاغية للاشاعات الكاذبة ، ولا تصدقوا اولئك الذين

يقولون لكم ان في امكانكم ان تجنوا شيئاً من الاستمرار في الاضطرابات ، كلما طال استمرار اعمال العنف ازداد ما ينشأ عنه من الضيق لكم ولقريتم بدون ان تسفر عن اي فائدة بتاتا ، انما تؤخر اليوم الذي تسمع فيه ظلاماتكم » .

ولحق هذا المنشور بكل المنشورات السابقة ، ولم يعره الثوار اذنا ولا اهتماما .

واستمرت الثورة قوية عارمة ، واستمرت بريطانيا تتخذ كل يوم شكلا جديدا من اشكال محاربة العرب لصالح اليهود وقهرهم وانقالتهم وارهاقهم ، فالى جانب المعتقلات المكتظة بالمسجونين والى جانب المنافي التي ابعدت اليها آلاف الشباب والرجال ، الى جانب كل هذا تفننت في تنوع الغرامات على القرى والمدن ، حتى اذا ادركت ان العرب استطاعوا جمع المال المفروض ، قررت على قرية اخرى غرامة عينية ملزمة كنوع من التمجيز ، فاذا تكاتف العرب لجمع تلك الغرامة لجأت الى هدم القرى واحياء كبيرة من المدن ، وبينما تفرض غرامة خمسة آلاف جنيه على مدينة اللد لهاجمة دورية عسكرية فيها ، تفرض غرامة اخرى قدرها ثلاثمائة جنيه على قرية بيسان ، ثم تنوع العقوبة فتفرض خمسة وعشرين كيسا من الحنطة على نفس القرية ، كل ذلك خلال اسبوع واحد ، ثم تعمد الى جنين فتهدم جانبا منها ، وتذهب الى يافا فتهدم جميع حيها العربي القديم (٢٨) .

لقد شهدت تلك الثورة معارك خالدة ما زال شعب فلسطين يؤرخ بها عديدا من الاحداث ، وهي معارك يجب ان تنحني الرؤوس لذكراها ، فقد كانت تدور بين شعب لا يكاد يتسلح الا بجهد قليل ، وبين جيوش الامبراطورية البريطانية المدربة ، وعمدت بريطانيا فوق قواتها العادية المقيمة بفلسطين الى استعداد عسكري كبير ، وكان جيشها يقوم بمناورات عسكرية في « الدرشونة » بلندن سنويا ، ولم تلغ تلك المناورات الا عند قيام الحرب العامة الاولى ، ولكن الثورة الفلسطينية ارغمت الانجليز على الغاء مناوراتهم التقليدية ، وارسلت قواتها بقيادة الجنرال « جون ديل » لتحارب ثورة العرب هناك ، ووزعتها على الاماكن التالية :

١ - مركز قيادة الجيوش البريطانية في فلسطين وشرق الاردن (القدس) .

٢ - الفرقة الاولى بقيادة الماجور جنرال ارميتاج منطقتها الانحاء الجنوبية ومركزها القدس وتضم :

- ١ - لواء المشاة الاول بقيادة اللواء موون منطقتة القدس .
- ب - لواء المشاة الثاني بقيادة اللواء كار منطقتة يافا .
- ج - لواء المشاة الثالث بقيادة اللواء ماسي منطقتة القدس .
- ٣ - الفرقة الخامسة بقيادة الماجور جنرال هوارد منطقتها الانحاء الشمالية مركزها حيفا وتضم :

١ - لواء المشاة الثالث عشر مع قوة حدود شرق الاردن بقيادة اللواء بريتي منطقتة الناصرة .

- ب - لواء المشاة الخامس عشر بقيادة اللواء يومان منطقتة حيفا .
 - ج - لواء المشاة السادس عشر بقيادة اللواء اكيفنس منطقتة نابلس .
- وفي منطقة حيفا فرقة « الهوساة » الحادية عشرة وجيوش السكك الحديدية بقيادة للفتنت كولونيل « اترسوف » وثلاث كتائب اخرى .

وفي القدس مركز لقوات الطيران الملكية في فلسطين وشرق الاردن بقيادة كومودور الطيران « هيل » .

وكانت هذه القوات البريطانية المنتظمة الكبيرة مضافة الى القوات الاخرى التي كانت تمسك قبلا في فلسطين ، والى قوات البوليس البريطاني وقوة حدود شرق الاردن ، كانت كلها معدة لمحاربة الثورة العربية الفلسطينية التي طال الصراع معها في قوة وفي عنف ، وقد كان العديد منها معارك كبيرة فعلا .

معركة بلعا :

في الثالث من سبتمبر (ايلول) ١٩٣٦ صدرت الاوامر لتخرج عشرون سيارة عسكرية مصحوبة بالدبابات ومحملة بالجند ، وطلب منها ان ترابط على الطريق بين طولكرم ونابلس للحفاظ على القافلة اليهودية اليومية ، وعلمت بهذا قيادة الثوار من مخبريها الذين يعملون مع العدو ويخلصون للثورة ، فبثت الالغام في طريق السيارات ، وحين نزل الجند مغزوعين من الانفجارات ، اطلق الثوار رصاصهم وابتدت معركة كبرى ، وكان الثوار يرابطون على جبلين متقابلين ، وكان الجنود يحتمون بالسيارات وحواجز الاشجار وخلف الدبابات .

ووصلت اثناء المعركة قوة عسكرية من نابلس ، وأصبح عدد الجند

(٢٨) المصدر السابق ، ص ١٢١ .

يقارب خمسة آلاف جندي ، واشتركت خمس عشرة طائرة في المعركة ، واستعمل الجيش البريطاني مدافع الميدان ، فحطم صخور الجبال وعصف بأثمار الأشجار ، وتوافد القرويون يساعدون المجاهدين ، وكانت النسوة يزغردن لهم ويساعدنهم بالعتاد والماء والطعام .

واستمرت هذه المعركة يوما كاملا من الصباح حتى غروب الشمس ، واسقطت فيها طائرتان للعدو ، واحترقت اثنتان واستشهد عشرة من المجاهدين كان بينهم عدد من العراق والشام ، وفقد الانجليز باعترافهم الذي لا يذكرون فيه الحقيقة الكاملة ضابط الطيران « هنز » والطيار « لتكوني » وضابطين آخرين والاونباشي « ولكس » ولم يكن بد امام القيادة البريطانية من ان تعترف بهؤلاء بعد ان احترقت الطائرات بطيارها ، اما الخسائر الارضية فلم تذكر عنها شيئا .

معركة ترشيحا :

وفي معركة ترشيحا التي حدثت على طريق نهاريا - ترشيحا قرب عكا ، رابط ستون عربيا واشتبكوا مع الجند والبوليس الذين جاءت الطائرات تمززمهم ، ودامت المعركة من منتصف النهار حتى عم الظلام ، وانتهت باستشهاد نصف هؤلاء الأبطال تقريبا ، اذ استشهد منهم ٢٩ بطلا وجرح ثمانية حملوا جميعا من ميدان المعركة .

وفي عصر اليوم نفسه اطلق المجاهدون النار شمال الجعاونة على سيارات بوليس بريطانية فأحرقوها وقتلوا كل من فيها الكونستبلات « بار ، كتل ، فلتشر ، موريون » وأخذوا رشاشاتهم ومسدساتهم وسلاحهم وعشرة آلاف رصاصة ، ووصلت القوات البريطانية تساعدها الطائرات ، فأصيب عدد منهم وانتهت المعركة بفعل الظلام الدامس .

معركة جبع :

قامت هذه المعركة في سهل قرية جبع في قضاء جنين ، حيث تجمعت القوات البريطانية من جنين ونابلس تؤيدها سبع طائرات وعدد من مدافع الميدان ، وطوق الثوار من جميع الجهات فاستعملوا سلاحهم الابيض وهاجموا الجنود ، وكاد الثوار يهزمون ، ولكن اخوانهم في الجبال أسرعوا لنجدتهم ، وطوقوا الجند وأنقذوا الثوار المحاصرين ، وفي الليل تبين ان احدي واربعين اصابة بالثوار نتجت عن قتابل الطائرات وان ثلاث عشرة اصابة نتجت عن المعركة مع الجند ، وقد اسقطت طائرة وجرح قائدها « ستيوارت » وفجرت مصفحة مرت فوق لغم اثر عودتها الى نابلس ،

وقتل البريطانيون الأربعة بها .

ولكن هذه المعركة لم تكن الوحيدة في سهل قرية جبع بل عمد الثوار الى ربك قوات بريطانيا ربكا أفزعها وأخل بنظامهم ، فلم تكذ تمضي نصف ساعة على انتهاء المعركة حتى هاجم الثوار جميع مراكز البوليس في نابلس ، وقسموا أنفسهم سبع فرق ، وفي وقت واحد هاجم كل فريق المكان المحدد له ، فهوجم الجنود البريطانيون المرابطون في الجهة الشرقية من نابلس ، وهوجمت القوات المرابطة في ساحة سكة الحديد ، وهوجم الجند المرابط في النادي الرياضي ، وهوجمت القوات المرابطة في المحكمة الشرعية ، وهوجم الجند المرابط في المدرسة الغزالية ، وهاجم الفريق السادس سراي الحاكم ، وبقيت الفرقة السابعة في سفوح الجبال ترابط المعركة وتحمي ظهور المقاتلين .

وتحولت مدينة نابلس الى ساحة قتال ، وعم الخوف والفرع جميع أرجائها ، وخرجت المصفحات تجوب الشوارع وتقاتل الثوار ، ولم تذكر البلاغات الخسائر البريطانية ، ولكنها كانت دون ريب كبيرة في هجوم شامل منظم ومفاجيء .

ان قائد القوات البريطانية كان خائفا مفزوعا ، ولم يجد اجراء يتخذه امام قوم يهاجمونه في عقر المدينة ، ويضربون جنوده في كل مكان ، الا ان يبعث بقواته الى رئيس بلدية نابلس سليمان عبد الرازق قائلا :

« ان رجالكم اطلقوا النار على قواتي ، واحضرتك لتكون ضيفي وستنام على ظهر السطح مع حرس الرشاشات الذين كانوا يتبادلون اطلاق النار مع الثوار » .

واخذه لينفذ فيه هذه الضيافة ، وفي الصباح رمى رئيس البلدية بالوسام البريطاني الممنوح له الى المندوب السامي واستقال اعضاء المجلس البلدي احتجاجا(٢٩) .

وسد الثوار الطريق العام عن منطقة الخليل ، ووضعوا فيه الحجارة الكبيرة ، وقطعوا اسلاك التليفون على مسافة كيلومترين ، وعندما وصل الجند البريطاني نزلوا لرفع الحجارة فاستقبلهم الثوار بالنيران ، فاحتموا بالخنادق على جانبي الطريق ، واستعملوا سلاحهم ورفعوا شارات الاستنجاد ، وبعث الثوار بفريق الى طريق القدس ، وبآخر الى طريق

(٢٩) المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

الخليل لعرقلة هذه النجديات التي بلغت ١٥٠٠ جندي ، وأمد القرويون الفلسطينيين الثوار بسلاحهم وعتادهم ومؤنهم ، واستمرت المعركة عشية ٢٤ سبتمبر (ايلول) وطوال الليل ، وفي الصباح كانت الدماء تبدو واضحة في كل مكان ، على طول خمسة عشر كيلومترا ، وهو الميدان الذي نشب فيه القتال بين الثوار والجنود البريطاني ووجداتهم .

٤ - المعارك تتوالى :

ولحقت هذه المعارك الكبيرة معارك اخرى تشبهها او تعظمها ، مثل معركة بيت جبرين التي انتشر فيها الجنود البريطانيون في جبل برقة ، وبيت جبرين شمال غربي نابلس ، وسرعان ما ظهر ثوار آخرون يكمنون في الكهوف والفاور بين أشجار الزيتون ، ودارت معركة مريرة ، وجاءت الطائرات تساعد الجيش البريطاني وتمده بالذخائر ، وجاءت النسوة العربيات يحملن قرب الماء ، ويزغردن مع طلقات الرصاص ، وتجاوبت الأصداء ، ودام القتال خمس ساعات ، ولم تفصح الحكومة الا عن اصابة ضابط وجنديين و ٢٢ مجاهدا بين قتيل وجريح .

وهناك كثير غير هذه المعارك مثل معركة الخضر التي استشهد فيها البطل السوري القائد سعيد العاص وجرح فيها الشهيد عبد القادر الحسيني ، ومثل معركة كفر صور التي اشتركت فيها عشر دبابات فقم الثوار واحدة منها في جبل طولكرم وعطلوا اخرى .

ولم تكن هذه المعارك لتوقف الأعمال الفردية الفدائية ، ففي نفس الوقت التي كانت تدور فيه هذه المعركة طيلة النهار كان عربي يطلق النار على مساعد مدير البوليس في حيفا واصابه بجراح خطيرة ، وخربت مزرعة طماطم قرب مستعمرة نائانيا كما يقول البلاغ الرسمي البريطاني ، وعندما كانت تدور معركة الخضر التي اشرنا اليها سابقا كان المجاهدون الفدائيون يقطعون الأشجار المثمرة في ضواحي القدس ، ويتبادلون الرصاص مع البوليس .

وجاء شهر اكتوبر (ايلول) ١٩٣٦ والمعارك تستمر نارها في جميع ارجاء فلسطين المجاهدة ، يقول البلاغ الرسمي البريطاني :

« اهتدت دورية من الجنود بمعونة الطائرات الى مواقع صغيرة مسلحة من العرب بالقرب من بيت جبرين شمالي نابلس ، فتبادلت معها اطلاق النار حتى دخول الليل ، وقد اسفرت عن اصابة جنديين وضابط بريطاني بجراح طفيفة ، ويعتقد ان اضرار العصابة بلغت ٢٢ اصابة ، وعثر

البوليس على ذخيرة واسلحة في قضاء الناصرة ، واطلقت النار على سيارات بالقرب من بيت دجن فقتل سائق السيارة الاولى . ويجري البوليس تحقيقا لمعرفة المعتدين ، واطلقت النار على دورية عسكرية بالقرب من قرية بيت دجن ، وقبض خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة على اربعة عرب بتهمة اطلاق النار على الجنود ، وعلى عربي آخر لحيازته اسلحة بصورة غير قانونية(٣٠) .

وتستمر المصادمات واعمال التخريب في فلسطين فتحدث معركة بين الثوار والجنود في بيت لحم دامت نحو ساعة استخدم فيها الجنود المدافع الجبلية ، وقد قطعت اسلاك التليفون بين مدن اريحا والقدس وبيت لحم ، وهاجم جماعة من الثوار مستعمرة شجرة في الشمال(٣١) .

وقبل يوم واحد من تدخل ملوك العرب وهم يدعون الشعب الفلسطيني لانهاء الاضراب والثورة كانت معارك فلسطين تدور بشدة وشجاعة ، فقد دارت معركة كبيرة في جبل الكرمل طول النهار ، واخذت النهار بطوله واشتبكت فرقة من الجنود تابعة للهيلاندرز مع جماعة عربية واسفرت المعركة عن قتل عربي وجرح اثنين القي القبض على احدهما ، واطلق المجاهدون النار في حيفا على مساعد مدير البوليس فأصيب بجراح خطيرة ، وضرب المجاهدون مزرعة طماطم بالقرب من نائانيا وقبض على عربي لحيازته سلاحا بصورة غير قانونية(٣٢) .

وبعد تدخل ملوك العرب وقبل يوم واحد من فك الاضراب استجابة لتدخلهم ، اعلنت برقيات القدس ان مصادمات شديدة جرت في الطريق بين يافا والقدس ، وان السلطة فرضت غرامة الف جنيه على مدينة الخليل .

ولقد حملت اقاويص شعب فلسطين حقائق مشرفة عن ابطال خاضوا هذه الثورة ، واسهموا في تلك المعارك بصلاية وايمان فهذا هو الشيخ قاسم محمد الشايب من علماء الاسلام الذي استشهد يوم بلعا ، لم يوجد بين ثيابه الا مصحف كريم و ١٢ مليما لا غير ، كان هذا كل رأس ماله .

وتلك المرأة القروية تقف الى جانب جثث الشهداء فتشير بيدها الى احدى الجثث « انه يشبه ابني » ثم تترك الجثة لتدخل القرية وهي تزغرد فقد تبين لها ان الشهيد كان ابنها .

(٣٠) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٧٢ ، جريدة الاهرام ٢ من اكتوبر ١٩٣٦ .

(٣١) جريدة الاهرام ٤ من اكتوبر ١٩٣٦ .

(٣٢) البلاغ الرسمي لحكومة فلسطين رقم ٢٩٣ ، جريدة الاهرام ١٠ من اكتوبر ١٩٣٦ .

البلاد ، ووقعت محاولات عديدة لانسلاف خط انابيب البترول بين حيفا والعراق واشعال النار في المتدفق منها ، وثمة نتيجة مهمة اسفر عنها الاضراب هي اقفال مرفأ يافا اقفالا فعليا ، وان كان مرفأ حيفا لم يتأثر لغاية الآن الا قليلا لحسن الحظ .

وقد عمدت ادارة فلسطين في الحال الى اتخاذ تدابير فعالة لحماية الأرواح والأموال وقمع الاضطرابات ، وفي اثناء الاشهر التي تلت نشوب الاضطرابات عززت الحامية الفلسطينية تعزيزا وافيا ، غير أنه بالرغم مما أظهرته السلطات البريطانية من رحابة الصدر الأمر الذي حاز الموافقة التامة من حكومة جلالتة ، التي كان جل اهتمامها إعادة السلام بين مختلف الطوائف في فلسطين باتخاذ تدابير تنطوي على اقل ما يمكن من الآلام والخسائر في النفوس ، فقد استمر الاضراب السياسي مصحوبا بأفعال مستنكرة ، وبمناوشات حربية واستعمل التخويف على مجال واسع من قبل اولئك المسؤولين عن مواصلة هذه الاضطرابات ، بقصد ارغام كافة الأهالي العرب على التعاون الضمني .

على كل حال وبالإيجاز فقد أصبحت الحالة التي أوجدت في البلاد بمثابة تحد مباشر لسلطة الحكومة البريطانية في فلسطين (٣٣) .

كان وزير المستعمرات قد صرح في الثامن عشر من شهر مايو (أيار) في مجلس العموم ، ان حكومته رأت أن من المرغوب فيه القيام بتحقيق محلي شامل ، على أن تكون الخطوة الأولى في ذلك السبيل إعادة توطيد القانون والنظام ، وصرح أيضا « ان نية حكومة جلالتة بعد إعادة النظام الى نصابه ان تتقدم بتوصية الى جلالة الملك كي يعين لجنة ملكية تقوم بالتحقيق في أسباب الاضطراب وفي ظلالها العرب أو اليهود المزعومة بدون التعرض لنصوص الانتداب الأساسية . وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر يوليو (تموز) أعلنت أسماء أعضاء اللجنة الملكية في مجلس العموم مع شروط صلاحيتها وهي كما يلي :

« ان تثبت من الأسباب الأساسية للاضطرابات التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر ابريل (نيسان) وان تتحقق في كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين بالنسبة لالتزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود ، وان تثبت بعد تفسير نصوص صك الانتداب تفسيراً صحيحاً مما اذا كان لدى العرب أو لدى اليهود أية ظلمات مشروعة ناجمة عن الطريقة

(٣٣) فلسطين بين الانتداب والصهيونية .

وحيث تدهور القطار بين كمرجنس ومحطة اللد كان الفاعل الشهيد « حافظ صقر » واقفا امام القطار المندهور يشاهده ، فأطلق عليه جندي النار فأصابه إصابة قاتلة ، ولما جاء البوليس يسأله عن الذين اشتركوا معه في انتزاع قضبان الخط اجاب : « لم يشترك معي احد ، بل أنا وحدي قمت بهذا الواجب الوطني اسقوني ماء .. » ثم أسلم الروح .

وبينما كان العالم المسلم عبد الحفيظ ابو الفيلات يقود فريقا من المجاهدين كمنت له مفرزة من الجند ، واشتبك معها في معركة ، فلما سدّد بندقيته اليهم لم ينطلق رصاصها لفساده ، فاستل خنجره وهجم يقاتل الجنود البريطانيين الذين عاجلوه برصاصة ذهب معها شهيدا .

وتلك العروس الشابة التي لاحظت حزن زوجها حين لم يجد بندقية يشارك الثوار بها أمجادهم ، فباعت بيتها الموروث عن أبيها ، واشترت بثمنه ذخيرة وسلاحا ، وشجعت زوجها محمود شحادة النابلسي على اللحاق بالثورة واسهم بشجاعة وبطولة ، حتى استشهد في معركة وادي الطواحين يوم ١٣ يوليو (تموز) ١٩٣٦ .

ه - الوصف البريطاني الرسمي للثورة :

تحدثت الوثائق الرسمية عن الثورة في بيان بريطاني صدر اثناءها وفي الشهور الأولى منها قال :

« ابتدأت الاضطرابات في فلسطين في شهر ابريل (نيسان) من هذه السنة ، وعقب وقوع بعض حوادث الشغب في يافا ، وفي أماكن أخرى اخمدت في الحال اتخذت هذه الاضطرابات شكل اضراب عام ، أعلنته لجنة من وجهاء العرب ، يصطبغ بصبغة سياسية معينة ، ويرمي الى تحقيق مآرب لا يتفق والانتداب ، واستعملت في مواصلته وسائل هي بمثابة تحد مباشر للسلطة القائمة .

وقد وقعت حوادث قتل واعمال مستنكرة أخرى في مختلف أنحاء البلاد ، من قبل عصابات مسلحة من الارهابيين ، فعدا عما وقع من حوادث التعدي التي أدت الى خسارة في الأرواح بين الجنود البريطانيين ورجال الطيران والبوليس ، وقضت على حياة كثيرين من العرب واليهود على السواء ، فقد اشتملت اعمال هذه العصابات المسلحة على محاولات متكررة في شل وسائل المواصلات وقطع خطوط البرق والتليفون ، واخراج القطارات عن الخط ، وعلى محاولات لمنع حركة السير على الطرق العامة .

وقد سببت اضرارا مادية عظيمة الحقت ضررا فاحشا باقتصاديات

التي اتبعت فيما مضى ، او المتبعة الآن في تنفيذ التواصي ، لازالة تلك الظلمات ومنع تكرارها ، وستتولى اللجنة الملكية القيام بواجباتها في اقرب وقت ممكن ، غير انه كما ذكر فيما سبق يجب اعادة النظام في فلسطين الى نصابه ، قبل ان تبدأ اللجنة تحقيقها في هذه البلاد .

هذا هو الشرط الضروري لتمكن اللجنة من القيام بواجباتها بصورة فعالة ، ولسوء الحظ اتخذ الزعماء العرب موقفا ينطوي على عدم انهاء الاضراب ، ما لم تدخل الحكومة البريطانية تغييرا اساسيا على سياستها المتعلقة بفلسطين ، وبالرغم من اعلان اسماء اعضاء اللجنة وصلاحياتها ، استمر الاضراب مصحوبا بأعمال مستنكرة ، تتفاوت درجة شدتها في أنحاء كثيرة من البلاد ، وفشلت جميع المساعي التي بذلت لغاية الآن لايجاد جو ملائم للتفاهم .

« وقد تقدم اصحاب النوايا الحسنة من الملوك والأمراء العرب ، وذوي المقامات العالية في البلاد المجاورة ، فأعربوا من حين الى آخر عن رغبتهم في استعمال نفوذهم لمحاولة الوصول الى مسالمة ، فعرض صاحب الجلالة ملك المملكة السعودية العربية وساطته ، بالاشتراك مع ملوك وأمراء العرب الآخرين اذا كان في الامكان تأمين تعاونهم ، ولسوء الحظ استمرت الأحوال تسير في مجرى جعل من المتعذر التقدم تقدما موقفا في هذا السبيل .

وقام صاحب السمو امير شرق الأردن ايضا ، ومؤخرا قام الجنرال نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق بمسعى آخر من هذا القبيل ، غير أن المحادثات المطولة التي جرت بينه وبين الزعماء العرب المشار اليهم انتجت انهم اصدروا في اليوم الحادي والثلاثين من شهر أغسطس (آب) بيانا صرحوا فيه مداومتهم على الاضراب الى ان تتحقق مقاصدهم ، وبالرغم من تدخل الجنرال نوري باشا ، استمرت الأفعال المستنكرة وغيرها من حوادث الاضطرابات الجسيمة تقع يوميا دون توقف ، وبعد امعان النظر الدقيق في الحالة من جميع نواحيها ، اقتنعت حكومة جلالتنا ان حملة العنف والتهديد بالعنف التي يحاول الزعماء العرب التأثير بواسطتها على سياسة حكومة جلالتنا ، لا يمكن السماح بدوامها ، وأن من الواجب الآن اتخاذ اجراءات اسرع واكثر فاعلية لوضع حد لحالة الاضطراب الحالية بأقل ما يمكن من التأخير وتحقيقا لهذه الغاية وجد من الضروري ارسال نجدات كبرى اخرى الى فلسطين وبناء على ذلك تتخذ التدابير الآن لارسال فرقة من الجنود الى فلسطين .

وبالنظر لكثرة نجدات وما يترتب عليها من المسؤوليات الاضافية تقرر ان يعهد للقيادة بزماد الرقابة العسكرية العليا في البلاد الى لفتنتن

جنرال ، ووقع الخيار على اللفتنتن جنرال ج.ج. ديل. دي. أس. او . مدير العمليات والاستخبارات العسكرية في وزارة الحربية سابقا .

ان حكومة جلالتنا تأسف كل الاسف لاضطرابها الى اتخاذ هذه القرارات ، فبريطانيا العظمى قبلت الانتداب على فلسطين بناء على شروط تنطوي على مسؤولية تأمين رفاهية جميع اهالي فلسطين وهي تعتبر هذه المسؤولية كأمانة لا خيار لها في ادائها ، ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان لجنة الانتداب الدائمة كانت قد ذكرت في تقريرها الذي رفعت الى مجلس عصبة الأمم في سنة ١٩٣٠ ان من رأيها ان التأكيدين التاليين يعربان اعرابا صحيحا عما اعتبرته روح الانتداب على فلسطين :

١ - ان الالتزامات المفروضة في صك الانتداب على فلسطين نحو فريقي السكان هي ذات قيمة متساوية .

٢ - وان الالتزامات المزدوجة المترتبة على الدولة المنتدبة ليست غير قابلة للتوفيق بحال من الأحوال .

ان حكومة جلالتنا لعلى اتفاق تام مع روح هذا التصريح الذي اعطي في جنيف ، وهي شديدة الرغبة في السير على سياسة تنطوي على تأمين العدالة بلا محاباة لكل من العرب واليهود ، والعمل على توطيد السلام وتقدم هذه البلاد التي لها مكانة خاصة لدى كلا الشعبين . ان الهدف الدائم للسياسة البريطانية هو تأكيد وصيانة العلاقات الودية والثقة مع الشعوب الاسلامية ، ولهذا السبب بقطع النظر عن كافة الأسباب الأخرى كانت حكومة جلالتنا تود ان تجتنب بكل الوسائل الممكنة خطة العمل التي أرغمت الآن على اتخاذها ، غير انه لا يمكن لحكومة من الحكومات ، وبخاصة اذا كانت مضطربة بمسؤوليات الانتداب ، ان تبيع لنفسها الحيد عن طريقها بأعمال العنف والأفعال المستنكرة .

ومع هذا لا تزال الحكومة البريطانية تأمل انه عندما يدرك اولئك الذين يقومون بتكدير صفو السلام في فلسطين ، ان اعمالهم الحاضرة مضرّة بالمصالح الحقيقية لجميع فئات السكان وبالبلاد بأجمعها ، وان الدولة المنتدبة مصممة على ممارسة سلطاتها بلا تحيز وبروح العدل ، يصبح عندئذ في الامكان التثبت مما اذا كان لدى العرب او اليهود اية ظلمات مشروعة او مخاوف من جهة المستقبل ، وتقديم التواصي لازالتها بفية تأسيس علاقات ودية وسلمية بين جميع ذوي العلاقة . ان حكومة جلالتنا مقتنعة ان هذه الغايات يمكن الوصول اليها ضمن نطاق الانتداب الذي لا تنوي التخلي عنه ، وحكومة جلالتنا وطيدة الأمل ان اللجنة الملكية ستقدم

تواصي تمكنها من القضاء نهائيا على حالة الشكوك والمخاوف التي يشعر بها كلا الطرفين وان سوء التفاهم والاضطرابات المفجعة التي سادت البلاد خلال الخمسة الأشهر الماضية ستنتجلي عن تسوية دائمة (٣٤) .

٦ - تدخل الملوك والرؤساء العرب :

وعلى الرغم من هذا البيان الخطير الذي أرادت به بريطانيا ادخال الفرع الى عرب فلسطين ، وتهديدهم بقواتها العسكرية ، وهي التي لم تأل جهدا منذ اول يوم في العسف بالعرب ، والتنكيل بهم ، على الرغم من هذا البيان استمرت الثورة ، واستمر الاضراب ستة شهور ، واخذ بالتحديد مائة وستة وسبعين يوما .

اما عرب فلسطين فما ضعفوا وما وهنوا ، وما استكانوا ، على الرغم من النجذات العسكرية العديدة التي كانت تتوالى على فلسطين من قوات الاحتلال البريطاني المرابطة في مصر وفي مالطة ، وبرغم قوات الطيران والاسطول .

لم يدعونا منشورات بريطانيا تلقيا على معاقلمهم ، ولم يشتمهم الجوع والفقر والارهاق عن المضي في ثورتهم ، ولم يقلل من تصميمهم الابداء والقتل والتفريغ وغير ذلك من أساليب التنكيل ، ومضت الثورة عارمة مدمرة .

وفي الأسبوع الثاني من اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٣٦ اذيعت نداءات ثلاثة بتوقيع الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازي الأول ملك العراق ، والأمير عبدالله أمير شرق الاردن وجاء النداء على النحو التالي :

((القدس - بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا

الى ابنائنا عرب فلسطين

لقد تألنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبدالله ، ندعوكم للاخلاق الى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها العلنة لتحقيق العدل .

ونقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم(٣٥))) .

(٣٤) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١٢٧ - ١٤٢ .

(٣٥) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨٦ .

واذاعت اللجنة العربية العليا انها قررت بالاجماع وبعد استشارة اللجان القومية وموافقتها باتفاق الآراء ، ان تلبى نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو الامير بالبيان المشور اعلاه ، وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين للاخلاق الى السكينة وانهاء الاضراب والاضطرابات ، ابتداء من صباح الاثنين المبارك الواقع في ٢٦ رجب ١٣٥٥ هـ تشرين الأول ١٩٣٦ م وبأن يبكر افراد الامة الكريمة في صباح ذلك اليوم الى معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء ، ورفع الشكر لله تعالى على ما همهم من صبر وجلد، ثم يخرجون الى فتح مخازنهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم ، والله ولي التوفيق .

ان بيانا صغيرا صدر عن ثلاث شخصيات عربية هم ملكا السعودية والعراق وامير شرق الاردن ، استطاع ان يفتح محلات العرب ، ويعيد موظفيهم الى اعمالهم ، ويحيل الاضراب الى عمل والى انشاء ، بعد ان عجزت بريطانيا بقواتها وسلاحها ومنشوراتها ان تفعل ذلك .

وان التاريخ ليردد بالمرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من انهم « يعتمدون » على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها العلنة لتحقيق العدل فما كانت بريطانيا تحمل وجه الصديق في قضية فلسطين ، وهي صاحبة معاهدة سايبس - بيكو التي قسمت بها البلاد العربية بينها وبين فرنسا ، وهي مانحة وعد بالفور الذي وعد بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وهي واضعة صك الانتداب الذي حتم ان تكون فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يكفل انشاء وطن لليهود فيها ، وهي صاحبة الحكم الذي يمثل المندوب السامي في فلسطين حيث اغتصبت الاراضي من اصحابها العرب ، وطردهم الفلاحون من قراهم تحت سياط الجنود ورضاصهم ، وهي فارضة القوانين التي اثقلت كاهل العرب بالضرائب ، وجعلت تملك الاراضي لليهود حقا يؤيده القانون واحيت ثم انعشت بها صناعة اليهود ، واذابت تجارة العرب ، وهي صاحبة الجيوش التي سلطت على القرى العربية تفتشها وترهبها ، وتعدم شبابها وترمل نساءها ، وهي التي صرح وزير مستعمراتها عام ١٩٣٥ في حفل صهيوني بلندن :

«اني فرح جدا لان اقتراح هجرة اليهود الى كينيا قد اخفق، وبصفتي وزير المستعمرات اشكر الذين رفضوا اقتراح كينيا ، فنبوءة وايزمان قد تحققت ، وعاد اليهود الى بلادهم ، ولو لم يعط وعد بالفور منذ ١٨ سنة

لاعطياته اليوم» (٣٦) ، هذه هي بريطانيا التي اعتمد بعض العرب على صداقتها عام ١٩٣٦ ، والتي أشادوا برغبتها في تحقيق العدل ، انه لبيان جدير ان يقابل بالسخرية والامتهان ، وأن يقرون بروح الضعف وقلة الحيلة والواقع المرير، اذ اتخذ وسيلة لايقاف ثورة عجزت بريطانيا عن اخمادها .

اما شعب فلسطين فقد هذا قليلا ولا يلام على هذا الهدوء القليل فما كان له ان يقطع الصلة بملوك العرب وأمير الاردن ، وهو الشعب الصغير المنعزل في فلسطين ، في مواجهة قوات عالمية كبيرة ، وأنه لجزء من الامة العربية التي حيل بينه وبينها ، وأنه لمدرک انه اذا لم يستمع الى هذا النداء بعد ان ثار واضرب ستة أشهر كاملة ، اذن لا قامت عليه الاجيال التالية حجة أنه رفض وساطة عليا بذلت من جانب بعض الملوك العرب لتسوية القضية الفلسطينية تسوية ترضي مطالب الشعب العربي في فلسطين، وأن النكسة التي أصابت هذه القضية مردها الى رفض العرب وساطة ملوكهم .

غير أنه من انقاص التاريخ ان نتحدث دائما عن تاريخ فلسطين فنشيد بثورة ١٩٣٦ ونصمت عن غيرها ، كأنها خاتمة المطاف عند عرب فلسطين ، وكان شهورها الستة كانت الأخيرة في جهادهم . الواقع ان تلك الثورة الخالدة امتدت بسرعة طوال سنوات ٣٧ ، ٣٨ ، ١٩٣٩ ، والى ان أعلنت الحرب العالمية الثانية ، وبذلك تكون ثورة فلسطين استمرت أربع سنوات ، ولم تهدأ الا قليلا نتيجة تدخل ملوك العرب ، حتى اذا استمعوا الى بيان وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم يعلن اعطاء الجمعية الصهيونية حق ادخال ١٨٠٠ شاب يهودي (٣٧) ، بدأ هدوءهم يتحول الى تحرك ، وراوا ان مقاطعة اللجنة البريطانية الموفدة للتحقيق يجب ان يكون المظهر الاول لفضيهم بسبب استمرار الهجرة اليهودية ، وأن يمتنعوا عن استقبالها وحضور الحفلات ومراسم الترحيب التي تقام لها (٣٨) .

وسرعان ما تدخل الامير عبدالله يطلب اليهم ضرورة لقاء اللجنة وايضاح مطالب العرب امامها ، ونهج هذا النهج الملك غازي ملك العراق ، فبعث برسالة تحمل تاريخ ٣ يناير (كانون الثاني) يطلب تعاون العرب مع اللجنة ، وما لبثت اللجنة العربية العليا ان تلقت رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود يحملها الوفد المبعوث اليه وكانت تتضمن ما يلي :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا حفظه الله تعالى : -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فلقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين ، والاسباب التي حملت لجنتم على مقاطعة اللجنة الملكية ، وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب ، فقد رأينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لان ذلك اضمن لحقوقكم ، وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم .

وقد ابدينا للوفد الكريم جميع ما لدينا من الآراء في ذلك ، ونحب ان تكونوا على ثقة باننا لا نالو جهدا في سبيل مساعدتكم لاصلاح الحال ، بقدر امكاننا ، وانا لنترجو من الله ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير للاسلام والعرب ، واقبلوا احتراماتنا الفاتحة (٣٩) .

عبد العزيز

٧ - البيان العربي امام اللجنة الملكية البريطانية :

وتحت هذا الالاح الملكي ، وجد عرب فلسطين انفسهم مضطرين الى ان يقدموا ايضا حاجاتهم الى اللجنة البريطانية ، وهم الذين خبروا لجان بريطانيا وادركوا تفاهة نتائجها ، ولعل من صدق التاريخ ان نشبت جزءا من بيان الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا الذي القي امام هذه اللجنة في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ فان فيه كثيرا مما يتعلق بتاريخ العرب قبل الانتداب وبعده :

« لقد كان العرب يؤلفون جزءا مهما من كيان الدولة العثمانية ، ومن الخطأ ان يقال ان العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك ، وان نهضتهم ومساعدة الحلفاء لهم في الحرب العامة انما كانت ترمي الى تحريرهم من ذلك النير ، فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون في كيان الدولة العثمانية بجميع انواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسية كانت او غير سياسية ، وذلك بحكم الدستور الذي وضع اساس حكم واحد لجميع البلاد والعناصر التي كان يتألف منها كيان الدولة العثمانية .

وكان العرب يشاطرون الأتراك جميع مناصب الدولة العثمانية

(٣٦) القضية الفلسطينية ، ص ٩٥ .

(٣٧) جريدة الاهرام ٧ من نوفمبر ١٩٣٦ .

(٣٨) جريدة الاهرام ٢٥ من نوفمبر ١٩٣٦ .

(٣٩) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٨٠ .

المدنية والعسكرية فكان منهم وزراء ورؤساء وزارات وقواد فيالق وفرق وسفراء وولاة ومتصرفون ، كما كان في مجلس النواب والأعيان العثماني عدد كبير من الأعضاء العرب بنسبة أعدادهم وفقا للدستور وقانون الانتخاب العثماني .

وفوق ذلك كانت البلاد العربية تدار بحكم يستند على مجالس ادارية ومجالس عمومية في الأضية والالوية والولايات وكان لهذه المجالس صلاحيات واسعة في الادارة والمالية والتعليم والعمران . وضعت الحرب اوزارها على أساس مبادئ الرئيس ولسون ، ومنها مبدا تقرير المصير لكل امة حسب رغبتها او اختيارها ، واذاغ اللورد اللبي في هذه البلاد بيانا في ٨ نوفمبر ١٩١٨ في جميع مدن فلسطين وقرأها جاء فيه « ان الغاية التي رمى اليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي هي تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطاتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم ، وانه ليس لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا اي مقصد في وضع نظمات خاصة لحكومات هذه الأقطار .

ومما تحسن الاشارة اليه في هذا الموقف ان اللورد اللبي اعترف صراحة للوفد الفلسطيني العربي في لندن سنة ١٩٢٢ بما يأتي « ان فلسطين مقصودة في هذا البيان مثل سائر البلاد السورية والعراقية » .

وبعد ان تحدث رئيس اللجنة العربية عن خيبة الأمل من صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا وتكرها ليهودها قال :

« سارت الحكومة البريطانية التسعة عشر عاما الماضية بطولها على تلك السياسة التي أضرت الكيان العربي اعظم الضرر ، اذ هبطت نسبة لعرب العددية التي كانت ٩٣٪ في بدء الاحتلال الى ٧٠٪ اذ مكن لليهود من الاستيلاء على قسم وافر من اخصب الأراضي العربية ، وتم تشريد مزارعيها ، ومحو القرى العربية التي كانت أهلة فيها وخيب كل أمل للعرب في الاستقلال ، ولم يترك عرب فلسطين طيلة هذه التسعة عشر عاما وسيلة من وسائل الشكوى والاحتجاج ومراجعة الحكومات المتوالية في فلسطين ولندن وجامعة الأمم ، وقد اوفدوا الى لندن خمسة وفود لهذه الغاية .

ان الاصرار على هذه السياسة ليس في مصلحة احد ، وان مما يؤلم العرب كثيرا ان يروا الحكومة البريطانية ممعنة في ظلمهم ، والاجحاف بحقوقهم وتعريض كيانهم القومي للاضمحلال ، وهي تخضع للمطامع

اليهودية في جميع الشؤون وتمنح اليهود الامتيازات الخطيرة المتحكمة في حياة البلاد ومستقبلها وتعاملهم معاملة المحاباة والتحيز في الشؤون الاقتصادية ، وتحمي مصنوعاتهم بالجمارك بصورة غير عادية وتوزيع الضرائب وغيرها .

وبصورة مجملة يؤلم العرب كثيرا ان يروا هذه الروح الاستعمارية الصهيونية هي المسيطرة على فروع الادارة والتشريع والاقتصاد في البلاد ، مما يخالف مبادئ الحق والعدالة » .

ثم ختم رئيس اللجنة بيانه بتحديد المطالب الوطنية وقال :

« واخيرا فان العرب لا يرون اية فائدة وامل من اصلاح في ادخال تغييرات ثانوية ، لان الداء انما هو في الأساس ، وما لم يعالج الاساس معالجة صحيحة فان الداء يظل مستفحلا والشر متفاقما ، وفي اعتقاد العرب ان المعالجة الأساسية والصحيحة هي في :

١ - العدول عن تجربة الوطن القومي اليهودي الفاشلة التي نشأت عن وعد بالفور ، واعادة النظر في جميع النتائج التي نتجت عنها ، والتي ألحقت الأضرار والأخطار بكيان العرب وحقوقهم .

٢ - ايقاف الهجرة اليهودية ايقافا تاما وفورا .

٣ - منع انتقال الأراضي العربية منعا باتا وحالا .

٤ - حل قضية فلسطين على الاسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان ، بانهاء عهد الانتداب ، وعقد معاهدة بين بريطانيا وفلسطين ، وتقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري ، تمثل فيها جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيه العدل والتقدم والرفاهية ، والنتيجة فان سياسة انشاء وطن قومي يهودي في هذه البلاد العربية من طبيعتها ان تؤدي الى استمرار القلق والاضطرابات ، وتجعل هذه البلاد المقدسة وطنا دائما للفتن ، بينما هي احق بلاد العالم بالسلام والطمأنينة(٤٠) .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٨٢ - ١٨٩ .

لكي لا ننسى ...

« ليس ثمة فرع من فروع الادارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ، والمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها ذلك ، والمركز الممتاز الذي تتمتع به يزيد من حدة خصومة العرب .

لقد كانت اللجنة العربية العليا مسئولة عن مواصلة الاضراب ، وتمديد اجله ، ويجب ان يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسها قسطه الوافي من المسؤولية .

ان التقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام الامر الذي لا يتيح اي مشروع آخر » .

من تقرير لجنة بيل ١٩٢٧

« ليس في الوطن العربي اقسام للمنج ، فمن شاء فليهب من ماله ومن اراد فليمنح من ملكه الخاص » .

اللجنة العربية العليا ١٩٢٧

« لقد اوفى الانتداب بوعد اعطي تحت ظروف الحرب ، اما اقتراح التقسيم فهو انقلاب لا يجوز ان يجريه الاوصياء دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار » .

مستر ريد عضو لجنة بيل والمعارض لها ١٩٢٧

« ان ما يملكه اليهود في الدولة العربية (لو قسمت فلسطين) ضئيل يقارب ٩٢ الف دونم ويملك العرب اربعة اخماس الدولة اليهودية » .

اللجنة الفنية الملكية عام ١٩٢٨

« لقد تحديت المارشال وايفل ، وكتبت الى دكتور وايزمان بتأليف جيش يهودي ولم يتحرك عربي واحد » .

« تشرشل »

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية، انما يشتغلون بحافز الشعور الوطني الصادق ، ان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب المخاطر ، والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم ... ولو كنا مكان العرب لما احجمنا عن اي تضحية بأي فائدة مادية لقاء الحرية المهتدة » .

وزير المستعمرات في مجلس العموم البريطاني ١٩٢٨

« كثيرا ما لوح امام العرب بالاستقلال في صور شتى ، لكنه لم يتحقق شيء قط ، وكانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم على صخور الخيبة » .

جمال الحسيني بمؤتمر لندن ١٩٢٩

سأحمل روحي على راحتي
فاما حياة تسر الصديق
والقي بها في خضم الردى
واما ممات يفيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان
بلوغ المنايا ونيل المنى

الشهيد الفلسطيني عبد الرحيم محمود

فلسطين سلام الله يسري
ام القدس والتاريخ دام
على تلك المشارف والبطاح
ويومك مثل امسك في الكفاح
ولا تعني بنا انا بكاة
نمدك بالعويل وبالصياح

الشاعر العراقي الجواهري يكبر جهاد فلسطين

« ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »
قرآن كريم

الفصل السابع

لجنة بيل تقترح تقسيم فلسطين

١ - تقرير اللجنة يفيض بالمحابة الفارضة لليهود :

تجسّمت انفعالات العرب حين نشر تقرير لجنة « بيل » الملكية في ٧ يوليو (تموز) ١٩٣٧ تلك التي قيل انها باحثة عن الحقيقة ، وكان تقريرها ينادي بوجوب تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وفرض انتداب على منطقة القدس ، وضم القسم العربي الى امانة شرق الأردن ، ولأول مرة يسمع العرب في تقرير رسمي وجوب اعلان دولة يهودية في ارضهم ، وهو التطور الطبيعي لفكرة الوطن القومي ، والسياسة التدريجية التي سلكتها بريطانيا وايدتها الصليبية الدولية ، فبعد عشرين عاما من دخول بريطانيا الى فلسطين ، تبين لها ان الثوب الذي نسجت خيوطه قد اوشك على التمام ، وانه يصلح لان تلبسه الصهيونية فتقيم لنفسها دولة في فلسطين ، وان يلبسه العرب فيتخلوا عن ارضهم ويقصوا عن بلادهم .

وعلى طول هذه السنين العشرين التي لم يهدأ فيها عرب فلسطين ، ولم يصمتوا ، كانت بريطانيا تجابه ثوراتهم بالقمع ، وتحارب تحركاتهم بالارهاب ، وتحاول ان تقنعهم ان خوفهم من هجرة اليهود هو خوف لا مبرر له ، وان صراخهم من الهجرة اليهودية احجام عن بذل جزء من انسانيتهم لمساعدة شعب لا يطلب الا المأوى .

ولكن الثورة العارمة والاضراب الشامل الذي عاشه الشعب الفلسطيني خلال عام ١٩٣٦ ، كل ذلك دفع بريطانيا ان تفصح عن نواياها ، وان تعلن بلسان لجننتها الملكية عن فكرة تقسيم فلسطين الى ثلاثة اجزاء بين العرب واليهود والانجليز ، وان يتبين بوضوح وجلاء ان هدف الوطن القومي اليهودي هو انشاء دولة يهودية ، تقول اللجنة : (١)

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين : مطبعة حكومة فلسطين ومطبعة دير الروم القدس ١٩٣٧

« ان الروح القومية عند العرب هي شديدة القوة ، كما هي الحال عند اليهود ، وقد ظل ما يطلبه الزعماء العرب من تأسيس حكومة ذاتية وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي ثابتا لم يطرأ عليه تغيير منذ سنة ١٩٢٠ والروح القومية عند العرب كالروح القومية عند اليهود ، يغذيها النظام التعليمي ونمو حركة الشبان ... الخ .

ان وضع حكومة فلسطين بين الشعبين المتنافرين ليس بالوضع الذي تحسد عليه ، فهناك هيئتان متنافستان هي اللجنة العربية العليا المتساندة مع المجلس الاسلامي الأعلى من جهة ، والوكالة اليهودية المتساندة مع المجلس الملي اليهودي من جهة اخرى ، وهاتان الهيئتان تستطيعان اكتساب ولاء العرب واليهود الطبيعي اكثر مما تستطيعه حكومة فلسطين ، والجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة كلا المنصرين بدون تحيز (كذا) لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما ، كما ان استمالة المقاومة العربية لم تنجح ، ولقد اثبتت حوادث السنة الماضية ان الاستمالة لا تجدي نفعا ، وقد كان الحل الوحيد للمعضلة الذي تقدمت به اللجنة العربية العليا هو تشكيل حكومة عربية مستقلة في الحال ، وان يترك لهذه الحكومة امر معاملة الأربعمائة الف يهودي الموجودين في البلاد على الوجه الذي تستصوبه ، والجواب على ذلك ان الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية لن تزداد في أية ناحية من انحاء العالم فيما لو سلم الآن امر الوطن القومي اليهودي للحكم العربي .

وقد اكدت الوكالة اليهودية والمجلس الملي اليهودي ان في الامكان حل المعضلة عن طريق تطبيق الانتداب بحذافيره تطبيقا حازما على اساس مطالب اليهود ، وذلك بأن لا يوضع قيد جديد على الهجرة وأن لا يكون هنالك ما يمنع ضرورة اكثرية يهودية في فلسطين مع مرور الزمن . والجواب على ذلك انه لا يمكن تنفيذ هذا الا باللجوء الى القوة ولا يحتمل توريث الراي العام البريطاني او اليهودي في اللجوء الى استعمال القوة الا اذا اقتنع بعدم وجود وسيلة اخرى « (٢) » .

ان هذا الذي اثبتناه في هذه الصفحة هو جزء من تقرير اللجنة البريطانية التي طالما نوهت بها منشورات بريطانيا الى المجاهدين ، ان اوقفوا ثورتكم ، وحلوا اضرابكم ، واعطوا للجنة الملكية فرصة الاطلاع لتقول كلمتها دون تحيز .

وبعد دراسة طويلة اصدرت اللجنة تقريرها ، فاذا بها تعترف اول

(٢) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

ما تعترف بأن العرب لم تثنهم سنوات الانتداب البريطاني وضاوته عن مطلبهم الاصيل منذ عام ١٩٢٠ ، وهو استمرار فلسطين جزءا من الوطن العربي ، وتأسيس حكومة وطنية ، وقفل باب الوطن القومي اليهودي . ولا مراء ان هذا المطلب يتمشى مع روح الحق والعدالة ، فلكل شعب الحق في تقرير مصيره ، ولكل شعب الحق في أن يحكم نفسه .

ولكن بريطانيا لا ترى العرب في فلسطين يمثلون شعبا لها ، انها فتحت ابوابها لاناس غرباء ، واعتبرت كل يهودي ذا حق في أن يكون من شعب فلسطين ، ولهذا ذكرت اللجنة أن في فلسطين « شعبين متنافرين » متناسية أن أحد الشعبين يملك الأرض والماء والسماء في فلسطين منذ عهود غابرة في التاريخ ، ثم منذ ألف وثلاثمائة عام على التوالي ، ومتناسية أن الشعب الآخر هو شعب زرع في فلسطين ، استفدته بريطانيا من خارج حدودها ليكون صاحب الأرض ، وليشرد العرب من أرضهم .

ولا تجد هذه اللجنة غضاة ولا تستشعر حياء حين تقول :

« ان الجهود الصادقة التي بذلتها الحكومة لمعاملة العنصرين بدون تحيز لم تؤد الى تحسين العلاقة بينهما » .

ولم يرد في قواميس اللغات ولا في مفاهيم الحكم ان عدم التحيز يعني ادخال اجانب معادين على وطن شعب آمن في بلده ، وان عدم التحيز يعني اغتصاب الأرض وسن القوانين لطردها ، وتسليط الرصاص والمدافع على جموعهم لتعطى أرضهم لليهود ، وان عدم التحيز يعني نصب المشائق وتنفيذ الاعدام لأوهى الأسباب ، وتجميد امكانيات الشعب العربي والعمل على ارهاقه وافلاسه في سبيل تنمية المشروعات اليهودية وتمكين المال اليهودي من السيطرة والتحكم .

لم يرد في عرف الانسانية الطويلة التاريخ اي تعريف من هذه المعاني للتحيز الا في عرف الانتداب البريطاني في فلسطين .

ثم يتضح التحيز ، لا عدم التحيز في نفس تلك السطور التي اثبتناها من تقرير اللجنة نفسها انها لا تستطيع أن تستجيب لمطلب العرب في خلق حكومة عربية ، لأن ذلك يفقد الثقة بحسن نية بريطانيا ازاء الوطن القومي اليهودي ، وهي هنا تتناسى عهود بريطانيا للشريف حسين وموائيقها المسهبة العديدة في خلق دولة عربية من سيناء الى مرسين ، تلك العهود وهذه الموائيق لا يؤبه لها ولا تشغل اللجنة التي لم تجد مانعا في اجابة مطلب اليهود الذين يرون امكان حل العضلة في تنفيذ الانتداب على اساس

مطالب اليهود الا شعورها بضرورة الانتجاع للقوة في سبيل ذلك ، ولا ترى الانتجاع الى القوة الا حين يقنع الرأي العام بانها الوسيلة الوحيدة لذلك .

ولقد برهنت الأيام التالية أن بريطانيا استجابت لليهودية العالمية ، ورات لجننتها ان القوة هي السبيل الوحيد ، فلقد استعملتها مع شعب فلسطين بجميع فظائنها وشدتها وأهوالها .

وتحدثت اللجنة بعد ذلك عن الوكالة اليهودية فقالت :

« ليس نمة فرع من فروع الادارة لا تتدخل فيه الوكالة اليهودية ، ولا يصح ان تكون الوكالة موضع انتقاد بسبب ذلك ، فالمادة الرابعة من صك الانتداب تخولها حق ابداء المشورة والتعاون مع الحكومة في كل امر من الأمور التي تمس مصالح السكان اليهود تقريبا ، وهي شكل حكومة موازية تقوم الى جانب حكومة الدولة المنتدبة والمركز الممتاز الذي تتمتع به يزيد من حدة خصومة العرب » .

وتمضي اللجنة في تقريرها مستكثرة على العرب حتى المنصب الديني او الادارة الدينية التي بقيت لهم في عهد الانتداب ، والتي كانت هي المظهر الوحيد الذي يجمعهم وسط وطنهم المهدد ، وتصب اللجنة جام غضبها على اللجنة العربية ، وعلى رئيسها مفتي فلسطين فتقول :

« لقد كانت اللجنة العربية العليا مسؤولة لدرجة كبيرة عن مواصلة الاضراب في السنة الماضية وتمديد اجله ، ويجب أن يتحمل مفتي القدس بصفته رئيسا لهذه اللجنة قسطه الوافي من المسؤولية ... والوظائف التي جمعتها المفتي في نفسه واستعماله لتلك الوظائف ، ادى الى انشاء حكومة عربية ضمن حكومة ، ويمكن وصفه بأنه رئيس حكومة موازية ثالثة... (٣) » .

ان الحكومة المنتدبة قد قامت تمام القيام بتنفيذ الالتزام المترتب عليها لتسهيل انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، كما يشهد بذلك وجود ٤٠٠.٠٠٠ من السكان اليهود فيها » .

وتستمر هذه اللجنة الملكية البريطانية في مغالطتها التاريخية ، لتقلب الحجج وتهدم المنطق ، ولتعلن أن منع الهجرة لا يحل مشكلة فلسطين ، وكان الذي يحلها هو دوام الهجرة :

(٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٠٢ - ٢٨٢ .

« الوطن القومي تعتمد حياته الاقتصادية الى حد بعيد على دوام المهاجرة ، وقد وُظف فيه مقدار كبير من رؤوس الأموال بدافع افتراض دوام المهاجرة ، ان وضع القيود على الهجرة اليهودية لا يحل مشكلة فلسطين ، فالعرب اصبحوا يعتبرون الوطن القومي وهو في حالته الحاضرة اكبر مما يجب ان يكون .

من المسلم به ان عرب فلسطين يصلحون لحكم انفسهم ، كعرب العراق او سوريا ، ثم ان يهود فلسطين يصلحون لحكم انفسهم بانفسهم كأي شعب منظم مثقف من شعوب اوربا ، غير انه بالنظر لكون هذين الشعبين خاضعين معا لانتداب واحد ، فمنح الحكم الذاتي لكليهما معا امر غير عملي » .

ثم قالت اللجنة بصراحة :

« لا يمكن حل المشكلة بمنح العرب او اليهود كل ما يصبون اليه ، واذا سئل من من الشعبين سيحكم فلسطين في النهاية فاجاب السؤال يجب ان يكون « لا هذا ولا ذلك » ، فليس ثمة سياسي منصف يسهه ان يفكر في تسليم الاربعمائة الف يهودي الذي سهلت الحكومة البريطانية دخولهم الى فلسطين بموافقة عصبة الأمم الى الحكم العربي ، او في تسليم مليون عربي الى الحكم اليهودي فيما لو أصبح اليهود الاغلبية في البلاد... ولا ريب في ان فكرة التقسيم قد بحث فيها فيما مضى كحل للمشكلة ثم اهلكت لصعوبتها .. فالتقسيم يفسح مجالا لتوطيد السلام في النهاية الامر الذي لا يتيح اي مشروع آخر » .

ثم تمضي اللجنة الى تحديد المناطق المراد ادخالها في الدولة اليهودية ، والمناطق الأخرى المراد ادخالها للدولة العربية ، والتي سوف تبقى على الدوام تحت الانتداب .

ولا ريب ان من يطلع على خريطة التقسيم يتضح له التناقض بين اقتراح اللجنة بالدولة اليهودية وحجمها الصغير ، والى اعترافها باستمرار الهجرة اليهودية على الدوام ، الا اذا ادركنا ان المقصود بالتقسيم انما هو اجراء مرحلي ، تعود بعده الدولة اليهودية بمساعدة الانتداب لالتهام الدولة العربية الفقيرة المرهقة .

واننا لنجد في التصريحات الخطيرة التي نشرت في الصحف اليهودية بفلسطين خلال شهر اغسطس (آب) ١٩٣٧ وبعد نشر تقرير اللجنة بنحو ثلاثين يوما ، ما يثبت ان فكرة التقسيم ليست الا تمهيدا بريطانيا لاستيلاء

اليهود على كل فلسطين .

يقول الدكتور وايزمان :

« ان عضوا من اعضاء اللجنة الملكية البريطانية طلب لقاءه » .

واختار وايزمان ان يكون اجتماعهما في مستعمرة « نحلل » بين الناصرة وحيفا .

« ان هذا العضو بسط له انه وزملاءه يقدرون الجهود التي يبذلها اليهود في فلسطين ، وانهم يرون ان التوصية التي سيضعونها في تقريرهم لا تستوي بوجه من الوجوه مع المطالب الحققة العادلة التي يطلبها الشعب اليهودي ، ولا مع الالتزامات التي في عنق بريطانيا لليهود ، وان خطة التقسيم هي بمثابة نقطة تحول او انتقال من دور الى دور ، وهي تتضمن من الوسائل ما يتمكن به اليهود من ان يتوسعوا توسعا عظيما في المستقبل في فلسطين » .

٢ - اللجنة تستغل لقاء فيصل ووايزمان :

ولكن هذه اللجنة وهي تدرك انها تقترح سلب جزء من الوطن العربي واعطائه الى شعب غريب مستجلب ، تشير في خبث الى اتفاق خطير طالما تشدق به اليهود والاستعمار يرون وتقول :

« لقد سبق لرجال الساسة العرب ان رضوا بالتنازل عن فلسطين صغيرة لليهود ، بشرط ان تكون بقية آسيا حرة ، غير ان هذا الشرط لم ينفذ في ذلك الحين ، وما هو الآن على وشك التنفيذ ، ففي غضون اقل من ثلاث سنوات تصبح كافة المنطقة العربية الواسعة الواقعة خارج فلسطين بين البحر المتوسط والاقيانوس الهندي مستقلة ، كما ان القسم الاكبر من فلسطين سيصبح مستقلا ايضا اذا نفذ مشروع التقسيم » .

وهي حين تشير الى ان الساسة العرب سبق لهم ان وافقوا على فلسطين يهودية ، تقصد بذلك الاتفاق بين الامير فيصل حين كان اكبر ناطق باسم العرب في سنوات ١٨ ، ١٩ ، ١٩٢٠ ، والدكتور حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية .

ويعتبر تصريح وزير المستعمرات البريطانية في بيانه الذي القاه امام مجلس العموم البريطاني في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ تفسيراً لتلك العبارة التي جاءت في تقرير اللجنة وذلك حين قال :

« ليس من الصعب على زعماء العرب واليهود أن يصلوا الى اتفاق فيما بينهم ، فلقد مرت قبل عشرين عاما برهة ظن فيها ان مثل هذا الاتفاق لم يكن ممكنا فحسب ، بل هو في حيز الوجود ، فلقد عبر عندئذ الدكتور وايزمان بالنيابة عن الجمعية الصهيونية نهر الأردن وقابل الأمير فيصل في سرادقه المضروب في الصحراء ، يحيط به مضيفوه العرب ، وبعد اشهر وقع هذان الرجلان اتفاقا يتعلق بفلسطين ، فالى مثل هذه الصلة بين العرب واليهود نود ان نعود الآن (٤) » .

وقد تعرض لاتفاقية فيصل - وايزمان عديد من الباحثين ونشروا نصوصها دون اختلاف يذكر (٥) .

بدأت القصة عندما وصل الدكتور وايزمان الى القدس في ابريل (نيسان) ١٩١٨ على رأس وفد للجنة الصهيونية التي كان يصحبها الماجور اورمبس جور كضابط اتصال مع اللجنة الصهيونية (وزير المستعمرات بعدئذ) واغتنم وايزمان الفرصة ، فقصده يوم اول يونيو (حزيران) الى العقبة وزار الأمير فيصل في ٥ من يونيو (حزيران) ١٩١٨ وبسط له اغراض الصهيونية ، ورغبتها في التعاون مع العرب (٦) ، فكان الأمير كثير الحذر كما تقول المصادر الصهيونية ولم يبد رأيا حاسما .

وفي باريس عام ١٩١٨ استقبل الأمير الزعيم اليهودي سوكولوف الذي طلب من الأمير ان يظهر عطفه على القضية اليهودية ، فصرفه بلطف ، ولما سافر الأمير الى لندن زاره عظماء اليهود الانجليز الفريد موند والسير هربرت صموئيل واللورد بركنهد (وزير الحقانية البريطانية) وتظاهروا امامه بالعطف على القضية العربية ، مبدئين استعدادهم لمساعدتها وطلبوا اليه ان يوقع بيانا كتبوه باللغة الانجليزية ، وقالوا له انه ينطوي على اظهار العطف على فكرة الوطن القومي ، فوقعه الأمير باللغة العربية بعد ان كتب عليه تحفظا يقول فيه « مشترطا ان ينال العرب استقلالهم من رفح حتى طوروس وخليج العجم » ويقول اليهود ان ما وقع عليه الأمير فيصل كان

(٤) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٤ .

(٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٧ .

وانظر ايضا : دكتور جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، منشأة المعارف الاسكندرية عام ١٩٦٥ ، ص ٤١ - ٤٦ .

انظر ايضا : فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٣ .

وانظر ايضا :

ANTONIUS GEORGE, THE ARAB AWAKENING P.P. 437. 439.

(6) WEIZMANN, P.P. 290, 294.

ينطوي على اتفاقية نشرها نصوصها كما يلي :

« ان صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها ، يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحققان ان ضمن الوسائل لبلوغ غاية اهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى مدى من التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ، ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على المواد التالية :

١ - يجب ان يسود جميع العلاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص . وللوصول الى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الاصول في كل بلد منهما .

٢ - تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين .

٣ - عند انشاء دستور ادارة فلسطين تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم اوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المورخ في ٢ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٧ .

٤ - يجب ان تتخذ جميع الاجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وباقصى ما يمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض ، عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة ، ولدى اتخاذ مثل هذه الاجراءات يجب ان تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ، ويجب ان يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي . لندن في ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩١٩

(ثم تنص باقي المواد على الحرية الدينية وممارسة الشعائر دون تمييز بين السكان وان تكون الاماكن الاسلامية المقدسة موضوعة تحت رقابة المسلمين ، وان المنظمة الصهيونية التي تقترح ارسال لجنة خبراء لتفهم احسن الوجوه للنهوض بفلسطين سوف تضع خبرة هذه اللجنة ايضا تحت تصرف الدولة العربية ، وان الحكومة البريطانية هي الحكم في اي نزاع ينشأ بين الدولة العربية وفلسطين) .

تحفظات فيصل :

« يشترط ان يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت في مذكرتي المؤرخة في الرابع من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩١٩ المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية ، ولكن اذا وقع اقل تعديل او تحويل فيجب ان لا يكون عندها مقيدا بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية التي يجب اعتبارها ملغاة لا شأن ولا قيمة قانونية لها ويجب ان لا اكون مسئولاً باية طريقة مهما كانت (٧) » .

فيصل بن الحسين

حاييم وايزمان

LAWRENCE'S NOTE IN FACSIMILE

If the Arabs are established as
law-abiding in my manifesto addressed
to the British Secretary of State for Foreign
Affairs, I will carry out what is
written in this agreement. ~~If~~
~~demands are changed~~.

If changes are made, I can
not be considered for furthering
to carry out this agreement.

Faisal ibn
Hussein

التمهد الذي تدعي الصهيونية صدوره عن الامير فيصل ويلاحظ انه مكتوب
بخط انجليزي ولم يكن فيصل ينطق ولا يكتب هذه اللفظة .

لقد استعمل الصهيونيون صورة هذه الوثيقة باللغة الانكليزية
وابرزوها كمستند مهم امام عدة هيئات واجتماعات دولية
حسبنا ان نذكر منها لجنة « شو » البريطانية في فلسطين عام
١٩٢٩ وانكرها العرب وابقوا يسألون فيصل ، فرد « بأنه لا
يذكر انه كتب شيء مثل هذا بعلم منه » والمفروض ان فيصل
وقع عليها ، وتحفظ فيها بخطه العربي ولفته العربية التي لم يكن يحسن
غيرها ، ولكن كل ما نشر هو ترجمة انجليزية يقال انها بخط لورانس
البريطاني رفيق فيصل المعروف .

ويبني العرب على هذا ان الوثيقة مزورة او مدسوسة على فيصل ،
ولم يتضح اصلها العربي ، وحتى لو فرض ان فيصل وقعها فعلا دون ان
يدري ما فيها تحت الحاح من كبراء اليهود الذين زاروه في لندن ومر
ذكرهم قبل قليل ، فان هذا لا يعتبر عقدا يربط شعب فلسطين العربي ،
ولم يكن فيصل يحمل من هذا الشعب اي تفويض ، وان التفويض الذي
اعطيه من الشعب السوري كان ينحصر في طلب الاستقلال ، وخلق دولة
عربية واحدة .

ونحن حين نورد هذا الموضوع لا نقف عنده لانه كان ذا اثر في مجرى
الامور بفلسطين ، ولا لانه كان سببا من اسباب انهزام الامة العربية فيها ،
ولكن نورده كجزء من تلك المتاعب والهوان وعدم الادراك الذي لاقاه الشعب
الفلسطيني على يد عدد كبير من امته العربية وسط معركة التاريخ الخطيرة .

ذلك انه حتى اذا برىء فيصل من تلك الوثيقة ، على اعتبار انه
وقعها في استغفال ودون دراية فان تحفظه عليها يعطي التأكيد الجازم
بادراكه انها تعني سلخ فلسطين من الوطن العربي ، وتهويدها بأساليب
الصهيونية ، ولا يشفع لهذا التوقيع ما يذهب اليه الدكتور احمد طريبن
في كتابه (٨) من ان الانطباعات عن الصهيونية في ذلك الوقت لم تزد عن
كونها حركة يراد بها فسخ المجال لسكنى اليهود في فلسطين ليس اكثر ،

(٧) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٧٨ .

(٨) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية، محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية.

لا تشفع هذه الحجّة بعد ان جاءت بنود الاتفاقية صريحة بان « تحدد الحدود النهائية بين الدولة العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من الطرفين » .

ولا نعتقد ان النص على خلق الحدود يسمح لاي ذهن بان يفهم اكثر من انه تحديد بين موطنين مختلفين احدهما الدولة العربية وثانيهما فلسطين .

ثم تعلن المادة الأخرى في صراحة انه « عند انشاء دستور فلسطين تتخذ جميع الاجراءات التي من شأنها تقديم اوفى الضمانات لتنفيذ وعد بالفور المؤرخ في ٢ نوفمبر ١٩١٧ » .

وتتضح المعالم الخطيرة في المواد الأخرى الخاصة بالهجرة اليهودية وغيرها .

اما اذا قيل انه لم يوقعها ولم يرها ولم يسمع بها وهذا جانب مشرق في الحجّة العربية ، ولكن بعض الوثائق الأخرى تعطي الايضاح بأنه لم يكن الرجل المتمسك بفلسطين والحفيظ عليها والضعيف بها او انه انطقت عليه الحيل فظنها حركة صغيرة لا تقوى على العرب ، فهو حين مثل الأمة العربية في مؤتمر الصلح ، كان واضحا من مذكرته المقدمة لهذا المؤتمر في اليوم الأول من يناير (شباط) ١٩١٩ انه لم يتزحزح في المطالبة باستقلال سوريا ، ولكنه بشأن فلسطين لجأ الى السياسة الواقعية المرنة (٩) ، وحرمت تماما تلك القطعة الغالية من صوته المرتفع وسط جنبات المؤتمر العالمي ، ويقول الأمير فيصل :

« اكثرية السكان الساحقة في فلسطين مؤلفة من العرب ، واليهود قرييون الى العرب تربطهم بهم روابط الدم ، وليس هنالك اي تناقض في الطباع بين هذين العنصرين ونحن على اتفاق تام مع اليهود في القضايا الأساسية ، غير أن العرب لا يقدرّون ان يتحملوا مسؤولية حفظ التوازن بين مختلف العناصر والأديان التي تصطدم في هذه المنطقة الوحيدة في الشرق ، وقد طالما ادى تصادمها في الماضي الى خلق صعوبات دولية ، العرب يطلبون ان يشرف عليهم وصي في هذه البلد الى ان تقوم فيه ادارة

(حكومة) على اساس التمثيل الشعبي تكون قادرة على تأمين رفاهية البلاد (١٠) .

ان العربي الذي يحيا في عام ١٩٦٧ ليخجل حين يقرأ نصا من هذا النوع يقدمه امير عربي الى مؤتمر الصلح ، وليس ادعى لهذا الخجل من الاعتراف بعجز العرب عن اقامة العدالة في فلسطين وانهم لا يقدرّون تحمل مسؤولية الحكم ، وانهم يطلبون وصيا عليهم ، ويقول هذا بعد ان يقرر ان العرب على اتفاق مع اليهود في القضايا الأساسية ، وليس لليهود قضية أساسية اكثر من تنفيذ وعد بالفور وملء فلسطين بالمهاجرين اليهود ووضعها تحت الانتداب البريطاني ليطمئن التهود المتفق عليها .

على ان فيصل كرر هذا في مذكرته المقدمة في جلسة ٦ فبراير (شباط) حيث طالب فيها باستقلال البلاد العربية الا فلسطين التي تركها جانبا لطابعها العالمي ، ورأى ان تحل قضيتها من قبل جميع اصحاب العلاقة (١١) ويظهر ان فيصل هذا كان ينتظر من الصهيونية تأييدا عالميا بخلق دولة عربية كبرى ، ولكن اللجنة الصهيونية لم يكن يشغلها غير فلسطين ، فحين مثلت في مؤتمر الصلح بعد ان قدم فيصل مذكرته المذكورة في الثالث والعشرين من فبراير (شباط) ١٩١٩ قدمت مذكرتها الحاسمة مطالبة فيها مؤتمر السلام ان يدرس ويعتق طلباتها الآتية :

- ١ - يعترف المتعاقدون بحق اليهود التاريخي في فلسطين واعادة تأسيس وطنهم القومي فيها .
- ٢ - تخطط حدود فلسطين وفقا لمذكرة اليهود بحيث تشمل جزءا من سوريا ولبنان والاردن .
- ٣ - تفوض العصبة بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين وعليها ان تحقق ما يلي :
- ١ - وضع فلسطين في احوال سياسية واقتصادية وادارية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي وتوجد امكانيات لانشاء دولة يهودية فيما بعد .

(١٠) دكتور احمد طربين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٤ .

(١١) Hurewitz J.C. Diplomacy in the Near and Middle East Vol 2 P.P. 38-39.

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

ب - لتحقيق ذلك تشجع الهجرة اليهودية وتسهل اقامة اليهود وأن تعترف لمجلس يهودي بحق الاولوية في اخذ كل الالتزامات التي تحقق المشاريع العامة وتستثمر موارد البلاد الطبيعية (١٢) .

وقد اسرف الوفد الصهيوني اسرافا بعيدا حين تقدم الى مؤتمر الصلح في باريس بطلباته المحتوية على آمال الصهيونيين الذين تحالفوا مع بريطانيا على تحقيقها ، ولقيت استجابة من دول الصليبية الاستعمارية ، وقد ارتكب فيصل أكبر خطأ سياسي تجاه فلسطين حين وصف مطالب الصهيونية بأنها معتدلة ولائقة وذلك اذا صح خطابه المرسل الى فيلكس فرانكفورتر كبير الصهيونيين في أمريكا والمؤرخ في الثالث من مارس (آذار) ١٩١٩ وكان مما جاء فيه :

« اننا نشعر أن العرب واليهود هم أبناء عم ، وأنهم تحملوا اضطهادات متشابهة من الدول القوية ، وقد ساعدتهم حسن الطالع بأن يتمكنوا من الصعود معا الى الدرجة الاولى من سلم آمالهم الوطنية ، ونحن العرب وخاصة المعلمين ننظر برغبة شديدة الى النهضة الصهيونية وقد اطلع وفدنا في باريس الآن على الاقتراحات التي قدمتموها امس الى مؤتمر السلام ، ونحن نعتبر أن هذه الاقتراحات معتدلة ولائقة ، وسنعمل جهدنا وما في وسعنا لمساعدة اليهود ابدا ، ونتمنى لهم وطنا ينزلون فيه على الرحب والسعة ، اني اتطلع وشعبي ايضا الى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الامم المتعدنة في العالم » (١٣)

ان ترك فيصل لفلسطين خارج مطالبه الاستقلالية ، واعتبارها منطقة تخص العرب وغير العرب وأن موضوعها يجب أن يحل بالاتفاق بين جميع الأطراف ، كل هذه تمثل جانبا يعطي لكل عربي حرية البحث الطليق في ان قضية فلسطين التي اکتوى بها اهلها اولاً وقاتلوا عنها ثلاثين عاما ، كان بعض العرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها .

على ان ما نشره فيصل في الرابع من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٩ بالجريدة الصهيونية « جويش كرونيكل » يزيد الامر وضوحا في أنه بينما

(12) David Hunter Miller, My Diary at the Conference of Paris New York 1924 Vol V P.P. 12-25.

(١٣) فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، ص ١٦ .
Weizmann Ouvre CLT P.P. 307-308.
وانظر ايضا :

بقرر ان فلسطين جزء من سوريا العربية لا يمانع في ان تكون ضمن الدولة الكبرى ولاية يهودية حين يكثر يهودها ، وهو بذلك يوافق على الهجرة اليهودية ضمنا ويقول :

« يجب ان تظل فلسطين جزءا من سوريا ، فليس بينهما حد طبيعي ولا فاصل ، وما يؤثر في الواحدة يؤثر في الاخرى ، والعرب يرون فلسطين ولاية عربية ولا يرونها بلادا قائمة بذاتها ، ونحن نسعى لننشئ امبراطورية عربية تتألف على الاقل من العراق وسوريا وفلسطين ، وقد قيل لي ان جميع اليهود يعتمدون على التصريح الذي فاه به اللورد بالفور ، ويتطلعون الى انشاء وطن قومي لهم في فلسطين اي ان تصير فلسطين دولة يهودية ، ولا ريب أن هذه الاماني تناقض افكار العرب ولا ترضيهم ، فاناشد اليهود وهم ساميون قبل العرب طالبا معونتهم لنا في انشاء المملكة العربية حتى اذا كثر عدد اليهود في فلسطين تيسر أن نجعلها ولاية يهودية من ولايات هذه المملكة العربية (١٤) .

وهذا الاضطراب الواضح في موقف فيصل بين تركه فلسطين خارج نطاق الاستقلال المطالب به للبلاد العربية ، وبين السماح بها لجعلها ولاية يهودية ، وبين نظراته للمطالب الصهيونية (الخطيرة) بأنها مطالب معتدلة ومعقولة ، هذا الاضطراب الفكري الذي عمل الصهيونيون كثيرا على وضع فيصل في اطاره باتصالاتهم وعودهم أو وعيدهم يتكرر أيضا حين يمانع فيصل في حديث له مع مراسل الجريدة اليهودية « جويش كرونيكل » في أن تكون فلسطين دولة محكومة باليهود ، ثم ينشأ عن هذا التصريح اعتراض صهيوني ولوم وعتاب ومطالبة بتصريح آخر ، فكتب رسالة في العاشر من ديسمبر (كانون الاول) الى السير هربرت صموئيل قال فيها :

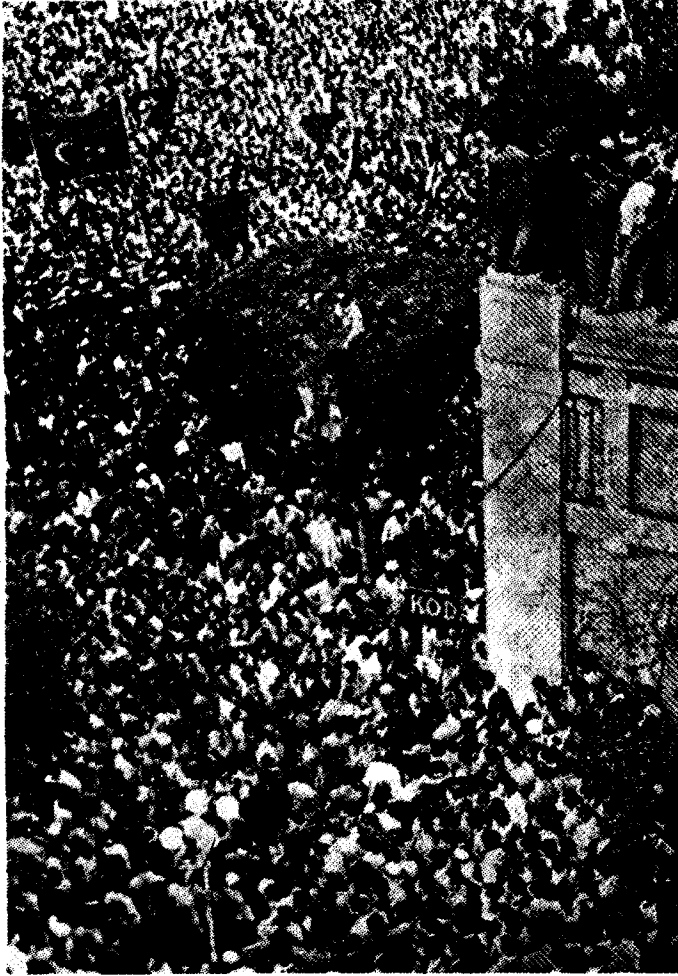
« اني مقتنع تمام الاقتناع ان الثقة الوطيدة المتبادلة بيننا ، واتفاق وجهتي نظرنا اتفاقا كاملا اللذين اقاما في السابق تفاهما تماما بين الدكتور وايزمان وبينني سيمعان (١٥) قيام أي سوء تفاهم آخر في المستقبل ، وسيكفلان الانسجام اللازم لنجاح قضيتنا في المستقبل » .

وهذه المواقف المحزنة المربكة للامة العربية ، والتي تؤخذ تاريخيا وقوميا على فيصل ركزت محددة حين وعد بريطانيا في العشرين من يناير (كانون الثاني) ١٩٢١ أنه سوف يتبنى رأي الحكومة البريطانية بان تستثنى

(١٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ٣ ص ٤٨ .

(١٥) انيس صايغ : الهاشميون والقضية الفلسطينية ، بيروت عام ١٩٦٦ ، ص ٨٠ .

قصره اذاعة تديع بلاغات الثورة وتنادي للجهاد ، وشارك شعبه عواطفه ، وخطب جموع المتظاهرين ، وتناسى ابهة الملك ومظاهره في سبيل قضية العرب الكبرى ، وحين توفي في حادث مفاجيء عام ١٩٣٩ ذهب سر موته معه لغزا محيرا .



صورة المظاهرات ضد التقسيم في القاهرة

فلسطين من مشروعات الدولة العربية الموحدة ، وقد اعلن تشرشل الوعد الذي قدمه فيصل في خطاب القاہ في مجلس العموم في الحادي عشر من يوليو (تموز) ١٩٢٢ (١٦) .

على اننا لا نترك هذا البحث الذي يخص فيصل وتمهده للصهيونيين قبل ان نسجل كلمة حق تثير بعض جوانب هذه الشخصية التي لازمت تاريخ الامة العربية في اهم تطوراتها بعد الحرب الاولى .

ذلك اننا حين ننشر كل تلك الوثائق ، نعني انه كما خدع والده الملك حسين من الانجليز الذين سيروه ليكون مطية لتحطيم دولة الاسلام ، خدع فيصل ايضا من الصهيونيين ، فوافقهم على تجزئة سوريا واقتطاع فلسطين لهم ، ان صحت وثيقة الاتفاقية المطعون فيها ، او وافقهم على الاقل ان تكون فلسطين ولاية يهودية ضمن الدولة العربية ، ان صح غيرها من تلك الوثائق ، وفي هذا تمهد بفتح ابواب الهجرة امامهم حتى يملكوا اراضي البلاد برغم اضرار ذلك بمصالح اهلهما .

ويظهر لنا ان فيصل كان يصحو احيانا ولكن بعد فوات الاوان ، فهو يصرح للوفد الفلسطيني الذي زاره في دمشق عام ١٩٢٠ بأنه لن تكون فلسطين صهيونية وانه فخور بشعبها الذي يحافظ مصرا على عروبتهما .

وتضيف المصادر العربية ان فيصل ليلة وفاته الفجائية في جنيف عام ١٩٣٣ كان قد اعد مذكرة لوزارة الخارجية البريطانية يطالب بعروبة فلسطين ، ويخلص النص لحليفته بريطانيا .

ولكن الانجليز وهم المتلهفون على التهويد ، والعاملون عليه ، لا يعترفون بأي مذكرة ليفصل ولا يستشهدون بها ، وانهم لياخذون تلك الوثيقة التي تعلنها الصهيونية كمعاهدة مع فيصل حجة تساق على عدم تمسك ساسة العرب بفلسطين ، وان كبارهم سبق ان وافقوا على تهويدها .

٣ - موقف العرب واليهود من التقسيم :

واذا كان فيصل قد خدع كما خدع والده الحسين ، فان ابنه الملك غازي الذي تسلم العراق بعده كان مثالا للشباب العربي المؤمن بقضيته ، الصادق في وطنيته ، ومن حقه على التاريخ العربي ان يسجل انه كان ركنا من اركان الوطنية الفلسطينية ، حتى حمى مجاهديها واکرم لاجئيهما ، واقام في

وهكذا سلطت اللجنة الملكية أضاءها على التقسيم مستغلة لقاء وايزمان وفيصل واتفاقهما لصالح تمزيق وطن عربي ، ولكن اليهود تنادوا برفض التقسيم في داخل فلسطين وخارجها ، وراوه أقل مما يطلبون ، ولم يشذ منهم أحد في ذلك ، كما نهض الفلسطينيون من جديد الى أرواحهم يقدمونها لمذابح الحرية، تفتالها بريطانيا بجميع أساليبها في سبيل الصهيونية وبدأوا ثورتهم من جديد على النحو الذي سنذكره بعد حين .

وتجاوب العالم العربي على ضعفه وهزاله ينادي ببطان التقسيم ، وارتفعت الاصوات هذه المرة عالية في سوريا ولبنان والعراق ومصر والحجاز ولعلها أحست بالخطر الذي أوشك أن يبيني كيانه في قلب الوطن العربي .

٤ - الثورة لم تتوقف عام ١٩٣٧ :

لم يستمر ذلك الهدوء الذي سببه تدخل الملوك العرب وثقتهم في صديقتهم بريطانيا العظمى الا قرابة اربعة شهور حدث خلالها تقديم مطالب العرب للجنة الملكية البريطانية التي طالما نوهت بها المنشورات الملقاة على المجاهدين ، والتي أعلن فيها انها مستقلة الراي باحثة عن الحقيقة ، وخلال هذه الشهور الاربعة تسلمت الجمعية الصهيونية شهادات جديدة للهجرة اليهودية ، وأعلن استعداد عشرة الاف يهودي بولندي للرحيل الى فلسطين (١٧) ، وتم تنفيذ حكم الاعدام في بعض الشبان العرب (١٨) ثم تسرب عديد من الاشاعات تقول : ان اللجنة ترى ان خير سبيل لهدوء الحالة في فلسطين هو ان تقسم بين العرب واليهود ، وتأكد ذلك بعد نشر تقرير اللجنة ، وصحب ذلك تحرش يهودي بالعرب ، فعمد العرب من جديد الى امتشاق سلاحهم ، ووقعت حوادث متفرقة ، خلال هذه الشهور ، حيث جرح ستة عشر يهوديا في القدس ، وقتل اليهود باثنا عربيا متجولا، وصرع يهودي في نابلس ، وتلاحقت الحوادث من الغريقين .

كانت بريطانيا قد سلطت ضباطها الكبار وحكام الالوية يسومون الشعب العربي سوء العذاب ، وكان أكثرهم تجبرا وطفيانا وأشداهم حرصا على محاباة اليهود وحمائتهم ، وأقواهم ضلعا في تشجيعهم على تملك الاراضي وسلبها من العرب ، حاكم لواء الجليل المسمى « اندروز » ، وكثيرا ما اندره الثوار العرب وطلبوه بأن يكف عن اضطهاد الشعب ، وأن يحسب لحياته

(١٧) جريدة الاهرام ٢٧ من فبراير ١٩٣٧ .

(١٨) جريدة الاهرام ١٢ من نوفمبر ١٩٣٦ .

حسابا وهو يناصر الصهيونية الدخيلة في بلادهم ، ولكن هذا البريطاني الحاكم كان معتادا بقوة الامبراطورية مخلصا لسياستها التهودية الرسومة ، معتقدا ان حرسه الدائم سوف يحميه من تنفيذ حكم الثوار ، وكان لا يرى الا شاهرا مسدسه ، ومتبوعا بحارسين على الاقل .

ولقد حاول العرب على الدوام ان يتفاهموا مع هذا البريطاني الكبير منذ ان كان مساعدا لحاكم لواء القدس ، فشدت قبضته على الصحف العربية مانعا لها من ان تقول كلمة الحق ضد الصهيونية ، وحين قررت الحكومة مشروعا انشائيا براس مال قدره مليون جنيه جعله وكرا للموظفين اليهود ، واقنع الحكومة بالفناء الجانب الذي كان من المفروض ان يسهم في مساعدة العرب ، الذين طردوا من اراضيهم المعطاة لليهود ، ثم عين ضابط اتصال امام اللجنة الملكية البريطانية ، فخدم الصهيونية خدمات كبيرة ، فأخذوا يسعون في سبيل ترقيته الى حاكم لواء ، وحين تم هذا التعيين أمعن في مكانه نفيا وسجنا ، وطبق على كثير منهم قانون الطوارئ ، وقانون منع الجرائم .

وأخر ما فعله انه اصدر امرا اداريا بتجديد سجن جماعة الشهيد القسام عاما جديدا ، بعد انتهاء مدة الحكم القضائي الاصيلي ، وكان صاحب اليد الطولى في انتزاع وادي الحوارث (١٩) واجلاء العرب عنه وتسليمه لليهود ، فلم يجد الثوار بدا من ان يصدروا عليه حكم الاعدام .

وفي اليوم السادس والعشرين من سبتمبر (ايلول) ١٩٣٧ « وبينما كان « اندروز » الذي لم يفز بصداقة العرب يوما من الايام خارجا من الكنيسة الانجليكية في الناصرة يصحبه « جوردون » احد مساعدي حكام الالوية ، ووراءه كونستبل بريطاني كحارس مسلح دائم معه ، فوجئوا جميعا بأربعة من الشباب العرب يرتدي اثنان منهم الملابس الافرنجية والاخران الكوفية والعقال ، واطلق هؤلاء الرصاص على اندروز وحارسه من مسافة اربعة امتار فخرا صريعين « (٢٠) .

وكان المجاهدون قبل ذلك قد وجهوا انذاراتهم الى ضباط الشرطة الذين وجدوا في رحاب بريطانيا منطلقا لوحشيتهم ضد الوطنيين والمعتقلين والابطال الذين يؤسرون في المعارك ، وفي اوائل عام ١٩٣٧ اطلق الرصاص على حليم بسطا فأصيب بجراح في عنقه ، وكان بسطا هذا قد دخل فلسطين في حملة الانجليز الاولى بقيادة النبي ثم اخلص في خدمتهم ، حتى أصبح مساعدا

(١٩) جريدة المصري ٣٠ من سبتمبر ١٩٣٧ .

(٢٠) جريدة الاهرام ٢٩ من سبتمبر ١٩٣٧ .



الشهيد الشيخ يوسف ابودرة اشترك في ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ، استقر في دمشق ثم عمان وسلّمه الجنرال جلوب للانجليز عام ١٩٤٠ حيث نفلوا فيه الاعدام امزلا وكان قد اعجزهم معاربا مسلحا

سيشل من وقع في يدها من اعضاء اللجنة وبعض زعماء الحركة، ومن استطاع الافلات حرمت عليه العودة .

واعتصم السيد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالمسجد الأقصى ، ثم استطاع ان يخترق متخفيا صفوف الجنود البريطانيين المحاصرين للمسجد ، واذيع رسميا يوم ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ ان المفتي وصل الى بيروت ولم يعرف كيف وصل (٢٥) .

(٢٥) جريدة الاهرام ١٧ من اكتوبر ١٩٣٧ .

لمدير الشرطة، وكثيرا ما انذره المجاهدون دون جدوى، طالبين اليه ان يكف عن شدته مع العرب، ومع ذلك لم يرعو هذا الضابط ، ولم تقف خدماته المتلاحقة للصهيونية مما اضطر المجاهدين الى ملاحقته وقتله ، وحين كان الشعب يستمع الى المذيع اعلم البلاغ الرسمي التالي :

« يعلن فخامة المندوب السامي مع الاسف الشديد ان حليم افندي بسطا مساعد مدير البوليس واحد الضباط المخلصين والمتفانين في عملهم، قد قتل بالرصاص بعد ظهر اليوم في حيفا بيد ثلاثة اشخاص من العرب المسلحين بالمسدسات ، وقد اصيب معه الكونستابل الذي يرافقه بجراح مميتة » (٢١) .

وبينما كان المدعو « موفات » حاكم جنين قد احاط نفسه بمجموعات من البوليس والجنود يحرسونه ويحمون مقره بعد ان تلقى انذارا من الثوار كان هذا نصه : « من القائد الصغير يوسف ابودره الى مستر موفات . . . اذا لم تحسن سلوكك مع الاهالي خلال ثمانية ايام . . . فسأقتلك » (٢٢) ولكن مستر موفات ركب رأسه واستمر شرا على عرب فلسطين ، بينما نقل سكنه الى معسكر الجيش البريطاني خارج جنين ، واشتدت حراسته بالمصفحات ولم يبق اي احتمال لامكان اي اعتداء عليه ، ولكن القائد الفلسطيني الصغير ابو درة كان صادقا في وعيده ، فبعد ثمانية ايام تماما ارسل اليه اثنين من الفدائيين تسلق احدهما انابيب المياه حتى وصل الدور الذي به مكتب موفات ، فوجه انذارا الى سكرتيره العربي رافت الدرهللي ، واجتاز غرفته الى غرفة الحاكم البريطاني وافرغ فيه رصاص مسدسين كانا معه، واستمر يطلق الرصاص دون ان يجفل او يخاف وعاد تاركا المكان (٢٣) ، بينما اخذ رفيقه يطلق الرصاص خارج البناء لتفطية الانسحاب والحرس في ذهول وارتيباك شديدين .

وجن جنون المندوب السامي ، كيف يصرع العرب اركان ادارته التهويدية في فلسطين ، فأصدر امره باعتقال عديد من العلماء ، والقضاة ، والاطباء ، والمحامين ، والمثقفين ، ونكلت السلطة بالشعب وبجميع الصور ، واعتقلت اعضاء اللجان القومية ، وحلت اللجنة العربية العليا ، وكل لجانها القومية وعزلت رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وابعدت الى جزيرة (٢٤)

(٢١) جريدة الشباب ٢١ من ابريل ١٩٣٧ .

(٢٢) مجلة فلسطين العدد الصادر في نوفمبر ١٩٦١ .

(٢٣) جريدة الاهرام ٢٤ من اغسطس ١٩٣٧ .

(٢٤) وهم احمد حلمي باشا والدكتور حسين الخالدي والحاج يعقوب الفصين وفؤاد

سابا ورشيد الحاج ابراهيم ، ونفت الى روديسيا جمال الحسيني .

وقد رجعنا الى صحف ذلك العهد المحفوظة بدار الكتب العربية بالقاهرة واحصينا ما نشرته عن فلسطين على الرغم من انها صحف لم تستق انباءها الا من شركتي الاخبار الاستعماريين روتر وهافاس وهما لا تناضران العرب ولا تنشران امجادهم ومع هذا دلنا الاحصاء على الحوادث التالية للشهور الأخيرة من عام ١٩٣٧ : قتل وجرح ٣٤ شخصا من العرب واليهود ، وأشعلت أربع حرائق بسبب القنابل التي القاها المجاهدون ، وشن ثلاثة عشر هجوما على المستعمرات اليهودية او املاك اليهود ، وقامت اثنا عشر معركة أو مهاجمة لمراكز البوليس والجيش ، وحدثت ثلاثة اعتداءات على خطوط التليفون والتلغراف ، وصحب ذلك ستة عشر حادث اعتقال بالجملة ، وفي ٢٨ ديسمبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ نفذت بريطانيا حكم الاعدام في الشيخ فرحان السعدي ذلك الشيخ الكبير الذي يبلغ الثمانين عاما ، وتجاوزت اصدقاء الوطن العربي كله باستنكار جرائم بريطانيا وارهابها للشعب العربي في فلسطين ، وصدرت الاحتجاجات من سوريا والاردن والسعودية ومصر ، وأعلن رسميا ان عدد القتلى من رجال السلطة والجنود البريطانيين يقارب مائة قتيل عدا اضعافهم جرحى . واعترفت ادارة الشرطة في القدس ان مجموع الحوادث التي وقعت في فلسطين خلال عام ١٩٣٧ كانت ٦٦٣٨٢ قضية جنائية منها ٢٧٦ قضية قتل و ٢٨١ شروع في قتل و ٣٧٨٦ اعتداء فظيع على الاشخاص وانتهاك حرمت المنازل ، وتضيف ادارة الشرطة ان هذه الاحصائية لا تشمل خسائر الثوار (المجاهدين) لانها مجهولة لدى الادارة (٢٦) .

تعيين الجنرال وايفل في فلسطين :

واستجلبت بريطانيا قوات جديدة من قوات الاحتلال المرابطة في مصر، وعينت الماجور جنرال وايفل قائدا عسكريا جديدا في فلسطين ، ولكن الاعمال البطولية الفلسطينية لم يشنها تعيين وايفل ، كما لم يشنها تعيين القواد الكبار قبله ، واضطرت بريطانيا ازاء هذا الموقف اللتهيب الى محاولة تخدير الشعب العربي ببيانات علها تبعث فيه الاستكانة ، فوجه وزير مستعمراتها في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ خطابا الى المندوب السامي في فلسطين يعلن فيه سحب مشروع التقسيم ، وكان مما جاء فيه :

بالنظر الى الاهتمام الذي ابداه الرأي العام في انتظار نواحي مشروع التقسيم التجريبي في تقرير اللجنة الملكية ، اود ان ابين بجلاء ان حكومة

جلالته غير مقيدة بوجه من الوجوه بالموافقة على ذلك المشروع ، وانها بصورة خاصة لم تقبل اقتراح اللجنة القائل بوجود اللجوء في النهاية الى نقل العرب اجباريا من المنطقة اليهودية الى المنطقة العربية .

٥ - الثورة تزداد شدة سنة ١٩٣٨ :

لم تكن تلك الاجراءات التعسفية الا حافزا قويا للشعب العربي في فلسطين على مواصلة النضال ، واستمرت ثورته مجيدة هادرة ، وازدادت شدة عام ١٩٣٨ تصدر بلاغاتها واوراها فيطيمها الشعب عن بكرة ابيه طاعة مطلقة كاملة .

ويروي المعاصرون لتلك الثورة احدانا لا تكاد تتكرر في غيرها من الثورات ، فحين اختصت السلطات البريطانية لباس الكوفية والعقال بالمطاردة والتنكيل لأن هذا الزي لباس الشعب العربي الثائر ، ولا سيما القروي منه ، اصدر الثوار امرا بتعميم الزي ، فلبس الجميع العقال حتى استحال على السلطة ان تفرق بين الثائر وغير الثائر ، واضطرت بعد ذلك ان تأمر بحمل البطاقة الشخصية ، فاصدر الثوار امرا بقتل كل من يحملها ، فلم يحملها احد ، وبلغ من قوة الثورة انها كانت تصدر احكام الاعدام وتحدد ساعات تنفيذها ، ويتم كل ذلك برغم الاحتياطات والحراسات ، بل بلغ من قوة الثورة حدا مكثها من احتلال المدن والقرى ، ففي مايو (ايار) ١٩٣٨ احتل الثوار مدينة الخليل ، وقبلها كان الثوار قد احتلوا مدينة القدس القديمة ، وفي ٩ سبتمبر (ايلول) احتلوا مدينة بئر السبع ، واطلقوا سراح المساجين ، واستولوا على مراكز الشرطة وسلاح رجالها ، وفي ٥ اكتوبر (تشرين الاول) احتلوا مدينة طبريا ومعظم سكانها من اليهود وقتلوا فيها اكثر من مائة وعشرين يهوديا(٢٧) .

ويحدثنا عن احتلال الثوار لبئر السبع شاهد عيان هو المؤرخ الكبير عارف باشا العارف الذي كان حاكما لبئر السبع خلال عام ١٩٣٨ فيقول :

« وفي بئر السبع شاهدت أعمال الثوار بعيني ، وكان يقودهم يومئذ القائد الموهوب عبد الحليم الجيلاني ، فقد قطعوا قبل كل شيء اسلاك البرق والهاتف ، واقاموا في مداخل المدينة قوات كافية لمنع الدخول اليها والخروج منها ، ثم راحوا يتعقبون الجنود البريطانيين الذين كانوا في المدينة ، وقتلوا احدهم برتبة نقيب ، ثم راحوا يستولون على دور الحكومة

تقتصر على نشر بعضها ، وأنها لصفحات خالدة جديرة بأن يطلع عليها كل عربي سواء ذلك الذي آمن بأن أهل فلسطين دفعوا الضريبة غالية ، أو ذلك الذي يحتاج لاثبات أن هناك ثلاثين عاما قضاها الفلسطينيون في جهاد طويل مرير دام .

ففي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨ قام المناضلون العرب بالهجوم على مخفر للشرطة ، ووقعت مصادمة شديدة بينهم وبين الخفراء ، كما قام المناضلون بتفجير عدد من القنابل في تل أبيب فأصيب عدة اشخاص ، وانطلق الثوار يطلقون وابلا من الرصاص على قطار الركاب بين اللد والقدس ، وتبادلوا الرصاص مع رجال الشرطة في اماكن مختلفة بمنطقة الخليل ، واطلقوا نيرانهم على يهوديين في القدس فأخذوا مصابين بجراح خطيرة ، ونشبت معركة شديدة في ضواحي الخليل اشترك فيها سرب من الطائرات البريطانية في مطاردة المجاهدين ، وانفجرت قنبلة بجوار المسكر البريطاني بالقدس ، وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية ، وقتلوا خمسة من اليهود حين هاجموا قافلة سياراتهم بين القدس وأريحا ، ولم تفلح الطائرات البريطانية حين تعقبت الثوار الفلسطينيين الذين هاجموا مخفرا بريطانيا حيث قتلوا قائده وأخذوا معهم جنوده اسرى ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فهاجموا قرية يهودية ونشبت معركة مع سكانها، وكان لهذه الاحداث الكبيرة رد فعل قوي لدى البريطانيين الذين قاموا بفتشون المنازل والمحللات التجارية بحثا عن مستودعات السلاح (٢٨).

وما لبثت أن دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب في المسالك الوعرة بين جنين والكرمل اعترف الجيش البريطاني بفقد جنديين خلالها، على حين استمرت اقسام اخرى من الجيش والشرطة البريطانية توالي عمليات التفتيش عن السلاح في اماكن عديدة من فلسطين .

وصرع جاويش بريطاني في المعركة التي حدثت في شمال طولكرم (٢٩) ووجن جنون السلطات البريطانية ، فأقامت الاسلاك الشائكة المكهربة على الحدود ، وأعلنت نظام منع التجول في قريتي أم الفحم والطيبة ، وبينما كان الجنود البريطانيون يطوقون منطقة جنين ، ويواصلون البحث عن الثوار العرب استحال عليهم التفريق بين المجاهدين والشرطة ، إذ ارتدى المجاهدون ايضا ملابس الشرطة ذاتها .

وفي خلال شهر مارس (آذار) ١٩٣٨ بدأت المصادمات بين الجيش

(٢٨) جريدة الاهرام ، اعداد ٣ وه ١٥ و ١٦ و ٢١ يناير ١٩٣٨ .

(٢٩) جريدة الاهرام عدد ٢ و ١٠ فبراير ١٩٣٨ .



المجاهد عبد الحليم الجبلاني وقد رافق اسمه الجهاد الفلسطيني وبجواره سعيد عبيده احد رجال ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩

وخرقوا بعضها ، وقد اطلقوا السجناء من سجونهم واستولوا على مقادير كبيرة من الأسلحة والأعتدة العسكرية ، وظل الثوار في تلك البقعة ، من جنوب فلسطين مسيطرين يفتشونها متى يشاؤون زهاء سبعين يوما .

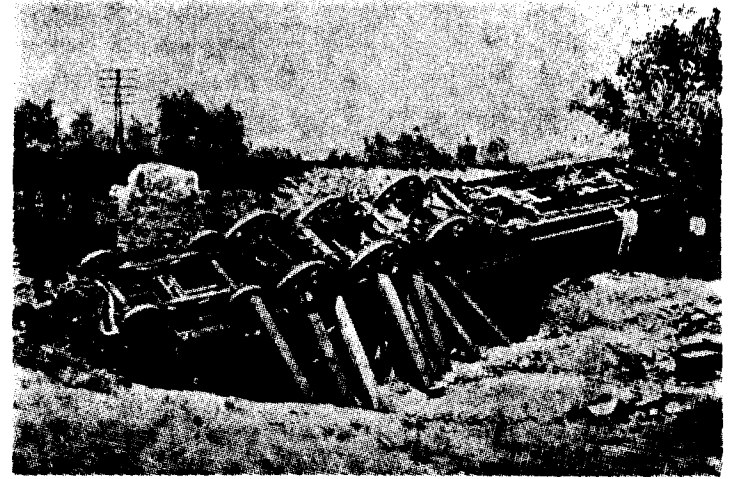
وبلغ من قوة الثورة ونموها ، أنها بينما تحتل بشر السبع في الجنوب ، تحتل ايضا طبريا في الشمال وأريحا في الشرق والقدس والخليل في الوسط .

وتحدثنا البرقيات الصحفية عن امجاد تلك الثورة الخالدة حديثا طويلا مسهباً ، ولولا خشية الاطالة لنشرناها يوميات كاملة كما اثبتتها صحافة ذلك العهد ، صادرة من برقيات روتر وهافاس ، ولكننا نكتفي بتسجيل بضعة ايام من كل شهر ، وأنها لا أيام لا تعطي الحصر قدر ما تعطي المثل ، وكم تتفاعل لدينا الأحاسيس ونحن نضطر خشية الاطالة الى ان

البريطاني والمجاهدين العرب ، تشتد في منطقة جنين ، فقد بدأت معركة في صباح الحادي عشر من هذا الشهر واستمرت مشتتة طيلة النهار واستؤنفت في اليوم الثاني عشر واتسع نطاق المعركة مما اضطر السلطات ان تغفل الطريق العام بين نابلس وطولكرم ثلاث مرات ، وقد كان من أهمية هذه المعركة التي خاضها المجاهدون ان اشتركت فيها الطائرات ، وواصل المجاهدون تحركاتهم فشنوا هجوما على محطة في جوار طولكرم وهاجموا عدة مستعمرات يهودية في ضواحي القدس .

ونسف المجاهدون قاطرة وقتلوا جنديا بريطانيا وجرحوا آخر ، ويعلم البلاغ الرسمي ان مناوشات عنيفة حدثت في أنحاء فلسطين وان عددا كبيرا من سكان القرى المجاورة للقدس ارسلوا الى المعتقلات ، وبينما شاغل المجاهدون الجنود البريطانيين في هجوم على المستعمرات اليهودية نسفوا انابيب بتروك العراق في مرج ابن عامر بالقرب من الناصرة (٣٠) .

وحيث اعيت الوسائل سلطات الانتداب في مكافحة الثوار اعلنت عن جوائز مالية لمن يرشد عن زعماء الثوار ، في نفس الوقت الذي واصلت فيه فرض الغرامات المالية على القرى العربية ، وقد استمر المجاهدون يأخذون



هكذا يدمر مجاهدو فلسطين مواصلات الاعداء ١٩٢٨

(٣٠) جريدة الاهرام اعداد ١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٣٠ مارس ١٩٢٨ .

بين ايديهم سبق الهجوم وينوعون اهدافهم ، فبينما يقاتلون الجيش البريطاني هاجموا تجمعات العمال اليهود ثم فجروا قنبلة على معمل يهودي ونسفوا ايضا الخط الحديدي بجوار القدس كما نسفوا جسرين لمنع القطارات من التحرك ، وتستمر الثورة العربية بفلسطين في عنفوانها القوي اذ يعلن بلاغ رسمي ان الثوار دخلوا بلدة الطيرة واخذوا رهائن من سكانها ثم هاجموا بساتين البرتقال اليهودية وقطعوا . . . شجرة فيها ، واتجهت الشرطة الى اقامة مخفر في الحرم المقدس فهاجم المجاهدون الشرطة في داخل مدينة القدس وبجوار الحرم لمنعها من دخوله . وقتل المجاهدون جنديين في هجوم عنيف على قوة من الجيش البريطاني ثم اضرمو النار في مركبة قطار وسلطت السلطات غضبها ففرضت غرامة كبيرة على قرية البصة لمقتل جندي بريطاني بجوارها وثلقت القبض على عدد من سكان الخليل لعلاقتهم بالمجاهدين (٣١) ، واستمر هجوم المجاهدين على مدينة روشينا اليهودية (٣٢) .

ونسف المجاهدون من جديد انابيب البترول العراقي ، فسبوا خسائر كبيرة لبريطانيا اذ تدفق البترول بشدة وغزارة ، ووالوا مهاجمتهم للقرى اليهودية . ونشبت معركتان شديدتان في ضواحي قرية طيرة حيث هاجم المجاهدون رجال الشرطة البريطانيين ، وقد استشهد تسعة من العرب خلال المعركتين . وقد استمر المجاهدون يكررون الهجمات على انابيب بتروك العراق الممتدة عبر فلسطين الى حيفا ، فنسفوا من جديد تلك الانابيب بين بيسان والنفولة ، واطلقوا النار على الدورية العسكرية حيث قتلوا ضابطا بريطانيا ، واتجهوا الى سكة الحديد بجوار القدس حيث نسفوها بالديناميت . واضرم المجاهدون النار في غابات واسعة ثم قطعوا الوف الاشجار من البرتقال التي يملكها اليهود ، كما هاجموا القرى اليهودية في جهات صفد والناصره ، واستشهد السيد محمد الرشيد متأثرا بجراحه بعد اشتراكه في احدى المعارك ، وقد اعلنت السلطات انه تقرر تعزيز الجيش البريطاني في فلسطين بثلاثة آلاف جندي (٣٣) .

وقد ادرك المجاهدون ان ائتلاف الاملاك اليهودية يصيب الصهيونية في صميمها ، فوالوا هجومهم على المستعمرات قرب الناصرة واطلقوا مشروعات يهودية كثيرة في اماكن عديدة بين حيفا وصفد ، ورزح الشعب العربي تحت الغرامات المالية فرضتها السلطات على سكان القرى المجاورة .

(٣١) جريدة الاهرام العدد ٣ و ٦ و ٢٢ ابريل ١٩٢٨ .

(٣٢) جريدة الاهرام ٢ مايو ١٩٢٨ .

(٣٣) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ مايو ١٩٢٨ .

وقررت محاكمة ١٩ عمدة في نابلس لعدم مساعدتهم للسلطات بالقبض على المسلحين فيها ، فهاجم المجاهدون الجنود البريطانيين بين نابلس وجنين وظهرت مجموعات منهم في جبال الخليل (٣٦) ، واحتجت مدينة القدس فأعلنت الاضراب العام .

ونشبت معركة رهيبه كانت اعظم معركة تشمل عدة قرى في منطقة نابلس حيث استنفرت الحكومة قوات كبيرة من الجند من نابلس وطولكرم، وقررت الحكومة تطويقها على سفوح الجبال الشرقية المواجهة لنهر الأردن، وبينما كانت القيادة العليا تعنى بعد الظهر بتوزيع القوات على هذه المنطقة للبدء في أعمال التطويق ، فوجئت بالمجاهدين يخرجون من كمين في قرية دوما ومن مكائهم في قرى بورين وصواره وعقبة وزعتره ، وقد هاجموا الجيش البريطاني بعنف ، ومنعت الحكومة المواصلات على الطرق العامة وحاصرت اهل كل قرية في قريتهم واستخدمت انواعا كثيرة من المدافع كما سلط الانجليز طائراتهم لتلقي قنابلها على المجاهدين في معركة شملت ١٥ كيلومترا ، واستطاع هؤلاء تحطيم احدى الطائرات ، واستمرت هذه المعركة طوال اربع وعشرين ساعة ، ودخلت قوة من المجاهدين محطة المزرعة ، وبعد ان اخرجت الموظفين منها اضرمت الناري المحطة فالتهمت عن آخرها ، وداهمت جماعة منهم مكتب دار الحكومة في الخليل واطلقوا النار عليها ونشبت معركة خلال ذلك مع الجند الذين يحرسون الدار وجرح احد المجاهدين (٣٧) .

وتنوع اساليب المجاهدين في فلسطين ، حتى أنهم ليحتلون مدنا ، ويمنعون فيها التجول ، فقد حدث في أوائل أغسطس (آب) أن دخلت جماعة منهم الجهة الغربية من نابلس وأعلنوا منع التجول في الشارع المؤدي الى منتصف المدينة حيث يقع بنك باركليز ، وأخذوا يسرون في الطرقات شاهرين مسدساتهم ويتبادلون الاشارات ، حتى وصلوا الى باب البنك ، فوقف بعضهم على الباب ، ودخل فريق آخر ، وطلبوا من موظفي البنك باللغة الانجليزية ان يرفعوا ايديهم ، ثم أخذوا في جمع الأموال فبلغت هـ آلاف وعشرين جنيها ، ولم يتقدموا الى الصناديق الكبيرة لأنها كانت مقفلة ولم يؤذوا احدا من الموظفين العرب ، ولم تظهر لهم قوات الجيش برغم اكتظاظ نابلس بها . وبينما كانت هذه الحركة تتم في نابلس اذ فجرت مجموعة أخرى من المجاهدين ثمانية الفام تحت اعمدة الكهرباء بين كركور وفاقون وهما مستعمرتان يهوديتان فيمنطقة طولكرم، فتحطمت أربعة اعمدة

(٣٦) جريدة الامرام اعداد ٦ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ١٩٢٨ .

(٣٧) جريدة الامرام عدد ٢ و ٧ اغسطس ١٩٢٨ .

وانقطعت الاسلاك وانقطع النور عن جميع المستعمرات .

ودفنوا لغما في الطريق بين جنين ونابلس اصطدمت به سيارة عسكرية فقتل بها الى واد قريب فتحطمت ، وهاجم فريق منهم منزل ضابط البوليس في مدينة اللد وطلبوا اليه النزول من داره فأعلم مركز البوليس تليفونيا فحضرت قوة من البوليس ودار قتال عنيف ، وقذفت سيارة ركاب يهودية قاصدة الى يافا قنبلة على جماعة من العمال العرب (٣٨) .

وقد استولى الرعب من الفقام الطريق على سلطات فلسطين ، اذ اصطدمت فصيلة من الجيش البريطاني بلغم في الطريق الى الجهة الجنوبية الشرقية من قلقيلية ، وما كاد يتم الانفجار حتى اطلق المجاهدون النار على الجنود من كمين قريب وبدأت معركة شديدة بين الفريقين دامت وقتا طويلا وتدخلت الجيوش البريطانية فذكر البلاغ الرسمي ان عشرة من العرب قد قتلوا وكانت معركة حامية استبسل فيها المجاهدون فأسقطوا طائرة أثناء المعركة وقتل قائدها ومساعدته ، وأذيع في البلاغ الرسمي عن هذه الليلة ان مجموع خسائر العرب في معارك بعد ظهر التاسع عشر من اغسطس في شعب ومجد الكروم بين صفد وعكا وفي معركة قلقيلية صباح العشرين منه كان ٤٧ قتيلًا وجريحين .

وحدثت معركة كبيرة أخرى بين المجاهدين وقوات الجيش في قرية دير شرف الواقعة على بعد عدة كيلومترات غربي نابلس وقد اسقطت طائرة حربية في محل المعركة وقتل جميع من فيها ، وتصدى افراد لسيارة ركاب عربية بعد ظهر التاسع عشر من أغسطس نقل ١٥ راكبا بالقرب من مطار اللد المدني فقتلوا كونوستابلا عربيا كان يرافق السيارة للحراسة ، وفجروا قنبلة على الخط الحديدي بين بتير ودير الشيخ فأحدثت اضرارا فسي الخط (٣٩) .

ايام من سبتمبر (ايلول) ١٩٢٨ :

اضرمت المجاهدون النار في كنيس يهودي بين يافا وتل ابيب ، وفي محلات تجارية لليهود في يافا ، واعلنت القدس غضبها فأضربت واشتركت معها يافا واللد ، وانقطعت المكالمات التليفونية بين فلسطين والخارج (٤٠) . وهاجم المجاهدون مدينة بئر السبع فاحتحموا مركز البوليس ، واستولوا

(٣٨) جريدة الامرام ١١ اغسطس ١٩٢٨ .

(٣٩) جريدة الامرام ٢٠ اغسطس ١٩٢٨ .

(٤٠) جريدة الامرام ٣ من سبتمبر ١٩٢٨ .

البرقيات « انه يستحيل تطويق كل قرية من القرى الفلسطينية البالغ عددها الف قرية(٤٢) » .

ايام من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ :

واستقبل الشعب الفلسطيني شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٣٨ بنفس الروح النائرة التي تلمصها منذ عام ١٩٢٠ ، فهاجم المجاهدون احدى المستعمرات اليهودية بجوار حيفا وفجروا قنبلة في نابلس فقتلت اربعة من اليهود وجنديا اضافيا ، وواصلت السلطات اعمال القمع ، على حين دارت معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين في المنطقة الشمالية ، واحتدمت معركة اخرى في المنطقة الجنوبية . وقد اسر الجيش بعض المجاهدين .

واتجه المجاهدون الى المواصلات فاوقفوها بين فلسطين وشرقي الاردن وتمكنوا من استعمال الديناميت ففسدوا جسرا قرب اربد في الوقت الذي مر عليه قطار بضاعة فسقط القطار في الوادي مع عدد من الضحايا ، وفجروا لغما تحت سيارة بوليس فجرح اربعة من ركابها ، وبلغ عدد المعتقلين في اللواء الشمالي خلال اسبوع واحد ٧٥٧ عربيا(٤٣) .

ايام من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٨ :

وهاجم المجاهدون دورية عسكرية في نابلس وجرحوا اثنين من رجالها ، ودارت معركة بينهم وبين الجند البريطاني في جوار قرية خزينا ، واستولى الجيش البريطاني على جثث تسعة من القتلى في المعارك الاخيرة . ودخل المجاهدون قرية تيلان وامروا الاهالي بمنع التجارة مع اليهود ، ثم واطلوا مهاجمة الممتلكات اليهودية ، واشتعلت معركة بين المجاهدين والجند البريطاني جرح فيها اربعة كونستبلات بريطانيين ، واعلن المندوب السامي منع التجول في يافا ٢٤ ساعة ثم اعلن منع التجول في الرملة ثم اعلن الغاء رخص السلاح لجميع الاشخاص ، وقتل العرب يهوديا في القدس كان يحاول القاء قنبلة على متجر عربي ثم هاجموا الخط الحديدي والممتلكات اليهودية في يافا ، واشعلوا النار في احد البساتين اليهودية(٤٤) .

يتبين من هذا العرض السريع لاحداث الثورة في خلال سنة ١٩٣٨

(٤٢) جريدة الاهرام اعداد ١٦ و ١٩ و ٢٨ اكتوبر ١٩٣٨ .

(٤٣) جريدة الاهرام اعداد : ٥ و ٨ و ٢٤ نوفمبر ١٩٣٨ .

(٤٤) جريدة الاهرام اعداد : ٥ و ٢٨ و ٣١ ديسمبر ١٩٣٨ .

على سلاحه واحتلوا المدينة واضرموا النار في محال كثيرة ، واضطرت حركات الثورة السلطات الى ايقاف سير القطارات بين القدس وحيفا ، وانتشر الاضراب في جميع مدن فلسطين . كما هاجم المجاهدون دائرة الجمرك في ميناء يافا واسروا امين الصندوق واستولوا على اموال الميناء وتعطلت الطريق بين القدس واريحا ، وقطعوا عشرة آلاف شجرة برتقال يملكها اليهود . ثم اطلقوا النار على دورية عسكرية بين طولكرم وقلقيلية فأصيب كونوستابلان يهوديان وقتل كونوستابل عربي بيافا ، وهاجم المجاهدون سراي الحكومة في نابلس وفتحوا خزينة المال ، واضرموا النار في محكمة الصلح في الناصرة فالتهمتها عن آخرها(٤١) .

ايام من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٨ :

وشهد شهر اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٣٨ قوة وصلابة بلواء حيفا اذ تصدى عدد من المجاهدين لسيارة يهودية وقتلوا من فيها واحرقوها ، ونشبت معركة في رام الله واتسع نطاقها ، وشمل عدة قرى مجاورة وقد قتل فيها مفتش بوليس بريطاني وجرح جنديان ، واحصيت بين المجاهدين اربعون اصابة ، وقد اعلنت الاحكام العرفية في جميع أنحاء فلسطين في الثامن عشر من اكتوبر (تشرين الاول) واعلن ان البوليس اصبح تابعا لقيادة الجيش العام ، واقفلت الحدود ومنع التجول وارسلت الطائرات تحلق فوق اماكن الاعمال العسكرية وسيرت قوات كبيرة لاماكن معينة في فلسطين ، والقيت قنبلة تحت سيارة شحن عسكرية فأصيب ضابطان وجنديان ، واضرم المجاهدون النار في خمسة منازل يهودية في حيفا وفي مخزن يملكه احد اليهود ، كما اطلقوا النار على مركز البوليس في المدينة وهاجموا الخط الحديدي بالقرب من حيفا واشتبكوا مع الجنود في معركة شديدة اسفرت عن وقوع اربع اصابات في المجاهدين وواصلوا قطع الاشجار المثمرة لليهود فأحصيت ٤٠٠ شجرة برتقال مما قطعه المجاهدون اخيرا ، وواصلت السلطات اعمال التفتيش بين حيفا وطبريا واستشهد عربيان اثناء ذلك . واذيعت برقية من لندن تفيد ان اعظم حملة عسكرية سوف تشهدها فلسطين حين يبدأ الجنرال هاتين قريبا الهجوم العام الذي يأمل ان يكسر به شوكة الثوار العرب ، ويبلغ عدد القوات التي عباها لهذا الغرض ٢٥ الف جندي اخذوا يحتلون مراكزهم ، اما المهمة الاولى لهذا الهجوم فاستعادة البلدان التي استولى عليها الثوار مثل رام الله وبيت شعب واريحا وغزة حيث تخفق راية العرب بدون منازع ، ثم تقول احدى

(٤١) جريدة الاهرام اعداد ١١ و ١٣ و ٢٨ من سبتمبر ١٩٣٨ .

ان الثورة الفلسطينية ظلت متأججة الاوار لم يخمد لهيبها منذ ان اندلعت في سنة ١٩٣٦ ، وان الشعب العربي في فلسطين تحمل العبء الاكبر من الكفاح الوطني امام التحالف الذي ضم جحافل البريطانيين والصهيونيين ، والواقع اننا عمدنا الى اختصار الاحداث والايام ، والذي يراجع مجموعات الصحف في ذلك الوقت لا يجد يوما قد مر في فلسطين دون صراع وجهاد ونضال قوي مرير .

ولكي نحيط احاطة كاملة وسليمة بالثمن الذي دفعه شعب فلسطين دفاعا عن الوطن العربي ، نعود الى الصحف وهي تمثل سجلا لا يتهم بالتحيز للعرب ، ولنطلع عليها باحثين عن احكام الاعدام وبعض الخسائر الملمنة خلال عام ١٩٣٨ :

في ٤ يناير تم في سجن عكا تنفيذ حكم الاعدام في عربي لحيازته سلاحا ، وقد جرت محاكمته سرا ، وفي ١١ منه اعلنت موافقة القائد العام على اعدام عربيين لاثام احدهما بقتل المستر سباركس ، وفي ٢٦ منه نفذ حكم الاعدام في سجن عكا في ثلاثة من العرب بتهمة علاقتهم بمصرع ضابط بريطاني .

وفي خلال فبراير من نفس العام حكم على عربي يدعى الحاج عبدالله اوائله من الخليل بثلاث سنوات سجن لحيازته ثلاث جرامات من ملح البارود ، وفي ١٤ منه نفذ حكم الاعدام في السيد محمد حسين أبو الرب لحمله مسدسا ، وفي ٢١ منه اعلن اعتقال السيد عبد الحميد شومان مدير البنك العربي وارساله الى السجن ، وفي ٢٢ منه نفذ على السيد رمضان عبد القادر حمام حكم الاعدام بتهمة حيازته مسدسا ومحاولته اغتيال « كرانر » يوم اعدام الشهيد محمد أبو الرب .

وفي ٢ مارس نفذ حكم الاعدام في ١٢ عربيا لاثامهم بقتل احد البريطانيين .

وفي ١٣ اكتوبر اعلن ان العرب خسروا ١٥ قتيليا في معركة حياردن وفي ٣٠ منه اعلن ان الكونستابل البريطاني « ميكو » اضطر الى قتل ثلاثة من العرب المساجين حينما كانوا يرحلون الى طولكرم بدعوى محاولتهم خطف سلاحه .

وفي ٨ نوفمبر قتل عربي في المنطقة الجنوبية ، وفي ١٧ منه اعلن مصرع عربي آخر عندما حاول الافلات من الجند ، وفي نفس اليوم وجد عربيان قتيلا ، وفي ٢١ منه قتل عربي آخر بجوار القدس .

وفي ٢٨ ديسمبر اعلن ان عربيا قتل بقنبلة يدوية .

وفي نفس العام حكم على جميع سكان عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف ان يسيروا عشرة كيلو مترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس ثم يسمح لهم بالعودة الى قريتهم .

وواصلت بريطانيا حملتها المحمومة على شعب فلسطين في سبيل قضية التهويد فحكمت بالسجن المديد على اكثر من ٢٠٠٠ من الشيوخ والشباب والنساء ، وهدمت اكثر من خمسة آلاف بيت ، وجعلت حكم الاعدام مجهزا لكل من يحمل رصاصة او قطعة من سلاح او مفرقة ، حتى بلغ عدد الذين اعدموا شنقا في سجن عكا ١٤٨ شهيدا ، وبلغ عدد من اعتقل لمدد مختلفة اكثر من خمسين الفا وفقدت السلطات البريطانية صوابها فكان ضباطها يجمعون سكان أي قرية يشتهب في اطلاق الرصاص منها ، ثم ينتقي الضباط البريطانيون عددا من الشباب ويطلقون عليهم الرصاص على مشهد من سكان القرية العزل . هذا بالاضافة الى التعذيب الوحشي من كي الاجسام وتقطيع الاظافر وهرب اللحوم وحرق اللحى والشوارب وتسليط الكلاب الجائعة لتنهش لحوم الأحرار .

٦ - اسعار للمجاهدين :

ومع تلك الاجراءات العنيفة التي اتخذتها سلطات الانتداب البريطاني خلال ذلك العام ، فانها كانت مشغولة قلقا بأولئك النفر الذين لم تستطع اعتقالهم ، وهم يربكون مخططها التهويدي كل يوم ، ونشبت هنا واحدا من المناشير العديدة التي كانت تتلاحق من دار المندوب السامي دون جدوى في سبيل اعتقال أبناء فلسطين الذين يقودون الحركة النضالية في مختلف أرجائها .

« تعطي حكومة فلسطين مكافأة لكل من يقدم اخبارية تؤول مباشرة الى القبض على الأشخاص المذكورة اسماؤهم ادناه :

- ١ - خليل محمد العيسى المكنى بأبي ابراهيم من حيفا ٥٠٠ جنيه
- ٢ - عطية احمد من بلد الشيخ ٥٠٠ جنيه
- ٣ - عبد الرحيم الحاج محمد من ذئابية ٥٠٠ جنيه
- ٤ - يوسف سعيد ابو الدرّة من سيلة الحارثية ٢٥٠ جنيه
- ٥ - عارف عبد الرازق من الطيبة ٢٥٠ جنيه
- ٦ - فوزي رشيد من ترشيحا ٢٥٠ جنيه

مقاطعة كاملة شاملة ، واستجاب الشعب كله الى اللجنة العربية العليا وهي تقول في منشورها بمناسبة مجيء اللجنة الفنية : « ليس في الوطن العربي اقسام للمنح ، فمن شاء فليهب من ماله ، ومن اراد فليمنح من ملكه الخاص » .

وعلى الرغم من انها بقيت في فلسطين من شهر ابريل (نيسان) الى اوائل شهر اغسطس (آب) ، فان المظهر الوحيد الذي عاصرها من العرب كان هو استمرار الثورة ودوي القنابل واحتلال المدن والقرى ، وعادت تلك اللجنة الفنية لتقول الى بريطانيا والى العالم اجمع : « في اثناء اقامتنا بفلسطين لم يتقدم لنا اي شخص عربي لاداء الشهادة او التعاون معنا على اي وجه من الوجوه ، بل كانت مقاطعتهم لنا تامة شاملة ، وقد وجدنا الجو مشعبا باليفضاء والمرارة الشديدين ، وقمنا بتحقيقتنا في هذا الجو المظلم الذي ساد فيه العداء العنصري وأعمال العنف والاضطراب الشامل .

واذا كانت اللجنة قد رأت ان ادخال الجليل الى الدولة اليهودية لن يؤدي الى صعوبة كبيرة ، لان سكان الجليل العرب كانوا اثناء اضطرابات ١٩٣٦ الماضية اقل انقيادا من عرب السامرة والجنوب الذين تركزت فيهم روح المقاومة القومية ، فان الحوادث الاخيرة اثبتت خطأ هذا الرأي ، وذلك ان الحالة تغيرت سريعا على اثر تقرير اللجنة الملكية ، فعند ذلك الحين والجليل يتمخض بالثورة ويتطلب توطيد السلام والنظام فيه احتلالا عسكريا » .

ولقد تناول تقرير هذه اللجنة الفنية مشروع التقسيم الذي وضعته اللجنة الملكية بالتحليل والتفنيد ، مما يجدر تسجيله هنا للتاريخ ، ولما فيه من ايضاح عن اراضي العرب التي احتفظوا بها برغم الازهاب البريطاني والمال اليهودي ، ولنسر مع تقرير اللجنة الفنية :

« بعد دراستنا لمشروع اللجنة الملكية (التي اوصت بالتقسيم) دراسة فنية احصائية مستفيضة ، اتضح ان عدد اليهود في الدولة العربية لا يتجاوز سبعة آلاف نسمة اي نحو ٢٪ من عدد السكان ، مع ان عدد السكان العرب في الدولة اليهودية يكاد يساوي عدد من فيها من اليهود ، واما الاراضي ، فما يملكه اليهود في الدولة العربية ضئيل وهو ما يقارب ٩٢ الف دونم ، على حين يملك العرب في الدولة اليهودية نحو ثلاثة ملايين وثمانمائة وخمسة وخمسين الف دونم ، مع ان اليهود انفسهم لا يملكون في دولتهم المقترحة اكثر من مليون ومائة واربعين الف دونم ، اي سيكون للعرب اربعة اخماس الاراضي في الدولة اليهودية كلها » .

- ٧ - محمود سالم
٨ - فريد سعيد عبدالرحيم المكني
٩ - محمد الاحمد الجلقموس
١٠ - محمد احمد القاسم المكني
١١ - اسعد خليل السعدي
١٢ - ابراهيم عموري
١٣ - احمد محمد عبد القادر الطويبي
١٤ - صالح الحجري
١٥ - عيسى بطاط
١٦ - يوسف الحاج اسعد
١٧ - توفيق الابراهيم
١٨ - مسعود محمد العبد النصار
١٩ - كامل الحسن اللبادي
٢٠ - رئيس جماعة ابو حميد
٢١ - عبدالله شعر
- من قباطية ٢٥٠ جنيه
من المزرعة القبلية ٢٥٠ جنيه
من جلقموس ٢٠٠ جنيه
من دير ابو ضعيف ٢٠٠ جنيه
من المزار ٢٠٠ جنيه
من طولكرم ٢٠٠ جنيه
من صفورية ٢٠٠ جنيه
من حيفا ٢٠٠ جنيه
من الخليل ٢٠٠ جنيه
من عربونة ١٠٠ جنيه
من عين دور ١٠٠ جنيه
من ام الزينات ١٠٠ جنيه
من يامون ١٠٠ جنيه
من ترشيحا ١٠٠ جنيه
من صفد ١٠٠ جنيه

ولهذه المناسبة تعلن الحكومة البريطانية بفلسطين عن مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه لمن يرشد الى قاتل او قتلة المستر اندروز حاكم لواء الجليل(٤٥) .

٧ - اللجنة الفنية البريطانية تدحض تقرير لجنة بيل :

وسط هذه الاحداث التي كانت تجري مخضبة بالدماء في مختلف انحاء فلسطين ، كانت بريطانيا قد ارسلت لجنة فنية لتتابع توصيات اللجنة التي سبقتها والتي اوصت بتقسيم فلسطين ، ووصلت هذه اللجنة برئاسة السير جون ودهيد في ٢٧ من ابريل (نيسان) ١٩٣٨ ، ولكن الشعب العربي اعرض عنها ، وقرر الا يلاقيها ولا يباحثها ، ولم يعد هذا الشعب مستعدا للعدول عن رايه الذي كان قد ارتآه بالنسبة للجنة السابقة ، واضطر ان يعدل عنه تحت الحاح من حكام العرب الذين لا يتوقعون الا خيرا من صديقتهم بريطانيا(٤٦) .

واستقبل العرب هذه اللجنة الفنية بالاضراب العام ، وقاطعوها

(٤٥) جريدة الشهاب ٢٣ من فبراير ١٩٣٨ .

(٤٦) راجع خطاب عبد العزيز وعبدالله وغازي في اضراب عام ١٩٣٦ ولجنة بيل ص٢١٦

من هذا الكتاب .

وتضيف اللجنة الفنية قولها : فلا مجال والحالة هذه لتبادل الاراضي والسكان ، يضاف الى هذا ان العرب لا يرضون بالخروج من اراضيهم واراضي آبائهم ، ثم ان هذه الاراضي التي يطلب منهم مغادرتها هي اخصب اراضي فلسطين واحسنها ربا ، وذلك الى اراض قاحلة يندر فيها سقوط المطر ، وتتوقف مواسمها الزراعية على الري وكل ذلك لايجاد متسع لليهود .

ولقد واصلت هذه اللجنة الفنية شجب مشروع التقسيم وتهديمه ، بحجج هي غاية في المنطق الواقعي والتصوير الصحيح ، وهي بعد ان اشارت الى تملك العرب لاربعة اخماس اراضي دولة اليهود المقترحة ، وبعد ان اوضحت ان عددهم في تلك الدولة سوف لا يقل عن عدد اليهود ، تحدثت عن القسم الجنوبي فيها فقالت ان العرب يمثلون سواده الاعظم ، وهم يلبفون نحو تسعين في المائة من مجموع السكان ويملكون اكثر من تسعة وتسعين في المائة من اراضيها ، فلا يجوز ادخالها ضمن الدولة اليهودية فسكانها كلهم عرب تقريبا ، واراضيها كلها عربية تقريبا ، وعرب الجليل يقاومون بشدة الحاق منطقتهم بالدولة اليهودية ، ولا شك انهم سيلجئون الى القوة للحيلولة دون ذلك ، وليس هنالك ما يسوغ استعمال القوة لارغام هذا العدد الكبير الذي يقطن في منطقة عربية محضة على قبول سيطرة اليهود ، واذا امكن سحق مقاومة العرب فالهدوء سيكون موقتا ، وستظل هذه المنطقة بسبب عروبتها وصعوبة مسالكها قرحة دامية في جسم الدولة اليهودية .

وكان من المنتظر ان نتيجة هذا التقرير الذي قدمته اللجنة الفنية لمشروع التقسيم الذي يحوي كل سطر فيه معنى بطلان المشروع ويوضح ظلامة العرب ويثبت ملكيتهم الساحقة للاراضي واكثرتهم العددية ، كان المنتظر ان تعلن اللجنة ان فكرة التقسيم هي خيال لا يقوى على البقاء ، ولكنها مع كل هذا ، ووفقا للسياسة البريطانية العليا التي تهدف الى خلق ركيزة استعمارية وسط الوطن العربي ، جاءت توصياتها هي ايضا داعية الى تقسيم جديد لا يختلف جوهره الا في تغيير المناطق واستبدال الاماكن .

ومع هذا السير الذي سلكته هذه اللجنة نحو التقسيم وفقا للهدف البريطاني الاعلى ، فانها لم تستطع ان تخفي عجزها وربكنها وعدم ايمانها بجدية واحقية هذا التقسيم الذي قدمته معدلا ومعالجا في رايها ، وانها لتقول : « ان تنفيذ هذا التقسيم الذي نوصي به سوف يقابل بثورة عربية وسوف لا يمكن اخمادها الا بقوة تفوق قوتهم ، اما عدد تلك القوات اللازمة لهذا الامر ، واما المدة التي ستصرف في اخمادها ، واما النفقات التي ستبدل

والخسائر التي تلحق بالبلاد والاعدد والارواح التي ستزهق ومقدار ما ستخلفه هذه الاعمال من شعور الكره للانجليز واليهود ، فهي اسئلة لا تستطيع اللجنة ان تكلف نفسها عناء الاجابة عنها » .

وليس من شك في ان هذا التحذير الواضح الخطير الذي تقدمه اللجنة الفنية يستوي معناه تماما مع عبارة اخرى اكثر صراحة ، يشعر الباحث انها كانت تدور بخلدهذه اللجنة، فحواها: ها نحن يا حكومة بريطانيا قدما لك مشروعا للتقسيم هو مجحف بالعرب اصحاب البلاد الاصليين ، ولكنه اقل ظلما لهم من مشروع التقسيم السابق ، ولكننا مع اننا اصحاب هذا المشروع فاننا لا نؤمن به ولا نراه خليقا بالتنفيذ ، ولا نعتقد انه سوف يمر دون ثورة وحرب وخسائر وزعزعة للثقة وكره سايب وحقد مقيم .

ان هذا المعنى السري الذي صاغته اللجنة الفنية بين سطور تحذيرها، ظهر واضحا من احد اعضائها الذي تحرك ضميره بنشاط اقوى من نشاط ضمائر الآخرين ، واراد ان يعلنه للتاريخ صادقا قويا يقرأ بالحروف لا بين السطور ، فقد احتفظ عضو اللجنة المدعو مستر ريد برايه ونشرت توصيته مع تقرير مذكرته المستقلة التي استنكر فيها التقسيم على جميع اشكاله

وقال : اذا تركنا الآراء جانبا جابهتنا الحقيقة الواقعة التالية وهي ان اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات في فلسطين الى ثورة عربية قومية ، اسهم فيها العرب القيمون ببعض الاقطار العربية ، لقد اوفى الانتداب بوعده اعطي تحت ضغط ظروف الحرب ، اما اقتراح تقسيم البلاد فهو امر آخر بالمرّة ، اي انه انقلاب لا يجوز ان يجريه الاوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذي ليس هو بالساذج المفتقر الى الوصي ، ولا بالمعجز عن اتخاذ قرار بهذا الشأن (٤٧) .

٨ - بريطانيا تعلن عدولها عن التقسيم :

وعلى ضربات الثورة العربية المستمرة ، ومع تجلد الشعب العربي في فلسطين امام ارهاق الاستعمار ومظالمه ، اعلنت بريطانيا عدولها عن قرار التقسيم ، فاذاعت اوائل نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٣٨ : « ان بريطانيا بعد انعام النظر في تقرير لجنة التقسيم قد ظهر لها ان صعابا سياسية وادارية ومالية عظيمة ، ينطوي عليها اقتراح انشاء دولة عربية واخرى يهودية حتى اصبح واضحا ان هذا الحل لن يكون حلا عمليا (٤٨)

(٤٧) القضية الفلسطينية ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤٨) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٥ .

ان بريطانيا تسعى لخلق تفاهم بين العرب واليهود في سبيل اقامة السلام في فلسطين ، وهي في سبيل ذلك سوف توجه فوراً دعوة الى الدول العربية والى الوكالة اليهودية والى عرب فلسطين لعقد اجتماع في لندن حول السياسة الخاصة بفلسطين بما فيها الهجرة اليهودية ، وان بريطانيا تحتفظ لنفسها بالنسبة لتمثيل عرب فلسطين بحق رفض الزعماء الذين تعتبرهم مسئولين عن حملة الاغتيال والعنف ، واذا لم تنجح هذه المباحثات فسوف تعلن بريطانيا السياسة التي يجب اتباعها . « (٤٩) .

اذن لقد استحالت حتى هذا التاريخ على بريطانيا بجميع ما سنت من قوانين واغتصبت من ارض وشردت من أسر ، ان تحضي رؤوس عرب فلسطين لوعد بالفور وصك الانتداب ، وها هي ذي تدرك ان تقسيم فلسطين امر مستحيل وغير عملي ، وهي لذلك تقرر عقد مؤتمر لندن ، وتعترف بحق العرب جميعاً وواجبهم تجاه فلسطين ، فتقرر دعوة الدول العربية المجاورة للمشاركة في المباحثات .

ويستعمل الحقد في قلب حكام بريطانيا ، حقد يظهر حين تدعو لذلك المؤتمر مرغمة وغير راغبة ، وان هذا الارغام انما جاء بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم الكبار ، ولذلك فهي تملن انها سوف ترفض ان يمثل الفلسطينيين احد من الزعماء المتهمين بأنهم ذوو علاقة بالثورة ، وكانت بريطانيا قد ارغمت رئيس المجلس الاسلامي وهو رئيس اللجنة العليا وعدداً من رفاقه على الهجرة خارج الحدود حيث استقروا في سوريا ولبنان ، كما اخذت اعضاء اللجنة العربية معتقلين في جزيرة سيشل ، وهي تود ان يبعد هؤلاء عن شرف التمثيل لشعبهم فهم الثوار وهم القادة ، وهم الاعداء للبرنامج الصهيوني الصليبي ، وانها لتود ان يمثل الشعب الفلسطيني احد الذين يبحثون عن انصاف الحلول ، ولكن شعب فلسطين وثورته مستمرة ملتمة ، صمم على الا يشترك في المؤتمر ما لم يطلق سراح معتقلي سيشل ، وان يختار بحريته ممثليه في ذلك الاجتماع ، وحاولت بريطانيا واتصلت بأساليبها العديدة وبذلت جهدها وفشلت في ان تفرض من وراء ستار ممثلين ترضاهم ومندوبين تختارهم ، وفي السابع من ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٣٨ اعلنت اطلاق سراح معتقلي سيشل وان العرب احرار في اختيار ممثليهم ، ويأتي بعد ذلك تصريح وزير المستعمرات البريطانية ليصور صلابة عرب فلسطين وقدرتهم على الثبات والمواجهة فيقول :

« ان بريطانيا اذا تدخلت في اختيار ممثلي العرب فيحتمل الا يقبل

اي عربي ان يجيء الى لندن (٥٠) » .

وسرعان ما وصل الى مصر ثم الى بيروت اولئك الذين بقوا على قيد الحياة من القادة المبعدين في سيشل (٥١) ، وهناك عقدت اللجنة العربية العليا جلستها برئاسة السيد امين الحسيني مفتي فلسطين واللاجئ الى لبنان ، وتقرر ان يكون اغلب الممثلين في لندن والجالسين على مائدة المفاوضات هم اولئك الذين ابعدهم سلطات الانتداب منذ اكثر من عامين الى جزيرة سيشل وهكذا تقابل في لندن وجها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليتمكن للصهيونية وسط بلاد العرب .

ولندرك الانطباعات والافكار التي كانت في مخيلات الانجليز في هذا المؤتمر ، يجب ان نعود الى بيان وزير المستعمرات الذي القاه في ٦ اكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ في مجلس العموم البريطاني لنرى كيف يصور المشكلة بين العرب واليهود :

« ان فلسطين تشتمل على فريقين متنازعين : فلنبدا باليهود اولاً ، لقد كان لهم في فلسطين موطن منذ الف سنة ، ولكنهم منذ ذلك الزمن فرقوا وشتتوا في جميع انحاء المعمورة ، انهم شعب لا بلاد له ، ولكن الكثيرين منهم عاد اليها مستندين الى صك الانتداب الذي ايدته اكثر من خمسين دولة ، ولا يدعي احد ان بريطانيا لم تقم بتسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فمند عام ١٩٢٢ دخل فلسطين ما يزيد على ربع مليون واستوطنوها ، ان اليهود المقيمين في فلسطين يوجدون فيها بناء على حق وليس كمنة ، ولكننا لم نقطع على انفسنا عهداً بجعل تلك البلاد موطناً لكل شخص يود ان ينجو من تلك الكارثة العظمى ، وفلسطين صغيرة حتى ولو كانت خالية من السكان لا تستطيع ان تقبل الا جزءاً صغيراً من اليهود الهاربين من أوروبا ، ومع هذا ورغم الاضطرابات فانهم يقدون اليها بمعدل الف يهودي كل شهر » .

وبعد ان افاض الوزير البريطاني في الحديث عن اليهود وفلسطين ، تحدث عن العرب فقال :

« اما الشعب الآخر الذي يشمله هذا النزاع المرير في فلسطين ، فهو الشعب العربي ، لقد عاش العرب في تلك البلاد منذ قرون عديدة ، ولم يؤخذ رايهم عندما صدر وعد بالفور ولا عندما وضعت صيغة صك الانتداب،

(٥٠) القضية الفلسطينية ص ١٣٦ .

(٥١) وهم جمال الحسيني وامين التميمي والفرد روك وبعقوب الفصين واحمد حلمي .

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٢٦٦ .

ولقد كانوا خلال السنوات العشرين التي تلت الحرب الكبرى يرقبون هذا الاجتياح السلمي الذي يقوم به شعب غريب، ورفعوا عقيرتهم بالاحتجاج الصاخب بين الآن والآخر ، فقد شاهدوا تسرب اراضيهم من ايديهم وانتشار المستعمرات اليهودية انتشارا مطرد الازدياد في صميم البلاد ، واضطروا الى الاعتراف بتفوق ذلك الشعب عليهم في النشاط والمهارة والثروة فأخذت تساورهم المخاوف .

وبعد ان تحدث الوزير البريطاني عن ازدياد الهجرة اليهودية التي شجعته وحمتها حكومته قال :

« وتساءل العرب في عجب : متى تقف هذه الهجرة الواسعة النطاق ؟ وهل ستقف يوما عند حد ؟ ، ام تبقى مستمرة بلا نهاية ، حتى اصبحوا يخشون ان يؤول مصيرهم في بلاد آبائهم واجدادهم الى الخضوع لسيطرة هذا الشعب الجديد النشط . . . ولو كنت انا عربيا لتولاني الدعر ايضا . ولنصل الى حقيقة هذه المسألة يجب ان نضع انفسنا لا في موضع اليهود فحسب بل في موضع العرب ايضا » .

وبعد ان انتقد الوزير ثورة واصفا بعض الثوار بالارهاب ، اضطر ان يعترف بالوطنية العربية قائلا :

« ان كثيرين من المشتغلين بالحركة العربية الفلسطينية ، انما يشتغلون بحافز من الشعور الوطني الصادق ، ومهما بلغ بهم الخطأ ، ومهما بلغ بهم الضلال في الاسترشاد ، فان الكثيرين منهم قد اضطروا الى ركوب المخاطر والمجازفة بأرواحهم في سبيل بلادهم » .

« وحتى اذا كان وعد بالفور قد افاد العرب الذين جاء اليهود الى بلادهم بالمال والعمل ، فلمهم ان يبصروا هذا ولا يسمعوا هذه الحججة ، انهم يفكرون في حريتهم المهددة ، ويجب علينا نحن الشعب البريطاني ان نكون آخر شعب في العالم لا يدرك شعور العرب بهذا الشأن ، فلو كان الشعب البريطاني مكان العرب لما احجم عن التضحية بأي فائدة مادية حين يرى حريته مهددة (٥٢)

ثم اعلن الوزير عن الاجتماع الذي سوف يدعى له العرب : الحكومات المجاورة وشعب فلسطين وكذلك اليهود من جانب آخر ، ولكن الوزير البريطاني لا يذكر اليهود وحدهم ولكنه يقول :

(٥٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، ص ٢٦٧ .

« ان الحكومة ستدخل المباحثات بطبيعة الحال مرتبطة بالالتزامات المترتبة عليها بموجب صك الانتداب نحو العرب ونحو اليهود ونحو البرلمان ونحو الولايات المتحدة الامريكية » .

اذن فالولايات المتحدة طرف في هذا النزاع الذي خلفه التآمر الصهيوني مع الصليبية الاستعمارية في فلسطين وهي طرف دل التاريخ انه الى جانب اليهود سافر غير خاف .

٩ - مؤتمر المائدة المستديرة :

انعقد مؤتمر لندن في السابع من فبراير (شباط) عام ١٩٣٩ ، وقد اشتركت فيه عن العرب مصر والعراق وشرق الاردن واليمن والمملكة السعودية ، وقد وصلنا في استعراض المراحل التاريخية الى ان الثورة الفلسطينية بما فيها من خسائر مادية متلاحقة بالعرب ، وخسائر ومتاعب يومية لحكومة الانتداب قد اضطرت الحكومة البريطانية التي باركت التقسيم وايدته في عام ١٩٣٧ ، اضطرتها لان تلغيه وتتناساه في عام ١٩٣٨ ، ودفعتها الى دعوة مؤتمر كبير يبحث المسألة من جميع جوانبها ، اصبح ملزما ان نستعرض في ايجاز موقف العرب في ذلك المؤتمر وموقف الندويين الذين كانوا يفاوضون بريطانيا ويباحثونها .

كان الوفد البريطاني ، ويراسه مستر تشمبرلين رئيس الوزارة ويرافقه ثلاثة عشر عضوا هم خليف من وزراء ووكلاء وزارة وبرلمانيين ووكلاء دائمين وغيرهم ، غير ثلاثة من السكرتيرية ومترجم رسمي واحد ، ولكي نحيط بموقف العرب ومقدار قوتهم في ذلك المؤتمر ، يجب ان نسمع بعضا مما قال كل وفد ، ومن تلك العبارات سوف نستخلص القوة او الضعف ، ونرى ان بعضها كان استجداء لبريطانيا ، وكان استجداء ينزل الى اللق والزلفى ، صورة واقعية حية لتحديث المستضعفين مع الاقوياء على حين كان البعض الآخر قويا صامدا اشبه باحداث الثوار الصادقين .

كان رئيس الوفد الفلسطيني احد المتكلمين فقال :

« ان السياسة التي اتبعتها الحكومة البريطانية في فلسطين منذ عام ١٩١٨ قد اظهرت بأن مخاوف العرب لم تكن وهمية مطلقا ، وقد حرم العرب الاستقلال الذي وعدوا به في تمهد بريطانيا ٢٤ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٥ ، وقد اقيمت في فلسطين ادارة ظلت طوال السنين العشرين الماضية تمارس حكما مطلقا كأنه سلطة استبدادية دكتاتورية في كافة نواحي الحكم من تشريعية وتنفيذية وقضائية ، وبهذا حرم عرب فلسطين من ابسط

حقوق الحكم الذاتي ،

وقد كانوا يتمتعون قبل الحرب (أيام الحكم العثماني) بحق التمثيل البرلماني والمسئولية الوزارية ، وذلك الانتداب كانت بنوده نتاج بحوث خفية دارت بين بريطانيا واليهود الصهيونيين ابعدها عنها العرب ابعادا مقصودا ، بينما كانت تلك الابحاث تتعلق بمصير بلادهم نفسها ، وبناء على ذلك الانتداب سنت بريطانيا القوانين التي سهلت بها الهجرة اليهودية ، والاستيلاء على ما أمكنهم من الأراضي ، رغم احتجاجات العرب المستمرة . ان العرب لا يعترفون ولن يعترفوا بتصريح بالفور ولا بالانتداب ، فقد تضمن الاول وعدا لم يكن من حق بريطانيا اعطاؤه بدون رضى العرب اما الثاني فهو مستند غير قانوني ، اذ تتعارض بنوده مع نص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، ان العرب يقفون ضد سياسة بريطانيا في فلسطين لثلاثة اسباب :

١ - انكار الاستقلال الذي وعد به العرب .

٢ - ادخال جموع اليهود المهاجرين الى فلسطين ، وهم غرباء في لغتهم وعاداتهم وآدابهم .

٣ - سن القوانين الشاذة تحت الضغط الصهيوني وتسهيل استيلاء اليهود على الارض .

ثم لخص مطالب العرب في الاستقلال وانهاء تجربة « الوطن القومي » والغاء الانتداب ووقف هجرة اليهود (٥٣) .

وتكلم الامير فيصل رئيس الوفد السعودي فهدد بريطانيا بأن علاقاتها مع العرب انما تتوقف على نتائج ذلك المؤتمر وقال :

« انه اذا لم تحل قضية فلسطين حلا عادلا يرضي العرب ، ويؤمنهم على سلامة بلادهم وكرامة مقدساتهم ، فانه يخشى ان علاقات بريطانيا مع العرب تسوء الى درجة كبيرة » .

واكد ان فلسطين داخلة ضمن مباحثات الحسين - ماکماهون ، وان وعد بالفور وصك الانتداب كلاهما باطل .

وتكلم الامير الحسين رئيس وفد اليمن ، فقال :

« ارجو ان يتفضل الوفد البريطاني بأن يقول لليهود انه مهما بلغ من قوة اي نفوذ في العالم ، فلن يستطيع ان يهزم الحق ، او ان يخفف الشعور

(٥٣) كان رئيس الوفد الفلسطيني هو السيد جمال الحسيني .

الذي يسود العالمين العربي والاسلامي بسبب هذا التحدي لوطنية العرب والمسلمين وكرامتهم ومصالحهم المشتركة » .

وتكلم علي ماهر عن وفد مصر فقال :

« اننا حين نلح على الحكومة البريطانية بوجوب اقامة دولة مستقلة في فلسطين مستعدون للالحاح كذلك على عرب فلسطين بوجوب قبول كل الضمانات والمصالح المعقولة التي تطلب منهم »

وجاء دور بريطانيا داخل المؤتمر ، فلقى المستر مكدونالد كلمة طويلة قال فيها :

« انني لا اظن ان احدا ممن قرا تقرير سمبسون وتقرير اللجنة الملكية وتقرير لجنة وودهيد يشك في ان المجال لاقامة اليهود المهاجرين في فلسطين محدود جدا ، فهناك مساحات لا يوجد فيها متسع لآخرين ، ومساحات يضيق فيها المجال جدا لقبول مهاجرين ، والحكومة بمقتضى تعهداتها ملزمة ان لا تسهل الهجرة اذا كانت تضر بحقوق الاهالي الآخرين ومركزهم (٥٤) .

ولكن هذا الوزير نفسه الذي يشير الى تقارير اللجان البريطانية التي اكدت انه لم يعد هناك متسع للهجرة يقول في نفس الخطاب مناقضا نفسه :

« ان حالة العمل بين اليهود والعرب تتعرض للضرر اذا توقفت الهجرة ، وان من النتائج غير المباشرة ان ينقص دخل الحكومة في هذه الحالة ، وان يؤدي هذا الى تقليل الانفاق على الاعمال العامة والتي كان التوسع النافع فيها من خصائص بريطانيا في العشرين السنة الماضية » .

وهنا يقف مندوب شعب فلسطين ليرد على المتحدث البريطاني ويقول :

« ان المستر مكدونالد قد اغرق في حماسه للمزايا العظيمة التي جاءت بها الهجرة اليهودية لفلسطين ، حتى جعل العرب يبدون كأننا ينقصهم الفهم او الادراك لما هو خير لهم او ليس بخير لهم ، وقد قيل انه لولا الهجرة لما كانت لهم اليوم قدرة شرائية ، وكاد يقال لهم انه لولا الهجرة لما كان لهم اطفال » .

وتكلم السيد نوري السعيد عن العراق ، فعاد به الفكر الى مراسلات الحسين وماكناهون ، مؤكدا ان مستقبل العراق وفلسطين كان في نفس

(٥٤) المصدر السابق ٢٧٩ - ٢٠٩

١٠ - استمرار الثورة عام ١٩٣٩ :

لقد بدأ ذلك المؤتمر الذي دعت اليه بريطانيا في فبراير (شباط) ١٩٣٩ ، واستمر مناقشا القضية الفلسطينية بوجهين ، احدهما قابلت به بريطانيا الوفود العربية في صباح كل يوم ، والآخر قابلت به اليهود في مسائه ، ولكن الثورة العربية التي اشتعلت في ابريل (نيسان) ١٩٣٦ كانت مستمرة في داخل فلسطين حتى اثناء انعقاد المؤتمر في لندن وبحوثه عن المستقبل المرتقب ، وفي الوقت الذي كان فيه تشمبرلين ووزراؤه يفتتحون المؤتمر ، كانت قواتهم العسكرية تنازل الثوار العرب وفتش القرى وتهدم المباني وتنكل بالجموع .

ولكن تلك الثورة تخبطت حدود الاستعدادات البريطانية ، واستمرت مشتملة قوية صادقة ، واننا لتأخذنا الحيرة ونحن نواصل الاطلاع على سجل تلك الأيام الحافلة المليئة بالامجاد العربية ، حين كانت قوى بريطانيا والصهيونية تحطم امام جهاد شعب فلسطين ، وحين كان العرب في كل مكان يتخذون من ذلك الجهاد فخرا يرفعون به رؤوسهم .

وفي حيرة ايضا نستغرب ذلك الاستمرار العربي الثوري والبطولة والشجاعة ، ولكنها حيرة الباحث حين يجد نفسه بين عديد من الأيام الهامة التي يحفل كل منها بأحداث واحداث ، فهو لا يستطيع نشرها جميعها ، لان ذلك يمثل اطالة تتشابه فيها الاسماء والواقع ، ولا يستطيع تركها لانها صفحات عربية غاية في النضاعة والبياض لا يمكن الاستغناء عنها ، ولا يستطيع الجزم بأي يوم يستطيع ان يغيبه عن التسجيل .

وسواء كان النصر حليف المجاهدين في تلك الأيام ام كان شهداؤهم دليل جهادهم وتضحياتهم ، فان الغاية هي اعادة الصورة المشرفة لذلك الكفاح البطولي الى اذهان العرب اليوم .

ولنبدا الحديث عن عام ١٩٣٩ وفلسطين تلتهب ويزداد اوارها على الرغم من طفيان الانجليز وتنكيلهم بالشعب العربي في سبيل التهويد .

ولنأخذ هنا اليوم الاول من يناير لهذا العام ، لنرى كيف استقبل الشعب العربي في فلسطين مطلع هذا الشهر دون ان يمل او يهدأ ، ودون ان يرتبك كفاحه فيستكين . ان برقيات الاهرام الصادرة في ذلك التاريخ تفيدنا بأن المجاهدين هاجموا مستعمرات رامات يوحنان الواقعة بين حيفا وشفا عمر ، كما هاجموا بيت ياقم بالقرب من يافا ، وهاجموا ايضا كفر سيديم الواقعة شمال حيفا ، ونشبت معركة مع جماعة مسلحة بالقرب من بيت امرين ، وذكر البلاغ الرسمي ان ثلاثة من العرب قد قتلوا ، وقد طوق

المستوى في تلك المراسلات ، وذكر بالثورة العربية التي كان هو احد رجالها ، والمساعدات التي قدمتها للحلفاء ضد تركيا ، ثم صاغ خاتمة بيانه في عبارات وديرة وقال :

« اننا لتأكدون من انه لا يمكن ان يسود السلم في فلسطين وبضمن دوامه في المستقبل الا باعطائها حكما ذاتيا ، انني في جميع ما قلته ارجو ان تتذكروا بأنني اتكلم كصديق حميم لبريطانيا العظمى ، واعتقد بأنني الشخص الوحيد هنا الذي قام تحت قيادة الملك حسين واولاده بقيادة الجيوش في ساحة الحرب بالتعاون مع القوات البريطانية ، وانني لا ارجب بأن اقول كلمة تجرح شعور اي بريطاني ، لاني اشعر بصداقة نحوهم من اعماق قلبي واذا كان ما قلته يعتبر قويا جدا فعذري في ذلك انه يجب ان ابين لكم كيف ينظر الى حقيقة سياستكم في البلاد العربية » .

وشاءت بريطانيا ان تكون صريحة مع العرب ، فأكدت انه ليس في نيتها ان تقيم دولة عربية ولا دولة يهودية ، ولكنها عازمة على اعلان استقلال فلسطين لجميع سكانها بعد عشر سنوات ، على ان تستمر الهجرة اليهودية بمعدل خمسة وسبعين الفا للسنوات الخمس ، بحيث يكون عدد اليهود يمثل ثلث سكان فلسطين ، وبعد انقضاء الخمس سنوات ، سوف لا يسمح بالهجرة اليهودية الا بموافقة العرب واليهود والسلطات البريطانية ، وان قيام حكومة مستقلة في فلسطين مرهون بالتطورات الدستورية والتشريعية التي تنوي بريطانيا اقامتها لصالح الجميع .

ويقف من جديد رئيس الوفد الفلسطيني ليطالب بكل وضوح مندوب بريطانيا ان تكون اقتراحاته بعيدة عن متناول الاعتراض الجدي ، ذلك ان الاقتراح بفترة الانتقال من الانتداب الى الاستقلال لم يحدد لها موعد ، وجملت مرهونة بنجاح المراحل الدستورية والتعاون بين الحكومة واهل فلسطين ، والعرب يقبلون فترة الانتقال مع تمسكهم بضرورة تحديد مدة لهذه الفترة ، اما عن الهجرة ، فالوفد العربي يلاحظ بكل ارتياح ان بريطانيا قد اعترفت اخيرا بأن من الواجب ان تنتهي هجرة اليهود الى فلسطين ، ولكن هذا لا يمنعه من القول بأن البلاد لم يعد فيها مكان لاستيعاب اي مهاجرين جدد .

وكرر رئيس وفد فلسطين انه كثيرا ما لوح امام عيون العرب بالاستقلال في صور شتى في السنوات الماضية ، لكنه لم يتحقق قط ، وقد جرب العرب التصريحات السياسية التي كان مصيرها كمصير الفقايع ، وفي خلال العشرين السنة الماضية كانت آمال العرب تحيا كل سنتين لتعود فتتحطم على صخور الخيبة .

الجنود البريطانيون قرية بيت امرين (٥٥) .

وتوالى ايام يناير (كانون الثاني) كلها لا هدوء فيها ولا تراجع ، فيشهد اليوم الثاني منه معركة مع المجاهدين عندما اقدم البوليس على تفتيش قرية زوتا ، ونشأت معركة اخرى بالقرب من بيت وزن ، وهاجم المجاهدون سيارة المفتش العام للبوليس تشارلس تيجارت فقتل مساعده ، وهاجموا ايضا سجن طولكرم حيث يعتقل عديد من رفاقهم ، فتغلبوا على حراس السجن وفتحوا ابوابه فانطلق المعتقلون الى مواصلة الثورة (٥٦) ، واستمرت الاحداث دون توقف ، والى اليوم الثلاثين من هذا الشهر كان قد حدثت اربع وخمسون معركة اشتركت الطائرات في اثنتين منها .

وكان قرابة ثماني عشرة معركة تمثل هجوما على مستعمرات يهودية، وكان العديد منها يمثل هجوما من الثوار على الجنود البريطانيين عندما يكونون متجهين لتفتيش القرى العربية او خارجين من تفتيشها . وكان مجموع القرى التي فتشت في هذه المدة ستا وعشرين قرية ، واشعلت ثلاثة عشر حريقا ، ونسفت السكة الحديد مرتين ، واعتقلت السلطات ٩٧ عربيا ، كما قتل او جرح من الجانبين خلال هذه المدة ٢٢٠ شخصا ومنع التجول مرتين في القدس وحيفا (٥٧) في معركة بطة .

وتوفي خلال هذا الشهر الشهيد علي سليم الحسيني متأثرا بجراحه التي اصيب بها (٥٨) ، في معركة بطة واعتقلت السلطة في القدس اكثر رجال اسرة الحسيني وادعتهم السجون (٥٩) . وحكم بالاعدام على ستة من الثوار (٦٠) ، وكانوا قد اسروا في معركة بيت حاييم قرب الجليل ، كما وافق القائد العام على حكم الاعدام الذي اصدر في القدس على احد المجاهدين (٦١) ، وعلى الحكم الذي صدر في حيفا على عربيين آخرين (٦٢)

(٥٥) جريدة الاهرام ١ من يناير ١٩٢٩ .

(٥٦) جريدة الاهرام عدد ٣ من يناير ١٩٢٩ .

(٥٧) هذا الاحصاء منقول عن الحوادث التي نشرتها جريدة الاهرام في برقياتها خلال

يناير ١٩٢٩ .

(٥٨) جريدة الاهرام ١٠ من يناير ١٩٢٩ .

(٥٩) جريدة الاهرام ٢٢ من يناير ١٩٢٩ ، وهم نافذ ومصطفى وسالم ويعقوب واكرم

الحسيني وابراهيم اسماعيل واحمد الراغب الحسيني .

(٦٠) جريدة الاهرام ١١ من يناير ١٩٢٩ .

(٦١) نفذ هذا الحكم في الشهيد علي مصطفى .

(٦٢) هو الشهيد عبدالله محمود صباح ورفيق له لم تذكر الاهرام اسمه - ٢٤ من

يناير ١٩٢٩ .

واذ وصل الشهر الثاني من عام ١٩٢٩ كانت حركات المجاهدين الفلسطينيين تأخذ نفس خط سيرها الذي استمر سنين طويلة ، واثبت قدرة الشعب على النضال والصبر ، فقد اذاعت دار المندوب السامي بلاغا اعلنت فيه ان معركة شديدة حدثت بجوار المزرعة القبلية ، بعد ان انتهى الجيش البريطاني من تفتيش المزرعة الشرقية بين نابلس والقدس ، وتركزت اعمال التفتيش بحثا عن السلاح في قرى المجدل وكفرنة وبيت درس ،

وهاجمت القوات البريطانية قرية تمرين بعد ان حاصرتها واعتقلت سبعة من المجاهدين حينما كانوا يعقدون محاكمة ثورية ، وقابل المجاهدون هذا بهجوم عنيف شنوه على المستعمرة اليهودية في مجدل الصادق وعلى مستعمرة عين شمس بجوار مدينة اللد ، وهاجموا ايضا دائرة الصحة في حيفا واستولوا على خزينتها ، واطلقوا نيران بناذقهم على السيارات اليهودية في الطرق العامة وعلى افراد اليهود ، واعلن رسميا ان احداث هذا الشهر كانت ١١٠ من القتلى و ١١٢ من الجرحى (٦٣) .

وتتلاحق الايام كلها خلال هذا الشهر حافلة مليئة بالاحداث ، ولا تمضي ايامه الثلاثون حتى تكون قد حدثت اثنتا عشر معركة بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب ، وفتشت السلطات تسعا وثلاثين قرية مع ما في تفتيش القرى من ارهاق ومظالم بريطانية معروفة ، واعلن منع التجول في ثلاث مدن على ثلاث مرات متتالية ، واشعل المجاهدون خمس حرائق في الدوائر الحكومية ومخازن الشركات اليهودية ، وانايب بتروال العراق ، واعتقل ما يتجاوز المائتين من رجال المدن والقرى .

وتم اعدام عشرة من العرب بتهمة حمل السلاح او الاسر في المعارك ، وهاجم المجاهدون عشرة من المستعمرات اليهودية وفجرت اربع قنابل في املاك اليهود ، وشاركت الطائرات البريطانية في بعض المعارك (٦٤) ، ولغم طريق قطار مكون من ثلاثين عربة بين حيفا واللد ، فخرجت القاطرة وتسع عربات عن الخط وحدثت اصابات عديدة (٦٥) .

ولكن حدثا تاريخيا صاحب هذا الشهر حيث انشأت بريطانيا نقطة شرطة للتفتيش ومراجعة المصلين في المسجد الأقصى الامر الذي عطل اقامة

(٦٣) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٢٩ .

(٦٤) جريدة الاهرام ٧ من فبراير ١٩٢٩ .

(٦٥) راجع مجموعة الاهرام بدار الكتب المصرية بالقاهرة الامدادا ١ الى ٣١ من يناير ١٩٢٩ .

من جراحهما ، كان احدهما قد اسر في معركة مستعمرة عين هاشوفت ، والثاني في معركة الكفرين ، وقد اعلنت السلطات انهما توفيا خلال العلاج (٦٦) وفي اليوم الاخير من فبراير توالت الهجمات العربية للجنود والشرطة في كل من القدس ويافا وحيفا ، واعلن رسميا ان اصابت العرب كانت ٢٥ شهيدا و ٦٠ جريحا في يوم واحد كما اعلن ان معركة كبرى حدثت في الشمال في آخر ايام فبراير ، وان اصابت العرب كانت ثمانية عشر شهيدا (٦٧) .

ويجب المستر ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية على سؤال للمستر فليدز في مجلس العموم البريطاني فيقول :

« انه من ٢٠ ديسمبر الى ٢٠ فبراير حدث ٣٤٨ اغتيالا بالرصاص و ١٤٠ حادثة تخريب و ١٩٠ حادثة خطف و ٢٣ سرقة وانفجرت تسعة الغام و ٣٢ قنبلة » .

ويقول الوزير البريطاني عامدا الى اخفاء خسائر دولته :
« ان الجنود خسروا ١٨ قتيلًا و ٣٩ جريحا من الجيش والبوليس ، وان الاهالي خسروا ٨٣ قتيلًا و ١٢٤ جريحا ، ولا تشمل هذه الأرقام ما اصاب الثوار (المجاهدين) من قتل وجرح بفعل رصاص الجنود لأن الاحصاء غير ميسور (٦٨) » .

وجاء مارس (اذار) وكان كسابقه من شهور عام ١٩٣٩ معارك طاحنة يقودها الفيلد مارشال « وايفل » الشهير ، وبنازله فيها أبطال من عرب فلسطين احسنوا فيها المواجهة وصدقوا لها النية .

وكانت المعركة الكبرى التي نشبت بين عكا وصفد ، واشتركت الطائرات البريطانية فيها حيث وصفها البلاغ الرسمي بأنها كانت شديدة بين الطرفين ، ولم يفصح هذا البلاغ عن خسائر الجيش البريطاني ، ولكنه ذكر مقتل ثمانية عشر عربيا (٦٩) . وتلت هذه الموقعة معركة أخرى بالقرب من مستعمرة جبعات ، ومعركة ثالثة مع ثلاث سيارات مصفحة كانت عائدة من القدس الى نابلس ، وكان المجاهدون قد سدوا الطريق بالحجارة ، فلما نزل الجنود البريطانيون لازالتها فاجئوهم باطلاق الرصاص من جانبي الطريق ، وذكرت الحكومة مصرع الكونوستابل البريطاني « درلنج » .

(٦٦) جريدة الاهرام اعداد ٨ و ٢٣ و ٢٧ من فبراير ١٩٣٩ .
(٦٧) و (٦٨) و (٦٩) جريدة الاهرام عدد ١ من مارس ١٩٣٩ .



جنود بريطانيا في سبيل التهويد يفتشون قصبان السكك الحديدية بحثا عن الغام
المجاهدين الفلسطينيين

الشعائر الدينية شهرا كاملا في حرم اسلامي مقدس ، وقد رفع العلماء والمسلمون صوتهم بالاحتجاج والاستنجاج بالعالم الاسلامي .

واقترح المجاهدون مطاحن جلاذ اليهود الواقعة في ضواحي يافا ، وبعد ان اعتقلوا الحرس اضرموا النار في المطاحن فالتهمت بكاملها . ورابطوا لليهودي العالمي المعروف الدكتور فوهسون فقتلوه على الطريق بين القدس ويافا وجرحوا رفاقه الثلاثة ، واطلقوا النار فجرحوا مستر يونج من كبار موظفي يافا . وكان اثنان من المجاهدين قد اخذوا للمستشفى قصد العلاج

وتتلاحق هذه الأحداث طيلة الشهر دون توقف ، وكان منها خمس معارك كبرى ، وأربعة وسبعون شهيدا وثمانية عشر هجوما على الاملاك اليهودية ، واعتقلت السلطات ثمانمائة وتسعة وثلاثين عربيا (٧٠) .

وخلال هذا الشهر وقع حادثان مهمان في ثورة فلسطين ، الاول ان معركة أستمرت يوما كاملا ثم استؤنفت في الصباح اللاحق . وان خمس عشرة طائرة اشتركت في هذه المعركة وان احدى تلك الطائرات كان فيها الكولونيل « كريستال » واصيبت هذه الطائرة بعشر رصاصات من الثوار وجرح الطيار كوجنز ، ويفيد البلاغ الرسمي للمندوب السامي ان ٥٥ عربيا قد قتلوا في هذه المعركة الهامة كما قتل ضابط بريطاني بالجيش الاردني العربي واصيب بعض جنوده بجراح (٧١) .

استشهاد عبد الرحيم الحاج محمد :

اما الحادث الثاني الذي شهدته الايام الاخيرة من هذا الشهر فهو المعركة التي نشبت قرب القرى الشمالية بين الجنود البريطانيين والمجاهدين العرب الذين كان يقودهم المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد وقد استشهد هذا القائد خلال المعركة .

وكان القائد عبد الرحيم الحاج محمد بطلا من ابطال الجهاد العربي ، نازل البريطانيين في المنطقة الشمالية ، وانزل بهم خسائر لا تنسى ، وكان اسمه يتداول بين جموع القوات البريطانية مخيفا مرعبا ، وحين استشهد في المعركة المذكورة ، حزن كل فلسطين لفقده وسط الثورة التي كان هو احد اركانها ، ولم يخف شعب فلسطين حداده على القائد الشهيد ، بل رفعت المنازل الاعلام السوداء ، واقامت المساجد صلاة الغائب ، واقيمت في اغلب المنازل التعازي والمآتم . وتقول برقية رويتر « ان شعب فلسطين فوجيء بنبا مصرع قائد الثورة المعروف عبد الرحيم الحاج محمد ، فكان لهذا النبا رنة حزن في جميع انحاء البلاد ، واضربت مدن طولكرم ويافا ونابلس والناصرة والرملة وغزة ، كما اضربت القدس وحيفا وطبرية وصفد واللد وعكا وبيسان والخليل وبيت لحم وبئر السبع ورام الله والمجدل وسائر المدن الفلسطينية حدادا على القائد الشهيد (٧٢) » ، وفي القدس اعلن القائد العسكري لليوم الثاني للاضراب الحزين انه اذا لم ينته الاضراب فسوف يتخذ اجراء ضد المضربين .

(٧٠) هذا الاحصاء مجموع من اعداد جريدة الاهرام بدار الكتب العربية لشهر مارس ١٩٣٩ .
(٧١) و (٧٢) جريدة الاهرام الاعداد ١٣ و ١٨ و ٢٩ من مارس ١٩٣٩ .

شهيد يرثي شهيدا :

وبصور البطل عبد الرحيم محمود رفيق الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد لوعة المجاهدين على القائد الفقيدي في قصيدة يحمل كل بيت فيها روح الاجلال ومعنى الاعزاز وكان منها قوله :

انذا انشدت يوفيك نشيدي	حقك الواجب يا خير شهيدي
اي لفظ يسع المعنى الذي	منك أستوحيه يا وحي قصيدي
كملت فيك المروءات فلم	يبق منها زائد للمستزيد
حسرتا للوطن العاني	وللامل الفاني ويا تمس الجدود
اقفر الميدان من فرسانه	وخلا من اهله غاب الأسود
خمدت نار لقد اضرمتها	للعدى كانوا لها بعض الوقود
والحمى قد ريع يا ذخر الحمى	وغدا بمدك منقوص الحدود
لم اكن قبلك أدري ما الذي	يرخص الدمع ويودي بالكبود
كل بيت لك فيه ماتم	يندب الناس به أغلى فقيد

على ان هذا الشاعر البطل لم يعيش بعد قائده الاثني سنوات حيث لحق به شهيدا في معركة الشجرة ١٩٤٨ وهو يردد ابياته المعروفة :

ساحمل روحي على راحتي	وارمي بها في خضم الردى
فاما حياة تسر الصديق	واما ممات يغيظ العدا
ونفس الابي لها غايتان	بلوغ المنايا ونيل المنى

١١ - العرب يحاربون اليهود والانجليز :

في عام ١٩٣٩ كان قد مضى على اليهود وهم يستعدون ويتدربون قرابة العشرين عاما ، وقد قوي ساعدهم واشتد عودهم ، وبذلك أصبح الشعب العربي في فلسطين يقاوم مواجهة اليهود المدربين الى جانب جيوش بريطانيا ، بعد ان عاش العرب تلك السنوات العشرين في ثورة مستمرة ، وارهاق دائم وتسلط حكومي مريع ، فاذا أضفنا الى ذلك استحالة الحصول على السلاح منذ ان بدأت البوادر تنذر بالحرب العالمية الثانية ادركتنا الملابس التي جعلت الثورة العربية تتوقف الى حين .

وفي اوائل مايو (ايار) نشرت السلطات احصاء عن أحداث ابريل (نيسان) قالت فيه : « ان مجموع القتلى من الثوار العرب خلال هذا الشهر بلغ ٣٣ مجاهدا قتلوا اثناء المارك وسلاحهم في ايديهم ، واعتقل اثناء تلك المعارك ١٣ جريحا وبلغت خسائر الانجليز ١٢ بين جريح وقتيل ، وان ٥٨ من المدنيين اغتيلوا بيد الثوار » .

في الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ كان العرب يحاولون ان تستمر

ثورتهم برغم أنهم أصبحوا يحاربون داخل فلسطين الضعيفة الصغيرة في جبهتين ، جبهة تجاه اليهود وجبهة تجاه الانجليز ، ولهذا نجد انباء ذلك الشهر تفيض بالأحداث في هذا المجال . فيشهد اليوم الثاني من مايو (ايار) معركة بين الثوار العرب والجيش البريطاني بين مدينتي الناصرة وطبرية ، ويفيد البلاغ الرسمي الذي سكت عن اصابات الانجليز انه وقعت عدة اصابات بين الثوار .

وهاجم المجاهدون عديدا من المستعمرات اليهودية في المنطقة الشمالية ، كما هاجموا قرية المزرعة القبلية وقتلوا ثلاثة من المنحرفين ، وهاجموا مدينة الناصرة ودارت خلال ذلك معركة شديدة استمرت الى منتصف الليل ، وهاجموا ايضا مستعمرة المجدل قرب طبرية ، وتقدم بريطانيا فتفرض على مدينة الناصرة غرامة خمسمائة جنيه للاشتباه في علاقة بعض سكانها بالثوار ، ولكن المجاهدين شنوا هجوما جديدا في الخامس من مايو (ايار) على نابلس كما تكرر هجومهم على المستعمرات اليهودية الشمالية ، واضرموا النار في حقول مستعمرة شعريم . وبينما كانت قوة من الشرطة الاضافية تكافح النيران اطلق عليها الثوار رصاصهم وهاجموا مستعمرة نائانيا فاشعلوا فيها النار وصرعوا خلال تلك المعركة جنديا بريطانيا وجنديا يهوديا(٧٣) ، وهاجم المجاهدون في الثامن من مايو (ايار) دورية عسكرية كانت عائدة من قرية بني مالك واستمرت المعركة حتى غروب الشمس ، ثم هاجموا مستعمرة دير نوبل والقوا قنبلة على مكتب قائم مقام صفد ، واطلقوا الرصاص على سيارة يهودية بين الناصرة وطبرية واعدمت بريطانيا عربيين من اهالي الخليل بتهمة مقتل شرطي بريطاني(٧٤) ، والقوا ثلاث قنابل على مركز البوليس في باب الساهرة بالقدس(٧٥) .

واذا كان اليهود قد اطلقوا الرصاص على عربي يدعى الحاج سعيد من اهالي طبرية فقتلوه فان العرب قتلوا لقاءه اثنين من اليهود من رجال البوليس الاضافي في حيفا .

وشهد هذا الشهر الخامس من عام ١٩٣٩ اصرارا مستمرا من بريطانيا على تفتيش القرى العربية بحثا عن السلاح ، وقد كان هذا التفتيش يأخذ اياما طويلة والقرى العربية محاصرة ، يجري الجنود

فيها اعمال الحفر والتنقيب والبحث ، واذا احطنا بمساحة فلسطين الصغيرة الضيقة امكنا أن ندرك أن مهمة اخفاء السلاح كانت من اصعب المشاق في ثورة فلسطين ، وقد تمكنت قوات الانتداب فعلا من العثور على كميات مختلفة من هذه الأسلحة ، حيث اعلن في اليوم الثالث من مايو (ايار) أن أحد عشر يوما مضت على اعمال التفتيش المستمرة في قرية بيت ريجا وان السلطات صادرت بها أربعين بندقية ، واعلن في الثالث عشر من مايو (ايار) أن اعمال التفتيش ما زالت مستمرة في القرى العربية وقد صادرت مقادير من الأسلحة والذخيرة واعتقل الكثير وصادر الجنود ٢١ بندقية و ٣ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة في قرى بني مالك وعبودين ، واصبحت كل منطقة في فلسطين تمثل ميدان حرب ، فهنا معركة وهناك ارباب يهودي وفي الأخرى فضائل من الجيش البريطاني تفتش وتبحث عن السلاح ، ثم تسوق المعتقلين حيث السجون والاعدام .

١٢ - الارهاب اليهودي في حماية بريطانيا :

لقد بدأ اليهود اربابهم منذ ان اذيع الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ ، وكرروا ان « ما حققته الثورة العربية يجب ان تزيله الثورة اليهودية » فوجهوا اربابهم ضد الانجليز الذين اصدروا الكتاب وضد العرب الذين ارغمت ثورتهم الانجليز على اصداره ، وما كان اليهود في حاجة لتلك الثورة ، ولكنهم يؤكدون بها رغباتهم ويستعملون توقيتها ، وبريطانيا التي قابلت العرب طوال انتدابها بالارهاق والمشاق ، وهدم القرى ، لجرد حمل رصاصة أو اشتباه في ابواء الثوار أو مساعدتهم ، قابلت الثورة اليهودية باللين والود والمهادنة .

ونحن حين نطلع على احداث ١٩٣٩ نرى الفرق في مجابهة بريطانيا للثورة العربية وللارهاب اليهودي ، ونرى ايضا كيف ادى احكام الطوق البريطاني على فلسطين العربية الى تناقص السلاح ثم فقدانه .

اعلن قبل نهاية مايو (ايار) ان اليهود اطلقوا النار على جمهور من العرب بالقرب من المحطة الشرقية في حيفا فأصابوا خمسة اشخاص كان اثنان منهم في حالة خطرة ، ونلاحظ الحاجة الملحة الى السلاح عندما نجد ان رد الفعل العربي لم يكن الا رجما بالحجارة للسيارات اليهودية في مكان الحادث ، وحين تكررت الاحداث يوم ٢٧ مايو (ايار) تجمع العرب في احد احياء القدس وواصلوا رجم اليهود بالأحجار(٧٦) ومن يملك السلاح او يستطيع الحصول عليه وسط ذلك الموقف الرهيب لا يمكن أن يعتمد الى مقابلة النار بالأحجار .

(٧٦) جريدة الاهرام العددان ٢٦ و ٢٧ من مايو ١٩٣٩ .

(٧٣) جريدة الاهرام اعداد ٣ و ٤ و ٩ مايو ١٩٣٩ .

(٧٤) هما الشهيدان الاخوان عبدالغني ومحمد عيسى فراخ .

(٧٥) جريدة الاهرام العدد ١١ من مايو ١٩٣٩ .

الباطش .

حكمت محكمة القدس في الرابع من مايو (ايار) باعدام الشقيقتين عبد الفني ومحمد عيسى فراخ من اهالي الخليل ، بتهمة قتل كونستابل بريطاني ، وتقدم ذووهما يطلبون من القائد العام تخفيض الحكم ، ولكن القائد العام لم يابه للرجاء ونفذ الحكم في الشقيقتين صباح التاسع من نفس الشهر ، ثم نفذ حكم الاعدام في السابع من الشهر السادس في عربيين آخرين (٨٠) ، وأعدم في الرابع والعشرين من نفس الشهر عربي آخر بتهمة الاشتراك في اعتداء مسلح .

وفي نفس ذلك اليوم الذي عدلت فيه السلطات البريطانية عن نسف المنازل الاربعة اليهودية في طبرية ، أعلن أن حكم الاعدام سوف ينفذ في اربعة من الشبان الفلسطينيين بسجن صفد (٨١) .

ويقول احد الكتاب العرب في فلسطين عن وضع فلسطين في ذلك التاريخ :

« طوقت قواتها (بريطانيا) المدن والقرى بحجة التفتيش عن السلاح وعن الاشخاص المتهمين بالاشترك في اعمال العنف والعصيان ابان الثورة الماضية ، وانزلت بالاهلين خلال عمليات التفتيش هذه اقصى صنوف الارهاب والتعذيب واشد انواع القهر والتنكيل ، فضربت الشيوخ والاطفال واعتدت على النساء واجهضت الحبالى ، ونهبت الاموال ، واتلفت المون واحرقت المزروعات ، واقتلعت الاشجار وقتلت الماشية ، ودمرت الاثاث والمقتنيات ، ونسفت بعض البيوت والمنازل ، وصادرت ما وجدته عند الاهلين من سلاح قديم وعتاد بال .

ثم فرضت على اهل القرى تقديم كميات معينة من الاسلحة النارية والبنادق والمسدسات ، وامهلتهم مددا قصيرة لتنفيذ ذلك والانسفت سائر بيوتهم ودمرت قراهم ، واعتقلت جميع الذكور الراشدين منهم ، فكان العرب وخاصة القرويين منهم يضطرون الى رهن املاكهم او بيع حلي نسائهم واثاث بيوتهم للحصول على المال اللازم لشراء الاسلحة من الاقطار المجاورة وتقديمها للحكومة ، وحكمت المحاكم العسكرية بالاعدام على العرب الذين قبضت عليهم وفي حيازتهم اسلحة حتى بلغ من ظلمها في هذا الصدد الحكم بالاعدام على ثلاثة شبان في قضاء طولكرم لمجرد العثور على طلقات

(٨٠) هما الشهيدان خليل ابراهيم خوري ومحمد احمد نصح الله .

(٨١) هم الشهداء الشيخ طه عبدالحيد واحمد حسن القوصي وحسن الحريري ومحمود حسان وكلهم من مدينة صفد .

وفي الثلاثين من مايو (ايار) فجر اليهود قنبلتين زمنييتين في دار سينما ريكس بالقدس ، فاصابوا ثلاثة عشر عربيا وثلاثة بريطانيين (٧٧) ، واصيب عدد كبير من الجمهور باصابات مختلفة ، ووجدت قنبلة ثالثة لم تنفجر ، وتجمهر العرب ايضا ولجأوا الى ما ابقت بريطانيا لديهم من سلاح في وطنهم الذي سلحت فيه اليهود ، فكانت الحجارة يرمون بها المعتدين ، ويدخل ثلاثون يهوديا قرية تيار عدس العربية ويقتحمون منازلها ويقتلون اربع سيدات ورجلا ويجرحون اربعة رجال وطفلا .

وتكرر حوادث القنابل اليهودية يلقونها حيث يجتمع العرب وفي دور السينما والاسواق ، وتكررت حوادث اطلاق الرصاص يلقونها من سياراتهم السرعة ، وشملت قنابلهم دوائر الحكومة وصناديق البريد ، ودار الاذاعة ، وتحت السيارات التي تحوي عمالا عربا ، ولم ينزل اليهود مرة الى معركة مواجهة واستنوا لأنفسهم خطة لا تدل على الشجاعة ولا على الثبات .

وبعد نحو شهر من استفحال اذى اليهود وارهابهم ، بعد أن شملوا بتفجيراتهم العديد من الشوارع والمدن وبعد أن ازهقوا العديد من الأرواح ، تحركت بريطانيا فقررت عقوبة على اليهود، ولكن تلك العقوبة لم تكن تناسب مع الاجرام اليهودى ولم تكن الا هوانا واضحا . فقد قررت السلطة العسكرية البريطانية التي كثيرا ما نسفت الأحياء العربية في يافا وطبرية ، والتي شمل تدميرها مئات القرى العربية عقوبة على اى حادث يقع فيها او بجوارها ، أعلن أن هذه السلطات قررت نسف اربعة منازل يهودية في حي العقبة اليهودي ببلدة طبرية ، عقوبة على انفجار تحت سيارة حكومية تحمل العمال العرب (٧٨) .

وعلى الرغم من أن العقوبة العلنة لا تتكافأ مع الجرائم التي ارتكبتها اليهود ، فقد نظر اليها على انها الخطوة الاولى لمجابهة عدوانهم ، ولكن لم يكد ينتصف اليوم السادس عشر حتى أعلنت السلطة انها عدلت عن نسف المنازل الاربعة اليهودية في مدينة طبرية وانها استعاضت عن ذلك بغرامة مالية على المدينة قدرها ٢٠٠ جنيهه (٧٩) ، ويجمع اولئك الذين شهدوا الاحداث أن هذه الغرامة لم تحصل ، وتنتشر الأهرام في ٢١ من يونيو ١٩٣٩ أن اليهود في طبرية رفضوا دفع تلك الغرامة .

بريطانيا تواصل التنكيل بالعرب :

اما بالنسبة للعرب فقد استمرت بريطانيا في تدميرها المرهب وحكمها

(٧٧) جريدة الاهرام العدد ٢١ من مايو ١٩٣٩ .

(٧٨) و (٧٩) جريدة الاهرام العددان ١٥ و ١٦ من يونيو ١٩٣٩ .



البريطانيون بفلسطين في سبيل التهويد يقتشون العرب بحثا عن السلاح .

النطاق في بعض الاماكن في القدس ، فعثرت في بركة اسرائيل على مسدس وقنابل تركية قديمة ، وتوفي في مستشفى الحكومة في القدس المستر بنجهام، وكان قد اطلقت عليه النار في حي المصراة في ٢ فبراير الماضي (٨٣) .

وقد روعت مدينة حيفا في ١٩ من يونيو ١٩٣٩ بحادث انفجار قنبلة كبيرة في سوق الخضار في حيفا بالقرب من المركز العام للبوليس ، حيث يجتمع عادة عدد كبير من العرب لشراء الخضار والفاكهة ، وقد اسفر هذا الانفجار عن قتل ١٨ شخصا بينهم ٩ رجال و ٦ نساء وثلاثة اطفال ، واصابة ٢٤ شخصا بجراح مختلفة ، وانفجرت قنبلتان بعد حادث القنبلة الاولى برقع ساعة احدهما في غرفة للتليفون بشارع هرتزل في حي هدار كرمل اليهودي ، والاخرى عند ملتقى الخطوط التليفونية في شارع آخر .

وعلى اثر هذه الحوادث اعلنت السلطة قانون منع التجول في جميع انحاء حيفا لاجل غير مسمى ، وقبل الظهر القى شخص عربي في احد شوارع تل ابيب القريبة من يافا قنبلة وانفجرت قنبلتان في مركز بوليس يافا ، وحاول عربي الفرار في اثناء التفيتش لقريبة ام الضبع في نابلس فأطلقت عليه النار وقتل . وقد اعتقل الجنود ١٢ عربيا عقب هذا الحادث ولم تقع خسائر بين الجنود ، وتوفي في مستشفى حيفا الحكومي جريس فرحة احد جرحى حادث القنبلة في سوق الخضار ، وقبض في يافا على عربي يحمل نشرات للتحرير ، وقبض رجال خفر السواحل على ١٢ يهوديا كانوا يحاولون اجتياز الحدود الفلسطينية اللبنانية خلسة الى فلسطين ، وقد تبين انهم قدموا من اوربا .

ارسلت السلطة العسكرية قوة من الجنود ورجال البوليس يؤيدها سرب من الطائرات الحربية الى احد الاديرة المشرفة على بلدة اريحا ، بعد علمها بانه يوجد فيها ثوار واشتبكت هذه القوات مع الثوار في معركة شديدة اسفرت عن قتل ٨ من الثوار واصابة آخر واسره ، ولم يصب احد من الجنود ، وتوفي في المستشفى الحكومي في حيفا احد الجرحى العرب في حادث انفجار القنبلة في سوق الخضار امس فاصبح مجموع الضحايا العرب عشرين ، واطلقت النار على يهودي في احد البساتين للبرتيال بالقرب من مدينة الرملة فاصيب بجراح شديدة .

اقتحم مجهولون احد منازل لوبيا بالقرب من طبرية واطلقوا النار على سكانه العرب فقتلوا رجلا وجرحوا طفلا وطفلة ، واطلقت النار على

نارية في حيازتهم ، وقد نفذت ذلك الحكم الجائر (٨٢) » .
ويعطينا شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٣٩ صورة بيانية عن حالة عرب فلسطين الذين انهكتهم الثورة وانقلت امكانياتهم ، والذين صمدوا في قوة لبطش الانجليز منذ احتلالهم في عام ١٩١٨ والذين استمرت ثورتهم طيلة هذه السنين معتمدين على انفسهم ، باذلين ارواحهم مسترخيين الموت في سبيل الوطن ، ولكن هذا الجهد الانساني الكبير تبدو خسائره متلاحقة خلال يونيو (حزيران) ١٩٣٩ ، فبينما تحاصر بريطانيا القرى بحثا عن السلاح اسابيع طويلة ، يتعرض العرب لهجمات اليهود الذين اتموا استعدادهم وهم في مأمن من عقوبات الانجليز ومشانقهم ، وتنشط فيالق بريطانيا وطائراتها في محاربة الثوار العرب وافنائهم .

ونحن نعتمد هنا اثبات بعض ايام من شهر يونيو بنفس الكلمات التي اوردتها برقيات الصحف حتى يكون هذا كشفا بيانيا .

ذكرت وكالة رويتر للانباء ان دورية عسكرية قد اشتبكت مع فريق من الثوار في منطقة المفيرة بجوار رام الله ، وجاء في البلاغ الرسمي انه وقعت عدة اصابات بين الثوار ، وقامت قوة عسكرية بتفتيش واسع

(٨٣) جريدة الاهرام العدد ١٩ من يونيو ١٩٣٩ .

(٨٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

سيارتين كانتا مارتين في شوارع الرملة فأصيب أحد ركبها وهو يهودي بجراح ، وأطلقت النار على سيارة ركاب عربية في الطريق بين القدس وحيفا فلم يصب أحد ، حاول احمد عبد السلام المدني الفرار من معتقل صرفند فقتله الجنود ، وعثر البوليس على جثة يهودي في إحدى مستعمرات يافا .

قام جنود عدة فرق بمحاصرة جماعة من الثوار في منطقة الرامية وعطارة وبلغا بين طولكرم وجنين وقد وقعت مصادمة بين الفريقين قتل فيها ثلاثة من الثوار وأسير ، وكان يقود الثوار في هذه المنطقة القائد حامد سليمان المرادوي فظفر به الجند عند عطارة واستشهد وهو من كبار قواد الثورة ، انفجرت قنبلة في وادي الصليب في حيفا فأصابت أربعة من العرب بجراح ، شبت النار في مستعمرة مولدة في منطقة صفد فدمرت جميع منازلها ومحلاتها التجارية وتقدر الخسارة بعدة آلاف من الجنيهات (٨٤) .

اشتبكت قوة من الجنود مع فريق من الثوار في منطقة رام الله فجرح أحد الثوار وأسر ، انفجرت قنبلة في يافا فأمر القائد العسكري باقتال جميع المطاعم والمقاهي في المدينة أربعة أيام ، توفي اليوم في مستشفى حيفا الياس كرم وهو أحد الجرحى في حادث قنبلة سوق الخضرا فأصبح مجموع الضحايا العرب ٢١ قتيلا .

اشتبكت قوة من الجنود مع عصابة مسلحة في الليلة الماضية بين الناصرة وروشيينا فجرح أحد الثوار واعتقل وكان يحمل بندقية ، وقعت مصادمة أخرى بين الجنود والثوار في أحد بساتين البرتقال بالقرب من قرية رينيتا في منطقة حيفا وجاء في البلاغ الرسمي انه وقعت عدة اصابات بين رجال العصابة ، قتل ١٥ نائرا أثناء هجومهم على مزرعة يهودية بالقرب من بنات ايكفا .

انفجرت قنبلة في صندوق الخطابات في حي شتلر الواقع وسط الأحياء اليهودية ، وفي ساحة تكتظ عادة بالبائعات القرويات ، وقد أصيبت خمس نساء بجراح مختلفة ومنهن من حالتها خطيرة ، أطلقت النار في القدس على عبد الحميد عال بالقرب من مخفر البوليس في حي ميشوريم فقتل للحال وعلى حسين عبد الهادي من أهالي حيفا فقتل أيضا ، عثر البوليس على جثة عربي في محطة سكة الحديد القريبة من اللد ، وتبين أنه من الثوار ، أطلق عربي النار أمس على يهودي في حيفا فأصابه بجراح خطيرة واعتقل

البوليس ستة من العرب بسبب هذا الحادث ، قتلت امرأة عربية برصاص الجند في ضواحي طولكرم ، أعلن قانون منع التجول في طولكرم .

قام اليهود بحملة عنيفة ضد العرب في أماكن مختلفة في منطقة يافا وضواحي المستعمرات اليهودية والكبيرة وذلك باطلاق الرصاص على كل عربي يسير في الطرق العامة فتمكنوا من قتل ١١ عربيا وجرح ستة في أقل من ساعة (٨٥) .

وهكذا ينتهي شهر يونيو (حزيران) من عام ١٩٣٩ وفلسطين بمهما الاضطراب ، وتسيل الدماء العربية غزيرة من كل جانب ، وتعلن السلطات البريطانية أن عربيا من الخليل قتل في أحد الأحياء اليهودية ، ولكن السلطة تعلن أنها لم تعتقل أحد لأنها لم تجد شهودا على الحادث ، وهذه السلطة نفسها هي التي طالما نسفت قرى العرب واثقلتهم بالغرانات كلما انطلقت منهم رصاصة أو وقع حادث قرب ديارهم ، وما كانت في حربها لثورة العرب تنتظر شهودا ولا تحتاج في الادانة الى دليل .

وفي بحر هذا الشهر أعلن القائد العام موافقته على اعدام عربي كان قد أسر في معركة قرب أريحا (٨٦) ، وأصدرت المحكمة العسكرية حكما بالاعدام على عشرة من العرب بتهمة قتل أربعة من البوليس البريطاني ، وحكمت على خمسة آخرين بالسجن المؤبد لحملهم اسلحة ، وأصدرت محكمة حيفا العسكرية حكم الاعدام على ستة من العرب بتهمة حمل السلاح واستعماله في الهجوم على قرية شفا عمرو في سبتمبر الماضي ، وهذه السلطة نفسها هي التي أعلنت يوم ٢٢ من يوليو (تموز) ١٩٣٩ أنها حكمت على شاب يهودي بشهر سجن لأنه ضبط حاملا سلاحا ، وأدانت يهوديا آخر بقتل عربي فأصدرت عليه حكم السجن المؤبد ، بينما أطلقت السلطات سراح ١٤٠٠ لاجيء يهودي دخلوا خلصة الى فلسطين ونقلتهم الى تل أبيب (٨٧) .

وما حل الشهر الثامن حتى استحل الانجليز واستحل معهم اليهود أعمال القتل في العرب الذين قُلت أسلحتهم وكوتهم الثورة الطويلة الأليمة ، فالبوليس لا يحاول اعتقال يوسف ابراهيم أبو درش في غزة عندما قابله في الرابع عشر من اغسطس (آب) ولكنه يعالجه باطلاق الرصاص فيديه قتيلا ، وصدق القائد العام على حكم الاعدام في عربيين آخرين (٨٨) ،

(٨٥) جريدة الاهرام ، اعداد ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ من يونيو ١٩٣٩

(٨٦) هو الشهيد محمود عمار .

(٨٧) جريدة الاهرام العدد ٢١ من يوليو ١٩٣٩ .

(٨٨) هما الشهيدان علي فخر وقايز حسن الريماوي .

(٨٤) جريدة الاهرام اعداد ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٤ من يونيو ١٩٣٩ .

ويتقدم اليهود فيهاجمون قرية عربية قرب رحابوت وينسفون احد المنازل بالديناميت ، وهاجم فريق يهودي آخر قرية النعام العربية ونسفوا منزلا بها ، واقتحم فريق يهودي ثالث قرية المنصورة العربية واعتدوا على عربي ، واضرموا النار في احد المنازل العربية ، وبالجهد الذي تقويه روح الفداء يلتقي المجاهدون العرب مع الجنود واسراب الطائرات قرب طبرية ، وتنشب معركة حامية ، ويذكر البلاغ الرسمي ان ستة من العرب المجاهدين وضابطا بريطانيا قتلوا كما جرح بعض الجنود .

١٣ - توقف الثورة ابان الحرب العالمية الثانية :

توقفت تلك الثورة التي استمرت سنوات طويلة . . توقفت خلال الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية وهو سبتمبر (ايلول) ١٩٣٩ ولم يكن بد من توقفها ، وما كان بيد احد من البشر يعيش الآلام التي عاشها شعب فلسطين ان تستمر ثورته بعد ذلك التاريخ .

فقد انهكت المظالم البريطانية التي اوردناها قبل هذا الفصل قوى الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يعد هناك سكان قرية لم تفرض عليهم غرامات جماعية تحت طائل من قانون العقوبات المشتركة الذي كان يحتم فرض العقوبات والغرامات على سكان القرية او الحي مهما بلغ عددهم ومهما كان الفاعل واحدا .

وكانت القيادة مشردة ، كان المفتي الأكبر لاجئا في لبنان ، وكان يدبر الحركة الوطنية من ملجئه ، وكان يجب ان تدور حركته في اضيق الحدود والا طاردته فرنسا ، وحرمت عليه البقاء هناك ، وكان عديد من زملائه ومساعديه موزعون بين لبنان وسوريا ، وكانت صلة الثوار بهذه القيادة تتم عن طريق التسرب الى البلدين العربيين اللذين يثنان تحت وطأة الانتداب الفرنسي ، ومن حدود سوريا ولبنان كان السلاح يهرب الى فلسطين ، وكان يشتري من بعض المصادر التي كانت مفيدة مهما تصورنا ضآلتها وعدم حريتها في البيع ، وادركنا ايضا ضعف القدرة المالية لدى الثورة الفلسطينية ، ولم يكن هناك سلاح غير ما يغتمه الثوار ويخطفونه من الجيش البريطاني او معسكراته . وكان قدر آخر من السلاح يرد من العراق الذي كان ساعدا مهما لتلك الايام الخالدة ، وكان فريق آخر من رجال فلسطين قد ابعدوا الى جزيرة سيشل المعروفة ، وفيها تعودت بريطانيا ابعاد العرب الكبار ، وقد سبق ان جعلتها منفى لسعد زغلول ورفاقه من قادة مصر واحرارها ، وحين اطلق سراهم نتيجة تمسك شعب فلسطين بالايمته في مؤتمر لندن الا رجالها المعتقلون بقي اغلبهم خارج البلاد بعد انفضاض هذا المؤتمر .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وبين المانيا الهتلرية من ناحية اخرى ، فقد عرب فلسطين كثيرا من التسهيلات التي كانوا يجدونها في سوريا ولبنان ، فقد كبل الشعب العربي في هذين البلدين بالحكم الفرنسي الذي اعتبر كل حركة ضد بريطانيا عملا عدائيا ضد الجهود الحربية الكبير ، وبذلك شلت الحركة الفلسطينية في لبنان وخمدت في سوريا ، واحكمت الرقابة على حدود العراق .

ولم يكن في امكان الشعب الفلسطيني ان يستمر في ثورته ، وقد احكم اغلاق الطوق عليه من جميع الجهات ، وتلقى الضربات المتتالية خلال الاعوام الطويلة ، فضعف جهده وتبعثرت قواه .

والى جانب هذا الوضع العام ، بدا له جانب من امل ضمنه الكتاب الابيض البريطاني الذي صدر في عام ١٩٣٩ والذي اعلن عزم بريطانيا النهائي على تنفيذ سياسة تستهدف استقلال فلسطين بعد عشر سنوات ، وايقاف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات ، ووضع قيود على انتقال الاراضي لليهود ، وانه ليس في نية بريطانيا تفسير وعد بالفور بانه خلق دولة يهودية في فلسطين ، والقي العرب سلاحهم ، بل القوا عصيهم ، فلم يعد للسلاح ذخيرة تستعمل ، واستمر السلاح البريطاني يصوب فوهاتة الى صدور العرب تحت ظل من احكام الحرب العامة وقوانينها .

تظاهرت بريطانيا بتنفيذ ما اعلنته في كتابها الابيض ، واصلت انها سائرة في سياستها المعلنه ، ولن تتأثر بأي معارضة من جانب العرب او من جانب اليهود .

واذا كان الكتاب الابيض البريطاني قد تمهد لليهود بادخال خمسة وسبعين الفا منهم الى فلسطين ، فانه وعد للعرب بانه لن يدخل احد من اليهود بعد ذلك الا بعد موافقة العرب انفسهم ، وقد تم ادخال العدد الذي جاء في الكتاب الابيض في اواخر عام ١٩٤٥ ، ولكنها سرعان ما قررت استمرار الهجرة بمعدل الف وخمسمائة يهودي شهريا .

وعلى الرغم من تمهدها في كتابها الابيض بالحد من تسرب الاراضي لليهود ، فقد استمرت في اتباع الاساليب التي تسهل لهم تملك الاراضي سواء عن طريق عمليات التسوية او بقرارات نزع الملكية بمراسيم المندوب السامي .

وقد سبق ان اوضحنا الجهود التي بذلتها بريطانيا خلال حكمها فلسطين في سبيل تسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي فيها والتكثيف بالعرب .

إصرار... وعكاء

« ان تصريحات فخامة رئيس الولايات المتحدة ومساعيه تحدث انزعاجا كبيرا في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، وتسيء لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة العربية ان تظل دائما بينها وبين الحكومة الامريكية » .

مذكرة الجامعة العربية للولايات المتحدة ١٩٤٦

« ان حكومتي انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية التي ترمي الى تعزيز وابرار فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين الى حيز الوجود » .

رد الرئيس ترومان على مذكرة الجامعة ١٩٤٧

« وافق مجلس الجامعة العربية على سحب مذكرة ترومان من ايدي اعضائه وان يبقى الموضوع في طي الكتمان » .

راجع ص ٢١٧ من هذا الكتاب

« فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة . يجب علينا ان نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية » .

مؤتمر حزب العمال البريطاني ١٩٤٤

« ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجان، وسوف تستمر الهجرة (الى فلسطين) الف وخمسمائة مهاجر يهودي سنويا » .

المنذوب السامي البريطاني في فلسطين

« يجب ان يصرح في الحال بادخال مائة الف يهودي الى فلسطين وان يباح دخولهم بالسرعة الكافية خلال ١٩٤٦ » .

اللجنة البريطانية الامريكية المشتركة

ولذلك اعلن تشرشل عن تأليف فرقة يهودية مسلحة بضباطها وجنودها وسلاحها وعلمها اليهودي الخاص ، وكانت تلك الفرقة اليهودية مجهزة فعلا في فلسطين لا ينقصها الا امر ابرازها ، فمنذ آمد بعيد واليهود يؤلفون جيشهم المدرب ، بداهه بيوليس المستعمرات ومدتهم بريطانيا بصناديق الذخيرة واكوام الأسلحة وسخرت ضباطها لتدريبهم ، واستعانت بجيشها ليحميهم في مرات عديدة ، عندما كانوا يخرجون الى جوار الأراضي العربية يجرون تدريبهم وتمازينهم (٨٩) ، وخلال الحرب الثانية استمر العون البريطاني لليهود قصد جعلهم قوة عسكرية .

ويذكر احد الباحثين العرب ان حكومة الانتداب وضعت عددا كبيرا من اليهود في ورش الجيش البريطاني ومطاراته وثكناته وخاصة في الوظائف الرئيسية والفنية وحراسة العنابر والمستودعات وجندت الالوف من شبابهم فسلحتهم ودربتهم واشركتهم في العمليات الحربية ، واعتمدت بعض المصانع اليهودية لانتاج المتفجرات والذخائر وسائر الاحتياجات العسكرية مع المعونة المالية الكافية ، ودارت مشاورات عديدة بين المارشال وايفل القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط ، وهو الذي كان يقود الجيش البريطاني في فلسطين خلال ثورة ١٩٢٨/٣٧ وبين ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب ، لقد كان وايفل يعتقد ان العرب كلهم سوف يثورون ضد بريطانيا اذا الف الجيش اليهودي وبريطانيا في حاجة الى هدم المنطقة العربية حيث يعسكر جيشها ، وحيث يتهددها رومل من الغرب في ليبيا ، ولذلك نصح القائد البريطاني رئيس الوزراء بعدم تأليف ذلك الفيلق اليهودي ولكن تشرشل يثبت في مذكراته ما يلي : « لقد تحديت ويفل وكتبت الى الدكتور وايزمان سامحا بتأليف ذلك الجيش ، ولم يتحرك كلب عربي واحد (٩٠) » .

وهكذا اصبح لليهود جيش رسمي عاد الى فلسطين مجرد انتهاء الحرب بجميع اسلحته ومعداته ، بل لقد استجلبت بريطانيا الجنرال وتجييت البريطاني خبير حرب العصابات الذي كان يقود القوات البريطانية ضد عصابات الملايو وبورما وكلفته ان يدرّب منظمة (الهاجانا) اليهودية على حرب العصابات . وكانت في عام ١٩٣٩ حين قررت منع الهجرة غير الشرعية واعلنت انها سوف لا تسمح بالدخول الا لمن هم في سن بين الحادية عشر والسادسة عشر ، وكانها تختار من يقرب سنهم للتجنيد والحرب .

(٨٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٩٠) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٥٧ .

الفصل الثامن

التطورات الخطيرة

أما شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

١ - أمريكا تختزن الصهيونية :

حين أعلن تصريح بالفور في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ كان الرئيس « ويلسن » رئيس الولايات المتحدة الاميركية قد استشير من طرف بريطانيا وأطلع على نص التصريح ووافق عليه في برقية بعثها باسمه الكولونيل « هاوس » بتاريخ ١٦ (تشرين الاول) ١٩١٧ الى سير « اريك دراموند » السكرتير الخاص لوزير خارجية بريطانيا ، وقال « ويلسون » بعد ذلك في بيانه للشعب الاميركي « أنا مقتنع ان أمم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبها قد اتفقت انه في فلسطين ستترسى أسس كومونولث يهودي » .

بل ان كاتبها يهوديا هو « لنடன் » يقرر ان امريكا لم تؤيد فقط وعد بالفور ، بل ان دخولها الحرب العالمية الاولى لم يتأكد الا بعد ان أعلن وعد بالفور كتمن لمشاركتها في الحرب الكبرى ، وأنه ليقول « ان مستر «مالكولم» سكرتير رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » قد اقنع بعض الساسة الفرنسيين بوجود التحالف مع الصهيونية مؤكدا ان الطريقة المثلى بل الوحيدة لحمل رئيس الولايات المتحدة على دخول الحرب هي الوصول الى تفاهم مع صهيوني الولايات المتحدة (١) » .

وفي عام ١٩١٩ جاء الى فلسطين القاضي الاميركي اليهودي « لويس برنديس » وهو صديق « ولسن » الحميم ، وصرح مخاطبا القائد البريطاني جنرال موني : « يجب الاتنسى ان اعمالك يلزم ان تكون مستمدة من تعهد حكومتك بانشاء وطن قومي لليهود هنا .

(١) قضية فلسطين ، ص ٤٠ .

هو الالف لم تعرف فلسطين ضربة
يهاجر الف ثم الف مهريا
والف جواز ثم الف وسيلة
وفي البحر آلاف كان عبابه
اشد وانكى منه يوما لضارب
ويدخل الف سائحا غير آيب
لتسهيل ما يلقونه من متاعب
وامواجه مشحونة بالمراب

الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان عن الهجرة اليهودية

« طلبت من ترومان ان يقسم النقب بيننا وبين العرب على اساس خط عمودي ، فأمر ترومان مندوبه بأن يكون النقب كله لنا » .

وايزمان في مذكراته

« اجليت الجمعية العامة للامم المتحدة جلسة التصويت على التقسيم أمس بعد ان وجد مؤيدو الصهيونية انهم لا يضمون ثلثي الأصوات » .

نيويورك تايمس ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧

« هل يلام العرب والمسلمون اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض اسلحتها اليهود ، وانها مملأة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام ، وكلمة اللبني في القدس لا يزال رنينها مجلجلا في الأذان وصداها متجاوبا في الأذهان » .

البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين .
قرآن كريم

الفصل الثامن

التطورات الخطيرة

أما شعب فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية

١ - أمريكا تختزن الصهيونية :

حين أعلن تصريح بالفور في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ كان الرئيس « ويلسن » رئيس الولايات المتحدة الاميركية قد استشير من طرف بريطانيا وأطلع على نص التصريح ووافق عليه في برقية بعثها باسمه الكولونيل « هاوس » بتاريخ ١٦ (تشرين الاول) ١٩١٧ الى سير « اريك دراموند » السكرتير الخاص لوزير خارجية بريطانيا ، وقال « ويلسون » بعد ذلك في بيانه للشعب الاميركي « انا مقتنع ان امم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبها قد اتفقت انه في فلسطين ستترسى اسس كومونولث يهودي » .

بل ان كاتبها يهوديا هو « لندمن » يقرر ان امريكا لم تؤيد فقط وعد بالفور ، بل ان دخولها الحرب العالمية الاولى لم يتأكد الا بعد ان أعلن وعد بالفور كتمن لمشاركتها في الحرب الكبرى ، وأنه ليقول « ان مستر «مالكولم» سكرتير رئيس الوزارة البريطانية « لويد جورج » قد اقنع بعض الساسة الفرنسيين بوجود التحالف مع الصهيونية مؤكدا ان الطريقة المثلى بل الوحيدة لحمل رئيس الولايات المتحدة على دخول الحرب هي الوصول الى تفاهم مع صهيوني الولايات المتحدة (١) » .

وفي عام ١٩١٩ جاء الى فلسطين القاضي الاميركي اليهودي « لويس برنديس » وهو صديق « ولسن » الحميم ، وصرح مخاطبا القائد البريطاني جنرال موني : « يجب الاتنسى ان اعمالك يلزم ان تكون مستمدة من تعهد حكومتك بانشاء وطن قومي لليهود هنا .

(١) قضية فلسطين ، ص ٤٠ .

هو الالف لم تعرف فلسطين ضربة
يهاجر الف ثم الف مهريا
والف جواز ثم الف وسيلة
وفي البحر آلاف كان عبابه
اشد وانكى منه يوما لضارب
ويدخل الف سائحا غير آيب
لتسهيل ما يلقونه من متاعب
وامواجه مشحونة بالمراب

الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان عن الهجرة اليهودية

« طلبت من ترومان ان يقسم النقب بيننا وبين العرب على اساس خط عمودي ، فأمر ترومان مندوبه بأن يكون النقب كله لنا » .

وايزمان في مذكراته

« اجليت الجمعية العامة للامم المتحدة جلسة التصويت على التقسيم أمس بعد ان وجد مؤيدو الصهيونية انهم لا يضمون ثلثي الأصوات » .

نيويورك تايمس ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧

« هل يلام العرب والمسلمون اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض اسلحتها اليهود ، وانها مملأة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام ، وكلمة اللبني في القدس لا يزال رنينها مجلجلا في الأذان وصداها متجاوبا في الأذهان » .

البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين .
قرآن كريم

وعاد لبريطانيا ولم تمض الا ايام حتى طرد القائد البريطاني وعديد من ضباطه بتهمة عداوة اليهود وعين محلهم من يعطف على الصهيونية وامانيها .

وفي ٢٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٢ وقّع المستر « هاردين » رئيس الولايات المتحدة (بعد ولسن) قرار الكونجرس موافقا على تهويد فلسطين .

وفي عام ١٩٢٢ اعلن اليهود في امريكا انهم سوف يجمعون ١٨ مليون دولار لجمميات الوطن القومي في فلسطين .

وفي عام ١٩٢٢ اعلن الكونجرس الاميركي قراره الاجماعي الذي ايد فيه وعد بالفور وتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين ، وحدث اثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في فبراير (شباط) ١٩٣٩ لبحث قضية فلسطين بلندن ان خشيت امريكا ادراك بريطانيا لاطغائها التاريخية مع العرب ، فتدخلت لينتهي المؤتمر دون نتيجة حاسمة ، وكان من مظاهر تأييد امريكا ان عارض « جورج مارشال » وزير خارجية امريكا سنة ١٩٤٢ بحث مجلس الشيوخ الاميركي اقتراح السغاء الكتاب الابيض البريطاني الذي يحدد الهجرة وبعد بالاستقلال ، ثم عندما تبينت بوادر النصر للحلفاء ولم يعد للعالم العربي اثر مخيف ، كتب مارشال نفسه الى المستر « واغتر » عضو اللجنة بالكونجرس يقول « ان الاعتبارات التي حملته في السابق على تأجيل بحث اللجنة للاقتراح قد زالت الان » .

وذلك المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد دورة استثنائية بفندق بلمورا بنيويورك ، اتخذ قرارا بتحويل فلسطين الى دولة يهودية واجلاء العرب عنها اذا عارضوا هذا التحويل ، فأسرع الرئيس الاميركي « روزفلت » واعلن كما اعلن غيره من الامريكان تأييدهم لهذا القرار (٢) .

وتجمع مائة وواحد وثمانون عضوا بالكونجرس الاميركي ، وقدموا عريضة موقعة منهم جميعا طلبوا فيها الى الرئيس الاميركي روزفلت ان يصدر وعدا بانشاء وطن قومي في فلسطين شبيه لوعد بالفور (٣) . واثناء المعركة الانتخابية عام ١٩٤٤ تسابق المرشح الجمهوري « جون ديوي » والمرشح الديمقراطي روزفلت في تأييد القرار اليهودي لانشاء دولة يهودية في فلسطين .

ولم يكن رجال الدين الامريكيين اقل حماسة لليهود من رجال السياسة

فقدم خمسة الاف قسيس بروتستانت في فبراير (شباط) ١٩٤٥ طلبا الى حكومتهم ، طالبين اباحة الهجرة اليهودية الى فلسطين دون قيد ، وكان ترومان رئيس الولايات المتحدة اسرع مستجيب لمثل هذا النداء ، فارسل كتابا الى « اتلي » رئيس الوزارة البريطانية يطلب ادخال مائة الف يهودي دفعة واحدة الى فلسطين ، وان تفتح ابوابها دون قيد للهجرة بعد ذلك ، (٤) وفي ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥ اصدر الكونجرس الاميركي في عهد ترومان هذا قرارا ثبتت فيه تصريح بالفور وانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وحضر روزفلت الى مصر بعد انفضاض مؤتمر يالتا ببلاد القرم ، وقابل الملك عبد العزيز ال سعود في فبراير (شباط) عام ١٩٤٥ وكان من اهم جدول الاعمال ان تناقش امنية الاسر اليهودية التي حمل روزفلت رجاءاتها باقامة مستعمرات يهودية في ضواحي المدينة المنورة ، لقاء عشرات الالاف من الجنيهات الذهب ومعلوم لدينا رفض الملك عبد العزيز (٥) .

ونهب حكام الولايات الاميركية يسهمون في اذى الامة العربية ونصر الصهيونية ، فقدم ٣٨ حاكما منهم طلبا الى الرئيس « ترومان » خلال عام ١٩٤٦ يطلبون اتخاذ الاجراءات اللازمة لاستمرار الهجرة الى فلسطين ، حتى يقيم اليهود فيها دولة لهم ، وخلال مناقشات الامم المتحدة عام ١٩٤٧ كان الوفد الاميركي يحمل لواء الدفاع عن اليهودية . وامانيهم في فلسطين وكان من اشد المتحمسين لقرار التقسيم وخلق دولة يهودية فيها ، وفي خلال ثلاثة ايام من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ووسط مناقشات الامم المتحدة ، نجح الضغط الاميركي في تغيير آراء تسعة من الدول التي كانت معارضة او ممتنعة عن تأييد التقسيم الى الموافقة عليه ، ولم يعد هذا سرا بعد ان اعترفت الصحافة العالمية وشهد به « روزفلت » (٦) .

ومن هذا العرض السريع يتضح ان سياسة الولايات المتحدة كانت في جميع مظاهرها وخططها سياسة تعمل على طرد العرب من فلسطين واحلال اليهود فيها ، ويرى البعض ان هذا الهدف الاميركي بدأ قبل تصريح بالفور بزمان بعيد ، فقد افصح امريكا بلسان كبار موظفيها منذ القرن التاسع عشر عن هذا اللقاء الذي تم بين الصهيونية وبين الطليبية الاستعمارية لتحطيم الخلافة ، وليس وعد بالفور الا عنوانا لهذه الخطة الرسومة ، ففي

(٤) كان ذلك في ٢١ ديسمبر ١٩٤٢

(٥) وثائق الحرب العالمية الثانية التي نشرتها امريكا عام ١٩٦٥
MIDDLE EAST JOURNAL JANUARY 1948 P. 138.

(٦)

(٢) كان ذلك في ١١ مايو ١٩٤٢

(٣) كان ذلك في ديسمبر ١٩٤٢

عام ١٨١٨ كان مستر « نوح » قنصل امريكا السابق في تونس يخطب في حفل افتتاح احد معابد اليهود بنيويورك ويقول :

ان القضاء على السيطرة التركية في اوربا سيترتب عليه تحرير اليهود وسيكون في استطاعتهم السير مرة اخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم حالات النصر ، وبذلك يظهرون مكانتهم بين دول العالم (٧) .

وتدل احداث التاريخ الحديث والتاريخ المعاصر على انه ما من رئيس للولايات المتحدة الا احاط به اليهود عن يمين وشمال ، وليس ادل على ذلك من ان « ولسن » صاحب مبدا حقوق الانسان خلال عام ١٩١٧ كان اول المنتكرين لهذه الحقوق حين تعارضت مصالح اليهود مع حقوق العرب في فلسطين ، وكان مستشاره الذي يخضع لرايه ولا يخالفه هو اليهودي العالمي القاضي « لويس برانديس » ، كما كان « روزفلت » يهتم كثيرا بأراء مستشاره « ارنيست مديرس » وكان يهوديا .

وحين جاء « ترومان » الى كرسي الرئاسة في الولايات المتحدة كانت الحلقة جوله تتكون من شخصيات صهيونية بارزة كان شغلها الشاغل انشاء دولة اسرائيل في فلسطين العربية (٨) ، وكانت تصريحات « ترومان » الفياضة بالمعطف على الاماني الصهيونية تملأ الصحف والنشرات ، وتحتل الاسماع والاذهان ، وحين تحرك مجلس الجامعة العربية فبعث في ٤ من ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٤٦ بمذكرته التالية ليلفت نظر الولايات المتحدة الامريكية لوقفها غير الودي مع العرب صفعه ترومان صفقة قوية تحسس العرب بها خدودهم ، ثم واروا آثارها عن عيون المشاهدين ، ولم يجرؤ احد منهم ان يرفع صوته احتجاجا او يدافع عن نفسه اذى الامريكان ، وقد جاءت مذكرة الجامعة العربية في اسلوب هادىء رزين ، وهذا هو نصها :

« يهدي الامين العام لجامعة الدول العربية اذكى تحياته الى حضرة صاحب السعادة سفير الولايات المتحدة الامريكية ، ويتشرف بأن يبلغه ما يأتي باسم الجامعة ، وبناء على قرار صدر عن مجلسها بالاجماع في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٦ مع رجاء التفضل بابلاغه الى سعادة وزير الخارجية في واشنطن :

لقد انتهز مجلس الجامعة فرصة اجتماعه في دورته الحاضرة وتداول

فيما بدا خلال الشهور المنصرمة من تدخل امريكا في شؤون فلسطين ، وما يحدثه ما يصدر عن فخامة رئيس جمهورية الولايات المتحدة من تصرفات ، وما يبذله لدى الحكومة البريطانية من مساع ، وقرر لفت نظر حكومة الولايات المتحدة الى ما تحدث هذه التصريحات والمساعي من انزعاج كبير في البلاد العربية والعالم الاسلامي ، والى ما يترتب عليها من اساءة لطيب العلاقات التي ترغب دول الجامعة ان تظل دائما بينهما وبين الحكومة الامريكية .

كذلك تناول المجلس موضوع ما يبذل في مناطق الاحتلال الامريكى في اوربا من تشجيع وتسهيل للهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وهو يرجو ان تعمل حكومة الجمهورية على وضع حد لهذه التصرفات ، التي لا يمكن ان تفسر الا بالتحيز لاحد طرفي النزاع في القضية القائمة بين العرب واليهود ، والتي لا تزال موضع البحث والدرس املا في الوصول الى حل يزيل ما تراكم في النفوس كنتيجة للموقف الحالي البالغ الصعوبة ويوطد اركان السلام ، - وهو ما تنشده جميع الامم - الذي تحمل علم زعامته الحكومة الامريكية في كل ما تناصره من مبادئ سامية (٩) .

على ان هذه المذكرة التي تحوى من عبارات الزلفى والملق لامريكا اكثر مما تتضمنه من عزم العرب على الوقوف تجاه من يحارب حقهم ، لم تلق من ترومان الا ردا ينم عن روح الاستخفاف بحقوق عرب فلسطين ، والاصرار على دعم المطالب الصهيونية ، وقد جاء في رده :

« لقد طلبت الى حكومتى ان اعرب عن بالغ ارتياحها لروابط الصداقة المتينة التي تربط الولايات المتحدة بجميع الدول العربية ، وعن املها في ان تزداد الصداقة توثقا ، ولقد احيطت حكومتى علما بتقرير المجلس ، از اهتمام حكومة الولايات المتحدة بقضية فلسطين والتصريحات الاخيرة التي ادلى بها رئيس الولايات المتحدة بخصوص فلسطين قد سببت قلقا شديدا في سائر الدول العربية والعالم الاسلامي ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الاولى عاضدت الولايات المتحدة حكومة وشعبا فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، واذن فحكومتى انما تتصرف طبقا لسياسة الولايات المتحدة التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير التي ترمي الى تعزيز وابرار هذه الفكرة الى حيز الوجود » .

الى ان يقول ذلك الرد الاميركي : « ان كثيرا من اليهود المشردين يتظلمون

(٩) نقولا الدر : هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٢ مطابع دار الحوادث ، ص ١٤ وانظر ايضا جريدة الاهرام العدد الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٤٩ .

(٧) صلاح دسوقي ، امريكا مستعمرة صهيونية ، ص ٢٠

(٨) وهم بارناباروخ ، دافيد نايلز ، ادوارد جاكسون ، سام روزلمان ، سلفر ، روبرت نانان ، هيريت سواب .

الى فلسطين كملجأ ، وأنه لبيدو مخالفا للمبادئ الانسانية لجميع الشعوب انكار حق الباقين الان في مراكز المشردين في اوربا في البحث عن ماوى لهم في بلاد اخرى ومنها فلسطين .

ويروي باحث عربي بعد ان نقل هذا الرد كاملا عن جريدة الاهرام ما اوردته الجريدة المذكورة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٩ من ان مجلس الجامعة عندما استعرض امر هذه المذكرة القاسية تلقى اقتراحا من السيد هنري فرعون ممثل حكومة لبنان ان يبقى الموضوع في طي الكتمان ، وطلب دولة السيد رياض الصلح سحب مذكرة الجامعة من ايدي الاعضاء ، فوافق المجلس على ذلك (١٠) .

وهكذا جاء رد امريكا على العرب يمثل صفة ساخرة قوية ، وكل ما يبذله اثنان من كبار رجالهم هو ان اقترحا اخفاء الموضوع وتناسيه بل سحبه من ايدي الاعضاء وكأنه لم يكن .

وامريكا التي تطالب بفتح ابواب فلسطين للمهاجرين اليهود تقفل ابوابها في وجههم ، وقد ثبت انه بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٩ دخل فلسطين ٢١٨.٠٠٠ مهاجر ، بينما لم يدخل الولايات المتحدة والبرازيل واستراليا والارجنتين كلها سوى ٢.٧٤.٠٠٠ في حين ان مساحات هذه الاقطار اكبر من مساحة فلسطين بمئات المرات (١١) .

ولعل قصة هذه المذكرة العربية ، ورد امريكا عليها تقرب الى اذهاننا صورة الموقف عام ١٩٤٧ سواء بالنسبة لموقف العرب مع شعب فلسطين العربي ، او بالنسبة لموقف القوى العالمية منه ، ذلك ان موقف العرب كان موقفا متخاذلا ضعيفا واهنا يود للفلسطين الخير ، ولكنه لا يملك تقديمه ، ويخشى الدول الكبرى ويتملقها ويحاول ان يخادع ويرضى ان يخدع ، وبذلك فشعب فلسطين حتى ذلك العام ومنذ عام ١٩١٨ كان وحده في الميدان تجاه الصهيونية والصليبية ، اما موقف القوى العالمية فيتمثل في هذا المظهر الصهيوني الامريكى وما يلحق به من مواقف الدول الاخرى التي تسابقت تايبدا له وسيرا معه ، ويتمثل ايضا في المراوغة البريطانية التي استمرت طوال انتدابها ثلاثين عاما تخادع العرب باللجان والمؤتمرات . وتسلط كل قواتها لتهرب الشعب العربي في فلسطين ، ثم لجأت الى اشراك امريكا رسميا في بحث القضية الفلسطينية وهي بذلك انما تسرع الخطى

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦

(١١) تقرير اللجنة الدولية عن فلسطين ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

نحو الهدف الاكبر في طمس عروبة فلسطين ثم تهويدها .

٢ - انجلترا تصر على تهويد فلسطين :

كان راي الانجليز منذ دخولهم فلسطين هو ان يجعلوها وطنا قوميا لليهود ، وذلك بترقية اوضاع اليهود في اركانها الثلاثة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وقد نفذوا طوال انتدابهم هذه البرامج بما في مفهومها من محاربة العرب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ولقد كان واضحا ان العرب خسروا من الانتداب البريطاني ما لم يخسره اي شعب آخر ، فقد كان لهذا الشعب ممثلوه في البرلمان العثماني يرفعون صوته ويقدمون رايه ، ويدافعون عنه ، واصبح مع الانتداب شعبا مهاجما في داره ، فرضت عليه الدولة المحتلة جنسا غريبا غنيا مثلها لاثبات وجوده ، وافنى الشعب الفلسطيني عشرات السنين يرفع عقيرته بالاحتجاج ، ويقدم ارواحه في الثورات ، دون ان يهتم به سادة بريطانيا او يغيروا من سياستهم .

وكان الشعب الفلسطيني لا يدفع الا القليل من الضرائب زمن الحكم العثماني فاثقلته بريطانيا بالضرائب تفرضها على الاملاك والبناء والارض والايراد والحيوان ، حتى بلغت ٣٣٪ ولم تكن تصرف حصيلتها لصالح الشعب العربي ، بل يذهب اغلبها لصالح المستعمرات اليهودية التي تمد لها الطرق ، وتوصل بمحطات السكك الحديدية ، وتساعد للنمو في جميع احتياجات الحياة .

وكان الشعب الفلسطيني يمثل جزءا من بلاد الشام ، له تجارته وحاصلاته ، مستورا قليل الفقراء ، وجاء الانتداب البريطاني وبمكر خطير سن له القوانين التي سهلت اغتصاب اراضيه ، واصدر اللوائح التي منعت تصدير حاصلاته ، حتى وقع تحت طائلة الرهون والديون وحجز على الارض وانتشر فيه الفقر والعوز .

وكان في فلسطين بنك عقاري للدولة العثمانية يسهل القرض ، ويراعي حالة المزارعين ، فاغلقت ابوابه ، وحجز على المزارعين دون اناحة فرصة للسداد ، وتكالبت البنوك اليهودية تنتشر بقدرتها المالية ، فاقبل كاهل العربي بالفوائد والديون والضرائب وانخفاض اسعار حاصلاته وتكدس انتاجه ، واضطر لشراء احتياجاته من الصناعات اليهودية المحمية بقوانين المندوب السامي .

وما كادت تصل سنة ١٩٣٩ حتى بدا للميان ان بريطانيا قد اوفت

بعدها لليهود على حساب العرب .

« ان مؤتمر حزب العمال يعلن انه لازالة السبب الاساسي للام اليهود ، ولضمان بقائهم ونموهم الحر ، يجب ان يدعم النمو المطرد للوطن القومي اليهودي في فلسطين بالهجرة والاستيطان بمساعدة دولية ، ويجب ان يسمح للشعب اليهودي ان يستغل الى الحد الاقصى مقدرة القطر الاقتصادي ولاستيعاب المهاجرين ، والمؤتمر بتأكيد ثانياً تأييده التقليدي لانشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين فانه يشدد على الالتزامات الخاصة المفروضة على بريطانيا بموجب تصريح بالفور والانتداب ، ويكرر ايمانه بان هذه السياسة تهيء الاسس للتعاون السلمي المستمر بين العرب واليهود في فلسطين ، ويصرح المؤتمر بوجود تمثيل الشعب اليهودي تمثيلاً كافياً عندما يبحث مؤتمر الصلح المسائل التي تؤثر عليهم » .

وعندما انعقد مؤتمر حزب العمال في لندن عام ١٩٤٣ أعلن :

« ان مؤتمر حزب العمال يعبر من جديد عن الفزع والسخط اللذين ينظر بهما العالم الى حملة هتلر الوحشية في افناء يهود أوروبا ، ويصرح بأن عملية الانتقاذ يجب ان تكون على مقياس يتناسب مع هذا الجرم الفريد ، ويؤكد المؤتمر من جديد سياسة حزب العمال التقليدية التي تحدد بناء فلسطين كوطن قومي لليهود ، ويطلب ان تعطي الوكالة اليهودية السلطة لان تستغل لاقصى حد مقدرة البلاد الاقتصادية لاستيعاب المهاجرين وأن تستثمر القطر بما في ذلك الاراضي الخالية وغير المستغلة » .

فليطرد العرب :

وتستمر روح بريطانيا متمثلة في حزبيها الكبيرين تسير مع التهويد خطوة خطوة ، ويوما بعد يوم ، حتى اذا قاربت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء تتبدل لهجة حزب العمال في بياناته ، فهو لم يعد يطلب لليهود ذلك الوطن القومي الغامض المعنى ، ولا يكتفي بالهجرة والاستيطان ، لقد اوشكت الحرب على الانتهاء ، ولم تعد تهذئة العرب تشغل احدا منهم ، فافصح عن الهدف الاعلى ، وطالب باجلاء العرب عن فلسطين في قراره الخطير الذي اصدره في لندن عام ١٩٤٤ :

« ها نحن وقفنا في مفترق الطرق حائرين بين السياسات المتناقضة ، ولكن الشيء الاكيد هو انه لا امل ولا معنى لـ (وطن قومي لليهود) ما لم نكن على استعداد للسماح لليهود (ان هم رغبوا) في دخول هذه البلاد الصغيرة (فلسطين) بأعداد كبيرة لكي يصبحوا اكثرية ... لقد كانت هناك قضية قوية لهذه الغاية قبل الحرب ، وتوجد اليوم قضية لا تقاوم

وحين نشرت بريطانيا كتابها الأبيض ظن البعض انها بدأت تغير موقفها ، وانها وان لم تطلب من اليهود الدخلاء مغادرة فلسطين ، فانها سوف توقف الهجرة في الموعد المحدد ولن تسمح بقيام دولة يهودية ، وسوف تنفذ وعدها باستقلال فلسطين بجميع سكانها ، وان العرب سوف يكونون فيها اصحاب اغلبيية تساوي الثلثين ، ولكن هذا الخيال كان يبرأ خادعا ، فاستمرت الهجرة بعد ذلك دون توقف ، وتعاقت بواخر المهاجرين المهريين ، وسمح للعديد منها بالرسو والانزال .

ومهما تخالفت الاحزاب البريطانية في سياستها الداخلية او في موقفها من بعض مشكلات السياسة الخارجية ، فان الحزبين الرئيسيين فيها كانا يتفقان دائما على مساندة اليهودية العالمية ، وقد مرت بنا امثلة من تأييد حزب المحافظين للصهيونية ، واما حزب العمال فقد صدر عن مؤتمر هيئته البرلمانية عدة قرارات في سنوات متعاقبة تضمنت تأييدا سافرا لليهود في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، بدعوى ان انشاء هذا الوطن المرتجى يؤدي الى القضاء على آلام اليهود وضمان بقائهم ونموهم الحر ، وطالبت هذه القرارات بدعم نمو الوطن القومي اليهودي نموا مطردا عن طريق المساعدات الدولية تبذل لتهجير اليهود وتوطينهم في فلسطين ، كما طالبت هذه القرارات الحكومة البريطانية الوفاء بالتزاماتها ، في ضوء تصريح بالفور وصك الانتداب ومنح الوكالة اليهودية مزيدا من السلطات .

وبات حزب العمال يطلق على هذه المطالب التي يرددها في اجتماعات هيئته البرلمانية اسم « السياسة التقليدية لحزب العمال » .

وسنمر مرورا سريعا على بعض هذه القرارات تديلا على انغال حزب العمال في هذه السياسة التقليدية ، ففي سنة ١٩٣٩ اصدرت الهيئة البرلمانية للمؤتمر في « ساورثبورت » القرار التالي : « ان مؤتمر الهيئة البرلمانية لحزب العمال يؤكد ثانياً التأييد التقليدي الذي توليه حركة العمال البريطانيين من اجل اعادة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، ويعترف بأن فوائد جلى للجماهير العربية قد نجمت عن الهجرة والاستيطان اليهوديين ، ان هذا المؤتمر لمقتنع بتوفر امكانية التعاون السلمي المستمر بين الشعبين العربي واليهودي في فلسطين في ظل الانتداب وسياسة وعد بالفور » .

ومضى حزب العمال على سياسة الصهيونية فاصدر في عام ١٩٤٠ القرار التالي :

بعد وقوع الفظائع التي لا توصف لخطة النازي المرسومة عمدا لقتل جميع يهود أوروبا ، ويوجد هنا في فلسطين بالتأكيد قضية تقوم على اعتبارات انسانية لانجاح استيطان ثابت ونقل السكان، فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون ، ان للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم فحجب الا يطالبوا باخراج اليهود من فلسطين الضيقة والتي تقل عن مساحة ويلز ، وبالْحَقِيقَة يجب علينا ان نعيد دراسة امكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن .

٣ - انجلترا تشارك أمريكا لتنفيذ التهويد :

تولى حزب العمال الحكم في بريطانيا خلال عام ١٩٤٥ ، وتوالت الاتصالات بينه وبين ترومان رئيس الولايات المتحدة ، فسلكت بريطانيا خطوتين نحو النكبة ، كانت الخطوة الأولى اشراك أمريكا اشراكا رسميا في بحث القضية ، على حين كانت الخطوة الثانية ايفاد لجنة مشتركة منهما لتضع تقريرا يطابق سياستهما .

اعلن المستر بيغن وزير الخارجية البريطانية انه بالتفاهم مع أمريكا سوف تؤلف لجنة بريطانية أمريكية تكون مهمتها :

١ - بحث احوال فلسطين العامة بالنسبة لتأثرها بهجرة اليهود .

٢ - بحث حالة اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد في أوروبا ، واحصاء من يود منهم الزواج الى فلسطين او غيرها .

٣ - تقديم التواصي لبريطانيا وأمريكا لايجاد حل لقضية فلسطين .

واعلن ايضا وزير الخارجية البريطانية ان الهجرة اليهودية سوف تستمر الى ان يرفع تقرير هذه اللجنة ، وهكذا مزق المستر بيغن الكتاب الأبيض ، وهدم ما كان قد حدده ذلك الكتاب بل زاد تعقيد القضية بادخال أمريكا طرفا فيها .

وفوجيء العرب بهذا التطور ، فان هذا الموقف الجديد يضيف رسميا الى صف الصهيونية أمريكا كطرف ونصير جديد ، وأمريكا ليست صاحبة الانتداب في فلسطين حتى تبحث قضيتها ، وليست شريكة في ذلك الانتداب ، ولم يطلب منها سكان فلسطين ان تكون طرفا في النزاع ، وكل علاقتها بفلسطين هو عطفها وتأيدتها للأمانى الصهيونية .

ونشرت الهيئة العربية بيانا بعد انفضاض مؤتمرها ، نددت فيه بنقض بريطانيا لسياستها التي وضعتها بمحض اختيارها في كتابها الأبيض

لعام ١٩٣٩ وقالت :

« ان العرب يعارضون بكل قواهم دخول مهاجر يهودي واحد الى فلسطين ، ان فلسطين ملت سياسة ايفاد لجان التحقيق ، وهم يعتبرون قضية فلسطين قضية بينهم وبين بريطانيا ، ولا يعترفون لاي فريق بالتدخل ، ولا يقرون لاي شعب آخر او دولة أخرى بحق تقرير مصير بلادهم ، ولذلك فهم يستغربون اشراك بريطانيا للولايات المتحدة في هذه القضية ، وان العرب اذ يرفضون بيان مستر بيغن يعلنون تمسكهم بمطالبهم القومية والانسانية » .

ولكن هذا الاعتراض العربي لم يجد اذنا صاغية في لندن ولا في واشنطن ، اما لندن فقد كان مندوبها السامي في فلسطين يصدر قبل وصول اللجنة المشتركة بيانا عجيبا لا قبل له في تاريخ المنطق المعوج :

« ليس من العدل ان تقف الهجرة اليهودية انتظارا لتوصيات اللجنة ، وسوف تستمر الهجرة بالمعدل المقترح ، وهو الف وخمسمائة مهاجر سنويا » .

واما في واشنطن ، فقد اتخذ مجلس الشيوخ والنواب قرارا اجماعيا يطالب فيه حكومته بالتوسط لدى الدولة المنتدبة لفتح ابواب فلسطين لهجرة اليهود ، وقيام دولة يهودية ديمقراطية .

وكان التصريح البريطاني الذي اصدره المندوب السامي ، وكذلك القرار الأمريكي كلاهما يمثل ايهاء الى اللجنة البريطانية الامريكية المكونة من اثني عشر عضوا عرف معظمهم بميولهم الصهيونية ، وكان لندن وواشنطن انما بعثتا بمندوبيهما ليقولا ان الهجرة يجب ان تستمر ، ان فلسطين يجب ان تشهد دولة يهودية ، وكان قرارا متخذ قبل التحقيق والاستقصاء .

وجاءت اللجنة المشتركة ، واستمعت لآراء عشرات من الاشخاص والزعماء والحكومات ، وتفرغت الى لجان ، جال بعضها في الاقطار العربية واوروبا ، واحاطت هذه اللجان بآراء الفنينين والمؤرخين والسياسيين ، وكلها تفيد ان فلسطين لا تحل المشكلة اليهودية وان العرب اصحاب هذه الارض من آلاف السنين ، وان خلق دولة يهودية او وطن يهودي يسعى لاكثرية يهودية هو عمل من شأنه خلق اضطراب مستمر في المنطقة ، وهو استهانة بالسلام في هذه المنطقة المهمة من العالم ، ولكن كل ما استمعت له اللجنة المشتركة لم يغير شيئا من روح الصهيونية والصليبية الاستعمارية

لدى اعضائها .

٤ - تميم قضية فلسطين في اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمر لندن :

كان العالم العربي يفور غضبا كصدي طيبي لتوصيات لجنة التحقيق الأمريكية البريطانية ، وكان الوطنيون يطلبون أن تكون مواقف الدول العربية من الحزم والشدة ، بدرجة توقف الانجليز والأمريكان عند حدهم ، وتنادى ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع شهادته بلدة « أنشاص » في مصر (١٣) وضم ملك مصر وأمير شرق الأردن ورئيسي جمهوريتي سوريا ولبنان وأميرين من السعودية واليمن والوصي على عرش العراق (١٤) .

وقرر المجتمعون التمسك بالاستقلال لفلسطين وعروبته ، وتأليف هيئة تمثل الفلسطينيين وترفع صوتهم عالميا ، ولحق بمؤتمر الملوك والرؤساء مؤتمر الجامعة العربية الذي انعقد استثنائيا في بلودان بسوريا خلال يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، وبدا المظهر وطنيا ، وكوّن المجلس لجنة خارجية ولجنة داخلية ، وانيط باللجنة الخارجية وضع رد باسم الجامعة العربية على مقترحات لجنة التحقيق المشتركة ، أما الداخلية فقد قررت تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا ، تخصص لها الجامعة العربية مليون جنيه سنويا ، وتواصل اعمالها لصالح القضية ، وقررت تلك اللجنة انشاء لجنة مركزية داخلية تكون تابعة للهيئة العليا ، وتمدها الجامعة بمليون جنيه أخرى سنويا للعمل على انقاذ الأراضي .

ولكن هذه القرارات على ما فيها من مظهر الجدية ، لم تكن عملية بالنسبة لفلسطين ، ذلك أن المبلغ المحدد لا يعني شيئا بالنسبة لاهمية القضية وخطورتها ، وماذا عساه أن يكون مبلغ المليون جنيه الموعود للهيئة العربية ، والقضية تحتاج لجهد عالمي يستطيع ان ينافس ملايين اليهود في المجتمعات العالمية وفي دور الصحف وأجهزة الاعلام في العالم . وماذا يستطيع أن يفعل المليون الآخر لانقاذ اراضي فلسطين ، وامام هذا المليون من الجنيئات العربية اعداد هائلة من ملايين جمعية الأراضي اليهودية .

ولكن على الرغم من ضآلة هذا الجهد الذي قرره سبع دول عربية تزيد مجموعات ميزانيتها عن الف مليون جنيه سنويا في ذلك الوقت ، فان هذين القرارين لم ينفذا بل لم يقرأ .

(١٣) كان ذلك في ٢٨ من مايو ١٩٤٦ .

KIMCHE JON; SEVEN FALLEN PILLARS, THE MIDDLE EAST, (١٤)
1915-1950. LONDON 1950 P.P. 54-60.

وجاء تقرير اللجنة المشتركة مطابقا للسياسة البريطانية والأمريكية التي عملت دائما على مساندة الصهيونية ، وهذا جزء من ذلك التقرير :

« يجب أن يصرح في الحال بادخال مائة ألف يهودي الى فلسطين ، ممن كانوا ضحايا للاضطهاد النازي والفاشي ، وأن تمنح اذونات الدخول بالسرعة الكافية خلال عام ١٩٤٦ ، وأن تطلق حرية التصرف بالأراضي ، بغض النظر عن العنصر والطائفة او المذهب ، وأن تضمن حماية صفار الملاك والمزارعين والمستأجرين حماية وافية ، وأن يكون واضحا ان فلسطين لن تكون دولة يهودية ولا دولة عربية ، وأن الدستور يجب أن لا يجعل الكلمة العليا للكثرة العددية اذا اريد اقامة حكم حقيقي لكلا الشعبين ، والى ان يرجع الى الامم المتحدة توصي اللجنة أن تتولى الدولة المنتدبة ادارة فلسطين وفق صك الانتداب الذي يضمن تسهيل الهجرة اليهودية » .

ويصف مؤلف عربي توصيات تلك اللجنة فيقول :

« ان توصي هذه اللجنة ترديد لما أبداه مستر ترومان من رغبات ، وان الرقم الذي اقترحه وهو مائة ألف بالذات دل على انها جاءت لاقرار سياسة مرسومة معلومة ، وهي تحقق للصهيونية من الاماني ، ما لم يكن الصهيونيون يحلمون بتحقيقه في مثل هذه السرعة . وهذه التوصاي لا ارتباط بينها مطلقا وبين ما ذكرته اللجنة من حقائق وما وقفت عليه من معلومات ، وهي تنم عن تجاهل تام لقوة القومية العربية وحققها في الحياة ، وتنكسر لمصلحة دولة عربية ، وتوصي اللجنة بالألا تكون فلسطين عربية ، ولا دولة يهودية ، والا يقوم اي نظام دستوري يعطي الاغلبية سلطة الحكم ، ومعنى هذا انها تساوي ظلما في الحق والمركز بين اصحاب البلاد واكثرية سكانها ، وبين اقلية طارئة ، وهي في سبيل الاقلية اليهودية الدخيلة تنسف كل ما تعارف عليه البشر، وقامت عليه حقوق الدول ودساتيرها . على ان افكار لجنة التحقيق لحق عرب فلسطين في الاستقلال من اجل خاطر الاقلية اليهودية يناقض نص الفقرة الرابعة من المادة ٢١ من ميثاق عصبة الامم ، التي تعترف برشد البلاد العربية وجدارتها بالاستقلال ، كما انه يناقض ميثاق الامم باعتبارها وثيقة دولية واجبة الرعاية (١٢) » .

(١٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢٢٢ .

الاجتماع العربي في بلودان :

ان فكرة عقد اجتماع استثنائي للجامعة العربية في بلودان ، وعلى بعد ستين ميلا من دمشق ، لا يمكن ان يكون المقصود بها الا اختيار مكان بعيد عن الرقباء ولاقطي الاخبار ، واجهزة المخابرات الأجنبية ، حتى يستطيع العرب ان يبحثوا ويحصوا دراسة اخطر قضية تواجههم وتهدهم ، ولكن اولئك العرب الذين اجتمعوا في بلودان عام ١٩٤٦ لم يكن أغلبهم يملك نفسه ، ولا يعترف لها باستقلاله ، فقد لحق بالمجتمعين الجنرال كلايتون رئيس مخابرات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، ورافقه المستر برايانس المدير المساعد للمخابرات البريطانية في فلسطين وهو المختص بالشؤون العربية فيها ، ولم يجرؤ عربي واحد ان يستغرب وجود هذين الانجليزين الخطرين ، بل ولم يستطع العديد من اولئك المجتمعين ان يبعد عن لقاها والتحدث اليهما .



البريجادير كلايتون ممسكا معطفه بمطار بيروت
في طريقه الى بلودان حيث يجتمع العرب

وسرعان ما اصبح الفندق الصغير الذي يسكنه كلايتون وبلودان مقصدا للمؤتمرين من رجالات العرب ، ثم سرعان ما تفتحت ابواب فندق بلودان الكبير امام كلايتون نفسه ، واصبح وسط قاعاته محط الانظار . . والاسرار (١٥) . ومنذ ان دخل كلايتون بهو فندق بلودان الكبير ، جاءت قرارات الجامعة على وفاق لا خلاف فيه مع ما قرره بريطانيا قبلا ، واعلنه بيغن وزير خارجيتها .

وبهذه الروح الكليتونية قرر مجلس الجامعة العربية مفاوضة الحكومة البريطانية (وزارة العمال التي قرر مؤتمرهم قبل شهر وجوب اخراج العرب من فلسطين بينما اليهود يدخلون) لحل قضية فلسطين ، فاذا فشلت المفاوضات تعرض القضية على الأمم المتحدة ، وليس من شك في ان هذا القرار يكاد يكون من صياغة كلايتون .

ومنذ قريب اعلن بيغن عزمه على نقل القضية للأمم المتحدة ، بعد ان اشرك فيها امريكا ، وما كان قرار الجامعة العربية الا موافقة في نقلها لتلك الهيئة التي تسيطر عليها بريطانيا وامريكا ، وما كانت بريطانيا بذات امل للنجاح العربي ، ولم تكن الاولى ولا التجربة العشرين .

ان القرار الذي اتخذته الجامعة في بلودان ، والذي كاد ان يكون عمليا وهو تخصيص جانب مالي من خزينة الجامعة العربية لصالح شعب فلسطين ، هذا القرار اهمل وترك جانبا ولم يحظ بالتنفيذ ، ولكن القرار الذي يدعو الى مفاوضة بريطانيا سرعان ما اخذ طريقه الى الوجود ، وخلال نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٤٦ انعقد مؤتمر لندن الذي اقترحتة دول الجامعة العربية ونال موافقة بريطانيا ، فدعت اليه .

وحاولت بريطانيا ان تخلق تصدعا في صفوف الفلسطينيين (١٦) ، والقضية تجتاز مرحلة خطيرة ، فطلبت الى السيد جمال الحسيني باعتباره نائبا لرئيس الهيئة العربية العليا التي الفها مجلس الجامعة العربية في بلودان بتاريخ ١٢ يوليو (تموز) ١٩٤٦ ان يؤولف وفدا يشارك العرب بحث القضية في لندن ، وفي نفس الوقت ابلغ المندوب السامي السيد جمال الحسيني ان بريطانيا قد وجهت الدعوة الى اربعة فلسطينيين ليكونوا اعضاء في الوفد (١٧) ، ولم يكن هذان الاجراءان البريطانيان الا فتنة مقصودة ، فهي توجه دعوة الى الهيئة العربية عام ١٩٤٦ ، باعتبارها ممثلة عرب فلسطين ، وهي نفسها توجه دعوة اخرى الى اربعة اشخاص فارضة

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٠ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

(١٧) هم : سليمان طوقان ، انطون عطا الله ، موسى العلمي ، يوسف هيكل .

ان يحدث ابدا ، وتعترف لليهود بالحكم الذاتي وباستقلال تعليمهم ورسمية لغتهم .

ان هذا الضعف العربي الذي برز للعيان في المؤتمر ، يحاول به اصحابه تأجيل نكبة هم مدركوها ، وهم لا يزنونها وزنها الحق ، بل هم اضعف من ان يقرروا اخطارها ويسبروا اغوارها .

ومع هذا لم ترحب بريطانيا بالمشروع العربي على ضعفه وهوانه ، فهي تطلب لليهود أكثر من هذا ، واقترحت تأجيل المؤتمر لينعقد من جديد في فبراير (شباط) ١٩٤٧ ، وعلم الفلسطينيون بالمشروع العربي ، فاستنكروه ، وطلبت الهيئة العربية الى دول الجامعة أن يستشار عرب فلسطين فيما يخصهم ، ولكن بريطانيا التي تسلمت المشروع العربي واعتبرته مستندا بيدها ، لم يعد يرهبها حضور الفلسطينيين ، فحين انعقد المؤتمر لثاني مرة ، وجه المندوب السامي دعوة رسمية الى الهيئة العربية لايفاد وفد الى لندن ، وهكذا أعلن بيغن وزير الخارجية البريطانية في ٤ من فبراير (شباط) ١٩٤٧ أن بريطانيا لا يسمها الا رفض المشروع العربي « لان اليهود لا يوافقون عليه ، ولانه يخشى ان يقوموا بحركة عنف ضد الحكومة اذا هي قبلته .. »

ثم قدم بيغن مشروعا جديدا يتلخص في « وضع البلاد تحت حماية دولية لمدة خمسة اعوام ، وتقسيمها الى وحدات ادارية ، وبعد اربعة اعوام تحاول جمعية عربية يهودية سن دستور فلسطين المستقلة ، فاذا اتفقت اكثرية اعضائها اليهود واعضائها العرب أعلن الاستقلال ، والا رفعت القضية الى الأمم المتحدة » .

ويحدثنا احد مندوبي الشعب الفلسطيني في مؤتمر لندن فيقول :
« لقد انتهى مؤتمر لندن بفشل ذريع للعرب ، وريح البريطانيون واليهود هذه الجولة ، اذ حصلوا من الدول العربية بطريق رسمي بفضل المشروع العربي على تنازل عن بعض المبادئ والحقوق التي ما يرح الفلسطينيون وابناء الشعوب العربية يسفكون دماءهم في سبيل الدفاع عنها والعمل على تحقيقها(١٨) » .

٥ - القضية امام الأمم المتحدة :

لقد قررت بريطانيا منذ امد بعيد انها سوف تحيل القضية الى الامم المتحدة ، وجاء بعدها مجلس الجامعة العربية المنعقد في بلودان ، فقرر ايضا انه اذا لم يتفق مع بريطانيا فسوف يرفعها الى الامم المتحدة ، والامم

لهم في الوفد ، وكان طبيعيا ان ترفض الهيئة ، وكان وطنيا ان الاعضاء الأربعة انفسهم الذين اختارتهم بريطانيا رفضوا ذلك الترشيح ، واعلنوا عن تأييدهم للهيئة ، وأنه لا وفد الا من تختاره وسافرت الوفود العربية الى لندن ، ورفضت بريطانيا حضور الوفد الفلسطيني دون اربعة معينين . وحاول الفلسطينيون أن يحملوا اعضاء الجامعة العربية على الاصرار بوجود اشتراك عرب فلسطينيين في المؤتمر ، فهم اصحاب الحق ، وهم الذين اصطلوا بنار الانتداب ، وهم الذين غزت جموع المهاجرين اليهود بلادهم ، وهم احق الناس ان يرتفع لسانهم معلنا رأيهم في جناب كل مؤتمر .

ولكن الدول العربية عام ١٩٤٦ وهي ذاتها التي كان اغلب اعضائها يقضون الجلسات الطويلة مع كلايتون في بلودان ، لم تأبه لطلب فلسطين ولم تشغل به .

ولكن الفلسطينيين لم يياسوا من اخوانهم العرب ، فقد طالب مندوبهم اللجنة السياسية العربية المجتمعة في الاسكندرية سبتمبر (ايلول) ١٩٤٦ ان تمسك الوفود بالمطالب العربية والتي تلخص في ايقاف الهجرة اليهودية ، واقامة حكومة فلسطينية ، واعلان استقلال فلسطين .

لقد تقدم العرب في المؤتمر الى مستر بيغن وزير الخارجية البريطانية بمشروعهم الذي اطلق عليه يومذاك اسم « المشروع العربي » :

« اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين ، على الا يزيدوا في اي يوم من الأيام عن ثلث السكان ، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم للمحافظة على النسبة المذكورة وانشاء مجلس تمثيل لا يتجاوز اعضاء اليهود نسبة الثلث ، على الا يتخذ في ذلك المجلس اي قرار بشأن هجرة اليهود ومصالح اليهود الا اذا وافقت على ذلك القرار اكثرية الاعضاء اليهود ، على ان يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوق دستورية وبلغتهم العربية وبالاشراف على التعليم وبقنسط وافر من الحكم الذاتي ، وان يكون كل ذلك وسط دولة فلسطينية مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة تحالف » .

ان هذا العرض العربي لا يمكن أن يكون صادرا عن جماعة مؤمنة باستطاعتها استرداد حقها المنهوب ، ولكنه مظهر من مظاهر الهوان العربي الذي ادركته بريطانيا واحاطت به امريكا ، فالدول العربية عام ١٩٤٦ لا تتمسك بحضور شعب فلسطين للمؤتمر ، وتتولى وحدها حضوره والمناقشة فيه ، والدول العربية تقدم مشروعا يعترف باليهود اصحاب حق مكتسب ، وتعطيهم الوعود بأن الهجرة لا تتوقف الا بقرار من المجلس المشترك ، على شرط أن يوافق عليه اغلب الاعضاء اليهود وهو ما لا يمكن

(١٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٨٦ .

المتحدة هي من عرفنا جميعا عام ١٩٤٧/١٩٤٦ اكثرية من الدول الصغرى تخضع لنفوذ طاغ محطم تفرضه السياسة الامريكية ، وفي ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ عقدت الجلسة بناء على طلب بريطانيا في مقر الأمم المتحدة « ليك ساكيس » ، ومنذ الجلسة الاولى ظهر جليا ان الصحافة الامريكية تتبنى مطالب اليهود ، وتؤيد آمالهم وان بريطانيا وامريكا والدول التي تدور في افلاكهما يتفقون مع اليهود كامل الاتفاق ، وحين وصل وفد عرب فلسطين قابلته الصحف بمظاهر الاستهجان والسباب ناعته أفراد الوفد بكل ما في قاموس الصهيونية من عبارات نابية وتعبيرات وضیعة (١٩) . واستمعت الهيئة الى بن غوريون رئيس الوكالة اليهودية ، والى المستر « وايز » باعتباره ممثلا ليهود أمريكا ، فطالب الاثنان باعلان دولة يهودية في فلسطين ، ولاقى هذا الطلب تأييد الصحافة الامريكية ومحطات اذاعتها وبرامج التليفزيون فيها ، على حين لم يجد الرأي العربي الذي يفند طلب اليهود ، ويقيم الدليل على أن فلسطين بلد عربي ، الا جزءا صغيرا من عناية الصحافة الامريكية ، بل كان أغلبها يتولى الرد عليه ومحاربته .

وانتهت مناقشات اللجنة السياسية الى قرار بتأليف لجنة للتحقيق في قضية فلسطين تشترك فيها احدى عشر دولة (٢٠) . وانيط بتلك اللجنة بحث المشكلة الفلسطينية من جميع جوانبها ، والتعرف على احوال اليهود في اوربا ومخيمات اللاجئين ، وان ترفع هذه اللجنة توصيها الى الأمم المتحدة .

لم تكن نتائج هذه اللجنة خافية على احد ، فقد اصرت السياسة الانجلو امريكية أن تكون أغلبيتها ممن يسيرون في ركاب هذه السياسة ، بل ان بعض اعضائها كان صاحب رأي معروف لصالح اليهود حينما مثل بلاده في الأمم المتحدة من امثال مندوبي جواتيمالا ، هولاندا ، ارغواي (٢١) ، ثم انها لم تكن لجنة محددة العمل بالبحث في خير حل لقضية فلسطين ، بل طلب اليها ايضا ان تبحث وضع اليهود المشردين بأوربا في اعقاب الحرب العامة الثانية ، وبذلك ربط ذهنها بين مشكلة فلسطين وبين اولئك اليهود الذين هيأتهم الوكالة اليهودية للهجرة الى فلسطين ، وجاءت اللجنة بتكوينها المعجيب التحيز ، وجابت اجزاء كثيرة في أوربا والشرق ، ووصلت فلسطين .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٠) كانت هذه الدول هي : الهند - ايران - يوغوسلافيا - كندا ، اورغواي -

استراليا - هولندا - جواتيمالا - لوكسمبورج - السويد .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

ولنعرف ماذا يمكن ان تكون آراء تلك اللجنة لو كان هناك شك في تحيزها ، علينا ان نعرف شيئا مما فعلته بعد وصولها : كان من بين اولئك الاعضاء دكتور رالف بانس الذي تولى بعد ذلك منصب الوسيط الدولي في فلسطين ، وكان قبلها مرافقا لتلك اللجنة عام ١٩٤٧ تم له اجتماع سري مع عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية ، فلا يقول لها انكم تثورون لاغتصاب بلد غيركم ، وانكم تخلقون القلاقل لهدم البيوت على الامنين وتشريد السكان وقتل الأبرياء ، انه لا يقول لهم ذلك ، بل يشاركهم فهمهم . يقول مناحم بيغن زعيم عصابة الأرجون زفاي ليومي الارهابية : « لقد حرص أعضاء هذه اللجنة على مقابلي ومقابلة زملائي » ، وقال دكتور بانس « انتي تستطيع ان افهمكم تماما . . انسي مثلكم انتمي الى اقلية مضطهدة » ، اما الدكتور « هو » مساعد الامين العام للأمم المتحدة وسكرتير اللجنة الدولية لفلسطين فقد وجه كلامه الى زعيم العصابة ولما ونيه يعقوب كوهين وافرهم شمویل قائلا : « الى اللقاء في اسرائيل المستقلة » .

اما مندوب جواتيمالا دكتور جراندوس ومندوب الأرجواي برونسور فايريجات فقد ابديا الاسف المرير ان ظروفنا تحول دون اكرام اكثر لابناء اسرائيل قائلا : « كان بودنا لو قررنا ان تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع ان نطلب لكم اكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب (٢٢) » :

ان لجنة هؤلاء اعضاؤها لهي لجنة موظفين خط لهم طريق يسيرون فيه ، وما هي بلجنة تحقيق تشغلها كلمة الحق او تناديها عوامل الانصاف . ولهذا عادت تلك اللجنة لم يشذ عن باطلها الا مندوب الهند ويوغوسلافيا وايران ، اما الثمانية الباقون فقد جاءوا الى الهيئة يطلبون تقسيم فلسطين الى دولة يهودية لها الشواطئ الطويلة والمساحات الشاسعة الهامة ودولة عربية صغيرة لا تقوى على البقاء الطويل .

لقد اقترحت اكثرية اللجنة ان تؤسس الدولة اليهودية على مساحة ١٤٤٢٠٠٠٠٠٠٠ دونم وتحديد تلك الدونمات تبين انه كان يقيم فيها ٤٦٠٠٠٠٠٠٠ عربي ، ولا يزيد اليهود فيها آنذاك على ٥٣٠٠٠٠٠٠ يهودي ، وكان العرب يملكون فيها ثلثي الاراضي المسجلة والمعارات المملوكة . وكانت المناطق المقترحة لهذه الدولة تتألف من الجليل الشرقي ومرج ابن عامر والسهل الساحلي من اسدود ويشمل تل ابيب وبافا وحيفا الى قرب عكا مضافا اليها بشر السبع ومنطقة النقب .

(٢٢) ناصر النشاشيبي ، تذكرة عودة ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٤٩ .

٦ - الضغط الأمريكي وصودر قرار التقسيم :

وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ فاز اقتراح الاكثرية باغلبية ٣٣ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وبالعودة الى احصائية ذلك اليوم الكريه نجد أن الدول التي صمدت ضد التقسيم هي : « مصر - المملكة العربية السعودية - اليمن - سوريا - لبنان - ايران - أفغانستان - باكستان - العراق - تركيا » وهذه كلها دول عربية اسلامية ، ورافقاها من الدول الصديقة الهند واليونان وكوبا . اما الدول التي امتنعت عن تأييد الحق وايضا عن مباركة الجريمة فهي كل من : « الارجننتين - شيلي - الصين - كولومبيا - سلفادور اتيوبيا - هندوراس - مكسيك - يوغوسلافيا - بريطانيا » .

اما الدول التي نادى بالتقسيم وصوتت له فقد كانت الدول الصليبية الاستعمارية أو من يلوذ في فلكها .

ومن الملاحظات التي نسجلها في هذا الصدد أن يوغوسلافيا غيرت موقفها من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، فبعد أن رفضت التقسيم في لجنة التحقيق عادت فأيدته عند التصويت عليه في هيئة الأمم ، وبلاحتا . ايضا أن بريطانيا التي طبخت هذه المأساة حتى نهايتها خلال ثلاثين عاما تمتنع هي الأخرى عن التصويت ، انها مطمئنة الى أن المقدمات التي وضعتها في تاريخ طويل لا بد أن تنتج ما تريد من خلق جسم غريب وسط الوطن العربي الكبير .

اما الاتحاد السوفييتي الذي صوت مع التقسيم ونادى به ، فمن حقه على العرب أن يعذر في ذلك الموقف الاليم ، ذلك أن العالم العربي كله كان يقاطعه ، ويحاربه في المجتمعات والمؤتمرات ، وكان زعماء العرب قبل أن يبدأوا حديثهم عن مظالم بريطانيا يقدمون له بالحملة على الاتحاد السوفييتي باعتباره رائد الشيوعية ومصدرها العالمي ، واذا كنا نؤمن أن الهيئة الاممية لم تكن مكانا للبحث عن العدل ، فمن المنطق أن نتوقع موقف الاتحاد السوفييتي ضدنا أيام عزوفنا عن أن نمد له حتى يد التحية . ومنذ ثورة ٢٣ تموز (يوليو) العربية في مصر عام ١٩٥٢ تغير موقف الاتحاد السوفييتي واصبح سندا للقضية العربية في قرارات عديدة وسط الهيئة الدولية ، وما موقفه اثناء العدوان الثلاثي عنا يبعيد .

لئن تخاذل الزعماء العرب كثيرا تجاه القضية الفلسطينية ، فلقد احسوا بنارها حين شاهدوا المؤامرات تحاك لاقرار التقسيم في اروقة الأمم المتحدة ، ولقد جاهدوا جهادا صلبا في مسالك تلك الأروقة وفي سبيل واد قرار التقسيم ، ولكن القوى المعادية كانت أقوى منهم وأكثر .

اما الدولة العربية والتي كان المفروض أن تعطى لاهل البلاد الاصليين ، فكانت تحتوي ١١٦٥٨٩٠٨٧٠ دونم يقيم فيها ٦٥٠ ألف عربي ، واحد عشر ألف يهودي ، ولا يملك اليهود فيها الا نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ دونم وكانت الدولة اليهودية المقترحة حسب قرار التقسيم تشمل ٥٦٤٤٧٪ من مجموع اراضي فلسطين على حين تشمل الدولة العربية ٤٢٠٨٨٪ من تلك الأراضي ، اما منطقة القدس الدولية فكانت تشمل ما يساوي ٠٠٦٥٪ منها .

ولم تراخ تلك اللجنة حقوق الملكية الفردية ، ولا أي الجانبين اكثر املاكا ، فقد كان التقسيم يعطي لليهود دولة يملك العرب في اراضيها المسجلة رسميا ٣٠٥٧٧٠٨٢٥ دونم على حين لا يملك اليهود فيها الا ١٦٣٨٣٠٨٥٨ دونم ، وتملك طوائف أخرى ٥٠٠٩٠٠٠٠ دونم والباقي اراضي اميرية عربية كان يستغلها العرب ويتملكونها دون تسجيل ، وهي ملك لهم بالتقادم والاستعمال وباعتبار أن الوطن وطنهم .

اما الدولة العربية فكان العرب يملكون فيها ٨٠٨٤٨٠٢٩٠ دونم ، ويملكون ايضا باقي اراضيها المشاعة بين الأسر والقبائل ملكا تاريخيا بالاستعمال منذ الف عام ، ولا يملك فيها اليهود الا ٩٥٥٤٣ دونم ، وبينما تشمل الدولة العربية المقترحة ٥٦٨ مدينة وقرية كلها عربية و ٢٣ مدينة وقرية يهودية ، تشمل الدولة اليهودية المقترحة ٢٧٣ مدينة وقرية عربية و ١٩٧ مدينة وقرية يهودية وثلاث قرى مختلطة ، وكان ذلك التقسيم الذي اقترحه اللجنة تقسيما موغلا في الظلم لا يطبق عدلا ولا يساير منطقا .

واقترحت تلك اللجنة اقامة اتحاد اقتصادي للمرافق العامة ، كالطرق ووسائل المواصلات الحديدية ودعت الى وحدة الرسوم الجمركية ، وأن يكون لكل دولة دستور توافق كل دولة منهما على دستور الأخرى ، وتستقل الدولتان بعد مرحلة انتقال قدرها سنتان ، ويلاحظ أن مشروع التقسيم الجديد الذي اوضحناه آنفا هو صورة أخرى من مشروع التقسيم الذي اقترحه اللجنة الملكية البريطانية في سنة ١٩٣٧ ، واقترحت اللجنة اعطاء منطقة القدس صفة دولية ، ويعين لها حاكم عام لا يكون يهوديا ولا عربيا .

اما اقلية اللجنة المكونة من الهند ويوغوسلافيا وايران ، فقد اقترحت أن تنشأ في فلسطين حكومتان مستقلتان ذاتيا ، تؤلفان دولة اتحادية عاصمتها القدس ، على أن تختص الحكومة الاتحادية بشئون الدفاع الوطني والمصالح الخارجية والاقتصادية التي تهم الحكومتين ، ويراسها رئيس منتخب من مجلس الاتحاد ، ولا يسمح بالهجرة الا في المنطقة اليهودية ، على أن تكون في نطاق الامكان الذي تقرره لجنة تشمل تسعة اعضاء ، ثلاثة من العرب ، وثلاثة يهود ، وثلاثة مندوبين من الأمم المتحدة .



اعترف ترومان بإسرائيل بعد لحظات من اعلانها . واسرع وايزمان لرئيس امريكا ليقدم له بعد لحظات من اعترافه بعدالة الفصب تورااة اليهود ونجمة داؤد .

وليس اصرح من حديث وايزمان هذا الذي يعترف أنه كان قادا لاقناع ترومان بأن يكون التقسيم في النقب على أساس خط عمودي بين العرب واليهود ، فوجد ترومان أكثر منه حرصا على تسليم النقب لليهود .

وما دمنا نستشهد بما ذكره وايزمان من حقيقة تكشف تدخل ترومان لصالح اليهود بقوة وتصميم ، فلا بأس من أن نسجل أيضا ما ذكره أحد المنديبين العرب الذين عاصروا عملية التصويت ، وهو يتحدث عن كيف كسب اليهود للأصوات فيقول :

« كان المفروض أن تبلغ هذه الأصوات ثلثي أعضاء الهيئة ، وكما ممثلو الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثماني عشرة دولة من الدول التي تتألف منها الهيئة ، بحيث يستحيل أن ينال مشروع التقسيم أغلبية

ان امريكا تتحمل الوزر الاكبر في النهاية الاليمة لقضية فلسطين ، فهي التي أتمت ما بداته بريطانيا ، وهي التي ساعدت على اقامة اسرائيل وتشريد العرب وهزيمة قضيتهم ، لا يقول ذلك العرب الذين شهدوا تلك الجلسات الاليمة الحزينة فقط ، بل ان الصهيوني الدكتور وايزمان يسجله في مذكراته ويقول :

« عندما حمت المناقشات في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، وظهرت معارضة العرب الشديدة للتقسيم ، ادرك الوفد الأمريكي الذي يرأسه السفير المستر هيرشل جونسون أن من الواجب عمل شيء للتخفيف من حدة مقاومة العرب ولا سيما وأن الوفد الأمريكي غدا يعتقد أن مشروع التقسيم يعطي لليهود مساحات شاسعة من الأراضي الأمر الذي يثير شعور العرب ، فاعتزم التقدم بتسوية تبني على اقتطاع قسم من أراضي النقب بما فيه العقبة ، وضمه الى أراضي الدولة العربية المقترحة ، ولقد أصبت بفزع شديد عندما علمت بهذا الاقتراح ، وسافرت الى واشنطن حيث استقبلني مستر ترومان في يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ وشعرت في لقاءه بلطف وعطف شديدين ، وقلت للرئيس بعد حديث إجمالي عن النقب انه اذا كان لا مندوحة من تقسيم النقب فيجب أن يقسم على أساس خط عمودي لا على أساس أفقي ، وبذلك ينال كل من العرب واليهود جزءا من الأراضي الخصبة وجزءا من الصحراء ، ولكن العقبة يجب أن تكون يهودية(٢٣) » .

وحين جاء رئيس الوفد الأمريكي ليبلغ شرتوك وجهة النظر الأمريكية بشأن التقسيم في النقب ، وبينما كان يهم ببدء الحديث دق جرس التليفون ، وكان المتحدث مستر ترومان شخصا الى مندوبه مستر جونسون ، وانتظر شرتوك انتهاء المحادثة بقلق والم شديد ، وقد استمرت المكالمة نصف ساعة قضاها في كتابة والم ، وعندما انتهى الحديث التليفوني انصرف المندوب الأمريكي ، دون أن يبلغ كلمة مما كان يريد ابلاغه لشرتوك، ان الذي حصل هو ان المستر ترومان كان صادقا في قوله ، وانه بعد ساعات قليلة من اجتماعي به اصدر التعليمات اللازمة للوفد الأمريكي لبقاء النقب والعقبة من نصيب اليهود ، وفتح هذا القرار الأمريكي السبيل للتصويت في الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ على مشروع التقسيم، فنال أكثرية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا(٢٤) » .

(٢٣) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ، ص ٥٦١ و ٥٦٢

(٢٤) المصدر السابق .

الثلثين المطلوبة ، ولكن الصهيونيين ومن ورائهم أمريكا التي كانت تنصرهم ، بذلوا قصارى جهدهم وما يملكون من وسائل مغرية لاستمالة بعض المندوبين الذين كانوا قد أبدوا معارضتهم لمشروع التقسيم ، فتمكنوا من استمالة مندوبي هايتي وليبيريا وسيام ، ووقف هؤلاء الى جانب قرار التقسيم .

وفوجيء المندوبون العرب بعد أن وقف مندوب هايتي فقال والدمع يترقرق في عينيه : « انه ما يزال عند رايه الشخصي في معارضة التقسيم لكنه بصفته ممثلا لحكومته لا يسعه الا أن ينزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع » هذا بعد ان رفض الرشوة التي قدمها اليه موسى شاريت وقدرها اربعون الف دولار ، اما ليبريا فقد اضطرت للنزول على مشيئة الصهيونية ، والمطاط هو المورد الرئيسي لخزانة ليبريا ، واما سيام فقد استبدلت مندوبها الذي أبدى معارضته للتقسيم بمندوب آخر من مؤيديه ، وجاء هذا الاستبدال نتيجة وشاية اختلقها اليهود ، إذ اتهموا المندوب الأول بأنه لا يؤيد الحكومة الجديدة التي قامت في سيام اثر انقلاب داخلي ، فاستبدلته حكومته بمندوب آخر أيد التقسيم .

على ان اليوم المحدد للتصويت على قرار التقسيم وهو ٢٦ من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ كان يوما خطيرا في تاريخ الأمة العربية ، وتكتلت في ذلك اليوم الوفود العربية تؤيدها باكستان بمندوبها ظفر الله خان الذي اخلص الوقوف ضد مشروع التقسيم وناضل بصدق وعزم قويين ، أصبح ذلك اليوم والجميع يحذوهم أمل قوي في أن مشروع التقسيم لن ينال اغلبية الثلثين وهي الاغلبية المشروطة لقراره .

وما كاد الاجتماع ينعقد حتى وقف المندوب الأمريكي يطلب التأجيل الى ما بعد عيد الشكر الذي سيكون في اليوم التالي ، مدعيا أن عددا كبيرا من الاعضاء يطلب الكلام ، وأن الوقت لا يتسع لذلك ، وتنازل مندوبو الدول العربية عن حقهم في القاء كلماتهم توفيراً للوقت ، واصرارا على اجراء التصويت في تلك الجلسة ، ولكن الرئيس البرازيلي « اوسولد وارثا » ابن الا التأجيل (٢٥) ، ومضت أيام ١٧ ، ٢٨ تحت تصرف الرئيس الأمريكي ترومان ووفوده ونفوذه ، فأثرت أمريكا على المندوبين واكتسبت من الاصوات قلة افادتها .

على ان المؤامرة الجديدة التي اجلت موعد التصويت بغية كسب اصوات للصهيونيين ، لم تعد سرا او قولا يردده العرب وحدهم ، فقد

(٢٥) القضية الفلسطينية ، ص ٢٠٢ .

اثبت احد الكتاب اليهود ما يفضح سر ذلك اليوم الخطير وقال : تمكن الصهيونيون من اقناع بعض مندوبي الدول كي يطلبوا تأجيل الاجتماع ، فتأجل ، ولا يعلم احد الى الان كيف تأجل ، والذي اجله هو مندوب البرازيل الذي كان رئيسا للهيئة ، وعندما اجتمعت الهيئة يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) وقف مسيو بارودي مندوب فرنسا يطلب التأجيل لمدة ٢٤ ساعة (فتم تأجيل جديد) وعندما حل يوم التصويت ، كان اليهود قد تمكنوا من استمالة بعض الاعضاء بحيث نال المشروع اغلبية الثلثين (٢٦) .

ويقول الزعيم السوري المرحوم فارس الخوري وكان يومئذ ممثلا لسوريا في مجلس الامن :

« ان هيئة الامم اقرت مشروع التقسيم باغلبية صوتين اثنين وان المعركة بلغت اشدها في اليوم الذي سبق قرار التقسيم ، وان معظم الدول كانت تؤيد العرب في وجهة نظرهم ، لولا تدخل الولايات المتحدة التي راحت تؤثر على مندوبي الدول واحدا واحدا ، وتضغط عليهم ضغطا متواصلا وانتي لاذكر أن مندوب الفلبين بعد أن وعد بتأييدنا اضطر الى الهرب حتى لا ينقض وعده ، استجابة للضغط الامريكى ، وان مندوب هايتي بكى امامي لان مصالح بلاده مع أمريكا اقدس من مصالح العرب ، ولهذا اضطر أن ينقض وعده (٢٧) » .

واستطاعت الصهيونية ان تسخر سكرتير عام الأمم المتحدة لصالحها حيث وقف بكامل امكانياته مع الصهيونية ، ويقول السيد فارس الخوري : « ان المستر تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة مسؤول الى حد كبير عن النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني ، إذ انه جنّد الموظفين الذين يعملون تحت رياسته في الامم المتحدة ، وعددهم ثلاثة الاف ليندسوا بين الاعضاء للتأثير عليهم . ولقد وصف احد اعضاء الوفد الفلسطيني في هيئة الامم ما اتخذه تريجفي لي وصفا مفصلا دقيقا فقال : « أن تريجفي لي يحكم منصبه يسيطر على الشيء الكثير من أعمال الامم المتحدة ويعتبر الموجه الاول لعضائها في عدد من الامور والشئون ، وكان سلوكه الحقيقي سلوك التأييد للاستعمار واليهود والعطف عليهم ، ومن أعماله البارزة في هذا الشأن أنه وضع مجلدين ضخمين عن القضية الفلسطينية اشتملا على وثائق وبيانات وغيرهما جعلهما تحت تصرف الاعضاء ، وكذلك جمع في مكتبة الامم المتحدة كتباً ومذكرات ومقالات عن القضية الفلسطينية

(٢٦) الفرد ليلنتال ، من اسرائيل ، شيكاغو ١٩٥٣ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢٧) مجلة الصور العدد ١٤٧٠ في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢ .

وصداها متجاوبا في الاذهان « (٣٢) .

٧- حالة عرب ويهود فلسطين عام التقسيم ١٩٤٧ :

أعلنت بريطانيا خلال عام ١٩٤٧ أنها عازمة على إنهاء الانتداب وسحب قواتها العسكرية وجهازها الإداري في ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ ، وأنها سوف تترك فلسطين لمن يقيم فيها ، نافضة يدها من مسئولية الانتداب الذي نفذته لصالح الصهيونية على مدى ثلاثين عاما .

وتداعى الى الذهن عدة نقاط تدور حول حالة عرب فلسطين سنة ١٩٤٧ ، ومدى استعدادهم لخوض معركة فاصلة مع العصابات اليهودية ، وتجر هذه النقاط بدورها الى الجانب المقابل ، وهو حالة اليهود، ومدى تأهبهم لمواجهة الموقف وقت انسحاب بريطانيا من فلسطين .

فتتصل هذه التساؤلات اوثق اتصال بالمعد الذي أخذته بريطانيا على عاتقها في صك الانتداب وفي دستور فلسطين ، من أنها سوف تجعل فلسطين في وضع اقتصادي وسياسي واجتماعي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها ، كل هذه التساؤلات يكاد يفيد فيها الاحصاء الدقيق عن حالة البلاد الاجتماعية والاقتصادية في عام ١٩٤٧ ، وهي صورة لحالة العرب في مختلف أنحاء فلسطين ، الأمر الذي يجعلنا نؤمن بأن بريطانيا قد أعلنت عن قرب تخليها ، لأنها دبرت امرها مع اليهود ووثقت أنهم في وضع يضمن بقاءهم وتفوقهم على العرب اصحاب البلد الأصليين ، ففي ظل الانتداب البريطاني وبقواه استطاع اليهود أن يمتلكوا مساحات كبيرة من الأرض ، وقد تملكوها بقوة مراسيم المندوب السامي ، او بقوة الفقر الذي فرضته سياسة المندوب السامي على العرب ، او بقوة الضرائب والفوائد والرهونات التي ادت الى البحث عن لقمة العيش ، ولو بالتخلي عن الأرض مما ستجده وافيا في فصل قادم .

لقد استطاع اليهود ان يكونوا اقلية كبيرة عام ١٩٤٧ تتكون من ٦٠٠ الف على حين كان عددهم يوم احتلال القدس ثلاثة وخمسين الفا ، وقد تجمعت هذه الاقلية الكبيرة بفضل فتح بريطانيا ابواب فلسطين امام اليهود، وقفلها امام العرب حتى الفلسطينيين منهم الذين كانوا يوم صدور قانون الجنسية خارج فلسطين .

(٣٢) قال النبي يوم احتلاله القدس « اليوم انتهت الحروب الصليبية » ، راجع ص ٦٥ من هذا الكتاب .

لتكون مرجعا للاعضاء ، ولكنه حرص على جمع الوثائق والمستندات التي تدعم المطالب وجهة النظر اليهودية ، واهمل اهمالا فاضحا جميع المستندات والوثائق التي تؤيد حقوق العرب وتدعم مطالبهم ووضعها في المكتبة .

وكان تريجفي لي ومساعدوه يقومون بتوزيع التشرات اليهودية ضد الفلسطينيين ، وقابل الوفد الفلسطيني تريجفي لي واحتج على موقفه ، وكذلك فعلت الوفود العربية وثبت ان تريجفي لي اخفى كل ما سلمه له الوفد الفلسطيني ولم يعرضه على الاعضاء ولا وضعه في المكتبة والدوائر المختلفة (٢٨) .

ولقد اتنى وايزمان في مذكرته على تريجفي لي ثناء عاطرا (٢٩) واذا كنا قد استشهدنا بكل هذه الاقوال ممن شهدوا المأساة تمثل على مسرح الامم المتحدة ، واذا كانت كل هذه الاقوال قد وصلتنا بعد المأساة وبعد تكوين اسرائيل ، فمن الاصلح ان نستشهد بقول صحفي صدر في نفس فترة التأجيل وكان صريحا لا خفاء فيه ، صريحا صراحة تدل على أن كسب امريكا الاصوات لليهود كان امرا عاديا في امريكا ، ولم تكن الصحف تجد غضاضة في نشره علانية ، فلقد قالت جريدة نيويورك تايمس في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ وهو ثاني يوم التأجيل ؟

The United Nations General Assembly Postponed Avot on the Partition of Palestine Yesterday after supporters found that they still lacked an assured two thirds majority.

المعنى :

« اجلت الجمعية العامة للامم المتحدة جلستها التي تصوت بها على تقسيم فلسطين أمس بعد ان وجد مؤيدو الصهيونية انهم لا يضمون ثلثي الاصوات اللازمة لنجاح المشروع » .

وهكذا تمت جريمة تاريخية في القرن العشرين سوف لا يكون وصف من ينسأها او يتناسأها من قومنا الا المروق والبلادة . « وهل يلام العرب بعد هذا - والمسلمون من ورائهم - اذا اعتقدوا انها حرب صليبية بعض اسلحتها اليهود وانها مملأة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام(٣١) ، نعم وكلمة المارشال للنبي التي قالها يوم انتزع القدس من يد الاتراك لا تزال ماثورة مشهورة ، ولا يزال رنينها مجلجلا في الآذان ،

(٢٨) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢٩) مذكرات وايزمان باللغة الانجليزية ص ٦٨١

(٣٠) جريدة نيويورك تايمز العدد الصادر في ٢٧ من نوفمبر ١٩٤٧

(٣١) البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٢ سنة ١٩٤٨ .

واستطاع اليهود تحت حماية بريطانيا وعونها ان يكتسبوا قوة عسكرية مسلحة من جيش الهاجانا وازفاني ليومي وعصابة شترن ، وكان هؤلاء جميعا مدربين ومسلحين ، بينما كان العرب محرومين من السلاح ، تنزل بهم العقوبات من السجن الى الاعدام لمجرد حيازة السلاح او الذخيرة .

على ان تلك المساحات التي تملكوها من الاراضي ، واولئك المسلحين الذين اعدوهم لمحاربة العرب ، وهذه الاقلية الكبيرة التي تجمعت في الارض المقدسة ، كانت كلها تركز على قوة اقتصادية كبيرة ، سهرت بريطانيا على تقويتها بمراسيمها وقوانينها ولوائح جماركها واساليب الضرائب لديها ، لقد استطاع اليهود ان يكونوا سادة الاقتصاد في فلسطين ، فهم اصحاب المصانع التي سنت القوانين لحمايتها ، وهم اصحاب مشروع الكهرباء الذي يضيء فلسطين ، وهم اصحاب البيوت المالية والتجارية والمحللات العامة .

واذا القينا نظرة على احصائية لمدينة القدس مثلا باعتبارها كبرى مدن فلسطين وعاصمتها عام ١٩٤٧ يتضح لنا ان بريطانيا حين حددت يوم ١٥ مايو (ايار) لانتهاء انتدابها ، كانت على يقين من انها قد نفذت تصريح بالفور ، فاقامت الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وقد نفذت فعلا تلك المواد الثقيلة التي عملت على تضمينها صك الانتداب من انها سوف تجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء وطن قومي لليهود ، ولنلق نظرة سريعة على جزء من احصائية التجارة في القدس التي كانت تضم خمسة آلاف ومائة وعشرة دكاكين ، منها الفان وثلاثمائة واثنان عشر دكانا للعرب المسلمين والمسيحيين على حين يملك اليهود في القدس الفين وسبعمائة وثمانية وتسعين دكانا .

وبينما تضم القدس اربعة واربعين مخبزا وفرنا ، كان اليهود يمتلكون واحدا وثلاثين منها ، وهي تضم ايضا اربعة وعشرين دكانا لبيع الدخان والتبناك ، كان اليهود يمتلكون تسعة عشر دكانا منها ، وبينما تضم تسعة عشر مصرفا ماليا كان اليهود يمتلكون منها اربعة عشر ، ولا يملك العرب منها الا مصرفين اثنين ، وفي حين تضم القدس تسعة وتسعين محلا لبيع الكتب كان اليهود يمتلكون منها خمسة وخمسين ، وبينما تضم مائتي خياط كان اليهود بينهم مائة وستة وعشرين ، وحين كان في القدس اثنان واربعون محلا لبيع مواد البناء كان اليهود يمتلكون منها ثلاثين محلا .

واذا اتجهنا الى الشركات العاملة في القدس نجد ان اليهود يكونون فيها الاغلبية دائما ، فبينما تكونت في القدس اثنتان وستون شركة لشراء الاراضي ، لم تتكون الا شركتان عربيتان ، وبينما تكونت اربع وخمسون

شركة يهودية للأشغال العامة والمقاولات الهندسية والبناء ، لم تتكون لهذه الأغراض الا شركة عربية واحدة ، وبينما تكونت خمس شركات للالات الزراعية والاسمدة وتعمير الأراضي ، لم تتكون الا شركة عربية واحدة ، وبينما يملك اليهود ست عشرة شركة لاعمال البوتاس والادوية والاملاح والراديو ، وثلاث شركات للسجاير ، وست شركات لنشر العلم والتدريس ، وخمسا وستين شركة للطباعة وثمان شركات للأفلام والسينما لا يملك العرب شيئا من هذا . وبينما تدل الاحصائية على ان اليهود كوتوا في القدس ثلاثمائة وسبعا وسبعين شركة لم تكن الاحوال العامة التي فرضها الانتداب وعمل لها ، قابلة ليتمكن العرب من تكوين اكثر من اثنتين وثلاثين شركة .

ولم نجد للعرب الذين ارهقهم حكم الانتداب وطول الثورة وتضحيات الجهاد ، كفة راجحة ، الا في بعض الاشياء القليلة جدا ، والتي لا تكون الاغلبية فيها مظهرا من مظاهر التقدم الاجتماعي والازدهار الاقتصادي . وما دما قد تحدثنا في ثانيا هذا البحث عن الضائقة المالية العربية ، واضطرار العرب الى الاقتراض من البنوك للقيام بمشروعاتهم الزراعية وغير الزراعية ، وجب ان نوضح الصورة البيانية لتلك البنوك التي كانت تسيطر على المال في فلسطين ، وتمتص مال العرب الفلسطينيين بالفوائد المستمرة ، حتى ترغمهم على التخلي عن ارضهم سدادا لديونها وحجوزاتها ، وما كان ذلك الا وفاقا من بريطانيا لعهدا المعطى لليهود وتوافقا مع صك الانتداب . كان في فلسطين اربعة عشر مصفا ماليا كلها يهودية او خاضعة لليهود ، وكان مجموع اموالها المصرح بها اثنان وثلاثين مليون ومائتين واربعه وتسعين الفا من الجنيهات ، ومن بين تلك المصارف اليهودية كان مبلغ اثني عشر مليون ومائتين واربعه وستين الفا مقسما بين عدة مصارف مالية يهودية (٣٣) ، اما البنوك اليهودية الاخرى ، وهي البنك المركزي للمؤسسات التعاونية ، والبنك الفلسطيني ، وبنك مزراحي ، وبنك فلسطين التجاري وبنك يعقوب يافت فكانت مراكزها بين القدس وحيفا (٣٤) .

ولعلنا بهذه الاحصائية الهامة نفهم في وضوح الموقف الاقتصادي الخطير

(٣٣) كان من بين هذه المصارف بنك انجلو فلسطين المتخذ يافا مركزا رئيسيا له ، وبنك كوبات عام وبنك فلسطين للرهن والتسليف ، والبنك البولوني الفلسطيني ، وبنك ابلرن ، وبنك فويخت واغتر التجاري ، وبنك الخصم الفلسطيني ، وكلها متخذة مركزها الرئيسي في المدينة الصهيونية تل ابيب .

(٣٤) الفصل في تاريخ القدس ، ص ٤٧٦ .

الذي وصل اليه عرب فلسطين كنتيجة لسياسة بريطانيا في سبيل اقامة دولة صهيونية ، وزرع سرطان مدمر وسط الوطن العربي بينما لم يكن هناك للعرب الا البنك العربي ، ورأس ماله خمسمائة وخمسون الف جنيه ثم بنك الأمة العربية الذي أسس بأربعين الف جنيه ثم تطور حتى أصبح رأسماله المصرح به مليوناً من الجنيهات ، على أن هذين البنكين العربيين لم يؤسسا الا مؤخراً ، فحتى منتصف ١٩٣٠ لم يكن في فلسطين اي بنك عربي ، والى اواخر ١٩٣٣ حيث أسس بنك الأمة العربية لم يكن الا البنك العربي الذي تضافرت الصهيونية مع سلطات الانتداب على سبيل عرقلة انشائه ، وكان مؤسسه عبد الحميد شومان بين الذين ذاقوا مر السجن والتعذيب في قصص شهير .

لم يكن احد في العالم العربي يشعر بالمرارة القائلة من قرار التقسيم كما كان يشعر به الشعب العربي في فلسطين ، وهو الشعب المكبل ببلال بريطانيا الحديدية ، والسلطة عليه افعال الصهيونية وبرامجها .

ولكن السلاح كان مشكلة المشاكل ، وسرعان ما تنادي ابناء فلسطين فأرسلوا الجماعات تبحث عن السلاح في كل مكان ، وكانوا يرضون بأي نوع من انواع الاسلحة حتى بالسلاح القديم ، وما خلفته الحرب العالمية الثانية ، وكان موفدوهم يجوبون الصحراء الغربية بحثا عن كل قطعة من سلاح ، واجتاز الحدود الى داخل فلسطين عبد القادر الحسيني (٣٥) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في مصر ، واجتازها من سوريا حسن سلامه (٣٦) وجماعة من اخوانه الذين كانوا في الشام .

وقسمت فلسطين الى اربع مناطق رئيسية ، منطقة الشمال ومنطقة الجنوب ومنطقة يافا ومنطقة القدس ، وربطوا كل هذه المناطق بالقيادة العامة التي تمركزت في قرية بئر زيت في قضاء رام الله لواء القدس (٣٧) ونظم المجاهدون ، واست فرقة الفدائيين وفرقة التدمير ، وانشئت جماعات الاسعاف وانشئت حاميات للأمن العام والمدن والقرى ، وفرق القناصة والمقاوير ، اما اليهود فقد قسموا قواتهم ، فتولت الهاجاناه حراسة المدن والقرى والطرق والقوافل بين القدس وتل ابيب وحيفا والمستعمرات في غور بيسان وغيرها ، وانزلت البالمخ للافاة المجاهدين ، وخصص لعصابة الارغون زفاني ليومي القيام بأعمال التدمير والنسف والارهاب ضد المدنيين .

(٣٥) افرا معركة القسطل صفحة ٣٥٠ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .

(٣٦) افرا معركة رأس العين صفحة ٢٨٦ من هذا الكتاب حيث استشهد هذا البطل .

(٣٧) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٤ .

حدث كل هذا والانجليز لا يزالون في فلسطين ، يتولون الانتداب ويشرفون عليه ، ولاول مرة في تاريخ العالم التمدين تقف دولة تتولى سلطات البلاد بأسم عصبة الأمم ، متظاهرة بالحياد امام صراع رهيب بين شعبين ، ثم تمد بالسلاح والخبراء والاعتدة شعبا استجلبته من الخارج ، يقيم دولة على انقاض الشعب الاصيل ، ثم تجري المعارك امام بصرها ، فلا تحرك ساكنا الا اذا كان اليهود هم المهزومين ، فانها تسرع بضرب العرب والوقوف ضدهم .

اما مجمل حالة الفلسطينيين عند صدور التقسيم ، فيصفها مؤرخ عربي معاصر فيقول : « شعب اعزل لا سلاح لديه ، لطمته هيئة من اكبر الهيئات الدولية باظلم واقسى قرار عرفه التاريخ ... ويقضي عليه بالتجزئة والحرمان وضياح الامل بالحرية التي كان ينشدها والوحدة التي كان يصبو اليها والامن والاستقلال الذي طالما تمناه ، ويرى بعين دامية وقلب واجفاً ، الهوة السحيقة التي حفرت امامه والتي سيقع حتما ، اذا لم يهب لانقاذ بلاده ، قبل ان يتمكن الاعداء من تأسيس دولتهم ، ولكن وسائله محدودة ، ووسائل اعدائه متوافرة ، فيقف حائراً متسائلاً ما العمل ؟ وكيف السبيل الى النجاة (٣٨) » .

ولكن الشعب الفلسطيني الذي كان حائراً باحثاً عن سبيل النجاة ، اعتقد في تلك الظروف الخطيرة ان العالم العربي يقف الى جواره ، وان الجامعة العربية التي اسست حديثاً سوف تأخذ بيده وسوف تكون له عوناً وسنداً ، وهو بذلك سوف لا يعيد التاريخ الذي قضاه قبلاً يحارب وحده وينتظر العون من اخوانه خارج الحدود .

٨ - الجامعة العربية وقرار التقسيم :

انتشر الحماس في البلاد العربية كلها التي كانت تدرك خطر ذلك التقرير الذي قدمته اغلبيية اللجنة الدولية ، ووافقت عليه الامم المتحدة ، وبادرت الهيئة العربية العليا الى رفضه واستنكاره واعلان العزم على مقاومة تنفيذه ، وتنادى الشعب العربي في كل مكان مطالباً بانقاذ فلسطين ، وأن يكون موقف الدول العربية موقفاً يليق بالخطر المنتظر ، ومستشعراً مسؤلية التاريخ .

(٣٨) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٢١ .

وانظر ايضاً : كارثة فلسطين ، ص ١ - ١٠ .

واجتمع مجلس الجامعة العربية في عاليه ببلنن في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٧ مستعرضا الوضع الحقيقي في فلسطين ، ومستمعا الى



اللون الاسود يمثل المنطقة التي حافظ عليها شعب فلسطين الى دخول الجيوش العربية

مندوبي عرب فلسطين الذين كانوا على علم عميق بمقدار قوة اليهود ، ومدى استعدادهم وبرنامجهم لانشاء اسرائيل ، ولم تكن طلبات الفلسطينيين من مجلس الجامعة العربية تستهدف ان تدخل جيوشها فلسطين ، ولا ان تبادر فتحل فيها محل قوات الانتداب البريطاني ، ولكن طلباتهم كانت كما يلي :

١ - يرجى من دول الجامعة العربية ان تعتمد على الفلسطينيين انفسهم في المعركة الفاصلة مع اليهود .

٢ - يرجى من دول الجامعة العربية ان تمد الفلسطينيين بالسلاح والمال والخبراء العسكريين .

٣ - يرجى من الدول العربية ان توافق على تاليف حكومة عربية بفلسطين تملأ الفراغ بعد بريطانيا وتبدأ حكمها في فلسطين .

وبحث هؤلاء الخبراء احوال فلسطين ووضعها الداخلي وانتهوا الى التوصيات التالية :

« ان للصهيونيين في فلسطين منظمات سياسية وتشكيلات عسكرية يستطيعون معها ان يؤلفوا فورا حكومة صهيونية ، وان لهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد ، وفي مقدورهم ان يجندوا خلال مدة قصيرة ما يريدون من القوات الاحتياطية .. ولهم موارد من المال لا تنضب ، وليس لعرب فلسطين في الوقت الحاضر من المال والسلاح والرجال ما يمكن ان يقاس بما لاعدائهم اليهود .

وان ما لا يقل عن ٣٥٠.٠٠٠ عربي يعيشون في مناطق اكثريتها يهودية ، وهم معرضون للفناء اذا ما داهمهم الصهيونيون . ان فلسطين قادمة على احداث خطيرة بسبب ما اعلنته بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين ، ولهذا توصي اللجنة العسكرية :

اولا : المبادرة حالا بتجنيد المتطوعين وتسليحهم .

ثانيا : قيام الدول العربية بحشد جيوشها النظامية على مقربة من الحدود الفلسطينية .

ثالثا : تاليف قيادة عربية عامة ، وان يعين المرجع الاعلى لهذه القيادة من جميع الدول العربية .

رابعا : والى ان يتم ذلك يجب ان يمد عرب فلسطين بما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية وبمقادير كافية من الرشاشات والقنابل اليدوية

والمفجرات وما الى ذلك من الاسلحة .

خامسا : يوضع تحت تصرف اللجنة العسكرية ما لا يقل عن مليون دينار لتموين القوات الفلسطينية .

سادسا : تبادر الدول العربية لشراء اكبر كمية من الاسلحة والاعتدة وان تدخرها لتموين المجاهدين (٣٩) .

ولم تبد الجامعة العربية اهتماما لتنفيذ المقترحات باستثناء تخصيص مليون جنيه والوعود برسائل كميات من السلاح (٤٠) .

ولا ريب ان تلك التوصيات كانت عملية الى حد كبير ، فالعرب في فلسطين هم الذين جاهدوا الانتداب ثلاثين عاما ، وهم الذين عاشوا سلسلة الثورات طوال هذا الأمد الطويل ، وهم بالتالي أقدر الناس على مجابهة اليهود ومقاتلتهم في داخل فلسطين ، وكل ما كان ينقص الشعب الفلسطيني هو القوة المالية التي تساعد على التسلح تسلحا كاملا يضارع تسلح اليهود وكان ينقصه أيضا امكانية خلق مصدر هذا التسلح ، فقد كانت بريطانيا تغلق الحدود ، وتمنع عنه حيازة السلاح ، على حين تبيع ذلك لليهود ، وما دامت الدول العربية سوف تمد شعب فلسطين بالمال وبالسلاح فان المعركة قررت مصيرا .

٩ - عقبات امام الكفاح الفلسطيني :

وما كادت الدول العربية تبدأ تدريب الشباب الفلسطيني في معسكر قطنا قرب دمشق ، حتى تقدم الجنرال كلايتون باسم بريطانيا بمذكرة الى الجامعة العربية معارضة تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ومعتبرة ذلك « عملا غير ودي » لان بريطانيا لا زالت موجودة في فلسطين (٤١) .

وكان رجال الدول العربية كانوا ينتظرون تلك المذكرة ، فما ان وصلت حتى اخذهم الرعب ، وسرحوا الشباب الفلسطيني وسحبوا اسلحتهم .

وكانت غريبة تلك الروح التي كانت تسير رجال الجامعة العربية ،

(٣٩) اسماعيل صفوة باشا رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية ، تقرير الى الجامعة بتاريخ ٩ من اكتوبر ١٩٤٧ .
(٤٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦ - ١٧ .
(٤١) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢١٢ .

انهم يستجيبون لرغبة بريطانيا في عدم تسليح الفلسطينيين ، ويتناسون انها تسليح اليهود في داخل فلسطين ، وتصادر كل سلاح عربي وتفتك بحامله ، والحق ان موقف بريطانيا ودول الجامعة العربية كان موقفا شاذا فاذا كانت بريطانيا تملك الى ان يتم انسحابها معارضة تسليح او تدريب عرب فلسطين داخل البلاد فليس لها ان تتدخل في امر تدريبهم خارجها ولا ريب انه مما يتنافى ومعاني الاعتزاز بالاستقلال والكرامة الوطنية ان تفعل تلك المذكرة ما فعلته في دول العرب كما ان موقف دول الجامعة العربية سنة ١٩٤٧ بخضوعها للمذكرة البريطانية قد اضر بقضية فلسطين ، لانه حرم الفلسطينيين من فرصة هامة للتدريب ، واعطوا لليهود فرصة السبق في التفوق العسكري الذي حرم منه العرب طويلا .

وفي الثالث من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ ابتداء النضال الفلسطيني الجديد ، وحدثت في القدس اشتباكات كبيرة بين العرب واليهود ، وحدثت حرائق استمرت اربعا وعشرين ساعة ، وقد قتل يهودي وجرح ستة يهود وعربيان ، وانتشرت الاحداث في جميع انحاء فلسطين .

لقد كان اعتماد شعب فلسطين على اللجنة العسكرية العربية التي اتخذت سوريا مستقرا لها ، وكان ينتظر ان تصله كميات كبيرة من الاسلحة التي تجعله في موقف يضارع موقف اليهود ، ولكن هذه اللجنة العسكرية كانت نفسها تشكو قلة الاسلحة ، فان الدول العربية لم توف بما سبق ان وعدت به ، ويفيد تقريرها الى مجلس الجامعة العربية في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ انها « تأسف لقلة السلاح والعتاد الموجود بين يديها ، وتقرر اللجنة انها لم تحصل الى الآن الا على ٥٥٦ بندقية و ١٣٤ مسدسا و ٢٣٠٠٠ طلقة من الحكومة السورية ، ٣٠٠ بندقية و ٣٠ مسدسا و ٥٠٠٠٠ طلقة من الحكومة اللبنانية ، مع انها كانت تنتظر ان يكون تحت يديها في ذلك التاريخ ٢٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ رشاشة خفيفة و ٣٠٠٠ مسدس وغيرها من المفجرات والاعتدة (٤٢) » .

وتحت تأثير هذه الشكوى من اللجنة العسكرية ، اجتمعت اللجنة السياسية ، وقررت الزام دولها بكميات من الاسلحة ، على ان تقدم كل من مصر والعراق والمملكة السعودية وسوريا التي بندقية مع الف طلقة لكل بندقية ، وتقدم كل من لبنان والاردن الف بندقية مع الف طلقة لكل بندقية .

(٤٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٥ .

فاسدا ، لا يصلح لمعركة يجابه فيها اليهود المسلحين .

ولنأخذ مثلا لذلك :

تلك الطائرة السورية التي هبطت في « اسكاكه » من اعمال الجوف ، وأفرغت ما فيها من اسلحة وأعتدة سعودية كانت ٢٣٧ بندقية نمساوية قديمة جدا ، وتعرف بالخدوية وقد غنمها الوهابيون من الجيش المصري في حربه مع الوهابيين في القرن الماضي ، ٢٣٣ بندقية المانية ، ٢٤٤ بندقية من مختلف الدول انجليزية والمانية وفرنسية وتركية وهندية لا تصلح ابدا للاستعمال ، واما البنادق النمساوية والروسية ومجموعها ٢٥٨ فانه لا نفع يرجى منها لفقدان عتادها ، ولم يبق من هذه الشحنة الكبيرة التي اخذت طائرة لنقلها وحسبت على شعب فلسطين الا ١٧٧ بندقية تصلح للاستعمال بعد تعميمها . وتلك الشحنة المصرية عام ١٩٤٨ حيث تبين ان ١٧ بندقية المانية من مجموع ٨٦ ، ٢٠ بندقية انجليزية من مجموع ٢٠٠ ، و ٥ بنادق ايطالية من مجموع ٦٥ ، وبندقية واحدة من بندقيتين امريكيتين ، وبندقيتان عثمانيتان (٤٥) .

هذا مثل واضح للعيون الذي لقيه شعب فلسطين من تلك اللجنة العسكرية التي كانت تنفذ قرار الجامعة العربية بان تمده بالاسلحة ، وتجعله في موقف يضارع اليهود المسلحين المدربين في فلسطين ، واذا كان الشعب الفلسطيني قد حرم من الاسلحة والتدريب خلال الانتداب البريطاني فان الاسلحة الذي مده به اخوانه العرب كان قديما ضئيلا فاسدا ، على ان الدول العربية ذاتها لم تكن دولا مسلحة عام ١٩٤٧ ، وتلك مصر حين تسلحت غدر حكامها بجيشها العظيم فزودوه بسلح فاسد طرح موضوعه امام القضاء المصري وادان المتهمين .

واذا كانت اكبر دول الجامعة العربية لم تكن تملك سلاحا ذا قيمة في ذلك التاريخ ، فكيف يمكن ان ينتظر من شعب فلسطين ان ينال من دول تلك الجامعة سلاحا يقابل به جيش الهاجانا وعصابات شترن وزفاي ليومي ، لقد كانت دول الجامعة العربية تمثل سبع دول تحصل كل منها اسما بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

على ان شعب فلسطين سرب مندوبيه كما اوضحنا الى كل مكان ظن فيه امكان الحصول على السلاح وتبرع العديد من افراده بأثمان تلك الصفقات ، وساهمت بعض دول الجامعة في تبرعات للهيئة العربية العليا ،

وعلى الرغم من ضالة هذه الكميات امام معركة الامة العربية في فلسطين ، فان طريقة تسليم ذلك السلاح كانت متلازمة مع الفوضى والارتباك وعدم العناية ، وكان العديد منها غير صالح للاستعمال ، اما لقدمه او لفساده او لعدم وجود عتاد له ، بل لقد كان بعض السلاح عثمانيا مضى اكثر من خمسين عاما على صنعه اذ تسلمت اللجنة العسكرية في ١٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ من العراق ١٢٦٠ بندقية فرنسية بدون عتاد ، فجهزتها وزارة الدفاع السورية ، وبعد وصول البنادق بخمسة عشر يوما وصلت من العراق ٦٠٠٠٠ طلقة فرنسية (قرار اللجنة السياسية يوجب ان تكون الف طلقة مع كل بندقية اي مع ١٢٦٠ بندقية ١٢٦٠٠٠٠ طلقة) وفي ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) اتضح ان ٢٥ بندقية المانية فقط تصلح للاستعمال من اصل ٢٥٠ بندقية تسلمها المفتي من مصر ، وارسلها الى صيدا بحرا ، وكان معها ٣٠٠ صندوق مفرقات صالحة للاستعمال ، وفي ١ يناير (كانون الثاني) تسلمت اللجنة من لبنان ٢٥٠ بندقية المانية و ٢٤٠٠٠٠ طلقة ، وفي ٣ يناير (كانون الثاني) سلمت الحكومة السعودية لمندوب اللجنة ١٢٠٠ بندقية ارسل منها ٥٠٠ الى فلسطين ، وفي ٢ فبراير (شباط) افاد المندوب نفسه انه تسلم من الحكومة المصرية ٣٠٠ بندقية ومعها ٢٥٠ مندسا و ١٧٠٠٠ طلقة تومي وبندقيتان ضد الدبابات و ٣٠٠٠ كبسول كهربائي .

وبفحص هذه الاسلحة وجد ان البنادق قديمة وان معظم المسدسات عاطل (٤٣) لا يصلح للاستعمال ، ويطلق احد الباحثين العرب على هذه الاسلحة وصفا طريفا فيقول « انها اسلحة اثرية » وان وجدت فمن المستحيل جدا ايجاد قطع الفيار اللازمة لها ، وكانت كل الذخيرة المقدمة من الدول العربية لا تعادل الاسلحة المودعة في مستعمرة يهودية واحدة .

ونصل سريعا الى ذكر الرقم الاجمالي الذي يفيد ان مجموع ما تسلمته اللجنة من الحكومات العربية كان الى ٨ فبراير (شباط) ١٩٤٨ ٤١١٠ بنادق ، ١٨٠٩٠٠٠ طلقة ، وان ما وزعته على المحاربين وخاصة في القدس ويافا وحيفا ١٦٥٧ بندقية ، ٤٠٠٠٠٠ طلقة ، وسلمت للمتطوعين ١٥٠١ بندقية ، ٩٠٩٠٠٠ طلقة .

ولكن من صدق التاريخ ان نذكر انه حتى بعد هذا التاريخ توالى وصول الكميات الصغيرة المبعثرة من السلاح ، وانه كان في اغلبه سلاحا

(٤٣) جريدة الحارس العراقية فبراير ١٩٥٣ .

(٤٤) فلسطين تاريخا وعبرة ومصريا ، ص ٢٢٣ .

(٤٥) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

فكان لذلك السلاح اثره الحميد في امكان الشعب المناضل من خوض ايام رهيبة شجاعة في مختلف أنحاء فلسطين .

ولو ان دول الجامعة العربية قدمت لشعب فلسطين من الاسلحة كميات كافية كبيرة ، ومن الاموال مقادير تقويه وتمكنه من تقوية اوضاعه ، لكان لمعركة فلسطين شأن غير الشأن الذي وصلت اليه .

ويجمل بنا ان نذكر ان مجموع ما تلقاه شعب فلسطين لم يتجاوز ٧٦٨ الف جنيه وهو مبلغ ضئيل في معركة الفناء او البقاء ، قدمت الى الهيئة العربية العليا التي واصلت جهدا مخلصا لشراء الاسلحة والمعدات . ولقد كانت تلك المبالغ من مصادر مختلفة ، وكانت تفاصيلها كما يلي :

١٠٤	آلاف جنيه من سوريا .
٢٠	الف جنيه من مصر .
١٥	الف جنيه من لبنان .
٥٠٠	الف جنيه من اليمن .
٤٦١٧٥	من مصادر عربية تبرعت لمفتي فلسطين رغبة عدم ذكر اسمائها .
١٧٥	الف جنيه من بيت المال العربي في فلسطين .
١٩٨	الف جنيه من تبرعات المهاجرين الفلسطينيين والعرب .
٢٠٥	الف جنيه من تبرعات الشعوب العربية والاسلامية .
٧٦٧٦٧٥	المجموع

واذا القينا نظرة فاحصة اليوم على هذه التبرعات ، نواصل الدهشة التي احطنا بها تبرعات العرب لفلسطين خلال ثورة ١٩٢٩ وثورة ١٩٣٦ حيث لم تتجاوز تلك التبرعات عددا من آلاف الجنيهات لقاء ملايين وصلت لليهود في فلسطين (٤٦) .

(٤٩) نقول الادبية الفلسطينية السيدة سميرة عزام في ردها بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية على الانسة ليلي بلبكي : ان نسكت عن ثائي التساؤلات (عن هجرة الشعب الفلسطيني) والجواب قصة طويلة كانت تلهب خيالنا ونحن سفار نتلقف قصص الممارك الحقيقية التي تنتصر فيها البنادق المتينة اذ يقف وراءها حق ، اعلمين متى بدأت البنادق المتينة تصبح دمي خشبية ؟ انها يوم كانت تستجدي الطلقات من كل عاصمة عربية ، فلا تفوز باكثر من وعود عميقة جوفاء ، اعرفين متى ترك شعب بكامله ساحة المعركة ؟ انه يوم شادت ارادة الدول السبع ان تمنح الثورة الكبيرة الى حرب تتولى امرها جيوش نظامية تحركها سياسات اذا لم تكن السذاجة من خصائصها ، فالتواطؤ ، اعرفين متى ارتدى شعب في حضن البحر ؟ انه يوم ان رأى نفسه اعزل الا من وعود الفتح ...

ولو ادركت الشعوب العربية يومئذ ان تسليح الفلسطينيين كان يعني درء الخطر ، لا عن فلسطين وحدها ، بل عن كل شبر عربي في كل ارض عربية ، لتسابق الجميع في التبرع لشعب فلسطين ، وتسليحه ولتنازلوا عن اموالهم واملاكهم ، ولاسرعوا يدفعون مقدما ضريبة البقاء قبل ان تنشأ اسرائيل فيصل الخطر الى حدودهم ، بل الى بيوتهم ويهدد كيانهم جميعا بما فيه من وجود وذاتية ومقدسات .

١٠ - تجدد الكفاح المسلح في فلسطين :

وبينما كانت الكميات الضئيلة من السلاح تسرب الى الشعب العربي في فلسطين ، كان هناك صراع في مختلف أنحاء فلسطين لا يمكن تصويره تصويرا كافيا الا باثبات برقيات بعض تلك الايام حتى نشعر ان فلسطين كانت تمثل معركة مستمرة في جميع اجزائها .

ولنثبت هنا برقيات الأهرام قبيل منتصف شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ ، وخلال شهر واحد من صدور قرار التقسيم المشؤم ، اعلن مصرع عشرة من العرب ويهودي في سلسلة الحوادث التي وقعت في أنحاء فلسطين خلال الاربعة والعشرين ساعة ، وكان منها القاء قنبلة على سيارة ركاب في حيفا قتلت خمسة وجرحت ثلاثين آخرين ، ونصب العرب كمينا لسيارتين تقلان رجال الهاجانا ، فقتلوا تسعة من ركابها كما قتل خمسة آخرون من اليهود ، بصحراء فلسطين الجنوبية ، وقام فريق كبير من الحرس الوطني العربي في الساعات الاولى من الصباح بهجوم خاطف على الحي اليهودي في القدس القديمة ، فاشتبك الفريقان في معركة حامية استعملت فيها مختلف الاسلحة الاوتوماتيكية ، واستطاع العرب التغلب على مقاومة اليهود فدخلوا الحي عنوة واحتلوه ورفعوا العلم العربي على سارية عالية فيه ، ولكن قوات كبيرة من الجيش والبوليس البريطاني خفت الى الحي فانسحب العرب الى مراكزهم الاولى ، وقام فريق من اليهود بهجوم على ادارة احدى الشركات العربية للنقل فالتقوا عدة قنابل محرقة واحرقوا بعض السيارات ، وكانت مدينة حيفا مسرحا لسلسلة من المعارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والازقة وقد سجل العرب فيها ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق ، وفي بئر السبع هاجم العرب عددا من اليهود المسلحين ونشبت معركة انسحب فيها اليهود وتركوا عشرة من القتلى غنم العرب اسلحتهم ، ثم وقع صدام آخر بين العرب واليهود في نفس المنطقة صرع فيه أربعة من اليهود وجرح عشرة ، وقام العرب في الصباح بهجوم عنيف على مستعمرة القرين اليهودية بجوار

غزة فأحرقوها وخرّبوا دورها(٤٧) .

وفي الثالث عشر من ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ كانت المعارك بين العرب واليهود قد امتدت الى جميع أنحاء فلسطين حتى ان البلاغات الرسمية اعلنت ان عدد القتلى في ذلك اليوم كان ٢٥ قتيلا عربيا و ١٥ يهوديا على حين بلغ عدد الجرحى سبعة وستين جريحا(٤٨) .

وتستمر البلاغات الرسمية تعلن ان الاصطدامات مستمرة بين العرب واليهود في جميع أنحاء فلسطين ، وقد قام اربعة وعشرون يهوديا يرتدون الملابس العسكرية بهجوم على قرية عربية بالساحل فاقتموها في اربع سيارات عسكرية كبيرة ، واطلقوا الرصاص على جماعة من سكانها ، على حين وضع آخرون القنابل خارج سور القرية وكانوا يلقون القنابل اليدوية على من يحاول التصدي لهم ، وقتل من العرب سبعة في هذا الهجوم المفاجيء ، كما اعلن جيش الدفاع اليهودي (الهاجانا) انه قتل عشرة من العرب في معركة تل الريش جنوبي ميناء يافا العربي ، كما اضرت الحرائق في بعض منازل العرب بين يافا وتل ابيب ، واعلن ايضا ان جماعة من العرب هاجمت مستودعات البوليس في الرملة ، واستولت على اربعمئة بندقية وثلاثة مدافع برن وستة مدافع رشاش وستين الف طلقة ، واذيع ايضا ان عددا من النجادة العرب هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين على طريق القدس - يافا واستولوا على ثلاثمئة بندقية وستة آلاف طلقة(٤٩) .

١١ - المارك في الشوارع والقرى :

وكان القتال في شوارع القدس متواصلا غير منقطع ، فلم ينقض يوم من الايام دون حرب او قتال ، ولا مرت ساعة دون ان يسمع صوت الرصاص يلعلع في الفضاء ، وما كنت ترى اينما حلت وحيثما سرت في مدينة القدس سوى جثث القتلى مبعثرة هنا وهناك ، هذا يهودي وهذا عربي ، وهناك شخص آخر انجليزي كان قد اتى ليحول دون اصطدام الفريقين ، او ليحرض احدهما على الآخر ، ولم تنقطع الحرائق وأعمال النسف والتدمير تارة في هذا الحي وطورا في ذلك ، وقد تنطفئ النار في حي او تخبو وقتنا قصيرا لتعود فتشتعل او تزداد التهابا في الأحياء الأخرى .

وكان اليوم السابع والعشرون من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ من

ايام القدس العصية ، اذ اقتتل الفريقان حيثما التقيا في المدينة القديمة وفي لفتاروميا وفي القطمون وباب الخليل وعند طلعة القسطل وباب الواد وفي كل مكان .

وبينما كانت تمر قافلة يهودية في القسطل على طريق القدس - يافا اذ هاجمها العرب وقتلوا اربعة من افرادها احدهم هانس ياريت من رجال الوكالة اليهودية ، وجرحوا خمسة ، منهم غوندا مايرسون رئيسة الشعبة السياسية في الوكالة(٥٠) .

ولجأ اليهود الى الارهاب يعمدون به الى اضعاف المقاومة العربية ، فألقت منظمة الارغون الارهابية برميلا طافحا بالمتفجرات بساب العمود ، فقتلت اربعة عشر عربيا وجرحت سبعة وعشرين ، وبينما تلاحق العرب يقتفون اثر السيارة التي تحمل الفاعلين ، راح الجنود البريطانيون المرابطون في عمارة تجاه مكان الحادث يطلقون النار على العرب فقتلوا آخرين ، ومع هذا فقد اوقف العرب السيارة والقوا القبض على احدهم ، ولكن كونستبلا بريطانيا انقذ اليهودي من ايديهم فقتلوا الكونستابل نفسه ورفيقا له حاول انقاذه ، كما احرقوا سيارة يهودية جاءت لتحمي الجناة(٥١) .

ويستمر شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ في حوادث متفرقة حتى اذا كان اليوم الأخير اعلن ان العرب قضوا على واحد واربعين يهوديا في معمل التكرير في حيفا(٥٢) .

فاذا اطل شهر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٤٨ نجد الانباء تفيدنا ان شعب فلسطين يوالي جهاده في كل قرية ومدينة ، بل في كل شارع وامام كل بناية ، وانه في هذا الصراع يكسب معركة ويخسر معركة أخرى ، وانه يدفع كل يوم العديد من رجاله بين قتلى وجرحى .

ولناخذ هنا برقيات وكالات الانباء التي نشرتها الاهرام في اليوم الاول من عام ١٩٤٨ لترى ان فلسطين كانت في كل بقاعها مرجلا يغلي وبركانا يقذف بالحمم ، حيث هددت جمعية الهاجانا اليهودية بالانتقام من العرب لمقتل الواحد والاربعين يهوديا في المعركة التي دارت عند معمل تكرير البترول في حيفا ، حينما تدخل اللواء العربي الاردني لانقاذ الكثيرين من اليهود في المذبحة ، ونشطت جماعة من العرب المسلحين فالقت عدة قنابل يدوية على

(٥٠) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٧٦ .

(٥١) جريدة الاهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٥٢) جريدة الاهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٤٧) جريدة الاهرام ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٤٨) جريدة الاهرام ١٤ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٤٩) جريدة الاهرام العدد ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .

سيارتين يهوديتين تقلان عمالا من اليهود بجوار محطة القدس ، فأصيب عدد من ركبها بجراح ، واطلق عربي الرصاص على يهودي في أحد شوارع القدس قتلته .

وقد بات حيان من الاحياء اليهودية في القدس ليلة في ظلام تام على اثر انفجار عظيم وقع في محطة القوى الكهربائية يعتقد انه نشأ عن قنبلة القاها العرب في المحطة ، واقتحمت سيارة لوري عند قرية يازور العربية الواقعة على طريق يافا - القدس والقيت منها قنبلتان فاخذ سكانها العرب يسددون نيران مسدساتهم وينادقهم الى احد الاحياء اليهودية المجاورة ، واطلقت النار على سيارة ركاب يهودية في حي البقعة فوقا فاصيب بعض ركبها وفي الوقت ذاته مرت سيارة ركاب عربية فألقى احد ركاب السيارة اليهودية قنبلة انفجرت بعد مرورها .

ووقعت عدة اشتباكات في احياء الجبالية وتل الريش وابسي كبير والمنشية بين يافا وتل ابيب اسفرت عن اصابة تسعة من اليهود وأربعة من العرب واطلقت النار من مستعمرة فيشر بجوار يافا على سيارة لوري عربية فأصيب ثلاثة من ركبها ، وهاجم اليهود بعد الظهر سيارة نقل عربية قرب مستعمرة ملبس فأصابوا احد ركبها وسيارة أخرى بالقرب من قليلية فاضطر سائقها الى الاسراع فانقلبت وقتل احد ركبها وجرح آخر ، وهوجمت سيارة ثالثة تقل عددا من العمال العرب بالقرب من مستعمرة ويلهما فأصيب احدهم ، وانفجرت قنبلة في شارع اغريبا بالقدس فأصيب عدد من اليهود بجروح (٥٣) .

واستمر القتال ضاريا دون انقطاع ويوميا ، وقد خفت قوات الشرطة تؤيدها السيارات المصفحة لنجدة مستعمرتين يهوديتين في طريق القدس -الخليل في المنطقة الجنوبية من فلسطين ، حيث اخذت قوات عربية كبيرة تشن عليها هجمات شديدة منذ الفجر ، وقد استعد العرب لهذا الهجوم فأقاموا الحواجز على الطرق ، وبثوا فيها الانفام لمنع القوات البريطانية من الوصول الى المستعمرتين ، ثم بدأوا هجماتهم بقوة يتراوح عددها بين عشرين وثلاثين مجاهدا بعد ان مهدوا لها بنيران حامية .

وأقام اليهود ستارا كثيفا من نيران اسلحتهم ، ولكن القتال لم يلبث ان تطور واتسع نطاقه بوصول نجدات اخرى من العرب يربو عددها على المائتي مقاتل ، وقد وقعت خمسة انفجارات هزت مدينة القدس ، وسمع

(٥٣) جريدة الاحرام العدد ١ من يناير ١٩٤٨ .

- ٣٢٠ -

على اثرها ازير رصاص المدافع الرشاشة ، وقيل ان رجال الهاجانا صبوا نيران مدافع الهاون على حي الشيخ جراح العربي ، ويقول المراقبون من جبل سكوبس الذي يطل على حي الشيخ جراح العربي ، أنهم شاهدوا عددا يتراوح بين ١٢ ، ١٥ قنبلة من قنابل الهاون تتساقط على اسطح منازل العرب في هذا الحي (٥٤) .

ومضت اربعة شهور منذ صدور قرار التقسيم الجائر ، والعالم مشدوه بما يبديه عرب فلسطين من غضب ، وما يقوم به من حركات وجهاد متصل .

ويستمر هذا الشهر الى آخر ايامه يشهد المارك في ليلها ونهارها في جميع الجهات وفي مختلف مناطق فلسطين ، فتلك قافلة يهودية مهاجمة ومحطمة ، وذلك هجوم عربي على انابيب نفط العراق وعلى متجمعات اليهود ومستعمراتهم ، مع حوادث ارهابية عديدة يتبادلها الفريقان ، فاذا انتصر العرب تدخلت بريطانيا بجيوشها توقف المجاهدين ، وتمكن لليهود من رد الفعل العنيف .

وانذر القائد العربي اليهود في بلاغه أنهم سيدوقون الامرّين ، وسيقتك بهم العرب فتكا ذريعا لا هوادة فيه ولا رحمة اذا لم يكفوا عن الغدر وسفك الدماء (٥٥) .

وحين لم يمثل اليهود للانذار الذي اعلنه القائد عبد القادر الحسيني بالكف عن قتل الابرياء غير المحاربين ، تم نسف الوكالة اليهودية في الحادي عشر من شهر (آذار) ١٩٤٨ (٥٦) .

وفي آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ كانت الاحداث تتوالى بذات الصورة، اذ نصب المجاهدون العرب كمينا لقافلة يهودية تتألف من ٣٠ سيارة مصفحة كانت قد غادرت القدس منذ الفجر لتعزيز مستعمرة كفارعصيون ، فاشتبك العرب مع رجال الهاجانا الذين كانوا يتولون حراسة القافلة في معركة شديدة ، ولكن القافلة تمكنت من اجتياز الطريق الى المستعمرة .

وهاجمت قوة من العرب قافلة يهودية اخرى في باب الواد بين القدس - يافا فنشبت بين الطرفين معركة شديدة بلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود فيها ٦٠ قتيلًا و ٨٠ جريحًا وغنم المجاهدون ١٢ مدفعا برن و ١١

(٥٤) جريدة الاحرام ١٥ من يناير ١٩٤٨ .

(٥٥) جريدة الاحرام ٢٥ من فبراير ١٩٤٨ .

(٥٦) راجع تفاصيل هذا الحدث الهام في صفحة ٣٤٥ من هذا الكتاب .

- ٣٢١ -

مدفعا ستن و ٢٠ بندقية و ٨ مسدسات وكميات كبيرة من الذخيرة ، وهاجمت فرقة الامين بقيادة عبد القادر الحسيني عددا من السيارات المصفحة اليهودية على طريق القدس رام الله انتقاما لاعتدائها على فئاة عربية عمرها ٦ سنوات فقتل العرب ١٧ يهوديا من رجال الهاجانا وجرحوا نحو ٢٠ ونسفوا احدى المصفحات واستولوا على اخرى وعلى سيارة شحن كبيرة وغنموا خمسة مدافع (٥٧) .

ونصبت قوة من العرب قوامها بضع مئات من المجاهدين كميننا لقافلة من السيارات التابعة لقوات الهاجانا تتألف من ٥٨ سيارة بينها ١٧ سيارة مصفحة على مسافة اربعة اميال من بيت لحم ، وما كادت تصل القافلة الى مواقع العرب حتى طوقها المجاهدون ، وسدوا في وجهها الطريق ، واشتبكوا مع رجالها في معركة عنيفة ، واستنجد ركاب القافلة وحراسها بقيادة الهاجانا ، فحُفَّت الى مكان المعركة اربع طائرات من السلاح الجوي اليهودي، واخذت تضرب العرب بالقنابل والنيران ، وقتل نحو ٨٠ من رجال القافلة اليهودية ، ونصب نحو ٢٠٠ من العرب كميننا آخر لقافلة يهودية مؤلفة من ست سيارات على مقربة من سواحل فلسطين الشمالية وقتلوا ٤٢ يهوديا من ركابها ، وكانت ثاني قافلة يهودية يتصيداها العرب خلال اربع وعشرين ساعة (٥٨) .

وحين جاء شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٨ جاءت ايامه صورة مطابقة للايام السابقة من تجدد القتال وقوته ، واشتعال النار بين العرب واليهود في كل مكان في فلسطين ، ولقد شهد هذا الشهر ذلك الصراع المرير حول بلدة القسطل في ضواحي القدس والتي فصلنا معركتها وما اتصل بها من احداث استشهد خلالها القائد عبد القادر الحسيني في غير هذا المكان (٥٩)، وشهد ايضا دخول المجاهدين المتطوعين العرب من جيش الانتقاذ الى فلسطين حيث بدأت تلك الافواج عبر الحدود الفلسطينية ، وكان على رأسهم القائد فوزي القاوقجي الذي كان قد اشتهر بجهاده وقيادته ثورة فلسطين العارمة عام ١٩٣٦ .

وعلى الرغم من أن الايام العشرة الاولى من هذا الشهر كانت اياما فاجعة للعرب ، ولا سيما عندما تناقص سلاحهم في معارك القسطل ، واستشهد القائد الحسيني وجرح عديد من رفاقه ، وعندما هاجم اليهود

دير ياسين وفتكوا بسكانها ، على الرغم من ذلك فان الروح القومية التي استولت على الفلسطينيين دفعا عن ديارهم لم تخمد ولم تتراجع ، ويحدثك التاريخ ان العرب كانوا اقوياء في جميع الميادين على الرغم من الخسائر العديدة في الارواح والعتاد سواء في معارك يافا او حيفا او في القدس نفسها .

وفي الثالث عشر من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ كانت معركة كبرى قد نشبت في حي الشيخ جراح ، وانها لتواصل تقديم الدليل على قوة شعب فلسطين ودفاعه ، فبينما كانت قافلة يهودية كبيرة تجتاز الحي الى الجامعة العبرية ومستشفى هداسا وهي مؤلفة من تسع سيارات كبيرة اثنتان منها مصفحتان وتضم الى جانب العلماء والاطباء اليهود مجموعات من رجال الهاجانا المسلحين اذ اعترضهم رجال فرقة الجهاد المقدس التي كانت قد فقدت قائدها الشهيد عبد القادر الحسيني منذ اسبوع ، وكان عدد هؤلاء المجاهدين اربعة وعشرين مقاتلا مشاة مسلحين بالرشاشات والبنادق ، وفتكت الفام العرب بسيارتين ، مبيدة ثمانية وثلاثين من رجالهما ، وعلى صراخ الوكالة اليهودية واستنجاها بالجيش البريطاني خف هذا ووجهه سلاحه الى المناضلين العرب من ثلاث جهات ، وازاء ذلك خف قسم آخر من المرابطين في الاحياء الاخرى من القدس جاءوا يهللون ويكبرون ، وتتناقل جبال القدس رجح صوتهم المدوي وهم يبلغون المائتين ، وقذفوا بانفسهم في لهيب المعركة ضد اليهود والبريطانيين على السواء ، ووسط هذا العزم النافذ عرض اليهود الاستسلام والقاء السلاح ، وقتل اليهود غدرا المندوب العربي المفوض لابلاغهم الشروط ، فلم يعد هناك متسع لقبول الاستسلام .

وعند السادسة مساء كان قتلى اليهود يبلغون المائة والعشرين بينهم عدد كبير من رجالهم المهمين ، ولم ينج من القافلة الاثمانية اشخاص حماهم البريطانيون الذين خسروا هم ايضا ستة بين قتيل وجريح ، وكانت خسارة الفلسطينيين يومها اثني عشر شهيدا بينهم صحفي معروف (٦٠) ، كما كان بين الجرحى قائد المجموعة العربية عادل النجار ، فتولى بعده القيادة عادل عبد اللطيف واستشهد مناضلان آخران بينما كانا يحملان لغما انفجر اثر رصاصة بريطانية (٦١) .

ان هذه المعركة التي حدثت في ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ تعطينا اكثر من معنى واقوى من الاثبات ، ان الفلسطينيين لم يهنوا ولم يضعفوا برغم

(٦٠) هو الشهيد المرحوم شكري قطينة .

(٦١) جريدة الاهرام ١٤ من ابريل ١٩٤٨ .

(٥٧) جريدة الاهرام ٢٨ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٨) جريدة الاهرام ٢٩ من مارس ١٩٤٨ .

(٥٩) راجع التفاصيل عنها في صفحة ٢٤٧ من هذا الكتاب .

خسائرهم وبرغم متابعهم وبرغم استمرار قتالهم منذ بدء الحوادث بعد قرار التقسيم في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) وطوال خمسة شهور .

وتعطينا أيضا ان العرب يستطيعون حرب اليهود والانجليز معا ، اذا ما توافر لديهم السلاح (وكانوا قد تزودوا ببعضه من المعسكرات الانجليزية المهاجمة) وان العرب وهم المشاة لا سيارات معهم استطاعوا ان يهزموا اليهود وهم محصنون في سياراتهم ترعاهم المصفحات ، وتوضح هذه المعركة ايضا ان المقاومة العربية لم تذب وتخمذ بعد مقتل القائد الحسيني ، ولكن رسالته استمرت واخوانه سدوا الفراغ . وتعطينا ايضا ان اليهود الذين هاجموا قبل ثلاثة ايام قرية دير ياسين العربية ومثلثا سكانها مما سنعرضه في مكان آخر لم يستطيعوا ان يثبوا الرعب والخوف في نفوس العرب رغم فظائهم في سكان تلك القرية فظائع يندى لها جبين الانسانية .

وبعد كل هذا ، وقبل كل هذا ، ان الفلسطينيين استمروا يصلون المعارك ويفزعون لها ، ويتنادون اليها من قراهم واحيائهم ، حتى بعد دخول جيش الانتفاذ العربي الذي تؤيده سبع دول ، وتقف وراءه سبع ميزانيات ، بل تثبت لنا ان الانجليز الذين خفوا لنجدة اليهود مسرعين لم يسرعوا حين كان اليهود يهاجمون قبل ثلاثة ايام بمصفحاتهم ورجالهم وقوتهم قريبة دير ياسين الآمنة الصغيرة فحطموها وقتلوا رجالها ونساءها .

على انه من المضحك ان نجد ان الدكتور « هاغنس » رئيس الجامعة العبرية يكتب الى الجنرال ماكميلان القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين يلومه لان الجيش البريطاني لم يسرع لنجدة القافلة ، وانه جاء متأخرا ، ولسنا نعرف حقا يبيح لرئيس الجامعة العبرية ان يلوم ، الا ان يكون لوم الحليف لحليفه الذي يريد ان ينسب اليه اسباب الهزيمة .

وكانت هناك معركة اخرى تدور على طريق الجسر المؤدي الى مستعمرة صهيونية ضاع فيها عدد من اليهود ، وتلور ايضا معركة مع مستعمرة الخضيرة التي نسف قريبا القطار ، ومعركة اخرى مع قافلة تقصد مستعمرتي زراعين وجبرين .

وتتعدد المعارك والاشتباكات حتى لا يهدأ مكان ولا تستقر جهة .

ونعود من جديد لنذكر ان الباحث المنصف لا يستطيع الا تقديم الاسف

والالم ، وهو يرى شعبا شجاعا مقادما يعوزه السلاح وتنقصه المعدات .

واذا كانت هذه الاحداث التي رويناها في ايجاز واضطرنا الى حذف الكثير فيها لتشابه حوادث ايامها تشابها فرضته مواصلة الجهاد ، وهي لا تكفي للاحاطة بكامل الوضع في ذلك التاريخ الخطير ، فاننا نورد فيما يلي شيئا من احداث اخرى تلاحقت واخذت صورة المعارك الكبرى ، وثبت فيها الفلسطينيين ثبات الابطال برغم قلة السلاح قلة تبدو واضحة في مثل معركة الصبيح (٦٢) ، اذ حدث ان اصطدم ثمانية من ابناء عشيرة الصبيح (٦٣) بفتة من اليهود قوامها عشرون مسلحا ، وارشد اليهود تاركين وراءهم سبعة قتلى ، وطلب اليهود النجدة من قيادة الهاجانا فانجدهم هذه بعدد كبير من ابناء المستعمرات ، وتنادى العرب للقتال ، وجاءتهم النجدة من قرى الشجرة وكفربركن والناصره (٦٤) ، وعند الظهر كان عدد المنجدين قد بلغ التسعين مسلحا ومعهم مدفع رشاش واحد من طراز برن ، فخذق الجميع حول المستعمرة اليهودية بشكل هلال ، واستطاعوا السيطرة على السهل والوادي القريب منه ، وكان البرد شديدا ، وكانت الامطار تنهمر بغزارة ، واستعمل اليهود مدافع الموتر والرشاشات لمدة ساعتين ، ثم خرجوا من المستعمرة وراحوا يزحفون في اتجاهين ، فريق مكون من تسعين مقاتلا اتجه قاصدا عبور الوادي وفريق اتجه صوب التل الذي وقعت عليه معركة الفجر ، مستعملين الحرائق لنقلهم بسبب الامطار والاحوال ، وكانت تلك الحرائق تجر وراءها السيارات المصفحة ، وصمد المجاهدون ساكنين الى ان اقترب اليهود ، وترجلوا ، فأطلق المجاهدون عليهم نارا حامية أصابتهم بهزيمة صاعقة ، حتى ان الحرائق لم تعد تكفي لنقل جرحاهم ، ولاحقهم المجاهدون الذين لم يستطيعوا اقتحام المستعمرة المحصنة تحصينا قويا ، ولم تكن بنادقهم قادرة على حصونها، بل ان قائد هذه الجماعة العربية صرح بانهم عندما احصوا ما تبقى من عتاد لم يكن بيد الواحد منهم سوى عشر طلقات ، وقد توسط الصليب الاحمر في نقل القتلى فكانوا عشرين قتيلا وعشرين جريحا .

وانه ليبدو واضحا كيف كان ممكنا صمود الفلسطينيين في بلادهم وديارهم ضد اليهود والانتصار عليهم ، لو مكنوا من السلاح الكافي المفيد ، فان معركة الصبيح هذه التي استشهدنا بها لم تسفر عن هزيمة العرب ،

(٦٢) حدثت هذه المعركة في الثالث من يناير ١٩٤٨ .

(٦٣) كان يقودهم احد ابناء القبيلة المسمى علي النمر .

(٦٤) كان يقود النجدة عبد القادر الفاهوم .

على الرغم من أنهم كانوا مسلحين بالبنادق وحدها ، وكان العدو يملك مدافع الموترر والرشاشات والسيارات المصفحة .

وإذا كان شهداء العرب ليسوا كثيرين في هذه المعارك ، فإن المنهزم عادة يدفع أكثر ارواحا ، وكان العرب منتصرين ، ولكن اليهود استطاعوا مواصلة الارهاب وانزال خسائر كبيرة بالعرب عامدين الى نشر الذعر وبث روح الفوضى والشعور بالالام .

معركة ظهر الحجة :

اقتربت مجموعة من اليهود من قرية صورييف العربية وكانت المجموعة قادمة لنجدة اخوانهم في مستعمرة كفار عصيون ، فخرج لهم سكان القرية وراحوا يطاردونهم حتى ارغموهم على ان يحتموا بجبل يدعى «ظهر الحجة» وكانت النجدة اليهودية مسلحة بأسلحة اوتوماتيكية وجهاز لاسلكي ، ولكن المناضلين العرب الذين لم يكن سلاحهم الا البنادق الاعتيادية استطاعوا ان يبيدوهم عن آخرهم ، وكانوا اربعين مقاتلا بينهم العديد من شباب الجامعة العبرية ، وقد اعترفت احدى الجرائد اليهودية باسماء خمسة وثلاثين قتيلا منهم (٦٥) .

وجاءت في اليوم التالي قافلة يهودية لنقل الجثث ، فدارت معها معركة دامت سبع ساعات ، وخلفت وراءها ثلاثة وعشرين قتيلا ، واستشهد من العرب سبعة مجاهدين .

معركة كفر كنا :

وتسير بنا الاحداث متوالية ، فتقع معركة كفر كنا حيث هاجم اليهود القرية بنية الاستيلاء عليها ، ولكن المناضلين صدوهم ولحقوا بهم حتى وصلوا الى كرم الزيتون التابع لمستعمرة الشجرة .

معركة عين ماهل :

هاجم اليهود معسكر المناضلين العرب ومهدوا لهجومهم بقنابل الموترر ، وكانوا زهاء ستين يقابلهم خمسة عشر عربيا مسلحا ، وصد اليهود برغم سلاحهم القوي وعددهم الكثير ، واستولى العرب على قطع من البقر قوامه اربعون بقرة حلوبا ، بعد ان قتلوا حراسها الخمسة ، وتصدى لهم

(٦٥) جريدة جيروساليم بوست ، العدد ٧٤٦٦ الصادر في ١٩ من يناير ١٩٤٨ .

اليهود محاولين استرداد بقرهم ، فقامت معركة خسر فيها اليهود اربعة من القتلى ، وبينما كان المناضلون يكمنون لقافلة يهودية قادمة من طبريا اذ جاءت خمسة مصفحات بريطانية تحرس تلك القافلة ، وتحلق عليها طائرتان من طائرات الجيش البريطاني ، وطوقوا المناضلين العرب الذين احسنوا الانسحاب قبل ان يلحق بهم الجنود (٦٦) ، وكان المناضلون قد نصبوا لغما لتلك القافلة ، ونسف المجاهدون جسر الشراء فأضطر ركاب سيارات يهودية تحمل عددا من المسلحين للهبوط ارضا بسبب نسف الجسر، فهاجمهم المناضلون وقتلوهم وكسبوا سلاحهم ، ويلحق بذلك نسف اربعة خزانات كهربية من جسر الجامع بحيث عاشت مستعمرات اليهود بمرج ابن عامر في ظلام دامس .

ويشت مؤرخ (٦٧) عربي رافق الاحداث يوما بيوم ان الخسائر كانت الى ١٧ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٨ كما يلي :

١٠٥٠ عربيا

٧٥٠ يهوديا

١٠٣ انجليزيا

معركة الماصيون :

كانت جماعة من اليهود يرابطون في الطريق لاعتراض السيارات العربية، وفي احدى محاولاتهم اعترضهم العرب حينما كانوا يصعدون تل الماصيون بمنطقة رام الله ، وكان بين المجاهدين العرب عدد من المثقفين (٦٨) ، ودارت المعركة وانتصر العرب وقتل احد عشر يهوديا ، ورفع ستة ايديهم رامين سلاحهم معلنين استسلامهم ، وحينما تقدم العرب لتسلمهم رماهم احد اليهود بقنبلة يدوية فسلط العرب رصاصهم عليهم وابادوهم .

معركة شعفاط :

وتلك معركة شعفاط حيث هاجم المناضلون الفلسطينيون (٦٩) قافلة

(٦٦) كانت هذه المعركة في ٢٣ من يناير ١٩٤٨ .

(٦٧) نفي به الاستاذ عارف العارف صاحب كتاب النكبة والفردوس المفقود من سبعة اجزاء .

(٦٨) كان بينهم الدكتور خليل بدران رئيس منظمة الشباب برام الله ، ولييب حسنة رئيس الكشاف العربي بها وعبد الحليم عبد الصمد الشيخ الذي بلغ السبعين من عمره ، وعبد الرؤف اسماعيل الذي كان يدير شركة السيارات الوطنية بتلك المنطقة .

(٦٩) كانت في ٢٤ من مارس ١٩٤٨ .

يهودية كانت تمونّ بعض المستعمرات ، وحطّموا المصفحتين اللتين ترعيان القافلة ، وقضوا على حياة أربعة عشر يهوديا من رجال القافلة وجرحوا آخرين ، واستولوا على أسلحة كثيرة ، ولولا تدخل الجنرال ماكميلان قائد القوات البريطانية في فلسطين لما توقفت المعركة ، ولقضى العرب على جميع رجالها ، وكانت هذه القافلة نفسها قد اطلقت نارها على قرية شعفاط العربية فقتلت تسعة رجال وفتاة .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه المناضلون الفلسطينيون يخوضون المعركة ضد المصفحات اليهودية عند شعفاط ، كان اخوانهم الاخرون يرابطون على طريق القدس - يافا ، وما ان مرت القافلة اليهودية الاخرى المؤلفة من ١٣ سيارة حتى حطموها جميعها .

معركة الدهيشة :

ولم يمر يومان على معركة القافلة المقدسية ، حتى نشبت معركة كبرى اثبت فيها الفلسطينيون وجودهم بحق وصدق ، تلك هي معركة الدهيشة (٧٠) ، حيث اصطدم مائتا مجاهد من ابناء فلسطين النخرطين في فرق الجهاد المقدس مع قافلة يهودية قوامها مائتان وخمسون رجلا من رجال جيش الهاجانا اليهودي كانوا يركبون اربعا وخمسين سيارة محروسة بأربع مصفحات عسكرية ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبه قبيل شروق شمس ذلك اليوم ، وانفجرت الالغام العربية المبتوثة في طريق القافلة فقتل وجرح العديد من اليهود ، واحاط المجاهدون برجال القافلة من جميع الجهات واستمر القتال بقوة وبغف النهار بطوله وتبعه الليل ايضا .

واشتركت الطائرات اليهودية في المعركة فحطقت اربع منها تحاول امداد المحصورين بالوّن والعتاد ، ولكنها فشلت واسقطت واحدة منها ، وحين ادرك اليهود انهم مغلوبون استنجدوا بالوكالة اليهودية التي استنجدت بالجيش البريطاني ، وجاء الجيش البريطاني مزودا بالمدافع ، يحاول فك حصار اليهود ، ولكن العرب كانوا قد تجمعوا من القرى المجاورة كلّ بما يملك من سلاح ، فقابلوا الجيش البريطاني برصاصهم ، وأندروه بأن الالغام مبتوثة في طريقه ، وحذروه ان يتقدم معلنين انهم على استعداد لقتاله ، وتراجع الجيش البريطاني ، ولم يتقدم خطوة واحدة ، واستنجد اليهود من جديد بوكالتهم ، وبالحكومة التي راحت تستنجد بكبار العرب وتفاوضهم كما تفاوض الهيئة العربية العليا طالبة فك حصار اليهود ، وامام اصرار

(٧٠) كانت في ٢٧ من مارس ١٩٤٨ .

العرب القى اليهود سلاحهم بعد حصار دام ٣٦ ساعة متخلين للعرب عن ثلاث مصفحات وثمانية سيارات ركاب كبيرة وثلاثين سيارة شحن وثلاثين بندقية من طراز ستين ، واربعين بندقية من طراز برن ومائة قنبلة انجليزية والمانية وقنابل ومسدسات كثيرة وطنا ونصف طن من ملح البارود والمتفجرات ، ومقادير كبيرة من الامتعة والذخائر ، وتسلمت الحكومة ١٥٩ يهوديا بينهم ٢٤ قتيلا .

١٢ - تارجح امريكا بين مشروع الوصاية وقرار التقسيم :

كان الموقف العربي من القوة والعزم بحيث مرت أحداثه منذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى آخر مارس (آذار) ١٩٤٨ وكلها أحداث بطولية عربية مصممة ، وقد راينا انباء الانتصارات في المعارك العديدة ، وعجز اليهود عن كسب اي نصر في معاركهم مع العرب .

وكانت القدس الجديدة محاصرة بقوات الفلسطينيين المجاهدين يمنعون الماء والغذاء وكانت عزائم اليهود فيها تسير الى الضعف والانهار ، حتى قامت مظاهراتهم بداخلها يطلبون وقف القتال ، وحتى اضطروا الى توزيع المياه بالبطاقات ، وضاعت بهم الحياة وتجرعوا مرارة الحصار ، كان كل ذلك يجري وليس في الميدان الا شعب فلسطين وقلة مخلصه من المتطوعين العرب الذين تدفمها العقيدة الاسلامية فأسرعوا الى الميدان يحاربون ويشاركون .

وتجاوبت شكاوى الصهيونية العالمية مع يهود القدس المحاصرين . والذين انقطعت صلتهم بالعالم وبتل ابيب ، فتقدمت جموع اليهود الى مستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية طالبة العون والتدخل لانقاذهم من الهلاك .

وتغير موقف امريكا التي طالما نادى بالتقسيم ، والتي اختارت وفدها في لجنة التحقيق ليكون صهيونيا اولاً ثم دوليا ثانياً ، والتي عملت على التهويد السريع ذلك الذي لم يستطع اليهود في ثلاثين عاما ، تغيير موقفها امام صلابه وتصميم شعب فلسطين ، وفي ١٩ مارس (آذار) ١٩٤٨ تقدم مندوبها في مجلس الامن السناتور « اوستن » ليعلن ان الولايات المتحدة لم تعد متمسكة بالتقسيم ، وانها تطالب بوضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . ولكن هذا الاعلان الذي ايدته بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول التي نادى بالتقسيم لم يعيش طويلا ، ذلك لان الصهيونية نادى بطلانه ، وصرح وايزمان لاولئك الذين اصروا عليه بترك التقسيم :

ما أمكن الاستيلاء عليه من القطارات والمعسكرات البريطانية التي أخذ الفلسطينيون يهاجمونها بذلك السلاح القليل ، هجوما يغلب التصميم فيه كل مقاومة ، حتى أمكن في كثير من المرات الاستيلاء على كميات طيبة ومفيدة ، ولانبات ذلك يحسن ان نرجع معا الى البرقيات التي نشرتها الأهرام في حينها عن هذا الموضوع ، اذ اعلن رسميا ان جماعة مسلحة من المجاهدين هاجمت مستودعات الشرطة في الرملة واستولت على ٤٠٠ بندقية وثلاثة مدافع من طراز برن وستة مدافع رشاشة من طراز ستن و ٦٠ الف طلقة ولكنها اضطرت الى التخلي عن سيارتين من السيارات المحملة بهذه الفنائيم(٧٣) . وأذيع بلاغ رسمي آخر ان عددا من رجال جيش النجادة العربي هاجموا فصيلة من الجنود البريطانيين في منتصف ليلة ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ على طريق القدس - يافا واستولوا على ٣٠٠ بندقية و ٦ آلاف طلقة من الرصاص ، ثم علم ان العرب تمكنوا من ايقاف أربعة قطارات حديدية بين حيفا واللد وأفرغوا شحناتها من المواد الغذائية والأسلحة وأعلن في نفس تاريخ هذا الحادث انهم هاجموا مركزا للشرطة واستولوا منه على سبعين بندقية وثلاثة عشر مسدسا ومقادير من الذخيرة(٧٤) .

ثم أذيع رسميا ان العرب هاجموا قطار البضائع في شمال فلسطين واستولوا على ما فيه ، وحين فتحت جماعة أخرى عربات القطار في محطة الجدل في منتصف ليلة الرابع والعشرين ولم يجدوا ما يطلبون انسحبوا دون أخذ شيء ، ثم هاجم المجاهدون حراس أنابيب المياه الرئيسية فنسفوا هذه الأنابيب ، واستولوا من الحراس على سبع بنادق و الف رصاصة . وتمكنت جماعة عربية أخرى ترتدي الملابس العسكرية من مهاجمة مخزن بريطاني للأسلحة في تل لتفنسكي ، واستولت على مائة بندقية بعد قتل جنديين بريطانيين وجرح اثنين آخرين(٧٥) . وكان المعسكر البريطاني بجنوب فلسطين هدفا لهجمات المجاهدين في سبيل الاستيلاء على السلاح حيث أذيع بلاغ رسمي بذلك خلال الشهر الأول من عام ١٩٤٨(٧٦) . ثم اتجهوا الى مركز شرطة عكا فهاجموه واستولوا على مقادير من الأسلحة والذخيرة(٧٧) . وصدر بلاغ رسمي من دار الانتداب يفيد ان جماعة من

(٧٣) جريدة الأهرام ١٥ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٧٤) جريدة الأهرام ٢١ من ديسمبر ١٩٤٧ .

(٧٥) جريدة الأهرام اعداد ٢٤ و ٢٦ و ٢٠ ديسمبر ١٩٤٧

(٧٦) جريدة الأهرام العددان ٩ و ١٢ من يناير ١٩٤٨

(٧٧) جريدة الأهرام العدد ٤ من مارس ١٩٤٨ .

« ان قوة العرب خرافة ، وان التراجع عن التقسيم سابقة خطيرة للهيئة ، وان نتائج العدول عنه أخطر من اقراره ، هيثوا لليهود نصف فرصة لينسفوا اسطورة العرب المسيطرة على العقول في الغرب (٧١) » . وسرعان ما تغير موقف الامريكان والانجليز وغيرهم ، سرعان ما تغير موقفهم جميعا .

تمسك « ترومان » من جديد بالتقسيم ، وفتح ميناء تل أبيب يستقبل السفن المأوى بالسلاح الثقيل وبالذخائر ، وواصلت بريطانيا مهمتها التي بدأتها منذ انتدابها في تسليح اليهود وتدريبهم ، وهي التي بالامس استغلت ضعف الدول العربية فأعرضت على تدريب الفلسطينيين بسوريا ، ها هي تصمت عن السلاح ينزل ثقلا ومتنوعا لليهود بتل أبيب لتقوى به جيوشهم ، بل انها تسلم اليهود في فلسطين في اواخر مارس (آذار) كميات كبيرة من سياراتها المصفحة والسلاح والعتاد والدبابات من معسكراتها في وادي الصوار ورأس العين وصرفند وغيرها (٧٢) ، وتعدد وصول السلاح لليهود من تشيكوسلوفاكيا في الكتلة الشرقية ومن امريكا ومن كل مكان في العالم الغربي المتعصب الاعمى ، وتوافد على فلسطين عديد من الضباط الامريكيين والبولونيين والتشيكيين والروس ماجورين لليهود ومتطوعين معهم .

وبقي عرب فلسطين في ميدانهم الكبير يجالدون اليهودية العالمية والاستعمارية الصليبية .

١٣ - متاعب الفلسطينيين في الحصول على الأسلحة :

على الرغم من القيود التي كانت مفروضة على العرب لمنهم من حيازة السلاح ، رايناهم يقاتلون كل يوم وفي كل مكان قتالا تعددت اساليبه واختلفت صورته ذلك انهم قد استطاعوا بصدق وطنيتهم الحصول على السلاح من مصدرين :

اما الاول : فهو ما اشتراه الفلسطينيون انفسهم بالاموال التي جمعوها من داخل وطنهم وبالاموال التي وصلت الى الهيئة العربية العليا ، فمدت المقاتلين في حيفا ويافا والقدس وبقية الجهات بما أمكن الحصول عليه من سلاح وعتاد ومرتبات لمساعدة المقاتلين . وكان المصدر الثاني :

(٧١) مذكرات وايزمن باللغة الانجليزية ص ٥٧٩

(٧٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ص ٢٢٢

العرب ترتدي ملابس كونستبلات الشرطة أغارت على مركز البوليس بالمدينة القديمة بالقدس واستولت على خمسة وسبعين بندقية وبعض مدافع ستن(٧٨) .

وحين عجز العرب عن غنم ذخائر واسلحة حي ميكورحايم تولوا نفسه واتلافه وكان هذا قبيل وصول الجيوش العربية .

على ان هذه الحوادث نورها على سبيل المثال لا الحصر ، وكانت هذه الكميات من الاسلحة توزع على سكان المدن والقرى في مختلف انحاء فلسطين ، ليشارك الجميع في الدفاع وفي الهجوم ، وأنه لا ريب عمل فدائي مهم رغم عدم كفاية الكميات وتناسبها مع المعركة والاستعداد المقابل .

١٤ - لجنة الجامعة وكفاح الفلسطينيين :

على ان هناك مصدرا ثالثا لا بد من ذكره ، وان كان ذكره لا بد ان يجرنا الى تحميله مسؤولية كبيرة عندما وقف حائلا دون تسليح عرب فلسطين ، وآثر جيش المتطوعين عليهم ، ونعني بهذا المصدر اللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق .

ولقد اثبتنا قبلا تلك الكميات الصغيرة التي زودت بها اللجنة عرب فلسطين ، وكانت كمية لا تعدو الف وستمائة قطعة وزعت بين حيفا وصفد وطبريا ويافا والقدس وبعض القرى في المنطقة الشمالية(٧٩) ، وكان قسم كبير منها بدون ذخيرة وقسم آخر لا يصلح للاستعمال .

والتاريخ لا يغفل ، أنه حينما امكن توفير كميات من السلاح لشعب فلسطين ، اعترضت جهات رسمية عديدة في الدول العربية ، ووجهت المال والسلاح الى لجنة الجامعة ، وذلك محسن البرازي وزير الخارجية السورية يوضح في مذكراته التي نشرت بلبان أوجها عديدة من طرق منع السلاح والمال عن الفلسطينيين ويقول : « عندما تبرع الشعب العربي في المملكة السعودية بنحو نصف مليون جنيه خلال أيام قليلة للمجاهدين الفلسطينيين عام ١٩٤٧ ، تدخل المسؤولون العرب طالبين تحويل المبلغ الى الجامعة لا الى الهيئة العربية الفلسطينية التي افتتها الجامعة وتولت قيادة الجهاد في فلسطين ، وحين تقرر في الرياض أيضا مد المجاهدين الفلسطينيين بكميات من السلاح والذخائر بواسطة المفتي باعتباره رئيس

(٧٨) جريدة الاهرام العدد ٢ من مايو ١٩٤٨ .

(٧٩) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

الهيئة حول السلاح تحت الحاح المسؤولين العرب الى اللجنة العسكرية بدمشق بدلا من ارساله الى المجاهدين .

بل ان البرازي ليذكر انه استقل طائرة لتبليغ رغبة المسؤولين العرب حكام الرياض وكان لهم ما ارادوا .

ولما سلمت مصر جزءا من كميات السلاح التي تمهدت بها الى الهيئة العربية ، نقلت الى فلسطين بواسطة محافظ سيناء وبعض ضباط الحدود ، اسرع احد اعضاء اللجنة العسكرية بالحضور الى القاهرة فتسلم بقية السلاح ونقله الى دمشق(٨٠) .

ان عرقلة تسليح فلسطين كانت في بعض الاحيان تأخذ صورة اوضح وأعمق ، فقد تجمعت تبرعات لبنان واستطاع ابناءؤه ان يشتروا من بلجيكا ٧٨٥ بندقية و ١٧٥ رشاشا ، وصلت في تكتم وحذر سالمة الى ميناء بيروت ، وكان مقررا تسليمها الى القائدين العربيين عبدالقادر الحسيني(٨١) وحسن سلامة(٨٢) ، ويقول باحث عربي عاصر تلك الاحداث وسجلها في حينها : « وصلت هذه الكمية العظيمة من الاسلحة والذخائر قبيل وقوع معركة القسطل بيضعة ايام ، وكانت مكدسة في عنابر اللجنة العسكرية عندما حضر عبد القادر الحسيني يستنجد باللجنة العسكرية ويطلب سلاحا . . وقابله طه الهاشمي بالرفض والصدود وعدم المبالاة ، ولو سلمت تلك الكمية او بعضها للمجاهدين لكان في الاستطاعة تجنب الكارثة(٨٣) » .

على ان هذا الباحث(٨٤) يضيف الى قوله هذا ما يفيد ان مندوبي اللجان القومية والمدن والقرى المهتدة بالاجتياح اليهودي كانت تهرع الى دمشق طالبة اسلحة وذخائر من مخازن اللجنة العسكرية المكدسة بها ، وانها كانت تعود فاشلة آسفة بعد ان تسمع من طه الهاشمي قارص القول والسخرية والازدراء . وكانت تلك الوفود موضع اللوم والتأنيب ان هي حاولت مراجعة الهاشمي في بيته او نوادي دمشق الذي كان حريصا على المحافظة على مواعيده لزيارتها .

وانه لامر محزن ان تمتنع لجنة الجامعة العسكرية عن امداد

(٨٠) طه الهاشمي ، جريدة الحارس العراقية ابريل (نيسان) ١٩٥٢ .

(٨١) استشهاد هذا القائد في معركة القسطل .

(٨٢) استشهاد هذا القائد في معركة رأس العين .

(٨٣) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين .

(٨٤) اميل الغوري عضو اللجنة العربية العليا .

الفلسطينيين بالسلاح ، والمركة تلتهب نارها في القسطل ، لأنها على حسب تعبير طه الهاشمي « تحتاج الى السلاح لانشاء فوج جديد لجيش الانتفاذ من الاسماعيليين(٨٥) » وانه لمنطق يشذ عن كل فهم ، ان يترك المحاربون الذين يحسون بالام النكبة ويريقون دماءهم وسط ارضهم دون سلاح ، انتظارا لانشاء فوج لم يكون بعد ، ولعله لم يكون حتى الان .

وعلى الرغم من افتقار الفلسطينيين الى السلاح وعدم تدريبهم تدريبا كافيا ، فقد حافظوا على عديد من مواقعهم ولم يستطع اليهود اجلاءهم عنها ولا احتلال اراضيهم الا بعد ان تم اقضاء شعب فلسطين عن ميادين القتال ، وتولت الامر دول الجامعة العربية السبع ، ولنضرب لذلك مثلا :

كانت المعارك في القدس تشتعل ليل نهار ، وكان اليهود الذين تمركزوا في اجزاء القدس الجديدة يحاولون ان يكتسحوا العرب من كل المدينة المقدسة القديمة والجديدة ، ولكن العرب صمدوا امام هجمات الهاجانا وزفاني ليومي ، بل انهم احكموا الحصار على الحي اليهودي في المدينة القديمة منذ الرابع من فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، فعاش اليهود في عزلة مريرة على الرغم من ان الجيش البريطاني كان يمددهم بالخضروات ومواد التموين . وكان القتال متواصلا بين اليهود المحاصرين وبين العرب ، وكان كل فريق يفقد عددا من رجاله يوميا بين قتيل وجريح ، ووسط هذا الحصار كانت قوات الهاجانا تهاجم العرب وتحاول فك الحصار فلا تفلح ، واستمر هذا الحصار اكثر من ثلاثة شهور حتى احتلها العرب مما سنفضله في صفحات لاحقة .

وكان حي المصراة في القدس حيا عربيا كثيف السكان ، وتلقى من اليهود ضربات مبرحة يرمونه بقنابلهم ويصطادون سكانه برصاصهم ، وحين هزم اليهود في معركة الدهيشة انزلوا جام غضبهم عليه وبلغ مجموع ما رموا به الحي في يوم واحد قرابة العشرين قنبلة ، فهدموا بعض اجزائه وقتلوا ستة من العرب وجرحوا اربعين آخرين ، ولكن العرب ركزوا على الحي اليهودي الذي اتخذه اليهود منطلقا وهو حي مياشوريم فدكوه بقنابل المورتر حتى احدثوا به خسائر كبيرة ، واعلنت صحفهم ان مائة وخمسة وثمانين يهوديا قتلوا في ذلك القذف العربي ، بل ان الالف من سكانه هجروه والتجأوا الى غيره من احياء اليهود ، وهنا تقدم المجاهدون الفلسطينيون يحاولون احتلاله ولكن الانجليز حالوا دون ذلك ، فقد تصدت

لهم قوة منهم واطلقت رصاصها على المناضلين العرب فجرحت منهم عددا كبيرا .

واستمر الترامي بين الفريقين دون هوادة ، الا خلال هدنة قصيرة فرضها الانجليز في شهر مارس (آذار) حيث استأنف اليهود ضرب حي المصراة في اواخره ، وفقد العرب كثيرا من الشيوخ والنساء والاطفال فيه ، حتى كان اليوم الرابع عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ حين رحل الانجليز عن القدس ، فتقدم اليهود واحتلوا المستشفى الايطالي الذي يكون نقطة استراتيجية مهمة بالنسبة للاحياء العربية ، وهاجم العرب اليهود يريدون اخراجهم من المستشفى ، واستمرت المعركة سبع ساعات ، وكان قوامها خمسة وستون شابا فلسطينيا يشاركونهم خمسة وستون متطوعا من جيش الانتفاذ ، وكان هناك عشرة من شباب فلسطين لم يجدوا سلاحا ، فخصصوا لنقل القتلى والجرحى ، ومضى اليوم الرابع عشر ولم يستطع اليهود زحزحة العرب من مواقعهم ، وفي اليوم الخامس عشر من مايو (ايار) استعمل اليهود مكبرات الصوت طالبين الى العرب الانسحاب من الحي ، ولم يستجب العرب لنداء اليهود ، ولكنهم كانوا على استعداد لان تستمر مقاومتهم لولا ان امر الحامية العراقي المدعو فاضل رشيد وهو المسئول امام اللجنة العسكرية للجامعة اصدر امره بوجوب الانسحاب ، ووسط المفاجأة نفذ المناضلون امر القائد ، ومرت ساعة على الانسحاب ، وعادت الى النفوس خواطرها المفكرة ، فكرر المناضلون (٨٦) ، ودارت من جديد معركة جديدة شديدة ، وانهار اليهود ، وانسحبوا بعد قتال دام ثلاث ساعات ، وفي الخامسة مساء كان العرب قد حرروا الحي كله . وحرروا مدرسة الاسوج والنوتردام ، فكوا حصارا يهوديا كان قد ضرب على عشرين من جيش الانتفاذ فاجأهم اليهود في فندق رغدان (٨٧) .

كان اليوم الخامس عشر من مايو (ايار) هو الموعد المضروب لانتهاج الانتداب البريطاني في فلسطين ، وكان بالتالي هو اليوم المحدد لدخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وحين كر الأبطال المجاهدون على اليهود كان الأمل يملأ نفوسهم جميعا أن الجيوش العربية قادمة ، والجيش العربي الاردني بالذات سوف يصل قبل غروب شمس ذلك اليوم ، وبذلك سوف تتوافر لديهم الذخائر وسوف يواصلون ضرب اليهود وطردهم من كل الأحياء بل من القدس الجديدة كلها .

(٨٦) كان قائدهم المجاهد الفلسطيني بهجت ابو غربية .

(٨٧) ص ١٤٦ - ١٤٧ . الفصل في تاريخ القدس .

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .

ولكن اليوم المنتظر ذهب وذاب ، والجيش العربي يعسكر بعيدا لم يتحرك بعد لتنفيذ الواجب المقدس في فلسطين ، وبانتهاء ذلك اليوم كانت الذخيرة قد نفذت من المناضلين الفلسطينيين في القدس فلم يستطيعوا تقدما خلف اليهود المهزمين .

وعندما انتصف الليل ١٦/١٥ مايو (أيار) ولم يبدأ العرب (٨٨) زحفا في المنطقة ايقن اليهود ان خصمهم ضعيف الحيلة ، فكروا من جديد واحتلوا ما خسروه نهارا .

ان سكان العالم العربي كانوا يغطون في نوم عميق ليلة ١٦/١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ بعد ان استمعوا الى اذاعات العواصم العربية تعلن بدء زحف جيوشها ، ولكن اولئك المناضلين في القدس لم يغمض لهم جفن ولم يناموا ، بل كانوا يبحثون عن السلاح في كل جانب ، وكانوا يستعدون في محاولة أخيرة لاسترداد ما غنمه اليهود ليلا ، وفي صباح يوم ١٦ مايو (أيار) خاض المناضلون معركة في هجوم قوي شنوه في استماتة وتصميم ، واستمرت المعركة حتى الواحدة ظهرا ، حيث طرد اليهود من الحي للمرة الثالثة ، وزحف المجاهدون حتى ابواب الحي اليهودي « مياشوريم » ، وعاد اليهود فهاجموا هذا الحي في ١٧ مايو (أيار) وانسحبوا مسرعين بعد ان نسفوا بعض عماراته ، واستمر الحي عربيا يحميه أبناء فلسطين ، ولم يضع الا في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ ، وضاع من يد جيش رسمي مدرب ، هو الجيش العربي الأردني ، وكان الفلسطينيون قد نفذ عتادهم وحيل بينهم وبين القتال .

يصور هذا الكفاح المستمر استمسك شعب فلسطين بوطنه ، وقدرته على رد الأعداء ، ويقرب لنا الصورة التي نحتاج لرؤيتها عن تلك الأحداث المهمة خلال عام ١٩٤٨ ولا سيما احتياج أهل فلسطين الى السلاح ، احتياجا ظهر بوضوح في معظم المعارك التي خاضوها واحتياجا اضطرهم لأن يقف رجالهم بدون سلاح ، حتى اذا أدى احدهم واجبه سلم سلاحه لغيره ، بحيث كانت القطعة الواحدة تدور بين عديد من الأفراد ، لقد كانت حامية القدس لا تزيد في مختلف أرجاء المدينة عن ٥٨٦ مقاتلا ، بينهم ١٣٥ من جيش الانقاذ والباقي من العرب الفلسطينيين موزعين بين

(٨٨) عبدالله التل : كارثة فلسطين ، ص ١٠٠ .

جهات المدينة (٨٩) ، وكانوا يصلون أحيانا الى ٧٥٠ مقاتلا ، ولكن الكثير منهم بقي بلا سلاح حتى يسلمه أحد المناضلين سلاحه ليأخذ قسطه من الراحة (٩٠) .

على ان لقاء تم بين اللواء طه الهاشمي باشا القائد العام لجيش الانقاذ ، وقنصلي مصر وسوريا في القدس ، وكان ذلك في ابريل (نيسان) من عام ١٩٤٨ حيث لاماه على قلة السلاح والعتاد ، فأجاب ان اللجنة لا تملك مالا ولا سلاحا ، وان أكثر الدول العربية لم تف بوعدها ، ولا سيما حكومة مصر ، وان السلاح الذي قدمته لا يصلح ، وتأثر قنصل مصر لهذا الخبر وقال « لماذا خدعت هذه الدول عرب فلسطين ؟ » .

على ان الحديث عن ضالة التسليح ، واللجنة العسكرية التي عينتها الجامعة العربية لتفقد حركة الجهاد ، وتدفع عن الوطن العربي كارثة الصهيونية في فلسطين ، هذا الحديث يجرنا الى الحديث عن عون الانجليز لليهود وارهابهم للعرب حتى الف العرب فرقة التدمير واستشهد قائدهم في معركة القسطل تلك الفاجعة التي استشهد فيها عبد القادر الحسيني البطل العربي الذي سيخلد في سجل الايمان والوطن .

(٨٩) كانت هذه الجهات هي الروضة والقطمون والشيخ جراح ، وادي الجوز ، البلدة القديمة ، البقعة ، السماعة ، ماملا ، عمارة الاوقاف ، ودار الهيئة العربية العليا ، وحي النوري ، والمصرارة وباب الزاوية ..

(٩٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٥٠ .

بَطُولَةٌ .. رَغْمَ الْمِحْنَةِ

« هيا نرجع الى فلسطين كي نستشهد او نتصير على الاعداء ولنذكر قوله تعالى : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يفلح فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

الشهيد عبد القادر الحسيني وهو في الطريق الى القسطل
حيث استشهد في ابريل ١٩٤٨ م

« انه ليستحيل علينا ان نقذف غرناطة ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا وانتقاما لمصائب غرناطة ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .
الشهيد موسى بن ابي غسان فارس غرناطة بالاندلس
عام ١٤٩١ م

« لقد فشل هجومنا الاول ولم تستطع وحدتنا اختراق تحصينات العدو ، وانسحبنا عن الارض التي خضبناها بدمائنا وكانت هجمات العرب عنيفة بحيث تداعت وحدتنا تحت وطأتها ، ثم كررنا على العدو ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى ، لقد هاجمنا يافا خمس مرات في يومين ورددنا على اعقابنا وبلغ من صلابة حماة يافا ان فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا الامر بالانسحاب ولكن الهاجاناه خالفتنا وبقيت تحارب » .

مناحم بيغن يتحدث عن دفاع عرب يافا عن مدينتهم ١٩٤٨

« يا عرب حيفا انني لن اكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط الاستسلام لليهود قبل السادسة مساء » .

الجنرال البريطاني قائد حامية حيفا يخاطب سكانها

لقد ردوا عليه بكلمة التاريخ .. لن نسلم مدينتنا

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق
شوقي

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .

قرآن كريم

لفصل التاسع

الحرب بين عرب فلسطين واليهود

١ - مساندة الانجليز لليهود في المعارك :

كان من الواضح انه منذ صدور قرار التقسيم والقتال يسود مختلف المناطق في فلسطين ، وكان قتالا بين عرب فلسطين الذين يعوزهم السلاح الكافي ، وبين جيوش يهودية منظمة مدربة مسلحة ، وكانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث كما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية لسنة ١٩٤٦ (١) الهاجانا : وكانت بريطانيا تعترف بهذه كحرس للمستعمرات اليهودية ، واصبحت تبعا لذلك جيشا يهوديا مدربا ، وكانت هي القوة الحربية الرئيسية والرسمية لدى اليهود في فلسطين وتضم ٦٢ الفا من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الاسلحة ، وكانت تخضع لقيادة واحدة ولها ثلاثة اقسام هي :

١ - سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ الف مسلح .

ب - شرطة المستعمرات وتضم ١٦ الف شخص مدرب ومسلح ومتفرغ .

ج - البالاخ او فرقة الصاعقة وتضم ستة الاف مقاتل مدربين في فن الحرب الحديثة ومزودين بالمدفعية الخفيفة وبوسائل النقل المصفحة السريعة .

عصابة شترن : وهي من المنظمات الارهابية وتضم ثلاثمائة ارهابي مدرب ومسلح ومزود بجميع وسائل النقل .

عصابة الارغون زفاي ليومي : الارهابية التي اشتهرت بأعمال ارهابية خطيرة وتضم في حالة الطوارئ ستة الاف شخص مدرب ومسلح .

هذا بالاضافة الى قوة الشرطة اليهودية المركزية التي كانت تخضع

(١) فلسطين تاريخا وعبرة ومصرى ، ص ٢٢٤ .

بَطُولَةٌ .. رَغْمَ الْمِحْنَةِ

« هيا نرجع الى فلسطين كي نستشهد او نتصير على الاعداء ولنذكر قوله تعالى : فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يفلح فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

الشهيد عبد القادر الحسيني وهو في الطريق الى القسطل
حيث استشهد في ابريل ١٩٤٨ م

« انه ليستحيل علينا ان نقذف غرناطة ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا وانتقاما لمصائب غرناطة ، وحاشا لله ان يقال ان اشراف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها » .
الشهيد موسى بن ابي غسان فارس غرناطة بالاندلس
عام ١٤٩١ م

« لقد فشل هجومنا الاول ولم تستطع وحدتنا اختراق تحصينات العدو ، وانسحبنا عن الارض التي خضبناها بدمائنا وكانت هجمات العرب عنيفة بحيث تداعت وحدتنا تحت وطأتها ، ثم كررنا على العدو ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى ، لقد هاجمنا يافا خمس مرات في يومين ورددنا على اعقابنا وبلغ من صلابة حماة يافا ان فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا الامر بالانسحاب ولكن الهاجاناه خالفتنا وبقيت تحارب » .

مناحم بيغن يتحدث عن دفاع عرب يافا عن مدينتهم ١٩٤٨

« يا عرب حيفا انني لن اكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط الاستسلام لليهود قبل السادسة مساء » .

الجنرال البريطاني قائد حامية حيفا يخاطب سكانها

لقد ردوا عليه بكلمة التاريخ .. لن نسلم مدينتنا

ولا يبني الممالك كالضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق
شوقي

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم .

قرآن كريم

لفصل التاسع

الحرب بين عرب فلسطين واليهود

١ - مساندة الانجليز لليهود في المعارك :

كان من الواضح انه منذ صدور قرار التقسيم والقتال يسود مختلف المناطق في فلسطين ، وكان قتالا بين عرب فلسطين الذين يعوزهم السلاح الكافي ، وبين جيوش يهودية منظمة مدربة مسلحة ، وكانت الجيوش اليهودية تنتظم في منظمات ثلاث كما جاء في تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية لسنة ١٩٤٦ (١) الهاجانا : وكانت بريطانيا تعترف بهذه كحرس للمستعمرات اليهودية ، واصبحت تبعا لذلك جيشا يهوديا مدربا ، وكانت هي القوة الحربية الرئيسية والرسمية لدى اليهود في فلسطين وتضم ٦٢ الفا من الجنود المدربين والمزودين بأحدث الاسلحة ، وكانت تخضع لقيادة واحدة ولها ثلاثة اقسام هي :

١ - سكان المدن والمستعمرات وعددهم ٤٠ الف مسلح .

ب - شرطة المستعمرات وتضم ١٦ الف شخص مدرب ومسلح ومتفرغ .

ج - البالاخ او فرقة الصاعقة وتضم ستة الاف مقاتل مدربين في فن الحرب الحديثة ومزودين بالمدفعية الخفيفة وبوسائل النقل المصفحة السريعة .

عصابة شترن : وهي من المنظمات الارهابية وتضم ثلاثمائة ارهابي مدرب ومسلح ومزود بجميع وسائل النقل .

عصابة الارغون زفاي ليومي : الارهابية التي اشتهرت بأعمال ارهابية خطيرة وتضم في حالة الطوارئ ستة الاف شخص مدرب ومسلح .

هذا بالاضافة الى قوة الشرطة اليهودية المركزية التي كانت تخضع

(١) فلسطين تاريخا وعبرة ومصرى ، ص ٢٢٤ .

للادارة البريطانية وعددها حوالي الف شخص مدرب ومسلح (٢) .

وكان قوام العرب خمسة وخمسين بينهم القائد عبد القادر الحسيني و ابراهيم ابو دية وعزمي الجاعوني ونوزي القطب وكامل عريقات ، راح رجال الصاعقة اليهود المعروفين بالمالخ يهاجمون قرية بيت سوريك ، وكان معهم اربعة مدافع رشاشة واثنان من طراز برن وآخران من طراز ستن ، واكد لي من اتق بحديثه من رجال الجهاد المقدس الذين اشتركوا في هذه المعركة انه راي بأى عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قسوة الطيران البريطاني وهما تقاطلان في صفوف اليهود ، وقد اصلنا المناضلين نارا حامية من مدافعها الرشاشة ، واحاطوا بالقرية والمجاهدين الذين فيها احاطة السوار بالمعصم .

وذاع الخبر ان عبد القادر وصحبه في خطر ، وانتشر رسل القرية في القرى المجاورة يستنفرون القوم ويستصرخونهم للنجدة ، فلبى هؤلاء النداء ، وانسلوا الى الميدان من كل حذب ، وبلغ عدد المنجدين الذين خفوا للنجدة الفا وبلغت حماسة الناس الى درجة لا توصف ، فرايت بأى عيني عندما كنت في سنجل وترسعا استنفر المناضلين لنجدة اخوانهم المحصورين فتى راح يتوسل الى ابيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب الى ميدان الوغى بدلا منه ، وابى الشيخ في البدء الا ان يذهب هو ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده ، وسلمه بندقيته وقال اذهب يا بني . . . وعين الله ترعاك . . . وكذلك قل عن اخوين كادا يتضاربان اذ ود كل منهما ان يكون هو مع الذاهبين ، وما كانا ليختلفا لو كان معهما بندقيتان . واني لاقسم غير حانث انه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى والذين لم يجدوا دابة تحملهم او سيارة تنقلهم ، وفي هؤلاء وامثالهم نزل قوله تعالى « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ، تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون » . وقصارى القول ما كادت شمس ذلك اليوم تجنح الى المغرب حتى كان النصر معقودا للعرب فرفع الحصار ، وارتد اليهود الى الورا ، تاركين وراءهم اربعة وثلاثين قتيلًا وتسعة وعشرين جريحًا ولم يقتل من العرب سوى رجل واحد من بني صخر ، وجرح خمسة احدهم القائد ابودية (٤) .

وما ان انتهت المعركة ، حتى قصد المجاهدون مستعمرة الخمس اليهودية معتزمين مهاجمتها ولكن رجال البوليس البريطاني ومعهم رجال من

وكان مجموع المحاربين من اليهود عند صدور قرار التقسيم لا يقل عن سبعين الف مقاتل ، وفي هذه الصورة سرى القتال من شارع الى شارع ومن حي الى حي ، وفي اغلب المرات التي اشتملت فيها الناريين الغريقين ، كتب النصر للعرب الذين كانوا يؤمنون بحقهم ويستمتتون دونه ، ولكن سرعان ما تخف دبابات الانجليز وطائراتهم لتحمي اليهود ، وتبعد العرب وتنزل بهم ضربات اليمية ، وفي اهدا لحظات تدخلها كانت تعمد الى خديعة العرب والفدر بهم . ولنسجل بعض تلك الاحداث :

في حي المونتفيوري :

تجمع المجاهدون الفلسطينيون وهاجموا الحي اليهودي المشهور في القدس « المونتفيوري » واحتلوا جزءا من هذا الحي ، ولاقوا من اليهود مقاومة شديدة اشتركت فيها نجدات عديدة من الطرفين ، وعندما تمكن المجاهدون من نسف بعض المنازل اليهودية فيه ، تقدم القائد البريطاني منذرا المجاهدين بالانسحاب خلال نصف ساعة والا استعمل القوة ضدهم لاجراجهم ولم يكن بمقدور عرب فلسطين الا ان ينسحبوا (٣) وهؤلاء الانجليز انفسهم هم الذين لم يتدخلوا عندما كان اليهود في اوائل ذلك الشهر ينسفون قسما من حي الشعاع العربي .

واحس المجاهدون بالحسرة والالام ان يحرموا من نصر كادوا يحققونه ، وان ترغمهم القوات البريطانية على الانسحاب حامية الفلول اليهودية ، والواقع ان الانجليز لم يكونوا مكتفين بارجاع العرب عن اتمام انتصارهم ، ولكنهم في عديد من المرات كانوا يقاتلون الى جانب اليهود بمصفحاتهم ورجالهم ، وكان شعب فلسطين يتنادى للقتال فتسري نداءاته الى مختلف قراه ، فيسرع للجهاد لا يربكه ولا يشنيه الا قلة السلاح .

ولنقرا معا ما سطره المؤرخ العربي عارف العارف عن معركة بيت سوريك الذي كان شاهد عيان لها :

في معركة بيت سوريك :

فيما كانت رحى المعركة دائرة في مكان قريب من مستعمرة الخمس ،

(٢) تقرير لجنة التحقيق الانجلو - امريكية ص ٣٩ - ٤١ .

وانظر ايضا : تقرير حكومة الانتداب لسنة ١٩٤٦ ج ٢ ص ٥٩٢ .

(٣) كان هذا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٨ .

(٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٩١ - ٩٢ .

ذلك صادرا عن سياسة بريطانية مبيتة تفصلها أحداثها في مختلف مناطق فلسطين ، فبينما كانت المارك في القدس تشتد وتشتعل ، وكان المجاهدون الفلسطينيون يرمون الحي اليهودي بقنابل مورتير ، حتى اضطر خمسة الاف من سكان اليهود الى هجرته ، واعلنت صحف اليهود ان مائة وخمسة وثمانين منهم قد قتلوا عندما حدث ذلك ، اندفع المناضلون الفلسطينيون مقتحمين الحي اليهودي لاحتلاله ، وكان احتلال ذلك الحي يعني تفرغ هؤلاء المجاهدين للعمل في جبهة اخرى من جبهات القدس العديدة ، ولكن الانجليز الذين كانوا يرابطون في مركز البوليس ومعهم فريق من رجال الطيران البريطاني تصدوا للمجاهدين الفلسطينيين واستعملوا السلاح ضددهم ، حتى جرحوا عددا من المدنيين المناضلين .

في حي القطمون :

وعندما اشتد القتال في حي القطمون بالقدس وكاد العرب أن يحتلوا احياء يهودية تدخل الانجليز أيضا ، واستعملوا مدافع الهاون ، فقدفوا بها العرب وصدوهم الى الورا فاستشهد عربي .

٢- العرب ينسفون الاحياء اليهودية :

اصدر القائد العربي عبد القادر الحسيني امره الى رفاقه المجاهدين ان ينزلوا باليهود اكبر قدر ممكن من الخسائر ، وان يتجهوا الى احيائهم ينسفونها حيا بعد الاخر ، وتقدم عديد من الشباب المخلص ممثلا للامر ، منفذا للتعليمات ، ومن حق اولئك الفدائيين الابطال ان نفخر بهم ونقرن اسماءهم بالاحترام والتسجيل ، ففي كل اسم منهم معنى حي للتضحية والجهاد وامكانية فعالة للعمل الجدي الثوري الصحيح ، وكانوا شبابا من مختلف انحاء فلسطين بينهم سوري واحد واثنان من أبناء شحان أفريقيا (٨)

نسف شارع هاسوليل :

تمكن قسم من الفدائيين من نسف شارع هاسوليل اليهودي فحطم وانهار عديد من عماراته الضخمة ، وقتل وجرح فيه خلق كثير من اليهود ونزح العديد الاخر منهم عن منازلهم (٩) .

(٨) هم : فوزي القطب ، ابو محمد الدمر ، محمد علي الكرد ، عادل شرف ، يعقوب ابو حليلة ، ياسر شرف ، خليل دكيرك ، زيد غنيم ، جواد الجاعوني ، محمد الشرفا ، يوسف الحايك ، محمود عيسى ، نادي عيسى ، عبوده غيث ، محمود العنيني ، حلمي البرق ، محمود العكاوي ، عطا عثمان ، ناجي مصطفى ، كاظم صالح ، داود البيتوني ، عبدالله الكرد ، اديب الشامي ، عبدالقادر التونسي ، عبد الرحمن السيلوي .
(٩) جريدة الاهرام ٢ من فبراير ١٩٤٨ .

البوليس اليهودي اشتبكوا مع العرب في معركة جديدة استطاعوا ان يردوهم الى بيت سوريك العربية ، وان يحمو المستعمرة اليهودية ، وهكذا حال الانجليز بين المجاهدين وبين اتمام نصرهم في معركة بيت سوريك ، كما حالوا قبلا بينهم وبين نسف فندق عدن اليهودي بشارع بن يهودا ، بل انهم ارجعوه حين هاجموا حي المونتفيوري في القدس الجديدة ، ونصب الانجليز انفسهم حماة لليهود بقوة السلاح ، بعد ان حموهم ثلاثين عاما بقوة القوانين والمشائق ، ولكن عرب فلسطين كانوا اباة ومكافحين ، انهم لا يميلون الى الارهاب ما لم يرغموا عليه ، وعندما لم يجدوا وسيلة غيره يردون بها على ارهاب اليهود عمدوا اليه ونفذوه .

في قرية بيت صفافا :

كانت قرية بيت صفافا هادئة آمنة ، وحسب تنظيم الفلسطينيين لانفسهم كان بعض رجالها وشبابها يتولى مهمة الدفاع عنها ، وهي قرية صغيرة يسكنها الف وخمسمائة نسمة كلهم عرب مسلمون ، وتقع على تل ذي اهمية خاصة ، اذ يربط بين القدس ويافا وتل ابيب ، كما يربط بين القدس وبيت لحم والخليل (٥) .

هاجمها اليهود في اواخر عام ١٩٤٧ موزعين انفسهم على جماعتين ، ولكن القرية الصغيرة ثبتت في وجه المهاجمين وردتهم على اعقابهم ، واستمر القتال والثبات الى ان تدخلت بريطانيا ، حيث جاءت قوة بريطانية (٦) عسكرية الى القرية متظاهرة بان قصدها الحيلولة بين المقاتلين .

وتقدم قائد السرية البريطانية الكولونيل هاربر ، فاكد لصاحب دار عربية كان قد استولى عليها انه لن يسلمها لاحد سواه وانه لن يسمح لليهود بالمجيء الى ذلك المكان ، ولكن بينما كان العرب مطمئنين الى ذلك الوعد ، اذ غدر بهم ، فأخلاها سرا يوم ١٣ من فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، وتقدم لها اليهود فنسفوها ونسفوا غيرها من المنازل التي كانت تطل على مستعمرتهم (ميكور هاييم) واستطاعوا ان يتركزوا هناك في موقع استراتيجي ويواصلوا ضرب القرية ودور المجاهدين حتى انهم رموا اكثر من سبعين قنبلة ، ولكن اهل القرية واصلوا الثبات والدفاع (٧) حتى قسمت نصفين بين اليهود والعرب في تسوية الهدنة المعروفة .

على ان تدخل الانجليز لم يقف عند قرية بيت صفافا ، ولم يكن تدخل ذلك الكولونيل هاربر وغدره بالعرب تدخلا او غدرا فرديا ، بل كان

(٥) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٧٥ .

(٦) كان ذلك في السادس من فبراير (شباط) ١٩٤٨ .

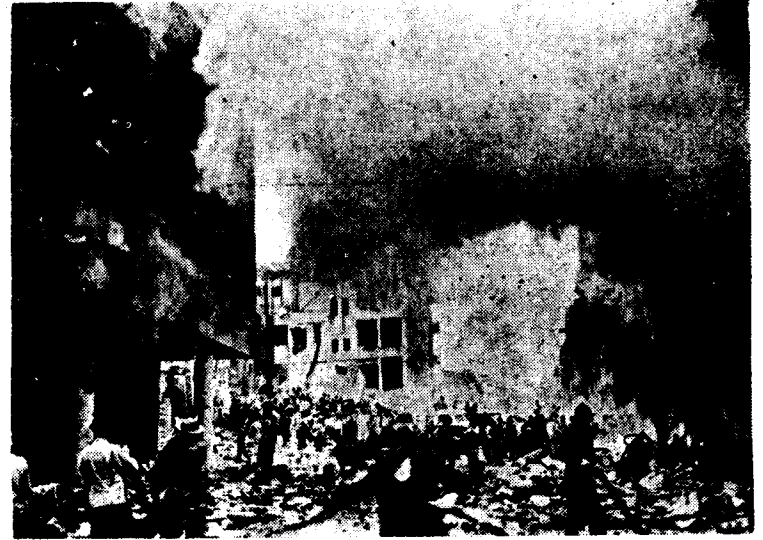
(٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٧٦ .

.. وحي المونتفيوري ؟

وتقدم البطلان ناجي مصطفى وعبد القادر التونسي ينفذان اوامر قائد الجهاد المقدس ، بنسف حي المونتفيوري ، ويسيران بعربة مليئة بالالغام ، وكان الحي محاطا بالاسلاك الشائكة التي نصبها اليهود لحمايته ، وكانت جماعة من جنود البالمخ الفدائيين اليهود ترابط في ذلك الحي ، وهي حذرة يقظة ، بعد ان نسف الفدائيون العرب حي هاسوليل ، وتوزع الابطال الفلسطينيين يحمون الفدائيين الذين يحملان الالغام (١٠) ، واستعملوا سلاحهم حتى شاغلوا اليهود ومكنوا لحاملي الالغام ان يعملوا في ثبات وان يزبلا الاسلاك الشائكة ، وتم تفجير لغم كبير كان وزنه نصف طن ، فقتل العديد من السكان اليهود ، وجرح الكثيرون ، وتساقطت المنازل وتضررت مئات العمارات (١١) .

وشارع بن يهودا :

ولم تمض عشرة ايام حتى واصل القائد العربي عبد القادر الحسيني



لم يجد العرب ردا على الارهاب اليهودي الا المعاملة بالمثل والصورة لشارع بن يهودا حين نسفه الفدائيون العرب

(١٠) كان هؤلاء الحماة هم بهجت ابو غربية وجماعته وعادل شرف وفرحات وجماعتهما وابو احمد بركات وجماعته .

(١١) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٠٤ .

اعماله البطولية يعاونه اخوانه من شباب فلسطين ، فنسفوا شارع بن يهودا واستولى العرب على مصفحة من بوليس يافا ، وجاءت هذه تهادى تتبعها ثلاث سيارات تحمل كل واحدة طنا من المتفجرات ، وتركزت وسط الشارع المهم واشتعل القتيل ، فتهاوى الشارع بعماراته ، وبلغ عدد القتلى والجرحى من اليهود ما يقارب ثلاثمائة شخص ، وقدرت الخسائر بمليونين من الجنيهات (١٢) .

والوكالة اليهودية :

انهارت دار الحكومة اليهودية التي سيطرت على فلسطين منذ ان احتلها الانجليز عام ١٩١٨ . فلقد ضمن الانجليز صك الانتداب نص الاعتراف بها وبحقها في التدخل لصالح اليهود ومستقبلهم وهجرتهم . ولقد كانت الهاجانا جيش اليهود المدرب تقوم على حراستها ليل نهار ، وما كان يدور بخلد اليهود ان احدا يستطيع الوصول الى تلك الوكالة وبنائها الضخمة المحروسة المحمية ولكن لم تمض عشرون يوما على نسف شارع بن يهودا ، حتى لحقت به دار الوكالة اليهودية .

وعلى الرغم من ان الوكالة اليهودية كانت محمية بالرقباء والجنود اليهود ، فقد تمكن الفدائيون العرب منها باخلاص رافق هذا الشعب في اشد ايام محنته ، في ذات الوقت الذي كان ينظر بعيونه الى خارج الحدود ، متوقعا عونا عربيا فعالا ، فلا يصله الا القليل وغير المفيد .

كان الشاب انطون داود عربيا مسيحيا يعمل سائقا لدى القنصل الامريكي العام بالقدس مستر ميكاني ، وكان معروفا لدى الجيش الهاجاني اليهودي ، ولدى حراس دار الوكالة ، فطالما عبرها يوصل القنصل المذكور لمقابلة احد زعماء اليهود ورجالهم ، وهم بذلك مطمئنون اليه لا يخشون منه وطنية ، ولا يتوقعون حراكا ، ومن حقهم ان يطمئنوا فالصهيونية بنت الامريكان المدللة ، ولا يمكن ان يوظف هذا القنصل الامريكي معه الاثابا وثق في اخلاصه لهم ، او على الاقل تاكد من عدم اهتمامه بالاحوال العامة ، وخطا اتجه اليهود في اطمئنانهم الى الشاب العربي ، فلقد كان يدرك حقيقة الموقف ، ويتفائل معه مخلصا وطنيا ، وكان في سبيل مصلحة عليا يعمل صامتا ، لا ترقى اليه الشبهات ، ولا تحوطه منهم الظنون ، وفي ضحى الحادي عشر من مارس (اذار) ١٩٤٨ اجتازت السيارة الامريكية الفخمة الفورد موديل ١٩٤٧ رقم ٦٦١١ يقودها انطون داود اسوار الوكالة اليهودية متحصنة بالعلم الامريكي الذي كان يرفرف عليها ، وظن الحراس ان السائق العربي الذي جاء بسيارة القنصل انما حمل رسالة للوكالة ، فدخل دون

(١٢) كارثة فلسطين ، ص ٧ .

٣ - معركة القسطل :

استطاع اليهود أن يتغلبوا على خمسين مناضلا فلسطينيا من ابناء بلدة القسطل العربية ، كانوا يتولون الدفاع عنها ، وقد هاجمهم رجال البالمخ الفدائيون من جيش الهاجانا اليهودي في الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، وكان اليهود يستهدفون فتح طريق الى القدس الجديدة التي احكم العرب حصار احيائها اليهودية ، ومنعوا وصول التموين اليها ، حتى ضج اليهود في المجالات الدولية طالبين الفوث ، وتدخلت هيئة الامم قبل ان يفنى سكانها جوعا وعطشا .

وتجمع من العرب بعد سقوط القسطل حوالي الثلاثمائة مناضل ولغيف من مختلف القرى العربية تولى قيادتهم صبحي ابو جبارة ، ولغيف آخر من الجهاد المقدس يقوده كامل عريقات ، وجماعة من القطمون يقودهم ابراهيم ابو دية ، وجماعة اخرى من بيت صفافا يقودها عبدالله العمري يرافقه المحامي انور نسبية ، وآخرون من القدس يقودهم حافظ بركات ، وثلة من عين كارم يرأسهم خليل عنون ، وآخرون يرأسهم عبد الفتاح درويش (١٤) .

وابتدأت المعركة اثر هجوم رتبه العرب في ٤ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ خسروا فيه بضعة شهداء ، وقتل من اليهود عدد كبير ولم يستطيعوا احتلال القسطل نفسها .

واستمرت المعركة طيلة اليوم الخامس ، وفي السادس منه هاجم العرب استحكامات اليهود وتحصيناتهم فأحدثوا بها خسائر مهمة ، ولكنهم لم يستطيعوا اكمال احتلال القرية ، فقد كان اليهود اكثر سلاحا واقتوى ، وفي منتصف نهار السادس كانت ذخيرة العرب قد اوشكت على النفاد ، وكان احد قواد (١٥) المعركة قد جرح مع آخرين من رفاقه ، وكان عدد آخر قد استشهد وجاءت النجدة لليهود ، واستعملت الطائرات في تزويدهم بالمؤن والمعدات ، وبعث المقاتلون العرب يطلبون العون من اخوانهم سكان القدس ورام الله ، ولكنه كان عوناً ضئيلاً لا يفيد « وفاقد الشيء لا يعطيه »

يقول الاستاذ عارف العارف ، انه ذهب بذاته يستنهض همة الجيش العربي الاردني المسكر في رام الله على بعد قريب من ميدان المعركة ويرجوه في الحال أن يتدخل لصالح العرب ، وأن يهاجم بعض المعسكرات اليهودية ليخفف الضغط على المناضلين ، ولكن صراخ الاستاذ عارف ذهب مع الريح ،

(١٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٣ .

(١٥) كان القائد الجريح هو المجاهد الفلسطيني كامل عريقات .

اعتراض . كانت المتفجرات تزن اكثر من مائتي كيلو غرام معبأة في صندوق السيارة الخلفي ، واوصلت بساعة زمنية محددة الوقت ، وانفجرت السيارة في الدقيقة التي حددها الفدائيون ، وعم القدس صوت الانفجار رهيبا مفزعا ، فدمر بيت المال اليهودي ومكتب المجلس الملي اليهودي ، وتسرب الخراب الى العديد من الاملاك اليهودية المجاورة وقتل ستة وثلاثون يهوديا بينهم عدد من كبار اليهود ورجالهم ، وجرح مئات آخرون ، وكان بين القتلى « يافة » مؤسس الكرن هايسود ، وابن زفي وشمويل دوب ، ويائيل متسي وغيرهم من كبار زعماء اليهود واقطابهم (١٣) .



انطون داود (الاول من اليمين) شاب من بيت لحم فدائي تولى نسف الوكالة اليهودية في ١١ آذار (مارس) ١٩٤٨ وعيد النور جنحو (من اليسار) شاب من القدس فدائي تولى نسف شارع هاسويل في ١ شباط (فبراير) ١٩٤٨ .

(١٣) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٢١ . وانظر ايضا : كارثة فلسطين ، ص ٨ .

ولم يوافق القائد العام جلوب باشا البريطاني ، ولم يثر أو يتحمس احمد صدقي الجندي قائد اللواء الاردني الرابع .

على أن هذا الجيش الذي رفض أن يساعد العرب او يخفف عنهم ثقل القتال ، لم يجد مانعا من أن يتدخل لحماية اليهود عندما نشبت معركة حامية بين العرب واليهود في حيفا في الواحد والثلاثين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ والتي انتصر فيها العرب وصرعوا واحدا واربعين يهوديا ، فخفف هذا الجيش العربي الاردني وحال دون العرب واتمام نصرهم ، وانقذ مئات من اليهود كان موتهم حتما في تلك المعركة الهائلة .

ان قلة السلاح دفعت بقائد الجهاد المقدس عبد القادر الحسيني الى ان يسرع الى دمشق التي اتخذتها اللجنة العسكرية للجامعة العربية مقرا : وأن يطلب اليها تزويده بالسلاح الكافي من رشاشات ومدافع ، وكان عبد القادر يحاول ان يضع امام اذهان رئيس واعضاء تلك اللجنة تفاصيل الموقف العسكري في فلسطين ، وان اليهود يزدادون قوة على قوة كل يوم ، وانهم لا يستعملون البنادق والمسدسات فقط ، بل انهم مزودون بالرشاشات على مختلف انواعها ومدافع الهاون والموتروتر ومدافع الميدان ، بل انهم يملكون طائرات بلقون بها المون لقتالهم ويضربون بها المحاربين العرب ، وان العرب الفلسطينيين لا تعوزهم الشجاعة ، ولكنهم عزل من السلاح .

كان عبد القادر يحاول أن يستنهض همم تلك اللجنة ، وهو الوطني المحارب الذي يدرك عمق المأساة ويحس بالام الوطن ، ولكن لجنة الجامعة العربية كانت صورة من دولها عام ١٩٤٨ عددا ولا عدة ، وكما ولا كيف ؛ وفي اثناء ذلك جاءت الانباء بسقوط القسطل بيد اليهود ، فغضب غضبا شديدا ووجه كلامه الى طه باشا الهاشمي المشرف العام على جيش التحرير وعلى تلك اللجنة : يا باشا ان القسطل حصن منيع ليس من السهل استرجاعها بالبنادق الايطالية والذخائر القليلة التي بين ايدينا ، اعطني السلاح الذي طلبته منك وأنا استردها ، ولقد كانت خطتي الى الآن أن احاصر القدس والمستعمرات اليهودية وباب الواد وان امنع عنهم وصول الامدادات العسكرية والمون ، ونجحت خطتي حتى اضطر اليهود ان يمنونوا رجالهم بالقدس وفي المستعمرات بالطائرات ، اما الان فقد تطورت الحال واصبح لدى اليهود رجال وطائرات ومدافع وليس باستطاعتي ان احتل القسطل الا بالمدافع ، اعطني ما طلبت وأنا كفيل بالنصر (١٧) .

(١٧) يقول المؤرخ عارف العارف ان الكلام كان موجها الى اسماعيل صفوت ، ولكن سماحة مفتي فلسطين يقول انه كان موجها الى طه الهاشمي المشرف العام على اللجنة .

ورد الباشا العسكري للجامعة العربية « شونو عبد القادر ما اكو مدافع » (اي لا توجد مدافع) ونهض الشرباتي وزير دفاع سوريا وقال : « اذا احتل اليهود القدس فسوف نخرجهم منها او نقتلهم فيها » .

وادرك عبد القادر انه يخاطب قوما ليسوا في مستوى احواله ، وكانت امامه خارطة رفعها ورمى بها في وجه الباشا والوزير وقال بصوت مرتفع « انتم خائنون .. انتم مجرمون ، سيسجل التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، ساحتل القسطل وساموت انا وجميع اخواني المجاهدين » . وغادر مكان اللجنة اسدا استولى عليه الغضب وتجمعت لديه المآسي ، وكان يرافقه صديقه قاسم الريموي فقال له « هيا نرجع الى فلسطين كي نموت فيها الميتة التي وضعناها نصب اعيننا ، هيا نستشهد او نتنصر على الاعداء ، ولنذكر قوله تعالى (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما)

ولم تمض عشرون ساعة حتى كان عبد القادر قد وصل القدس فسي حماسه المتواصل ، وغضبه المستمر ، رفض ان يخضع لنصائح من طالبوه بالانتظار ، فقد صمم أن يحارب وأن يكون شجاعا يدين باستشهاده اولئك القابعين وراء مكاتب اللجنة العسكرية في دمشق ادانة لا ينساها التاريخ ، بل انه ليدين العرب كلهم في مختلف ديارهم ، اولئك الذين بخلوا بأموالهم ان تبذل سخية في سبيل تسليح الابطال ، الذين اخذوا على عاتقهم ان ينوبوا عن العرب والمسلمين في الدفاع عن فلسطين .

وذهب عبد القادر يحيط به عدد من رفاقه الابطال ووزعهم ، ابراهيم ابو دية يقود فصيلتين في القلب ، حافظ بركات يقود ميمنة الهجوم ، فريق من بدو هارون بن جازي في الميسرة ، وأبقى فرقة صغيرة يقودها صبحي ابو جبارة ، واخرى يقودها الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي ابقاهما كاحتياطي في منطقة قريبة ، ولم يضع عبد القادر وقتا ، فقبل ان ينتصف الليل في السابع من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ بدأ الهجوم ، وكر الابطال على استحكامات اليهود ، واتصلت الميسرة والميمنة ، ولكن سلاح اليهود القوي كان قد اصاب قائد قلب الهجوم ابراهيم ابو دية بجرح بالغ ومعه ستة عشر من مجاهديه ، واوشكت ذخائر المتقدمين على النفاد فلم يكن معهم اكثر من ثلاثة امشاط لكل بندقية وخمسة عشر مشطا لكل برن ، وتراجع المهاجمون الذين نفذت ذخائرهم ، ولكن عبد القادر تقدم مع بعض صحبه الذين جرح ثلاثة منهم وبقي احدهم مع القائد ، وتوليا مجاربة اليهود من مدفع صغير طراز ستن ومسدس عيار ٩ ملم واوشكت الذخيرة على النفاد ، وأمر القائد رفيقه

الجريح أن يتسلل عسى أن يأتيه بالذخيرة ، وذهب هذا يجر دمائه من جراحه ، ولكنه سقط مغمى عليه .

بقي عبد القادر واحاط اليهود به وبمن كان وراءه من قواته ، وعند انبثاق فجر الثامن من ابريل (نيسان) كان اهل المنطقة قد علموا ان عبد القادر وصحبه مطوقون ، فخف المجندون من كل صوب ، من الجهاد المقدس (١٨) ، ومن حراس الحرم الشريف (١٩) ، ومن شباب القدس (٢٠) ومن اهل الخليل (٢١) ، ومن قرى الوادية (٢٢) ، ومن جيش الانقاذ (٢٣) وايضا تجمع شعب فلسطين من اكثر مناطقها قربا ، كل بما يستطيع من سلاح كان مكلفا ان يدافع به عن منطقته ، وكان اليهود اكثر عددا وعدة ، ولكن الحماس الذي اثاره نبا حصار عبد القادر انسى الشعب معنى القلة والكثرة ، وتهاوت حصون اليهود امامهم ، وانهارت مقاومتهم ، فدخلوا القسطل منتصرين ، وكانت جثث القتلى من اليهود تزيد عن الثلاثمائة والخمسين .

ووسط ذلك النصر كانت الصدمة ، كان عبد القادر الحسيني القائد الشجاع ملقى شهيدا عند اول بيت من بيوت القرية ، ولم يبق العرب في القسطل اكثر من ساعات ، فقد تجمع اليهود من كل صوب ، واستفلوا الفجيجة التي شاعت عندما استشهد القائد ، واستعانوا ببعض المصفحات البريطانية تحت مظهر جمع موتاهم ، وحين علموا ان الحامية الباقية صغيرة ، احاطوا بها وبدأوا عليها هجوما كبيرا .

يقول احد معاصري الاحداث ان الكثير من المهاجمين العرب للقسطل ذهبوا مع جثمان القائد ليشتروا في توديعه ولم يبق بها الا قرابة اربعين مقاتلا ، يقودهم بهجت ابو غريبة ومحمد عادل النجار ، وبقي عبد الحليم الشلف في صوبا بجوار القسطل ، وحين اشتد الهجوم اليهودي في الساعات الاولى من اليوم التاسع من ابريل (نيسان) استنجد المقاتلون باخوانهم فتحررت جماعة قوامها خمسة وسبعون مقاتلا بعضهم من جيش الانقاذ خليط من السوريين والعراقيين ، وبدل ان يسرعوا للخطى للمعركة قضوا ليلتهم في عين كارم ، ولم تثمر المساعي التي بذلها المحامي ابو نسيبة لاقناعهم

(١٨) كان هذا الفريق يقوده قاسم الرباوي .

(١٩) كان يقودهم الحاج عبد الحميد المدني .

(٢٠) يقودهم بهجت ابو غريبة ومحمد عادل النجار .

(٢١) يقودهم عبد الحليم الشلف .

(٢٢) يقودهم رشيد عريقات .

(٢٣) يقودهم جمال رشيد .

في الاسراع لنجدة المقاتلين سوى أنهم أرسلوا لهم ٥٠٠ مشط من العتاد وفي الصباح التاسع من ابريل (نيسان) سقطت القسطل بيد اليهود ودمروا كل ما فيها ، بيوتها ، وحصونها ومسجدها (٢٤) .

لقد رضي عبد القادر الحسيني ان يخوض معركة القسطل وهو يعلم علم اليقين انه فقير الى السلاح ، فقير الى الذخيرة ، وانه يواجه قوما قد اتموا تسليحهم وجاءتهم النجدة من كل صوب ، وانهم يملكون من المدافع وطائرات ومعدات كبيرة .

وتردد كثيرا على السنة الشعب العربي الذي كان يود ان يبقى



الشهيد عبد القادر الحسيني قائد « الجهاد المقدس » وشهيد يوم القسطل

(٢٤) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٦٤ .

عبد القادر لنجدة فلسطين والوطن العربي ، ولعله سيكون ركنا من أركان الجولة الثانية لو بقي ، تردد تساؤل معبر لماذا فعل عبد القادر ذلك ، ان هذا التساؤل أوضحه عبد القادر نفسه قبل استشهاده بساعات ، ألم يرم الخارطة في وجه لجنة الجامعة العسكرية بدمشق ويقول : « سيسجل التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، ساحتل القسطل ، وساموت انا وجميع اخواني المجاهدين (٢٥) وكما يفعل الابطال الذين يؤمنون بالشعب كأسرة ، وبالاسرة كجزء من وطن عزيز ترك عبد القادر خلفه بنتا وثلاثة اطفال وزوجة بارة شاركته الجهاد و قدمت معه وبعده كل جهد لاجبايه المقاتلين .

ما اشبه الفارسيين في القسطل وغرناطة :

ان تاريخ العرب والمسلمين يكرر على دوامه صورة البطولة في افراده بين الحين والحين ، وكان ممكنا لي ان اشبه عبد القادر الحسيني بيوسف العظمة عندما أكد ان معركة ميسلون غير مكسوبة ، وحين صمم قومه على خوضها ، خاضها وكان اول شهدائها ، وكان ممكنا لي ان اشبه عبد القادر بعمر المختار شيخ شهداء ليبيا الذي استمر يقاتل مع رفاقه حتى اسر وشنق ، ولم يكن هناك امل في نصره على قوات الاحتلال الابطالي الذي جاء بجهده الكبير وشأنه الخطير ، وكان ممكنا لي ان اشبه عبد القادر بيوسف بورجيل الذي تولى القيادة في وطني ليبيا بعد عمر المختار ، وحين ايقن ان الاعداء قد عزلوا المجاهدين ، ورحلوا القبائل الى المعتقلات ، واقاموا الاسلاك الشائكة مع الشقيقة مصر ، وحين جاع رفاقه وتساقطوا هلكى امر البقية الباقية ان تهاجر الى الكنانة ، وحين وصلت وجدت كتابه يقول انه لا يليق بي مدفن الا داخل هذا الوطن ولم يبق في عمري بقية لانتظار و صدر البلاغ الابطالي يقول ان الملائم برنديزي تقدم بعد معركة مع الثوار فوجد يوسف بورجيل قتيلًا مع ثلاثة من رفاقه ولا تزال البنادق حامية في ايديهم (٢٦) .

كان ممكنا لي ان اشبه عبد القادر بأحد هؤلاء الابطال ، ولكن الشبه يختلف جدا ،

لان عبد القادر لم يكن معه الا اولئك المخلصون من شعب فلسطين وهم عزل من السلاح ضعاف من التدريب ، لا تقويهم الا روح الايمان ، اما

(٢٥) لقد نقل عبد القادر وعده واحتل القسطل ، ودفع نفسه لله وللوطن ، يقول الاستاذ عارف العارف (انه أراد ان يلاتي ربه في ميدان الوغى وفيه لاقاه) .
(٢٦) راجع بحثنا عن جهاد ليبيا ، مجلة العربي ، يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .

القاعدة التي يعود اليها في العواصم العربية وفي اللجنة العسكرية للجامعة العربية فقد كانت قاعدة لهما الوهن ، وعمها التراخي ، وتكاد تكون مؤمنة بالهزيمة ، راضية بالنكبة ، بل لقد كان البعض يعمل لها ويسمى اليها .

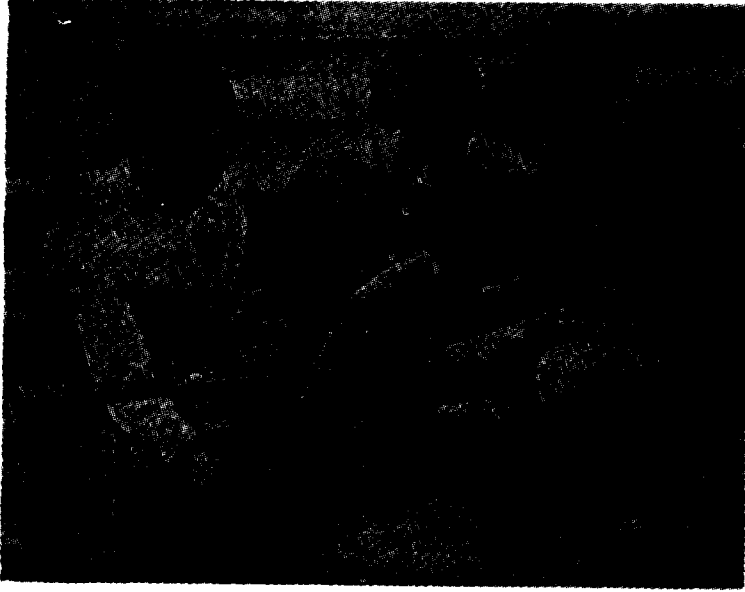
انني لاشعر مع اختلاف الزمان والظروف والوقائع ان ابا موسى عبد القادر الحسيني اكثر شبها بفارس غرناطة موسى بن ابي الفسان ، يوم ان تقرر خضوعها للاسبان ، وهانت الكرامة لدى حكامها ، ذلك انه حينما اجتمع الزعماء في بهو الحمراء الكبير بغرناطة الاندلس ليقعوا عهد التسليم لفرديناند وايزابيللا ملك الاسبان وملكتهم ، وليحكموا على دولتهم بالذهاب وعلى امتهم بالفناء والمحو ، لبث موسى بن ابي الفسان وحده صامتا عابسا وقال : « اتركوا العويل للنساء والاطفال ، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لارسال الدمع ، ولكن لتقطر الدماء ، واني لارى روح الشعب قد خبت ، حتى ليستحيل علينا ان ننقذ غرناطة ، ولكن ما زال ثمة بديل للنفوس النبيلة ، ذلك هو موت مجيد ، فلنمت دفاعا عن حريتنا ، وانتقاما لمصاب غرناطة ، وسوف تحتضن امناء الفبراء ابناءها احرارا من اغلال السفاح وعسفه ، ولئن لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته ، فانه لن يقدم سماء تغطيه ، وحاشا لله ان يقال ان اشرف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها .

وصمت موسى ، وساد المجتمعين سكوت الموت وسرح الخليفة ابو عبدالله البصر ، فاذا اليأس مائل في تلك الوجوه التي افضناها الالم ، عندئذ صاح : « الله اكبر ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولا راد لقضاء الله ، انا لله ، لقد كتب علي ان اكون شقيا ، وان يذهب الملك على يدي » وعندما رأى موسى ان الجماعة قد اخذت فعلا في توقيع صك التسليم نهض مغضبا وصاح : « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان الاعداء سيفوفون بعهدهم ، ان الموت اقل ما نخشى فاماننا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نساءنا وبناتنا ، واماننا الجور الفاحش والتعصب الوحشي ، والسياط والاغلال ، واماننا السجون والانطاع والمجارف هذا ما سوف تراه تلك النفوس التي تخشى الموت ، اما انا فوالله لن اشهده ثم غادر المجلس واخترق بهو الاسود عابسا حزينا ، وذهب الى داره .

ويذكر مؤرخ اسباني « انه خرج مدججا بالسلاح من راسه الى قدمه ، واخترق شوارع غرناطة على ظهر جواده حتى غادرها ، وكان مغلقا خوذته شاهرا رمحه ، وكان جواده غارقا مثله في رداء من الصلب ، وما ان رأى الفرسان الاسبان حتى وثب الى وسطهم وطعن احدهم برمحه وانتزع من سرجه فلقاه الى الارض ، ثم انقض على الباقيين يوالي فيهم طعنا وكانت ضرباته ثائرة وقاتلة ، وكأنه لم يشعر بما ائخنه من جراح ، ولبث يبطنش

بشهادة جامعة هي وكر استعمار وتبشير ، وقاعدة لاعداء العرب ، ثم رفع الشهادة التي سلمت له قبل هنيهة فمزقها امام الجميع (٢٨) .

وعبد القادر كان بطلا في ثورة ١٩٣٦ وجرح في موقعة قرية الخضر واسره الانجليز فنقل الى مستشفى القدس ، وكان قائدا مقاتلا في ثورة ١٩٢٨ وحين حوصر في معركة بني النعيم قاتل حتى جرح جرحا خطيرا وتركه الجيش البريطاني بين الشهداء فحملة رفاقه الى مغارة قريبة من ميدان المعركة ثم اخذ في الصباح التالي وقطع المجاهدون الاسلاك التليفونية بمستشفى الخليل ومنعوا اتصاله بالخارج وارغموا الدكتور البريطاني على علاجه ، ثم اخذوه على ظهر بعير حتى دمشق حيث تم له العلاج ، واشترك في ثورة العراق عام ١٩٤١ وكان قد درس الشؤون العسكرية ، ثم لجأ الى ايران وحين منع رفاقه من دخولها امتنع عن دخولها الا بهم وعاد ماشيا من كرمشاه الى بغداد مسافة الف كيلو متر قضاها في ٢٥ يوما (٢٩) .



صورة تاريخية لابناء الشهيد عبدالقادر الحسيني في طفولتهم عام ١٩٥٠ واثنان منهم الان هما فيصل وغازي رهائن في سجون اسرائيل لانهما فدائيان من منظمة الفتح

(٢٨) مجلة فلسطين : الهيئة العربية العليا لفلسطين ، العدد ٢٦ ، اول ابريل (نيسان) ١٩٦٣

(٢٩) المصدر السابق .

بالفرسان حتى افنى معظمهم ، غير انه اصيب في النهاية بجرح خطير ثم سقط جواده من تحته اثر طعنة اخرى فسقط الى الارض ، ولكنه رجع على ركبته واستل خنجرا واخذ يناضل عن نفسه ، فلما راي ان قواه قد خارت ، ولم يرد ان يقع اسيرا لدى اعدائه ، ارتد الى الوراء بوثبة اخيرة والقي بنفسه الى مياه النهر ، فابتلعت له فورده ودفعه سلاحه الثقيل الى الاعماق (٢٧) .

ما اشبه ذلك المجلس المتخاذل في غرناطة بمجلس قادسية دمشق الذي ضن بالسلاح على عبد القادر وهو يعرف ان المعركة بلا سلاح هزيمة مقررة . بل ما اشبه اولئك الجالسين في غرناطة وهم يقولون « لا راد لقضاء الله ولا مفر من التسليم » ، بالجالسين في قادسية دمشق عام ١٩٤٨ وهم يقولون : « شنو عبد القادر ماكو سلاح ، ماكو مدافع » .

وما اشبه موسى ابي الفسان وهو يقول لذلك المجلس : ان لم يظفر احدنا بقبر يستر رفاته فانه لن يعدم سماء تغطيه ، وحاشا لله ان يقال ان اشرف غرناطة خافوا ان يموتوا دفاعا عنها « ما اشبهه بابي موسى عبد القادر الحسيني وهو يخاطب تلك اللجنة في قادسية دمشق قائلا : سيكتب التاريخ انكم اضعتم فلسطين ، اما انا فسأحتل القسطل وسأموت في سبيل الله . والتاريخ يعيد نفسه ، وما اشبه بعيدهم الدابر .. بقريينا الغابر .

وفي مساء الخميس ٨ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، استشهد عبد القادر الحسيني ، وفي ظهر الجمعة ٩ ابريل (نيسان) صلي عليه في المسجد الاقصى المبارك ، ودفن في ثالث حرم مقدس في الاسلام .

من هو عبد القادر ؟

ان عبد القادر الذي استشهد في ابريل (نيسان) عام ١٩٤٨ لم يكن شخصا عاديا ، فهو منذ شبابه انسان ناثر وعربي مجاهد ، كان طالبا في الجامعة الامريكية بالقاهرة ، وكان الى جانب اهتمامه بالتخرج في قسم الصحافة والتاريخ ، كان يراقب برامج الجامعة ويهتم باهدافها ، ويوم اقيم حفل التخرج وسلم الشهادة وحن وقت كلمته ، خاطب اولئك الجالسين من كبار الامريكيين ورجال مصر ، خاطبهم انه لا يشرف بشهادة من جامعة القوم الذين يباركون الصهيونية ويحمونها ، ولا يسعده ان يفرح

(٢٧) محمد عبدالله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مطبعة القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٨ .



الى اليمين الشهيد ابراهيم ابو دية
مقعدا بسبب اصابته في معركة
رامات راحيل

الحركة بقية حياته حتى توفي في لبنان مهاجرا متأثرا بجراح البطولات .
وكان حافظ بركات شقيقا لعبد الحفيظ بركات الذي استشهد بالخليل
والى اخوه على نفسه ان يستمر جهاده ، فكان من الابطال الذين خاضوا
معارك القدس وقادوا جوانب منها ، جرح في الحي اليهودي بالقدس القديمة
وقلعت عينه اليسرى عند باب الخليل بعد استئناف القتال قبيل الهدنة
الثانية وكان في عام ١٩٥١ لا يعي الاسماء والارقام بسبب اصابته في الدماغ
في معركة الخليل .

على ان قواد الثورات في فلسطين كانوا الى جانب القيادة يتولسون
المساهمة في المعركة كلما نشب القتال ولهذا نجدهم يتساقطون شهداء في
مختلف المناطق سواء في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ او ثورة ١٩٤٧/٤٨ .

فذلك سعيد العاص كان قائدا وشهيدا في منطقة بيت لحم .
وذلك الشيخ عبد الحفيظ ابو الفيلات قائدا وشهيدا في منطقة
الخليل .

وذلك الشيخ حسن سلامة كان قائدا وشهيدا في اللد والرملة .
وذلك خليل ابو لبن كان قائدا وشهيدا في منطقة يافا .
وذلك عبد الرحيم الحاج محمد كان قائدا وشهيدا في منطقة طولكرم
وذلك عارف عبد الرزاق كان قائدا وشهيدا في منطقة الطيبة .
وذلك الشيخ يوسف ابو درة كان قائدا وشهيدا في منطقة حيفا .
وذلك محمد الصالح ابو خالد كان قائدا وشهيدا في منطقة السيلة .
وذلك سرور برهم كان قائدا وشهيدا لحيفا .
وذلك الشيخ فرحان السعدي كان قائدا وشهيدا في منطقة جنين .
وذلك عبدالله الاصبح كان قائدا وشهيدا في منطقة صفد .

وحين اعلن التقسيم ، جاء الى مصر وابندا يشتري السلاح ويدرب
الشباب ، وانشأ مخبأ خاصا للسلاح في احدى ضواحي القاهرة ، واستعان
بالوطنيين الضباط من مصر وسوريا لتحديد اهداف المجاهدين في فلسطين
ثم عينه المفتي قائدا لفرق الجهاد المقدس فدخل فلسطين وحالفا
النصر في جميع المعارك التي خاضها (٣٠) ، ومنها معارك القدس وبيت
سوريك وبيت محير وقلندية وشعفاط وباب الواد وبرك سليمان وصوريف
ورام الله وغيرها .

واستشهد عبد القادر عن زوجة كريمة برت للجهاد على الدوام ورعت
ابناءه الثلاثة موسى وفصيل وغازي الذين نموا في بيت للجهاد عريق .

واخيرا ، ان عبد القادر الحسيني هو ابن زعيم فلسطين الكبير موسى
كاظم باشا الحسيني الذي لم يمنعه سنه الكبير من الجهاد وقيادة المظاهرات
ضد الانجليز ، حتى ضربه الجند في المظاهرة الكبيرة بيافا ، وتوفي متأثرا
بجراحه بعد ايام ، وكان ابنه عبد القادر احد جرحى تلك المظاهرة التي
خرجت لتنادي بسقوط الصهيونية وسقوط بريطانيا التي حمت الصهيونية
وفرضتها على فلسطين تلك المظاهرات التي نهت العرب بخطر هجرة
اليهود ووجوب صدها قبل ان يستفحل الخطر .

عبد القادر صورة مكررة للقواد الفلسطينيين :

واذا تحدثنا هنا عن الشهيد عبد القادر الحسيني ، فلا يعني هذا انه
كان صورة فريدة في جهاد فلسطين ، فان شهداءها لم يحصوا بعد ، ولكننا
خصصنا بهذا الفصل لعلاقته بتلك اللجنة العسكرية التي كانت تفجع في
دمشق باسم الجامعة العربية ، ولان استشهاده رافق الصورة المحزنة من قلة
السلاح ونفاد العتاد .

على ان الثورات الفلسطينية المختلفة شهدت مصارع عديد من الابطال
الذين كانوا يقودون مناطقها ومن لم يستشهد منهم عاش بعدها قليلا او
كثيرا يحمل في جسمه اوسمة المجد من جراح وقروح .

كان ابراهيم ابو دية رفيقا لعبد القادر الحسيني في منطقة القدس ،
وفي معركة القسطل ، وقد جرح في معارك عديدة ، ثم جرح يوم الهجوم
على القسطل ، ثم اصيب بجرح خطر في معركة رامات راحيل اقعده عن

(٣٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ، ص ١٦٧ .



هذا المنظر ليس في ستالينجراد وحرب شوارعها ، انها يافا العربية وقد قاومت الانتداب والتهويد فهدمت بريطانيا احياءها العربية ١٩٢٧/١٩٢٨

العالية الثانية ، ومرت يافا من تاريخ ابتداء القتال الى تاريخ انهيار المقاومة العربية فيها بمرحلتين مهمتين لا يمكن ونحن نُؤرخ في صدق واعزاز جهاد الشعب الفلسطيني الا ان نسجل مجملهما في وضوح وامانة وابلاغ .

كانت المرحلة الاولى هي التي بدأت منذ اوائل ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ الى اواسط فبراير (شباط) ١٩٤٨ وهي المرحلة التي تولاهها سكان المدينة وبعض المقاتلين الفلسطينيين .

اما المرحلة الثانية فتبدأ من دخول جماعات جيش الانقاذ في اواسط فبراير (شباط) من ذلك العام ، فأشترك قسم من هذا الجيش مع سكان المدينة في مهاجمة اليهود .

ولناخذ اول خير نشر في الرابع من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ لنجده يشير الى وقوع معركة شديدة بين العرب واليهود في مناطق الحدود بين يافا وتل أبيب ، استخدم خلالها الفريقان الرصاص والقنابل اليدوية ، واستمرت المعركة عدة ساعات ، قتل وجرح خلالها من العرب تسعة وعشرون ، ولم تعرف خسائر اليهود بالتفصيل ، غير أنه علم أن واحدا من كبار ضباط الهاجانا « جيش الدفاع اليهودي » يسمى « موسى نيومان » كان بين قتلاهم .

والعديد غير هؤلاء ممن لم نصل الى اسمائهم او مناطقهم ، والى جانب هؤلاء كان هناك عشرات الالوف من الشهداء ، وكان بينهم عدد كبير من رجالات فلسطين واعيانها ، وشبابها المثقف .

صراع مرير ومعارك فاصلة :

وهكذا لا يبدأ جزء من . . أرض فلسطين طوال هذه الحقبة ، فيبنماتشتمل النار في اللد والرملة يدور القتال عنيفا في جنوبي فلسطين وفي شمالها ، وتتعدد الاحداث تعددا سجلته وكالات الانباء العالمية ، مما لا يتسع المقام لنشره هنا لتشابه احداثه وتكرار امكانه ، تشابها وتكرارا يحملان صورة صادقة لمواصلة شعب فلسطين جهاده ، حتى بعد ان تولت جيوش الدول العربية زمام المعركة ، ودخلت فلسطين في منتصف مايو (ايار) ١٩٤٨ .

واذا كنا لا نرغب في تكرار برقيات تلك الايام المليئة بالخطيرة ، فاننا لا نستطيع تجاهل ما دار في المدن العربية التاريخية مثل يافا والناصرية وحيفا وعكا .

٤ - معركة يافا :

كانت يافا في اواخر عام ١٩٤٧ مدينة عربية كبيرة وجميلة ، ذات ميناء مزدهر على ساحل البحر المتوسط ، عرفت بنشاطها التجاري والثقافي ، وانها مركز من مراكز النقل العربية في المنطقة ، ومن اغنى مدن فلسطين واشهرها بتجارة البرتقال .

وقد انشأ اليهود حيا في يافا سموه تل أبيب ، لم يتمكنوا من توسيعه في العهد العثماني ، وبقي صغيرا هزيلا حتى جاء الانجليز فنما وازدهر ، وبدأ هذا التل يأخذ شكل المدينة ، وبعد ان كان يضم مائة وخمسين منزلا في عام ١٩١٤ أصبح يضم ٢٠٠٠ منزل عام ١٩٢٢ تحت حماية بريطانيا وبرامجها ، وما جاء عام ١٩٤٧ حتى كانت تل أبيب تضم ٢٣ الف منزل ومائتي الف ساكن وبذل اليهود جهودهم ، فأستولوا على كثير من الاراضي التي تحد يافا من اغلب جهاتها فأنشأوا مستعمراتهم ببيت فيجان وهاتيكا وريشون ولوزيون وميكافا اسرائيل .

وحين أعلن قرار التقسيم وتنادى العرب ، كان السلاح مشكلة المشكلات ، فتحت وطأة القانون الصارم على من يحوز سلاحا من العرب ، لم يكن بها الا عدد قليل من البنادق الايطالية سرب لها من مصر بعد الحرب

وأعلن انه بينما يستمر القتال تلتهم الحرائق المنازل والمتاجر اليهودية المتاخمة لحي المنشية العربي في يافا ، ويستمر القتال في السابع والثامن من ديسمبر (كانون الاول) ويعلم ان قتلى هذه الايام بلغوا ٤١ شخصا منهم ٢٨ يهوديا وان ١٥٠ جرحوا ، ويعلم ايضا ان العرب قاموا بهجوم في ساعات الصباح الاولى بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية على حي « جيفاتح موسى » اليهودي ، واصيب الفريقان بخسائر في الارواح (٣١) .

ويستمر تبادل اطلاق النار متقطعا عند الحدود بين يافا وتل ابيب ، وبديع رجال الهاجانا انهم نسفوا دارا للقناصة العرب في ضواحي يافا (٣٢) .

وكان المجاهدون قد تمكنوا من التسلل الى ضواحي تل ابيب ، واشعلوا النار في عدد من دورها ، ودخلوا ميناءها بعد معركة حامية عند ضواحيها ، وفرت النساء والاطفال اليهود في سيارات نقل ، واطلق المحاربون اليهود اشارات ضوئية في سماء تل ابيب يطلبون نجدة الهاجانا ، وهاجم المجاهدون العرب في التاسع من ديسمبر (كانون الاول) مستعمرة هاتكفا اليهودية المتاخمة لتل ابيب ، ولم يتمكن اليهود المدافعون عنها من الثبات على الرغم من تلقيهم نجدة كبيرة وبعد معركة حامية انسحبوا الى تل ابيب ، بينما تقدم العرب الى قلب المستعمرة حيث هدموا عددا من منازلها واشعلوا فيها النيران ، واعلنت الهاجانا نفسها انها اضطرت الى الانسحاب تحت وطأة الهجوم العربي(٣٣) .

وتستمر المصادمات اليومية ، وارتكب اليهود احدى جرائمهم الارهابية فدخلوا يافا في سيارة شحن تصحبها سيارة صغيرة مجتازين شوارع المدينة الهامة ، وكانت السيارة الكبيرة مليئة بالقنابل الزمنية المغطاة بالبرتقال ودمر انفجارها بنايات كثيرة ، وقدّرت خسائر العرب بثمانية وعشرين بين شهيد وجريح ، ثم استشهد اربعة من العرب وجرح عشرة آخرون عندما صد المجاهدون هجوما يهوديا على احد الأحياء بيافا .

واستطاع العرب وهم يواصلون المعارك في منطقة الحدود بين يافا وتل ابيب ان يتوغلوا في منطقة تل ابيب ، بعد ان دمرنا جزءا من استحكاماتها ، وبينما تستمر معركة كبيرة في منطقتي الشيخ مراد وأبو كبير قرب يافا ، عمد الجيش البريطاني الى نسف مركز عربي في تلك المنطقة ،

- (٣١) جريدة الاهرام العدد ٤ و ٩ من ديسمبر ١٩٤٧ .
(٣٢) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٢٢ .
(٣٣) جريدة الاهرام العدد ٩ و ١٠ من ديسمبر ١٩٤٧ .

وانفجر لغم يهودي بحي المنشية في يافا فأحدث اضرارا في المنازل(٣٤) .

وشن اليهود هجوما عنيفا على يافا استغرق خمس ساعات وبلغ مجموع قذائف المدافع نحو ثلاثمائة قذيفة ، وقدّرت قوات اليهود المهاجمين بخمسمائة مقاتل جاءوا زاحفين من ثلاث جهات(٣٥) . ثم هاجم عرب يافا مدينة تل ابيب اليهودية واطلقوا القنابل عليها ، واشعلوا بها النيران . ولم يمض يومان حتى اطلق اليهود قنابل مدافعهم على يافا في صباح مبكر حتى بلغت مقدوفاتهم مائة قذيفة مركزة فأحدثت خسائر وحرائق ، وأصر اليهود على احتلال يافا ، عملا على تحطيم روح المقاومة لدى العرب فشنوا هجوما قويا حيث قابلهم المجاهدون بدفاع قوي ، ولكنهم احتلوا نقطة بوليس المنشية ومحطة السكة الحديدية ، وكر المجاهدون العرب عليهم في اليوم الثاني فدحروهم وحرروا المناطق المذكورة .

ودار القتال في يافا من شارع الى شارع ، ومن ركن الى ركن ، وتجدد هجوم اليهود بقوات كبيرة وبمدافع قوية ، واستولوا على بعض المناطق في يافا ، ويقف شعب يافا يدافع عنها في عزم وتصميم ، وتعلن القيادة البريطانية رسميا « ان اليهود ارتدوا عن المدينة بفعل الدفاع العربي وانزل العرب خسائر فادحة باليهود الذين وصلوا اطلاق نيرانهم على يافا اربعا وعشرين ساعة متواصلة » ودفع العرب في ذلك اليوم ستة وعشرين شهيدا وتسعين جريحا .

وبينما يعلن رسميا ان العرب استردوا ما كان اليهود استولوا عليه في الليلة الماضية(٣٦) وأن القتال استمر من شارع الى شارع ، يعلن ايضا ان اليهود الذين لم يستطيعوا حتى الآن اخضاع يافا برغم ما بذلوا من جهود وضحايا ، اتجهوا الى القرى المحيطة بها يخلونها ويتمون حصار قرية سلمة التي كانت تهدد جنوب تل ابيب .

هكذا كانت وكالات الانباء تذيب انباء يافا على العالم ، وفيها استمرار للقتال في كل ساعة وحين ، وفيها تصميم على عدم الاستسلام لليهود الذين قوّاهم الانجليز ، وأمدّوهم بالعتاد والسلاح .

- (٣٤) جريدة الاهرام ١٦ من فبراير ١٩٤٨ .
(٣٥) جريدة الاهرام ١٥ من مارس ١٩٤٨ .
(٣٦) جريدة الاهرام . اعداد : ١ و ٦ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ ابريل ١٩٤٨

وإذا كنا اشرفنا في اول البحث عن يافا ان مدينة تل ابيب لم تكن الا حيا من احيائها ، فان ذلك يحملنا الى تصور القتال بين تل ابيب ويافا ، وانه لن يكون الا قتالا عصيبا ومن مواقع قريبة استعملت فيه المدافع والبنادق والمواجهة القريبة وصراع الشوارع والميادين .

ولكي يستطيع سكان يافا وعددهم يزيد قليلا عن ستين الف عربي بين رجل وامرأة وطفل مواجهة حالة الحرب التفت يافا سبع لجان : لجنة اقتصادية : تشرف على اسواقها وتمنع التلاعب وتوفر الخبز للشعب .

لجنة دفاعية : تحصن خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح .

ثلاث لجان : للصحة والقرى والرخص وكلها تخدم القتال وترتبط الصلات بالقرى وتكافح الأوبئة الناشئة عن القتال .

لجنة دفاعية : تحصن خطوط الدفاع وتزود المجاهدين بالسلاح . تصفح السيارات للقتال .

لجنة السلاح والألغام : وهي التي تضع الألغام وتصلح السلاح وتحاول صنع انواع من السلاح المحلي (٣٧) .

انه لوضع مشرف ليافا العربية از تسلك هذا التنظيم المحلي وتضع اسما تهتم فيها بالاقتصاد وسط قصف المدافع وتحصن دفاعها ضد اليهود ، وتقوي من وسائل دفاعها وتصنع السلاح والألغام ، ويزداد هذا الوضع اشراقا لدينا حين نعلم ان عديدا من الذين عملوا في لجنة السلاح والألغام استشهدوا أو أصيبوا في أثناء الأعداد ، وهذا هو المهندس الكيماوي سليم دمياطي أصيب وجهه في انفجار لغم ، وذلك فيصل الظاهر الذي خلف المهندس الكيماوي استشهد وسط أحداث يافا ، وغيرهما عديدون كثيرون .

وعمد اهل يافا الى تنظيم احوالهم ماليا ، فأخذوا من بيت المال التابع للهيئة العربية العليا ما يروونه كافيا لبداية النضال ، ثم فرضوا على الأهلين ضرائب محلية على البنزين والجمرك والسفر ، وأطعموا بذلك الجائعين وسلحوا المناضلين وأمنوا الجرحى وأغاثوا عائلات الشهداء الذين يتساقطون كل يوم ، وحين سنحت لهم فرصة الحصول على سلاح مفيد اضطرت عشرة من أبنائها الى الاستدانة من البنك العربي ليدفعوا الى البائع

(٣٧) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٢٩ .

عشرة آلاف جنيه ثمنا لخمسمائة صندوق من عتاد البنادق(٣٨) :

وأتت اللجنة تجنيد ٥٤٠ مقاتلا ، منهم ٣٧٥ في مراكز ثابتة و ١٦٥ قوات متحركة ، ولكن السلاح لم يكن يزيد على ٢٨٤ قطعة كما أوردنا قبلا ، اما قائد القطاع فكان الشيخ حسن سلامة(٣٩) .

ولكي تكتمل امامنا صورة الجهاد الذي حمل لواءه اهل يافا ، يجدر بنا ان نذكر ان هؤلاء المجاهدين قسموا على ١٣ قطاعا من قطاعات يافا ، ولم يكن اي قطاع يضم جماعة مكتملة التسليح فمثلا : كان حي الجبالية يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم عبد الباري الهيني ولم يكن معهم الا ١١ بندقية وثلاث رشاشات ، وكان حي جبل الريش يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم خميس ابو النيل واخوه حمدي ، ولم يكن معهم الا ١٠ بنادق وثلاثة رشاشات وكان حي ابو كبير يدافع عنه مائة مقاتل يقودهم الحاج عبدالله الناقة ولم يكن معهم الا ٢٠ بندقية وستة رشاشات ، وكان حي البصة يدافع عنه خمسة وعشرون مقاتلا يقودهم كاظم الحسيني ولم يكن معهم الا ١٢ بندقية ورشاشان ، وهكذا بقية الأحياء في يافا .

على ان هذا الضعف في التسليح لم يشن العرب في يافا عن التفكير في سد النقص لديهم ، فهم يعمدون الى صنع القنابل وتركيب الألغام ، ويقول مؤرخ معاصر « انهم صنعوا القنابل من اوعية ومواد كانت قبلا تستعمل لاطفاء الحريق ، ووضعوا في كل وعاء مقدارا يتراوح بين عشرة وعشرين كيلوجراما من المواد المتفجرة ، وكانت قوة الهدم فيها عظيمة جدا(٤٠) » .

وذاك شاب عربي يسمى « علي جبر » صنع الغاما صاروخية تعاون هو وشقيقاه محمود وذكريا على نسف سيارات اليهود ومصفحاتهم بها ، وكانت انبوبة البوتاجاز تنشر في شكل مدفع يطلق انبوبة اطفاء الحريق المليئة بالمتفجرات ، فكانت عامل هدم ورعب بين اليهود .

وكانت يافا محاصرة بالمستعمرات اليهودية من اغلب جهاتها(٤١) ، ومن جهة اخرى كانت جارتها تل ابيب التي يسكنها ٢٠٠ الف يهودي المحمية بمستعمرات اخرى تقف شوكة الى جانبها ، وكان جهاد يافا

(٣٨) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢١ كان البائع احد ضباط الجيش الاردني يسمى حكمت مهيبار .

(٣٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٢ .

(٤٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٦ .

(٤١) كانت هذه المستعمرات هي : بناح تكفا ، مكفا اسرائيل ، واغروبنك ، بيت

فيجان ، هاتيكفا وريشون لوتسيون .

بل ان طه الهاشمي رئيس تلك اللجنة يصرح « انه اجاب الشيخ حسن سلامة بان مهمته الدفاع فقط ريثما يتم حشد قوات الانقاذ » .

وكان على الهاشمي وهو العسكري الذي يهيمن على رئاسة اللجنة من الجامعة ان يدرك ان الدفاع القوي هو الذي ينقلب الى هجوم ، وان هذا الدفاع الذي يطعم بين الحين والآخر هو الذي ينقلب الى هجوم ، وان هذا الدفاع الذي يطعم بين الحين والآخر بسلاح هزيل وقواد ليسوا في مستوى الخطورة ، قد ينهار ، وحينئذ ينعدم الدفاع ويتقدم الاعداء محتلين ، فلا تقوى الجيوش في منتصف مايو (ايار) على الجهود الكبير الموزع ، وكان عليه وهو القائد الكبير ان يدرك بما جرب حتى ذلك التاريخ ان رؤساء الدول العربية ليسوا جادين كجماعة للحرب ، وان الخلاف بينهم كان واضحا .

ولو وضع الهاشمي امامه هذه الاعتبارات لاهتبل فرصة تصميم اهل يافا وقراها على القتال ، وامدهم بالسلاح الثقيل والمتوعين ، ليتمكنهم من ان يواصلوا جهدهم على نفس النسق الذي ساروا عليه ، فاتي ثماره (قبل ان يخضعوا للجنة) .

ويعطي احد القواد العرب صورة مذهلة عن نقص السلاح في ايدي مجاهدي يافا (٤٢) فيقرر انه كان في منطقة الجبالية ستة وثلاثون مقاتلا يعوزهم السلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم جنودا يوغسلافيين مسلمين كانت معهم بنادقهم ، وفي منطقة ابوكبير كان يوجد اكثر من سبعين مقاتلا بدون سلاح ، وكانت هذه المنطقة تضم عددا من المجاهدين المصريين ، وفي منطقة تل الريش كان يوجد سبعة وثلاثون مجاهدا لا سلاح لديهم .

واذا كان القائد الجديد عادل نجم الدين قد سافر هو الآخر يطالب لجنة الجامعة بسلاح هام وعتاد ثقيل ، فانه عاد بخمسين بندقية انجليزية واربعة رشاشات . اعطيات قليلة ، ومساعدات واهنة هزيلة .

وجاء ايضا معه خمسة وسبعون مقاتلا من المتطوعين الحمويين المدربين في معسكر قطنا غير ان اهل يافا المجاهدين كانت نكبتهم مزدوجة بهؤلاء الحمويين الذين لم يملكوا في يافا الا ثلاثة ايام نهجوا خلالها البلدة ، واستولوا على ما وصلت اليه ايديهم ، وغادروا مواقعهم ، فهاجمها العدو ، لقد عاد هؤلاء الحمويون الى يافا تحت الحاح واقناع القائد عادل نجم الدين ، ولكن الذين

(٤٢) هو القائد الشهيد حسن سلامة وقد كان يسجل في دفتره احداث تلك الايام الخالدة وقد استقى المؤرخ عارف العارف بعض مادته التاريخية من هذا المرجع . انظر الفصل من تاريخ القدس ، ص ٢٤١ .

وبسالة شعبها محل استفراب للاعداء انفسهم ، قال مناحم بيغن قائد الارهابيين في منظمة الارغون في كتابه الثورة « ان تل ابيب قاست خلال تلك الفترة من يافا وطاة الضرب الشديد ، وقد سقط من سكان تل ابيب حوالي الف قتيل وجريح ، وكان القناصون العرب يرسلون الموت الى كل مكان ، حتى وصل رصاصهم الفتاك الى العمارة التي تعمل فيها بلدية تل ابيب » وان الالغام التي استعملها العرب دمرت احياء يهودية كاملة ، وان احياء اخرى اخليت يومئذ من سكانها فهامت آلاف العائلات على وجوهها في قلب المدينة ، وعاش آلاف آخرون في الملاجئ والاقبية شهورا طويلة » .

وادرك اهل يافا ان صنع الالغام ليس سهلا ، وان المواد الصالحة لصنعها ليست متوافرة فعمدوا هم ايضا الى دمشق حيث اللجنة العسكرية وعادوا بلا جدوى .

على انه في منتصف فبراير (شباط) ١٩٤٨ هبط يافا قائد عراقي موفد من اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ويصحبه ثمانون متطوعا ومائة وخمسون بندقية المانية وتشيكية و ١٥٥٠٠ طلقة انجليزية و ١٥ الف تشيكية وطن متفجرات .

وصل القائد الى يافا فوجد نقصا كبيرا في عدد سلاحها وعتادها ، وقدم بذلك تقريرا ضافيا الى طه باشا الهاشمي والى اللجنة العسكرية مطالبا بسرعة امداد يافا ، وطالب لجنة دمشق ان تزيد وتقوي حامية يافا، فلم ينجح في طلبه الأول ، ولم ينجح في طلبه الثاني ، وغادر يافا بعد بضعة ايام من وصوله ، وعلى الرغم من انه كان على سمعة طيبة واخلاص كبير ، فانه لم يستطع ان يساهم في انجادهما ، ولم يشترك في امجادهما .

ووصل يافا المقدم عادل نجم الدين فتسلم قيادتها باسم اللجنة العسكرية ، وكان يرافقه الملازم اول شناوة عود ، والمرشح اسماعيل قاطع ، والملازم مهدي صالح ، والملازم محي الدين ، والملازم ابراهيم الاعظمي ، والرئيس عبد الجبار الشمي .

وكان نجم الدين يخضع لقيادة الشيخ حسن سلامة الثائر الذي تولى الدفاع عن قطاع يافا واللذ والرملة ، ويرسل هذا القائد يطلب من اللجنة العسكرية ان تكون حامية يافا في وضع مماثل لما عند اليهود في تل ابيب ، انه يطلب ٣٦٠٠ مقاتل للقطاع ، كان يريد منهم ١٥٠٠ ليافا و ٥٠٠ لسلمة و ٥٠ بيتا و ١١٠٠ للذ والرملة وتلقيلية وصرfund ، ولكن هذا الطلب الذي نادى به القائد الفلسطيني ذهب لدى اللجنة العسكرية مع الريح ،

يسلبون سكان يافا ويتعاونون على نهب المدينة لا يمكن ان يكونوا سندا لها ، ولا ان يبذلوا في سبيلها رصاصة ولا روحا ، ولهذا كانوا عوناً على يافا لا عوناً لها .

وبينما كان اهل يافا ينتظرون العون من لجنة جامعة الدول العربية ، ومن الضباط الذين ترسلهم اليها ، ثبت ان عددا كبيرا منهم كان شرا هادما ليافا ونضالها في ساعاتها الفاصلة ، وليس ادل على ذلك من الملازم عبد الجبار العشي العراقي الذي جعل مهمته بدلا من الجهاد مصادرة مؤن الأهلين ، ومصادرة سلاح المناضلين ، حتى ادانته محكمة عسكرية بالسجن خمس سنوات لمصادرته تلك الأسلحة وتركه القرى المجاورة من غير سلاح، ولتشجيعه الحمويين على مفادرة يافا في أخرج ظروفها ، ولم يثبت مع المجاهدين في ساحة الشرف والجهاد(٤٣) .

ولنحيط اكثر بما لاقى شعب فلسطين من هؤلاء الذين دخلوها منقذين فكانوا حربا عليها ، يجب ان نقرأ تقرير طه باشا الهاشمي المرفوع لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد عام ١٩٤٩ والذي يقول فيه « ان محكمة قوة اليرموك حكمت على شناوا عود والمرشح اسماعيل قاطع اللذين جاءا مع عادل نجم الدين الى يافا بالسجن ثلاث سنوات لانصرافهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الأسلحة بدلا من الدفاع عن المناطق المكلفين بها » .

وقبل ذلك كان تقرير الهاشمي في الشهر السابع من عام ١٩٤٨ يقول « ان الملازم مهدي صالح (وكان هو أيضا قد جاء يافا مع القائد نجم الدين) تصرف بالأسلحة تصرفا غير مشروع وانه باع في اسواق بيروت تلك الأسلحة مع الأسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو وانه سجن شهرا وطرده من الخدمة (٤٤) » .

ماذا يمكن ان تخلف هذه المظاهر التي لاحظها اهل يافا في جمهرة كبيرة من المتطوعين ؟ انها بلا ريب خلفت الما واسفا ، وبذرت كرها وثقة مزعزة وحقدًا ، وبادل اولئك المتطوعون اهل يافا نفس الشعور ، فحل الكره محل الوثام ، والحقد محل التعاون ، وكانوا حربا وتشنيعا وتشهيرا ، واستفاد اليهود من وضع مريب متخاذل يعوزه السلاح وينقصه

(٤٣) تقرير طه الهاشمي رقم ١١٧ - ١٤ بتاريخ ٥ يناير ١٩٤٨ المقدم الى جمعية انقاذ فلسطين ببغداد .

(٤٤) المصدر السابق ، رقم ٥١٠٧ - ١٤ بتاريخ ٦ يوليو ١٩٤٨ .

المال ولا يمثله الا شعب اعزل وقلة طاهرة من المتطوعين .

وفي غمار هذا الجو المربك وعلى صدى نداءات اهل يافا الى اللجنة العسكرية بدمشق ، والى الملك عبد الله بعمان ، بدأ اليهود هجومهم الكبير ، لقد جاء اليهود في مائة سيارة خليطا من رجال الهاجانا والارجون(٤٥) ، وكانوا مزودين بمدافع الهاون والموترو والبرن والقنابل المختلفة ومدفع مضاد للدبابات .

واستقبلت يافا لهب النار القوية ، وكانت حامية يافا يومئذ ٢٧/٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ مؤلفة من خمسمائة من رجال يافا وأربعين عراقيا و ٦٥ مسلما يوغسلافيا و ١٥٠ من المتطوعين يقودهم الملازم العراقي شناوا عود(٤٦) ، وثبت المجاهدون الذين خف سكان يافا لمساعدتهم وسط المعركة ، واستمر القتال ثلاثة ايام ، وكانت يافا مقطوعة الصلة بالقدس وبكل القرى المجاورة ، قال مناحم بيغن قائد منظمة الأرعون الارهابية في كتابه « الثورة » عن تلك المعركة :

« في الوقت الذي اندفعت فيه وحدتنا لاحتلال الاستحكامات الامامية للعدو ، لعل صوت مدفع رشاش ثقيل من طراز شفندا واخذ يحصد المهاجرين . يا الهي لقد تعلمنا من استحكامات المنشية في يافا ما تعلمته جميع الجيوش في الحرب العالمية الثانية في قتال الشوارع ، وهو انك لا تجد استحكاما حصينا افضل من اطلال البيوت الخربة المهدمة حول خطوط الجبهة ، وفي قلبها ، لقد كان العرب يتخذون من اطلال البيوت وخرائبها خطوط دفاع عن يافا ، وظهر لنا ان خطوط الدفاع في المنشية كانت عميقة جدا مزدوجة ومثلثة وخماسية ، ويظهر انها اقيمت على ايدي خبراء ، بحيث اذا استطعت الوصول الى الصف الاول منها تصب عليك الاجنحة والاستحكامات النار والكبريت .

لقد تخضبت الارض بالحجارة والاطلال بالدماء ، وفي غرفة المراقبة تهشم رأس « صدوك » برصاصة اخترقته ، واخذت فرقة اسعاف الميدان تنقل القتلى والجرحى ، لقد سقطوا بالمشرات ، وكانت الدماء تقطر من جراحاتهم ومن قلوبنا ايضا ، لقد فشل الهجوم الاول ، وارتدت عنه فلول وحدتنا ، ولم تستطع اختراق تحصينات العدو وتدمير عنق الزجاجاة

« في الوقت الذي اندفعت فيه وحدتنا لاحتلال الاستحكامات

(٤٥) يقودهم جدعون ومناحم بيغن وغاليلي باعوش وغيرهم من كبار نواد الارهاب فيهم .

(٤٦) راجع الصفحة السابقة من هذا الكتاب كيف ادين في محكمة عسكرية .



يهودي واحد يفادر يافا الى تل ابيب فيحميه اربعة من جنود بريطانيا

وهكذا تتدخل بريطانيا كلما حزب اليهود امر ، فتكون الهدنة في مراحل حرب فلسطين المتعاقبة هي النكبة بالنسبة للعرب ، ويرضى قائد المدفعية ويعود الى نابلس . لقد كان في الامكان انقاذ يافا لو استمرت المدفعية تساعد ، ولو لم يرضخ جيش الانقاذ لهدنة تقترحها بريطانيا بين خصمين متحاربين منذ ايام امام ابصارها ، وكانت قد قوت أحدهما فحين غلب تدخلت بالحيلة لانقاذه .

وتجدد هجوم اليهود ، وكانت خسارتهم ٢٥٠ قتيلًا ، ولكنهم استطاعوا ان يحتلوا حي المنشية العربي ، وذبحوا كل سكانه ، لا يشفع عندهم كر السنين لدى الشيخ الواهن ولا بسمة البراءة لدى الطفل الصغير ، بل مثلوا بهم تمثيلا مرعبا مفرعا اليما .

لقد انسحب القائد المقاتل عادل نجم الدين وسحب معه ٣٠٠ مقاتل اخذهم بأسلحتهم وعتادهم ، سحبهم وسط المعركة الدامية ، لم يفكر في التاريخ ، ولم يرع سمعة الوطن المجاهد ، وخرج بمجرد وصول القائد الجديد (٤٨) .

وادر ك القائد الجديد ثقل المهمة في مدينة هدمتها القنابل ، وازدحمت

ذي الشكل الهلالي ، وارتدنا على اعقابنا ، وانسحبنا عن الأرض التي خضبناها بدمائنا ، وكانت هجمات العرب المعاكسة عنيفة بحيث تداعت وحدتنا المقاتلة تحت وطأتها ، واضطرت الى الانسحاب .

وملأنا الفراغ بقوات جديدة من الاحتياطي وكررنا على العدو ، ولكنه هزمنا في الجولة الثانية كما هزمنا في الجولة الاولى ، لقد هاجمنا يافا بأفضل قواتنا واحسنها تدريبا ومرانا في القتال ، هاجمنا خمس مرات في يومين وليلتين ، وفي المرات الخمس رددنا على اعقابنا وحملنا من ميادين المعركة ابطالا اعزاء علينا ، حملناهم مخرجين بدمائهم ، وبلغ من صلابة حمايتنا ان فكرنا في العدول عن اقتحامها واصدرنا امرنا الى قواتنا الامامية بالانسحاب ، ولكنها لأول مرة في تاريخ الارغون خالفت الاوامر وبقيت تحارب (٤٧) .

وجمع اليهود كل قواتهم ، واستنفروا كل قادر على السلاح ، وهاجموا يافا من جديد ، واستمر القتال ليلة كاملة ، وفقد اليهود كثيرا من رجالهم ، واصبحت يافا مهددة بالسقوط ، ان الشائعات تنطلق بان مصر على وشك ان تنزل جنودها في يافا ، وان قائد يافا يواصل استنجاهه باللجنة في دمشق .

وكان القاوجي يمسك في شمال فلسطين ، ووسط محنة يافا الحقت به اللجنة قيادتها ، فاقال نجم الدين وولي قيادتها الرئيس ميشيل العيسى على فوج اجنادين ، وان يرافقه المقدم صالح مهدي صالح العاني بفصيل مدفعي واربع مصفحات ليعينه على دخول المدينة المحاصرة ، يقول هذا « امتطيت المصفحة وتقدمت ، وسار الفوج خلفي ، وما كدنا نصل الى نقطة تقع على مقربة من المستعمرة « نيترفي » في ضواحي يافا ، حتى اطلق اليهود علينا وابلا من رصاص رشاشات ومدافع الهاون ، وبدأت المدفعية التي ركزتها قبلا في مواضع مهمة تقصف المستعمرة التي انهار برجها على من فيه ، وتقدمنا بعد ذلك بالمصفحتين ، وفر اليهود تاركين قتلاهم وهناك تقدم فوج اجنادين ودخل يافا ، ولم اخسر غير شهيدين وستة جرحى ، وعدت الى قرية « يازور » حيث تركت مدافعنا وامرت بان تقصف تل ابيب ، فأرسلنا عليها ستة واربعين قذيفة واخذ اللهب والنيران تنتشر في أرجائها ، واستجار اليهود بالانجليز ، فتدخل هؤلاء ونادوا بهدنة بين المتحاربين » .

(٤٧) نكبة بيت القدس ، ج ١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٤٨) القائد هو ميشيل العيسى .

بالمشردين الذين هدمت بيوتهم ، وظهر فيها الجياع الذين لم يجدوا خبزا ، وأبرق الى الفاوقجي قائده العام مستنجدا : « عادل يترك المدينة دون تسليم ويرفض التسليم ، الحامية انهارت ، وأسلحتها تبذرت ، المدينة والحامية في حالة فوضى تامة ، وموقف عادل من هذا سلبى بل ربما ارتاح اليه ، نهب الجنود متاجر متعددة ، لا تستطيع اية شخصية السيطرة على الموقف دون وجود جيش نظامي يدعمها ، ثمانون بالمئة من الاهلين رحلوا وسيل الرحيل متواصل بشكل محزن ، اللجنة القومية لا تستطيع مداومة اعمالها لانقطاع مواردها(٤٩) » .

وأبرق من جديد يقول : « عادل غادر المدينة مع جميع العراقيين واليوغسلافيين بحرا ، والمدينة تكاد تكون مقفرة من السكان بعد ترحيل اليوم ، مقدرة المدينة على تموين من تبقى من الحامية تتوقف غدا ، اصدر القائد البريطاني أمرا بوجوب ايقاف الضرب من الطرفين حتى منتصف الشهر الحالي، في حالة عدم امتثال اليهود للأمر ليس لدي ما يقف امامهم ، عدوى الفرار سرت لأجنادين ، انتظر تعليمات مستعجلة » .

وهكذا تدهورت الحالة في يافا ، دهورها جيش الانتقاذ وقواده ، وضعف الايمان في قلوب بعضهم ، لقد استنفد الشعب كل حيلة في القتال ، ثم رأى بأمر عينه القائد يسحب جنوده ، ويركب معهم البحر وسط قنابل اليهود وهجماتهم ، وماذا ينتظر من الرجال العزل والنساء المخدرات والاطفال الصغار بعد هذا . . . وبعد أن يروا امام اعينهم انسحاب حمايتهم ، وهجوم الجنود المنقذين على المتاجر ينهبونها ، وفرارهم من حصون القتال وخنادقه .

أغلق اليافيون متاجرهم ، وكثر القتلى والجرحى ، وازدحمت المستشفيات ، وارتفعت الأسعار ، ووقع الشعب بين نار اليهود يصلها وهوان المتطوعين يسومونهم الخسف ، وضعف التسليح يرهقه في القتال ، وانزلت يافا عن العالم ، وأبرق أهلها الى الملوك العرب والرؤساء ، وتلقوا جوابا واحدا من رئيس لبنان : « أن اربسح بواخر ستبحر الى يافا لنقل المرضى والجرحى » ولم تصل البواخر .

ونزح السكان الذين علموا بآبادة السكان في حي المنشية والتمثيل بهم ، نزحوا بعد أن نصحهم القائد العربي ميشيل العيسى وأخبرهم انه لا جدوى من البقاء ولا من الدفاع ، فالسلاح غير متوافر ولا كاف(٥٠) . ونهبت المخازن ، وارتبك الأمن العام ، يقول مؤرخ عربي : « انه عندئذ

تنفس سكان تل ابيب الصعداء ، وغادروا مخابثهم ، وانطلقوا في الشوارع يمرحون احراراً ، بعد أن قضوا في المخابث شهرًا طويلاً » .

وفي ١٣ مايو (ايار) ١٩٤٨ وقيل دخول الجيوش العربية بيومين ، اضطرت لجنة الطوارئ في المدينة أن توقع لليهود في مركز قيادة الهاجانا بتل ابيب الصك التالي :

« أحمد أبو لبن ، صلاح الناظر ، أمين اندراوس ، أحمد عبد الرحيم ، يشكلون لجنة الطوارئ في يافا ، وبما أنهم يقيمون فيها لادارة شؤون العرب في المنطقة المذكورة اعلاه ، وذلك بعد أن أعلنوا يافا مدينة غير محصنة ، ومن أجل المحافظة على السلام ، وعلى مصالح العرب في المنطقة المذكورة لذلك فانهم يصرحون ويؤكدون أن جميع العرب سينفذون جميع التعليمات التي اصدرها أو التي سيصدرها لهم قائد الهاجانا في تل ابيب ، وأي ضابط معين أو مفوض من قبله اليوم أو فيما بعد منفردين أو مجتمعين ، وكذلك فانهم يصرحون ويؤكدون أنهم قرأوا التعليمات الصادرة اليوم من قبل قائد الهاجانا في لواء تل ابيب الى العرب في المنطقة المذكورة ، وأنهم وقعوا على هذه الأوامر اشعاراً منهم بفهمها فهما تاماً ، وأنهم يتعهدون بتحمل المسؤولية التامة بتنفيذ هذه التعليمات تنفيذاً تاماً من قبل العرب ، ومن المفهوم أن الهاجانا تحترم دوماً ، وستحترم فيما بعد ميثاق جنيف وجميع شرائع وتقاليد الحرب الدولية ، واشعاراً بما تقدم قد وضعوا تواقيعهم في هذا اليوم الثالث عشر من شهر مايو (ايار) ١٩٤٨ على هذا الاتفاق في رئاسة الهاجانا في لواء تل ابيب(٥١) » .

وكانت تعليمات اليهود هي :

١ - ان كل طلقة نارية تطلق على اية منطقة يهودية او على أي عضو من أعضاء الهاجانا او اية مقاومة لهم ستعتبر سبباً كافياً لاطلاق النار على المذنب .

٢ - تسلم الاسلحة الى ممثلي الهاجانا وتخزن في المكان والزمان اللذين يحددان فيما بعد .

٣ - على كل من يعلم عن وجود الغام او متفجرات صغيرة او اية اشياء كهذه يجب أن يبلغ اقرب عضو من الهاجانا والا عوقب بشدة .

٤ - على جميع الذكور الموجودين في المنطقة أن يجتمعوا في المنطقة الواقعة بين شارعي فيصل وعمر المختار وشارع الحلوة والبحر وكل من

(٥١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(٤٩) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٥٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٣ .

يوجد خارجها يعاقب بشدة . الى آخر الأوامر التي تنظم سلطة الاحتلال وتمكن العرب في ظاهرها من حياة هادئة .

وفي الرابع عشر من مايو (ايار) دخلت جيوش اليهود مدينة يافا العربية ، وتناست بنود الاتفاقية ، واعملت فيها يد السلب والنهب والقتل والقتل .

لقد خسر اليهود من جماعة الأرغون الف وتسعمائة وثلاثة وعشرين بين قتيل وجريح في يافا وقراها ، ولم تعلن خسائر الهاجانا والمدنيين اليهود .

اما العرب فقد كانت خسارتهم تناسب جهادهم البطولي فبلغت ٧٧٠٠ بين قتيل وجريح من الفلسطينيين والمتطوعين .

٥ - معركة حيفا :

كانت حيفا مستهدفة من اليهود ، يسكنونها ويتكاثرون فيها ، وتسمل لهم بريطانيا تلك الاراضي حواليها ، حتى كادوا منذ ايام السلم يحاصرونها ، وبلغ عدد سكانها خمسة وسبعين الف يهودي و ٦٢٥٠٠ عربي ، وحين اقر التقسيم في هيئة الامم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ طالب رئيس اللجنة القومية رشيد الحاج ابراهيم بتأليف حكومة عربية ترعاها الهيئة العليا ، ومنها تستمد النفوذ ، ولكن الجامعة العربية عارضت هذا التدبير وشجته (٥٢) وقدر عدد المقاتلين اليهود فيها بخمسة الاف جندي مدرب ، وبينهم عديد من الضباط الروس (٥٣) والجميع مزود بالسلاح الامريكسي والمصفحات الروسية ، اما العرب فقد انضوا تحت اللجنة القومية ، واخذوا كالعادة يبحثون عن السلاح الذي حرموا منه قبالا ، وقسموا حيفا الى مناطق دفاع عشر ، واشتروا بأموالهم بعض السلاح ، وامتدتهم اللجنة العسكرية بكميات من سلاح آخر ، وارسلت لهم ايضا الهيئة العربية العليا سلاحا من بيروت ، حتى ان رشيد الحاج ابراهيم تسلم ٨٩ بندقية فقط ، وارجع ١٦١ بندقية لأنها غير صالحة ، وكذلك كان كل سلاح يصل حيفا يتبين ان قسما منه فاسد ، لا يصلح للقتال (٥٤) .

لقد كان وضع حيفا لا يساعد على الدفاع ، فلقد ساعدت بريطانيا اليهود على تطويقها من جهاتها الاربع بالمستعمرات العديدة (٥٥) ، وكانت

(٥٢) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٢٢٩ .

(٥٣) اللواء طه الهاشمي ، جريدة الحارس ، بغداد العدد ٢٧ في ٢٨ من مايو ١٩٥٣ .

(٥٤) نكية بيت القدس ، ج ١ ص ٢١١ .

(٥٥) المستعمرات هي ميشيك باجور ونيشر وعنتليت وكريات آمال ورامات يوحنا وكفار

حسيديم وباروس حنا وبنيامينا والخضيرة وزخرون يعقوب .

بطولة من شعبها ان يصمم على القتال لا سيما حين ادرك ان اللجنة العسكرية للجامعة بدمشق ليست في مستوى الاحداث وخطورتها ، ولو انسحب منها شعبها لما ناله لوم التاريخ ، وقد جربنا في الحروب كيف ينسحب المقاتلون استعدادا لجولة او بعدا عن المخاطر ، وفي الحرب العالمية الثانية رأينا كيف انسحب الحلفاء من اوربا ، انسحبوا من بعضها بعد قتال وانسحبوا من بعضها الآخر قبل ان تصلهم جيوش الالمان ، وفي تلك الحرب نفسها رأينا كيف قاتل الروس الالمان من شارع الى شارع في ستالينجراد ، وقبلها في مواقع الحدود ، ورأيناهم ايضا كيف انسحبوا من اماكن كثيرة قبل ان تصلهم جحافل هتلر المدمرة ، وفي ليبيا نفسها شاهدنا كيف انسحب الالمان امام الانجليز حتى احتل هؤلاء طبرق وبنغازي ، ثم انسحبوا من هذه الاخيرة دون قتال ، ولم يقف انسحابهم الا في طبرق حيث ادركوا انها منيعة الحصون ، طبيعية الميناء ، بل لقد عاصرنا كيف اضطر الرئيس جمال عبد الناصر الى اصدار الامر لجيشه بالانسحاب من سيناء وغزه حين ادرك ان خطة الانجليز والفرنسيين هي حصر الجيش بينهما وبين اسرائيل بعد نزولهما في قناة السويس ، ولكن اهل حيفا شدوا عن كل هذه القواعد التي سجلها التاريخ في السابق واللاحق ، لقد قرروا ان يقاتلوا دفاعا عن مدينتهم من شارع الى شارع ، وحين تعاونت بريطانيا مع الصهيونية علنا ، وخذلت العرب جهارا ، وازادت ان تفرض عليهم لليهود صك اذلال واستسلام رفضوا التوقيع وقاتلوا حتى النهاية ، وفي بداية ديسمبر (كانون الاول) بدا العرب يتحركون في حيفا ، وعمدوا الى مخازن اليهود فأحرقوها ، واطلقوا عليها رصاص الرشاشات ، ثم غمسوا قطع القماش في البترول ورموا بها كتل الاخشاب والمتاجر ، وفي العاشر منه بدأ قتال الشوارع في حيفا ، وابرق مراسل الاهرام يقول : « شهدت حيفا معركة حامية استعملت فيها كمية كبيرة جدا من الذخيرة ، وكانت لعلمة الرصاص تسمع في كل ركن وفي كل شارع ، وقد بدأت المعركة عندما قتل اليهودي جوزيف زليخ في سوق الشوام ، فهاجم اليهود بعد ساعة شابا عربيا في شارع ستانتون ، واشهروا المسدسات عليه واخطفوه الى جهة مجهولة ، وشن اليهود هجوما على نفس الشارع استعملوا فيه الرصاص والقنابل اليدوية والمدافع الرشاشة ، فتصدى لهم العرب وردوهم على اعقابهم ، وانتقلت المعركة من شارع ستانتون الى شارع هاشومير حيث كان اطلاق الرصاص اشبه بتساقط الامطار ، ثم تحولت المعركة الى حي وادي روشينا ، واستمرت المعركة التي ابتدأت في الحادي عشر صباحا الى الساعة الخامسة مساء .

وتستمر المعارك في نفس تلك الليلة ، وتنتشر الاهرام برقية جديدة لم

يجد مرسلها بدا من الاشادة بشجاعة العرب وبسالتهم وهو المدرك لقوة اليهود في تلك المدينة ولتصميم العرب على خوض المعركة الوطنية ويقول : « كانت مدينة حيفا خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية مسرحا لسلسلة من المارك بين العرب واليهود في الشوارع والبيوت والازقة ، وقد سجل العرب ضروبا من الشجاعة والتفاني والتفوق (٥٦) ونشبت معركة اخرى في حيفا صرع فيها ثمانية من الهاجانا اليهودية ، وحاول اليهود القيام بعملية نسف خطيرة عندما القوا ثلاثة براميل محشوة بالمفرقات الفتاكة في شارع ستانتون (٥٧) .

وتشيد الجرائد بانباء القتال المستمر في حيفا ، ويصوب اليهود مدافع الهاون على الجماعات العربية التي كانت تفادر معمل التكرير فقتل بعضهم ؛ ولكن العرب يقابلون ذلك بهجوم عنيف على حي الهادار اليهودي فيصيبون عشرين يهوديا بين قتل وجريح (٥٨) .

وحينما كانت طلائع شهر مارس (آذار) ١٩٤٨ تأخذ مكانها من تاريخ فلسطين ، واحس اليهود بالتصميم القوي لشعب حيفا على القتال ، عمدوا الى ارباب يشيعون به الرعب بين السكان ، اذ فجروا سيارة شحن تحمل برملا به اربعمائة رطل من المواد الناسفة ، فجروها امام دار السلام العربية المؤلفة من عدة طوابق ، وهي الدار التابعة للهيئة العربية العليا ، فاهتزت المدينة للحادث المرعب ، وتحطمت دار السلام ومعها المتاجر المجاورة واصيب من شعب حيفا في هذا الحادث سبعة وستون شخصا كان قرابة ثلثهم شهداء (٥٩) .

ويشعر العرب ان الواجب يناديهم ليكيلوا لليهود بنفس الكيل ، فعمدوا الى نسف بناء شركة « سوليل بونيه » اليهودية ، وهو بناء يضم فرع الوكالة اليهودية ، فتحطم بكامله ، وكانت اصابات اليهود تقارب الخمسة والستين بين قتل وجريح (٦٠) ، وفي ذات اليوم فجر اليهود الفمامهم في شارع العراق ، فهدمت ثلاثة منازل عربية ، واصيب عدد من الدور بأضرار بالغة ، واصيب ثمانية وعشرون عربيا بين جريح وقتيل .

ويقول مؤرخ عربي بعد أن سجل كميات الاسلحة المرسله من اللجنة العسكرية بدمشق الى حيفا وهي كميات بعضها قديم ومجموعها لا يكفي :

- (٥٦) جريدة الاهرام ، اعداد : ١ و ١١ و ١٢ من ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٥٧) جريدة الاهرام ٤ من يناير ١٩٤٨ .
- (٥٨) جريدة الاهرام ، ٤ من يناير ١٩٤٨ .
- (٥٩) جريدة الاهرام ٤ من مارس ١٩٤٨ .
- (٦٠) جريدة الاهرام ٢٠ من مارس ١٩٤٨ .

لقد بذل المجاهدون من ابناء حيفا والقرى المجاورة لها كل ما في وسعهم من جهد للتغلب على اعدائهم ، وكادوا ينجحون ، وقاتلوا اليهود خمسة اشهر كاملة من ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ الى ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ فقتلوا من اليهود خلقا كثيرا ، ونسفوا معامل التكرير فحرموهم النفط والبنزين ، ودام القتال مرة بينهم وبين اليهود ستا وسبعين ساعة دون انقطاع من يوم الواحد والعشرين من ابريل (نيسان) الى الرابع والعشرين منه ، وكثيرا ما نشب القتال بين الفريقين في المنازل والازقة . وكانوا احيانا يشتبكون بالاسلحة الابيض وبالايدي والعصي من بيت الى بيت (٦١) .

وكان الجيش البريطاني في حيفا شرا خطيرا على شعبها ، فحين نسف العرب سيارة يهودية محملة الغاما في شارع هاشومير وتضررت دور يهودية عديدة ، تقدم الجيش البريطاني فحاصر المنطقة العربية في وادي النسناس ، واعمل يد الخراب في الدور والاشياء ، وسمح لجنده وضباطه بالسرقة والنهب وازال تلك الحواجز التي اقامها العرب في الشوارع ، وقبيل منتصف فبراير (شباط) حين احرق اليهود اربع سيارات عربية ، اخذ القائد العربي يونس نفاع يلاحقهم ، فاعترضه الجيش البريطاني واودعه السجن ، وحال بينه وبين هذه المطاردة ، ولم يطلق سراحه الا مساء ، عندما كان الفاعلون قد امنوا لانبسهم .

وفوجيء العرب بالجيش البريطاني في الرابع عشر من فبراير (شباط) يطوق جامع الاستقلال من البر والبحر مفتشا كل جزء ، وباحثا عن الاسلحة ولم ينته هذا الارهاب البريطاني الذي لم يوجه منه شيء الى اليهود في حيفا الا مساء ذلك اليوم .

وبينما كان محمد فخر الدين اورخان ، المجاهد التركي الذي تطوع للجهاد قادما من الاناضول يقود فريقا من الفدائيين معدا كمية من المتفجرات ، اذ اطلق عليه الجنود البريطانيون رصاصهم فاستشهد في اوائل مارس (آذار) (٦٢) .

ثم تلك المعركة الكبرى التي كانت طعنة اليمه في جانب المقاتلين فسي حيفا ، وهي المعركة التي حدثت بين قافلة السيارات العربية القادمة من بيروت وبين اليهود عند مستعمرة « موتسكين » فقد ساعدت بريطانيا اليهود في القضاء على تلك القافلة ، وقتل رجالها المهمين جدا ، اذ عرضت دبابة في وسط الطريق ، فحالت دون تقدم القافلة ، واطلقت النار على السيارة

(٦١) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢١٣ .

(٦٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٥ .

الاولى ، فاستشهد ضابط اردني كان يقودها قبل ان يتمكن من استعمال سلاحه ، واحاط اليهود بسيارة مملوءة بالمتفجرات ويقودها سرور برهم من ابناء فلسطين فلما ايقن انه لا نجاة له ، نسف سيارته فاستشهد وقتل عددا من اليهود الذين احاطوا به ، واستطاع اليهود والانجليز الذين تجمعوا وتعاونوا ان يقتلوا عددا مهما جدا من مجاهدي حيفا وضباطها وعلى رأسهم قائد حاميته الضابط الاردني الوطني محمد الحنيطي الذي اتفق مع لجنته على قيادة المعركة فيها ، وقد بلغ شهداء العرب في هذا اليوم اربعة عشر شهيدا .

اذا كان الانجليز قد جاءوا بدباباتهم يساعدون اليهود ، ويقتلون العرب في هذه المعركة فهم انما يتعمدون بدمهم البيضاء على اليهود في ذلك اليوم ، فقد ذكر الشيخ محمد نمر الخطيب صاحب كتاب « من اثر النكبة » ان ضابطا انجليزيا متزوجا من يهودية كان في مركز الناقورة بحدود فلسطين لبنان ، وانه سمع محادثة تليفونية بين القائد الحنيطي وبين القيادة العربية بحيفا (٦٣) ، فلا يمكن ان يتصدى اليهود مرابطين في ذلك الموقع المهم الا بأخبار من عيونهم في مركز الحدود ، بالاضافة الى الجيش البريطاني الذي شاركهم في المعركة .

وانهارت المقاومة في حيفا ، فقد كان العرب القليلو السلاح ، المحاطون بالاعداء من كل جانب ، يقاتلون عدوين في حيفا ، قوين مسلحين ، اليهود والانجليز .

لقد جمع اليهود جنودهم وهاجموا المناطق العربية ، واعملوا سلاح الفتك والقتل في الجميع ، لا يفرقون بين ذكر وانثى ، ولا بين صغير وكبير واستبسل حماة حيفا في قتال جنوني ، لا امل لنصرهم فيه ، وامتدت معركة دامية رهيبه من صباح التاسع عشر من ابريل (نيسان) الى مساء الحادي والعشرين منه ، لا تهدأ نارها ، ولا تجف دماؤها ، والبريطانيون الذين ايقنوا ان كفة اليهود هي الراجحة يقفون في ثكناتهم لا يمانعون ولا يتدخلون ، وحينما اقبلت جموع عربية من القرى المجاورة تنجد المقاتلين العرب ، تحرك البريطانيون فحالوا بينهم وبين دخول حيفا ، وكثر القتلى والجرحى من العرب ، وسلط اليهود مدافع الميدان الكبيرة ، وقاذفات الالغام والمدافع الصاروخية .

سلطت هذه كلها الى المناطق العربية في حيفا والمدافعين عنها ، ولم يلق العرب سلاحهم ، ولكنهم تقدموا الى القيادة البريطانية بطلب لا يستغرب بين الاعداء في ساحات الحروب ، طلب تحتمه الانسانية وتفرض الاستجابة

له ، ذلك هو نقل الجرحى العرب الى المستشفيات ، وكانوا كثرة كثيرة ، فرض الانجليز ذلك ، على ان الانجليز الذين شاركوا اليهود في معاركهم ضد العرب في حيفا ، والذين صدوا امدادات القرى العربية المجاورة من الوصول الى ميدان المعركة ، والذين رفضوا القيام باقل واجب انساني في نقل الجرحى الى المستشفيات على كثرتهم وخطورة نتائج تركهم ، هؤلاء الانجليز لم يكتفوا بذلك ، بل وقفوا في وجه المناضلين العرب يصادرون ما معهم من اسلحة ، ويتركونهم طعمة لجحافل اليهود وسلاحهم .

وبذلك تكون القوات العسكرية البريطانية قد اتمت في حيفا ذلك البرنامج الرهيب الذي ابتدائه بريطانيا لتهود فلسطين منذ دخول جيوشها عام ١٩١٧ ، ولم يعد هناك معنى للبقاء في حيفا بعد ان ملكت الاراضي المحيطة بها لليهود ، ومنعت السلاح والعتاد عن العرب ، واسهمت في اضعاف مقاتليهم وقتلهم ، وبذلك انسحبت من حيفا في الثالث والعشرين من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ قبل ثلاثة وعشرين يوما من الموعد الذي حددته عاليا لانسحابها ، بل لقد كان المفهوم ان بريطانيا لا تنوي ترك حيفا لاسباب عسكرية وللرغبة في جعلها مرفقا بحريا .

واستنجد اهل حيفا بقناصل العرب ، وقيادة الجيش الاردني التي كانت ترابط على بعد اميال منهم ، ووقف الجميع يتفرجون على مجزرة اريق فيها الدم العربي مدرارا ، وكان الامر اكبر من وجودهم او انه لا يعينهم ، لا يختلف في ذلك قادة اللجنة العسكرية في دمشق ، وقادة السرية الاردنية المدربة المسلحة والتي تضم ٧٠٠ جندي .

لعل الوطنية لم تكن تنقص قوادهم قدر ما تنقصهم امكانية العمل والخضوع للقادة البريطانيين ، فقد ذكر مؤرخ عربي ان القائد الاردني هزه صوت السلاح يستعمل في عنف وشدة ضد قومه العرب في حيفا ، وعندما حاول التحرك لنجدتهم انذره القائد البريطاني باطلاق النار على جيشه لو فعل ذلك ، وتقدم مساعد الحاكم الانجليزي (٦٤) للمنطقة ، الحاكم الذي ينفذ شروط الانتداب وينوده والذي اعلنت دولته انها تتحمل مسؤولية الامن حتى منتصف مايو (ايار) ١٩٤٨ ، تقدم الى العرب يقول : « اذا كنتم تريدون تفادي قتل العرب في حيفا هذه الليلة ، عليكم الاتصال باليهود حالا والاتفاق معهم » وعندما جودل بمسئولته عن حفظ الامن حتى تاريخ انتهاء الانتداب ، كان جوابه : « تلك هي نصيحتي » .

ولم تنفع مراجعات العرب لحاكم اللواء ، ولا للقائد البريطاني ، فقد تنصل الجميع من اي اجراء ، واعلن القائد البريطاني « انه لن يضحي

(٦٤) هو المستر فاينتر برنج .

(٦٣) عارف العارف ، مصدر سبق ذكره ، ج ١ ص ٢١٦ .

بجنوده ولن يسمح للقوات العربية المسلحة ان تدخل المدينة لمساعدة السكان العرب ، وهو على استعداد فقط للتوسط بشريطة ان يقبل العرب الهدنة». وعلى اولئك الذين لم يحيطوا باحداث فلسطين ان يدركوا هذه الصورة المفصلة الواضحة عن موقف حيفا في الايام الاخيرة لعروبها ، وليجعلوا انفسهم قضاة قبل ان يصدروا احكامهم على جهاد عرب فلسطين ، وهم لو فعلوا ذلك لادركوا ان سكان تلك المنطقة قد بدلوا اقوى ما يبذله مثلهم ، ولقد استياسوا في القتال ، وجاهدوا صادقين ، لم يابهاوا لمنطقتهم المحاصرة ولا لقوات بريطانيا التي طالما اخضعت كثيرا من شعوب ، وعديدا من بلدان .

اما شروط اليهود التي قدمها القائد البريطاني الى المجموعة العربية ، فكان ملخصها كما يلي :

- ١ - ان تسلم خلال ثلاث ساعات الاسلحة الى الجيش البريطاني ، لتسلم الى جيش الهاجانا اليهودي في ١٥ مايو (ايار) .
- ٢ - ان يسلم الجنود الغربياء ليرحلوا بمعرفة اليهود ، وان يسلم النازيون الموجودون في صفوف العرب الى الجيش اليهودي .
- ٣ - اعلان منع التجول ٢٤ ساعة لعمليات التفتيش (٦٥) .

واخذ العرب يعقدون الاجتماعات ، ويتناقشون ، وكان اهل حيفا في حالة الغيظ الشديد ، وهم برغم ضعفهم يرون في قبول هذه الشروط استسلاما مذلا تقدمه بريطانيا هدية سهلة في آخر ايامها الى اليهود الذين تبنتهم وقوتهم ، وتدارس القوم ، ماذا تكون النتائج لو قبلوا ولو رفضوا ؟ لو قبلوا ، فيسلمون مدينتهم العزيزة للغاصبين برضاهم ، ولن ينالهم بعد ذلك الا الفتك والهوان ، ولو رفضوا ، فسوف لا يقطعون جبل الود التاريخي مع حيفا العربية ، وليكن لسultan اليهود الفاشم ما يكون ، وقبيل الساعة السادسة والنصف من مساء ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، قال الجنرال البريطاني للمندوبين العرب في دار البلدية : « انه لن يكون مسئولا عن ذبح العرب اذا لم توقع شروط اليهود حتى السادسة والنصف واقبل المندوبون العرب وهم عزل الا من الايمان وحب الوطن ، وابلغوا في تصميم الى القائد البريطاني ومندوب الجيش اليهودي قرارهم النهائي وقالوا كلمة التاريخ « لن نسلم مدينتنا » .

ودخل اليهود حيفا مساء الخميس الثاني والعشرين من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، تحميمهم قواتهم العديدة التي خلقتها بريطانيا وحميتها وساعدتها بأجنادها ودباباتها .

اما وكالات الانباء فقد وزعت برقياتها على الصحافة العالمية تصف تطور الاحداث في حيفا وتقول : « كانت السلطة البريطانية قد اصدرت اوامرها امس فجأة الى جنودها بالتخلي عن زمام السلطة في مدينة حيفا ، وكان اليهود على موعد مع السلطات البريطانية ، فبدأوا امس زحفهم على حيفا وهبطوا بجحافلهم من مستعمراتهم في جبل الكرمل تؤيده قسوات استدعيت على عجل من المستعمرات القريبة ، وشرعوا يحتلون احياء المدينة حيا حيا ، مقاتلين العرب الذين تصدوا لهم لوقف زحفهم المفاجيء السريع ، ومع ذلك فان العرب على قلة عددهم لم يقابلوا الزحف اليهودي على حيفا مكتوفي الايدي ، بل تصدوا لقوات الهاجانا ، واشتبكوا معها في قتال مر ، ولا سيما حول جبل الكرمل وعند محطة السكك الحديدية التي حاول اليهود عبثا انتزاعها من قبضة العرب (٦٦)

واذاعت روتر بعد ذلك برقية تقول فيها : « ان خطوط الدفاع العربية في مدينة حيفا قد انهارت تحت وطأة مدفعية اليهود من طراز مورتر والمدافع الرشاشة التي اصلت المدينة نارا حامية ، وقيل ان العرب تكبدوا خسائر فادحة عندما حاولوا صد الهجوم اليهودي الذي بلغ ذروته (٦٧) .

يحصي المؤرخون خسائر المارك الاخيرة في حيفا بـ ٦٥٠ عربي بين جريح وقتيل ، وبلغ القتلى اليهود ٣٦٣ قتيلاً .

وجريا على عادة اليهود اعملوا في السكان العرب سلاح الفتك والابادة فقتلوا ومثلوا وسرقوا ونهبوا كل ما حوته المنازل العربية من مال ومتاع ، والقوا بالقتلى امام النسوة والاطفال ، وادخلوا الدواب الى مساجد المسلمين يتخذونها كاصطبلات لينجسوها ، وهدموا مقابر المسلمين والمسيحيين واخذوا معالمها من المرمر لمنازلهم وبنائاتهم ، ومنذ ٢٢ ابريل (نيسان) عام ١٩٤٨ ، والصهيونية العالمية تتحكم في ثغر حيفا التاريخي العربي ، وقسم من شعبها الذي استطاع الهجرة الى خارج الحدود يرنو بأبصاره اليها ، ويتذكر ابطاله الذين رفضوا توقيع صك الاستسلام برغم التهديد والابادة .

٦ - صفد العربية تلحق بحيفا :

كانت المارك في صفد وحولها مستمرة ككل مدن فلسطين وقراها ، وكان مجموع سلاح العرب منذ بدء القتال حتى نهايته وبما ارسلت لجنة

(٦٦) جريدة الاهرام ٢٢ من ابريل ١٩٤٨ .

(٦٧) جريدة الاهرام ٢٢ من ابريل ١٩٤٨ .

دمشق مضافا الى ما تمكن اهل صفد من شرائه ، لا يزيد عن اربعمائة بندقية بعضها فرنسي وبعضها انجليزي ، وكان اديب الشيشكلي هو قائد القطاع الذي يضم صفد ، وانسحب الانجليز من صفد المدينة التاريخية التي تضم حوالي ١٢ الف وخسمائة عربي ، انسحبوا منها في السادس عشر من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، ودخل العرب المدينة فأحتلوا كثيرا من جوانبها ، وكانوا حوالي ستمائة مقاتل منهم قرابة اربعمائة وسبعين من الفلسطينيين ومائة وثلاثين من جيش الانتقاذ (٦٨) .

تمكن اليهود عندما احتلوا القريتين العربيتين عين الزيتون وبيريا ، من عزل صفد عن القرى العربية المهمة ، وبينما يستمر القتال بين الفريقين دون انقطاع ، يتلقى اليهود في يومي ٥ ، ٦ مايو (ايار) نجدات عسكرية في ١٧٢ سيارة عسكرية ، كان الصفديون يرون هذه النجدات فلم تكن ميادين القتال بعيدة عن مرأى العين ، بل هي شوارع وميادين ومناطق ، واخذ الشيشكلي يستنجد بقيادة جيش الانتقاذ وقائده فوزي الفاوقجي وكان الرد دائما « لا يوجد احتياطي » ، وانهارت معنويات الشعب ، واخذ جنود جيش الانتقاذ يتسللون هاربين ، فلم يبق الا القليل (٦٩) .

وسافر وفد من صفد لاقناع اللواء اسماعيل صفوت بحاجة صفد الى سلاح وعون ، ولكن اللقاء كان سيئا والعون كان عراقا ، وتمسك الصفديون بمواقفهم يدافعون ويستشهدون في سبيلها ، واخذ الشيشكلي يدك بمدافعه مواقع اليهود ، وتجددت الروح الوطنية ، واشترك عدد من العراقيين بمدافعهم ، فأسهموا بقدر كبير في تحطيم الحي اليهودي ، وجمع اليهود جحافلهم وهاجموا المواقع الصفدية في ثلاثة صفوف في اليوم الثامن من مايو (ايار) وكان اليهود يستعملون راجمات صنعوها باتقان مع قنابل الهاون ، وانكسر الهجوم اليهودي امام صلابه العرب المدافعين ، ولكن الدخائر العربية وهي المشكلة المتكررة بدأت تقل وتنقص (٧٠) .

يقول الكاتب اليهودي « ماير فيشر » : ان العرب استأنفوا قصف المدافع في يوم السبت ٩ والاحد ١٠ مايو (ايار) وكانت هذه المرة اشد فتكا واكثر احكاما ، وكانت فدائهم تزرع الموت والدمار حيثما تساقطت وكادت صفد تسقط بيد العرب لولا ان ركضت نجدات كبيرة اخرى من قوات البالماخ يقودها قائدها الاعلى ، وكانت هذه القوات مسلحة بأسلحة

(٦٨) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٦٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠٤ .

(٧٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠٥ .

كثيرة ووفيرة ، وكان بينها عدد غير قليل من مدافع « الفيات » وكان الجو مطرا والتحم الفريقان في كل مكان ، ولا سيما في عمارة البوليس من دار الى دار ، ومن غرفة الى غرفة ، وقد استعملوا السلاح الابيض عندما سكت صوت المدفع ونفدت ذخائر العرب ، فسقطت عمارة البوليس في ١١ مايو (ايار) .

على ان هذا القتال الذي يصلاه اهل صفد لم يشترك فيه ضباط وقادة جيش الانتقاذ فقد كان الشيشكلي قد قصد دمشق طلبا للسلاح منذ اليوم التاسع ، وكان ساري الفنيش الضابط الاردني الذي عينه الشيشكلي قائدا للحامية قد غادر هو ايضا صفد حاملا ثيابه غير ناو عودة .

على ان القائد الجديد اميل جميعان امر الجيش بالانسحاب بعد منتصف ليلة العاشر من مايو (ايار) وفي الثاني عشر منه كان اليهود قد احتلوا صفد

ودفع العرب قرابة مائة شهيد ، على حين فقد اليهود فيها ثمانماية وخمسين ، ولعل صفد ما كانت لتسقط بيد العدو لولا تلك الازمات التي قابلتها من نقص السلاح ، وتخلى اللجنة العسكرية عن عونها ، وروح الهزيمة التي كانت مسيطرة على قائدها الاردني ساري الفنيش الذي قال عنه الشيشكلي : انه كان يتغيب عند كل هجوم ، والذي غادر صفد والمركة مستمرة حارقة ، وقضى ليلة انسحابه على بعد قريب من صفد يرى النار ويسمع طلقات المدافع ، ولولا تدخل الملك عبدالله لدى لجنة دمشق العسكرية ، لكانت محاكمة هذا الفنيش قد تمت حسب طلب الشيشكلي وتقديره ، يقول قائد عربي : « لقد حوصرت حامية صفد فدافعت ببطولة ، وفي منتصف ليل التاسع من مايو (ايار) ظن القائد الاردني ساري الفنيش ان الحامية الصغيرة قد استسلمت او ابيدت فانسحب تاركا المدينة تحت رحمة القدر واستمرت الحامية الصغيرة تدافع ببسالة اربعة ايام بعد انسحاب قيادتها حتى نفذت آخر طلقة لديها (٧١) » .

ومما يذكر عن اسباب سقوط صفد ، ان تلك المدينة المنيعه الحصينة كانت على جبل يزيد ارتفاعه على الف متر ، وكان اهالي صفد المعروفين بشدة بأسهم مصممين على الدفاع عن بلدهم ، فلما بدأت المناوشات في صفد ، حولها تطوع ضابط سوري يدعى احسان قيميلاز بقيادة حركات الجهاد في صفد ، وكان ضابطا باسلا قديرا مخلصا مؤمنا ، فاستطاع ان يكسب

(٧١) كارتة فلسطين ، ص ٢٧ .

وانظر ايضا : نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٠٧ .

٨ - استشهاد حسن سلامة :

كان قائدا من قادة الجهاد المقدس ذلك الذي ضم كثيرا من شعب فلسطين ومقاتليه ، وكانت الهيئة العربية قد عينته لقيادة القطاع الاوسط الغربي ، وكان مقاتلا مخلصا خاض ثورات فلسطين المتعاقبة ، وكان له عامي ٣٦ و ١٩٣٨ مكان مهم بين المجاهدين ، وهو المتسبب في مصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين حين نسف بهم القطار بين اللد وحيفا ، وقد صرع البريطانيون رفيقه في الحادث الشهيد محمد سمحان ، وناله من مطاردتهم جرح يسير ، وهاجر الى العراق واشترك كغيره من الفلسطينيين في الثورة العراقية التي قادها رشيد عالي الكيلاني وخرج منها الى سوريا واستمر باحثا عن ملجأ حتى وصل الى المانيا ، وهناك واصل تمارينه وتدريباته استعدادا منه لمستقبل لا ريب فيه يحتدم فيه الصراع بوطنه الحبيب فلسطين ، وفي عام ١٩٤٥ هبطت سرا طائرة المانية في سهل أريحا، وهبط منها خمسة رجال ثلاثة المان وعربيان ، كان أحدهما الرجل الشجاع حسن سلامة يرافقه ذو الكفل عبد اللطيف ، ولم ينج هؤلاء من مخابرات الانجليز ، ونجا حسن سلامة ومعه الماني واحد من الاعتقال حيث قصد سوريا حتى عاد الى وطنه محاربا ، وقائدا لقطاع يمتد من يافا الى وادي الصرار (٧٨) .

وتولى هذا القائد الدفاع عن يافا ، وكان شوكة خطيرة في جانب اليهود ، حتى اذا وصلها قواد ومتطوعو لجنة دمشق العسكرية غادرها الى القرى المحيطة ، ووصل بجنوده الفلسطينيين مرات عديدة الى تل ابيب ، ودخل مرة احدى المستعمرات اليهودية في ضواحي تل ابيب واضطر جيش الهاجانا اليهودي الى الجلاء عنها ، وترك خمسة وعشرين طفلا بلا راع ولا حام ، اطفال صفار لا تزيد اعمارهم عن العشر سنوات ، فأخذهم العرب وسلموهم الى الصليب الاحمر ، وحين نفذت ذخائر المقاتلين في تلك المنطقة ، واستطاع اليهود التغلب على جيش الانتفاذ التابع للجامعة استمر حسن سلامة يناضل في بقية القطاع حتى جرح في ٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٨ ، وما كادت جراحه تندمل حتى واصل نضاله لا ينسى فيه اللد والرملة ولا رأس العين ، وفي هذه الاخيرة كان استشهاده .

وتلفت المناضلون الى ذويهم واسرهم ، فكانت نكبة اخرى ، لقد كان الجوع يفتك بالاطفال والنساء ، والجوع غول لا يرحم ، بل لقد عمد اليهود الى بث مكروب التيفويد في المياه فاتسع خرق المتاعب على العرب ، ان المرضى يطلبون علاجا ، وان الاصحاء يطلبون حقنا للوقاية وان الجميع لم يجد ماء للشرب والاستعمال .

وسقطت عكا تحت سناك اليهود في السادس عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ بعد يوم من زحف الجيوش العربية السبعة على فلسطين ، وبعد سبعة اشهر من ثورة الفلسطينيين العارمة نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى مايو (ايار) ١٩٤٨ ، واستحل اليهود القتل في شعبها المجاهد ، بينما اقاموا نصبا عند مدخلها ذكرى ٧٥ قتيلا من ابطالهم قتلوا امام اسوار عكا (٧٦) .

وواصل اليهود زحفهم على قرى عكا امام مقاومة سكانها ، فأحتلوا البروة ، ثم اتجهوا الى قرية « شعب » فقاد شيخها المقاومة الاخيرة ضد اليهود ، وتنادى بالنجدة من القرى الصغيرة المحيطة ، فجاء هؤلاء على النداء، وقاتلوا اليهود فهزمهم واسترجعوا قرية « البروة » التي كان اليهود قد احتلوا من ايام .

ويقول مؤرخ عربي سجل هذه الاحداث يوما بيوم : ان العكاويين تمقبوا اليهود يومها حتى بئر العياضية في ضواحي عكا وأملوا يومها ان يستردوا عكا نفسها ، وهنا تحرك جيش الانتفاذ ، وجاء قائده القاوجي الى المناضليين الذين سبق ان استنجد به شيخهم ابو اسعاف شيخ قرية « شعب » فتجاهله ونشب خلاف خطير بين قائد يريد وحده ان يكون كل شيء في الميدان، ومجاهدين يدركون ان الحرب معركة وفداء ، فانسحب القاوجي بعد ان تسبب في اقصاء ابو اسعاف والحسيني الضابط السوري الذي حاول ان يديم المقاومة في حيفا ولم يبق القاوجي ولا جيشه في ذلك المكان الا ليلة واحدة ، وهاجم اليهود القرى فأحتلوا (٧٧) .

ان اليهود لم يستطيعوا طي القرى العربية الا خلال ثلاثين يوما من سقوط عكا وعيون أهلها العزل ترتفع مترقبة الجيوش السبعة ، وبسقوط عكا وقراها تم انسحاب القاوجي وجيشه الى ما وراء الحدود يحمل مدافع ميدان لم تشارك في مساعدة اهل القرى الذين قاتلوا بسلاحهم العادي وبدلوا شهداء كثيرين .

(٧٨) المصدر السابق ، ج ١٩٣ ص ٥١٩

(٧٦) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٧٧) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٢٦ .

بين الفريقين حول النبع معارك مريرة ابلت فيها كل منهما بلاء حسنا واستمات اليهود في سبيله ، وكادوا ينجحون ، لا بل تغلبوا على حاميتها واخرجوها منه واحتلوا رأس العين في ٣١ مايو (ايار) ١٩٤٨ ولكنهم لم يبقوا هناك سوى ليلة واحدة ، اذ ما كاد الخبر ينتشر في القرى العربية المجاورة حتى راح المناضلون من كل صوب يزحفون ، وكان على رأسهم قائد القطاع الاوسط الغربي الشيخ حسن سلامة ، وفي طريقه اليها استنجد بالمناضلين من ابناء دير طريف وبيت نبالا والقرى الاخرى المجاورة لها ، وما ان وصل هؤلاء الى الميدان حتى انضموا الى اخوانهم الذين كانوا هناك وراح الجميع يعملون يدا واحدة على اخراج اليهود ، وكان الفجر قد اطل (٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٤٨) ووقعت بين الفريقين معركة دامية ، جرح فيها القائد اثر شظية في رثته اليسرى ، فنقل على الفور الى مستشفى الميدان ، وازداد المناضلون حماسا فراحوا يقاتلون الاعداء بقلوب ملؤها الايمان ، وعند الضحى كان لواء النصر معقودا للعرب ، فطردوا اليهود واستردوا العين (٧٩) .

وبعد ان انتصر ابناء فلسطين في طرد اليهود من رأس العين والاحتفاظ بها ودّع القائد الجريح جنوده ، وذهب شهيدا الى الله ، وترك النبع الذي سال دمه في سبيله امانة لدى احبابه من شعب فلسطين (٨٠) .

وبينما المناضلون الفلسطينيون ينظمون انفسهم عند رأس العين التي استردوها ، وصلت اليهم في اول يوليو (تموز) سرية عراقية ، فعدل اليهود عن مواصلة الهجوم ، وحطت السرية رحالها واخذت تحصن مواقعها حتى اذا بلغها نبأ تخلي جيش الاردن الذي يقوده جلوب الانجليزي عن مدينتي اللد والرملة ، تخلت هي ايضا عن رأس العين فاحتلها اليهود ولم يعد بإمكان المناضلين الفلسطينيين مواصلة الدفاع عنها بعد ان تولى المهمة جيش العراق ثم سلمها لليهود ايضا جيش العراق عام ١٩٤٨ .

٩ - الانجليز يرجعون كفة اليهود عسكريا عند انسحابهم :

كان الانجليز قد اتبعوا خطة عسكرية تنطوي على الغدر بالعرب وتمكين العصابات الصهيونية من السيطرة على أكبر قدر ممكن من رقعة البلاد ، فقد بدأوا بالجلاء عن تل ابيب والمناطق اليهودية والمناطق

(٧٩) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٥١٨ - ٥١٩ .
(٨٠) زوت اسرته الصابرة المهاجرة في القاهرة وتكون من زوجته وابنته وابنه وقد بهرتني روعة العزم وقوة النجاة في هذه الاسرة الكريمة .



الشهيد حسن سلامة

قائد القسم الغربي من القطاع الاوسط . تراه في الصورة وهو يبحث مع مساعديه الخطة التي رسمها لاسترداد رأس العين . وما كادت رأس العين تسترد في ٢١ ايار ١٩٤٨ حتى اسلم الروح .

وكانت رأس العين نبعا مائيا يروي مدينة القدس ، حرص العرب على احتلاله والاحتفاظ به منذ بدأ القتال بعد قرار التقسيم ، وكان لاحتفاظهم به اثر خطير على اليهود في القدس فقد عطشوا واضطروا الى الحد من استعمال المياه وتوزيعها مقتصرة . وامام غول العطش في القدس ، حاول اليهود كثيرا أن يستولوا على ذلك النبع المهم ، ومنذ صدور قرار التقسيم والمعارك تدور وتهدأ لتبدأ من جديد ، والفلسطينيون يواصلون دفاعهم عن المكان ، صامدين امام عدو مدرب مسلح وقوي .

ولم تسقط رأس العين الا في العاشر من يونيو (حزيران) ١٩٤٨ حين كان القتال يحمل اسم الدول العربية وحين كانت فلسطين ودبعة لدى تلك الدول ، اما قبل ذلك فقد ثبت عرب فلسطين امام جحافل اليهود المصممة على تأمين المياه من رأس النبع .

ولنسمع ما يقرره المؤرخ عارف العارف حول هذا الموضوع : ان المعارك لم تنقطع بين اليهود والمناضلين من عرب فلسطين في الايام التي سبقت مجيء الجيش العراقي الى ذلك القطاع ، وكان اشدها تلك المعارك التي وقعت في الايام الثلاثة الاخيرة من شهر مايو (ايار) ١٩٤٨ ، فقد قامت

لنفهم ... ولنعتبر

« ان قرار مجلس الامن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي
خلص اليهود وحال دون سحقهم على ايدي الجيوش العربية »
وكيل القنصل الاميركي بالقدس ١٩٤٨

« ان قصف الجيش العربي لاجياء القدس بمدافعه الثقيلة ، جعل
الشعب اليهودي يتظاهر طالبا للسلام ، ولكني اعلنت الاحكام العرفية ومنعت
التجول ووضعت الشبان بالخطوط الامامية ، وكانت الدوائر الصهيونية
تعمل لعقد هدنة ، حيث جئنا بالطعام والسلاح والمحاربين من الخارج »
الارهابي مناحم بيغن زعيم عصاية زفاي ليومي

« لقد وافق اعضاء اللجنة السياسية بالجامعة على الهدنة بدون قيد
او شرط ، وهي اكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي ، حيث فك
حصار القدس واتقد مائة الف يهودي كانوا على وشك التسليم .
ولقد كان ابعاد الفلسطينيين عن المعركة وحل فرقهم العسكرية الشغل
الشاغل لقيادة الجنرال جلوب »

القائد عبدالله التل

لكن قومي وان كانوا ذوي عسدد ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مفسرة ومن اساءة اهل السوء احسانا
فليت لي بهم قوم اذا ركبوا شنوا الاغارة فرسانا ووحداننا
الشاعر الجاهلي فريش بن انيف

« يا شعب فلسطين لقد احتملت متاعب الفارات وضحاياها ، واذاعات
العدو ومنشوراته ، وكنتم رابطي الجأش ، ثابتي العزيمة ، بالرغم مما لاقيتم
من خسائر ، اني اهنتكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة »
اللواء الركن فؤاد صادق قائد القوات المصرية بفلسطين

« حاصرها واضرب ذكورها بحد السيف ، واما النساء والاطفال
وبالهائم وكل ما في المدينة فتضمنها لنفسك ، هكذا في المدن البعيدة عنك جدا

القريبة من تجمعات اليهود ، حتى تستطيع العصابات الصهيونية من
مباشرة الحكم في هذه المناطق ، والاستيلاء على المنشآت العسكرية مثل
المطارات ومستودعات الذخيرة والمسكرات وغيرها ، وكانت تسلم اجهزة
الحكم الى مندوبين من قبل الوكالة اليهودية وفي نفس الوقت ظل الانجليز
محتلين المناطق العربية يحكمونها حكما عسكريا صارما مباشرا الى آخر
لحظة من ايام الانتداب ، ويمنعون تسليح العرب وتموينهم ويصادرون
الاسلحة التي كانت ترسل اليهم ويقاومون دخول المتطوعين العرب الذين
انسابوا من البلاد العربية لنصرة اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين ،
يضاف الى ذلك ان الانجليز باعوا معظم مخلفاتهم الحربية في فلسطين الى
الوكالة اليهودية فقد ارسلت الاسلحة البريطانية التي كانت لدى قواتها
في فلسطين الى ميناء حيفا تمهيدا لشحنها ، وكان هذا الاجراء يبدو
سليما لولا انه اتضح انه في لحمته وسداه كان ينطوي على الخيانة في
ابشع صورها ، فما تكاد تصل الاسلحة الى ميناء فلسطين الرئيسي حتى
يتسلمها اليهود في المكان ذاته .

ويذكر القائد عبدالله التل الذي عاصر هذه الاحداث انواع الاسلحة ،
وكان منها دبابات تشرشل الثقيلة ، ومدافع عيار ستة اربطال ومدافع
(اليات) صاروخ ، ومدركات البوليس الفلسطيني ، ويقول هذا القائد
العربي « ان جميع هذه الاسلحة ظهرت مع اليهود بعد جلاء الانجليز ،
ولم يكن لديهم شيء منها قبل اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ (٨١) » .

ولقد ثبت ان الاسلحة الثقيلة التي ظهرت عند اليهود كان قد باعها
الانجليز لهم كمخلفات حرب اذ قالت جريدة « مشمار » اليهودية ان
الوكالة اليهودية اشترت مخلفات حربية من السلطات البريطانية بقيمة
خمسة ملايين جنيه ومن جملة ذلك ٢٤ طائرة وعدد من السيارات
والاجهزة الأخرى ، كما نشرت جريدة « يديعوت » اليهودية « ان عشرة
اشخاص من اليهود اشترت من الجيش البريطاني الف سيارة نقل كبيرة
وقد كان الطيارون اليهود من السلاح الجوي الملكي وعددهم خمسون نواة
لتدريب اعداد كبيرة من اليهود (٨٢) » .

(٨١) كارثة فلسطين ، ص ٥٠ .

(٨٢) محمد عزة دروزة ، فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد
بريطانيا والصهيونية العالمية - الهيئة العربية العليا لفلسطين - القاهرة ١٩٥٩ .

التي ليست من مدن هؤلاء الامم ها هنا .. واما مدن هؤلاء الشعوب فلا تستبق منها نسمة واحدة »

توراة اليهود المحرفة

« اهلكوا ... احرقوا كل ما في المدينة (اريحا) من رجل وامرأة وشيخ وطفل ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيوف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب فاجعلوها في خزانة بيت الرب »

التوراة .. في التوصية ليوشع بن نون

الفصل العاشر

الحرب الرسمية ونتائجها

١٩٤٨ - ١٩٤٩

١ - الجيوش العربية في المعركة :

اعلن اليهود قيام دولتهم اسرائيل في الخامس عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ ، وسرعان ما اعترف « ترومان » رئيس الولايات المتحدة بهذه الدولة التي اقيمت في الارض العربية، وبعيد مضي دقائق على هذا الاعلان ، واصبح لليهود كيان دولي مفروض ، اغتصبوا من اجله الارض وحاربوا في سبيله شعبا عربيا في عقر داره ، وبدت اخطارهم تقترب من جميع البلدان العربية المجاورة ، ويحسن بنا ان نتحدث في ايجاز عن اشتراك الجيوش العربية في معركة فلسطين ، وما سبق ذلك الاشتراك من آراء ، ومؤتمرات وتفصيل .

حين تازمت الامور بعد قرار التقسيم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ، والت الدول العربية اجتماعاتها لتبحث الوضع، وتتخذ له قرارات مناسبة، وكانت الآراء عديدة موزعة ، كان اهل فلسطين وتمثلهم الهيئة العربية العليا تطالب بتسليح جموعهم وتدريبهم وامدادهم بالقوة والعون ، وتمكينهم من منازلة الاعداء ، وترى الهيئة ان شعب فلسطين اعرف بمواطنيه اقدمه واخبر بتضاريس ارضه ، وهو بعد ذلك سوف لا يكلف الا القليل ذلك انه يحارب في موطنه ويعود الى منزله ، وسوف يحارب بقوة وعزم فهو يدافع عن موقع رأسه وعن شرفه ودماره وكانت ترى ايضا ان تبقى الجيوش العربية مرابطة على حدود فلسطين من جهاتها جميعا تتقوى بالتدريب وتتكاثر حشدا واعدادا ، ففي وجودها ارهاب لليهود وتقوية لاهل فلسطين ، واذا قدر للآخرين انهزام تقدمت هذه الجيوش بعملها الفاصل وقيادتها الموحدة المخلصة .

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

قرآن كريم

ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة اربعين عاما .

حديث شريف

لا تخونوا ، ولا تغفروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تدبحوا شاة ولا بقرة .

الخليفة ابو بكر الصديق يوصي جيش اسامة بن زيد

ورحب الناس بالاسلام حين راوا ان السلام وان العدل مفـزاه هي العروبة لفظ ان نطقت بهـ فالشرق والضاد والاسلام معناه

الشاعر العمري محمود غنيم

التي ليست من مدن هؤلاء الامم ها هنا .. واما مدن هؤلاء الشعوب فلا تستبق منها نسمة واحدة »

توراة اليهود المحرفة

« اهلكوا ... احرقوا كل ما في المدينة (اريحا) من رجل وامرأة وشيخ وطفل ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيوف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب فاجعلوها في خزانة بيت الرب »

التوراة .. في التوصية ليوشع بن نون

الفصل العاشر

الحرب الرسمية ونتائجها

١٩٤٨ - ١٩٤٩

١ - الجيوش العربية في المعركة :

اعلن اليهود قيام دولتهم اسرائيل في الخامس عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ ، وسرعان ما اعترف « ترومان » رئيس الولايات المتحدة بهذه الدولة التي اقيمت في الارض العربية، وبعيد مضي دقائق على هذا الاعلان ، واصبح لليهود كيان دولي مفروض ، اغتصبوا من اجله الارض وحاربوا في سبيله شعبا عربيا في عقر داره ، وبدت اخطارهم تقترب من جميع البلدان العربية المجاورة ، ويحسن بنا ان نتحدث في ايجاز عن اشتراك الجيوش العربية في معركة فلسطين ، وما سبق ذلك الاشتراك من آراء ، ومؤتمرات وتفاسيل .

حين تازمت الامور بعد قرار التقسيم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ ، والت الدول العربية اجتماعاتها لتبحث الوضع، وتتخذ له قرارات مناسبة، وكانت الآراء عديدة موزعة ، كان اهل فلسطين وتمثلهم الهيئة العربية العليا تطالب بتسليح جموعهم وتدريبهم وامدادهم بالقوة والعون ، وتمكينهم من منازلة الاعداء ، وترى الهيئة ان شعب فلسطين اعرف بمواطنيه اقدمه واخبر بتضاريس ارضه ، وهو بعد ذلك سوف لا يكلف الا القليل ذلك انه يحارب في موطنه ويعود الى منزله ، وسوف يحارب بقوة وعزم فهو يدافع عن موقع رأسه وعن شرفه ودماره وكانت ترى ايضا ان تبقى الجيوش العربية مرابطة على حدود فلسطين من جهاتها جميعا تتقوى بالتدريب وتتكاثر حشدا واعدادا ، ففي وجودها ارهاب لليهود وتقوية لاهل فلسطين ، واذا قدر للآخرين انهزام تقدمت هذه الجيوش بعملها الفاصل وقيادتها الموحدة المخلصة .

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

قرآن كريم

ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة اربعين عاما .

حديث شريف

لا تخونوا ، ولا تغفروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تدبحوا شاة ولا بقرة .

الخليفة ابو بكر الصديق يوصي جيش اسامة بن زيد

ورحب الناس بالاسلام حين راوا ان السلام وان العدل مفهوا
هي العروبة لفظ ان نطقت به فالشرق والضاد والاسلام معناه

الشاعر العمري محمود غنيم

وزحفت الجيوش العربية (١) على فلسطين ، وهي في صورة متباينة من الراي والقوة لتحارب جماعات يهودية نظمتها بريطانيا وامريكا وسلحتها ، وجاءت من مختلف بقاع اوربا بعد ان شربت عقيدة تقوت في نفوسها ، وتمرت بتدريب قوي وتسلحت بعناد كبير . واعلنت الحكومات العربية الحصار البحري على فلسطين ، واخذت تفتش البواخر في المياه الاقليمية وتصادر ما يكون عليها لليهود ، واستقبلت الشعوب العربية نبأ الزحف بحماس بالغ ، وعلقت أعذب الامال على هذه الخطوة الجماعية التي تبادل بشأنها ملوك العرب ورؤساؤهم بقرقيات التهنئة . (٢)

وكان الاتفاق بين حكومات الجامعة العربية ورؤساء جيوشها ، ان يبدأ الزحف في مساء الخامس عشر من مايو (ايار) ١٩٤٨ فتلقي الجيوش السورية واللبنانية والعراقية والاردنية جميعها لدى « العفولة » في وسط فلسطين تقريبا ، ثم تواصل زحفها مجتمعة لتقسيم تجمعات اليهود ، وتصل الى الساحل الفلسطيني ، وان يزحف الجيش المصري نحو عسقلان وغزة والمجدل ثم يتقدم للالتقاء بالجيوش الزاحفة الاخرى ، على حين يتقدم قسم من الجيش الاردني نحو رام الله والقدس ، ويتقدم المتطوعون المصريون على طريق الخليل وبيت لحم لتطويق القدس متعاونين مع الاردنيين الذين يجب ان يحاصروها من الشمال والشرق . (٣)

ويقدر مؤرخ عربي ان عدد الجيوش العربية الزاحفة في اواسط مايو (ايار) ١٩٤٨ كان قرابة العشرين الفا .

وتولى الملك عبدالله القيادة العامة لجيش مصر وسوريا والسعودية والعراق والاردن ولبنان ، وكان هذا القائد العام على ود مفتعل مع اغلب دول هذه الجيوش .

كان الفريق جلوب البريطاني الاصل هو رئيس اركان حرب الجيش العربي الاردني ، وبذلك كانت الاوامر العسكرية التي تصدر باسم القائد العام الملك عبدالله انما يضعها وينفذها القائد البريطاني في الجيش العربي ،

(١) كانت الدول العربية المستقلة عام ١٩٤٨ هي مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق واليمن والسعودية ، وكانت الخمسة الاول ذات جيوش وقيادات اما الاخيرتان فقد ساعدتا وكان للسعودية الف وخمسمائة جندي ضمن جيش مصر بغزة .

(٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٥ .

(٣) نكبة بيت المقدس ، ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

بل ان حوادث عديدة برهنت على ان جلوب القائد البريطاني للجيش العربي ، انما كان يقود هذا الجيش ليقم دولة يهودية ، ويكشف اجنحة الجيوش العربية الاخرى ، حتى يشفي غل بريطانيا الحاكمة ، والتي تتمنى ان يهزم العرب امام اليهود ، وحتى اللد والرملة التي تضمنها قرار التقسيم ضمن الدولة العربية ، تخلى عنهما جلوب وسحب منهما جيشه العربي وتركهما ليتصارع فيهما شعب فلسطين الاعزل مع قوات اليهود المدربة المسلحة .

على اننا وقد اوصلنا السياق بسرعة الى الحديث عن القيادة العامة العربية ، وعن قيادة الجيش الاردني ، لننظر كيف كانت قيادات الكنائس والوية الجيش الاردني الزاحف على فلسطين خاضعة لقيادة بريطانية صرفة ، حتى كانها كنائس بريطانية ، ومن عجب ان تدخل الجيوش العربية معركة مصيرية وجيش القيادة يقوده بريطانيون سعوا للتهود وعملا للتقسيم .

وقد اثبت القائد العربي عبدالله التل (٤) اسماء الضباط الانجليز الذين تولوا مناصب قيادية في الجيش العربي الاردني وهو يخوض حربا مصيرية في فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وقد بلغ عددهم ٤٨ ضابطا كبيرا يحملون رتبا في الجيش الاردني ، ويحتفظون بالولاء لبريطانيا ، ويعملون على تنفيذ مخططاتها في الوطن العربي ، وكان الضباط الانجليز الذين قادوا الجيش الاردني في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ هم :

الفريق جلوب باشا	قائد الجيش العربي
الزعيم برود هارست	مساعد قائد الجيش العربي .
الزعيم نورمان لاش	قائد الفرقة الاولى التي زحفت الى فلسطين
القائد داونز	اركان حرب الفرقة « عمليات » .
وكيل القائد جونز	اركان حرب الفرقة « ادارة » .
الرئيس بيرس هاوس	اركان حرب الفرقة « لاسلكي » .
القائم مقام ه. جولد	قائد اللواء الاول .
وكيل القائد كورفيلد	اركان حرب اللواء الاول « عمليات » .
وكيل القائد هايش	اركان حرب اللواء الاول « ادارة » .
القائم مقام ج. اشتون	قائد اللواء الثالث .
وكيل القائد ج. جرى	اركان حرب اللواء الثالث .
وكيل القائد ت. اسبرنج	اركان حرب اللواء الثالث .

(٤) كارثة فلسطين ، ص ٨١ - ٨٢ .

ولم يكن في مراكز القيادة من الضباط العرب الا خمسة ضباط هم :

القائمقام	صدقى الجندي	قائد اللواء الرابع .
القائد	حابس المجالي	قائد الكتيبة الرابعة .
وكيل القائد	عبد الحليم الساكت	قائد الكتيبة الخامسة .
وكيل القائد	عبدالله التل	قائد الكتيبة السادسة .
وكيل القائد	علي الحيارى	ركن في القيادة .

وماذا ينتظر من جيش عربي لا يكون الضباط العرب في قيادته الا اقلية صغيرة ، واليه تصدر الأوامر من الضباط البريطانيين الذين يمالئون الصهيونيين ، ويدركون ان دولتهم هي التي شجعت الصهيونية وفتحت لها الأبواب ، واقامت كيانها على الأشلاء العربية ، ولست أشك ان هؤلاء الضباط البريطانيين الكبار كانوا يضحكون ملء أشفاقهم وفي مكثون صدورهم وهم يسمعون جنود الجيش العربي الأبرياء البواسل يتنادون زاحفين « أبو طلال لا تهتم سيفك احمر يقطر دم » ويسمعون العراقيين يهزجون « فلسطين نحرها ودم يهودا نشرها » ، ذلك ان اولئك الضباط البريطانيين كانوا على يقين من انهم يقودون جيشا يحاربون به في اضيقت الحدود ، وهو يمثل بقيادتهم مظاهرة عسكرية تنفذ التقسيم ، وتعطي الجانب الأهم من فلسطين لليهود ، فما كانت لديهم نية لتحرير فلسطين ولشرب دم الغزاة اليهود ، كما كان يترنم جنود الجيش العربي المخلصين .

٢ - وجه المعركة وظروفها :

كان الأردن الذي تولى ملكه قيادة الجيوش العربية عام ١٩٤٨ خاضعا خضوعا تاما لسيادة بريطانيا على الرغم من تلك المعاهدة التي عقدها مع (الأمير) عبدالله عام ١٩٤٦ حيث أعلن استقلاله ، ثم استبدل لقب ملك بلقب الأمير في مايو (ايار) في السنة نفسها ، وقد عمدت بريطانيا بذلك التغيير الى احداث مظهر جديد لوضع الملك والوطن حتى لا يستمر ظهوره بشكل البلد الرايح تحت حكم الانتداب والخاضع للسيطرة البريطانية ، وهي بذلك تسعى الى تنفيذ برنامجها القديم في خلق دولة يهودية في الجزء الخصب من فلسطين ، وهي في سبيل مخطئها اشترطت في معاهدتها الاحتفاظ بالقواعد العسكرية والإشراف على الجيش الأردني وميزانية الدولة وغير ذلك من امتيازات وحقوق كانت قيودا ثقيلة على الحكومة الأردنية .

وقد روى احد الصحفيين الأجانب انه لم يكن هناك من سبيل الى مقابلة الملك عبدالله الا بعد الحصول على اذن من المسؤولين البريطانيين في

القائد	ه. بلاكدون
وكيل القائد	ا. وانسون
القائد	ه. سليد
الوكيل	ى. ولسن
الرئيس	برومج
الوكيل	هنكن تيرفن
الوكيل	ج. نيومن
الرئيس	جري
القائد	ج. هيرست
الرئيس	و. هوعان
الرئيس	جونسون
الرئيس	ج. وتسون
الرئيس	س. كوكر
الوكيل	ب. ولس
الوكيل	ا. كلفت
الوكيل	ن. بارك
القائد	د. توجود
الوكيل	ر. ورسفلد
القائد	ه. فير
الوكيل	ا. برايس
الوكيل	ج. جونز
الوكيل	و. بريس
الوكيل	ج. هورن
الوكيل	ا. هارت
الرئيس	و. كلى
الوكيل	س. روبنسون
الوكيل	ف. ديفدسن
الوكيل	ملفيل
الوكيل	بالر
الوكيل	ى. بريانت
الوكيل	ر. يونج
الوكيل	ف. بترى
الوكيل	ج. توينج
قائد الكتيبة الاولى .	
مساعد قائد الكتيبة الاولى .	
قائد الكتيبة الثانية .	
مساعد قائد الكتيبة الثانية « عمليات » .	
مساعد قائد الكتيبة الثانية « ادارة » .	
قائد الكتيبة الثالثة .	
مساعد قائد الكتيبة الثالثة « عمليات » .	
مساعد قائد الكتيبة الثالثة « ادارة » .	
ركن كتيبة المدفعية .	
مساعد قائد كتيبة المدفعية .	
قائد البطارية الاولى والثانية .	
اركان حرب قيادة الجيش العربي « ادارة » .	
اركان حرب قيادة الجيش العربي « حركات » .	
اركان حرب الفرقة .	
قائد التموين والنقل والمستودعات .	
مساعد قائد التموين .	
مدير محاسبة الجيش العامة .	
مساعد مدير المحاسبة العامة .	
ضابط الفن الأعلى .	
مساعد ضابط الفن الأعلى .	
مساعد ضابط الفن الأعلى .	
المشاغل الوسطى .	
قائد فرقة الهندسة .	
مساعد قائد فرقة الهندسة .	
مساعد قائد فرقة الهندسة .	
قائد اللاسلكي الأعلى .	
قائد اللوازم .	
القيادة - اللوازم .	
ملحق عسكري في لندن .	
ضابط الانشاءات .	
ضابط الاستعلامات .	
قوة الطيران .	
قوة الطيران .	

عمان (٥) ، ورأى بيفن أن يخطو خطوة جديدة ، فعقد في ١٥ مارس (آذار) ١٩٤٨ معاهدة تحالف اشترطت الاحتفاظ بوحدة سلاح الطيران البريطاني في عمان والفرق ومجلس للدفاع المشترك ، وكانت هذه المعاهدة حلقة في سلسلة المحاولات التي قام بها الانجليز لتقوية علاقاتهم بالعرب قبل طعنهم من الخلف (٦) ، وكانت تمهيدا لتصفية قضية فلسطين تصفية لا تخدم الاماني العربية بأي وجه من الوجوه .

وقد توالى الحوادث الاليمة التي أدت الى ضياع قسم كبير من فلسطين منذ ذلك التاريخ وكان يمكن ان يبقى بعضها سرا الى الابد فتضيع معالم هامة وخطيرة في التاريخ العربي ولكن حدث ان اقدم شاب فلسطيني على اغتيال الملك عبدالله في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٥١ ، امام باب المسجد الأقصى وقبل صلاة الجمعة ، فتولى العرش الحسين بن طلال بعد والده الملك طلال الذي قرر البرلمان انه في حاجة الى استشفاء طويل الاجل ، وجاء الحسين الى الملك وكان الأردن خاضعا لسياسة جلوب باشا « الفريق » الانجليزي الذي يقود الجيش ويتدخل في أهم الأمور وأخطرها ، ولكن الملك الشاب انتهر اول فرصة مناسبة سنحت عام ١٩٥٧ فأعلن عزل الفريق جلوب وترحيله خلال ساعات ، ودهشت لندن لهذا التصرف الخطير الذي أفقدها ريكيزة هزمت بها جيوش الدول العربية عام ١٩٤٨ بأساليب الخيانة والعدو والفساد ، واقامت بها كيان الصهيونية ، وشردت بها الجموع الطاهرة بأطفالها وشيوخها من ديارهم بفلسطين ، ولكن دهشة لندن هذه لم تستطع ان تغير شيئا ، فقد كان موقف الملك حسين حازما وقويا ، وكان طرد جلوب باشا وساما تاريخيا يرصع صدر طارده ، فلولا هذا الطرد ما تحرر جيش الأردن ، ولولا هذا الطرد أيضا لما كان ممكنا ان يسطر جلوب مذكراته في كتابه « جندي مع العرب » الذي اثبت فيه كثيرا من حقائق التاريخ المهمة .

يقول جلوب في كتابه المذكور : « أجرى توفيق باشا أبو الهدى محادثة سرية مع وزير الخارجية البريطانية السير ارنست بيفن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الانجليزية فرافقته كمترجم ، لقد ذكر توفيق باشا أن الانتداب البريطاني على فلسطين سينتهي قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهتئوا شيئا من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ومجلسهم النيابي ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات الهاجانا ، بينما العرب في فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة باقامة جيش يحميهم ، وأن النتائج حول نهاية هذا الموضوع

(5) Kermit Roodsevelt, Arabs Oil And History London 1949, p.p. 102-103.
(6) Allan Michie, Retreat to Victory p. 102.

ما زالت غامضة ولا بد من أن يقع أحد أمرين اثنين :

١ - اما ان اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة ، فيحتلون فلسطين كلها حتى حدود نهر الأردن بالقوة .

٢ - واما ان مفتي فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد ، والمفتي يعتبر بريطانيا الد أعدائه وقد قضى مدة الحرب مع هتلر : كما أنه عدو للأردن ويعتبر نفسه المنازل الوحيد لجلالة الملك عبدالله .

ونتايج هذين الأمرين ليست في مصلحة الأردن ، ولا في مصلحة بريطانيا ، وكثيرا ما تلقى في الأردن عرائض من الفلسطينيين تطالب بتدخل جيشنا لحمايتهم ، وليس لدينا مانع من تنفيذ ذلك بعد انسحاب البريطانيين

وكان المشروع أو الاقتراح الذي حمله توفيق أبو الهدى يتلخص في ان يدخل الجيش الأردني فلسطين غداة انتهاء الانتداب تحت ستار حماية فلسطين كلها ومحاربة اليهود ، ويحتل القسم العربي ويضمه الى شرق الأردن دون أن يشتبك مع اليهود اطلاقا ، وتمهد أبو الهدى بثلاثة أمور : الا يحتل الجيش الأردني غزة والجليل ، والا يعتدي الجيش المذكور على اليهود بأي شكل والا يحتل شبرا واحدا من القسم الذي صدر قرار الأمم المتحدة باعطائه لليهود .

ويقول جلوب بعد ان أنهى هذه الفقرات من حديث رئيس وزراء الأردن « اني لأذكر حتى اليوم ، المستر بيفن وهو جالس في مكتبه بعد ان أنهيت ترجمة الحديث ، يرد على رئيس الأردن قائلا : « ان ذلك هو الحل الوحيد المعقول » ولم أر بدا من ان اوضح للرئيس الأردني بأن الجيش ليس بمقدوره ان يحتل منطقة غزة والجليل ، فأيد الرئيس الأردني فكرتي ، اما المستر بيفن فقال : « ان هذا هو الحل الوحيد المعقول ، ولكن يجب الا تذهبوا الى ابعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية » فأجاب الرئيس أبو الهدى « ليس لدينا هذه الامكانيات حتى لو تمنينا ذلك ، وأن الأردن حسب معاهداته مع بريطانيا لن يتخذ اي خطوة ايجابية الا بعد مشاوره الحكومة البريطانية ، فشكر بيفن ابا الهدى لوضوح موقف الأردن ، واعلن موافقته على مشروع حكومته (٧) .

ان هذا الحديث الخطير الذي يعترف فيه أبو الهدى في حديثه السري مع بيفن بحدود التقسيم ، كان خيانة للمفهوم الوطني العام الذي قررتة الدول العربية ، ووافق عليه أبو الهدى نفسه في اجتماع الجامعة بعاليه في

(٧) جندي مع العرب ، الطبعة الانجليزية ، لندن - ١٩٥٧ ، ص ٦٣ - ٦٦

لبنان ، حين قرروا بالاجماع تسليح الفلسطينيين ، واعداد الجيوش لتكون على أهبة الاستعداد لتثبيت عروبة فلسطين (٨) .

لقد كان اجتماع رؤساء الحكومات العربية هذا منعقدا في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٧ ولم ينس أو يبع من ذهن رئيس الأردن ، حين كان يحدث بيغن بعد ذلك بثلاثة شهور ، بل لقد كان أبو الهدى نفسه هو أحد المؤتمرين في مجلس الجامعة العربية المنعقد في القاهرة في ٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٧ : والذي أصدر قراره بالاجماع فقال : « منذ تلاقى اغراض الاستعمار واطماع الصهيونية على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وعرب هذه البلاد في محنة ، تفرض القوة عليهم جماعات اجنبية عنهم ، تأتيهم من الغرب والشرق بلغاتها وعاداتها ومذاهبها الاجتماعية ، ولا تلبث هذه الجماعات أن تنتزع من العرب بثتى الوسائل اراضيهم ، وموارد رزقهم ، وهي اليوم تسلبهم اوطانهم وقد امدت الدولة المنتدبة هؤلاء الدخلاء بالمعونة فمكنتهم من انشاء جيش مدرب ومسلح ، انقلب في السنين الاخيرة الى اداة ارهاب واداة شر على البلاد بما عاثوا فيها من فساد .. (٩) ولكن لشديد الاسف تنكرت جمعية الامم المتحدة لذات المبادئ التي تضمنها ميثاقها، فأوصت بتقسيم فلسطين واقامة دولة يهودية فيها، وهي بذلك قد اهدرت حق كل شعب في اختيار مصيره وتقريره ، وأخلت بمبادئ الحق والعدالة جميعا، وحكومات دول الجامعة العربية تقف صفا واحدا بجانب شعوبها في نضالها، لدفع الظلم عن اخوانهم العرب، وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم ولتحقيق استقلال فلسطين ووحدتها، ولقد قرر رؤساء وممثلو هذه الحكومات في اجتماعهم بالقاهرة ان التقسيم باطل من اساسه ، وقرروا كذلك عملا بارادة شعوبهم أن يتخذوا من التدابير الحازمة ما هو كفيل يعون الله باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات (١٠) »

هكذا ترى ان ابا الهدى رئيس وزراء الاردن الذي وقع في عليه بلبنان بيان رؤساء الحكومات ، ثم وقع في القاهرة بيان مجلس الجامعة العربية قبل اجتماع لندن بأقل من شهرين ، هو الذي لم يجد مانعا من ان يحدث بيغن سرا فيعطي موافقته على التقسيم وانهم سوف لا يتجاوزون حدوده ، لقد كان أبو الهدى رئيسا لوزارة الأردن ، وكانت محادثاته مع بيغن تدور

خلال فبراير (شباط) ١٩٤٨ ولم تعلم او تنشر الا بعد طرد جلوب من الأردن ، وعلى التحديد في كتابه الذي نشره عام ١٩٥٨ اي بعد عشر سنوات من الحدث نفسه ، ولكن احد الأحرار العرب كان قد نشر وثيقة بريطانية سرية صادرة عن البريجيدير كلايتون الشهير في مخابرات بريطانيا ببلاد العرب ، نشرها في نفس الشهر الذي دارت فيه محادثات أبو الهدى السرية في لندن ، وكانت وثيقة تتضمن رأي حكومة الأردن في ارتضاء قرار التقسيم وتأييده (١١) :

« سري جدا .. محادثات مع زعماء البلاد العربية - اقتراحات بشأن تقسيم فلسطين - القواعد الجوية في الشرق الأوسط .. الخ رقم القيد ٤٥ - ١٩٤٧ في ١٤ ديسمبر ١٩٤٧ .

الى صاحب السعادة : السفير البريطاني في القاهرة - صورة الى القائد العام

١ - (تحدث كلايتون هنا عن لقائه مع رئيس وزارة لبنان وسوريا ، وانهما رفضا التقسيم ورفضا اقامة قواعد بريطانية حتى في حالة الحرب الا بالرجوع لرئيس الجمهورية ومجالس النواب ، وأشار كلايتون بوجود استعمال التهديد ليؤتي اطياب النتائج) .

٢ - ولقد لمست من احاديثي مع رئيسي وزارتي سوريا ولبنان بشأن مسألة تقسيم فلسطين أن البلاد العربية اجتمعت على الحيولة دون اتمامه ، غير انه في مقابلاتي الاخيرة لسعادة رئيس وزراء شرق الاردن تبين لي ان له رأيا يخالف رأي رؤساء حكومات البلاد العربية وقد ادلى الي باقتراحات لو نفذت لامكن تنفيذ تقسيم فلسطين التقسيم الذي نص عليه قرار منظمة الامم المتحدة دون ان تعترض البلاد العربية ، واستطعنا لو - نفذت هذه الاقتراحات - ان نحتفظ بمراكزنا الاستراتيجية في شرق الاردن وفلسطين .

٣ - وترى الاقتراحات التي صرح لي بها سعادة رئيس وزراء شرق الاردن انه عند اتمام جلاء القوات البريطانية عن فلسطين تنفيذا لقرار منظمة الامم المتحدة ، تنسحب معها القوات الاردنية المسلحة في فلسطين ومتى تم انسحابها يقدم الضباط الانجليز الذين يعملون في جيش شرق الاردن استقالاتهم ويعتزلون العمل رسميا في الجيش على ان يبقوا في البلاد . ومما لا شك فيه ان الثورة ستشتد في فلسطين وستندفق عليها المتطوعون

(١١) اكد لنا الاستاذ سليمان الصفوان صاحب جريدة اليقظة ببغداد حين لاقيناه بالقاهرة مشتركين في اللجوء السياسي عام ١٩٦٢ ان الوثيقة تؤكد بنفسه من سلامتها وانها اخذت له بطريقة خاصة من ارضيف السفارة البريطانية .

(٨) فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، ص ٢٤٢ .

(٩) نمرز بالنقط الى ما حدثناه من بيان الجامعة مما لا يتصل بموضوع استشهادنا .

(١٠) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ٢٣ - ٢٤ .

وانظر ايضا : حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٩ .

من جميع البلاد العربية وعندئذ تعلن الحكومة الأردنية عن قرارها بزحف القوات الأردنية على فلسطين بحجة تخليصها من الصهيونيين ، ولا شك في أن الجيش الأردني مدرب تدريبا حسنا ، فمتى اخترقت قواته أراضي فلسطين فمن المعقول أن ينضم اليه المتطوعون الذين سيكونون خاضعين لرئاسة الجيش الأردني .

٤ - مما تقدم تبين أن تنفيذ الشرط الأول من اقتراح الرئيس الأردني لن يثير رغبة الدول العربية ، أما فيما يختص بالقسم الثاني من الاقتراح فيرمي الى أنه كلما تم لهذه القوات احتلال بلدة من بلدان فلسطين يعلن ضمها الى المملكة الأردنية ، وستعمل القوات الأردنية جاهدة في احتلال البلاد التي تقع في القسم العربي ، وقد أكد لي سعادة رئيس وزراء شرق الأردن أن القوات الأردنية ستحاشي مهاجمة القرى اليهودية ، وإنما ستقوم من وقت لآخر بهجمات خفيفة على هذه القرى لمنع التسهيلات عنها ، وأضاف أنه عندما يتم احتلال المنطقة العربية من فلسطين فإن الحكومة الأردنية ستقوم بالاتصال بزعماء اليهود في فلسطين لحملهم على تقديم الضمانات الكافية لعدم محاولة توسيع دولتهم أو الإغارة على القرى العربية المتاخمة لمنطقتهم ، وهنا قلت له : « قد تحاول المملكة الأردنية في المستقبل الهجوم على سوريا ولبنان لتحقيق فكرة سوريا الكبرى الأمر الذي يخلق اضطرابات في هذه البقعة من الشرق » فأبتسم سعادته وقال : « وكيف لنا أن ننفذ هذه الفكرة ونحن خاضعون لنفوذكم وبيننا وبينكم معاهدة »

٥ - ورايت قبل ان اختم حديثي مع الرئيس الأردني ان اسأله عما اذا كان قد عرض هذه المقترحات على صاحب الجلالة الملك عبدالله فقال : « وهل يحق لي أن أبدي اقتراحات أو أن أتحدث بأسم صاحب الجلالة دون عرضها عليه وموافقة عليها » وعرضت على سعادته أن أدون مقترحاته كتابة وأن يذيلها بتوقيعه وأن ينص فيها على أن جلالته الملك عبدالله موافق عليها ، فلم يمانع في ذلك ، فدونتها فعلا ووقعها بامضائه ، ولما لم استطع مقابلتكم لعرضها عليكم فقد رايت الاسراع بارسالها الى وزارة الخارجية لاطلاع الوزير عليها بعد أن احتفظت بصورة منها « (١٢) »

تشارلز كلايتون بريجادير

..... (١٢)

(١٢) جريدة البقطة العراقية لصاحبها سلمان الصفواني العدد الصادر في ٢٤ فبراير ١٩٤٨ .

(١٣) نشر هنا الى الجزء الخاص بليبيا وانطباعات كلايتون حولها مما نؤجل نشره لبحثنا القادم عن « المراحل الاخيرة في الجهاد الليبي » .

على ان رأي توفيق ابو الهدى رئيس وزراء الأردن في قبول التقسيم لم يقتصر عليه وحده ، وإنما هو يقرر أنه موافق عليه من الملك عبدالله نفسه ، وقد عرف الكثير عن رايه في ذلك وهو الاحتفاظ بالجزء الممكن من ارض فلسطين امام الصهيونية التي لم يكن يرى في نفسه قدرة على محاربتها ، وقد تمت لقاءات عديدة بينه وبين اقطاب اليهود من أمثال شرتوك ، وجولداماير ، ورضي خلال هذه المقابلات بالتقسيم (١٤) .

وإذا كان التاريخ قد حمّل عبدالله المسؤولية الخطيرة ، فإن ذلك يتم من خلال النظرة الى أن الجيوش العربية كان من الممكن أن تنتصر لو صدقت نية الجميع في الحرب والنزال ، ولكننا عندما نذكر هذا ، لا بد ان نشرك في المسؤولية تلك الجهات الاخرى التي كان حكامها يحولون بين جيوشها وبين خوض غمار الحرب ، فقد كان الجيش العراقي لا يقل حماسة عن جيش الأردن ولكنه كان في كثير من الاوقات ينتظر الامر بالقتال ، ذلك الامر الذي لم يصله آنذاك الا قليلا، وإذا كانت الجبهة المصرية قد ذاقت مرالمعارك في صحراء النقب ولا سيما عندما توقفت كل الجهات الاخرى ، واستطاع اليهود ان يجمعوا قواتهم فيها ، فإن السلاح الفاسد الذي كان يمد به الجيش المقاتل كان عاملا هاما في نتيجة تلك الحرب المهمة ، وإذا سار التاريخ على أن يحمل عبدالله مسؤولية كبيرة فإنه من صدق القول أن تكون تلك المسؤولية شاملة معه العديد من رجال القصور العرب بل ولوزراء الأردن أيضا دون تخصيص ، فما كان لعبدالله ان يفعل ذلك لو وجد وزراء يصرّون على الرفض ، ويتمسكون برايهم ، وينادون بما تنادي به الأمة العربية من أن المعركة معركة مصير ، وكل تهاون فيها هو تخاذل عن واجب وهو عمل سيقرعه التاريخ الى الأبد .

وليس من ريب ان رؤساء الدول في النظام الذي يسير على الشكل المتظاهر بالديمقراطية ما كان يمكن ان يتدخلوا في شؤون الحكم او قضايا المصير ، لو أن كل وزير أدرك أن المسؤولية سوف تلاحقه وأنه يجب ان يكون في مستواها ، يعرف المعنى البعيد والقريب لرايه في شؤون الحكم وأمر الشعب ، بحيث لا يمكن ان يصدر قرارا لا يراه صوابا ، ولا يضع اسمه في أمر لا يرضاه ، ومن المؤسف ان أحدا من وزراء الأردن لم يستقل أبان المعركة مما يعطي الدليل أنهم يرون نفس الرأي المسالم غير المدافع عن الحقوق والأرض ، وأنهم بذلك يدينون . ولقد كان توفيق ابو الهدى رئيسا للوزراء في تلك الحقبة السوداء ، وكان فوزي الملقى وزيرا للدفاع رضي الأول بدخول

الجيش الاردني صورة ، ونفذ الثاني ذلك الى ان وقع الخرائط البديلة التي اضعفت كثيرا من الاراضي العربية . وهكذا يدان الجميع بنفس الصورة التي تلاحق كل متسبب في الهزيمة او مهادن للصهيونية .

وإذا كانت الاحداث قد جرت على رقعة فلسطين من مختلف حدودها ، فيهمني هنا ان اوجز الاحداث العسكرية التي وقعت في معركة لعبت فيها السياسة دورا أساسيا .

في الجبهة الأردنية :

كانت أبرز معارك تلك الجبهة معركة القدس ، فقد حاول الجنرال جلوب ان يحول دون وصول قوات الجيش العربي اليها بحجة انها دولية ، وان الجامعة العربية قد اسقطتها من حساب المعركة الحربية بيد ان تردى الحال في المدينة وهجمات اليهود المستمرة على القدس القديمة وعدم تقيدهم بالهدنة التي فرضتها الأمم المتحدة بالقدس ، حدا بأقطاب المدينة من العرب الى ان يهرعوا للملك عبدالله في عمان راجين الأمر بدخول الجيش العربي الى المدينة .

وقد لبى الملك رجاء الوفود العربية واتصل بالقائد عبدالله التل قائد الكتيبة السادسة التي كانت مرابطة في أريحا والخان الأحمر وأمره ان ينجذ القدس القديمة (١٥) ، فزحفت الكتيبة السادسة وتعاونت مع المجاهدين الفلسطينيين والمجاهدين السوريين في الدفاع عن المقدسات الاسلامية والمسيحية ، واستطاعت ان تحتل الحي اليهودي وتدمر الكنس اليهودية التي استعملها اليهود اوكارا للقتل ، واحتلال الحي اليهودي في القدس القديمة ارتفعت المعنويات العربية وخاصة بعد نقل الأسرى الى عمان والاطمئنان على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

ولم تسر الأمور في مواقع الكتائب الأردنية خارج القدس القديمة سيرا سليما مشجعا ، فقد أخذت كتيبة باب الواد موقع الدفاع وصدت هجمات اليهود الرامية الى فتح طريق القدس - تل أبيب ، وظل موقفها سليما ، وجمد الجنرال جلوب كتائبه المرابطة في منطقة رام الله ونشرها في خطوط دفاعية طويلة ، وحاول القائد عبدالله التل في القدس ان يقنع القادة الانجليز بالعمل لاحتلال بعض المناطق في القدس الجديدة ، ولكن القادة الانجليز نفذوا العملية بطريقة تضمن الهزيمة ، فقد ارسل قائد الكتيبة الانجليزي « نيومان » ضابطا يقود مدرعة في شوارع اليهود دون حماية ، ووسط النهار ، فاحرق

(١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

اليهود المدرعة بمن فيها ، واهمل نيومان امر من اوفده وترك المدرعة المحترقة حتى جرها اليهود ، وضاع ضابطها الشهيد محمد نجيب ، وضاع رفاقه في غياهب الابد ، ثم امر السرايا بالتقدم عبر الشيخ جراح ، حتى تلتقي في ساحة بنك بركليز دون ان يسمح لقادة السرايا والفئات بكشف طرق التقدم ، ودون ان يكلف نفسه مشقة استدعاء الخبراء من المجاهدين الفلسطينيين الذين لا يبعدون عن الشيخ جراح أكثر من مئتي ياردة ، فكان مصير الهجوم الاخفاق . (١٦)

وحين احتلت سرية الميسرة التوتردام في زحف شجاع من المشاة دون مساعدة من المدفعية على الرغم من هذا النجاح في احتلال نقطة هامة تكبد فيها الجنود تضحيات كبيرة ، وذهب قائدهم الملازم اول عيد ديلم شهيدا ، ورغم كل هذا امر الضابط نيومان بالانسحاب الى باب العمود ، ويقرر القائد عبدالله التل انه « حينما اطمأن نيومان لاختفاق سرية غازي وانسحابها اراد ان يحقق غايته مع سرية عيد ، ولكنها نجحت في احتلال الهدف الخطير بأعجوبة لم يكن يتوقعها ، فأسرع الى اصدار أوامره بانسحابها » (١٧)

وبدا النفوذ الانجليزي في المعركة واضحا حين تدخل الملك عبدالله وحاول ان يفعل شيئا واتصل بالقائد عبدالله التل قائلا : « فين مدافع العراقيين . . انا ارسلتها لتكون تحت امرك ، هيا ادب اليهود بها، فاجاب: ان مدافع العراقيين تحت قبضة لاش في رام الله ، وسانقل اليه الحال امر الملك » وابلغ لاش أمر الملك باستعمال المدافع ضد هداسا والجامعة العبرية على جبل سكوبس ، ولكن لاش لا يطيع الملك عبدالله ، بل انه يطيع جلوب ويتصل به ، وفي ضوء المخطط الاميركي الانجليزي ، بل في ضوء الصليبية الاستعمارية يجيب لاش بقوله : « ان المدافع ستبقى تحت أمر قائد المدفعية وانها لن تقصف هداسا ولا الجامعة العبرية لأن أمريكا تدخلت وبريطانيا توسطت للإبقاء عليها » .

ومن يومها والجامعة العبرية ومستشفى هداسا رايضان على جبل سكوبس تخترق سيارات اليهود بسببهما اراضي فلسطين العربية كل اسبوع في امان واحترام .

٣ - الجبهات العربية الأخرى :

كانت الأوضاع العربية على الاجمال في الاسبوعين اللاحقين لمنتصف

(١٦) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

تمثل الروح المقدسة بالنسبة لليهودية ، كانت محاصرة من جميع الجهات ، كان المجاهدون الفلسطينيون قد احتلوا منذ امد رأس العين ، وبذلك حرمت جموع اليهود من الماء ، وأعتمدوا على الآبار بداخلها ووزعوها بالبطاقات في كميات لا تكفي ولا تروى ، وحال المحاصرون العرب من جنود الجيش العربي وقوات المجاهد أحمد عبد العزيز والمناضلين الفلسطينيين دون وصول الامدادات والتموين اليها ، فتسرب الجوع بعد العطش الى تلك المدينة المكتظة المهمة ، وواصلت المدفعية العربية قصفها نهارا وليلا فحرم السكان من النوم ، وأنهارت اعصابهم وضاق بهم مجال النجاة ، وكان العالم كله يتوقع سقوط المدينة في يد العرب بين لحظة وأخرى ، لا سيما بعد أن فشلت مساعي مندوب الصليب الاحمر في ادخال المياه الى القدس ، واشترط القائد العربي ان يلقي اليهود سلاحهم وان يأسر المحاربين منهم ، ولقد كاد ذلك يحدث لولا ان بريطانيا خشيت فشل مخططها البعيد .

٤ - الهدنة المفروضة ونتائجها :

ووسط دوي المدافع تدمر القدس الجديدة ، وتضيق عليها الخناق ، وبينما كانت برقيات الاستغاثة تغادر القدس الى تل أبيب ، وعلى اثر مظاهرات اليهود فيها طالبين السلم والقاء السلاح ، تقدمت بريطانيا الى مجلس الأمن تطلب وقف القتال اربعة اسابيع والتعهد بعدم ارسال محاربين ومواد حربية الى فلسطين خلال هذه الفترة ، وتطبيق مادة العقوبات العسكرية والاقتصادية على من يخالف الامر ، وفي ٢٩ مايو (ايار) ١٩٤٨ وافق مجلس الأمن على هذا القرار وأعلنت الحكومة البريطانية انها ستوقف عن ارسال الاسلحة الى الدول العربية المرتبطة معها في معاهدات وهي مصر والعراق والأردن (٢٢) ، كما قرر مجلس الأمن تعيين الكونت برنادوت وسيطا منتدبا من قبل هيئة الأمم مهمته التوفيق بين العرب واليهود (٢٣) .

وما كان اقتراح بريطانيا هذا الا صورة جديدة من صور عونها لليهود وخلق فرصة لهم ، ولكي يفك حصار المحاصر منهم ، ويستعيد قواه المرهق من مدنيهم أو مجنديهم ، ويستجلب السلاح بكميات او فر وعتاد أحدث .

واجتمع العرب لبحثوا قرار مجلس الأمن ، وظل نقاشهم ، ولكنه انتهى الى الموافقة على قرار الهدنة ، ولقد كان توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن اعلامهم صوتا وأطولهم لسانا في وجوب قبول الهدنة ، مدعيا قلة السلاح ونفاد الذخائر وان الأردن سوف ينسحب من الميدان ومن

مايو (ايار) قوية وقرية من النصر ، كان الجيش المصري يتقدم في ميدانه الساحلي ، واستطاعت قواته ان تحتل المستعمرات اليهودية المهمة (دير سنيد ، اسدود ، نيتسالييم) وتركت بعض المستعمرات محاصرة لان هدف القوة الضاربة كان تل أبيب لو نفذت الخطة باخلاص من جميع الأطراف ، وفي ذات الوقت تقدمت قوة من الجيش المصري تسندها جموع المتطوعين الليبيين والسودانيين والمغاربة ، وواصلت سيرها حتى حطت جنوب القدس ، واشتركت في حصار القدس الجديدة ، وساهمت بجدية في معارك هامة هناك ، وكان الجيش العراقي قد استرد جنين المدينة الهامة ، في الثلث العربي ، وكانت معركة جنين هذه بالإضافة الى معركة كوكب الهوى فرصة أثبت فيها جنود وضباط الجيش العراقي شجاعتهم واستهانتهم بالموت . (١٩) وكان الجيش السوري قد استطاع ان يربط في مواقع كبيرة ومتسعة ، وعلى الرغم من الاعداد الكبيرة من الشهداء التي قدمها هذا الجيش في عناد وتصميم في هذه المنطقة ، ظل قويا مهيبا يحسب له اليهود حسابا ، لا سيما بعد ان رابط في منطقة الفور على الحدود الأردنية واحتل بمعاونة المناضلين مستعمرة مسادة اليهودية (٢٠) .

وكان الجيش اللبناني الصغير قد حافظ على حدوده ، واشترك بجهد في بعض المعارك ، وكان أبناء الشعب الفلسطيني هم عماد المعركة في جميع الجهات ، كانوا يتعاونون مع الجنود والقيادة ، فهم يشاركون فيما يتاح لهم من فرص المعارك ، وهم اعوان الجيش وعدته ، هم يحمون خطوطه ، وهم يساهمون في تموينه ، وهم احبابه ، به يرحبون وبه ايضا يعتزون ، يشهد بذلك أبناء الجيش السوري في مناطق قتالهم المرير الرائع ، وسجل مثله في اعجاب واكبار القائد العربي المجاهد عبدالله التل . ولقد كان جلوب يعلم خوافي الأمور حين قال : « لو سمح العرب لقواتهم كلها بالعمل في ١٥ مايو (ايار) وزحفوا زحفا جديا لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة (٢١) » .

حصار القدس الجديدة :

ولكن القدس الجديدة كانت تمثل أروع صور النجاح في الزحف العربي ، فلقد كانت هذه المدينة التي تضم المائة الف يهودي والتي كانت

(١٩) اجمع المؤرخون على ان جنود الجيش العراقي وضباطه لم تكن تنقصهم الشجاعة ولكن حيل بينهم وبين القتال في اغلب اوقاته بسبب خيانة القيادة في بغداد .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٢١) الفريق جلوب باشا : جريدة النهار اللبنانية ، العدد الصادر ٢٠ مايو ١٩٥١ .

(٢٢) القضية الفلسطينية ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢٣) كارثة فلسطين ، ص ٢٠١ .

تلك الأحداث فيقول « تواردت الأنباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية ان الشعب اليهودي اصابه الخوف وخصوصا اهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح طريق باب الواد وتموينهم ، وكان الجيش العربي قد بدأ يقصف احياءنا بمدافعه الثقيلة فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة داعيا الى انتهاء الحرب بأي ثمن ، وعندها طلب الي بن



(اللد)

سقطت بيد اليهود في 11 تموز (يوليو) 1٩٤٨

الجامعة اذا لم تقبل الهدنة ، وقبلت الهدنة ، وقابلها المخلصون بوجوم وحزن عميقين فلقد كانت بحق بداية التاريخ الحزين للعرب ، وكانت بداية النصر لليهود .

ولنستمع الى تصريح وكيل القنصل الاميركي بالقدس الذي يقول « ان قرار مجلس الأمن الذي فرض الهدنة الاولى هو وحده الذي خلص اليهود وحال دون سحقهم على أيدي الجيوش العربية » (٢٤)

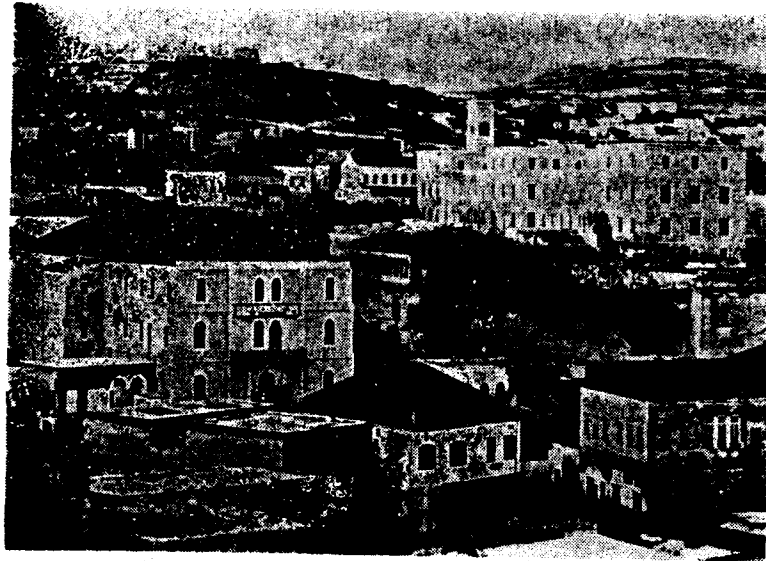
بل ان الارهابي مناحم بيغن زعيم عصابة الأرغون زفاي ليومي يتحدث عن



(مناحم بيغن)

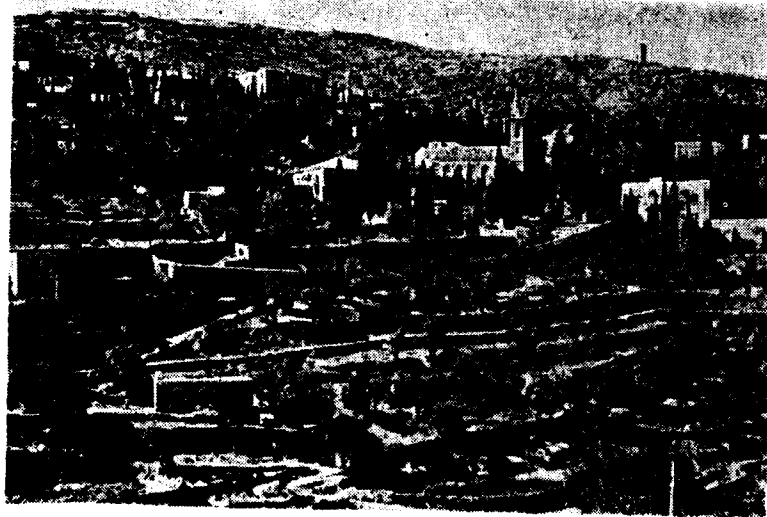
الارهابي الذي اعلن مع غيره من زعماء الارهاب الصهيوني ضرورة ارباب العرب بالقتل والافناء ، زعيم عصابة زفاي ليومي وعضو الوزارة التي حاربتنا في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧

(٢٤) كنيث بلبي ، نجم جديد في الشرق الاوسط ، ص ٢٥ .



(الناصرة)

سقطت بيد اليهود في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٤٨



(عين كارم)

قرية من قرى القدس . سقطت بيد اليهود في ١٩ تموز (يوليو) ١٩٤٨

غوريون الذهب للقدس فوصلتها والشعب اليهودي فيها نائس يطالب بالخلص ، فأعلنت الأحكام العرفية ، ومنعت التجول ، ووضعت الشبان في الخطوط الامامية للدفاع ، ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا مال ، الاقنابل الأعداء ، وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لارسال رسول سلام الى فلسطين وعقد هدنة مؤقتة تتلاشى معها الفضيحة الكبرى ، وتمت الهدنة فجئنا الى يهود القدس بالطعام وبعض الماء واستعدنا وجلبنا السلاح والعتاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج « (٢٥)

ويقول مؤرخ عربي كان يتولى منصبا قياديا في حرب فلسطين وهو يتحدث عن قبول تلك الهدنة « ليس لي الا ان اصنفها بالجريمة الكبرى وهي اخف وصف يمكن ان توصف به موافقة الجامعة العربية على شروط الهدنة التي قدمها برنادوت بدون قيد او شرط ، فقد وافق اعضاء اللجنة السياسية على اكبر خطيئة في تاريخ الحروب بالشرق العربي الا وهي السماح بفك الحصار عن مدينة القدس واناذ مئة الف يهودي كانوا على وشك التسليم او الموت جوعا وعطشا ، وافقوا قبل ان يفكروا قليلا في نتائج ما اقدموا عليه ، وافقوا قبل ان يفكر احدهم فيما سيقع بعد عشرة ايام فقط من ذلك اليوم المشؤم ، وافقوا لانهم وثقوا من وفد الأردن في اللجنة السياسية وصدقوا رئيس الحكومة الأردنية الخائنة ، وافقوا قبل ان يفهموا ان القدس هي كل شيء في فلسطين وان من يحتلها ينهي المعركة كلها ، وافقوا قبل ان يسألوا ويفهموا كيف كانت حال مائة الف يهودي في القدس هم سبع يهود فلسطين ، وافقوا قبل ان يسمعو ما يقوله القائد العربي في تلك المدينة العظيمة ، وقبل ان يعلموا مقدار الدماء والدموع والجهود التي بذلناها في القدس حتى جعلناها تترنح لتهدى صاعقة على رأس الصهيونية فتزيلها الى الأبد ، وافقوا قبل ان يفكروا في نوايا الانكليز وعزمهم على انقاذ الصهيونية وخاصة القلب (القدس) ، وافقوا قبل ان يسيئوا الظن قليلا بشروط الهدنة ويفرضوا شرطا واحدا على الأقل لمراقبة طريق الحياة للقدس وجعل تموين اليهود تحت اشراف العرب ، لقد وافقوا ولو لم يفعلوا لتغير مجرى الحرب في فلسطين ، وانني اعتبر جميع الدول العربية مسؤولة عن ذلك القرار في اليوم الأسود بعمان « (٢٦)

وتتضح الآن بعد مرور سنوات طويلة ، النتائج المرعبة لتلك الهدنة الأليمة التي التزم بها العرب وحدهم صادقين في احترام الكلمة وتقديس

(٢٥) جريدة الحياة بيروت العدد الصادر في ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ .

(٢٦) كارثة فلسطين ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ .

الوعد ، وأخذ اليهود يعدون العدة لتنفيذ برنامجهم الطويل المدى ، حيث استمر امدادهم بالسلاح من اوربا على مختلف انواعه ، وحيث بنوا الاستحكامات والخنادق ، وفتحوا الطرق التي ربطت تل ابيب بالقدس بعد ان استحال عليهم ذلك مدة الحصار العربي ، بل استطاع اليهود ان يستوردوا الطائرات والدبابات والرجال من بريطانيا وامريكا ، وواصلوا التدريب العملي الشاق ليجعلوا من عصاباتهم جيشا منظما . (٢٧)



بينما امتنعت اوربا كلها وامريكا عن مد العرب بالسلاح عام ١٩٤٨ كانوا يعدون اليهود ببواخر متتالية . والمنظر لشحنة سلاح تفرغ بتل ابيب من امريكا خلال الهدنة الاولى .

وتجدد القتال في التاسع من يونيو (حزيران) ١٩٤٨ حيث رفض العرب تجديد الهدنة ولكن الوضع كان قد تغير ، فقد زال الخطر العربي الذي طالما أهدق بالقدس الجديدة ، وهدد جموعها بالموت ، وسحب الجنرال جلوب الجيش الأردني فجأة من المدينتين العريبتين اللد والرملة ، فمكّن لليهود من احتلالهما وزاد الربكة العربية بخلق هجرة جماعية جديدة ، وكشف بذلك ميمنة الجيش المصري واحتل اليهود مطار اللد العالمي الذي لا يبعد عن عاصمتهم بأكثر من أربعة عشر ميلا ، واستولوا على ٧٥٠ الف

(٢٧) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

دونم من اخصب اراضي العرب ، وكان الجيش العراقي يربط في المثلث العربي « جنين - نابلس - طولكرم » ولم تمكنه القيادة المنحرفة من ان يحتل نائانيا على البحر المتوسط فيشطر خطوط اليهود الى قسمين ، واذا استثنينا معركة كوكب الهوى واستعادة جنين وقرها (٢٨) ، فان هذا الجيش الباسل لم يعط فرصة لاثبات وجوده بالمعنى الصحيح ، بل لقد سحب من مواقعه الى نابلس ولم يعبا برجاءات السكان والمناضلين الفلسطينيين الذين كانوا يساعدونه وتركهم دون عون . علما بان هذه المعارك التي خاضها جيش العراق في منطقة المثلث كانت كفاحا مشتركا مع شعب فلسطين ولم يخضها منفردا ، فبينما كانت المدفعية المراقية تدك حصون اليهود في يوم الجمعة ٩ يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، كان المشاة من الشعب الفلسطيني يكونون فصيلا من ثلاثمائة مقاتل يخوضون المعركة باخلاص مع اخوانهم العراقيين ، حيث استولوا على « فقوعة وتل الخروبة وغرانة » وحين طوق العراقيون قطاعات اليهود المسكرة في « حلبة وصندلا » كان الفلسطينيون يكونون جزءا مهما من هذا الطوق العسكري ، وتم الاستيلاء على صندلة وجليه ، وواصل الفلسطينيون بمساعدة العراقيين الزحف فاستردوا غرانة وعربونة ودير غزالة ومقنبلة وفقوعة ، وكما كان القتال مشتركا فقد كانت الخسائر ايضا مشتركة اذ فقد العراقيون ثلاثة عشر شهيدا ، وفقد الفلسطينيون سبعة عشر ، وحين سحب الجيش العراقي فجأة وقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحوا ينظرون الى اخوانهم المنسحين ، وفي قلوبهم حسرات وفي ماقيهم عبرات (٢٩) .

ولم يحاول هذا الجيش ايضا معاونة جيش الانتقاذ الذي كان يقوده فوزي القاوقجي في منطقة الجليل حين هاجمه اليهود بقوات كبيرة واستولوا على الناصرفي السادس عشر من يونيو ١٩٤٨ . (٣٠) وكانت الجبهتان المصرية والسورية محتفظتين بمواقعهما ، ولكن ايام القتال لم تطل ، فقد فرضت هدنة جديدة في الثامن عشر من يوليو (تموز) ولم يكن هناك امام العرب

(٢٨) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٢٩) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٥٩٠ ، ويضيف هذا المؤرخ العربي ان القيادة المراقية لم تكن على علم بالمعركة وان القائد العام نور الدين محمود باشا امر بوقف القتال والانسحاب مجرد انسحاب والمعركة قائمة وان الذي قرر القتال دون امر من القيادة هو العقيد الركن طه زكي توفيق وانه عوقب بعد عودة الجيش الى العراق وقيل انه ادين . وهو ضابط كردي متدين تمهد لسكان جنين انه سوف يواصل القتال وقد فعل ويقول عارف العارف ان القائد المراقى المشهور مصطفى راغب استقال بعد هذا قائلا انها تمثيلية وهو لا يرغب في ان يكون احد افرادها المثلين في فلسطين .

(٣٠) كارثة فلسطين ، ص ٢٨٨ .

من سبيل الا قبول الهدنة ، فقد ادركوا عمق المأساة في قيادة حلوب الانجليزي ، وعمقت لديهم الام تسليم اللد والرملة بسحب الجيش الأردني منهما ، اما اليهود فقد كانوا يستفيدون من كل هدنة ، يعدون ويستعدون وتوالي الدول الصليبية امدادهم بالعتاد وبالسلح وكثيرا ما ضربوا بالهدنة عرض الحائط ، وزحفوا فأحتلوا قرى ومساحات بينما مجلس الامن الدولي لا يحرك ساكنا ، ولا يسمع لشكوى العرب ولا يشغل بها .

كان يحز في نفوس اليهود تحرير القدس القديمة من سلطانهم حين تعاون قسم من الجيش الأردني مع شعب فلسطين فأتت تحريرها ، واسر قوات الهاجانا اليهودية فيها ، ولهذا سرعان ما جمعوا قواتهم بقيادة موسى ديان وهاجموا في ١٨ من يونيو (حزيران) مناطق القدس ، وهم لم يستطيعوا ان يأخذوا المدافعين العرب فجأة ، ولم يحققوا أي نصر ، ولكنهم خسروا ثلاثمائة وعشرة من القتلى ، وما يزيد عن ثلاثمائة جريح ، ثم عاودوا الهجوم بعد اقل من شهر مستهدفين القدس القديمة ، ولكنهم لم يستطيعوا التقدم ولا النجاح ، ويشرح مناحم بيغن الراهابي اليهودي المشهور أحداث القدس فيقول « ان القطاعات اليهودية التي خاضت معارك القدس كانت يومئذ عبارة عن ثماني سرايا تستهدف استرجاع الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، وبرغم الجهود الجبارة التي بذلها اليهود فقد باءوا بفشل عظيم اذ انهم عجزوا عن اقتحام السور ولم يستطيعوا فتح ثغرة واحدة فيه » .

ولكن اليهود كانوا يبيتون امرا للجيش العربية مجزاة وحين اطمأنوا الى ان الجيش العراقي قد جمد تحت نفوذ مباشر مع الجيش الأردني ، وان تلك الجبهة المهمة التي يحتلها سوف لا تتحرك ضدهم ، وجهوا اكبر جهدهم لجبهة الجيش المصري في النقب ، وفشل مجلس الأمن في ردع العدوان ولم يأبه اليهود به ، اذ كانوا مطمئنين لعون اميركا وبريطانيا اللتين تحولان دون اتخاذ أي اجراء ضدهم ، وعينا حاولت مصر اسماع صوتها الى الضمير العالمي ليرغم اليهود على احترام قرارات مجلس الامن ، والعودة للخطوط ، تحركت قوات اليهود لفرص الامر الواقع في خليج العقبة فسحب حلوب ٨٠٠ جندي عربي مدرب من طريقهم ، وزحف اليهود في قوة لا تزيد عن ٣٠٠ جندي ، واحتلوا منطقة النقب التي كانت تحميها القوات الاردنية بما في ذلك ميناء ام الرشراش (ايلات) على الخليج ، وكان ذلك في العاشر من مارس (آذار) ١٩٤٩ . (٣١)

(٣١) المصدر السابق ، ص ٤٧٨ - ٤٨١ .

وكان كل هذا يجري والمفاوضات جارية في رودس بين وفود العرب والوفد اليهودي الذي كان يخاطبهم بلهجة المنتصر في سبيل خلق هدنة دائمة مع كل دولة على حدة ، ويفرض على بعضهم قبول حدود ظالمة ويقطع مساحات جديدة لاسرائيل فوق ما كان قد نالته في ميدان الصراع المسلح وكانت الجبهة المهمة التي يحسب لها اليهود حسابا كبيرا هي الجبهة المصرية وقد والى اليهود اهتمامهم بها ، وكان الجيش المصري يشكو فساد السلاح ونفاده ، ولكنه خاض رغم ظروفه معارك مريرة دامية في صحراء النقب وكان قسم منه محصورا في الفالوجا بقيادة سيد طه ويضم بين ضباطه جمال عبد الناصر ، واحتفظ هؤلاء الأبطال بمراكزهم ثابتين حتى عادوا الى مصر بسلاحهم حسب الهدنة الدائمة في اليوم العاشر من مارس (آذار) ١٩٤٩ .

وهكذا انتهت جولة من جولات معركة الأمة العربية تعاون خلالها ضدها انحراف القيادات وضعفها، وتعاون الصليبية الاستعمارية بكل قوتها مع الصهيونية الباغية لاذلال العرب وجيوشهم السبعة في سبيل خلق دولة يهودية ، يريدونها ركيزة اولى نحو توسع شاسع في اجزاء مهمة من الوطن العربي .

واذا كانت هذه هي الجولة الاولى التي تجمعت فيها جيوش عربية في معركة المصير ، فانه من المنيد لهذا البحث ان نسجل احصائية بالخسائر التي تكبدتها الأمة العربية في الاوضاع خلالها :

١٠٠	ضابط	١ - كان الشهداء من الجيش المصري يلفون
٨٦١	جنديا	
		يضاف اليهم شهداء مصريون
٢٠٠		ليسوا في سلك الجندية
١١٦١		المجموع
١٠	ضابط	٢ - وكان الشهداء من الجيش الأردني
٣٥٢	صف ضابط وجندي	
٢٠٠		يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية
٥٦٢		المجموع
١٠	ضابط	٣ - كان شهداء الجيش العراقي
١٨٩	صف ضابط وجندي	
٢٠٠		يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية
٣٩٩		المجموع
٣٠٧		٤ - كان شهداء الجيش السوري
٥٤		

النقب كله بمدنه وقراه ومضارب البادية في ربوعه وغزة وآلاف القرى والمدن في الجليل وغيره ، ويقول احد الثقات : « ان جميع ما استولى عليه اليهود سواء تملكا من الانجليز تحت حيلهم العديدة او بواسطة القوات العسكرية لم تكن في الخامس عشر من مايو (أيار) يزيد عن ثلاثة ملايين دونم وكان شعب فلسطين يتولى الدفاع عن مساحة تزيد عن اثنين وعشرين مليون دونم حتى اذا تسلمت الحكومات العربية مسئولية الدفاع عن فلسطين استولى اليهود على اكثر من ١٧ مليون دونم ضموا الى ما كان في حوزتهم :

١ - صفقة - اللد والرملة - وفيها استولى اليهود على ٩٥٠ الف دونم تقريبا .

٢ - صفقة النقب وفيها استولى اليهود على ١٢٨٧٥٠٠٠ دونم تقريبا .

٣ - صفقة الجليلين الشرقي والغربي وفيها استولى اليهود على مليوني دونم تقريبا .

٤ - صفقة الشونة ورودس وفيها استولى اليهود على ١٢٧٥٠٠٠ دونم تقريبا وأغلبها من اراضي المثلث العربي ومنطقة الجليل ، ومجموع هذه الصفقات ١٧ مليون دونم اضيف الى ما كان في جوزة اليهود فصار مجموع ما بأيديهم ٢١ مليون دونم ، وبقي بأيدي العرب خمسة ملايين دونم تقريبا هي ما يسمى بالضفة الغربية من مملكة الأردن وما يسمى بقطاع غزة في الجنوب « (٢٣) »

وإذا كان الاحتفاظ بالوطن على هذه الصورة المشرفة يبرهن على معدن كريم لشعب فلسطين فان القيادة الانجليزية كانت تركز كل قواها لسحب السلاح من قوات الجهاد المقدس الفلسطيني وابعاد أفراده عن جو المعركة ، وقد أثبت مؤرخ عربي ان ابعاد الفلسطينيين وحل فرقهم كان الشغل الشاغل لقيادة جلوب . (٢٤)

وانه لمعجب ان تستمر هذه الخطة التي رسمها المستعمر لابعاد الشعب الفلسطيني عن مسرح القتال والحيلولة دون معالجه قضيته بنفسه ، فتكون هي الخطة التي سارت عليها الجيوش العربية المنقذة ، فلم تكذب تدخل فلسطين حتى بادرت بحل المنظمات العسكرية ونزعت السلاح

(٢٣) كارثة فلسطين ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٥٠
المجموع ٥١١

٥ - وكان شهداء الجيش اللبناني ١١ منهم ضابط واحد
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٥٠
المجموع ١٦١

٦ - وكان شهداء الجيش السعودي ٦٨ منهم اربعة ضباط
يضاف اليهم شهداء ليسوا في سلك الجندية ١٠٥
المجموع ١٧٣

وكان شهداء جيش الانقاذ

وهو مزيج من كل شعوب العرب ٥١٢ يضاف اليهم
٢١ يعني
١٥ ليبي
١٢ من تونس والجزائر
ومراكش

اما شهداء شعب فلسطين خلال معركة ١٩٤٨ فكانوا ١٣٠٥٠ مجاهدا شهيدا (٢٢) .

ولا يدخل في هذه الاحصائية ما فقده شعب فلسطين خلال صراعه الطويل الدامي منذ ١٩١٧ ، ولا ما فقده في معسكرات اللاجئين وعلى خطوط الهدنة وفي اعتداءات اليهود المستمرة والاحداث المتلاحقة بعد ذلك .

٤ - الدور الايجابي لشعب فلسطين في المعركة :

كان الشعب الفلسطيني مهملا في اغلب الانحاء من وطنه ، بل لقد تمعد البعض اقصاءه عن المعركة ، وهو الشعب الذي احتفظ بأكبر الاجزاء في بلاده ، ودافع عنها وقاتل في سبيلها الى ان دخلت جيوش الدول العربية ، اذ لم تكن القوات اليهودية في منتصف مايو (أيار) تحتل الا جزءا ساحليا ممتدا من غرب يافا الى شرقي حيفا ، وجزء آخر يحاذي بحيرة طبريا عند حدود سوريا ، وكانت بقية اجزاء فلسطين مصنونة بيد الشعب العربي بما في ذلك القدس القديمة والاحياء العربية الكبيرة بالقدس الجديدة والناصرية وعكا ورأس العين واللد والرملة وقرى جنين العديدة والخليل وبيت صفاقا ورام الله ونابلس وجملة وزرعين ونورس والمزار ودير غزالة ، الى جانب

(٢٢) سجل الخلود اسماء الشهداء الذين استشهدوا في معارك فلسطين

صيدا بيروت - ج ٦ ص ٧ - ٩ .

لبطولته ، ولولا شهادة القائد السابق التي أوضحت حقيقة هذا البطل لنفذ فيه حكم الإعدام ، والحقيقة أنه لم يعرف التاريخ شعبا كافح في سبيل حريته مثل ما كافح الشعب العربي الفلسطيني ، ولم يشهد التاريخ نوعا من أنواع التنكيل والإرهاب أشد وأقسى مما صبتة بريطانيا على هذا الشعب الباسل ، وأن ثوراته المتتابعة لتعطي صورة صادقة لنفسية هذا الشعب وإيمانه بحقوقه إيمانا تفلل في نفوس جميع أفرادهِ وتساوى فيه البدوي والحضري « (٣٦) »

ولعل الأسباب المباشرة لبدء سريان تلك الإشاعات ضد الفلسطينيين هي قدرة اليهود على الحيل والخداع ، فقد ثبت أن أفرادا من اليهود الذين عاشوا في البلاد العربية بشتهم دوائر الاستخبارات اليهودية في بعض الجهات ، وهم يرتدون ملابس العرب ويتحدثون لغتهم ، فلقد لقت القوات المصرية القبض على اثنين بلباس البدو في قطاع غزة ، وكانا يضعان ميكروب الكوليرا في المياه ، وظن انهما عريبان ثم ثبت انهما جاسوسان يهوديان (٢٧) وتكررت حوادث كثيرة مثل هذه .

وجنح اليهود الى التزي بالآزياء العربية تكرر مرارا واتخذوها وسيلة لخدبة الشعب العربي ، فقد دخلوا جنين أثناء قتال ١٩٤٨ وهم يتحدثون اللغة العربية واللهجة العراقية ، وظنهم الناس انهم جيش العراق المنتظر ، بل انهم دخلوا الناصرة في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٤٨ يرتدون ثيابا عربية وفرح بهم الأهليون وراح الرجال يصفقون وتماثلت زغاريد النساء ورفعت السيدة راضية المهدي أم فؤاد العيوطي صوتها هاتفة « حاج أمين يا منصور » فصوب اليهود عليها رصاصهم وقتلوا (٢٨)

على أن الذين عاشوا في فلسطين أيام الجهاد والقتال لا يخفون إعجابهم بشعب فلسطين ، وليس ادل على ذلك من خطاب للرئيس جمال عبد الناصر يقول فيه « اني اريد ان تعرفوا ان كل ما قيل من أن أهل فلسطين لم يحسنوا الدفاع عن وطنهم كلام قصد به الخداع والتضليل ، لقد جربتمكم بنفسي وأنا اعرف أكثر من غيري حقيقتكم ، أن الذين قاتلوا منكم معي قاتلوا بشرف ، كذلك عرفت أهل فلسطين بنفسي ورايتهم بعيني ، وليس ذنبهم انهم لم يكن بأيديهم سلاح وكانت ايدي اعدائهم مليئة به » (٢٩)

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢٧) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٢ .

(٢٨) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٨ .

(٢٩) الرئيس جمال عبد الناصر ، خطابه بغزه ، عيد الفطر ١٩٥٦ .

بل ان شعب فلسطين تعرض لحملة قاسية جدا من بعض اجهزة الاعلام العربية ، وكانت تلك الاجهزة قد تأثرت ببعض الدعايات المفرضة او ببعض حوادث الانحراف التي لا تمثل الا جزءا ضئيلا تافها في تاريخ كل شعب مجاهد ، يقول مؤرخ عربي « لا نزال نذكر تلك الصور والمقالات التي كانت تنشرها مجلات « دار الهلال » واخبار اليوم التي قدمتها للقراء غداء فكريا مسموما على أنه سبق صحفي منقطع النظير عن الجواسيس العرب وكيف ان الجيش المصري وجد قتلى من العرب ضمن قتلى اليهود في احدى المعارك ، هذه الأنباء المختلفة واشباهها كان لها أكبر الأثر في إيهام الجنود العرب أنهم يحاربون في أرض معادية ويساعدون قوما باعوا أرضهم وامتشقوا الحسام دفاعا عن الصهيونية ، والى جانب ما في هذه الأنباء من تجن على الحقائق ، فقد أثرت تأثيرا بعيدا في قتل الروح المعنوية في الجنود المحاربين ، ومضى الجنود يعاملون العرب على أنهم جواسيس ، ويكفي ان يوجد في جسم عربي « وشم قديم » او « كي » بالنار لتلصق به هذه التهمة وقبل ان يتم التحقيق يكون العربي قد نال نصيبه الوافر من الضرب بالأيدي والركل بالأقدام » .

ويسوق هذا المؤرخ حادثة شاهدها بنفسه خلال معركة ١٩٤٨ فيقول « حينما كان الجيش العربي المصري الباسل يخوض غمار المعارك العنيفة في بئر السبع ، كان هناك اعرابي يدعى « ابن عقيل » شجاع وخبير بمسالك الصحراء وتعاون مع قائد منطقة « عسلوج » في وضع الألغام على طرق اليهود وادى دوره ببراعة تستحق الاعجاب ، وحدث أنه عثر على عدد من الألغام الضخمة التي زرعتها اليهود على طريق الجيش المصري فنزعها من الطريق وحملها في كيس على كتفه ، ومضى بها فخورا ليسلمها الى القيادة ، ولكن الجنود قبضوا عليه وهم يتصايحون « جاسوس » « جاسوس » وانهالوا عليه ضربا وهو يحاول اقناعهم دون جدوى وزاد من اشكاله ان وجدوا بجسمه عدة اختام « كي » نتيجة الأمراض التي أصيب بها ، كانت القيادة السابقة قد تفرقت وسرعان ما ادين وحكم عليه بالإعدام ولولا ان جاء القائد السابق فأعطى شهادته لصالحه ، واكد أنه أنقذ قوادا ورتلين من السيارات العسكرية ، وأنه قام بأعمال فدائية هامة جدا ، فبرىء استثنافيا ومنحه رئيس المجلس العسكري منحة مالية مقدرا

(٣٥) كامل اسماعيل ، صفحات من التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٧٠ .

٥ - الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة :

ولنعد الآن الى الموقف العربي في الخامس عشر من مايو (أيار) عام ١٩٤٨ ، لنذكر في احاطة شاملة أن قسما واحدا من الشعب العربي كان يصلي المعركة وحده ، ويتجرع كأسها المرة حتى الثمالة واعني به الشعب الفلسطيني ، اما باقي الشعوب العربية فقد كانت تنظر الى المعركة باعتبارها صراعا جانبيا وفرعيا ، تعطيه من حماسها وتصفيقها القدر الذي لا يعرقل مظاهر سيرها اليومي وعيشها المعتاد ، ولا ريب أن ذلك كان ينبعث من مواقف الحكومات العربية التي لم تنظر الى معركة فلسطين باعتبارها معركة حيوية وتاريخية ، وصداما مع عدو أستمتر يستعد للمنازلة ثلاثين عاما ، ساعدته خلالها اغلب الدول الصليبية الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا وامريكا .

لقد كان وضع العواصم العربية في مساء الخامس عشر من شهر مايو وبعد ذلك ، وضعا لا يمت الى حالة الحرب بصلة ، فلم تعلن حالة الطوارئ بين الجماهير ، ولم تفرض ضرائب للدفاع ، بل ولم ترتفع حتى اثمان تذاكر المسارح والسينمات بجزء لحملة فلسطين ، ولم تغير تلك البرامج في كنها ولا في كيفها ، ونظرة سريعة الى صحف ذلك اليوم في القاهرة ، تنيدك أنه بينما كان الأبطال من جنود الجيش وضباطه يتجهون نحو خطوط القتال ، كانت القاهرة ترقص مع بديعة مصابني وغيرها من الساهرات .

وتفيدنا صحف ذلك التاريخ (٤٢) من شهر مايو (أيار) أن دور السينما كلها كانت عاملة لا علاقة لها بالحرب المقدسة في فلسطين .

« برامج السينما والمسرح :

غدا ... غدا ... غدا ... سراج منير - هاجر حمدي في البوسطجي (ثم نحو عشرة أسماء للممثلين وامثالهم في خط كبير)

تمتعوا بسهرة صيفية لطيفة بكازينو الجمل ، حديقة غناء ، مشروبات شهية .

يوسف وهبي : آخر حفلة في الموسم التمثيلي الليلة ٩١/٢ مساء بمسرح الازبكية « بنات الريف »

سينما الشرق بالسيدة زينب : عروسة البحر
سينما حديقة الازبكية : الوقت والمكان والفتاة

(٤٢) جريدة الامرام العدد ١٦ و ٢٧ من مايو ١٩٤٨ .

بل أن شهادة مهمة جدا تسجل صفحة مجيدة رافقت تاريخ هذا الشعب في جميع الظروف ، قالها الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث في المؤتمر التعاوني بالقاهرة « حارب الشعب الفلسطيني في غزة وخان يونس ورفح واثبت هذا الشعب المقاتل أنه يتمسك بحقه في الحياة وبحقوق شعب فلسطين التي سلبتها الدول الكبرى وبحقه في وطنه ، حارب الشعب الفلسطيني في غزة وهو يعلم أن الجيش العربي انسحب ولكنهم حاربوا دفاعا عن شرفهم وكرامتهم ، حاربوا لأنهم لا يمكنهم رؤية اليهود يدخلون بلادهم دون أن يحاربوهم ويقاتلوهم ، وفي خان يونس كانت هناك معركة مريرة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة ، واثبت هذا الشعب أنه لم تؤثر فيه الأحداث ولم تؤثر فيه المحن ، ولم تؤثر فيه مؤامرات الدول الكبرى ولكنه متمسك بقوميته وعروبته وتمسك بقوته وقدرته على القتال » (٤٠)

وأنه لمستند تاريخي يشهد لعرب فلسطين بالوطنية والبطولة ، ذلك النداء الذي وجهه قائد القوات المصرية اليهم في اليوم العاشر من يناير ١٩٤٩ وبعد معارك هامة طفت فيها الصهيونية فيقول « لقد كان لموقفكم النبيل المشرف ، وايمانكم بنصرة الحق احسن الاثر في نفسي ونفس جنودي ، فلقد احتملت متاعب الغارات وضحاياها ، كما احتملت ضغط العدو باذاعاته الكاذبة ومنشوراته ، ولقد كنتم رابطي الجأش ثابتي العزيمة ، فلم تسببوا لي متاعب في الخلف ، بالرغم مما لاقيتم من خسائر ، فباسمي واسم جنودي أشكركم أولا وأهنتكم بهذا الايمان وهذه العزيمة الصادقة وابشركم بنهاية سارة بفضل الله .

لواء أركان حرب أحمد فؤاد صادق قائد

عام القوات المصرية بفلسطين (٤١)

ولست أجد أبلغ من تعبير شيخ علماء الجزائر البشير الابراهيمي وهو يتحدث عن شعب فلسطين فيقول « أما الحق الذي مكانه من هذه المظاهر مكان البسلة من اللوح فهو ما قام به عرب فلسطين الأبطال الذين كسفوا عن صواب الراي القناع ، وحذفوا من الجملة حرف الامتناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه وتأسوا فسفوا للكرام التأسيا وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالأقلام وهذا هو الواجب شرعه عرب فلسطين لجميع العرب (٤٢) »

(٤٠) الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر التعاوني بالقاهرة في ٥ من ديسمبر ١٩٥٧ .

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٤ ، ص ٨٠٩ .

(٤٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ٢٥ عام ١٩٤٨ .

السينما الاهلي بالسيدة زينب : الهارب من السجن ،
سينما شبرا بالاس : المليونيرة الصغيرة .
سينما مصر : ابن الحداد .
سينما ريفولي : طريد القانون .
سينما كايرو : اسرار دون جوان .

اما ملاهي الرقص حيث النساء والخمر ، فلم تكن اقل نشاطا من دور السينما :

صنية حلمي : استعراض فن الرقص .
كيت كات : بيا وفرقتها .
بدبعة مصابني وفرقتها الكبرى : الجائزة الاولى .
البوسفور : احسان عبده وفرقتها .

اما الاذاعة فاذا استثنينا البلاغات الرسمية ، وبعض الكلمات المناسبة الى جانب اغنية عبد الوهاب المعبرة من شعر علي محمود طه « اخي جاوز الظالمون المدى » اذا استثنينا ذلك ، فقد كانت برامجها سلمية لا علاقة لها بالحرب ولا بهيئة تهيء الشعب للاعداد والاستعداد ومعرفة خطورة الموقف وتقدير جوانبه بجميع مستلزماته .

وفي الساعة الثالثة وهـ { دقيقة من يوم ١٧ مايو (ايار) ١٩٤٨ بينما كان ابناء مصر وفلسطين والبلدان العربية من الجنود البواسل والمتطوعين يقاتلون اليهود ويخوضون ميدان الدم ، كانت الاذاعة المصرية تذيع وصفا لمباراة كرة القدم بين فريق مصر والفريق المجري على ارض ثكنات مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفي الخامسة وهـ { دقيقة كانت تذيع عديدا من اغاني الحب والفرام في برنامج ما يطلبه المستمعون : ووسط هذا الجو الصاخب المرح الساهر ، تعلن جمعية الشبان المسيحية والنادي الشرقي انهما يؤجلان الحفلين الساهرتين بسبب الحالة في فلسطين ، فكان هذا التصرف من النادي والجمعية هو الوحيد المعبر عن الادراك والمشاركة من الفارقين في ميدان الطرب والترف .

ولا يختلف الوضع في دمشق وبغداد وبيروت عن الوضع في القاهرة ، جماعات من الشعب تتحدث عن زحف عسكري على فلسطين ، وجموع غفيرة تؤم دور السينما والمسارح وملاعب الكرة ، واندية القمار وفي اطمئنان ، كان الامر لا يعنىها ولا يشغلها : فبينما الابطال الفلسطينيين يترنحون تحت سلاح الصهيونية المستورد بعون امريكا وبريطانيا ودول أوروبا كلها ، وبينما كان الشعب العربي في سوريا يحترق الما على احداث

فلسطين كان جانب آخر منه يمثل عدم المبالاة والبعد عن مستوى المعركة وجديتها .

ولنقرأ صحف دمشق حيث تعلن : (٤٤)

مسابقة ذات جوائز مالية بمبلغ ١٠٠ ليرة سورية تقدمها ادارة سينما الشرق بمناسبة عرض فيلم الموسم الاجتماعي الكبير الذي سيعرض الاثنين ١٧ (فيلم سجن الليل)

سينما الاهرام : شادية الوادي
سينما عائدة : برج الاهوال .
سينما دنيا : الجبار .

ومثل هذه الاعلانات السينمائية لا توجد في بلد اعد نفسه لمعركة مصيرية وجهز شبابه ورجاله لخوض لهيب الجلاذ ، واذا كانت وسائل الاعلام احدى دعائم المعركة ، واذا كان الشعب يجب ان يستمع الى صوت قادته في مثل هذه المواقف التاريخية ، والى برامج مناسبة للمعركة تقوي الهمم وتنشر الحماسة في جماهير الشعب ، فان تلك الجريدة السورية تنشر برامج اذاعة لندن ، لندن التي ارست قواعد اليهودية في فلسطين وعملت على تشريد شعبنا واذلاله .

ولم يكن الوضع في بيروت يختلف عن ذلك الوضع في دمشق ، فلم تكن الصحف تعطي النفس الصورة الالهية : (٤٥) .

سينما هوليوود : فيلم سرايبي (الفيلم الفئائي العاطفي الراقص)
سينما روكسي : شمشون الجبار .
سينما دنيا : ايفي جون فوتين

واذا كانت الجريدة الدمشقية تنشر في يومياتها برامج B.B.C الاذاعة البريطانية ليتابع قراؤها العرب اخبار لندن ، فان الجريدة اللبنانية تنشر برامج اذاعة باريس باللغة العربية ، وعلم الله كم دست لنا هذه الاذاعات السم في الدسم ، وكم سربت في الاخبار ما يرضي العزم ويحطم القوى والجهد .

واذا كانت هذه هي مظاهر الامة العربية في القاهرة وفي بيروت ودمشق ، مظاهر الذين يحيون في دعة ، ويسيرون في سعادة ، ويرتادون الملاهي والملاعب والمساهر كأنهم في سلام مقيم ، او كأن النصر معقود لهم من لدن

(٤٤) جريدة القيس الدمشقية العدد ٣٦١١ الصادر في ١٦ من مايو (ايار) ١٩٤٨ .

(٤٥) جريدة صوت الاحرار البيروتية العدد الصادر في ١٥ من مايو (ايار) ١٩٤٨ .

عزيز حكيم ، فان الحال في بغداد لم يكن مختلفا ابدا :

« الافتتاح العظيم لكباريه دولاني روج شارع ابي نواس ، تفتح ادارة كباريه دولاني روج بالجوق الموسيقي الاستعراضى النسائي الايطالي ليماجيمس ، وتزف للجمهور الكريم وصول غادات البوسفور الرشيقات ليشتركن في المناهج الغربية مع جميع فنانات الملهى تركي - انجليزي ايطالي ، فرنسي - اسباني ، حفلات للعائلات كل يوم سبت من الساعة ٣٣ الى ٥ مساء .

فاذا اتجهت الى دور السينما في بغداد يوم ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ وما بعده وبينما كان الجيش العراقي يتجه الى المعركة ولا يعوزه الا امر اطلاق النار ، وجدت ان عددها في بغداد اربع عشرة دارا للسينما استمرت كلها عاملة في ذلك اليوم الخطير :

سينما روكسي : حكايات ماشهتان

سينما الرشيد : السهم الاخضر

سينما الحرية : لست ملاكا .

سينما غازي : السيدة تعارض .

سينما الفردوس : الفروب .

سينما ريجنت : الفارس الوحيد

سينما ديانا : غني حرب

سينما ميامي : سيسيل الجميلة

سينما الشرق الصيفي : بياعة اليانصيب

سينما الطوني : رصاصة في القلب

سينما ريكس : مناورات الفواصات .

سينما الفردوس الصغير : عنتر وعبلة

سينما الرشيد الصيفي : غدير وعذاب

سينما الوطني الصيفي : دنائير

وانه مؤسف ان تكون هذه هي حال العراق الذي طالما رفع اليه شباب العرب الانظار ولقبوه بروسيا الشرق، والذي طالما نادى شباب «نادي المثني» في ارجائه بنشيدهم الخالد : « بلاد العرب اوطاني »

هذه صورة الاوطان العربية او بعضها ، اما الآخر فاما انه كان قليل الجهد ضعيفه ، واما انه كان يزرع تحت استعمار ثقيل ولكنه يحاول ويحاول ، انها صورة الاوطان التي تأخذ الحياة رخية بالمرض والطول ، هي بعيدة عن الفهم العميق للمأساة التي مثلت خلال ثلاثين عاما ، وهي

بعيدة عن الاهتمام والانشغال بالنتائج المرتقبة لمركة يجب ان تجند فيها كل الامكانيات ، ولصراع رهيب وضعت قواعده ضدنا الصليبية الاستعمارية وبقينا نحن سادرين في غفلة وهو ودون مبالاة ، ولكن كل موطن من الاوطان العربية لم يخل من مخلصين كانوا يتحرقون الما لبعده واقع بلدانهم عن حقيقة المعركة ، وكانوا طلائع الحرية العربية فبعثوا بفدائيتهم الى الميدان يخوضون المعارك قبل دخول الجيوش ، وكانت مصر اكثر تلك الاوطان حماسة ، وكان فدائيوها يراسهم الشهيد احمد عبد العزيز يخوضون الضدام في صدق وعزم ، في عراق سويدان والخليل والفالوجا وضواحي القدس .

وكانت هناك جماعات ترسمت خطى المجاهدين الذين يدفعون ارواحهم في سبيل الله وبيحثون عن الشهادة ، كانت هذه الجماعات اكثر نداء واصدق نزالا في ميدان المعارك سواء منها من عبر الحدود من سوريا ام الاردن ام العراق ام من غيرها من ارض الكنانة وكان فيهم العديد من ابناء شمال افريقيا تسربوا على الرغم من واقع بلدانهم الاليم مع الاستعمار ، ولكنهم تسابقوا الى فلسطين فكلهم يرى ان المعركة واحدة وان المصير واحد . وكانت ليبيا تمثل المعبر لاولئك المتطوعين ، يصلون اليها سرا وسيرا على الاقدام ، وفيها يتمنون ويشجعون ، وترافقهم مجموعة من متطوعي ليبيا انفسهم ، وحين بدأ زحف الجيوش العربية كانت هناك قبور عديدة في فلسطين تضم تحت ترابها الناعم العدد الكثير من شهداء ليبيا وشمال افريقيا وغيرهم من المتطوعين .



المؤلف يتوسط بعض الشباب الليبي ، اثناء زيارة للنصب التذكري برامات راحيل بفلسطين حيث يرقد الشهداء الليبيون .

ولقد شهد لهم قواد الجيوش في القضايا التي نظرتها المحاكم عقب عام النكبة ، فوصفهم بأنهم أبطال النزال صادقو العزيمة ، يلتفون بالشجاعة ويقدمون في اعتزاز على الاستشهاد ولقاء الأعداء في صبر وثبات .

وفي ظل ميزانيات السلم التي لا تسليح فيها ولا تمرين ولا احتياطي ، زحفت جيوش عربية قوامها جنود وضباط مخلصون شجعان ، وقيادات سياسية تقبع وراء القصور في معظم العواصم العربية بعيدة عن جديّة المعركة وأخطار المستقبل البعيد ، وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذي تلاقت عليه المؤامرات الدولية والقرارات السرية والعلنية .

٦ - مأساة هجرة الفلسطينيين :

يسوقنا الواقع الفلسطيني في منتصف مايو (أيار) ١٩٤٨ الى التساؤل عن أولئك الذين احتلت الصهيونية ديارهم ، وعسكرت في منازلهم وحدائقهم بيافا ، وسلمة وحيفا وعكا وفي القسطل وضواحي القدس الجديدة ، ولقد علم أن اليهود كلما احتلوا أرضا عربية أعملوا فيها يد التخريب والدمار ، وأرسلوا الى أهلها شظايا القنابل ومجاميع الرصاص ، فعلوا ذلك في يافا يوم احتلالها ، رغم تعهدهم باحترام قوانين الحرب وعدم المساس بالمدنيين ، وفعلوا ذلك في حيفا حين رفضت الاستسلام فدكوها بجحافلهم وقتكوا بجموع الأهلين ، وفعلوا ذلك أيضا في مختلف القرى العربية فأشاعوا بين الشعب روح الارهاب والبحث عن النجاة ، والحق أن جرائم اليهود في فلسطين ضد شعبها العربي فاقت قدرة البشر على المقاومة والاحتمال ، فهم يقتلون من يلاقون في بدء زحفهم وبعد احتلالهم ، ثم يرغمون الآخرين تحت لذع الرصاص على مغادرة منازلهم واخراجهم الى البراري ومناطق احتلالهم ، كما حدث في اللد والرملة والقرى المحيطة بهما ، وكان اليهود يقصدون اخراج العرب من ديارهم ، ولهذا كانت أعمال الارهاب إحدى وسائلهم لنزوح العرب وهجرتهم ، ولعل قرية دير ياسين وما فعله اليهود فيها وفي قرية ناصر الدين ، لعل قصتهما تكفيان للحديث عن مبررات الهجرة الفلسطينية .

دير ياسين :

كانت هذه القرية العربية تعيش في بحبوحة من العيش الرخي ، يسكنها ٧٧٥ نسمة من العرب المسلمين ويملكون ١٧٠٠ دونم للحبوب والثمار ، وبينهم تجار ومقاولون ، ويحيون حياة يسر ورخاء ، كان فيها

مسجدان ومدرستان (٤٦) وناد للرياضة ، وكانت محاطة بمناطق يهودية يربو سكانها على مائة وخمسين الفا . (٤٧)

وفي بداية القتال بفلسطين اتصل قائد إحدى القرى المجاورة لدير ياسين بوجهائها قائلا : « مالنا ولغيرنا ، لا تمتدوا علينا ولا نعتدي عليكم » فوافقه الوجهاء ولم يحدث أي اعتداء بينهم .

وفي اليوم التاسع من ابريل (نيسان) ١٩٤٨ وقبل أن ترسل أنوار الفجر أشعتها ، والقرية نائمة هادئة ، كان اليهود يهاجمونها من جميع الجهات ، أرسلوا طائرة رمتها بعديد من القنابل ، وتقدم جنودهم تحميم خمس عشرة دبابة ، وكانت الحملة اليهودية كبيرة جدا ، ولم يكن المسلحون بالقرية يزيدون عن خمسة وثمانين مسلحا ، وصحا أهل القرية على انفجارات ، وهبوا يدافعون عن قريتهم وأراضيهم ، واستمرت المعركة الى الثانية والنصف ظهرا ، لم يشهم طحن الدبابات اليهودية لبعض أبطالهم ، ولا هدمها لمنازلهم ، وتحولت المعركة من بيت الى بيت ، ومن ركن الى ركن وشهد ذلك الصباح بطولات خالدة لسكان تلك القرية التي داهمها اليهود فجأة وعلى غرة . (٤٨)

ولم تتخلف نسوة دير ياسين ، بل كن يمددن القائلين بالذخيرة ، ويقفن في صف المعركة تلك المعركة التي لم تهدا الا عندما نفذت ذخائر العرب ، وعندما نفذت الذخيرة ، تمكن اليهود من تفتيش شوارع القرية ومنازلها ، واستحلوا القتل والتمثيل في سكانها ، لقد استطاع القليل من السكان اختراق صفوف اليهود بقوة بعض القنابل اليدوية ، وقتل من لم يستطع ، لا فرق بين الشيوخ والأطفال ، وكان بين النسوة خمس وعشرون حاملا رموهن كلهن بالرصاص . وداهموا الدور فقتلوا كبار السن ورموا بجثثهم من الشرفات (٤٩)

(٤٦) كارثة فلسطين ، ج ١ ص ١٦٩ .

(٤٧) كانت محاطة من الشرق بمونثفوري الجديدة وبيت فيضان والاحياء اليهودية الاخرى ، ومن الشمال الى الشرق بمستعمرة جيمات شاهل ومن الجنوب بمستعمرة يافنتوف ومن الجنوب الى الشرق بيت هاكيوم ، ومن الغرب بأراضي مؤتزا وأرزا .

(٤٨) مما يروى عن بعض احداث ذلك اليوم التاريخي أن محمد الحاج عايش قاتل بشجاعة حتى استشهد ، وكانت والدته السيدة حلوة زيدان ترقبه وتجاوره ، فلما استشهد زفرت لاستشهاده ، فاستلم بندقيته والده الحاج عايش ، وقاتل حتى استشهد ، وهناك لم يعد في بيتها احد ، فقتلت البندقية وقالت حتى استشهدت .

(٤٩) فعلوا ذلك بالحاج جابر مصطفى والحاج اسماعيل عطية وزوجته وحفيدها الطفل الصغير .

وبينما كانت امرأة عربية تحاول انقاذ زوجها الكفيف البصر محمد علي خليل وتقوده صارخة ضارعة اذ اطلقوا رصاصهم صاميين آذانهم عن دعاء الانسانية وبينما كانت السيدة سالحية محمد عيسى مع طفلها الصغير اذ اطلقوا عليها رصاصهم فقتلوهما معا، وتلك الشهيدة حياة البليسي المدرستي في القرية والتي كانت تسعف الجرحى حاملة شارة الصليب الاحمر اردوها شهيدة وسط جراحها واناتهم ، وهناك اسر ايدي معظم افرادها في تلك القرية، وفي ذلك الصباح الذي لا ينسى (٥٠) ولم يرحموا حتى النسوة العجز والشيوخ الكبار فقد كان رصاصهم يقصدهم ويحصدهم على مختلف احوالهم ، وقد مثلوا بالقتلى وارغموا الاسرى على ان يدوسوا جثثهم ، واخذوا سبعة من الاسرى فطافوا بهم شوارع القدس الجديدة ، ثم عذبوهم في شوارع القرية على مرأى من اسرهم : ثم غابوا في غياهب المجهول الى اليوم ، وانتهوا الى نسوة القرية اللاتي فاتهن دور الموت ، سلبوا حليهن وكل ما معهن وجردهن من الحجاب وسيروهن حافيات الاقدام عاريات الرؤوس والوجوه ، واخذت تلك الاشلاء الباقية من الاسر طواير في شوارع القدس بين سب اليهود وتشهيرهم ، ثم اودعن المستشفى الايطالي في ضواحي القدس الجديدة حيث توزع ذلك الجمع الحزين بين القدس العربية ومختلف القرى .

ان مناحم بيغن قائد عصابة الارغون التي تولت مع غيرها مجزرة دير ياسين ، يتحدث عن دفاع العرب عن قريتهم فيقول : « ان نارهم كانت حامية وقاتلة ، وقد اضطر اليهود ان يحاربوا العرب من شارع الى شارع ومن دار الى دار » (٥١) .

وقد تحدثت الحاجة زينب احمد موسى احدي نساء دير ياسين اللائي طوّف بهن اليهود في شوارع القدس ، تحدثت الى المؤرخ عارف العارف فذكرت : ان اليهود ارغموها بعد المعركة على ان تحمل زهاء ثمانين جثة من قتلهم في ذلك اليوم ، اما مجموع ضحايا العرب في دير ياسين فكان مائتين وخمسين شهيدا وشهيدة ، ويؤكد الكاتب اليهودي « هاري ليفين » ان الجماعات اليهودية الثلاثة اشتركت في تلك المجزرة البشرية سواء في ذلك شترن والارغون وجيش الهاجانا اليهودي وافاد الدكتور دي رينيه الذي تمكن من دخول القرية يوم الحادث ان عددا كبيرا من المدنيين غير المسلحين من الرجال والنساء قد ذبحوا ذبح الانعام .

(٥٠) لم ينج من اسرة زهران الا ثلاثة شبان وابيد معظم افراد اسرتي علي زيدان وعطية رجلا ونساء واطفالا .

(٥١) مناحم بيغن : الثورة ، ص ١٦٢ .

لقد حدثت هذه المجزرة ، وبلغ من فظاعتها ان اخذ اليهود جثث العرب ورموا بها في الابار واقفرت تلك القرية من كل عربي فيها ، وكان هناك مائة مسلح من جيش الانتفاذ الذي كونه الجامعة واشترفت عليه لجنتها العسكرية يعسكرون في عين كارم القريبة من دير ياسين ، وكان صوت الرصاص وصرخات النساء والاطفال يتردد في اصضاء اجوائهم ، ولكن احدا منهم لم يتحرك لانجاد دير ياسين ، اما الانجليز فقد صرح وزير مستعمراتهم مستر كريتش جونز في مجلس العموم قائلا : « ان جميع الحقائق التي توفرت لدينا تثبت هذه الجريمة القاسية ، وانني لا استطيع سوى التعبير عن الكراهية والاحتقار اللذين تشعر بهما حكومة صاحب الجلالة تجاه هذه الاعمال التي هزت العالم كله (٥٢) . وبينما يعبر الوزير البريطاني عن اسفه وكرهه للجنة ، يتناسى ان حكومته الاسفة كانت المسئولة عن الامن دوليا وقانونيا حتى الخامس عشر من مايو (ايار) ، وان هذه المجزرة كانت في التاسع من ابريل (نيسان) تحت سلطان علم بريطانيا ، وبالسلح الذي كونهت ووزعته طوال انتدابها ، بل انه يتناسى ان الجيش البريطاني والبوليس الخاضع للضباط البريطانيين كانوا يسمعون المعركة ويتابعونها من بعد ، لم يتحركوا لانهاها او حتى لانقاذ الاطفال والنساء والمدنيين غير المحاربين ، ولطالما اسرعت جيوش بريطانيا تلك حصار اليهود وتحارب العرب في كل موقعة تدرك ان جانب العرب فيها هو الغالب مما شرشنا بعضه في غير هذا المكان .

وفي عام ١٩٥٢ تكشفت في محكمة اسرائيلية حقائق رهيبة عن تلك المعركة ، فشهد السفاح « مردخان نوفمان » واضع خطة مذبحه دير ياسين انه اتفق مع « دافيد ليشيل » على ان تشترك عصابات الارغون وشستيرن تحت حماية مدافع الهاجانا ، وانهما تابعا المعركة التي استمرت من الرابعة صباحا حتى الخامسة مساء من قرية جبعات شاؤول .

هكذا مرت معركة دير ياسين بعد يوم واحد من استشهاد البطل الفلسطيني عبد القادر الحسيني في معركة القسطل ، وتركت هذه المذبحة عديدا من الاطفال اليتام والنسوة والارامل (٥٢) .

(٥٢) نكبة بيت المقدس ، ج ١ ص ١٧٦ .

(٥٣) زونا بالقدس عام ١٩٦٤ الانسة هند الحسيني التي اشرفت منذ تاريخ النكبة على تربية وتعليم اطفال القرية الحوية ، زوناها في دار الطفل ولقد راعنا منظر اولئك الاطفال الصغار الذين شبوا ونموا وتخرج بعضهم وما زال بعضهم يواصل الدراسة ، واستمنا اليهم بنشدون اهازيب العودة ، وينفنون بدير ياسين وايانا وحيفا وتلك المزاب الغالدة السلبية .

ناصر الدين :

الامن والسلامة ، حتى وصلت الى السودان والى مصر وفلسطين وسوريا
ولبنان وتونس والجزائر ، بل ان بعض قومي هاجر الى الهند ومنهم من
توفي هناك ، وان من قومي من ذابت عظامه في الصحراء حين هذه العطش
والتعب وهو مفارق وطنه باحثا عن الامن والملاجئ ، ولكنه لم يستطع الوصول
فعاثته الرمال الى الأبد .

وبالأمس القريب وتلك الثورة المجيدة في الجزائر تشتعل نارا ، كان
مئات الألوف من الشعب الجزائري لاجئا في المغرب وفي تونس وفي ليبيا
وغيرها من الاوطان في انتظار النصر الذي تحقق . وخلال الحرب العالمية
الثانية ونحن طلاب علم في مصر ، شهدنا جموعا عديدة من سكان الاسكندرية
وبعض قرى الدلتا تهاجر فزعة الى القاهرة لمجرد وصول الالمان الى
الصحراء ، وبعد بضع غارات جوية اكتظت بهم القاهرة وازدحمت ، لم
يلاموا ولم يؤنبوا على الرغم مما نشرته صحف ذلك العهد من ارتباك وحيرة
جموعهم حتى نسيت الوالدة طفلها وضمت الى صدرها مخدة مسرعة بها
الى القطار المزدهم الثقيل .

وهكذا ليس لنا ولا لاحد غيرنا ان يلوم الفلسطينيين على مفادرة
ديارهم امام نكبات التمثيل والقتل والذبح وفقدان التصير وقلة السلاح ،
على انهم غادروا اوطانهم وهم يتوقعون عودة سريعة بعد زحف جيوش الدول
العربية السبع ، كان ذلك منذ عام ١٩٤٨ وما زالوا يأملون ان تسمح لهم
هذه الدول بالاستشهاد والفدائية في مراتع الآباء والأجداد (٥٤) .

ولا سبيل للوم الشعب الفلسطيني على الهجرة ، والهجرة لم تكن بدعة
فاجأ بها الفلسطينيون باقي الأمم ، لقد هاجر المسلمون الاوائل الى الحبشة
فرازا من طغيان الجاهلية وتمصبها ، بل لقد هاجر محمد العظيم وأصحابه
في قصص تاريخي شهير الى المدينة حتى قوي عود الاسلام وعادوا محررين
لمكة ، ثم لانحاء بعيدة من العالم ، وما من بلد في العالم اشتعلت فيه او على
حدوده نار الحرب الا تكونت منه هجرة ، ذلك ان الشعوب لا تمثل كلها صفة
المحارب المسلح ، فمنها الشيخ الواهن والطفل الصغير والمرأة التي لم تعرف
في اوطان عديدة سلاحا ولا قتالا ، وكانت هذه الجموع تهجر دائما بعيدا عن
خطوط القتال ، فاذا قاربها خطوط النار ابعدوا أكثر وبحثوا عن
مواطن أخرى .

وحين تنادى الصليبيون في ارجاء أوروبا لطرده المسلمين من فلسطين عام

(٥٤) نعيد ما سبق ان ذكرناه من ان الكتاب كان قبل كراقة يونيو ١٩٦٧ .

ان ما حدث في دير ياسين تكرر بنفس الصورة في قرية ناصر الدين
العربية ، فأبيد سكانها وهدمت منازلها وأزالوها من الوجود .

أسباب الهجرة :

كانت هذه الفظائع اليهودية التي ذكرنا قسما منها على سبيل المثال
لا الحصر ، بما فيها من تمثيل شنيع ، شهد به من بقي على قيد الحياة ،
واعترفت به تقارير الصليب الأحمر الدولي من قطع الأيدي وبقر البطون
وفقاً العيون وسلم الأذان ، امام نظر الجميع من اسرى ومدنيين ، لا فرق
بين شيخ طاعن او طفل بريء ، كانت هذه الفظائع مدعاة لهجرة العرب من
الأماكن التي يحتلها اليهود او من تلك المهددة بفزروهم ، وانها لأسباب وجيهة
لا يستطيع أحد ان يلوم عليها الشعب الفلسطيني ، وماذا تكون الأسباب
المبررة للهجرة اذا لم تكن هذه الأسباب ، والتاريخ يشهد تكرارا دائما لاحدائه
وتقاربا لمبرراته .



اسرة عربية كانت في رخاء العيش بفلسطين ولكن الصهيونية ارغمتها
على الهجرة والتشرد فلنكن الماساة لدى كل عربي ومسلم حافظا للمعل .

هاجمت إيطاليا وطني الصفيير ليبيا عام ١٩١١ ، وعلى طول تاريخ
الجهاد وحتى عام ١٩٣٤ وجموع قومي تغادر الوطن مهاجرة وباحثا عن

١٠٩٥ م وجاءت جحافلهم الكبيرة تشق أوروبا مارةً بعددٍ من الأوطان وحاملةً معها دوافع النهب والسلب ، هربت الشعوب أمامها وخلفت مشكلةً لاجئين كبيرةً حتى في الأراضي الصليبية التي اجتازتها في أوروبا ومشارف آسيا ، تقول مجلة « الراعي الصالح » لبطريك الروم الأرثوذكس بالإسكندرية : « كانت أنباؤهم المتكررة ، وما أترفوه من فظائع ، وما ارتكبوه من موبقات ، تسبقهم إلى الأراضي التي كانوا يزعمون اجتيازها ، وكان سكانها يغادرون مدنهم ومساكنهم حاملين معهم كل ما يملكون هرباً من لقائهم »

وبالأمس حين كانت جحافل الألمان تفروا فرنسا عام ١٩٤٠ كانت إحدى مشكلات باريس العويصة تناقص المواد الغذائية ، وتزاحم الدور والشوارع بالفرنسيين المهاجرين من مناطق القتال ، وفي هذا المعنى يقول المؤرخ البريطاني العالمي أرنولد توينبي : « عندما غزا الألمان فرنسا عام ١٩٤٠ هرب بضعة ملايين من شمال فرنسا لأنهم كانوا في منطقة العمليات الحربية - وهو نفس السبب الذي هرب منه عرب فلسطين - ولو قال الألمان لقد غزونا البلاد وكان هؤلاء الفرنسيون قد نفذوا نصيحة غير سديدة فهربوا - كما يقول اليهود اليوم - وغداً لنا حق شرعي في ممتلكاتهم لكان جوابنا أنه كلام سخيف » (٥٦) .

وحين زُحفت جيوش الألمان على روسيا ، تكونت هناك أزمة هجرة ثقيلة بسبب الآلاف والملايين التي غادرت مساكنها ومزارعها متباعدة عن تطاحن الجيوش باحثة عن مأوى تنشد فيه الأمان ، وحين كانت المعركة تدور في ستالينجراد من شارع إلى شارع ومن دار إلى دار ، كانت المدينة قد اخلت من سكانها ، وكان القتال بين جيشين مسلحين ، وخلف خطوط القتال كان الجهاز الروسي الحكومي غارقاً للأذقان في مشكلات اللاجئين من مناطق عديدة .

ونحن حين نتحدث عن فلسطين وأسباب هجرة شعبيها ، نجد أن تلك الأسباب المعروفة للبشر والتي طوعت عديدهم على الهجرة في مختلف الأوطان ، كانت أهون من أسباب هجرة شعب فلسطين ، ذلك أن تلك الجيوش الأوروبية المتطاحنة في معارك النلاندر ودنكرك وبلجيكا وغيرها ، والتي خلفت هجرة كبرى في جميع مناطق أوروبا حتى أسس لها الحلفاء منظمة خاصة ترعى اللاجئين ، وتعيدهم بعد الحرب إلى منازلهم ، لم تكن

تلك الجيوش تبعد الأمنين وتمثل بالنساء والأطفال ، ولم تكن تهدم المساكن على ساكنيها ولم تكن ترغب الأحياء قبل قتلهم على دوس أحبائهم القتل بالافدام ، ولم تكن تمثل بقتلى المارك ولا ترمي بالرجال والنساء من شرفات العمارات ، ومع انعدام هذه الأفعال المرهبة المفرقة في الوحشية ، فقد فرت جموع المدنيين من مواطن عديدة من أوروبا أمام جحافل الغزاة ومناظر الحرب .

أما ما حدث في فلسطين ، فقد كان العكس تماماً ، ذلك أن اليهود ارتكبوا كل تلك الفظائع ضد المدنيين الذين وجدوهم بعد المارك ، وانتشرت بين الجموع أبناء المجازر المحزنة ، بل أن اليهود عمدوا إلى تقديم من زوى الأحداث ممن عاصرها فتركوا قسماً صغيراً اغرقوه في الأذلال وساقوه في الشوارع مهاناً ، ثم فتحوا له باب الخروج إلى مناطق عربية ، وهو بقية من معركة وقطعة منهار من إنسان تجمعت كل عوامل القهر عليه ، ومن المهم أن نستشهد هنا بأقوال المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي وهو يرد مواجهة على سفير إسرائيل في كندا فيقول : « بعد مذبحه دير ياسين التي أيد فيها الجنسان من جميع الأعمار في القرية العربية الواقعة غربي القدس على أيدي قوات إسرائيلية مسلحة كان أفراد الهاجانا يسيرون في سيارة مجهزة بمكبرات الصوت وينادون باللغة العربية : أيها العرب نحن فعلنا ذلك بسكان هذه القرية فإذا لم تشاءوا أن نعمل بكم مثل ما فخرجوا من هذه الديار ، وحينئذ كان على جميع الواقمين ضمن المنطقة الحربية عن حكمة منهم أو لانهم في خطر الموت أن يخرجوا . . الأ يخرجون في تلك الحال ؟ » (٥٧) .

ومع كل هذه المبررات للهجرة ، فإن الأمر في فلسطين جد مختلف ، ذلك أنه على الرغم من انتشار تلك الأنباء الحزينة المرعبة في أنحاء فلسطين ، فإن التاريخ يحفظ لذلك الشعب أنه لم يترك أرضه وبلاده لمجرد الأرهاب ، فقد دلت الإحصائيات الرسمية أن أغلب أولئك الذين لجأوا كانوا من الذين يعجزون عن حماية أنفسهم ، أولئك الذين اجتمعت الشرائع والقوانين على حمايتهم إلا شريعة جيش اليهود في فلسطين ، فقد كان ٣٠٪ من اللاجئين أثناء ذلك القتال من أطفال لم يبلغوا الخامسة من عمرهم ، وكان ٣٦٪ من أعمار تتراوح بين السادسة والثامنة عشرة ، و١١٪ من نساء حوامل وأمهات مرضعات ، و٨٪ من الشيوخ والمرضى والمعجزة ويبلغ هذا ٨٥٪ من النسبة المئوية للاجئين (٥٨) ، فإذا أضفت إلى هذا أن المرأة العربية لم

(٥٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٥٨) دكتور محمد طلعت الفيني : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية

١٩٦١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٥٥) ثبت تاريخياً أنه كان هناك سبب آخر لم يفعله الألمان في فرنسا وهو ما فعله اليهود

من قتل الرجال والنساء والأطفال قتلاً جماعياً .

(٥٦) فلسطين جريبة ودفاع ، ص ١٠٨ .

تكن محسوبة من المحاربين ، وإن العرب يعتبرون المرأة عرضا يجب إبعاده عن ميادين تستوي فيها احتمالات النصر والهزيمة ، تبين لك بعد ذلك أن الرجال لم يهاجروا من أوطانهم ولم يفروا من أرباب اليهود ، ولكنهم تحصنوا ودافعوا وبدلوا الكثير .



يا أبناء العرب وابناء الاسلام هذه حرائر من فلسطين ارغمن على الهجرة ، ما هو مستقبل اسركم ، زوجاتكم وبناتكم واطفالكم حين تبدأ الصهيونية برنامجها الكبير ؟

أن الذي حدث ، أن اليهود انفسهم حين ادركوا ان شعب فلسطين مستئس قتلًا ، و متمسك بالبقاء أخذوا على انفسهم مهمة الطرد والترحيل ، فتلك اللد والرملة تحصن فيهما الشعب العربي مجاهدا طوال القتال من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ الى مايو (ايار) ١٩٤٨ ، ثم من دخول الجيوش العربية في ١٥ مايو (ايار) الى ما بعد الهدنة الاولى ، ثم ما كاد الجيش الواقع تحت قيادة جلوب يتخلى عن مساعدة الشعب الذي قاتل طويلا ، فانهاك ونددت ذخائره حتى استطاع اليهود احتلال المدينتين ، وكان اول اجراء هو اباحة القتل للجميع عند مدخل الفزاة ، وحين لم ينزح عنهما السكان صدرت اوامر الحاكم العسكري اليهودي بطرد الجميع عبر الطريق

الشاق خارج مناطق الاحتلال اليهودي . وسبق الرجال والأطفال والشيوخ والحوامل والمعزة وسط الهجير القاتل الى حيث يبعدون ويسببون نحو المناطق العربية .

على ان طرد العرب من ديارهم وارغامهم على الهجرة واستعمال جميع الوسائل الهمجية المربكة المفزعة المدمرة لآخراجهم وأحلال اليهود محلهم ، كل ذلك كان متفقا عليه بين الصهيونية العالمية وساسة بريطانيا على مختلف التواريخ ، وذلك كاتب يهودي شهير هو « ابن آفي » ينادي عام ١٩٢١ : « على اليهود ان يطهروا وطنهم فلسطين من المفتصين ، وان على سكانها المسلمين ان يرحلوا الى الحجاز والصحراء والمسيحيين ان يرحلوا الى لبنان » (٥٩)

والقاضي برانديز الأميركي اليهودي مستشار الرئيس ويلسن عام ١٩١٦ يصرح آنذاك « ان القصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة الى فلسطين ان يصبح اليهود اكثرية السكان فيها وان يرحل العرب عنها الى الصحراء » .

وفي اكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٣٠ نشرت جريدة المناشستر غارديان بيانا وقعه كبار الساسة البريطانيين منهم تشرشل وتشمبرلن ولويد جوج وهارولد لاسكي وغيرهم جاء فيه « انه كان مفهوما لدى الحكومة البريطانية عند اصدارها لتصریح بالفور عام ١٩١٧ ان يصبح اليهود اكثرية ساحقة في فلسطين » . وذلك وايزمان زعيم الصهيونية الاكبر ، ينشر مذكراته بعد نكبة العرب عام ١٩٤٩ ويقول : « لقد تمهدت لنا بريطانيا حين وعدت بمساعدة الصهيونية في فلسطين ان تسلمها لنا خالية من سكانها العرب ، وكنا على وعد بتنفيذ ذلك عام ١٩٣٤ ، غير ان ثورات العرب العديدة التي لم تكن في الحسبان اجلت ذلك التنفيذ » . وفي عام ١٩٤٤ أصدر حزب العمال البريطاني قرارا اجماعيا يطالب فيه بفتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة ، واخراج العرب منها .

ولعل هذه الحقائق مجتمعة تكفي لدرء الشبهة التي طالما روجها السطحيون عن هجرة فلسطين تلك الهجرة التي تجمعت لخلقها اسباب لا تقوى شعوب عديدة ان تتحمل جزءا منها ، فلم تكن تلك الهجرة بيعا من عرب فلسطين لبلادهم او تهاونا منهم في التمسك بوطنهم ، ولكنها كانت ضرورة لا مناص منها (٦٠) .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

وهجرة هذه أحداثها ، وتلك أسبابها ، ليست في حاجة الى اذن من الزعماء والمسؤولين ولا من قادة فلسطين في ذلك الوطن ، بل لقد ثبت ان القيادة الشعبية التي كانت تتمثل آنذاك في الهيئة العربية العليا عملت على احباط الهجرة ومقاومتها ، وابتقت بذلك الى رؤساء الوزارات في سوريا ومصر ولبنان (٦١) ، غير ان تعاون الاستعمار البريطاني والصهيونية لتنفيذ الاتفاق باخلاء فلسطين من العرب ، كان اقوى من الشعب العربي في فلسطين بوسائله المهلكة الخطيرة واقوى ايضا من الدول العربية السبع التي لم تستطع ان تتخذ ما يحمي او يساعد المناضلين الا في اضيق الحدود .

٧ - الارهاب وتعاليم التوراة :

ومع كل الوحشية التي رافقت قتال اليهود وارهابهم للعرب ، فإن هؤلاء التزموا بأداب الحروب برغم الغرض العديدة التي سحنت لهم لينتقموا او يسرفوا في القتل ، ولسنا نحتاج الى انتظار طويل بحثا عن سبب أو تعليل ، ان السبب يرجع الى العقيدة التي شب عليها الطرفان المتقاتلان ، وهي عقيدة تنبع لدى كل منهما من صميم ديانتهم وكتبه المقدسة وسيرة اسلافه السابقين .

لنتنظر قليلا الى الجانب اليهودي وما هي تعاليم دينه في معاملته المهاجرين أو غير المحاربين ، فالتلمود وهو الكتاب الذي يضم تعاليم وآداب ديانة اليهود مليء بكل ما يحقر البشر باستثناء اليهود ، وهو يبيح لهم ذبح غيرهم وابتزاز اموالهم بمختلف الطرق والوسائل ، وهو يدعوهم الى ذبح كل فرد في اي بلد يحتلونه ولا يوصيهم بغير الحفاظ على الذهب والفضة .

فلنستمع الى أحد كبار رجالهم وهو الرابي « اليو » الذي يقول : « سلبت الله اليهود على اموال باقي الأمم ودمائهم » والرابي « اليو » في هذا انما يطبق تعاليم التلمود كتابهم المقدس ذلك الذي يقول في وضوح : « أقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودي أن ينجي احدا من باقي الأمم من هلاك ، ويخرجه من حفرة يقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين » . ويدعو التلمود علنا الى سفك دماء الناس فيقول : « من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكفار يقرب قربانا الى الله » .

ولكن لماذا نستشهد بالتلمود الذي يأتي في اليهودية في الدرجة الثانية

(٦١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٧١ .

بعد التوراة ، ترى هل كانت توراتهم المحرفة بعيدة عن وصايا سفك الدماء واذلال الشعوب وطردهم من اوطانهم ، لنعد بسرعة الى التوراة كتاب اليهود المقدس ، تقول التوراة في عدد ح ٣٣ ع ٥٥ ، ٥٦ : « ان لم تطردوا سكان الارض من امامكم يكون الذين تستبقون منهم اشواكا في اعينكم ، ومناخس في جوانبكم ، ويضاقونكم على الارض التي انتم ساكنون فيها » واننا لنجد هذا القول في التوراة يدعو صراحة الى طرد الشعوب من اوطانها ويحذر من ابقائهم فيها وهو ما طبقته الصهيونية في فلسطين .

ثم تتجه هذه التوراة المحرفة الى دعوة الابادة لتلك الشعوب فتقول في تثنية ح ٢٠ ع ١٠ - ١٧ ما يلي : « حين تقترب » من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فان اجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعوب الموجودة فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وان تسالك فحاصرها واضرب جميع ذكورها بحد السيف ، واما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة اعدائك التي أعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم ها هنا .. واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة واحدة » (٦٢)

واذا كانت الفقرات السابقة من التوراة تعطينا حق الفكر المتشكك في صدق هذه التعاليم ومقدار صدورها عن ارادة الهية عليا ، فان في التوراة فقرات اكثر وضوحا وتحديدا من تلك التي اوردناها سابقا ، كانت التوصية ليوشع بن نون ، ذلك الذي خلف موسى بعد التيه ، ثم قاد غزوهم الاول على اريحا العربية الآمنة عام ١١٨٩ ق.م. « اهلكوا .. حرقوا .. كل ما في المدينة (اريحا) من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى البقر والغنم والحميمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ، انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب » ، اذن بهذه الروح الموقلة في الوحشية والتي لا يشبعها الا قتل كل السكان وحيواناتهم وحرق مدنهم ، دخل اليهود المدربون المسلحون معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وقابلوا فيها شعبا عربيا يستوي في حب السلام المسيحي فيه والمسلم .

٨ - السمو في الحرب وتعاليم الاسلام :

اما الروح التي حارب بها عرب فلسطين غزو اليهود ووحشيتهم ،

(٦٢) فتحى الرملي : الصهيونية اعلى مراتب الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٥٦ .
وليقرأ هذا سكان المنطقة العربية كلها فاصيها ودانيها ليتأكدوا اي مصر ينتظر اقبالهم اذا لم يحققوا بينهم ما يوقف هذا السرطان الذي نما في ارضنا السليب واخذ يزداد نموا .

فكانت امتدادا لتاريخ العرب وتطابقا مع دينهم وتعاليمهم ، هذا هو الخليفة الأول الصديق أبو بكر يوصي الجيش الذي جهزه محمد الرسول العظيم (صلى الله عليه وسلم) وتوفي قبل رحيله ، فيقول مخاطبا قائده أسامة ابن زيد وجنوده « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تدبجوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا مأكلة ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » .

وعلى هذا المنوال سار المسلمون في فتوحاتهم ، دعاة خير وسلام ، وائمة للناس وهدى ورحمة ، فلم يكونوا إلا كما قال عمرو بن العاص لابنة المقوقس ارمانوسة الاسيرة وهو يبعثها مصونة محترمة لوالدها : « أبلغي والدك عنا أننا لسنا على غارة نقرها ولكننا على نفوس نغيرها » (٦٣) .

ودخل المسلمون الأبعاد البعيدة في الدنيا فما ضج شعب من فتحهم ، ولا سجلت عليهم استباحة للدم ولا قتال في غير ميدان حرب ، لقد أخذوا الشعوب بالاحترام والعزة ، وطبقوا مع الجميع تلك الكلمة الخالدة ، التي أرسلها محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) يوم أن تمكن من أهل مكة الذين أخرجوه من موطن آبائهم ، وآذوه وحاربوه ، وعذبوا أصحابه وقتلوه ، وانتظروا جميعا أن يأخذهم هذا الفاتح المنتصر بحد السيف فينتقم ويهدر دماءهم ، ولا حامي لهم يومئذ ولا مدافع ، ولكن محمدا الذي بعث بالاسلام لا يعرف الأذى غاية يسعى إليها ولا يقر الجبروت عند الأقتدار ولا الانتقام عند الانتصار ، بل أنه يدعو إلى الأخذ بالحسنى والعفو عند المقدرة ، وينادي سكان مكة العتاة « يا أهل مكة ما تظنون اني فاعل بكم ؟ » وتضطرب أفئدة تلك الحشود المهزومة ، وهي تواجه مصيرها المجهول وتردد بعبارات الود والأمل ، وتسمع لصوت الرحمة ونبيها محمد العظيم (صلى الله عليه وسلم) يقول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وذلك الخليفة الثاني الفاروق عمر ، يدخل بيت المقدس فاتحا فيعطي الأمان لجميع سكانه ، ويرفض أن يصلي في كنيسة القيامة قائلا لسيد المدينة المفتوحة : « ما كان لعمر أن يصلي في كنيسة القيامة ، فيأتي المسلمون من بعدي ويقولون هنا صلى عمر وبينون عليه مسجدا » ثم ابتعد رمية حجر وفرش عباءته وصلى (حيث يوجد بالقدس الآن مسجد عمر) وذلك المسيحي من سكان بيت المقدس الذي أكل الجيش العربي الناتج ثمار بستانه فجاء يشكو إلى القائد أبي عبيدة بن الجراح أمير الجيش ، فلا تأخذه العزة

(٦٣) من مقال المرجوم مصطفى صادق الرافعي « اليمامتان » .

بالنصر ، ولا يستكبر عن مخاطبة مسيحي من الشعب المغلوب ، ولا يرى في ماله رزقا مباحا لجند أنهمكهم التعب وفرحوا بالعنب يلتقطونه من أعواده ، بل ركب دابته وذهب مسرعا يتأكد ، ثم سأله كم كنت ترجو من حصيلته ، وأمر له بالمبلغ الذي قدره ثمنا لذلك العنب المأكول ، بل لقد فرض عمر هبات وأعطيات لكبار السن من سكان بيت المقدس المسيحيين ، عاملهم كما يعامل أبناء العروبة الغزاة الفاتحين تحت راية الاسلام .

وذلك صلاح الدين الايوبي يحطم جيوش الغرب الصليبية في حطين، ثم يدخل بيت المقدس فاتحا يوم الجمعة ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ الموافق ٢ من اكتوبر (تشرين الأول) ١١٨٧ م ، لم يفكر أن يعامل الجيش الصليبي المهزوم نفس المعاملة التي لقيها المسلمون منهم حين احتلوا بيت المقدس قبل ٨٨ عاما وقتلوا كل مسلم فيها .

انه لم يفعل هذا بل تساهل معهم وتسامح ، وافندى بنفسه عشرة آلاف صليبي ، وافندى اخوه سيف الدين ابو بكر سبعة آلاف آخرين ، وسمح للجند الصليبي المسلح ان يقادر القدس مع الاطفال والعائلات خلال اربعين يوما ، ضامنا لهم الأمان الى محالهم الجديدة ، بل انه امر ان توزع الصدقات على الفقراء والارامل والمرضى واليتامى والمعدمين من الصليبيين ، وان يمدوا بالدواب لتوصلهم الى حيث يرغبون ، وسمح لرجال الصحة الذين حاربوه ان يواصلوا معالجة المرضى والعناية بالحجاج المسيحيين ، وسمح للمسيحيين من سكان بيت المقدس بالبقاء فيه لا يؤذون ولا يخرجون ، بل أسند بعض الأعمال الى عدد منهم ، وحين اشار عليه احد اعوانه ان يمنع الصليبيين من اخذ ما حلوا به القبور والكنائس من جواهر قائلا : « أعطيتناهم الأمان على اموال الكنائس والأديرة » (فقط) رفض صلاح الدين أن ينحرف عن المعنى المهذب لروح الاسلام المنتصر ، وأبى أن يوجد لأي معلق بابا يلجه لاثامه بالفدر أو تناسي الوعد وسمح لمن يرغب الرحيل أن يأخذ كل ما يريد ، ومثل هذا حدث في جميع فتوحات المسلمين في الشام والعراق ومصر وشمال افريقيا ، وحدث أيضا من عرب فلسطين حين انتصروا في معارك كثيرة .

وبعد ، لئن ذكرنا وصايا وأوامر كتب اليهود المقدسة من توراة السى تلمود وواضحنا نهجها الغريب ، فإن مسلك الحديث يسوقنا السى ان نقول : « ان التربية الاسلامية كلها كانت تمنع غير العمل الشريف والفعل السليم ، فالقرآن الكريم يقول : « وقل للذين أتوا الكتاب والاميين ، اسلمتم ، فإن أسلموا فقد أهتدوا ، وأن تولوا فانما عليك البلاغ ، والله

بصير بالعباد « وهو القائل أيضا : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون » . ونبي الاسلام الذي سار المسلمون على هديه هو الذي يقول : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما » .

أحداث... وأقوال

على أن هذا البحث الذي جرتنا الى التوراة والتلمود ، يوجب ان نسجل طعننا في سلامة التوراة من تلاعب الرثيين اليهود الذين أشاعوا تقديسها ونشرها بين الناس ، ويقول باحث عربي « ان التوراة هي السجل التاريخي لثورات بني اسرائيل، ومن ثورات اشتقت كلمة توراة، واذا كانت التوراة قد كتبت بعد موسى بسبعمئة سنة على الاقل، وهذا ثابت تاريخيا ففي استطاعتنا ان نقرر بكل اطمئنان ، ان اكثر ما تضمنته من وقائع وقواعد وتعاليم قد صب في القالب الذي يتلاءم مع الظروف التي كتبت فيها بلا جدال ، ولا استطيع ان أتصور ، ولا أريد أن أصدق ما ينسب الى موسى مثلا من أنه طلب الى بني اسرائيل في ليلة الخروج أن ينهبوا المصريين ، وأن يستولوا على اكثر ما يستطيعون من تقودهم ومصوغاتهم تحت ستار الاقتراض حتى يأخذه معهم في المهجر الجديد الذي يشدون الرحال اليه في فجر اليوم التالي (١٤) .

اما التلمود فقد كتب بعد موسى بألفين وسبعمئة عام ، ومع هذا جاء صورة مكررة لدعاوى العدوان والافساد ، والتي تضمنتها تلك التوراة التي لا ريب أن احبار اليهود بعد سبعمئة عام من موسى كتبوها متناسين بها التعاليم الطيبة والأخلاق الكريمة التي نادى بها موسى كصاحب رسالة واحد هداة البشر ، وأن كانت بعض الاصحاحات أثبتت تواصي الرب لموسى (١٥) حين طلب اليه التوحيد المطلق والمنع البات لعبادة اي شيء غيره وعدم الحلف بالله باطلا ، وتكريم الوالدين والنهي عن القتل والسرقة والزنا ورد كل ضال من البهائم ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة وقتل القاتل ، ولكن احبار اليهود وهم دعاة دم ، أطمعهم احتلال اجدادهم الأقدمين لاريا وسفكهم دماء سكانها ، وتوالي ثوراتهم العمياء المدمرة لا يمررون على تواصي موسى ويتركونها بريئة نظيفة ، بل هم يضيفون اليها من الراي ما ينفر كل مفكر وذو عقيدة .

« اذا رفض اصحاب الأرض او مشغلوها (في فلسطين) السماح للمنشئين (اصحاب المشاريع من اليهود) بوضع يدهم على الأرض فلرئيس محكمة الأرض ان يقضي بتسليم الأرض للمنشئين »

المادة ٧ - قانون نزع الملكية بفلسطين

« يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة »

الفقرة الثالثة من المادة ٤٦ من دستور فلسطين

« بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الاراضي الميري الى اراضي ملك فيخول المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الاراضي الميري في فلسطين »

تعديل المادة ١٦ من دستور فلسطين

« ان تسعة اعشار الاراضي التي اشتراها اليهود بفلسطين حتى عام ١٩٢٩ اشتروها من ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين »

الصهيوني دكتور روبين امام لجنة التحقيق ١٩٢١

« اني معجب كل الاعجاب بكفاح عرب فلسطين وبسالتهم »

هتلر في حديث مع السيد خالد القرقي ١٩٢٥

« كانت قوانين الانجليز في فلسطين تحرم الحلال وتحلل الحرام في سبيل انتزاع الأرض والاضرار بالعرب الذين قاوموا الى ابعد حدود المقاومة واقدموا على اعمال فوق طاقة البشر ليصونوا تراث آبائهم ووطنهم »

حبيب جاماتي مجلة الصور سبتمبر ١٩٦١

(١٤) الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(١٥) محمد عزة دروزة : تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، ج ١ ص ١٥ .

« ان اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملك لعرب فلسطين ، ان النسبة الكبيرة من الأرض والبيوت والأموال المنقولة وأشجار الفاكهة وغيرها هي للعرب اللاجئيين الذين يعيشون على مدى البصر من املاكهم في ظروف الشقاء والقنوط »

ارنولد توينبي في مناظرته مع سفير اسرائيل بقاعة جامعة كندا

« لقد كشف عرب فلسطين الأبطال عن صواب الرأي القناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه ، وتأسوا فسنوا للكرام التأسيا . وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالاقلام ، وهذا هو الواجب شرعوه لكل العرب وهذه هي المقدمة فأين الكتاب ؟ وطليعة فأين الكتاب ؟ وواجب فأين مالا لا يتم الواجب الابنه »

الشعر الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

رب وا معتصماه انطلقت
لمست اسماعهم لكنها
لا يلام الذئب في عدوانه
عمر ابو ريشة يتحدث عن النكبة في قصيدته (امتي)

هذي فلسطين فاضمد جرحها الدامي
وقل لأبطالها المستشهدين كذا
جدتم بأرواحكم دون البراق ومن
الشاعر اللبناني امين ناصر الدين

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ، ومن يولتهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى
فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

قرآن كريم

الفصل الحادي عشر

صلاة شعب فلسطين

أمام المحن

١ - تصحيات الشعب العربي عبر التاريخ :

كان العدوان على فلسطين في اغلب مراحل التاريخ يمثل الاعتداء على الوطن العربي وعلى المسلمين في مختلف ديارهم ، وكان الفلسطينيون يمثلون فيه دور الطليعة المدافعة ، وسكان الثغور الاولى الذين يتلقون الهجوم ويدفعون الضحايا .

ففي الخامس عشر من يوليو (تموز) ١٠٩٦ عقد الصليبيون مجلسا للشورى ، واصدروا حكم الاعدام على كل مسلم في مدينة القدس ، وظلت الدماء تنهمر مدة اسبوع كامل قاموا خلاله بأعمال فظيعة ومنكرات يقشعر لها البدن ، حتى قال راييموند اجليس « ان الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » وقال مكسيمو موند « لم يسلم من سيوف المسيحيين احد لا من الرجال ولا من النساء ولا من الاطفال ، وظن المسلمون أن مسجد عمر يحميهم من الموت ، ولكن ظنهم قد خاب اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور وأبادوا كل من وجدوه بحد السيف وقد ذم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية(١)

بل قد امر الصليبيون اهل بيت المقدس ان يجمعوا قتلهم ثم يحرقوهم بالنار ثم قتلوا الآخرين ايضا (٢) .

(١) مكسيمو موند : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٢ .

(٢) شحاته الخوري ونقولا الخوري : تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ، ص ٧٠ .

« ان اسرائيل بكاملها لا زالت من وجهة شرعية ملك لعرب فلسطين ، ان النسبة الكبيرة من الأرض والبيوت والأموال المنقولة وأشجار الفاكهة وغيرها هي للعرب اللاجئين الذين يعيشون على مدى البصر من املاكهم في ظروف الشقاء والقنوط »

ارنولد توينبي في مناظرته مع سفير اسرائيل بقاعة جامعة كندا

« لقد كشف عرب فلسطين الأبطال عن صواب الرأي القناع ، وفتحوا باب الموت على مصراعيه ، وتأسوا فسنوا للكرام التأسيا . وهذا هو العنوان كتبه عرب فلسطين بالصفاح لا بالاقلام ، وهذا هو الواجب شرعوه لكل العرب وهذه هي المقدمة فاين الكتاب ؟ وطليعة فاين الكتاب ؟ وواجب فاين مالا لا يتم الواجب الابنه »

الشعر الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٧

رب وا معتصماه انطلقت
لمست اسماعهم لكنها
لا يلام الذئب في عدوانه
عمر ابو ريشة يتحدث عن النكبة في قصيدته (امتي)

هذي فلسطين فاضمد جرحها الدامي
وقل لأبطالها المستشهدين كذا
جدتم بأرواحكم دون البراق ومن
الشاعر اللبناني امين ناصر الدين

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ، ومن يولتهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى
فئة ، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

قرآن كريم

الفصل الحادي عشر

صلاة شعب فلسطين

أمام المحن

١ - تضحيات الشعب العربي عبر التاريخ :

كان العدوان على فلسطين في اغلب مراحل التاريخ يمثل الاعتداء على الوطن العربي وعلى المسلمين في مختلف ديارهم ، وكان الفلسطينيون يمثلون فيه دور الطليعة المدافعة ، وسكان الثغور الاولى الذين يتلقون الهجوم ويدفعون الضحايا .

ففي الخامس عشر من يوليو (تموز) ١٠٩٦ عقد الصليبيون مجلسا للشورى ، واصدروا حكم الاعدام على كل مسلم في مدينة القدس ، وظلت الدماء تنهمر مدة اسبوع كامل قاموا خلاله بأعمال فظيعة ومنكرات يقشعر لها البدن ، حتى قال راييموند اجليس « ان الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب » وقال مكسيمو موند « لم يسلم من سيوف المسيحيين احد لا من الرجال ولا من النساء ولا من الاطفال ، وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت ، ولكن ظنهم قد خاب اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور وأبادوا كل من وجدوه بحد السيف وقد ذم المؤرخون قسوة هؤلاء الجنود البربرية(١)

بل قد امر الصليبيون اهل بيت المقدس ان يجمعوا قتلاهم ثم يحرقوهم بالنار ثم قتلوا الآخرين ايضا (٢) .

(١) مكسيمو موند : تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٧٢ .

(٢) شحاته الخوري ونقولا الخوري : تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية ، ص ٧٠ .

ويصف مؤرخ مسيحي ضحايا الفلسطينيين في ذلك اليوم الرهيب فيقول : « لقد سكر الصليبيون بخمرة النصر ، فاستيقظت فيهم روح الغلبة والاستعمار ، واقتربت هذه بحب السفك والقتل والانتقام فصالوا في المدينة قتلا ونهباً ، وكانوا يتعقبون المسلمين في كل مكان ، ولم يحممهم المسجد المعروف بالصخرة حيث فتكوا بهم ، وذبحوا آلاف اللاجئين اليه من رجال ونساء وأطفال أبرياء هذا ما فعله ويا للأسف اصحاب الصليب المبشرون ، ودعاة الدين الذي يأمر بالصفح والسلام (٢) .

ويصف مؤرخ فرنسي تلك الأحوال فيقول « كان المسلمون يذبحون ذبح الأنعام في الشوارع والمنازل ، ولم يجد أهل المدينة محلاً أميناً يعتصمون به ، فالتقى بعضهم نفسه من فوق الأسوار وازدحم الآخرون في القصور والمساجد والحصون ، ولكن ذلك لم يجدهم نفعا ، فهاجمهم الصليبيون وأعملوا السيف في رقابهم من غير شفقة ولا رحمة ، ولم يكن يسمع في تلك الساعة الرهيبية غير أنين الجرحى وحشجة الموتى ، كذلك وطئوا بخيولهم الجثث المكدسة أثناء مطاردة الهاربين ، كما أحرقوا البعض حياً ، ثم جاءوا بمن لاذوا بالفرار ووضعوه على جثث الموتى المكدسة ومثلوا بهم أشنع تمثيل ، ولم تكن تجدي في الموقف الدامي دموع النساء ولا صراخ الأطفال ، وقد استمرت هذه المذبحة أسبوعاً (٤) .

ولعل ذلك الخطاب الذي أرسله الصليبيون الفزاة الى البابا في روما يهشونه باحتلال بيت المقدس ، يصور مقدار الضحايا التي قدمها سكان فلسطين وهم يدافعون عن ديار العرب والاسلام أمام جحافل الاستعمار الصليبي ، « اذا اردت أن تعلم ما جرى لاعدائنا ، فثق أنه في ايوان سليمان ومعبدته كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين الى ركبتها» (٥) .

ورغم هذه الفظائع التي تزلزل الوجدان ، وتنزع الثقة بالوجود ، فان الفلسطينيين ظلوا يؤرقون الصليبيين ويفرون عليهم ، وقد نقل الراهب الروسي دانيال الذي زار القدس عام ١١٠٦ صورة لها فقال : « ان الأمن مفقود على الطريق التي تصل اريحا بالقدس ، تلك الطريق التي كان يربط فيها عدد كبير من قطاع الطرق (٦) » وليس قطاع الطرق هؤلاء الا أولئك الذين نجوا من المذابح الصليبية من عرب فلسطين ، فواصلوا ارهاب

الصليبيين ومهاجرتهم وزعزعة أمنهم ، وغزوا قوافلهم عملاً واعداداً لتحرير بيت المقدس (٧) .

وإذا ادركنا أضرارنا في تاريخ فلسطين ، نجد هذه الصورة من تعود الفلسطينيين لتقديم الضحايا تتكرر في أنحاء عديدة وتواريخ مختلفة ، لقد غادر نابليون مصر بعد أن احتلها وغزا يافا وحاصرها وكان سكانها (أغليتهم المسلمة وأقليتهم المسيحية) يناضلون ذلك الحصار الخطير فلما دك حصونها ، وأجاج حمايتها وتم له احتلالها ، أرسل جنوده غضبهم على سكانها ، فلم يسلم من شرهم أحد من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بل لقد تم لجيش نابليون أن يأسر أربعة آلاف من المدافعين عن يافا وبينهم جنود اترك ويافيون ، ولما ضاق ذرعاً بحراستهم أمر باطلاق الرصاص عليهم وتجمع جنوده وأرسلوا شهياً من بنادقهم حتى قتلوا أربعة آلاف مدافع مسلم ورموا بجثثهم في البحر .

وطوال الثورات العربية المتلاحقة ضد الانتداب البريطاني ، كانت تضحيات العرب الفلسطينيين تتلاحق يوماً بعد يوم ، وفي يافا هذه هدمت السلطات البريطانية احياء عربية كاملة عندما اعجزها إيقاف تحركات الثوار فيها ، وكم ذهب فيها من شهيد أمام رصاص الانجليز وعلى أعواد مشانقهم ، وحين احتلها اليهود اعملوا في سكانها يد القتل والفتك ، فذهب مئات منهم يومئذ في سجل التضحية ، وتلك مدينة عكا التي ذاقت مر الحصار في مراحل متعددة من التاريخ ، حاصرها نابليون ودافع عنها جيشها وشعبها حتى انكسر حصاره وأرشد منها ، وحاصرها قبله الصليبيون وذاقوا في الحصارين شداً مهولة ، وكانت تضحيات شعبها تضحيات شجاعة ، ثم احتلها الصليبيون عام ١١٩١ وأعملوا فيها سيف الموت ، وقتلوا من أسرى المسلمين ثلاثة آلاف شخص .

وتلك قرية دير ياسين حيث قتل اليهود سكانها ومثلوا بهم مما شرحناه في فصل الهجرة العربية ، وتلك قرية ناصر الدين من أعمال طبرية التي مسحها الصهيونيون من الوجود ، وتلك مذبحة بيت الخوري ه مايو (ايار) ١٩٤٨ حيث قتل اليهود من استطاعوا أسره من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال .

وتلك قرية الزيتون حيث جمع اليهود في أوائل مايو (ايار) بعض الرجال والشيوخ مع نساءهم وأطفالهم في جامع القرية ثم بثوا الألقام في

(٢) الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٥ .

(٤) جرجي زيدان : تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ص ٢٨٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٧٢ .

(٦) عارف العارف ، الفصل في تاريخ القدس ، ص ١٥٩ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

جوانب المسجد فتهدم على من فيه ، وتلك قرية شرفات التي نامت في السابع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وادعة هائلة ، فهاجمها فصيل من جيش اليهود وبث فيها الألفام والقنابل ، فقتل عديد من سكانها بينهم ثلاث نسوة وخمسة اطفال لا يزيد عمر أكبرهم عن ١٣ عاما .

وتلك قرية نله التي هوجمت في التاسع من فبراير (شباط) ١٩٥١ وتسرب أحد اليهود فقتل في بيت واحد رجلا وطفلا وطفلة ، وعادوا لها من جديد في هجوم ثان فقتل من سكانها مختار القرية وجرح عديد من سكانها .

وتلك قرية قبية التي هاجمها الصهيونيون عام ١٩٥٣ فذكروها بمدافعهم وهاجمها مشاتهم فمثلوا بسكانها ، وذبحوا نساءها واطفالها في صورة وحشية موهلة في المهجبة .

وتذكر جريدة يهودية تلك الأحداث فتقول « أن السلطات اليهودية اعدمت ١٦ شابا من قرية عيلبون (قضاء الناصرة) برصاص الرشاشات بعد أن اختارتهم من بين ذكور القرية التي غادرها سائر الشبان عبر الحدود اللبنانية ولم يبق فيها غير الشيوخ والعجزة ، وقد احرق الجنود اليهود عائلة آل زريق في داخل بيتها اربابا لسائر السكان لحملهم على الخروج من البلاد(٨) »

وقد اثبت القائد عبدالله التل في كتابه « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » ذلك الحادث المرعب الذي نشرته السندي اوبرفرر اللندنية في الحادي عشر من يونيو (حزيران) ١٩٥٠ من مراسلها في بيروت فيليب تونبي والذي يقول فيه « احاط بوليس اسرائيل بمائة عربي وسلمهم الى الجيش بحجة أنهم خالفوا نظام الحدود ، وظل الجنود يسوقونهم من ساعة مبكرة في الصباح الى ساعة متأخرة من الليل الى مكان سحيق خطر على الحدود ، وقد عصبوا عيونهم ، وكانوا اذا تلاكوا في السير ضربوهم على وجوههم وظهورهم بعضى غليظة من المطاط ، ومنعوا عنهم الماء ثم رفعت العصابات عن أعينهم ودفعهم الجنود الى الجري واخذوا يطلقون النار فوق رؤوسهم وبين أرجلهم ، وكانت المنطقة التي ارغموا على الجري بها هي وادي عربة المرعب الواقع جنوب البحر الميت حيث لا يستطيع الحياة فيه الا الحشرات ، وقد ضل الطريق أغلبهم عدا السعداء منهم الذين وجدهم بعض الاعراب فأخذوهم الى اقرب مخفر للحدود الاردنية » .

ويضيف القائد عبدالله التل ان المراسل يذكر انه كان بين هؤلاء المنكودين

(٨) جريدة كول هاعام اليهودية اول سبتمبر (ايلول) ١٩٥٣ .

اطفال لم يتجاوزوا الثامنة وشيوخ جاوزوا الثمانين ، وأن الجنود سكبوا الماء الذي كان محمولا في سياراتهم امام الأطنال والشيوخ الذين كانوا يتلهفون على قطرة ماء لاطفاء لهيب المعش القاتل والذي زاده اوارا حرارة الجو اللافتحة في وادي عربة(٩) .

وتلك قرية نحالين التي حاول اليهود هدمها في ليلة من مارس (آذار) ١٩٥٤ ولكن الحرس الوطني الفلسطيني وقسما من الجيش الاردني حثالا دون تدميرها كلها ، ومع ذلك استطاعوا ان يقتلوا ثلاثة من جنود الجيش وثمانية من اهل القرية وأن يجرحوا اربعة عشر رجلا بجراح خطيرة .

ولكن احصاء أجرته الجامعة العربية يفيدنا ان ضحايا الفلسطينيين منذ الشهر الخامس لعام ١٩٥٠ اي بعد النكبة بعامين الى العاشر من شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦ قبيل العدوان الثلاثي ، كانوا يمثلون من الشهداء ما يزيد عن ٥٥١ شهيدا من ٣٢ مدينة وقرية على مختلف الحدود العربية .

وجميع هؤلاء الذين راحوا ضحية للعدوان اليهودي يمثلون أحد جوانب الفداء في الشعب الفلسطيني ، فما كان اليهود ليصلوهم لو هادنوهم او بعدوا عنهم أو باركوا احتلالهم ووجودهم .

وكيفما كانت الوسيلة الى نهاية هؤلاء الشهداء ، فان الاصرار الفلسطيني على المقاومة هو الذي ادى دائما اليها ، فحتى اولئك الذين بقوا تحت ويل الذل في اراضيهم فاقدن الكثير من رفاقهم وذويهم ، فان الصهيونية لم تستطع ان تخلق فيهم روح الود معها ، ولم تتمكن من ان تجعلهم يشعرون بالأمر الواقع الذي يتلخص في حتمية الاحتلال اليهودي ، فقد اطبقوا صدورهم على بغض اليهود الفزاة .

وحرص اسرائيل على اضهاد الاقلية العربية فيها واستمرارها في ذلك يخلق نوعا آخر من التضحية الفلسطينية ، فهي الآن وقد مرت سنوات على النكبة تجد في بقائهم داخلها وجود طاوور معاد ، وجماعة لا تحمل ولاء لاسرائيل وسوف تتحرك حين تتنادى الجموع للعمل ، ولهذا هي تفرض عليهم الأحكام العرفية وتمنهم من مفادرة قراهم الا بتصريح خاص وهي تخلق الأسباب للفتك بهم ، فان لم تستطع خلقها فتكت دون أسباب ، وليس ما حدث في قرية كفر قاسم الا جزءا من ذلك .

(٩) عبدالله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية دار القلم ١٩٦٤ ص ٣٢٥

٢ - كفر قاسم :

كانت الحياة في القرى العربية في اسرائيل تسير وفق نظام مستمر يقضي بمنع التجول ابتداء من السادسة مساءً ، وكان فلاحو كفر قاسم يفادرون منازلهم الى الحقول ، فلا يحين الموعد الرسمي الا وقد وصل واستقر كل منهم في بيته الى الصباح التالي ، وفي الثامن والعشرين من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦ اصدر اليهود امرا الى عمدة كفر قاسم بأن الجميع يجب أن يكونوا داخل منازلهم في الخامسة مساءً ، قال المختار « اننا في الخامسة الا ربعا الآن وقد تعود الفلاحون العودة في السادسة الا ربعا، وتوجد استحالة في ابلانهم هذا الأمر المفاجيء ولم يبق الا ربع ساعة ، اني ارجوكم اعطاءنا فرصة نصف ساعة لابلاغ الجميع الموعد الجديد » ولكن القائد اليهودي شنة شادمي كان يبيت امرا وجاء رده : « هذا امر عسكري لا بد من تنفيذه ، اخطر القرية واترك لنا امر من هم في الحقول » .

وكجري العادة كل يوم اخذت جموع العرب الصغيرة تعود من حقولها في الخامسة والنصف قبل نصف ساعة من الموعد المحدد عادة لمنع التجول ، وبعد نصف ساعة من الموعد الجديد الذي لم يعلموه ولم يبلغ اليهم ، وعلى ابواب القرية استعد ضابطان واحد عشر جنديا يهوديا بمدافعهم الرشاشة التي فتحوها على الأبرياء ، فسقط منهم ٥٧ عربيا ، كان منهم سبع عشر امرأة وطفلا وجرح ٢٧ شخصا .

كانت هذه الجريمة مصنوعة بيد ضباط ثلاثة من عصابات اليهود وهم القائد « ششنة شادمي » والرائد « مالنكي » والملازم « غبريال دهان » والشاويش شالوم دفير وعشرة من الجنود .

وامام هياج الراي العام العالمي ، تظاهرت اسرائيل بسخطها على الفاعلين ، وصدرت احكام على بعضهم بـ ١٧ سنة سجن ، وعلى البعض الآخر بـ ١٣ سنة سجن ، ولكنها تمثيلية سبق لاسرائيل ان مثلتها في دير ياسين حين اصدرت بيانا استنكاريا تم بعد عامين ثبت ان المؤامرة كانت رسمية ، وسبق لها ان اغتالت الكونت « برنادوت » في القدس الجديدة واصدرت بيانا استنكاريا ثم ثبتت موافقتها وانها لم تتخذ ضد الفاعلين اي اجراء .

على ان الصحف اليهودية ذكرت ان غرف المسجونين من هؤلاء السفاحين تحولت الى غرف من فنادق الدرجة الاولى ، وانهم يفادرونها مساء كل يوم الى ذويهم ومنازلهم حتى ان احدهم تزوج خلال مدة سجنه القصيرة

ولم يمض احد منهم مدة العقوبة ولا ربعا ، بل عادوا الى وحداتهم العسكرية برتب اكبر .

لقد دار حديث صحفي مهم مع الضابط اليهودي « مالنكي » يثبت كم هي موهلة في الحقد روحهم وآراؤهم بالنسبة لنا ، سال الصحفي الضابط المذكور فدار الحديث على الوجه التالي :

س - هل انت نادم على ما فعلت ؟

ج - بالعكس لان الموت لاي عربي في اسرائيل معناه الحياة لاي اسرائيلي والموت لاي عربي خارج اسرائيل معناه الحياة لاسرائيل كلها .

س - ماذا كان شعورك بعد الحكم عليك ؟

ج - كنت مطمئنا للمعاملة التي سأعامل بها لان العمل الذي تمت به واجب وطني وديني .

وسئل الملازم « غبريال دهان » :

س - كم عربيا اصطدت في المجزرة ؟

ج - ١٣ فقط .

س - ماذا كان شعورك اثناء المجزرة ؟

ج - كنت متعظنا للدم العربي وقد شربت حتى سكرت .

س - هل في نيتك معاودة الشرب ؟

ج - اذا سمحت الظروف .

وسئل الشاويش شالوم :

س - كم عدد ضحاياك في المجزرة ؟

ج - ١٥ لقد ضربت الرقم القياسي وكان حظي احسن من زملائي في اختيار المكان الذي وقفت فيه (١٠) .

على ان حادث كفر قاسم ليس الفريد في سلسلة مواقف التضحية التي يقفها الشعب الفلسطيني ، ففي الجانب الملاصق من فلسطين كانت تجري احداث رائعة من تضحيات لا تقف عند حد ، وكان ابطالها ابناء الكتيبة الفلسطينية في قطاع غزة .

(١٠) خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

٢ - تضحياتهم أثناء العدوان الثلاثي :

بينما كان السكان العرب بكفر قاسم في المنطقة المحتلة يشعرون شهدهم ، وبينما كانت دماء شهدائهم تسقي تلك الأرض الطيبة التي دنسها اليهود بطغيانهم، كانت هناك صورة أخرى من تضحيات الفلسطينيين وجهادهم ، تطبع على صفحة الجزء الغربي من فلسطين أثناء العدوان الثلاثي وخلال ثلاثة أيام من احداث كفر قاسم المروعة ، ولقد كان تأمين قناة السويس بداية الاحدوث ، كان بناء السد العالي املا من آمال شعب الكنانة توارثته الاجيال ، وسار مع امانها عبر السنين ، وحين جاءت ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ العربية في مصر خطت في سبيله خطوات عملية كان من بينها الاستعانة بقروض من البنك الدولي ومن الدول الكبرى، وفي ساعة الانتظار النهائي وقبيل التوقيع المنتظر على الاتفاقيات الخاصة بذلك، سحبت امريكا وعودها ولحقت بها باقي الدول الاستعمارية مدعية ان الاقتصاد المصري ضعيف لا يقوى على المشروعات الكبيرة ، وهي بذلك اصابت الكرامة العربية في الصميم واعملت معول الهدم لأركان النهضة العربية التي تتلازم مع النهضة الاقتصادية ونشرت التشكيك في الجهود البناءة، وأبعدت عنها كل خير وعون.

وكان ممكنا أن يمضي الموضوع في هدوء دون صدى وكان شيئا لم يحدث ، ولكن ذلك سوف يعيد صورة عهد التخلف التي كانت فيه الدول الكبرى تفرض فيه رأيا على العرب فيقبلون وتشير وتأمرا بما ترغب فيتبعون ويطيعون ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر وقف في الاسكندرية ليخطب جماهيرها في ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٥٦ ويكيل للدول الطاغية بنفس الكيل ويثبت لها أن ما تعودته من تصريف امور الشعوب رغما عنها قد ولى ، وأن العرب يستطيعون ان يقولوا لا ، وان يفعلوا ما يريدون بعد ذلك ، وأعلن تأمين قناة السويس ، وجن جنون الاستعمار ، وأخيرا تمت في لندن وباريس مؤامرة وضیعة بين دول ثلاث هي بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

لقد رأت بريطانيا ان احتلال القناة خير عمل تعيد به كبرياءها المحطمة عند اقدماء القاهرة ، ورات فرنسا ان تحطيم الثورة الجزائرية سيبدأ من قهر القيادة العربية الاولى في القاهرة ، ورات اسرائيل أنه وقت مناسب لتحتل باقي فلسطين ولتركز علمها في سيناء ، ولتكون صاحبة الحول والطول على مشارف قناة السويس ، وتم التآمر بين الدول الثلاث المذكورة .

وفي التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٦ شنت اسرائيل هجومها ، وبينما المعارك تدور طاحنة في شرم الشيخ والكونتيلة

وغيرها من مشارف الحدود ، وقبل مضي اربع وعشرين ساعة على الهجوم الاسرائيلي تحركت كل من بريطانيا وفرنسا وفقا للارتباط السري مع اسرائيل ، فبعثتا الى الرئيس عبدالناصر بأغرب انذار عرفه العالم المتمدين ، وتظاهرتا برسالة مثله الى اسرائيل وطلبتا فيه الى الخصمين المتحاربين وقف اطلاق النار ، وسحب قواتهما الى مسافة تبعد عشرة اميال عن جانبي القناة وتهددان باستخدام القوة اذا لم يستجب لانذارهما خلال اربع وعشرين ساعة .

وكان واضحا ان الانذار ارسل لصالح اسرائيل ، وتنفيذا لاتفاق عدائي سري ضد تأمين القناة ومؤممها ، كما يقول ارسكين تشيلدرز في كتابه « الطريق الى السويس »

« سرعان ما ظهرت الحقيقة الضخمة الصارخة ، وكان لا بد من ظهورها وهي ان اية قوات اسرائيلية لم تكن بعد ظهر الثلاثين من أكتوبر على بعد عشرة اميال من قناة السويس ، ومن هذا يتضح ان الانذار البريطاني والفرنسي المشترك كان بمثابة دعوة صريحة الى اسرائيل بالتقدم غربا نحو القناة والتوغل داخل الاراضي المصرية (١١) » .

وكان قبول الانذار من الجانب العربي يعني التسليم للاعداء الثلاثة ، ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الانذار الخطير ، وبدأت المدن المصرية تتلقى قنابل اثنتين من الدول الكبرى ، وبدا واضحا ان هدف الاعداء هو عزل الجيش المصري في سيناء حيث يستمر في صدامه مع اسرائيل ، وتسدد عليه اساطيل بريطانيا وفرنسا طريق الامداد والتموين باحتلال القناة ، ويسهل حينئذ تحطيمه وشل الحركة العسكرية الى اجيال بعيدة .

ولنترك هنا الحديث للمؤلف البريطاني ارسكين تشيلدرز وهو يتحدث عن قرار الرئيس عبد الناصر بسحب قواته من سيناء : « كان هذا القرار يتلخص في سحب كل جندي وكل معدات ممكنة على التو ، وفي اقصى سرعة قبل ان يتمكن الفزو الانجليزي الفرنسي من قطعها وإيقاعها في الشرك ، وكان الاستثناء الوحيد متعلقا بالقوة المرابطة في قطاع غزة والمؤلفة من خمسة آلاف جندي ، فان نشوب اية معركة رئيسية في القطاع سيؤدي الى خسائر مريعة في ارواح اللاجئين الفلسطينيين الذين يكتظ بهم القطاع الضيق وعددهم يربو على المائتي الف ، ولكن القاهرة كانت تخشى ايضا أن يؤدي اي انسحاب من القطاع الى خلق حالة من الفزع والرعب وقد تسفر عن نتائج لا تقل خطورة عن نتائج الصمود ، ولهذا فقد اصدر الأمر الى الحاكم

(١١) ارسكين تشيلدرز : الطريق الى السويس ، ترجمة خيرى حماد ، ص ٢٤٣ .

العسكري للقطاع بأن يستسلم عندما يقرر ان اللحظة تحتتم عليه التسليم (١٢) .

غير ان هناك منطقة في القطاع لم تطع الأمر القاطع القوي الذي روعيت فيه مصلحة كبرى واتخذت تحت ظروف هامة ، لقد اتخذ قرار التسليم حفاظا على السكان الفلسطينيين وجموع اللاجئين ، ولكن حامية خان يونس المؤلفة من شباب فلسطين رفضت أن تلقي سلاحها ، دون قتال (١٣) ، وهي تعلم أن المنطقة كلها أما ملقبة سلاحها أو منسحبة خلف دفاع لا يستهدف البقاء ، وكانت الكتيبة الفلسطينية تعلم ان أولئك المنسحبين انما ينفذون أوامر التسليم أو الانسحاب التي اتخذت في صورة رائعة من التفكير الذي لم يتسرب اليه الخطأ ولم يفرر به .

ومن جديد قدم الشباب الفلسطيني ارواحه رخيصة في ميدان الشرف ، واستمرت معركته من اليوم الأول لنوفمبر (تشرين الثاني) حتى صباح الثالث منه ، حيث لاقى أغلبهم ربه ممسكا بسلاحه ، مطلقا لرصاصه باسماء لنهاية تربطه بتلك الأرض التي يقدها الى ابد الآبدين ، ولقد حدث فعلا ما توقعته القاهرة من خوف على سكان القطاع ، فأعملت اسرائيل في سكان خان يونس التي رفضت حمايتها لقاء السلاح ، عملت فيهم يد الفتك والقتل الى مدى بعيد .

وتضحيات الفلسطينيين لم تقتصر على جموعهم التي استشهدت في ميادين الجهاد ، ولا على أولئك الذين ذابوا وجرت دماؤهم انهارا في الحروب الصليبية وهم يجالدون شر الاستعمار الصليبي دفاعا عن العروبة والاسلام ، ولا على جماعاتهم التي قابلت عسف اليهود وطفيانهم ثم اكتوت بنار فظائهم ولا على أولئك الصناديد الذين تسنموا اعواد مشائق الانتداب البريطاني أو ذهبوا الى الله في لقاء كريم مع الرصاص ووسط صراع الثورات الرهيبة ، ان التضحيات امتدت عبر التاريخ ، وكان القدر فرض على سكان ذلك الوطن العربي ان يكون على حلفه مع التضحية ، وعلى رفقة مستمرة مع الجهاد والاستشهاد .

لقد توزع الفلسطينيون بعد نكبة العرب في بلادهم عام ١٩٤٨ الى مواطن عدة ، فمن لم تتسع له معسكرات اللاجئين ذهب الى احدى العواصم العربية ، وفي تلك العواصم ترافق الفلسطينيون من جديد مع تضحيات يلقونها ويخوضون غمارها ، وهم على الدوام في الجانب العامل للوحدة

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

العربية ، والوحدة طريق العودة كما ان العودة طريق الوحدة ، فاذا ظهر تنكر من جانب عربي لهذا الهدف كان اول علاماته تضيق الخناق على الفلسطينيين ، وكم من شبابهم ذاق السجون في مواطن عربية كثيرة لا عقوبة عن ذنب ولكنها الشبه السياسية .

وبالامس جاءت ثورة العراق ، وتقاربت عقارب الساعة العربية التقاء ، وحين انقسمت الثورة على نفسها لقي الشباب الفلسطيني كثيرا من المتاعب ، وذاق عديد منهم السجون وطرد خارج العراق العربي عدد كبير آخر ، وحين استطاعت قوات هدامة تحقيق الانفصال بين دمشق والقاهرة عام ١٩٦١ كانت سلطات الانفصال تضع كل اثقالتها الخطيرة على صدور شباب فلسطين ، وكثيرا ما صدرت الأوامر باعتقال بعضهم ، وصدرت أوامر أخرى بعدم تجولهم وخروجهم من معسكراتهم .

وخلال عام ١٩٦٤ حدثت حركة تقدمية في صفوف احدى القبائل بأمانة من امارات الخليج العربي ، وسرعان ما اشار المستشارون الانجليز بأن للفلسطينيين يدا في تلك الحركة ، وضيق الخناق على الموجود منهم ومنع دخولهم من جديد للبلاد ، ولعل ما حدث في دمشق عام ١٩٦٣ يمثل تضحية جديدة ومن نوع فريد يقدمها شعب فلسطين في ميدان العروبة وعلى بساط صادق من بذل الدم العربي .

لقد اصبح عديد من شباب فلسطين من اهم أركان الاحزاب العقائدية العربية ، فالبعثي منهم اغوته دعوة البعث واغمض عينيه الا على نداء الوحدة العربية التي ستكون العمل الحاسم في استرجاع فلسطين ، وبذلك فهو أعلى المنادين صوتا بتلك العبارة البعثية المدوية « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة »

ولكن فريفا آخر يرى في البعث رأيا مخالفا ويؤمن بأن ثورة القاهرة في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ هي الثورة البناءة لصالح الأمة العربية وأن قائدها الرئيس جمال عبد الناصر هو الذي استطاع ان يجذب آذان العرب وأن يحتل قلوبهم منذ ان صرخ في وجه بريطانيا عجوز الاستعمار ، ونادى بالويل لفرنسا في الجزائر ولم يحن الرأس امام الأمريكان ، فهو لذلك ذو صلة روحية قوية بكل العرب في مختلف ديارهم يناديهم ويخاطبهم في زعامة عربية لا تعرف حدودا ولا ترى امامها سدودا .

وقد ساء الرئيس عبد الناصر ان يكون البعثيون ممن باركوا الانفصال أو اسهموا في تفكيك الوحدة ، لم يكونوا ذوي اسهام في بناء العقيدة أو التمسك بالأهداف وتبعها لهذا فان البعث عام ١٩٦٣ لم يكن جانبا يرضى

عنه هذا الفريق ، وفي احد ايام يوليو (تموز) ١٩٦٣ كان فريق من الشباب الفلسطيني يمثل مجموعة من سلاح الاشارة السوري يهاجم قيادة الاركان السورية العامة ، ويحاول تحت قيادة ضباطه الاحرار أن يفرض وحدة تقريه من يوم العودة ، وتجعل له قوة في أمته الكبرى، ولكن قيادة الاركان العسكرية وهي رأس البعث الحاكم في سوريا كانت محروسة مدججة بالسلاح ، وكان اغلب الذين يحرسونها هم من شباب فلسطين الذين ساروا في ركاب البعث بحثا عن الوحدة التي لم يصلها . وتقابل شباب الشعب الواحد الباحث عن يوم العودة يقاتل في سبيل التضحية بعضه وكانهم جميعا مع التضحيات على ميعاد ، وحين انتهت احداث تلك المحاولة كان شعب فلسطين قد خسر فيها أربعة عشر شابا اختلط فيها دم المهاجمين بدم المدافعين وسقط فريق آخر منهم أمام رصاص سلطات الحكم اثر محاكمات عسكرية (١٤) .

٤ - احتفاظ العرب بأراضيهم رغم العسف والأغراء :

مساحة فلسطين هي سبعة وعشرون مليون دونم (الدونم الف متر مربع) ، وتشمل هذه المساحة بحيرة الحولة التي مساحتها ١٤ الف دونم ، وبحيرة طبرية ومساحتها ١٦٥ الف دونم ، والبحر الميت ومساحته ٥٢٥ الف دونم ، وكانت هذه المساحة كلها ملكا لعرب فلسطين خلال تطورات التاريخ المتلاحقة ، ملكا يسكنونه ويتصرفون فيه ويستفيدون منه ، ولم يكن هناك اقطاع في فلسطين ، الا بضع مساحات استطاع أصحاب النفوذ من بعض الأسر الكبيرة في بيروت ودمشق أن يسجلوها بأسمهم ، ووافقهم بعض ملاكها من عرب فلسطين بعدا عن التجنيد والضرائب ورغبة في الاصلاح الزراعي ، وكان الملاك الحقيقيون من شعب فلسطين يقيمون بتلك الأرض التي سجلوها بأسم الفير ، ويقدمون جزءا من انتاجها للعائلات الكبيرة الحامية ، وقد تم ذلك منذ حوالي عام ١٨٦٠م (١٥) .

(١٤) ثبت للتاريخ أسماء هؤلاء الشباب الفلسطينيين الذين ذهبوا جميعا في سبيل فلسطين وتحت وطأة العقيدة الهادفة الى العودة وهم : احمد محمد منصور ، لطفى محمد غادرية ، احمد ياسين مفلح ، محمد احمد مصطفى ، يوسف محمد عطالله ، علي محمد عقل ابو عيسى ، محمود محمد علي الهندي ، سليمان محمد احمد ، عيسى محمود عيسى ، موسى الخزاعي ، علي جاسم دخل الله ، عبدالله خضر احمد ، محمد عبد الهادي ، صالح شعبان .

(١٥) المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ، ص ٤٥ .

و حين عرف الناس طرق التسجيل الرسمي للأراضي ، كانت أراضي فلسطين زمن الحكم العثماني اما ملكا لأفراد بشهادات رسمية مسجلة وتتضمن تلك ١٣٥٠٠ مليون دونم ، واما ملكا للدولة التي كان السلطان رأسها ، وبأسمه تسجل الأراضي ، ولكن عرب فلسطين لم يكونوا محرومين من تلك الأراضي المملوكة للدولة، فهم يزرعونها ويسكنونها ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، فهي ملكهم بالتقادم وملكهم بالاستعمال ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب التي كانت خاضعة للدولة العثمانية ، وفي وطني ليبيا كانت سهول ووديان مملكة بأسم السلطان عبد الحميد والقبائل برغم علمها بذلك الا أنها مالكة مستفيدة ، وتعتبر الأرض أرضها تدافع عنها ، وتموت من أجلها وتقيم بسببها المخاصمات .

و حين دخل الجيش البريطاني فلسطين عام ١٩١٧ كان قسم من اليهود لا يتعدى الخمسين الفا قد استقر في فلسطين ، وكان قد اقنع الدولة العثمانية في حقبة طويلة من التاريخ أنه بسبيل اصلاح زراعي في بعض الأراضي بقصد انعاش البلاد ونشر التعليم الزراعي فيها ، وبذلك كان مقدار ٦٥٠٠٠ دونم ضمن املاك اليهود حينذاك .

و حين صدر صك الانتداب ، حرصت بريطانيا على ان تكون المادة الثانية من صك الانتداب بابا مفتوحا لتمليك اليهود اقطاعات جديدة وكبيرة في فلسطين « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي . الخ » وعلى ما في هذه المادة من شمول يمكن اليهود من التسلط وحدهم على مقدرات البلاد ، الا ان بريطانيا قد ضمنت صك الانتداب المادة السادسة التي جاءت اوضح دلالة على تملك الأرض وتهويدها « على ادارة فلسطين أن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الأراضي الاميرية والأراضي غير المطلوبة للمقاصد العامة » وكانت هذه الأراضي التي يشير إليها صك الانتداب بان يشجع اليهود لسكنائها واقعة تحت القانون العثماني للأراضي والذي يعطي كل من اصلح أرضا مواتا وزرعها واقام فيها ، حق تملكها وتسجيلها رسميا باسمه . ولهذا كان من اسبق التعديلات القانونية التي اعلنتها بريطانيا ذلك التعديل الذي الفت به حق الاصلاح والتملك والذي كان يستفيد به الشعب العربي هناك ، فأصدرت في ١٦ فبراير (شباط) ١٩٢١ ما أسمته قانون تعديل القانون العثماني واشترط الحصول على اذن بذلك من مدير الأراضي وهو المستر ابرامسون اليهودي المعروف ، بل فرض عقوبة على كل من نقب واصلح أرضا مواتا .

ولنثبت المادة ٢ من ذلك القانون البريطاني « تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي : كل من نقب أرضاً مواتاً أو زرعها دون أن يحصل على موافقة مدير الأراضي ، لا يحق له أن يحصل على سند ملكية بشأن تلك الأرض ، ويعرض نفسه فضلاً عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الأرض(١٦). وحين عدلت بريطانيا هذا القانون فتحت به باب التملك لليهود عن طريق ملايينهم الكثيرة ، فأصدرت قانون الأراضي وجعلت الأرض حين تستصلح تباع بالمزاد العلني ومدير دائرة الأراضي حق التصرف بموجب ثمن يقدره وتعطى للثمن الأعلى ، وليس من ريب أن العرب بعد أن حرموا من حق اصلاح الأرض وزراعتها وتملكها بموجب القانون العثماني ، لم يعد في استطاعتهم الا قليلاً منازل المزار الذي تتربع على عرشه ملايين الصهيونية والقوانين البريطانية .

ولنثبت مجدداً المادة ٤ من ذلك القانون « على الرغم مما ورد في القانون العثماني بشأن اصدار سندات الطابو للأراضي الميري اذا أصبحت اية أرض مستحقة حق الطابو (سند الملكية) وكان هناك اشخاص يملكون هذا الحق ، فتقرر قيمة تلك الأرض لجنة قوامها القضاء الواقعة في قضائه ، وأن التثمين الذي تجربه اللجنة المشكلة يكون عرضة للتدقيق من قبل مدير الأراضي الذي يكون قراره نهائياً ، وعند تعيين قيمة الأرض يعرض المدير الأرض على اصحاب الطابو ويفوضهم بقبول تفويضها اليهم لدى دفع القيمة خلال ثلاثين يوماً ، وتفوض لمن يقبل التفويض » .

مادة ٤ فقرة ٤ : « اذا اعلنت أرض محولة بسبب عدم وجود من يملك حق الطابو فيها أو اذا تنازل اصحاب حق الطابو عن حقوقهم فيها ولم تعلن أرضاً عمومية وفقاً للمادة ٣ فتطرح للمزايدة وتحال الى المزار الأخير ، على أن يراعى في ذلك الثمن المحتفظ به من مدير دائرة الأراضي »

وعلى الرغم من المواد التي سطرت في صك الانتداب الذي وضع كله لصالح اليهود ، وعلى الرغم من تلك التعديلات البريطانية للقانون العثماني المجحفة الظالمة ، فان بريطانيا عمدت تسهياً لذلك الى ما أسمته بدستور فلسطين وجعلت من مواده طرقاً ومعايير يسلكها المندوب السامي البريطاني للاستيلاء على الأرض ومنحها لليهود ، فجاءت المادة ١٢ من دستور فلسطين الصادر في شهر أغسطس (آب) ١٩٢٢ تقول : « تناط بالمندوب السامي آنئذ جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها ، وله أن يمارس تلك الحقوق بصفة كونه أميناً عن حكومة فلسطين » ثم اردفتها

(١٦) راجع ملحق رقم ١ من هذا الكتاب .

بالمادة ١٣ التي تقول : « للمندوب السامي أن يهب أو يؤجر أي أرض من الأراضي العمومية ، أو أي معدن أو منجم ، وله أن يأذن بأشغال مثل هذه الأراضي بصفة مؤقتة بالشروط والمدد التي يراها ملائمة . الخ » ، ولكن هذه المادة تعطي للمندوب السامي حرية التصرف في هبة اية أرض من الأراضي العمومية ، وهذه الحرية تخشى الصهيونية أن تشمل غيرها على الرغم من انها الحاكمة وصاحبة اليد في اختيار كل مندوب سام لبريطانيا بفلسطين، ولكن الاحتياط اليهودي والموافقة والرضا البريطاني عمداً الى تقييد حرية المندوب السامي بباقي تلك المادة حتى لا تكون الهبة أو الإيجار الا لليهود: ويشترط في ذلك ان تجري كل هبة كهذه أو كل ايجار أو تصرف كهذا وفقاً لمرسوم أو تشريع أو قانون معمول به في فلسطين أو يعمل به فيما بعد، أو وفقاً لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقيع جلالته وختمه أو بواسطة الوزير المختص تنفيذاً لصك الانتداب « وفي هذا النص التزام بان تكون كل هبة أو ايجار أو تصرف طباقاً لصك الانتداب الذي يشترط ويتعهد بجعل فلسطين في وضع اقتصادي ، واجتماعي وسياسي يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها .

وسرعان ما قدمت بريطانيا للوكالة اليهودية ما مجموعه ٣٠٠ الف دونم مجاناً وبلا مقابل، ثم أقطعتها ٢٠٠ الف دونم بثمان اسمي زهيد، واتجهت الى المشاريع الهامة فأعطتها لليهود هدفاً لترقيتهم اقتصادياً، ووسيلة من وسائل تملك الأراضي واغتصابها، ولنحيط احاطة كاملة بذلك العسف الرسمي الذي انزلته بريطانيا بالقضية العربية في فلسطين ، نراجع على سبيل المثال المادة العاشرة من عقد امتياز الكهرباء الذي منحه المندوب السامي هربرت صموئيل ومن خلفه بعد ذلك الى الشركة اليهودية لكهربة فلسطين، لنرى كيف ضمن للشركة حق اغتصاب الاملاك والأراضي تحت ستار مصلحة الكهرباء : «على المندوب السامي بناء على طلب الشركة وعلى نفقتها أو في حالات تعذر الشراء باتفاق متبادل لقاء تعويض عادل توافق عليه الشركة أو تعذر الاتفاق وفقاً لاحكام أي قانون مرعي الأجراء في فلسطين آنذاك ، أن ينزع ملكية العقارات أو الأراضي أو الأبنية أو الحقوق الارتفاقية اللازمة للقيام بحقوق الشركة أو القيام بتعهداتها بموجب هذا الامتياز ، ويشمل هذا بناء السدود وانشاء الأحواض لخزن المياه وبناء القنوات ومحطات القوة ومحطات المحولات واقامة الأعمدة ومد خطوط الكهرباء الهوائية والكابلات الأرضية وانشاء المباني الضرورية والمكاتب والمستودعات والمنازل والمخازن وخلافها لأجل توليد الكهرباء ولأجل بناء الطرق والجسور والخطوط الحديدية الخصوصية والأرصعة البحرية وخلافها من وسائل المواصلات » .

وواضح من هذه المادة ان الأسباب التي ذكرت لباحة نزع الملكية ليست كلها ضرورية ولا خاصة بالكهرباء قدر ما هي عامة وغير مانعة ، ويقصد بها خلق أي سبب لتنفيذ الهدف الأعلى من تملك اليهود ، وبالفعل تم تملك هذه الشركة ما مقداره ١٨ الف دونم .

ولم تنته سنة ١٩٢٧ حتى كانت بريطانيا قد أعطت لليهود امتياز استخراج الأملاح والمعادن من البحر الميت ، اعطته لليهوديين توفوسكي وطولوخ نيابة عن شركة البوتاس بامتياز لمدة ٧٥ عاما ، وكان هذا المشروع من أهم المشاريع التي استأثر بها اليهود اذ تقدر الاحصائيات ما فيه من أملاح البوتاس بألفي مليون طن ومن بروميد المغنيز بتسعمائة مليون طن وتقدر جملة ثروته بأربعة عشر مليار من الجنيهات .

ولكن بريطانيا لا تكتفي بهذه الثروة الهائلة تمنح لليهود ودون غيرهم ولكنها تعمد الى ما تستهدفه من تملك اليهود فتمنح هذه الشركة مساحات واسعة على حدود هذا البحر قدرت بـ ٧٥ الف دونم ، ثم اجرت للشركة بايجار رمزي ٦٤ ألف دونم ، وتسرب البرنامج البريطاني الى الأوقاف المسيحية فعملت على تملكها لليهود فسهلت بيع ٢٢ الف دونم من اوقاف اخوية القبر المقدس الأرثوذكسية لليهود بحجة سداد ديون كانت قد تراكت عليها أثناء الحرب ، وتقدم العرب المسيحيون يطالبون بوقف البيع واستعدادهم لتسديد تلك الديون ، ولكن بريطانيا لم يكن يشغلها ذلك التسديد قدر ما ترغب من تملك اليهود ، ولذلك رفضت رجاءات وعروض العرب المسيحيين .

وعلى الرغم من تلك الطرق التي سلكتها بريطانيا لاغتصاب الأراضي وتمليكها لليهود ، فإنها لم تكن تراها طرقا كافية لفرضاها الميت ، ولهذا سرعان ما سنت قانون نزع الملكية ، ولا ريب انه كان قانونا غريبا لا يمكن أن يكون قد سن في غير فلسطين ، ولا يمكن أن يجرا احد على سنه غير بريطانيا فيها .

لقد تعودت المجتمعات البشرية ان تكون للأملك حرمة ، وحرصت الدساتير على النص ان الملكية مقدسة ولا يجوز مصادرة الاملاك الا لمنفعة عامة ، وكانت المنفعة العامة هي على الدوام اقامة مرفق حيوي للبلاد باشراف الدولة كمد طريق او اقامة حاجز ضد مياه الفيضان أو غير ذلك مما يشكل منفعة عامة لجميع السكان ، ولكن بريطانيا تعمد الى تشريع جديد فهي تبيح لصاحب أي مشروع ان يستولي على الأرض التي يراها صالحة لمشروعه اذا لم يوافق مالكها على بيعها له ، ونحن نعلم جميعا ان تلك المشاريع كانت دائما يهودية ، وان الذين تشجعهم وتحميمهم مع مال الصهيونية العالمية هم اليهود ، وبذلك نتأكد انها انما سنت ذلك القانون

لتبيح نزع ملكية اراضي العرب في سبيل المشاريع والمنافع الشخصية اليهودية ، ولنثبت هنا بعضا من مواد ذلك القانون (قانون نزع الملكية) الذي سنته بريطانيا في اغسطس (آب) ١٩٢٦ .

المادة ٣ : يحق لمنشئي أي مشروع ان يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم

المادة ٥ (أ) : اذا عجز منشئو أي مشروع عن الاتفاق مع صاحب او اصحاب ارض يحتاجها المشروع فيجوز لهم أن يرفعوا الى المندوب السامي لاجل موافقته اعلان المفاوضة المشار اليها . . الخ

(٢) : يطلب في اعلان المفاوضة من الشخص المبلغ اليه تقديم تفاصيل خطية بما له من حقوق في الأرض والادعاءات التي يدعيها بشأنها ومقدار التعويض أو بدل الايجار الذي يقبل به . . الخ

المادة ٧ : اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم ادعائه بالأرض المبحوث عنها خلال خمسة عشر يوما من ابلاغه الاعلان ، أو تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض ، أو اذا لم يتفق هؤلاء مع الأشخاص (المالكين) على التعويض خلال خمسة عشر يوما :

(١) فيحق للمنشئين ان يضعوا يدهم في الحال على الأرض المشار اليها في الاعلان المذكور واذا رفض اصحاب الأرض أو مشغلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الأرض ، فيقدم المنشئون طلبا الى رئيس المحكمة (محكمة الأراضي) الذي اذا اقتنع بحق المنشئين في وضع يدهم على الأرض بمقتضى هذه المادة يصدر قرارا بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الأرض للمنشئين ، ويشترط في ذلك اذا كان الاستملاك لشخص أو هيئة غير حكومية فللرئيس ان يأمر بايداع المبلغ الذي يستصوبه .

وتحت طائلة هذا القانون تم انتزاع آلاف من الدونمات من تحت يد اصحابها العرب ، وهو قانون واضح العبارة كان سيغيا مسلطا على كل مالك يرغب اليهود أرضه ، فهو اما ان يخضعها لمشروعاتهم واما ان تؤخذ منه عنوة وغصبا .

ولنلق النظر على مثال من تطبيقات ذلك القانون البريطاني في خبر نشرته جريدة الشهاب القاهرية (١٧) يقول : « حضر الى ادارة جريدة الدفاع بحيفا بعض اهالي قرية الريحانية واخبروها ان عددا من اليهود حضر الى

(١٧) جريدة الشهاب العدد ١٦ من يونيو ١٩٢٧ .

القرية منذ ثلاثة أيام ومعهم موتور ماء واخذوا يحفرون بئرا في قطعة ارض تزيد مساحتها عن ٨٠٠ دونم وهي ارض مشاع لا يصلح الا جزء صغير منها للفلاحة والزراعة والجزء الباقي مرعى لمواشيم وعرب تلك الاراضي يحملون اوراقا تثبت ملكيتهم لها .

وتضيف الشباب بذات التاريخ الخبر التالي : « استأنف القاضي البريطاني اليوم في يافا النظر في قضية محاجر مجدل الصادق المختلف عليها بين العرب واليهود فرد دعوى العرب المرفوعة بملكية الارض لعدة اسباب رآها قانونية ومنها ان اراضي المحاجر غير داخله في حدود القرية » .

على ان بريطانيا صاحبة الانتداب في فلسطين لم تصبر طويلا بعد اصدارها لقانون نزع الملكية ، فقد تبين لها انه لا يكفي لان كثيرا من الاراضي ليست ملكا لافراد يفرض عليهم الاتفاق او يرغمون على قبوله ، ولكنها ملك مشاع لاسر ولقبائل ، وبذلك عمدت الى سن قانون جديد في ٣٠ مايو (ايار) ١٩٢٨ وأسمته قانون « تسوية حقوق ملكية الاراضي (١٨) » ولقد استهدفت بهذا القانون نزع الملكية العربية بطريق آخر واستلام الدولة لتلك الاراضي توطئة لتسليمها لليهود ، ولعل اطلاعا على بعض مواد ذلك القانون يوضح لنا طرق الحكم البريطاني والانتقال التي عاناها عرب فلسطين .

المادة ٣ : اذا ظهر للمندوب السامي انه من المستحسن تسوية حقوق الملكية في الاراضي الواقعة في اية منطقة وتسجيلها فينشر في الوقائع الفلسطينية امرا او مرسوما يعرف في هذا القانون بأمر التسوية .

المادة ١٠ فقرة ٣ : على مأمور التسوية ان يطبق قانون الاراضي المعمول به في تاريخ سماع الدعوى ، ويشترط في ذلك ان يراعي الحقوق العادلة والقانونية المتعلقة بالارض ، والا يتقيد بأي نص ورد في التشريع العثماني او في قانون اصدارته الادارة العسكرية البريطانية .. الخ » .

ولعلنا نجد في هذا القانون ما يفيد اشتراط مراعاة الحقوق العادلة والقانونية ، فيتجه ذهننا الى التمسك بالحق وشرعة الانصاف ، ولكن هذا ليس المقصود في العرف البريطاني في فلسطين ، فلقد حرصت بريطانيا رسميا ودستوريا ان يكون للعدل والانصاف معنى آخر غير ما تفاهم عليه البشر وسنته الشرائع ، وتلك الفقرة الثالثة من المادة ٦٦ من دستور فلسطين تقول (١٩) : « يشترط الا يطبق التشريع العام ومبادئ العدل

(١٨) راجع نص القانون في ملحق رقم ٤ بهذا الكتاب .

(١٩) راجع نص الدستور في ملحق رقم ٢ بهذا الكتاب .

والانصاف في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالة الملك فيها ، وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال العامة .. الخ » .

وهكذا نجد انه اذا وردت كلمة العدل او الانصاف في قوانين بريطانيا بفلسطين ، فانها لا تعني الا عدلا يطابق صك الانتداب الذي وضع لتهويد البلاد وتشريد سكانها ، وهو بالتالي في قانون التسوية لا يعني البحث عن الانصاف والعدل في تسوية الاراضي الا قدر ما يجعل فلسطين في وضع يضمن انشاء الوطن القومي اليهودي فيها طبقا للمادة الثانية من صك الانتداب .

وكانت كل هذه الاجراءات البريطانية قد شاعت وذاعت حتى اقلقت بعض الصادقين في عصبة الامم وذلك رئيس لجنة الانتداب بها يعلن في الجلسة التاسعة للجنة : « اني اشعر بمخاوف خطيرة بشأن المشكلة التي طالما اشرت اليها في الجلسات السابقة وهي ان اكثر اليهود الذين يفدون الى البلاد لا يملكون شيئا ولكن الجمعية الصهيونية لديها مال لا ينفد وبوسع صندوق رأس المال القومي اليهودي شراء مساحات واسعة من الاراضي وبجانب هذا الكيان اليهودي الكبير يقوم كيان الملك والمزارعين العرب الصغار الذين تسمى الصهيونية تؤازرها في ذلك النسياسة البريطانية لمحوهم تدريجيا ومحو كل قيمة سياسية او اجتماعية لهم » .

وحين طبق قانون التسوية ، جعلت ادوات تنفيذه اغلبيية من اليهود ، وبالاطلاع على موظفي المساحة ودائرة التسوية ندرك لماذا كانت اغلبيتهم من اليهود والانجليز مع قلة عربية صغيرة ، ولنثبت هنا على سبيل المثال صورة بالاسماء لاعضاء تلك الدائرة :

- ١ - فريدريك سلمون : رئيس الدائرة يهودي - ٢ - مستر بنت :
- عضو انجليزي - ٣ - اسحاق كمت : مأمور التسوية يهودي - ٤ - جفري شولمان : مساعد مراقب يهودي - ٥ - تريفورليز : مساعد مراقب يهودي - ٦ - هرلد منر : عضو انجليزي - ٧ - بيونري سيسل : عضو يهودي - ٨ - فروونكن اسحاق : عضو يهودي - ٩ - روفين هارونني : باشكاتب يهودي - ١٠ - موسى كوهين : عضو يهودي - ١١ - شكري صالح :
- كاتب عربي - ١٢ - اسعد سالم : كاتب عربي - توفيق ناصر : مساح عربي - ١٤ - غالب النشاشيبي : مساعد مأمور التسوية عربي - ٢٥ - امين درويش : مساعد مأمور التسوية عربي .

اغسطس (ايلول) ١٩٤٢ ضم فيه الى ناانيا المذكورة قطعة جديدة (٢٣) .

وبصلاحيات المندوب السامي التي تضمنها دستور فلسطين ضمت آلاف الدونمات ، وكانت اوامره تصدر بقطع صغيرة يوميا حتى تكون قطعاً كبيرة مع مر الايام والشهور ، ولم يجد المندوب السامي مانعا من ان يقطع حتى الاراضي الحكومية التابعة للمناطق العربية ، ويسجلها رسميا للمدن اليهودية ، وعلى سبيل المثال نواصل نشر أمر المندوب السامي رقم ٩٥ لسنة ١٩٤٢ ونصه بعد الديباجة : « انا السر هارولد ماكمايل المندوب السامي لفلسطين استنادا الى الصلاحية المخولة لي وفقا لما تقدم ، أمر بتحويل قطعة الأرض المعروفة بالقسيمة رقم ٢٧٨ من القطعة رقم ٦٢٠٤ في قرية الجريشة من اعمال قضاء يافا (٢٤) ، من صنف الميري الى صنف الملك وتسجيلها بهذه الصفة في مكتب تسجيل الاراضي بتل اييب (٢٥) ، حتى يتسنى وقف هذه الاراضي لمقاصد دينية واغراض تعليمية .

صدر بتوقيعي في هذا اليوم الاول من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٢ .

المندوب السامي : هارولد ماكمايل

بل ان المندوبين الساميين البريطانيين دابوا منذ زمن بعيد في سبيل تمليك اليهود واعدادهم لامتلاك فلسطين على نزع ملكية الاراضي في سبيل توسيع الطرق المؤدية الى المستعمرات اليهودية ولم نجد في سجلات اوامر فلسطين شيئا يحسن قرى العرب او يوسع طرقها ، ولننشر هنا نموذجا من تلك الاوامر التي اخذت بموجها الاراضي في سبيل توسيع طريق يؤدي الى مستعمرة يهودية : شهادة نزع ملكية . . انا الفيلد مارشال هربرت شارلس انسلو البارون بلومر المندوب السامي لجلالته في فلسطين والقائد العام فيها ، أشهد ان توسيع الطريق المؤدية من يافا الى بتاح تكفا لعشرين مترا عرضا وهو مشروع ضمن مفاد المادة الثالثة من قانون نزع الملكية .

١٠ مارس (آذار) ١٩٢٦ الفيلد مارشال : بلومر م . ب

ولم يكن قانون نزع الملكية او قانون التسوية او الصلاحيات التي اعلنتها بريطانيا لمندوبها السامي كافية في تنفيذ برنامج التهويد ، بل اتجهت بريطانيا الى المناطق المليئة بالاشجار الكثيفة ، فرأت انه من اللازم لبرنامجها ان تصدر قانونا اسمه (قانون الغابات) وسلطته ايضا على رقاب الملاك العرب ، تصادر به اراضيهم وتضع سلطانها عليها وعلى سبيل المثال لا

الحصر نثبت هنا نموذجا من تطبيقات ذلك القانون :

« انا السر هارولد مكمايكل المندوب السامي لفلسطين ، استنادا الى الصلاحية المخولة لي في المادة الثالثة من قانون الغابات، اعلن الاراضي المبينة اوصافها في الدليل التالي مناطق غابات محفوظة تحت اشراف الحكومة وادارتها (٢٦) » ، ثم يذكر المندوب السامي كشفا بيانيا بتلك الاراضي وملاكها ، فيتبين انهم جميعا من العرب الذين وصفهم بانهم ادعياء تملك (٢٧) . وبالجمع لتلك المساحات العربية المستولى عليها يتبين انها ٣٨١٨٨ دونما .

ولعمري ان تلك القوانين والاورام التي اثبتناها آنفا واثبتنا معها نماذج من طرق تنفيذها لمعطية صورة لا ريب فيها ولا شك ان شعب فلسطين العربي كان يكابد متاعب لا حدود لها من الدولة التي حكمت سلاحها وقانونها في اراضيها .

وهذا الذي اوضحناه سبيل واحد من السبل العديدة التي سلكتها بريطانيا ضد اراضي الامة العربية في فلسطين ، وواضح ان مساحات عديدة اغتصبت من العرب وسلمت لليهود تحت طائلة تلك القوانين الجائرة ، واذا كان بحثنا يهدف الى ايضاح الحقيقة عن مصير الأرض في فلسطين ، فاننا بما اثبتناه آنفا ، انما نقدم صورة لا غموض فيها للجور البريطاني الجائر على شعب عربي صغير ، لو ضاعت كل اراضيها وسط تلك الأنتقال البريطانية لوجد له المؤرخون اعدارا واسبابا ، اما اذا ثبت انه مع كل هذا كان صلبا عنيدا عنيفا متمسكا بأرضه ذائدا عنها ، كان معنى هذا ان تاريخ الوجود يزين صدر ذلك الشعب في وسط الامة العربية بأوسمة المجد التي لا تبيد .

٥ - الأسر غير الفلسطينية تباع أرضها في فلسطين :

على ان أرض فلسطين تعرضت لمواصف أخرى اجتاحت سهولها وهضابها فعصفت بشعبها واقتلعت من مساكنه تحت سطوة الجنود والبوليس البريطاني ، وكانت تلك العواصف تهب من تصرفات أسر عربية شاءت لها ظروف وحدة الأرض أيام الخلافة العثمانية ان تتملك مساحات في فلسطين وحين ظهر الخطر الصهيوني وسنت القوانين البريطانية ، وجدت تلك الأسر السورية واللبنانية ان فلسطين لم تعد مكانا للاستثمار والكسب ،

(٢٣) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٥ الصادر في ٢٤ اغسطس (ايلول) ١٩٤٢ .

(٢٤) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٨ الصادر في ١٥ سبتمبر (تشرين الاول) ١٩٤٢ .

(٢٥) تل اييب هي القطاع اليهودي في فلسطين .

(٢٦) الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٣٩ الملحق رقم ٢ الصادر في ٢٤ ايلول ١٩٤٢ .

(٢٧) اثبتنا الكشف الرسمي لتلك الاراضي وملاكها في الملحق رقم ٨ من هذا الكتاب .

وأن من حصافة الراي الطامع أن تتخلص من تلك الأراضي ، لا تمليكا لجموع الفلاحين الفلسطينيين الذين أقاموا بها وأصلحوا فيها وواروا فيها اجداث اجدادهم مئات السنين ، ولكن لذهب اليهود وأموالهم ، كانت أسرة سلام قد أعطيت امتيازاً في أراضي الحولة (٢٨) ، وكان الامتياز الممنوح من الحكومة العثمانية لأسرة سلام ينص على استصلاح تلك المساحات الكبيرة وتمليكا الى الفلاحين الفلسطينيين الذين نشأوا مع الأرض ودأبوا عليها ، ولو تم هذا لكسبت أسرة سلام الأثمان التي يدفعها الفلسطينيون ولكسب عرب فلسطين أراضيهم تعود اليهم ، ولكن الذي حدث كان عكس ذلك ، لقد بيع ذلك الامتياز ، باع آل سلام البيروتيون الى اليهود ، وكانت مساحة الأرض حول بحيرة الحولة التي يشملها امتيازهم ١٦٥ الف دونم أي ١٦٥٠٠٠٠٠٠٠٠ مترا مربعا .

ولجأ الفلاحون العرب الى حكومة الانتداب يطلبون حمايتهم ، ولكن هذه الحكومة سلطت بوليسها وجيشها ليهدم بيوتهم ويشرد جموعهم ويسلم الأراضي لليهود ، وهكذا تم تشريد خمسة عشر الف عربي من تلك الأراضي (٢٩) .

٦ - أراضي بيهم وسرسق :

وفي أراضي الحولة نفسها كان هناك امتياز آخر لاثنين من أكبر الأسر اللبنانية ، هما محمد بيهم وميشيل سرسق ، وعلى نفس الطريقة التي سلكها آل سلام ، سار هؤلاء أيضا ، وبيعت الأراضي لليهود وأجلي عنها سكانها من شعب فلسطين .

دونمات لا تعد بالعشرات ولكنها بالآلاف تعد ، وتتربع في بيروت عمائر شامخة وسط ساحاتها الجميلة تحمل اسم هذه الأسر الكبيرة .

على أن الانجليز لم يكونوا بعيدين عن هذه النكبة التي حلت بالعرب سكان أراضي الحولة ، فقد وضعوا هم الأسس التمهيدية لسحب الامتياز ، وذلك عقدهم بامتياز الكهرباء المعطى لليهود عام ١٩٢١ ينص على عدم حق الشركة الكهربائية في أي عمل يقلل أو يخل بالحقوق والسلطات والامتيازات الممنوحة قبل ذلك التاريخ بما في ذلك الممنوح منها في العهد العثماني ، وإنك لو اجدت الفاظ الفقرات ا ، ب ، ج في العقد المشار اليه تعطي مدلول

(٢٨) عمر ابو النصر : جهاد فلسطين العربية ، القاهرة ١٩٢٦ ، ص ١٢٠ .

(٢٩) اميل الغوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

الحفاظ على تلك الامتيازات كشأن الأمم والحكومات التي تحافظ على ارتباط الشرف وحرمة التعاقد ، ولكنك حين تقرا الفقرة د تتضح لك الحقيقة البريطانية وتدرك أن بريطانيا كانت تبيت - لتلك الامتيازات - مع الصهيونية أمرا ، ولنثبت هنا نص تلك الفقرات التي تضمنها تعديل عقد امتياز الكهرباء الممنوح للشركة اليهودية في ٥ مارس (آذار) ١٩٢٦ وكيف أشير فيها بما نوهنا عنه الى احتمال استبدال امتياز الحولة :

« المادة ٣ (بعد تفصيل عن حقوق الشركة) ولا يجوز للشركة مباشرة اي من الحقوق او السلطات او الامتيازات الممنوحة لها بكيفية تقلل او تخل بالحقوق او السلطات او الامتيازات الممنوحة في الامتيازات التالية وهي ا - الامتياز المؤرخ في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٢١ الممنوح لبنحاس روتنبرغ لاستعمال مياه العوجة لتوليد وتوريد القوة الكهربائية والمحول الآن لشركة يافا الكهربائية المعروف بامتياز العوجا .

ب - الامتياز الذي منحه بلدية القدس في عام ١٩١٤ لتوليد الكهرباء

ج - الامتياز الذي منحه الحكومة العثمانية لمحمد أفندي بيهم وميشيل أفندي سرسق بشأن أراضي الحولة .

د - أية امتيازات تمنح بدلا من الامتيازين تحت ب ، ج تنفيذا لأحكام البروتوكول الملحق بمعاهدة لوزان التي تقضي بأن يكون بعض الامتيازات الممنوحة من السلطة العثمانية موافقة للأحوال الاقتصادية الجديدة للمدة وللمدى التي تكون فيها هذه الامتيازات سارية او قابلة للتنفيذ .

ومع تلاحق الأحداث ، سرعان ما أسرعت بريطانيا فألغت امتياز الكهرباء لمدينة القدس الذي كانت الحكومة البريطانية قد منحه لشركة يونانية ، ألغت بريطانيا ذلك الامتياز تحت حجة أن الأحوال الاقتصادية الجديدة تتطلب أكثر من ذلك الامتياز القديم ، ولكن وضع صاحب ذلك الامتياز كان يختلف ، فهو ابن اليونانية والتابع لدولته التي رعتها بريطانيا وساعدتها أيام جلاد اليونان ضد الامبراطورية والحكم العثماني ، وما أن حكمت محكمة العدل الدولية بحق صاحب الامتياز القديم حتى وافقت بريطانيا وباركتها (٣٠) .

أما امتياز الحولة العربي ، فقد وجد ملاكه العرب اللبنانيون ذريعة لبيعه الى اليهود ، وعلى الرغم من أن ذلك النص الذي ورد في امتياز الكهرباء

(٣٠) القضية الفلسطينية ، ص ٤٠ .

وهكذا تصرف عرب ليسوا فلسطينيين بل هم من أبناء بلدان مجاورة تملكون في ظرف عابر وعهد غابر ، وهكذا تربع اليهود في القرى العربية ، فهدموها وأزالوا معالم مساجدها وكنائسها وأقاموا فوق أنقاضها ستة وخمسين مستعمرة يهودية (٢٤) .

٨ - أراضي تيان والقباني :

وتلك مأساة أراضي وادي الحوارث التي تبلغ مساحتها أكثر من ٣٠٨٢ دونما ، وكانت تلك الأراضي الخصبة الهمة بيد عائلة لبنانية هي أسرة تيان ، وتقع هذه الأراضي على الساحل الفلسطيني وعدد سكانها ٢٤٠٠ عربي يملكون من المواشي ما يقدر بعشرة آلاف ماشية ، ويستفيد من تلك الأراضي أيضا أكثر من عشرة آلاف عربي آخر من القرى المجاورة لها من قضاء طولكرم وكان يصدر منها للقطر المصري سنويا ما يقدر بمبالغ خمسين الف جنيه ثمنا لاجود انواع البطيخ في العالم ، في وقت كان الجنيه فيه يمثل قوة شرائية هائلة .

وفي عام ١٩٢٢ لم يكن المدعو انطون تيان العربي من لبنان في وضع اقتصادي مريح ، فأقدم على رهن حصته في تلك الأراضي وقدرها ٥٣٥٠ دونما ، رهنها لرجل فرنسي ثم باع الرهينة لجماعة من اليهود ، ولكن تلك الدونمات ليست كافية ولا هي المراد شراؤها من الأراضي المملوكة ، واتجه اليهود الى المسمى ميشيل تيان وكان الوحيد من أسرته الموجود بفلسطين ، فباع لهم حصته من وادي الحوارث العظيم ، واستعمل اليهود جهودهم فادعوا ان البيع يشمل ما يخص قبيلة الحوارث ، ونظرت المحاكم في هذه القضية وكانت تشغل الرأي العام هناك سنوات طويلة ، وسلم الوادي لليهود ، وأخرجت حراب البريطانيين الفلسطينيين الأبرياء الذين لم يعرفوا بيعا ولم يستلموا ثمنا ، أخرجتهم من أراضيهم التي تملكوها مئات السنين، وتربعت فيها جمعية رأس المال القومي اليهودي (كرن كايمت) في ٢٧ مايو (أيار) ١٩٢٩ ، على ان من ذكرنا من أسر لبنانية تصرف فيما تملك من أرض فلسطين وكانت نكبة على شعبها ، لم تكن هي وحدها التي أقدمت على هذا الانحراف الخطير ، فلقد تابعها في ذلك عديد من أسر أخرى سورية ولبنانية ، ثم جاء دور أسرة القباني البيروتية ، لقد كانت تملك ما يقارب أربعة آلاف دونم ، أي ما يساوي أربعة ملايين متر مربع ، وشاعت

اليهودي كان مشعرا باحتمال تغيير الامتياز ، فإن التمسك بصلاية ، وعدم البيع او التنازل ، والبعد عن التفريط والتمنع عن اعطاء اليهود شريعة الامتياز بالمال ، ان ذلك وحده كان المعنى الوحيد الصالح المطابق للوطنية العربية والذي لم يسلكه أصحاب الامتياز مع أسف الوطنية والتاريخ ، وهكذا ضاعت أراضي الحولة من حوزة عرب فلسطين ، ولم تضع بسبب تفريطهم أو تهاونهم ، ولكنها ضاعت وتسربت الى اليهود بسبب تصرف عرب آخرين ليسوا من أبناء التربة الفلسطينية ، بل ان الشعب الفلسطيني اكتوى بالنار في هذه البقعة المهمة من بلاده فقد تم اجلاء ١٥٠٠ أسرة عربية ، على حين أسكن اليهود فيها وتمتعوا بالحماية البريطانية والرعاية والاهتمام (٢١) .

ولم تكن أراضي الحولة وحدها هي التي كانت ذات علاقة بعرب غير فلسطينيين وتم بيعها لليهود ، ولم يكن آل سلام وحدهم في ذلك التفريط الخطير ، بل لم يكن ما يملكه آل سرسق هو ذلك الجزء من امتياز الحولة فقط ، بل هناك غير هذا وغير أولئك .

٧ - أرض مرج ابن عامر :

كانت أسرة سرسق أيضا تملك مساحات واسعة من اخصب أراضي فلسطين في مرج ابن عامر ، كانت تملك ٤٠٠ ألف دونم تضم عددا قيما من القرى العربية يقدر عددها بين خمسة عشر واثنين وعشرين قرية عربية (٣٢)، ويسكن هذه القرى ٢٥٤٦ أسرة عربية ، فاذا قدرنا عدد كل أسرة بعشرة اشخاص ، كان معنى هذا ان مجموع سكان أراضي مرج ابن عامر السذي يملكه آل سرسق هم ٢٥٤٦٠ عربيا .

وقد باع آل سرسق اللبانيون هذه الأراضي الخصبة الى اليهود ولجأ الفلاحون العرب الذين أقاموا بقراهم وأراضيهم أكثر من الف عام الى السلطات الرسمية يطلبون حمايتها ، ولكنها سلطت عليهم الجيش والبوليس البريطاني وأطلقت عليهم نيران البنادق حينما رفضوا مفادرة أراضيهم ، وهدمت أكواخهم ونسفت بيوتهم وقوضت خيامهم وطردوا امام جحافل الجند من أراضيهم وسلمت الأراضي لليهود (٣٣) .

(٣١) يذكر الاستاذ عارف العارف في كتابه النكبة ، ج ٣ ص ٦٥٧ أسماء القرى التالية : الياجور، شيخ بريك ، جيدة ، طبعون ، تل الشمام ، الورقاني ، ملول ، خنيفس ، جبانا ، جنجا ، تل القدس ، الغولة ، عفولة ، الجالود ، تل الفر .
(٣٢) المؤامرة الكبرى واغتتيال فلسطين ، ص ٤٧ .
(٣٣) جريدة النشورى ١ يناير ١٩٣٠ .

(٣٤) اشهر المستعمرات هي كفار باروخ ، نهلال ، كفار دافيد ، تراسلفانيا ، بلوغوريا، مرحقيا ، عين جابو .

فإن هذا لا يمنعنا من أن نثبت مستندا واحدا يعطي أوضح صورة عن استهانة غير الفلسطينيين بأراضيهم في فلسطين ، وعن الصور المحزنة التي كانوا يتعمدون فيها بطرد العرب وإخراجهم من أراضيهم لصالح جمعيات الاستعمار اليهودي، ولنطلع على هذا العقد الذي كان مشروعا للبيع ثم حدثت موانع حالت دون البائعين والاتمام فالفي العقد وضاعت أغلب الصفقة .

١٠ - أراضي آل يوسف :

عقد مقاولة

بتاريخه قد تم الاتفاق بالرضا والقبول المتبادل بين كل من (١) فائزة غانم بنت خليل باشا العظم امرأة المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسف بالاصالة عن نفسها وبالوصاية عن ولديها القاصرين عثمان وفؤاد بك ونزهة غانم خانم ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ، بموجب حجة الوصايا الصادرة من المحكمة الشرعية بدمشق بتاريخ ٢ محرم سنة ١٣٣٩ رقم جريدة ١٨ صفحة ٦٥ عدد ١٩٢٨ باعتبارها كافلة وضامنة القاصرين المذكورين .

وكل من (٤) محمد سعيد بك و(٥) عمر عادل بك و(٦) حسن سامي بك و (٧) أحمد راتب بك و (٨) وجيهة خانم و (٩) شفيقة خانم و(١٠) برانت خانم و(١١) اسعاف خانم وبين شركة ذي فلسطين لاند ديبلومند ليمتد الملقبة بالاتي بالفريق الثاني ، على بيع وشراء وفراغ وتفريغ جميع الأراضي والأملاك الداخلة ضمن حدود قرى البطيحة والجولان التابعة لقضائي القنيطرة والزوية التابعة لحكومة الجمهورية السورية وقسم منها تابع لحكومة فلسطين المبين حدودها وأوصافها ومواقع المبيع في جدول الأملاك المربوط بهذه المقاولة والمعدود جزء منها المعروف ذلك عند الطرفين معرفة تامة نافية لكل أسباب الجهالة بيعا وشراء باتا قطعيا بالفا ما بلغت مساحته من الدونمات متصلة بعضها ببعض دون أن يتخللها أقل حق لأي كان من الخارج والمسجلة بقيود الطابو بموجب الأسناد المبين تواريخها وأرقامها في جدول الأملاك المربوط مع جميع ما اشتملت عليه القرى المذكورة من بيوت وأبنية ومنابع وجدران وآبار وأحواض وأشجار وبيادر وأنهر ومياه ومنافع والحاصل وكل ما لها وعاندا عليها والملقب بالاتي بالمبيع والتي يصرح ويؤيد الفريق الأول بأنها آلت إليه بطريق الارث والانتقال عن مورثهم عبد الرحمن باشا اليوسف وأنهم ومورثهم المنوه إليه قبلهم واضعوا اليد عليها بدون منازع ولا معارض بالثمن والشروط الآتية :

الأنباء خلال عام ١٩٣٧ أن هناك نكبة جديدة ليست بعيدة الأثر عن نكبة وادي الحوارث وتم لليهود ما يريدون من شراء ملك آل القباني في فلسطين، ذلك الملك الذي تسمى بأسمهم حتى يكاد يعرف في بعض المراجع بوادي القباني (٢٥) ، باعه آل القباني العرب البيروتيون لم يردعهم عن ذلك أنه سلخ لأرض عربية من عربيتها ، ولا أن ملاكه الحقيقيين من الفلاحين الفلسطينيين سوف يجلون عنه بالحديد والنار ، ولم يصرخ في أسماعهم أيضا صوت الحرية والوطنية الذي ارتفع مستنجدا قبل كارثة البيع .

يقول الأستاذ محمد علي الطاهر (٢٦) : « كتب إلينا من فلسطين أن آل القباني في بيروت سيبيعون أرضهم بفلسطين إلى اليهود ، وتبلغ مساحتها الآلاف من الفدادين وهي من أهم المواقع في فلسطين ، أننا نهيئ بأهل بيروت أن يمنعوا هؤلاء الذين لا يخافون الله ولا يرعون شرفا ولا ذمة » ، ولكن هذا الصوت العربي المستفيث كان نداء في واد لا آذان له ، وتسلم اليهود الأراضي وأجلوا أهلها عنها ، وتسلم آل القباني الثمن نقدا وعدا ووقف التاريخ ليسجل صفحاته الدامية .

٩ - أراضي أسر أخرى :

وسلكت نفس الطريق اسرنا الصباغ والتويني البيروتيتان اللتان باعتا الأراضي الكائنة في السهل الساحلي بين عكا وحيفا ، كانت الأراضي التي تملكها أسرة التويني المذكورة وحدها تشمل كل القرى العربية المعروفة « الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهارية » وأخرج أيضا الفلسطينيين من أراضيهم تلك مجرد أن تسلم البائعون أثمانها من جمعيات الأرض اليهودية .

ولنضيف إلى تلك الأسر أسرة الجزائرلي السورية ، وشمعة والقوتلي السوريتين ، التي باعت لليهود أيضا أراضي المنشية ، وأسرة آل مرديني السورية التي باعت قسما كبيرا من أراضي صند (٢٧) .

وإذا كنا لا نستطيع أن نثبت أمثلة واضحة وتفصيلات دقيقة عن كل صفقة تسربت فيها الأراضي إلى اليهود من مثل تلك الأسر غير الفلسطينية ،

(٢٥) يسميه المؤرخ العربي عارف العارف وادي القباني وقد وجدنا أيضا جريدة الشهاب القاهرية لصاحبها المجاهد محمد علي الطاهر تسميه بوادي القباني أيضا .
(٢٦) جريدة الشهاب القاهرية ٢٢ من يونيو ١٩٢٧ .
(٢٧) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٦ .

تعهدات الفريق الأول :

تسلم القسم رقم ٢ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ١ وأن يسلم القسم رقم ٣ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ٢ وأن يسلم القسم رقم ٤ بعد سنة من تاريخ تسليم القسم رقم ٣ وهلم جرا الى أن يتم تسليم كافة الاقسام الستة .

اولا - أن يبيع ويفرغ للفريق الثاني او لمن يختاره الفريق الثاني من شخص او اشخاص من التبعية الفلسطينية كامل المبيع صفقة واحدة او صفقات متعددة مع جميع ما شب اليه وعائد له بيعا باتا وفراغا قطعيا مباشرة او بالواسطة في المدة والشروط والشمن الاتي ذكره .

ثانيا - يصرح ويؤيد الفريق الاول بأن المبيع لم يكن وقفا وانه لا يوجد اي مانع قانوني به يمنع المبيع والفراغ عدا عن الحجز والرهن الذي سيدفع حتى يوم الفراغ وانه لا يوجد عليه من قبل الحكومة اي دعوى كانت ضد تصرف وتملك الفريق الاول على كامل المبيع او اي قسم منه وأن هذا المبيع مأجور على الصورة الآتية ١ - اراضي خفين مأجورة الى حسن بك يوسف هي وتوابعها لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول . ب - اراضي البطيحة مأجورة الى بكر آلوسي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول . ج - اراضي أم الدنانير مأجورة مع توابعها الى احمد قره جولي لمدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول ١٩٣٤ د - اراضي أم الدنانير وتوابعها مأجورة ايضا الى صالح الصوفي عن مدة تنتهي في ٢٣ تشرين اول ١٩٣٧ . هـ - اراضي القصيرين المسجلة بأسم احد افراد الفريق الاول محمد سعيد بسك اليوسف مأجورة الى بكر آغا صوفي لنهاية تشرين اول ١٩٣٦ .

رابعا : ان يصحح مساحة المبيع وحدوده تصحيحا رسميا بحيث تسجل عند اجراء الفراغ مساحته وحدوده في سجلات الطابو للمساحة والحدود التي يشتها المهندس في الخرائط بعد تصديقها على النوال المار ذكره في المادة السابقة وبصورة أن تكون موافقة تماما للحقيقة الراهنة والقوانين والنظامات المرعية في سوريا ، اما القسم الواقع من المبيع في فلسطين فتطبق عليه قوانين فلسطين .

خامسا - أن يقيم على اطراف وحدود المبيع في النقاط التي يراها مناسبة المهندس المعين من طرف الفريق الثاني لوحات من البناء او توضع اشارات اخرى تفصل المبيع عما جاوره من الأراضي المجاورة على ان يكون مصاريف البناء على الفريق الثاني .

سادسا - اتفق الطرفان على تقسيم المبيع الى ستة اقسام تشير الى كل منها بالقلم الاحمر صورة تفصل كل منها عن الآخر في الكروكي مربوط مع هذه المقالة والموقع من الطرفين والمحدود جزء منها على أن يجري تسليم القسم رقم واحد بعد شهر واحد قبل الفراغ وأن يجري

من المتفق عليه بين الطرفين المتعاقدين أن يسلم كل جزء من الاجزاء الستة المذكورة من المبيع تسليما شرعيا خاليا من كل ما يمنع التصرف به ومن كل مزارع ومستأجر ومستحكر ومن كل من يطلب اي حق فيه او عليه او على اي قسم منه بصورة لا يبقى اي علاقة لاي كان على القسم المسلم من المبيع المار ذكره او اي جزء منه وبصورة يتمكن منها الفريق الثاني او من يقوم مقامه من احداث ووضع يده على كامل القسم المذكور بدون ادنى معارضة او منازعة وذلك بعد اتمام معاملة التصحيح وتنظيم الخرائط على الوجه المبين في البندين ١٨ ، ٢١ الآتين من هذه المقالة .

سابعا - ان كيفية التسليم هذه تجري بحق كل قسم من الاقسام الستة في المواعيد المعينة لها اعلاه اذا اقيمت اي دعوى او طلب من قبل اي كان بما فيه دعوى الاولوية والشفعة وغير ذلك بصورة تؤثر على تنفيذ مندرجات هذه المقالة بمواعيدها المضروبة او على تملك وتصرف او وضع يد الفريق الثاني او من يقوم مقامه اعتبارا من تاريخ الفراغ لحين انقضاء مدة مرور الزمن بحسب القوانين المرعية في سوريا. بحق الأراضي الواقعة في سوريا وبحسب القوانين المرعية في فلسطين بحق الأراضي الواقعة في فلسطين ، فعلى الفريق الثاني أن يطلب ادخال الفريق الاول في الدعوى بحق الرجوع وعندها يتوجب على الفريق الثاني أن يتولى الدفاع في هذه الدعاوى على مسؤوليته وعلى نفقته الخاصة ، فاذا ثبت للمدعي بحكم على حق ما فإن الفريق الاول مسؤول عن نتيجة تلك الدعوى على أن حصول اي دعوى او طلب او ادعاء من أي كان لا يعتبر عدرا ولا يجوز للفريق الاول بالاستناد على ذلك تأخير تنفيذ مندرجات هذه المقالة .

ثامنا - يتعهد الفريق الاول باحضار وتنظيم وتوقيع جميع الاوراق والمستندات التي تطلبها دائرة الطابو او اي دائرة رسمية اخرى والتي تكون مدارا لازما لاجراء الفراغ النظامي واتمام تنفيذ شروط هذه المقالة . ثم تتناول المواد من ٩ الى ١٣ واجبات الفريق الاول حول صحة المستندات ودفع الرسوم والقيام بكل اجراء لتسليم الأرض .

تعهدات الفريق الثاني : وقد تعهد الفريق الثاني :

الرابع عشر - أن يقبل فراغ البيع لاسمه ولاسم من يختاره من

شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية بعدم قيام الفريق الأول ، بالشروط التي ترتبت عليه بموجب هذه المفاولة وفي ضمن المدة التي ستذكر فيها على أنه يجوز ومن حق الفريق الثاني ان يطلب فراغ المبيع على صفقات عديدة وأجزاء متعددة ضمن المدة المضروبة بأسم شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية متفوقة بشرط حفظ وتأمين حقوق الفريق الأول بما يختص ببقية دينه الذي سيبقى له بموجب البند ١٥ الآتي للذكر .

الخامس عشر - يدفع ثمن المبيع وقدره نصف جنيه فلسطيني عن كل دونم باعتبار مساحة الدونم $٩١٩/٣$ متر مربع بالفا ما بلغت من الدونمات بحسب المساحة المنصوص عليها في المادة ٣ من هذه المفاولة والتي ستستخدم أساسا للفراغ وذلك على المتوال التالي :

١ - ربع ثمن كامل المبيع بيوم وعند اجراء الفراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني من شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية .

ب - الباقي من الثمن أي ثلاث ارباع الثمن تدفع على خمسة أقساط متساوية كل قسط منها يدفع بنهاية كل سنة تمر على الحساب الغربي اعتبارا من تاريخ فراغ وتسجيل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني مع اضافة فائدة خمسة في المائة سنويا عن ذلك . . .

ثم تسهب المواد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ في شروط اخلاء المبيع وتسليمه حاليا من الفلاحين (والشواغل الأخرى) وتشترط تشغيل الفلاحين المطرودين في اراضي أخرى لمدة سبع سنوات ، ولا ريب أن المشتريين اليهود يريدون بذلك ضمان استقرارهم ٧ سنوات ليقيموا منشآت في الأرض للمهاجرين اليهود وتنقطع كل صلة بين الفلاحين العرب وبينها ، ولكن المادة تشترط اخلاء القسم رقم ١ من الأرض فوراً واقضاء الفلاحين بتشغيلهم أو الى الأراضي الأخرى ، وتعد المادة البائعين بمكافآت مالية أن هم استطاعوا تخلية الأرض من الفلاحين الفلسطينيين وضمنوا تشغيلهم خارجها للفرض الذي أوضحناه ، ويجيء نص الفقرة ب من المادة ١٨ كما يلي :

ب - اذا لم يتمكن الفريق الأول من اشغال أكثر من نصف الفلاحين الزراعيين باشغال زراعية خارج المبيع بشروط يماثل وقعها على الأقل لحالة انتفاعه الحالية وذلك لمدة لا تقل عن ٧ سنوات فيتوجب على الفريق الثاني (اليهودي) دفع مبلغ ١٠ آلاف ليرة فلسطينية فقط .

ج - ان هذه المبالغ تدفع على الوجه التالي :

١ - ٧ آلاف جنيه فلسطيني بعد مرور ١٥ يوم من تاريخ اطلاق

الفريق الثاني على الاذن المبحوث عنه في البند ١٠ من هذه المفاولة ويؤمن هذا المبلغ عند الدفع بطريق بيع الرفاء أو التأمين بالدرجة الثانية على ملك احد افراد الفريق الأول محمد سعيد بك اليوسف في القصيرين لمدة وجوب فراغ وتسجيل المبيع بشرط أن يوضع هذا المبلغ امانة بأسم السادة سعيد بك الفزي وعمر بك اليوسف ونقولا أفندي الرئيس مجتمعين غير منفردين ويصرف فقط في سبيل تنفيذ أحكام البند ١٧ من هذه المفاولة . ومن المفهوم بين العاقدين أن اراضي الديرين مرهونة حاليا لدى البنك الزراعي من قبل محمد بك اليوسف على مبلغ خمسة آلاف ليرة دينارية سورية ذهباً المعادلة كل ليرة دينارية الى ليرة افرنسية ذهباً .

٢ - ثلاثة آلاف جنيه فلسطيني بيوم اجراء الفراغ وتسجيل كامل المبيع بأسم من يختاره الفريق الثاني على أن تكون تابعة لنفس الشروط المتعلقة بوضعها امانة بأسم السادة المومي اليهم .

٣ - عندما يثبت الفريق الأول للفريق الثاني ان ٧٥ في المائة من الفلاحين على الأقل قد تركوا المبيع واشتغلوا بعمل زراعي بأرض خارج المبيع لمدة لا تقل عن ٧ سنوات يتوجب على الفريق الثاني أن يدفع الى الفريق الأول مبلغ ٥ آلاف ليرة فلسطينية تنتم مبلغ الخمسة عشر الف ليرة فلسطينية . من المفهوم بين الفريقين أن ما ورد في هذه المادة لا يؤثر على مسؤولية الفريق الأول في ما يتعلق باخراج الفلاحين وتسليم كامل المبيع على ما هو منصوص عنه في هذه المفاولة .

التاسع عشر - أن يوقع رسوم الفراغ والرهن ونصف مصاريف المساحة وأجرة المهندس كما هو مذكور في البند ٣ وأما بقية الرسوم والمصاريف فتقع على الفريق الأول .

عشرون - لما كان الفريقان اتفقا على تسديد قيمة الثمن بأقساط يدفع منها الربع نقدا عند الفراغ بعد استلام الفريق الثاني القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط في الثلاثة ارباع الباقية فتسدد تدريجيا على خمسة أقساط متساوية على الصورة في البند ١٥ من هذه المفاولة معلنة برهن كامل المبيع ، لذلك يتعهد الفريق الأول على الصورة الآتية :

١ - عند دفع القسط الأول من بدل الرهن الذي يستحق بعد سنة من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن نصف القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٢ - عند دفع القسط الثاني من بدل الرهن الذي يستحق بعد

سنتين من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن النصف الثاني من القسم المرقم برقم ١ في الكروكي المربوط .

٣ - عند دفع القسط الثالث من بدل الرهن الذي يستحق بعد ثلاث سنوات من تاريخ الفراغ والرهن يفك الرهن من القسم المرقم برقم ٢ في الكروكي المربوط .

٤ - عند دفع القسط الرابع من بدل الرهن الذي يستحق بعد اربع سنوات من تاريخ الفراغ والرهن من القسط المرقم برقم ٣ من الكروكي المربوط .

٥ - عند دفع القسط الخامس من بدل الرهن الذي يستحق بعد خمس سنوات من تاريخ الفراغ والرهن ، يفك الرهن عن القسم الرابع المرقم برقم ٤ ، ٥ ، ٦ في الكروكي المربوط أي بقية الأرض المرهونة .

من المتفق عليه بين الفريقين ان ما ورد في هذا البند لا يؤثر على تمهيدات الفريق الاول .

تمهيدات الفريقين معا - قد تمهد الفريقان :

احدى وعشرين- أن ينفذ شروط هذه المقابلة بالتمام والكمال ضمن المواعيد المضروبة ادناه اولا :

١ - ثمانية أشهر اعتبارا من تاريخ هذه المقابلة لاتمام تصحيح المساحة والحدود تصحيحا رسميا .

ب - اربعة عشر شهرا اعتبارا من تاريخ اليوم لاخلاء وتسليم القسم المشار اليه في الكروكي برقم ١ من كل مزارع ومستأجر وغير ذلك من أي كان له أي علاقة بالقسم المذكور .

ج - خمسة عشر شهرا من تاريخ هذا العقد لاحضار واتمام جميع المعاملات واجراء الفراغ النظامي لاسم الفريق الثاني أو لاسم من يختاره الفريق الثاني من شخص أو اشخاص من التبعية الفلسطينية بصفقة أو بصفقات متعددة على أن يبقى الى الفريق الاول بالزام الفريق الثاني بعد انقضاء مدة سنة بقبول الفراغ واحدى عشر شهرا لاستلام القسم الاول .

د - أن بقية الأقسام تسلم وفقا لاحكام البند السادس من هذه المقابلة .

اثنا وعشرين - يصرح الفريق الاول بأنه اتخذ عنوانا له مكتب المحامي سعيد بك الفزي في محلة السنجدارفي دمشق الشام وكل مخابرة

ومعلومية أو اذار سيرسل الى العنوان المذكور بموجب اذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

ثلاثة وعشرين - يصرح الفريق الثاني بأن عنوانه هو الخواجه يشوع هاتكين شارع النبي تل ابيب وكل اخبار او معلومية او اذار سيرسل اليه في العنوان المذكور بموجب اذار رسمي بمعرفة كاتب العدل .

اربعة وعشرين - اتفق الفريقان بأن الحق والصلاحيه لكل منهما بمواجهة المحاكم المختلطة أو الوطنية بالشام أو بيروت أو فلسطين بخصوص أي فصل أو خلاف يعمل بينهما بما يتعلق بهذه المقابلة أو ما تفرع عنها .

خمسة وعشرين - أن كلا من افراد الفريق الاول يعلن بأنه قد كفل وضمن رفقائه الآخرين في تنفيذ جميع مندرجات هذه المقابلة بحيث جميع افراد اجزاء الفريق الاول قد أصبحوا متكافلين متضامين بعضهم البعض .

سته وعشرين - يحق للفريق الثاني ان يمتنع عن دفع القسم المستحق من الرهن بموعده المعين بحال عدم اخلاء القسم الواجب تسليمه من الأرض قبل استحقاق ذلك القسط وفقا للبند السادس من هذه المقابلة وليس للفريق الاول حق المطالبة بذلك ويحق للفريق الثاني مطالبة الفريق الاول بالفراغة المنصوص عليها في البند ٢٨ من هذه المقابلة .

سبعة وعشرين - يتعهد الفريق الاول ان يقوم بشروط هذه المقابلة بالتمام والكمال فاذا خالف احدهم أو أي فرد من افراده بشرط من شروط هذه المقابلة أو نكل أو تأخر عنه ينذر ، فاذا كان النكول أو التأخر حصل قبل وقوع الفراغ وتسليم القسم الاول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسين الف ليرة فلسطينية لقاء عطله وضرره واذا حصل النكول أو التأخر بعد حصول الفراغ وتسليم الاول يدفع للفريق الثاني مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة فلسطينية فقط وبكل حالة من الحالتين لا حاجة للاخطار والاذنار لان النكول أو التأخر يقوم مقامه ، وعدا عن العقوبة المنصوص عنها بهذا البند يبقى الفريق الاول ملزما باعادة جميع الاموال التي تكون دخلت عليه من الفريق الثاني .

ثمانية وعشرين - يتعهد الفريق الثاني بالقيام بجميع شروط هذه المقابلة بالتمام والكمال واذا نكل احكامها أو خالفها أو تأخر عن انفاذ مندرجاتها أو عن شرط من شروطها يكون ملزما بدفع مبلغ خمسين الف ليرة الى الفريق الاول .

العديدة، من قانون الارض الى قانون نزع الملكية الى قانون التسوية وغيرها، وثانياً بنقل الأنطاعيين الكبار من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة في بلد صغير ، وإذا كانت مواد هذا العقد الذي أثبتناه آنفاً تفيد ان بعض تلك الاراضي كان محاذياً لفلسطين ، وان بعضها الآخر كان في فلسطين محاذياً لسوريا ، فان هذا يسوقنا الى ادراك التنظيم اليهودي الذي يهدف الى حصار فلسطين وتوسيع رقعة املاكهم فيها ، واخذ الأجزاء المهمة لا سيما تلك التي تفصل عرب فلسطين عن اشقائهم في البلاد المجاورة .

١١ - الاراضي المجاورة للبنان :

وتلك حدود لبنان مع فلسطين تسرب اليها اليهود بأساليب مختلفة.

وليس اقلها ما كشفته جريدة عربية (٢٩) حين نشرت صورة زكوغرافية لعقد مشاركة بين اسماء عربية لبنانية وجماعة يهودية تستهدف بيع الاراضي لليهود ، ولقد احدث نشر تلك الوثيقة رجة في الاوساط العربية حتى ان المجاهد الفلسطيني صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر لم يشأ ان يصدق ما نشرته الجريدة العربية وخاله مزورا مدسوسا ، فأبرق يسأل السيد الاحدب رئيس وزراء لبنان والوارد اسمه في الوثيقة ، واخيراً أعلن ان الوثيقة صحيحة .

ونضع هنا تلك الوثيقة الى جانب ما لاقى عرب فلسطين من ويلات عربية كانت تسهم في نكبتهم الى جانب ويلات الانجليز واليهود :

« نحن الموقعين ادناه خير الدين الاحدب وصفي الدين قدورة فريق اول وجوزف خديج وميشال سرجي فريق ثاني ومراد دانا والياس الحاج فريق ثالث ، اتفقنا بعد ان أقسم كل منا بالله تعالى وبشرفه ووجدانه ان نقوم مشتركين لمشتري وبيع مقدار مائة ألف دونم وكسور من اراضي صور وصيدا الى الشركات الفلسطينية بأسعار متفق عليها بيننا كي يجري فراغها للشركات المذكورة بعد ان تضم اليها الأرباح بحسب الاتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصفقات ، وقد اتفقنا أيضاً على أن تكون الأرباح بحسب الاتفاق الذي سيعقد لبيع هذه الصفقات ، وقد اتفقنا أيضاً على

(٢٩) جريدة الفباء السورية : دمشق ٧ من أغسطس (آب) ١٩٣٧ .

(٤٠) جريدة الشباب القاهرية ٢٥ من أغسطس (آب) ١٩٣٧ .

ثم تتناول الفقرتان التاسعة والعشرون والثلاثون بعض التفاصيل عن حق الإيجار اثناء مدة التسليم ثم تأتي المادة الواحدة والثلاثون معبرة اوضح تعبير عن حيل اليهود وضعف روح البائعين (غير الفلسطينيين) الذين قبلوا العمل على مقاضاة واخراج ابناء فلسطين من اراضيهم .

احدى وثلاثون - اضافة على الإيجار المبحوث عنه اعلاه ولكي يتمكن الفريق الاول بتعهده لاخراج الفلاحين من المبيع واخلائه من جميع الشواغل نفاذا لاحكام المفاوضة فان الفريق الثاني يعطي وكالة لكل من محمد سعيد بك وعمر عادل بك ولدا عبد الرحمن باشا اليوسف ومحمد منيف بك ابن راشد بك اليوسف تخولهم حق مخاصمة الفلاحين والمستأجرين وكل شخص يعتدي على المبيع الذي بقي بايجار الفريق الاول على أن يكونوا مجتمعين ومنفردين ، وبياناً لحقيقة الحال صار تنظيم هذه المفاوضة على نسختين باتفاق الفريقين واستلم كل منهما نسخة حسب الأصول وتحريراً (٢٨) .

١٦ آذار سنة ١٩٣٤

شفيقة اليوسف ، برانت اليوسف ، وجيهة اليوسف ، فائزة العظم ، اسعاف اليوسف ، محمد سعيد اليوسف ، احمد راتب ، عمر اليوسف ، حسن اليوسف .

THE PALESTINE LAND DEVELOPMENT Co LTD. TON. E. HANKIN.

شهود الحال : يوسف الاصفر ، توفيق شامية

الجدول ، البطيحة ، الدكة ، تل ابن اعور ، أم عجاج ، جبيله حسينيه ، كنف التعتا ، كفر عازب ، سعديّة الرشيد ، سيل الشقيريه ، زينه ، كنف الفوقا ، خورخه ، شقيف ، جدبا ، خسفيه ، أم الدنانير النصبايه ، المنصورة بحدودهم وتواريخ الطابو (والخنصره والصلبه والنوانيه وفخلية بأسم سعيد بك اليوسف والمرهونه لسدى المصرف الزراعي) .

هذه أحداث مختلفة تتعلق بقضية الأرض في فلسطين ، ان اجراء عديدة وكبيرة ومهمة انتقلت الى اليهود اولاً بفعل القوانين البريطانية

(٢٨) استلمنا صورة هذا العقد من الاستاذ فوزي الفصين وكيل النائب العام بفلسطين سابقاً والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقاً . ونشرناه كما هو دون اصلاح اخطائه اللغوية الكثيرة بلغته الاصلية .

العربية المهلهلة المهمة المهدة بالملايا ، وظننا ان السعر الذي دفعناه كان
عاليا ، ولكن الوقت اثبت انه لم يكن كذلك (٤٢) .

ودكتور روبين حين يعلن ان مجموع ما اشتراه حتى عام ١٩٢٩ كان
تسعة اعشاره من ملاكين غير فلسطينيين ليس معنى هذا ان ما بعد ذلك
التاريخ كان من الفلسطينيين ، فان ذلك يتعلق بتاريخ الشهادة التي
اعطاها امام لجنة التحقيق عام ١٩٣١ ، والا فان ما نشرناه من الصفقة
الحزينة في وادي الحوارث ووادي القباني وقرى آل اليوسف واتفاقية
بيروت مع قدورة والاحدب واليهود ، كل ذلك على ما فيه من مساحات
تضم قرى عديدة وآلاف بل مئات آلاف الدونمات انما كان في عام ١٩٣٤
وما بعده .

والآن وبعد ان اثبتنا تلك القوانين البريطانية الجائرة التي اعملت
مشروطها في الارض العربية تقصها وتسلبها وتملكها للصهيونية ، وقدمنا
نماذج من تلك الاوامر القاسية والاباحة الخطيرة في الاستيلاء رغم انف
المالك ، وقدمنا أيضا صورة ثانية من الاقطاعيين السوريين واللبنانيين
الذين ملكوا في فلسطين ثم باعوا اراضيهم لليهود فجنى شعب فلسطين
الشوك والالم والطرده من اراضيهم ، حان الوقت ان نتحدث عن الاراضي
التي تصرف فيها الفلسطينيون انفسهم تحت ظروف متباينة .

فلقد ضيقت بريطانيا الخناق على عرب فلسطين وعملت على ارهاقهم
بالديون والرهون ، واقفلت امامهم أسواق منتجاتهم حتى بخست اثمانها
وحل الافلاس بالعديد منهم واصبحت السلعة الوحيدة التي يمكن الحجز
عليها من المحاكم البريطانية بفلسطين هي الارض العربية .

ولنستمع في هذا الى المستر فرنش الخبير البريطاني الذي ارسلته
حكومته الى فلسطين عام ١٩٣٠ فادان حكومته في تقريره المنشور عام
١٩٣١ « لو لم ترتكب الحكومة خطأ عظيما بسياستها في عدم المحافظة على
حقوق ومصالح العرب في الماضي والحاضر ، لما رأينا مشكلة المزارعين الذين
لا ارض لهم ، ولقد عرض على كثير من الفلاحين الذين يرزحون تحت وطأة
المطالبة بالديون اراضيهم للبيع رغبة منهم في الخلاص من ربقة هذه
الديون » .

اما اسباب هذه الديون وحالة الفقر التي يعيشها الفلاح العربي

ان تكون الأرباح مقسمة على الوجه الآتي وذلك بعد خصم النفقات :

للفريق الأول خير الدين الاحدب وصفي الدين قدورة بالمائة اربعين .

للفريق الثاني جوزيف خديج وميشال سرجي بالمائة خمسة وعشرين .

للفريق الثالث مراد دانا والياس الحاج وشركاهم بالمائة خمسة
وثلاثون تنمة المائة سهم من الأرباح الصافية . اما الوظائف فهي كما يلي :

على الفريق الأول خير الدين الاحدب وصفي الدين قدورة المشتري
والتسجيل .

على الفريق الثاني جوزف خديج وميشال سرجي وظيفة امين سر
الصندوق والمحاسبات ودفع اثمان الاراضي والنفقات ويفوض اليهم قبض
الاموال من الشركات (اليهودية طبعا) وتوزيع الأرباح عن اجراء بيع
كل صفقة .

على الفريق الثالث مراد دانا وشركاه ايجاد المشتري بأسعار تمود
بالنفع على جميع الموقعين ادناه .

وقد اتفقنا على ان يطالع على النفقات السرية التي تتطلبها المصلحة
قبل صرفها كل من السادة جوزف خديج وخير الدين الاحدب ومراد دانا
وقد حرر ثلاث نسخ تسلم كل فريق نسخة واحدة من هذا الاتفاق .

بيروت ١٩ آب (اغسطس) ١٩٣٥

التوقيعات : خير الدين الاحدب ، ميشال سرجي ، الياس الحاج ،
صفي الدين قدورة ، مراد دانا ، يوسف خديج .

على ان شهادة رسمية سجلت في مضابط لجنة التحقيق اداها
الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية توضح ما اسلفنا وتعلن ان تسعة
اعشار الاراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩ اشتراها اليهود من
ملاكين غير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين (٤١) .

وقال الدكتور وايزمان في مذكراته : « مع ضالة المبالغ المخصصة
فأننا تمكنا في صيف ١٩٢٠ من شراء الارض الاولى في مرج ابن عامر وهي
اكبر قطعة اشتريناها حتى ذلك الوقت ومساحتها ٨٠ الف دونم ، وكانت
هذه الارض تخص عائلة سرسق من الملاكين اللبنانيين ، وعليها بعض القرى

(٤١) نكبة بيت المقدس ، ج ٣ ص ٦٥٧ .

(٤٢) مذكرات وايزمان ، ص ٦٦ . (مترجمة بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة) .

ويقول باحث عربي : « على الرغم من جهود الحكومة وقوانينها وانظمتها وجبروتها ، وعلى الرغم من الأموال الطائلة (الخيالية في كثير من الأحيان) التي كان اليهود يعرضونها ثمنا للأراضي وعلى الرغم من وسائل الإغراء الأخرى الكثيرة التي كانوا يلجأون إليها ، فإن جمهور الشعب الفلسطيني العربي صمد في وجه الاستعمار والمال والأغراء ، وصان أراضيه وعروبة فلسطين ، فقد بلغت مساحة الأراضي التي باعها الفلسطينيون لليهود بموجب العقود الحكومية المسجلة هي ٢٥٠ ألف دونم فقط وقع كثير منها تحت ظروف قاهرة وبعضها نتيجة لقانون نزع الملكية (٤٤) » .

فاذا وجدنا ان مجموع ما يملكه اليهود من اراضي فلسطين حتى عام ١٩٤٨ هو حوالي ٢ مليون دونم ، فعلياً ان ندرك تلك المتاعب التي اوجدت فيها بريطانيا عرب فلسطين ، وعلينا ان ندرك أيضاً تلك المساحات الهائلة التي صادرتها بريطانيا او باعتها لليهود او منحتها لوكالتهم اليهودية او تلك المساحات الهائلة التي باعها عرب لبنانيون وسوريون وليسوا فلسطينيين .

واذا القينا نظرة على احصائية هامة اصدرها احد الفنين (٤٤) ، من خبراء الأراضي استقفاها من سجلات دوائر الانتداب ، ادركنا مدى القوة الصادقة التي تدرع بها شعب فلسطين وحافظ بها على ارضه الى انتهاء الانتداب البريطاني بعد ثلاثين عاماً من العرق والدم والظلم ، حيث كان وضع الاملاك كما يلي :

- ١ - يملك العرب من اراضي فلسطين ١٢٥٧٤٩٧٧٤ دونم
- ٢ - املاك حكومية (وهي عربية بحكم حق الوطن) ١٢٤١١٤٦٥٠٠ دونم
- ٣ - يملك اليهود من اراضي فلسطين ١٤٩١٦٠٠٠ دونم
- ٤ - تملك طوائف ليست عربية ولا يهودية ١٤٢٦٠٥٩ دونم

وتقول تفصيلات اعلنتها جامعة الدول العربية ان العرب يملكون في فلسطين المحتلة من المدن ومسطحات البناء والحمضيات والاشجار المثمرة الأخرى وأراضي زراعية وأراضي غير قابلة للزراعة ما مجموعه ٧٤٤٨١٩٦٧ دونم ، وتملك الحكومة من البيانات السابقة ما مجموعه ١١٤٣٥٥٠٠٥٩ دونم ، واذا جمعنا هذين البندين باعتبار العرب اصحاب الحق في املاك حكومة انتدبت على بلادهم كان معنى هذا ان العرب يملكون في فلسطين المحتلة

فيوضحها تقرير المستر جونسون البريطاني نائب مدير المالية الذي يقول : « لقد زاد شقاء الفلاح عندما زادت ضرائب العشر وتعداد المواشي من ١٩٪ الى ٣٣٪ وزاد ايضاً شقاؤه عندما منع استيراد كل ما يمكن ان تنتجه المصانع اليهودية بينما ترك باب التجارة مفتوحاً بالنسبة الى الانتاج العربي ، فمن حق اليهود ان يستوردوا القمح والشعير كلما وجدوا سوقاً لبيعها مهما كان هذا الاستيراد ضاراً لمصالح العرب ومفلساً لهم ، وليس للعرب ان يستوردوا شيئاً من تلك التي ينتجها اليهود » . وانها لصورة بيانية لم تصدر من عربي فيتهم بالمبالغة او التحيز ولكنها صادرة من بريطانيين كلفا رسمياً بالبحث والتدقيق . وماذا يمكن ان يفعل شعب خلقت القوانين لتسلط عليه لا لتصونه او تحميه ، وفتحت امامه ابواب القروض من بنوك مولها اليهود ، واقبل مصدقاً انه يمول ارضه ويزرعها ثم يسدد من محاصيله حتى اذا نضجت ثماره سلط عليه الانتداب البريطاني مواد قوانينه فمنع ما يمكن تصديره ، وفتح باب الاستيراد المنافس ، وهزلت اسعار منتجاته التي تكدست في الاسواق ، واضطرت مقاييس حسابه فبيعت حاصلاته بأرخص الأثمان حتى لا تكاد تفي بالضرائب المفروضة .

وهي خطة مبيتة لسلب الأرض وارغام ملاكها على بيعها ، ولتقدم هنا شهادة الخصم حيث لا نزاع في صدقها ولتثبت احاديث سير واكهوب المندوب السامي البريطاني الذي يقول : « ان دخل المزارع العربي ضئيل جداً يتراوح بين ٢٠ الى ٢٥ جنيهاً في العام بينما هو مطالب ان يدفع ٢٢ جنيهاً كنفقات زراعية وخمسة جنيهاً للنفقات الضرورية لميشة أسرته ويصبح مجموع نفقاته ٢٧ جنيهاً بينما وارده ٢٥ جنيهاً على احسن تقدير (٤٤) » .

وتنادى شعب فلسطين وتقدم المجلس الاسلامي الاعلى يحاول انقاذ الموقف ، وتدخل مشتريا وسط الحجوزات البريطانية ، وفي خضم الأموال اليهودية الطائلة ، ومع ثقل المهمة وصعوبتها اشترى في بعض الاماكن قرى بأكملها كقرية دير عمرو وقرية زينا التي دفع في سبيلها ٥٤٠٠٠ جنيهاً استرلينياً ، وكذلك الأرض المشاعة في قرية الطيبة وعتيل والطيبة ، ونهض صندوق الأمة ايضاً فاشترى بعض الأراضي من الذين انقلهم الدين والرهونات ، ودخل في قضايا عديدة حتى انتشل اراضي البطيحه وعرقل بيعها وحمى حقوق المزارعين .

(٤٤) المؤامرة الكبرى وغتيال فلسطين ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٤٥) جامعة الدول العربية « املاك العرب واموالهم المجددة في فلسطين المحتلة » ص ٢٦

(٤٣) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

اليهود من الفلسطينيين الا اجزاء قليلة لا تعد صفقة في ميزان التملك للأوطان ، ولقد اضطر بعض الملاك العرب الى البيع وسط قوانين الأفلاس التي أصدرتها بريطانيا مما جعل العربي في موقف اقتصادي مرير تحت احكام الحجز البنكي بسبب القروض والرهونات مما اعترف به تقرير لجنة شو البريطانية التي انحت باللائمة على حكومتها في هذا الشأن .

هذا هو وضع الارض في فلسطين شرحناه مدعما بالاسانيد ، واثبتناه واضحا مشرقا كالنهار ، ولكن كل هذا الذي سطرناه لا يمنعا - ونحن نكتب للتاريخ - ان نسجل ان هناك فئة قليلة باعت أرضها في فلسطين السى السماسرة اليهود ، باعتمها غير مرغمة وتصرفت بها غير مضطرة لهذا التصرف ، وكانت تلك الفئة الصغيرة منحرفة هوت بها شهواتها الى الأجراء المادي من اليهود ، وحين نسجل هذا ، نسجله مقررين ان ذلك الجزء الذي تصرفت فيه تلك الفئة القليلة لم يكن الا قدرا قليلا صغيرا اذا قورن بالمساحة الكلية لفلسطين لم يساو جزءا عشريا من الواحد في المائة ، واذا نظر اليه باعتباره بيعا عاديا كان شيئا صغيرا الى جانب ما بيع من امثاله في بلاد عربية اخرى الى اليهود وغير اليهود .

ولكن وضع فلسطين وما احاط بها من مؤامرات سافرة جعل البيع غير الاضطراري مهما كان صغيرا عملا من أعمال الخيانة وتمكيننا للعدو التربص . (على ان نفرا ممن باعوا كانوا يموتون برصاص يعرف جيدا كيف يدين وكيف يحاكم) (٥٣) .

١٣ - الشعب يعاقب القلة المنحرفة :

على ان شعب فلسطين كان فعلا في معاقبته لتلك القلة المنحرفة ، ولعله الشعب العربي الوحيد الذي لاحق المنحرفين وانزل بهم العقاب ، وتحت يدنا الاسماء والاعداد نستطيع نشرها واثباتها ، ولكن اولئك الذين تصرفوا في أرضهم فاقبوا ضعف الرابض الوطني في ضمائرهم لهم ابناء واحفاد كانوا صفارا في تلك المهود لم يجرموا ولم ينحرفوا ، ولهذا كان نشر الاسماء عملا نبعد منه ونبرا حفاظا على الشعور واحتراما لمن لم يذنب ولم يسهم في جريمة .

ولكن هذا لا يمنعا من ان نثبت هنا ما يفيد ان الشعب الفلسطيني قد

(٥٢) مجلة فلسطين ايار ١٩٦٢ من مقال للكاتب الفلسطينية سميرة عزام نشر بمجلة الاسبوع العربي اللبنانية .

حكم بالاعدام على اولئك المنحرفين وقد استطاع ان ينفذ حكم الاعدام الا فيمن غادر البلاد قبل النكبة بسنوات واتخذ في وطن آخر له مسكنا . ولتعد الى ما تداولته الصحف في مختلف السنوات مثبتين التواريخ والاماكن محتفظين بالاسماء ومشيرين الى المصادر .

وجدت جثة عربي من قرية قرب القدس ملقاة في اراضي القرية وبعد فحصها تبين ان صاحبها مات خنقا (٥٤) .

دخل مجهولان عنوة بيت مأمور البوليس السري العربي المسمى ... وهو قصاص اثر في بيسان بعد كسر الباب وكان البوليس المذكور مع زوجته نايمين فاطلق احد المجهولين عيارا ناريا من بندقيته على البوليس واطلق الثاني عيارا آخر على زوجته وفرا عائدين من حيث اتيا فتوفي البوليس على الفور اذ اصابه العيار في صدره وخرج من ظهره واصيبت زوجته اسفل ظهرها (٥٥) .

اغتيال في يافا بالرصاص ... بينما كان في طريقه الى منزله ليلا وهو مشهور بالسمررة على الاراضي لليهود وترأس بعض المحافل الماسونية العاملة لمصلحة الصهيونية وقيل ان سبب اغتيال ... هو تسببه في نقل مساحات واسعة من اخصب اراضي فلسطين لليهود وقد اغلق المسلمون جامع حسن بك بالمنشية لمنع الصلاة عليه فيه ولم يحضر لتشييعه سوى بعض اقاربه وليس كلهم وبعض الماسون وقد توقع اهله ان يمنع الناس دفنه في مقابر المسلمين فنقلوا جثته الى قرية قلقيلية ببلدته الاصلية وحصلت ممانعة لدفنه في مقابر المسلمين وقيل انه دفن في مستعمرة يهودية اسمها بنيامينا لانه متزوج من يهودية وان قبره قد نبش في الليل والقيت جثته على بعد عشرين مترا (٥٦) .

وخطف المجاهدون بوليسا اضافيا عربيا منذ ايام وقد وجد هذا البوليس في اليوم الثاني قتيلا مكبل اليدين بين نابلس وطولكرم ، وعشر على عربيين مقتولين في قضاء عكا كما عثر بجانبهما على جثة رجل مصري مقتول الى جانبهما ولم تعرف الحكومة شخصية القاتل المصري ، ودخل المجاهدون مدينة نابلس وخطفوا صاحب دكان ورجلا عربيا ، وقتل عربي بالرصاص في حيفا . وكان راهبان يونانيان قد خطفا منذ ايام وقد عثر عليهما

(٥٤) جريدة الاهرام العدد ٢٦ من مايو ١٩٢٧

(٥٥) جريدة الاهرام العدد ٢٥ من يونيو ١٩٢٧

(٥٦) جريدة الاهرام عدد ٢٨ و٢٩ من يوليو ١٩٢٧

في الصباح مقتولين (٥٧) . قتل المجاهدون عربيا في قرية الطيبة لانهمم اياه بالتجسس (٥٨) ، كما وجدت جثة ... قتيلا بالرصاص بالقرب من الحدود الشمالية ، وكذلك اطلق الرصاص على كونستابل عربي يدعى ... بينما كان جالسا في مقهى في مدينة عكا فقتل للحال ، وعثر البوليس على جثة شخص يدعى .. من اهالي بئر السبع موضوعة في احد منازل يافا ، وايضا عثر البوليس على جثة شخص عربي يدعى .. على الطريق بين الرملة ووادي جنين واتضح انه قتل بالرصاص (٥٩) كذلك اطلقت النار على احد موظفي بلدية اريحا وقتل للحال ، وعثرت الدورية العسكرية على جثة عربي قتل بالرصاص في طريق نابلس (٦٠) ، واقتحم مجاهدان مطاحن جلاد ... قرب يافا واعتقلا الحارس ثم تقدما الى غرفة الحاج .. وقتلاه بالرصاص (٦١) . وهاجم فريق من المجاهدين قرية برقة بالقرب من رام الله وقتلوا عمدتها ... و ... رميا بالرصاص ، واطلق الرصاص ايضا على .. من اهالي حيفا فاصيب بجراح شديدة ، وعثر على عربي قتيلا بالقرب من قرية كفر جنس ، واطلق عربي الرصاص على شخص يدعى .. من اهالي حيفا فاصابه بجراح شديدة (٦٢) ، ودخل المجاهدون قرية بلد الشيخ القريبة من حيفا وخطفوا كلا من .. و .. و .. والثلاثة الاخرون اخوة وقتلهم رميا بالرصاص في الطريق العام (٦٣) ، واطلق عربان الرصاص على ... اثناء جلوسه في حانوته بيافا فقتلاه (٦٤) .

الى آخر هذه الامثلة العديدة التي احتفظنا بالاسماء فيها واشرنا الى مصادرها واغلبها تسبب عن انحراف قاومه الوطنيون .

١٤ - لم يكن الشعب الفلسطيني سلبيا برفضه العروض البريطانية :

لقد كان الشعب العربي في فلسطين رائعا في صلابته امام المحن وهذه صفحات مشرقة اثبتناها في تاريخ شعب فلسطين الذي استمر طوال ثلاثين عاما يجاهد الصهيونية كراس حربا للصليبية الاستعمارية ، واذا

كان شعب فلسطين لم يكتب له النصر فان جهاده ونضاله وسجلات مآسيه وآلامه ، وحقائق مواقفه واستبساله ، وصدق عزوفه عن التسليم بالهزيمة او الاقرار للغاصب بحق الاحتلال ، ان كل ذلك ليبقى حافزا للامة العربية ولشعوب الاسلام يعيه شبابها في اجلال ، وتردده دراساتهم في اكبار واحترام .

على ان بعض الساسة العرب يأخذون على الشعب العربي في فلسطين انه طوال الانتداب بل منذ دخول الجيش البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧ الى يوم النكبة في ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ طوال هذا التاريخ لم يردد امام سلطات الانجليز الا كلمة « لا » السلبية المانعة ، ويرى هؤلاء السياسيون ان الفلسطينيين لو جربوا مع الانجليز شيئا من الايجابية لتغير التاريخ بالنسبة لهم ، ولما كانت الصهيونية قد تربعت في بطاح يافا وربوع حيفا والناصره ، وهم يرون ان مصر التي جاهدت الاستعمار البريطاني عشرات السنين مرت بها ظروف قبلت فيها انصاف الحلول ، ورضيت ببعض المعاهدات غير الكاملة ، وهي اليوم المستقلة المهوبة الجانب ، وان سوريا والعراق وغيرهما مرت كلها بظروف يرونها مشابهة حتى وصلت في النهاية الى تأكيد الاستقلال وتثبيت الحرية .

هكذا يقول بعض الساسة العرب وهو منطلق رطب الملمس في ظاهره ، سهل التعبير ، مسالم لا متعاب فيه ، ولكنه في الواقع لا يمثل الا منطق اولئك الذين يرضون بانصاف الحلول ، او منطق من لم يحط علما وخبرا بقضية فلسطين ، كيف دبرت مؤامراتها ، والسبيل الذي سلكه الانجليز من اجل تهويدها ، والالام والمآسي والمتاعب التي اثقلت كاهل شعب صغير وقف في المعركة وحده ثلاثين عاما .

ان اولئك حين يتحدثون عن مراحل استقلال مصر (الجمهورية العربية المتحدة) يتناسون ان الصراع فيها كان بين شعب الكنانة وبين بريطانيا وحدها ولم يحدث في ذلك التاريخ ان اعلن أي عهد او اعطي اي وعد بأن مصر ستكون وطنا قوميا لغير شعبيها ، ولم يحدث مطلقا ان تسلطت عليها مؤامرات خارجية تعاونت فيها سياسات جميع العواصم في اوربا وأمريكا ، ولهذا حين قبلت مصر دستور ١٩٢٢ وحين رضيت بمعاهدة ١٩٣٦ لم يكن الا استلالا لقرار الغاصب بكيان شعب يحاول ان يثبت وجوده ويفتصب حريته ، ولولا الانتفاضة التاريخية في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ التي جاءت بأبطال غيروا تاريخ المنطقة ، ولولا تأميم القناة الذي اذاب القاعدة البريطانية خلال العدوان الثلاثي ، لولا كل هذا لظل السرطان البريطاني

- (٥٧) جريدة الاهرام اعداد ٢٣ و٢٦ و٢٩ اغسطس ١٩٢٨
- (٥٨) جريدة الاهرام العدد ٤ من سبتمبر ١٩٢٨
- (٥٩) جريدة الاهرام اعداد ٣ و١٨ و٢٩ يناير ١٩٣٩
- (٦٠) جريدة الاهرام اعداد ٣ و٦ و٢٢ فبراير ١٩٣٩
- (٦١) جريدة الاهرام العدد ٤ من مارس ١٩٣٩
- (٦٢) جريدة الاهرام الاعداد ٤ و١٤ و٣١ مايو ١٩٣٩
- (٦٣) جريدة الاهرام العدد ١٥ من يونيو ١٩٣٩
- (٦٤) جريدة الاهرام العدد ٢ من يوليو ١٩٣٩

يعمل في جسم هذه الأرض الطيبة ، وما قيل هنا عن مصر يقال أيضا عن غيرها من البلدان العربية التي نكبت بالاستعمار ثم جالده طويلا حتى تحقق لها النصر ، وقبلت في ايجابية بعض الحلول وواصلت جهادها في سبيل الكمال .

ولكن فلسطين كانت شيئا آخر وقد اوضحنا في ثنايا هذا البحث كثيرا مما غمضت جوانبه على الكثيرين ، واثبتنا ان سبيل التهويد الذي قصده الانجليز ، كانوا يسلكونه بمختلف الوسائل بالقوة وبالارهاب ، بالقوانين وباللوائح ، بجموع المهاجرين اليهود والهجرة الزاحفة ، باغتصاب الاراضي وطرده سكانها ، بافقار العرب واثراء اليهود ، واخيرا باعطاء المندوب كل حقوق خليفة المسلمين في ملكية الارض واعطائه أيضا حق افعال القانون وعدم تنفيذ شريعة العدل والمساواة كل ذلك في سبيل التهويد ، وهذه احداث خطيرة وثقيلة ، لم يحدث مثلها ولا شبه لها في اي بلد آخر غير فلسطين ، ومع هذا فلنعد لتاريخ هذا الانتداب لنجد انه لم يقدم الى عرب فلسطين اي عرض قد يلومهم المؤرخون على رفضه .

لقد دخل الجيش البريطاني منطويا تحت وعد بالفور لليهود بأن ينشأ في فلسطين وطن قومي لهم ، ثم باتفاق مشترك سعى اليهود لان تكون بريطانيا صاحبة الوعد هي الدولة المنتدبة على فلسطين ، وسعت بريطانيا بأن تصدر عصبة الامم باسمها صك الانتداب الذي وضعته بريطانيا بل وضعه يهودي يسمى بنجامين كوهين بالتعاون مع سكرتير وزير الخارجية البريطانية وكان ذلك قبل اقرار الانتداب البريطاني على فلسطين بحوالي ثلاثة اعوام ونصف عام فبراير (شباط) ١٩١٩ .

وجاء صك الانتداب يتضمن انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ويعترف بالوكالة اليهودية حكومة داخل الحكومة ، ثم صدر الكتاب الابيض يحمل اسم وزير المستعمرات ونستون تشرشل ١٩٢٢ وصدور معه الدستور وهو ايضا ضمان جديد بانشاء الوطن اليهودي في فلسطين، وكل وعد او عمل على انشاء هذا الوطن، يتضمن حتما العمل على افقار العرب وارهاقهم وابعادهم وسلب الارض منهم ، وكان هذا الكتاب الابيض ايضا من صنع اليهودي البريطاني المعروف هيربرت صموئيل الذي كان اول مندوب بريطاني لفلسطين ، وتحت هذه الوثائق الثلاث وعد بالفور وصك الانتداب ودستور فلسطين ، سارت السياسة البريطانية طوال عهد انتدابها الاثيم .

ولهذا نرى الفارق الكبير بين الاساليب في حكم العراق وسوريا ولبنان واسلوب حكم فلسطين على الرغم من ان نوع الانتداب كان واحدا من نوع

(١) الذي قرره مجلس الحلفاء الاعلى فأنشئت في تلك البلدان حكومات لادارة الشؤون العامة ولضمان الشخصية القانونية للبلاد ، اما في فلسطين فقد اهملت فكرة تأسيس حكومة وطنية ، واستمر الاعداد لخلق حكومة تنبثق من الاشباع في الهجرة اليهودية .

العرض الاول : لقد عينت بريطانيا عام ١٩٢٠ مجلسا استشاريا ليعود له المندوب السامي وقت اللزوم ، ورات ان يكون هذا المجلس مكونا من عشرين عضوا ، نصفهم من الموظفين الانجليز وسبعة من العرب اربعة من المسلمين وثلاثة مسيحيون وثلاثة من اليهود ، وقابل العرب هذا المجلس بالرفض قائلين انه لا يمكن ان يمثلهم وهم الاغلبية الساحقة ، وان قبلوا هذا التشكيل فسوف لا يكونون وسط هذا المجلس الا سبعة اصوات بجانب ثلاثة عشر صوتا هم مجموع اصوات البريطانيين واليهود ، واستمر العرب يطالبون بخلق جهاز للحكم يتولون فيه التعاون مع سلطات الانتداب لادارة شؤون بلادهم في طريق الاستقلال ، واستمرت بريطانيا ترفض هذه المطالب .

العرض الثاني : وخلال عام ١٩٢٢ صدر مرسوم دستور فلسطين الذي اشرفنا اليه قلا ، وتضمن في مادته التاسعة عشر تكوين مجلس تشريعي من اثنين وعشرين عضوا يضاف اليهم المندوب السامي ، كان عشرة منهم يمثلون الحكام البريطانيين في فلسطين وعشرة من العرب ثمانية مسلمون ومسيحيان واثنان من اليهود ، وبذلك يكون هذا المجلس الذي تضمنه دستور فلسطين مكونا من عشرة من العرب الذين يرفضون سياسة التهويد ولا يعترفون بوعد بالفور ، ومن اثني عشر عضوا يعملون علنا ورسما على فتح الابواب للهجرة اليهودية وتحقيق انشاء الوطن القومي اليهودي، فوق ان نسبة التمثيل ظالمة جدا فالعرب الذين يمثلون اكثر من تسعين في المائة لا يمثلهم الا عشرة اعضاء . لم يقف الامر في سخرية العروض البريطانية على العرب عند حد ، بل اشترط الدستور الفلسطيني في مادته الثانية عشر الا يصدر هذا المجلس اي قانون يكون مناقضا او مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه ثم اضاف في المادة الخامسة والعشرين ان المندوب السامي له كامل الحرية في ان يعلن موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته .

وان مجلسا تشريعيها هذه صورته ، وتلك حدوده في الحقوق والواجبات لا يمكن ان يراد به تقدم فلسطين ولا تثبيت الحرية والديمقراطية فيها ، ولا يمكن ان يراد به الا استلال الاعتراف من الشعب العربي في فلسطين

بوعد بالفور وسياسة التهويد ، حتى لا يكون هناك اي جانب معارض لتلك النكبة التي كانت تعد في تصميم وفي احكام .

العرض الثالث : وتقدمت بريطانيا بعرض ثالث ، وكان ذلك خلال مارس (آذار) ١٩٢٣ اذ اقدمت على تعيين مجلس استشاري من عشرة اعضاء بريطانيين وعشرة من العرب واثنين من اليهود ، وتبين للعرب ان الانجليز ما زالوا في طغيانهم يعمهون ، اذ هم يضمون بهذا التعيين اغلبية يهودية هي مجموع الاثني عشر عضوا بريطانيا ويهوديا ، وفوق ذلك في قبول هذا العرض من المهانة ما يزلزل قواعد الكرامة في النفوس اذ لا يمثل العرب الا عشرة اعضاء وهم سكان البلاد واهلها ولا تقل نسبتهم فيها عن التسعين بالمائة .

واعلن الشعب العربي رفضه لهذا العرض ايضا ، بل وامتنع الاعضاء العرب من مسلمين ومسيحيين عن الاشتراك في جلسات ذلك المجلس الهزيل واعلنوا رفضهم لذلك التعيين .

العرض الرابع : وتقدمت بريطانيا من العرب بخطوة جديدة ، ولكنها خطوة لصالح اليهود ايضا ، فعرضت خلال اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ ان يؤلف العرب « وكالة عربية » يكون لها نفس الصلاحيات المخولة للوكالة اليهودية ، وصلاحيات الوكالة اليهودية هي الاشراف على الهجرة اليهودية والعمل على اكتساب الاراضي لليهود والتعاون مع الانجليز بجميع الوجوه لتنفيذ وعد بالفور وصك الانتداب ، ولم يكن من المنطق ان يقبل العرب القيام بهذه الصلاحيات ، اي ان يكون العرب كاليهود مشغولين بالتهويد ، وعاملين على احترام وعد بالفور وصك الانتداب .

ورفض العرب هذا العرض ايضا ، ولو قبل عرب فلسطين عرضا من هذه العروض البريطانية ، ثم انتهت قضيتهم الى ما انتهت اليه (وهي طبعا حينئذ ستكون اسرع لذلك) لو حدث هذا لانزل عليهم المؤرخون جام غضبهم ، ولقيل لهم لو تمنعتم عن قبول تلك العروض ، ولو استمريتم في جهادكم وجلادكم ، ولو واصلتم كفاحكم ضد الانتداب ، لكان الامر يختلف تماما ، اما النصر وذلك هو المرغوب ، واما الهزيمة وحينئذ لا تلامون ، اما قبولكم للعروض البريطانية فقد اوقعكم تحت طائلة اللوم والعتاب ، وقد اسهمت في التهويد ورضيتم بالوعد وصفتكم للصك .

واليوم وقد تبين تاريخيا ان عرب فلسطين رفضوا تلك العروض لهوانها ، ولانهم صمموا على الكفاح وبذل الضحايا ، وجاءت النتيجة كما هي

الآن : وطن محتل وشعب ابي مشرد ، يبرز من يقول ان رفضه تلك العروض كانت « غلطة » ، وهكذا تضع مع الايام معالم الصواب حتى تنعكس المسميات .

ولقد حدث ان قبل العرب الفلسطينيين بعض العروض البريطانية ، قبلوها على الرغم من انها لا تحقق لهم آمالهم ، ولكنها كانت توقف النكبة عند حدود معينة قد يسهل تلافيها مستقبلا ، ولكن بريطانيا كانت تسرع بالغاء تلك العروض والرمي بعيدا بايجابية العرب ، فذلك كتابها الابيض * عام ١٩٣٠ الذي نص على وقف الهجرة اليهودية وتقييد بيع الاراضي لليهود ، اعلن العرب قبولهم له ، ولكن اليهود رفعوا اصواتهم رافضين وتحركت الصهيونية في كل مكان فاعلنت بريطانيا سحبها للكتاب الابيض .

وتقدمت بريطانيا بعرض جديد في اواخر عام ١٩٣٥ تضمن تشكيل مجلس تشريعي من ٢٨ عضوا يكون نصفهم من العرب ونصفهم من الانجليز واليهود ، واعلن المندوب السامي ان الحكومة مصممة على تنفيذ المشروع ، ولو اضطرت الى تعيين الاعضاء من الفريق الذي يرفض الاشتراك فيه (٦٥) وقبل العرب هذا العرض البريطاني لانه كان اكثر العروض تمثيلا لهم منذ نكبتهم بالانتداب ، ثم الفت بريطانيا عرضها هذا لان اليهود رفضوه وطالبوا ان يكون لهم النصف من اعضاء المجلس .

وعشا نبحث علاقة السلبية والايجابية بقضية فلسطين ، فلقد كان البرنامج البريطاني واضحا في تهويد فلسطين .

ولقد نوقشت بريطانيا في عصبة الامم بجنيف عام ١٩٢٥ حول تأسيس مجلس تشريعي بفلسطين فكان رد ممثلها واضحا لا يقبل تأويلا : لا يمكن انشاء مجلس تشريعي في فلسطين يكون العرب فيه ممثلين حسب عددهم ، لان ذلك يحول بين الحكومة وتنفيذ الواجبات المفروضة عليها بانشاء الوطن القومي اليهودي .

وهكذا يتبين الفرق بين السلبية التي يتهم بها عرب فلسطين ، وبين الايجابية التي عزفوا عنها ورفضوها ، ونحن لا نتهم السودان بالسلبية حين رفض تقسيم بلاده الى شمال وجنوب ، ولا نتهم سوريا بالسلبية حين رفضت خلق كيانات تقسيمية ارادها الفرنسيون ، ولا نتهم العراق بالسلبية حين قاوم فكرة تقسيمه بين عرب وغير عرب ، ولا نتهم مصر بالسلبية حين رفضت فكرة الاحلاف بما في ذلك حلف بغداد وشرقي السويس ومبدا

* راجع تفاصيل الموضوع في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٦٥) امين الحسيني ، حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٤٤ - ٢٠٤

ايزنهاور ، ولم يكن عرب الجزائر سلبيين حين لم يتفرنسوا واستمروا يحنون الى يوم الثورة والجلاد ، ولا كان عرب ليبيا سلبيين حين رفضوا التمتع بالجنسية الايطالية لتكون لهم نفس حقوق الايطاليين .

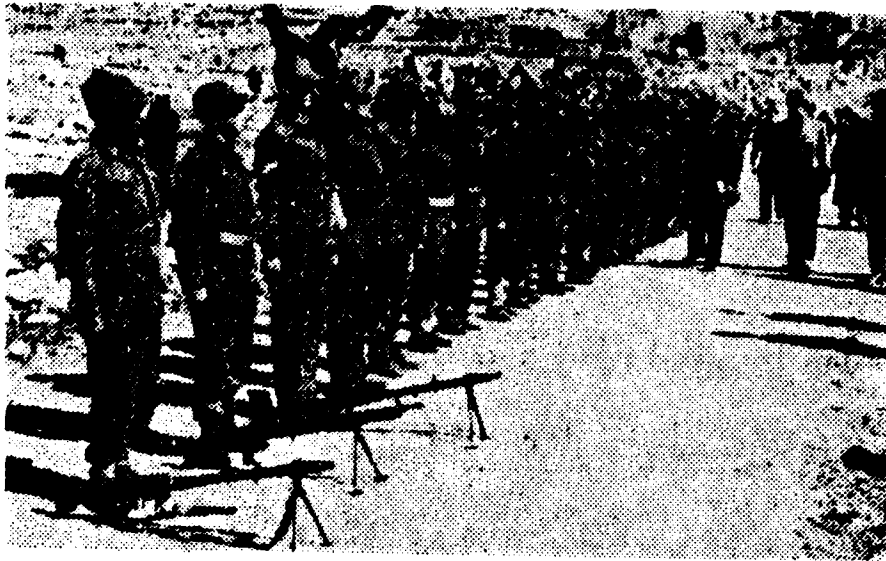
لا .. ان تلك السلبية هي الايجابية بعينها ، وان موقف شعب فلسطين لموقف يدل على وعي القيادة فيه ، حيث ادركت تعاون الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية على تهويد فلسطين فسلط الشعب طريق الكفاح موليا ظهره لكل عرض بريطاني مجحف لا يراد به الا الاعتراف بوعد بالفور وصك الانتداب وسلوك سياسة التهويد .

اما لماذا يبرز بين الحين والآخر من يتهم هذا الشعب المناضل بهذه او تلك ، فذلك لان خاتمة الصراع لم تكن في صالحه ، والناس من يلحق خيرا قائلون له ما يشتهي ...

١٥ - الجزائر وفلسطين :

ونحن ندرك لو ان شعب الجزائر لم يسعد بنصره التاريخي الخالد ، ما كان ينعم بهذه السمعة بين الشعوب ولا كان ينال مكان الاحترام والتبجيل التي يسعد بها الان ، ولو حدث ذلك لسمعنا من يقول انهم لم يكونوا ايجابيين مع فرنسا ، وانهم لم يكونوا متحدين في نضالهم لها ، وان بعضهم كان يحيد بقاءها وكان يحارب معها ، ولقيل الكثير غير هذا ادعاء وزورا وليبحث العديد عن الانحرافات يلقونها ويذيعونها، ولكن النصر الجزائري العظيم اصمت كل لسان واوضح كل بيان .

وما دمنا قد وصلنا الى الحديث العطر عن الجزائر ، فهل هناك شبه بين البلدين المجاهدين ؟ ان في كبر المساحة مجال للثورة وامتدح للكر والفر ، وبراح للهجرة ، وموطن للاختفاء والنضال ، ومع هذا فقد كانت الرقعة الصغيرة في فلسطين ميدانا لكل ذلك سنوات طويلة ، وشعب الجزائر يزيد عن الاثني عشر مليونا ، وفي هذه الاعداد البشرية صلابة تزيد الصراع قوة ، واحتياطي يمكن التمويل منه والاستعانة به ، وشعب فلسطين لا يصل المليون طوال سنوات الكفاح ، جهده البشري محدود ، ومواطن التمويل منه غير متسعة ، ومع ذلك فقد ترافق الشعبان في بطولة النضال والجلاد ، واذا كانت الجزائر قد فقدت مليوناً من الشهداء ، فقدت فلسطين الصغيرة ما يقارب مائة الف شهيد في ميادين القتال وعلى اعداء المشائق وخلال الثورات وايام المحنة ، ولهذا فشهداء فلسطين لا يقلون



انهما صورتان لثورتين ماجدتين لا فرق بين ابطالهما ، ولا تكاد تفرق بين منظرهما رغم فروق القوة والظروف . الصورة العليا لابطال من ثورة الجزائر الطافرة والصورة الثانية لابطال من ثورات فلسطين المستمرة .

عن تلك التضحية الجزائرية الخالدة بالنظر الى مساحة الميدان وحجم السكان .

ولقد واصلت الجزائر ثورتها وسط عالم مهتم بها مشغول عليها ، ومراكز مساعدتها وتمويلها تحيط بها من كل جانب ، في الجمهورية العربية المتحدة حيث كانت قوافل السلاح والمؤن والملابس تمثل اعدادا طويلة من قطارات السكة الحديد ، وفي المغرب وتونس حيث كان الشعب هناك يشعر بالامانة ويرى في حرية الجزائر استكمالاً لحرية ، وفي ليبيا حيث كان الجميع يعيش مع الجزائر ماديا ومعنويا ، يرعون زعماءها ويحدثون على لاجئها ويمررون السلاح المرسل لها من القاهرة او من غيرها ، ويتسربون عبر الحدود يعطون ويساعدون ، ويستتر الآلاف من المجاهدين الجزائريين بجوازات سفر ليبية يدخلون بها كل مكان حتى فرنسا ذاتها ، وتحول الافراج الى الحديث عن جهاد الجزائريين ، بل تتحول منادب البادية الى ذكر شهداء الجزائر وابطالها في ادب شعبي عظيم ، وكان العمون للجزائر ممتدا من سوريا ولبنان والسعودية بل من تركيا وباكستان ، بل من روسيا والصين واكثر مناطق الوجود ، وكان العالم العربي على اختلاف في الرأي ، ولكن ذلك الاختلاف لم يعطل قوافل الامداد للجزائر سواء من القاهرة او من العراق مثلا .

ولكن الثورة العربية في فلسطين منذ عام ١٩١٧ الى ١٩٤٨ لم تكن تجد من كل هذه البلدان والاقوام الا قليلا وقليلا جدا ، بل ان القطار الذي اصبح يحمل السلاح الى صحراء مصر الغربية (١٩٦١/٥٥) توطئة لنقله الى الجزائر المشتعلة ، هذا القطار نفسه كان يحمل الجنود البريطانيين من محطة القاهرة لآخاماد ثورة العرب في فلسطين المشتعلة ضد سياسة التهويد اعوام ٣٦ ، ٣٧ الى ١٩٤٨ .

كانت البلدان العربية المحيطة بفلسطين مكبلة بالاستعمار مهيضة الجناح ، وكان الشعب العربي في بلدانه لم يرتفع بعد الى تفهم عمق المشكلة وخطورتها ، اما شعوب اوربا التي ساعدت الجزائر فكانت في قضية فلسطين مخدرة بالمصل الصهيوني تسير مع حكوماتها في سبيل التهويد ، ولهذا وجد اليهود اطنان السلاح ترد عليهم من تشيكوسلوفاكية واطاليا وبريطانيا وامريكا ، وحين اعترف ترومان بقيام اسرائيل بعد منتصف ليل ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ كانت روسيا تسابقه لذات الاعتراف السريع .

وهكذا يتضح الفرق الزمني والوضعي بين ذلك الجهاد الذي نجح والجهاد الذي لم ينجح وهكذا يلاقي شعب فلسطين المتاعب الان لان جهاده لم يكتب له النصر .

لقد مر الشعب العربي في ليبيا بمأساة تاريخية مع الاستعمار الايطالي منذ عام ١٩١١ وحين غلب على امره وتوقف نضاله عام ١٩٣٢ وهاجرت اعداد من جموعه مضطرة الى مصر وسوريا والهند واوربا وكل قطر في الوجود ، لم تكن حالهم الا حال المهاجرين اللاجئيين الذين لا يملكون وطناً ، ولا يضمنون سندا ، ولهذا لم يسلموا من كثير من المتاعب في بعض الاوطان التي استقروا فيها (٦٦) ، وحين كتب النصر لشعب ليبيا وتحقق له استقلاله وطرده منه الغزاة ، تذكرت الشعوب جهاده ، واعلنت فضله وامجاده .

والناس اعوان من والته دولته وهم عليه اذا دالته اعوان

١٦ - انحراف القلة لا يشين الشعوب :

حينما تحدثنا عن مجموع الارض في فلسطين ، استعرضنا جميع الملابس وفضلناها ، وعلى الرغم من ان كل الاحداث تثبت ان شعب فلسطين لم يفرط في ارضه ، وانه احتفظ بها على الرغم من الانتقال والمتاعب التي تعرض لها ، ومع كل ذلك لم نجد مانعا من ان نذكر ان هناك قلة قليلة انحرفت وتصرفت في ارضها دون اضطرار ، ومع ان عدد تلك الفئة كان قليلا ، ومع ان مساحة الاراضي كانت صغيرة الا ان الاقدام على ذلك كان في ظروف فلسطين خيانة وانحرافا ، ولكن هذا الانحراف لا يشين مجموع شعب فلسطين الذي لو تسربت اغلب ارضه الى الاعداء لما وجد التاريخ وجها للومه ، حيث يجد الاساليب والانتقال التي سلطتها عليه الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية ، فما بالنا اذا كان ذلك الشعب ما زال يملك بلاده وان اعداءه الذين استفادوا من النكبة لا يملكون رغم الاحداث الاليمة والانتداب المرير الا نسبة لا تتعدى الثمانية في المائة من مساحة القطر كله .

ولكن من المؤسف انه ما فتئت جماعات تدين هذا الشعب وتنال

(٦٦) حدثني الاستاذ منصور الكيخيا فنصل ليبيا بالولايات المتحدة وخريج جامعة القاهرة « كنت مع صديق لي نجس في بهو احد الفنادق بالاسكندرية عام ٤٧ وبجانبا رجل من قطر عربي آخر فتجادبنا معه اطراف الحديث وسألناه هل عندكم في وطنكم لبييون ، فقال نعم عندنا اعدو بالله منهم متعبون ، تمبون ، استعماريون ، خبثاء ، قال الاستاذ منصور ونظرت الى صديقي الليبي وتبادلنا البسمات ، وهناك ادرك حديثي ما وقع فيه ، فقال هل انتم لبييون ؟ فقلنا نعم ، قال لا تؤاخذوني حديثي عن وصلنا ولعل فيكم الخيون . كان هذا عام ١٩٤٧ واللبييون لم يعودوا كلهم بعد لاطوانهم وقد هدمم التشريد واللجوء ، ولقد تغيرت النظرة بعد ذلك .

منه بما لم يفعل ، وتتناسى امجاده وجهاده ، تقول كاتبة فلسطينية (٦٧) في رد لها على مقال جارج لانباء فلسطين نشر باحدى صحف العالم العربي : السؤال الاخير اين هم ابناء فلسطين ؟ نقولين انهم تماما حيث صمم لهم العدو يذوبون في البلاد الاخرى ، يحملون بطاقة الاعاشة ويتوظفون بها جواسيس للصهاينة ويهاجرون الى اية قارة ، ويتملكون عقارات ويتزوجون الاجنبيات ، شكرا ، ظل ان تقولي وتذهب بناتهم ، كل بناتهم الى حيث لا يجدر بكريمة ان تذهب ، لكن المليونين بلا استثناء جواسيس وافاكون وذئاب مال (٦٨) يا عزيزتي ، صفار النفوس موجودون دائما ، والجاسوس والخائن وذئب المال انماط عامة من البشر ، لا نملك ان ندعيهم وحدنا كفلسطينيين ، وهم ليسوا كذلك - مع كونهم لا يمثلون الاحالات فردية - الا انهم صفار النفوس ، لا لانهم فلسطينيون .

وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ولا سمعتها ، وقد مرت بمختلف الاوطان احداث تاريخية عديدة جابهت فيها الاعداء ، وبرز بين صفوفها من هادئهم او عاونهم او ارشدهم او سار في صفوفهم ومع ذلك استمرت السمعة الاصلية مثلها الاعلى ولونها المشرق الجذاب ، تعرضت فرنسا لغزو هتلر الساحق ، وركعت مستعمرة الشمال الافريقي ، وقاهرة سوريا ولبنان وصاحبة باريس مدينة النور ، ركعت تحت اقدام هتلر خاضعة ومستسلمة ، وتقدم لغيف من رجالها وزعمائها يحاولون انقاذ ما يمكن انقاذه ، ووقع الماريشال بيتان صك الاستسلام واصبح لمانيا في ربوع فرنسا الحول والطول ، وطوال اربع سنوات كانت جموع الفرنسيين في الخارج يكونون حركة للجلاد ضد الغزاة ، ويعدون انفسهم ليوم الغزو ، وكانت حركة المقاومة في داخل فرنسا تنمو وتزايد ، ولكن كان هناك فريق ضالع مع الالمان ، كان هناك من سالمهم وقدم لهم الغذاء ، وكان هناك من تقدم لهم بالمعلومات والارشاد ، وكان هناك من تعاون معهم وقدم لهم الاسطول

(٦٧) مقال ورد نشره بمجلة الاسبوع العربي بلبنان بين الادبيتين ليلي بلبكي وسمرية عزام نقلته مجلة فلسطين مايو ١٩٦٢

(٦٨) نحن نشترك مع الكاتبة في لوم كل فلسطيني رضي ان يسمى الى كسب جنسية جديدة ، واصبح احد عوامل النسيان لواجب حتمي ، وتتناسى اولئك الذين يعيشون في المخيمات يرنون بأبصارهم الى اراضيهم داخل الحدود، وعمل على ان يكسب او يعمل في شركات البترول وموارد المال ، ومن المؤسف ان بعض اوطاننا شهد عددا من هذا النوع وللسنا نندري سببا يدعومهم لهذا ما دامت كل امكانيات العمل اتبحت لهم بما في ذلك اعلى المناصب في القضاء والدولة مع احتفاظهم بجنسيتهم (راجع مقالنا بجريدة الليبي الطرابلسية بتاريخ ١٩٦١ بتوقيع ابو الامين) .

ومخازن السلاح ، لا ريب ان ذلك كان انحرافا وخيانة للمعنى الوطني في فرنسا ، ولكن فرنسا التي حررها الحلفاء بعد غزو اوروبا ترتب اليوم معتزة بوطنيتها ، بل يقف ديجول رجل التاريخ الشجاع الصلب عملاقا امام مطامع استراتيجية امريكا ، يرفض لها طلباتها ، ويحطم كبرياءها ، ولو ادى ذلك الى خذلان حلف الاطلنطي . لم يشن فرنسا الماريشال بيتان ، ولم يخذش من سمعتها الاميرال لافال ، ولا انزل من قيمتها جموع فتياتها على نهر السين ترحب بالجنود الغزاة وتعانقهم كما لو كانت ممجبة بالنصر ، لم يشن فرنسا كل ذلك لان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

وبريطانيا ، حين سلط هتلر جموع طائراته يدكها بالقنابل ، وحين ارسل جيوشه تغمر القارة الاوربية ورحلت جيوش بريطانيا تجر اثواب الهزيمة والخيبة ، وحين اضطرهم هتلر ان يستعملوا البواخر والصنادل والاشباب هاربين من دنكرك ، وحين عاش شعبها في الانفاق تحت الارض شهورا طويلة ، كان احد ابنائها يذيع من برلين كل مساء ان النظام البريطاني يجب ان يزول وان المانيا هي التي ارسلتها العناية الالهية لتقوم اعوجاجا جامله التاريخ وكان هذا هو المسمى اللورد « هو هو » وبعد الحرب العالمية الثانية عشنا سنوات طويلة ونحن نستمتع لهروب عدد من علمائها ودبلوماسيها حاملين اسرار بلادهم الى روسيا جاعلين مصلحة اوطانهم في الحضيض ، وما قصة برجيس الدبلوماسي ولا فيلبي مراسل مجموعة الصحف البريطانية الكبرى وابن عبدالله فليبي احد اعمدة الاستعمار البريطاني في الشرق ما قصتهم على الجميع ببعيدة وهم يختفون هاربين الى موسكو وفي جمعهم الكثير من الاخبار والاسرار .

وقبل شهر وعلى التحديد في اواسط عام ١٩٦٥ ضجت الدنيا مع ذلك الشاويش البريطاني الذي وكلت اليه وزارة الدفاع امانة الحفاظ على اسرارها ومخططاتها في لندن ، فاذا به يركع امام سفارتي العراق والجمهورية العربية المتحدة ويبعها ما خفي من اسرار وما حرصت بريطانيا على درسه وتخطيطه حول مستقبل المنطقة العربية من تحركات واعداد مثير خطير .

ولكن هذه الحوادث كلها على ما فيها من هوان الوطنية وارشاصها ، لم تحطم سمعة شعب الجزيرة البريطانية من انه شديد الحفاظ على وطنيته ، صلب الجلال قوي الاحتمال، يشهد التاريخ له بالصبر الذي قاده للنصر امام نكبات الحرب الماضية المريرة ولم يشنه وجود بعض من المنحرفين ، ذلك ان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

ويطول بنا ضرب الامثلة واستطراد الشواهد لو تحدثنا عن كوسلنج في دول اسكندينايا وكيف عاون الالمان وساعدهم ، وساق قسما من جيوش بلاده تدافع عن الاحتلال .

ويطول الحديث أيضا لو تحدثنا عن الخيانات في ايطاليا وكيف تحرك قسم من قادتها يجرون الكرسي من تحت زعيمها حتى هوى ، ثم كيف اخذوا زعيمها ورجلها الذي كان يخيف الدنيا مكبلا بالحديد الى ساحة دووموا في ميلانو وشتقوه من رجله ثم انهالوا عليه بالرصاص . ومع هذا فشعب اسكندينايا معتر بتاريخه المجيد وخيانة القلة لم تخدش من كبرياء الاكثرية شيئا . ومع هذا فشعب ايطاليا يكرر انه بذل في الحرب الكثير استهدافا للنصر وان الاحداث المختلفة او انحراف قلة من افراده لا تجعله يحاول التخلص من تاريخ المجد العريق .

ولماذا نتحدث عن شعوب اوربا ونحن في منطقة عربية ذاقت اهوال الاستعمار طويلا وعلى مختلف اشكاله والوانه ، وما من جزء فيها الا ونكب بالاحتلال وبمن عاون هذا الاحتلال ، او لا يكون الحديث عن بلداننا اولى وانفع لا سيما ونحن نسطر تاريخ فلسطين ونسوق الادلة على اصالة الجهاد في شعبها ، وان انحراف القلة لا يشين تاريخه الكريم .

سرت الروح الوطنية الحققة في جيش مصر عام ١٨٨٢ وقاد عرابي جيشه الى ساحة عابدين ليقدم الى الخديوي مطالب جيش مصر وشعبها، وتطورت الامور بعد ذلك بين جبهتين ، جبهة تريد الوطن للشعب والمجد للوطن، وجبهة تريد مجد المظهر ولو كان على فسادالمجد، واتكا خديوي مصر على بريطانيا ذات الاطماع في الكنانة العزيزة ، وسرعان ما رست اساطيلها في الاسكندرية حيث انزلت جيشها فهزمته الوطنية في كفر الدوار ، ولكن بريطانيا اسرعت بالنزول في قناة السويس واستطاعت ان تستميل اليها قسما من المنحرفين ، وان يسرع خنفس باشا لاستقبال جيشها وان يتقدم سلطان باشا ليكون عونا للمحتلين ، وانتهت معركة التل الكبير بهزيمة الجيش الوطني ونفي عرابي والبارودي وعديد من رجال يفخر بهم التاريخ، ومكّن للاحتلال البريطاني الذي جثم على صدر مصر سبعين عاما واستمر جهاد شعب مصر وزعمائها طوال هذه السنين مرا اليما حتى خرج جمال عبد الناصر ، فنادى بريطانيا « احملني عصاك وارحلي » وشنها عليها حربا واقلانا واستطاع ان يكون الشوكة في حلقة الاستعماري وتحقق الجلاء وعاد الوطن الى ذويه .

هذه صورة تعطي وجهين في التاريخ ، وجه كله خيانة اردت الوطن

المصري الى الحضيض وكتبته عن انطلاقاته عشرات السنين ، ووجه مليء بالوطنية لم تخدش تلك الخيانة منه ولم تحط من قدره ، على انه طوال عهد الاحتلال البريطاني وطوال عهد التحالف البريطاني ، كانت صور من الخيانة تظهر على مسرح التاريخ في مصر رغم الوطنية الاصيلة التي يتربع عليها شعب الكنانة العظيم ، فتلك حادثة دنشواي عام ١٩٠٦ حين تلهى الضباط البريطانيون بصيد الحمام في تلك القرية الهادئة البريئة ، ولما لفتحت الشمس اهدهم ومات عطشا وتعبا ، اتهمت القرية بالتجمهر والقتل والاضطراب ، ونصبت المشانق وذهب اربعة من كرام رجالها معلقين على الجبال .

كان شعب دنشواي مثلا للشجاعة ، وكان شعب مصر كله يهتز مع تلك الجريمة البريطانية ، ولكن القضاة الذين استمعوا الى المتهمين والذين قدم لهم الطبيب الشرعي البريطاني تقريره : ان الضابط البريطاني المتوفي انما مات من ضربة الشمس لا ذبحا ولا قتلا ، ان اولئك القضاة كان رئيسهم بطرس باشا غالي وكان اهدم فتحي بك زغلول وكان ممثل الاتهام ابراهيم الهلباوي ، رخصت لديهم القيم ، ولم يرفعوا رؤوسهم تجاه الباطل رافضين القضية او مصدرين حكم البراءة ، وهم لا ريب صورة من التاريخ في الوطن العربي اعاده في اجزاء كثيرة منه يحفظه ابناء مناطقه المختلفة ولا ينسونه ، لقد اصدروا حكم الاعدام على اربعة من الشهداء فهانت عندهم القيم ، ولكنهم هانوا ايضا على التاريخ الكريم ولهذا حين تجمع بعض رجال القضاء ليقيموا حفل تكريم لوكيل وزارة العدل فتحي زغلول الذي كان أحد قضاة دنشواي ، لم ينس لسان التاريخ وشاعر العرب احمد شوقي ان يبعث لهم بأبياته الخالدة :

اذا ما جمعتم امركم وهممتوا باهداء شي للوكيل ثمين
خذوا جبل مشنوق بغير جريرة وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تجمعوا شيئا اليه وحسبه من الكتب حكم خطه بيمين
اما ممثل الاتهام الهلباوي ، فقد سجله في التاريخ شاعر النيل حافظ ابراهيم حين قال :

ايها المدعي العمومي مهلا بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر وضمنا لنجلك الاسمادا
انت جلدانا فلا تنسى انا قد لبسنا على يدك الحدادا

وهذا احد رجال الاحزاب يخطب فيؤكد في اعتزاز ان علاقة مصر وبريطانيا هو زواج كاثوليكي لا طلاق فيه، بل ان اولاد عنایت اولئك الوطنيين

الذين ارادوا وضع حد للتدخل الاحتلالي ولهوان الوطنيين فساقهم تفكيرهم الى اغتيال السردار البريطاني في محطة مصر ، انما القي القبض عليهم بخيانة من زميل لهم اطعمهم في محاولة الهروب خارج الحدود ثم اسلمهم الى الجلاد . انها احاديث تنفر منها الوطنية ، ومناظر تشمئز منها النفوس ، وصور عديدة كثيرة ظهرت فيها خيانات وهانت معها المعاني السامية ، ولكن كل هذا لم ينل من شعب مصر العريق ، فقد كانت الصفة الغالبة فيه هي البطولة ، فالى جانب اولئك الذين هادنوا الاحتلال كان الابطال يعانقون الرصاص في جميع انحاء الكنانة في ثورة ١٩١٩ ، وثورات الجامعات المتوالية والصور العديدة التي قدمها شعب مصر قد نستطيع اثبات بعضها ولكن المجلدات العديدة لا تكفي لحصرها .

فتلك الانحرافات لن تشطب من التاريخ البطل مصطفى كامل ، وتلك الملايين التي سارت خلفه تبني الوطنية وتزرع روح الفداء والاخلاص ، وذلك البطل محمد فريد الذي كان خليفة لمصطفى كامل وقدم الفا وخمسمائة فدان وعمارتين في معركة طويلة ضد الاحتلال ، ثم انتهى غريبا فقيرا يشعر بالام الجوع في ارجاء برلين ، ولكن الوطنية كانت اعظم من آلام الجوع في ضلوع محمد فريد ، واولئك الابطال من امثال سعد زغلول وعلي شعراوي وغيرهم ممن ناضلوا الاستعمار ، وذاقوا آلام القربة والابعد ، ولكنهم سقوا شجرة الوطنية بالماء العذب من اخلاص لا يعرف الهوان .

ويستمر شريط الوطنية في شعب مصر لا يأخذ منه هوان المستضعفين ولا ضعف الانتهازيين ، وما مضى عام من اعوام الاحتلال الا ورصع بالشهداء وسالت في ارجاء الكنانة دماء ودماء من ابطال كانوا صورة مجد لا يبلى في تاريخ الشعوب .

احمد عصمت الشاب ابن الاثرياء والذي نمرغ في القصور والرفاهية ، لا يرى هذا شيئا اذا لم يظهر الوطن من الاحتلال ، انه يحول قصر ابيه في عين شمس الى ترسانة سلاح يقدمه للمتطوعين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ويجهز به كل مخلص شجاع ، فاذا انتهت المعركة وفرضت الهدنة ، آمن بان الانجليز هم السبب فلا قيمة للسلاح اذا لم يوجه الى السبب واصل النكبة ، واشتعلت المعارك ضد معسكرات الانجليز في القناة واقام الانجليز الاسلاك الشائكة على الطريق الموصل الى القاهرة يفتشون المسافرين ، ويمنعون من يشاؤون ، ولكن احمد عصمت اختار اليوم ورسم المنهاج . انه يقادر قصره في ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢ مسلحا ومتجهما في طريق القاهرة بور سعيد ، ويصر الجنود الانجليز على تفتيشه ، ويصر على الرفض ، واستدار الجندي ليطلب قائده الكبير ، وكان هذا هو كل ما يريه احمد عصمت ، انه يريد هذا القائد الذي عرف عنه انه احرق القرى

وقتل الفلاحين ، واخرج احمد مسدسه في سرعة ، واردى القائد وعددا من جنوده صرعى ، واسرع ضابط بريطاني من بعيد فسلط رشاشه على البطل الشهيد الذي رسم لنفسه طريق الجنة وتاريخه .

وذلك جلال الدسوقي الذي قاوم بزوارق الطوربيد الصغيرة اسطول فرنسا عند شواطئ البرلس عام ١٩٥٦ واستهانت قطع الاسطول الكبير بالزوارق الصغيرة ، ولكن جلال الدسوقي الوطني المؤمن كان يدرك انه ليس بينه وبين انزال أكبر خسارة بالاعداء الا تقديم روحه هدية للوطن وفي سبيل الله ، فقدمها راضية ، وكان حصاد المعركة اغراق المدمرة الفرنسية « جورج ليج » والمدمرة « جان بارت » وكان هو الشهيد المنتصر في ساحة شرف عريق يرافقه بطلان شاركوا في صنيعه بشجاعة هما اسماعيل عبد الرحمن والبطل السوري جول جمال .

وتلك صورة شرف يرسمها آخرون من ابناء مصر في ساحة سيناء ١٩٥٦ ، حينما هاجمت قوات الاعداء موقع رفع باثني عشر كتيبة ، تؤيدها المدفعية وارتال الدبابات وتساندها قنابل الاساطيل الانجليزية من البحر ، ان محمد علي مكارم الذي يقود جنوده هناك كان يدرك ان القوى غير متكافئة وانه لا سبيل الى احراز نصر الا ان يكون نصر الفداء ، واخترقت قوات الاعداء حقول الالغام ، وجابهها الضابط الصغير الملازم ثان محمد علي مكارم وهو يحمل حقيبة مليئة بالقنابل اليدوية ويلقيها على جموع الغزاة الزاحفة ، حتى استشهد ومعه رفاقه الابطال .

وذاك جواد حسني الشاب اليافع الذي لم يتجاوز الواحد والعشرين ربيعا ، ابن وكيل الوزارة ووحيد والديه ، لم تمنعه النعمة في ارض النيل من ان يكون بطل جلال واستشهاد امام الاعداء عام ١٩٥٦ ، لقد فارق اهله وعسكر في بور فؤاد ، وحين نزل الكولونيل الفرنسي باسان ، راعه ذلك الحاجز الناري الذي اعاق تقدمه ، فلما تمكن الاعداء بعددهم وعددهم من اسكات النار ، كان جواد حسني في غيبوبة ، وكان النزيف يغطيه من جراح المعركة الرهيبة ، واخذ للعلاج والاستجواب ، واقفل البطل فاه لا يفوه بحرف ، ولا يرشد الى اماكن الابطال ، ولا الى تحركات الفدائيين ، واغتاط الكولونيل الفرنسي السفاح ، كيف يحمل الشاب العربي الصغير مدفعين رشاشين ومجموعة من القنابل ، وازداد غيظا حين ادرك انه لن يستفيد من استجوابه ، وتذكر ان عددا من جنوده الغزاة صرعهم هذا الشاب المقاوم ، وامر جنوده فحصدوه بالرصاص والقوه في مياه البحر . وتولى الموج شرح كل الخفايا فحين قذفه الى الشاطئ اوضح كم رصاصة استقرت في صدره الصغير ، وقلبه الكبير ، وحين حررت بور فؤاد وجدت مذكراته مسطرة باظافره على الجدران توضح تعذيب الغزاة له وحنقهم عليه ،

وتوضح شجاعته وإيمانه ورسوخ الوطنية في قلب الفتى البطل الشهيد .
وإذا كنا سنسطر كل مظاهر الوطنية في شعب الكنانة فاننا في حاجة
الى مجلدات وسنوات .

ولكن موقف شعب مصر والاعداء يدكون القاهرة بقنابلهم ، ومنبر
الأزهر الشريف يهتز يوم الجمعة الخالدة تحت كلمات القائد المعبرة
التاريخية « سنقاتل ولن نسلم » والارض ترنح تحت غزوات دول كبرى
والاساطيل تهاجم بور سعيد والطائرات تهاجم ارض الكنانة . لقد
كان موقفا خالدا في التاريخ . تسلح شعب مصر كله ، واستعد الكل ان
يدافعوا من شارع الى شارع لم تبد منه خيانة ، ولم يرتجف فيه قلب فكان
هذا ابلغ دليل على قوة الشعوب المؤمنة ضد تكتلات الباطل مهما كبرت
قواه وارتفعت دعواه .

وهكذا نرى ان انحراف القلة في معارك التل الكبير او غيرها ومظاهر
التوجيه الاستعماري على مر السنين لا يبدو شيئا مطلقا الى جانب نصاعة
الجهاد وقوة جلاّد شعب مصر العريق باني الجمهورية العربية المتحدة .

والحديث في هذا الموضوع لا يمكن ان يمر من تاريخ اي بلد دون ان
يجد ما يؤيده ، وتلك سوريا التي تربعت على عرش الكفاح والثورات الوطنية
دائما ، سوريا التي كانت الشعلة القومية فيما أسموه الثورة العربية الكبرى
برز بين صفوفها من انحرف عن نتائج تلك الثورة ومد يده للفرنسيين وما
كاد جيش ميسلون ينهار امام جحافل فرنسا وغدرها ، وما كادت جيوش
فرنسا تحتل دمشق وتحطم الحكم العربي حتى رحل فيصل الى حوران
يحاول ان يقوي حكمه ويستمر كفاحه ، ولكن فرنسا استطاعت ان تجد
في سوريا من يتعاون معها ، ويؤلف حكومة شكلية تحت نفوذها على الرغم
من انها حلت الجيش وفرضت على البلاد الغرامات وجمعت الاسلحة' وأهانت
كرامة الوطن ، وكان اول عمل لتلك الحكومة هي ان ارسلت اندارا الى فيصل
تطالبه بأن يغادر الوطن السوري فورا ، داست بذلك لصالح فرنسا الثمرة
الاولى التي كان ممكنا ان يستفيد بها العرب على الفور .

وطوال حكم فرنسا لسوريا وعلى تعدد الثورات والتضحيات برز
عديد ممن تعاونوا مع فرنسا في سلك شرطتها ودوائر امنها وكانوا حربا على
الوطنيين وشرا على المخلصين ، ولكن ذلك الانحراف لا يمكن ان يقلل
شيئا من سلامة الوطنية في شعب سوريا الذي خاض الحروب الصليبية
بشجاعة وقاتل مع غيره من المسلمين بالمنطقة في بطاح حطين . لقد
ترعرعت في مراتبه فكرة الوحدة العربية وعلى بطاح وطنه سالت
دماء الشهداء في ثورات عارمة ضد فرنسا ، وفي شوارع

دمشق . وانتشرت جثث شهدائه طوال عشرين عاما وذاق
من ويل الحكم الاجنبي كل اساليب القمع فلم يرضخ ولم يهن ولم يستكن
ولو هدمت القنابل ارجاءه ، ودكت برلمانه وثلت سلطانه، وهكذا يتأكد ان
انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وذلك المغرب العربي الكبير بأقطاره الكبرى الثلاثة : تونس والجزائر
ومراكش ، حين استقر بها الاستعمار الفرنسي ، كادت تدوب معالمها في تلك
البوتقة الخطيرة لولا جذور عميقة من اصالة صحيحة في شعوبها، ولم يشنها
ان تلك الجيوش التي كانت تحمل اسم فرنسا في حربين عالميتين طاحتين
كانت تتركز على قواعد تلك الشعوب وتتكون منها ، تجند في صفوفها ،
وتعمت في ميادينها وتدفع الارواح بلا ثمن وبلا هدف ، « وهكذا حدث ان
مات المسلم دفاعا عن قاتله وازهقت روحه في سبيل سعادة الجلاّد
ونصره » (٦٩) .

ففي معركة العدم بليبيا خلال صيف ١٩٤٢ كان ابناء شمال افريقيا هم
سدى المعركة ولظاها في سبيل انتصار فرنسا التي اذلت تونس وحرقت
باستعمارها المغرب وحاولت فرنسا الجزائر على امل فرنسي تحطم الان
واندثر ، وفي معارك اوربا حين نزل الحلفاء في شواطئ فرنسا وايطاليا غزاة
محاربين ، كان ابناء الاقطار الثلاثة يصلون نار تلك المعارك الحارقة ، على
حين كانت فرنسا تعتقل ملك تونس الشهيد المجاهد المنصف باي ، وتسلب
قواها على الجزائريين والمغاربة والتونسيين في الداخل ، تخشى ثورتهم
وتتمعن في استغلالهم .

وحين اشعل الاحرار الابطال نار الثورة الجزائرية في صيف ١٩٥٤/٥٤
بقي قسم من جيش فرنسا الجزائري يحارب تلك الثورة ويحمل
السلاح على الاعداء وقتا طويلا ، بل ان معارك فيتنام البعيدة التي خاضتها
فرنسا دفاعا عن استعمارها هناك انما ذابت فيها عظام ابناء الجزائر ومراكش
وما زال بعض قادة المغرب يحملون اوسمة ذلك المجد الفرنسي المنهار (٧٠)، ولا
يسري بنا الحديث الى بعيد ، فان معركة ميسلون التي خاضها جيش
فرنسا عند ابواب دمشق ضد اول حكم عربي نشأ بعد الحرب العالمية الاولى

(٦٩) البشير الابراهيمي مجلة البصائر ١٩

(٧٠) ذكرت مجلة روز اليوسف القاهرية في عددها الصادر في ٢٨ من اكتوبر ١٩٦٣ ان من
اشهرهم الجنرال كناني الذي تولى قيادة قوات المغرب الدولية في الكونغو وورد اسمه في
الانقلاب الذي حدث ضد لوموبا والجنرال ادريس بن عمر ووصف بانّه من المحاربين
الفرنسيين الشجعان في الهند الصينية والجنرال محمد اوقفير وهو من المشهورين في معركة
ديان بيان فو والجنرال فريان وما زال كل اولئك يرتبطون بحقهم المادية في جيش فرنسا .

الكفاح الحر في شعب تونس قول الشابي شاعرها الخالد :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
ولا بد لليل أن ينجلي
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد للقيد أن ينكسر

وتلك الصورة السلبية لا يمكن أن تشين جهاد الجزائر الخالد منذ أن رفع لواءه في وجه فرنسا الامير عبد القادر الجزائري ، ونازلها في صراع مجيد سنوات طويلة، يردده التاريخ في تمجيد وفي أكبار، ودفع خلاله الشعب الجزائري تضحيات مريرة ولاقى من عنف الاستعمار وطفياته أهوالا تنهد لجورها الجدران ، وتشيب لهولها الولدان ، من مصادرة للأراضي الى عنق الحكم الى محاولة الإبعاد عن العروبة والاسلام .

ولكن كل ذلك قوبل بالجهاد والثورات تتلاحق وتتتابع طوال قرن من الزمان ، ابتداء من أولئك الأبطال الذين صمموا في قلب مدينة الجزائر أن يحموا مسجدها الكبير من تحويله كنيسة في بداية الاحتلال حتى ذهبوا الى الله في داخله شهداء مدافعين (٧٣) ، الى الخمسة والاربعين الف شهيد الذين حصدهم مدفعية فرنسا وطائراتها في قسنطينة وسطيفة (٧٤) ، حيث تحركت الروح القومية تطالب بالتححر ، الى المليون من شهدائها الأبرار الذين قدموا الأرواح زكية في ثورتهم العارمة الصادقة من سنة ١٩٥٤ الى أن حققوا استقلالهم ١٩٦٢ .

وليس من ريب في ان ذلك الغداء الذي وجهه ملك فرنسا عام ١٨٣٠ الى جنوده يوم رحيلهم للجزائر وقال فيه : ان العمل الذي ستقوم به الحملة سيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء (٧٥) ، لم يستطع ان يكون حقيقة عملية برغم الجور والظلم وطيلة قرن واثنين وثلاثين عاما ، وهذه مفخرة للشعب الجزائري العظيم الذي أعلنت ثورته في بيانها الاول عام ١٩٥٤ الرد الحاسم على ملك فرنسا شارل العاشر وقالت فيه « اننا ننادي شعبنا ليتحرك حتى يعيد للجزائر حريتها ووجهها الاسلامي الصحيح» ولقد فعلوا رغم كل العقبات واثبتوا عن جدارة ان الاساس المتين السليم لا يمكن ان يضعف وان انحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب .

ويقال هذا ايضا عن المغرب (مراكش) حيث كانت مفاخر الوطنية فيه ليست من الأيجاز حتى يحيط بها بحثه ولكن التاريخ لا يمكن مهما أوجز ان

واقامه فيصل حليف بريطانيا وفرنسا ضد تركيا ، تلك المعركة انما خاضها لصالح فرنسا عرب من شمال افريقيا ضد العرب في ديار الشام ، يقول البلاغ الرسمي الفرنسي الذي اورده كاتب عربي (٧١) ان القوات الفرنسية في تلك المعركة كانت تتكون من الاي المشاة ٤١٥ والاي الرماة الجزائريين الثاني والاي من السباهي المغاربة .. الى اخر ما ذكر البلاغ .

والجلاوي الذي قاوم وطينة الملك محمد الخامس وانضم الى جيش الاحتلال وقواده ضد استقلال المغرب ، انما كان مغربيا ، وابن عرفة الذي قبل على نفسه ان يجلس على كرسي ملك المغرب الوطني المبعد في حماية من جيش فرنسا وارهابها انما كان مغربيا ، بل ان روح الانحراف التي سيرت في القلة جعلت جزءا من جيش الجزائر في يوم من الايام يقبل ارغام الفرنسيين بأن يسهم في تطويع سلطان عربي آخر، يقول شيخ علماء الجزائر في مقال شهير له « رأينا المثال المجسم من انتصار الاستعمار بالمسلم على اخيه المسلم وترويع المسلم بأخيه المسلم وخوف المسلم من اخيه المسلم ، كل ذلك والدين واحد والوطن واحد والمصلحة واحدة والخصم المتربص واحد ، ولعمري انها لاقصى غاية من الفساد بلغناها واقصى امنية للاستعمار نالها بنا فينا » (٧٢) .

ولا ريب ان فرنسا قد افلحت زمنا في حكم تلك المنطقة التاسعة بجزء من أبناء الشمال الافريقي غرر به او ارغم حتى اعتقد بعضهم انهم مع فرنسا على ارتباط ابدى ، الفوا في ذلك الكتب ودبجوا المقالات ، ولكن هذه الصورة من الانحراف لا تمثل الاقلية صغيرة من ذلك الشعب العربي المسلم في تونس والجزائر ومراكش وهي بذلك لا يمكن ان تشين شعوب هذه المنطقة التي شهدت ثروة بالبطولات والتضحيات على مدى تاريخ طويل ، وانحراف القلة لا يشين جهاد الشعوب ، فمن شواطئ تونس وبشعبها زحف الاسلام فانار صقلية مئات السنين بنوره الوهاج ، ومن جامعة الزيتونة الاسلامية اضيئت جوانب الشمال الافريقي كله بروح الوطنية والغداء ، وتشهد صحاريها المترامية كم لقيت الزعامة في غياهبها من ارهاق وابعاد وانعاب عمد اليه الاستعمار ليوقف زحفهم البطولي نحو الحرية واعادة الوطن لاهله ، وسوف يتذكر التاريخ على مدها البعيد ، الزعيم الثعالبى مؤسس الحزب الحر الدستوري النواة السياسية الاولى هناك ، ومحي الدين القليبي والشهيد صالح بن يوسف وتامر وحشاد والالاف من شهدائها الذين ذهبوا على مذابح الاستعمار ، ويصور روح

(٧٣) انه جامع كيشاوة وقد سمدت بسلامة اول جمعة في الاستقلال حين تمت اعادته الى حقيقته في يوم مشهود خالد عام ١٩٦٢ .
(٧٤) الوحدة العربية ، ص ١٦٨
(٧٥) المصدر السابق ، ص ١٥٨

(٧١) النضال بين العرب والفرنسيين والانجليز ، ص ١١٩

(٧٢) البشير الابراهيمي ، مجلة البصائر الجزائرية العدد ١٤٨ عام ١٩٥١

يتخطى ثورة عبد الكريم الخطابي والبطولات العديدة التي استطاعت ان تزلزل كيان دولتين مهمتين في اوربا هي فرنسا واسبانيا حتى سقطت في الاخرة وزارات عديدة تحت ضربات الثورة ، وحتى تعاونت الصليبية في جميع ارجائها وارسلت مدينة نيويورك الامريكية سربا من الطائرات لتدك به اسبانيا معاقلة المجاهدين .

بل ان جهاد المغرب بعيد الحرب العالمية الثانية وتضحيات شعبه في سبيل الحرية كان مضرب الامثال في البطولة وفي الرجولة حيث كانت المعارك تشمل فيافي المغرب يصلها جيش التحرير فيه ، وكانت المدن تشهد بطولات فدايية ضد المستعمرين وضد المتعاونين معهم ، ولم يشن الشعب عن هذا ابعاد الملك الى الجزر البعيدة ولا تولية المعتدلين الراضين بالتعاون مع فرنسا، وكان جهاده العسكري مفخرة ونضاله السياسي اعزازا، وذاق الشعب في الداخل متاعب الجهاد والقتال وتقبلها بروح الفداء والتضحية واحاطت بزعمائه في الخارج متاعب الاغتراب والشدة والفاقة وقابلوها بالابتناسام في سبيل الهدف الذي ارغموا فرنسا اخيرا على قبوله وترتيب المغرب حرا مستقلا ، وهكذا يثبت ان المعدن الكريم يتغلب دائما وان انحراف القلة لا يشين الشعوب .

واذا تحدثت عن وطني الاول ليبيا ، لا اجد الصورة تختلف عن اي جزء آخر في العالم ، فقد ظهر في الاعوام الثلاثين التي حكم فيها المستعمر، من ماله وهادنه وسار في ركابه ، بل لقد هانت الوطنية عند قلة قليلة فكانوا حربا على الوطنيين والمجاهدين ، ويعلم الله كم كابد وطني من متاعبهم وانحرافهم . لقد شهد الحاكم الايطالي غريزباني (٧٦) في احدى خطبه ان المجندين الليبيين كانوا يتركون رصاصهم في ارض المعارك ليتعمون منها (العصاة) وكانت هذه شهادة للوطنية الليبية حتى في اولئك الذين خدموا مع المستعمر ، ولكن التاريخ لا يغفل ان بعض مناطق الوطن حيث شهدت جرائم بشعة خطيرة بسبب انحرافات تحتاج تفصيلها الى بحث مستقل . وتلك بعض جرائد ذلك العهد مليئة بتمجيد موسولينى ، وملك ايطاليا وتسطير النثر ونظم الشعر في مجد الرومان .

ويطول بنا الحديث لو عمدنا الى الامثلة نسوقها دليلا فيما لا يحتاج الى دليل ، ولكن هذه المواقف او تلك لم تنل من همة الشعب الليبي لانها مواقف القلة الصغيرة ، نشأت عن انحراف رخيص ، ونشأ البعض الاخر عن اضطرار فرضه حكم لم يشهد التاريخ ابشع منه ولا اشنع ، وانحراف

(٧٦) جريدة بريد برقة بنغازي ديسمبر ١٩٢٠

القلة لا يشين جهاد الشعوب ، اذ ان الصورة الطبيعية للشعب الليبي انما تتضح في رفعة السلاح ربع قرن من الزمان يجالده دولة تفوقه عددا وعددا وتسلبت عليه قوانينها وبرامجها التي تهدف الى اذابته ، وترسل بجموعها لتفتصب ارضه ، ومع هذا تستمر التضحيات ، ويدوم القتال في شواطئ طرابلس وبرقة ثم في جميع الفيافي والقفار والصحارى والجبال الشاسعة ، اشترك فيه الحضري والبدوي وساعد فيه الفقير والثري ، اضاعوا الثروات فلم يابها بها ، وركبوا فرس الموت يسابقون بها المجد حتى شهد بجهادهم البعيد والقريب ، ولم يبق متر من ارض ليبية ماهولة لم يشهد قتيل او مشنوقا ، وتلك المعتقلات الجماعية التي نام تحت نراها عشرات الالاف لانهم لم يظهروا الولاء لاطاليا ولم يكفوا عن مساعدة المجاهدين ، وتكفي الاحصائية التي نشرت عن الشعب الليبي عام ١٩٥٥ التي افادت ان تعداده مليون وربع مليون ، وهو الشعب الذي كان قبل الاحتلال الايطالي بتقدير الادارة العثمانية مليونين ونصف المليون ، ضاع نصفه بل اكثر من نصفه اما في ميدان القتال او على اعواد المشانق او في صحارى المعتقلات او في ديار المهجر ، وحين اضطر الى القاء السلاح بعد واحد وعشرين عاما من حرب متصلة استقر في الخارج ، وفي ارض الكنانة كانت اكثر جموعه ، واستمر محتفظا بوحده ، رافضا الخضوع لاطاليا ، معرضا عن عروضها له بالعودة ، موحدا قيادته في ظروف مرة من فقر وعوز وارهاق حتى اذا اشتملت الحرب العالمية الثانية وناداه قائده المهاجر الامير السنوسى (الملك الان) امتشق سلاحه من جديد وانضم اليه الكثير من المجندين الذين القوا سلاحهم في اول معركة ، رافضين القتال دفاعا عن العدو ، واسهم الجميع في تحقيق النصر وعادوا الى بلادهم فاتحين محققين استقلاله مفتخرين باسلامهم محافظين على عروبتهم .

وهكذا لم يشن الشعب الليبي ذلك الانحراف من قلة تستوي عنده مفاهيم الحياة بل واثبت كفيره من الشعوب المؤمنة انه احد مفاخر الاسلا الذي به قاتل ، واثبت ايضا ان انحراف القلة لا يشين الشعوب .

وبالتالى لا يشين شعب فلسطين انحراف قلة منه ضئيلة ما دام تاريخ الشعب يفرض على الباحث المنصف ان يحني راسه احتراما لشعب صغير وقف في اعزاز وقوة وتصميم يحارب اكبر قوتين في الارض : صليبية استعمارية ، وصهيونية عالمية ، وما خسر معركة الا استعداد لمعركة لاحقة .

خاتمة البحث

وهكذا استعرضنا الأطوار العديدة التي مر بها جهاد شعب فلسطين منذ ١٩١٧ ، من انقالب بريطانية صهيونية تعاون فيها المال والحكم بأدوات القانون والحيل والعنف ، وأوضحنا كيف عمدت بريطانيا الى عزل هذا الشعب الصغير في تمعاده ، لتتمكن من اذابته وسط بوتقة الصهيونية وكيف تسابقت الدول الصليبية جميعها الى تأييد هذه المؤامرة الخطيرة ، ولكن الشعب الفلسطيني قاوم بكل جهد يستطيعه الانسان ضد مخطط الصهيونية والصليبية الاستعمارية طوال ثلاثين عاما ، وهي مدة طويلة يقفها شعب صغير اعزل منفرد امام قوى كبرى عالمية لو تجمعت على عدد من الشعوب لقهرتها .

يقول حايم وايزمان زعيم الصهيونية المعروف ، « ان بريطانيا قد وعدت زعماء الصهيونية بأن تسلمهم فلسطين خالية من سكانها خلال سنوات قليلة ، ولكن مقاومة العرب هي التي اجلت ذلك الوعد ولم تكن تلك المقاومة في الحسبان (١) » .

ولا ريب ان تلك المقاومة العربية التي ابداهها شعب فلسطين قد استمرت على مدى التاريخ ، وتلاحقت حتى يوم النكبة الخطيرة عام ١٩٤٨ ، وحتى معارك العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، التي شهدت تضحيات الفلسطينيين في غزة والعريش وخان يونس .

واسرائيل المعلنه التي تقف امام العرب جميعهم اليوم في وطنهم الكبير ، هي نفسها اسرائيل غير المعلنه التي تقف قبل اليوم امام شعب فلسطين وحدهم في ميدانهم الصغير الضيق .

واذا كنا في بحثنا هذا قد عمدنا الى مواجهة الحقيقة التاريخية في تفسير العالم العربي والاسلامي تجاه فلسطين ، فاننا نحصر ذلك في الفترة التاريخية الخطيرة التي صاحبت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حيث كانت شعوبنا مكبلة بواقعه الاستعماري الرهيب وحيث كانت القوى

الكبرى تتحكم في مصيرنا وتقرره ، وحيث كان الوطن العربي مكبلا بمعاهدات هي استعمار فظيع مقتنح ، وليس من ريب في ان الروح الصادقة المتحرقة للنضال كانت ترافق شعبنا في جميع اقطاره آنذاك ، ولو اتاحت له فرص العمل لاثبت كيانا سليما وجدارة فعالة .

ومن واجب شعوبنا ودولنا ان تدرك اليوم هذا الخطر الخطير الذي بدا بفلسطين وجاهده شعبها ثلاثين عاما طليعة في سبيل مقدسات الاسلام وكل العرب ، هذا الخطر بدا يقترب من كل اوطاننا وتبدو احواله واضحة للجميع ، اقامه الاستعمار ركيزة ، واتخذته الصليبية الاستعمارية قاعدة ، وبعثت في تفكيره آمالا خطيرة لا يمكن تحقيقها الا على اشلائنا جميعا ، فالصهيونية تنادي بوطن كبير يمتد من النيل الى الفرات ، ويضم بين جنباته المسجد الأقصى المبارك في القدس ، ومثوى الرسول الطاهر في المدينة المنورة (٢) ، وتقيم كيانها محطما لوجودنا ، عابثا بحضارتنا ، مذلا لكبريائنا وكرامتنا ، عاملا دون رحمة ولا خلق على تشريدنا وافنائنا ، واذا كان بعض منا او من حكمانا يستغرب هذا القول ويراه تشاؤما لا محل له ، فان هذا هو الذي كانت تقابل به احداث فلسطين قبل نكبتها عام ١٩٤٨ حين كانت بعض الأصوات تحذر من الخطر الصهيوني ، وتتفجع على مصير الشعب المجاهد في فلسطين ، وكان بعض من حكمانا أيضا وقليل من افراد شعوبنا يرى هذا شيئا من التشاؤم واغراقا في الخوف ، واستهانة بجموعنا، حتى حدث ما حدث وسبق السيف العدل . (٣)

وفلسطين تحتلها الصهيونية باسم الدين ، وترتبط بين احتلالها الحالي وذكريات سليمان وداود والشعب المختار (الذي قتل النبيين) ولا يمكن ان يكون جهدا متكاملا لانهاء المشكلة من اساسها وتصفيتها ابديا الا باشتراك مئات الملايين من المسلمين في شتى بقاع العالم معنا فيها ، ونحن بذلك انما نسمي الأشياء بأسمائها ، ففلسطين للاسلام جميعا مهوى الأفتدة ، ومسرى الرسول ، والاسلام مطالب بالعمل من اجلها ، ولكننا نحن العرب مسلمين ومسيحيين مطالبون بهذا العمل باعتبارها مقدسة اولا ووطنا ثانيا ، واذا كانت الامم المسيحية الاوروبية قد غضت الطرف عن مقدساتها في فلسطين تلك التي حافظ عليها الاسلام قرونا طويلة ، ولم تتحرك لانتقادها من ايدي ابناء صهيون ، فان ذلك سيكون اكثر دفعا لنا

(٢) راجع خريطة الطامع الصهيونية في الوطن العربي ص ٥٢٠ من هذا البحث .

(٣) كان هذا الجزء من الكتاب قد سطر في اواخر ١٩٦٦ قبل الكارثة الكبرى في ٥ يونيو

(حزيران) ١٩٦٧ .

(١) حقائق عن قضية فلسطين ، ص ٢٩ .

للخامس من يونيو ... وما بعده

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انقلتم الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شيء قدير »

قرآن كريم (التوبة ٢٧/٢٨)

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال ، او متحيزا الى فئة ، فقد بآء بفضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير » .

قرآن كريم (الانفال ١٥ و ١٦)

من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في اهله بخير فقد غزا .
(حديث شريف)

ان استوينا (مع العدو) في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة والا نصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا ، ولم يسلط علينا (وان اسانا) ، قرب قوم قد سلط عليهم شر منهم .

من خطاب الخليفة عمر

الى القائد سعد بن ابي وقاص يوم القادسية

ان ما اخذ بالقوة لا يمكن ان يسترد الا بالقوة ، ولا مفاوضة ولا صلح ولا اعتراف باسرائيل ، ولا صفقات على حساب الشعب الفلسطيني وسنسترد الارض شيبرا شيبرا .

جمال عبد الناصر - ٢٢ يوليو ٦٨

نحن العرب المسلمين والمسيحيين الى التحرك الجدي والعمل المفيد ، كل بجهده وقوته لا يدخره ولا يستهين به ، اما المسيحية في أمريكا وبعض اوربا ، « فقد آمننا بأن العالم المتحضر (فيها) قد تهود ، وآمننا بأن السحر الذي ابطله موسى قد احياه اتباعه ، ولكن بغير ادواته ، ابطله بعضا الخشب ، واحيوه بحبال الذهب ، وآمننا بسفسفة القضايا الفعلية التي تحيل اجتماع الضدين ، حين رأينا التضاد يجمع طرفيه في دائرة مغناطيسية فاذا هو ممكن .. واذا عقيدتنا الصلب لميسى والتاليه له تجتمعان في هالة من البريق المفضي للأبصار والبصائر ، فكانه لا تاليه ولا صلب ... كل ذلك لانه لا ضمير ولا قلب » (٤) .

اننا نؤمن كامل الايمان واصدقه بأنه حين تتوحد صفوف العرب جميعا وحين يستطيع العرب المسلمون ضم مسلمي العالم في المعركة المقدسة والمصرية وحين نسخر كل قوانا وامكانياتنا لليوم الفاصل ، فاننا بذلك سوف نضمن لاجيالنا القادمة البقاء والحرية والعيش في سلام .

وسوف نقدم للانسانية جمعاء بما في ذلك المسيحيين في اوربا وامريكا بدا تاريخية تنقذها من مهاوي الباطل والصهيونية وتسلطها ، وذلك حين نقيم في فلسطين ، عدلا انسانيا ونطوي السى غير رجعة باطل اليهود وصهيونيتهم ، ولن نفعل ذلك الا اذا ارتفع شعورنا بالواجب والمسئولية والخطر الى القمة في كل فرد حتى اذا تقابل اثنان من العرب او من المسلمين مهما تباعدت اوطانهما ، كان حديثهما فلسطين ، وكان وداعهما ان يبذلا الجهد ويتقابلا فيها ، فلقد عاش اليهود آلاف السنين فاذا قابل الامريكى منهم الآخر الروسي ودّعه بكلمته المرجمة : نسيئني يميني ان نسيئك يا اورشليم ، سواء في ذلك الشعوب او الجماعات او الافراد، ونحن العرب والمسلمين بذلك اولى وله اقرب .

اما من يتخاذل عن تقديم عونه وبذل جهده وتضحياته ، فسوف ينال عقاب الاجيال ولعنة الله والتاريخ ، وعلى الله التوفيق ، وما النصر الا من عند الله ، وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

(٤) البشير الابراهيمي مجلة البصائر الجزائرية ١٩٤٨ .

الفصل الأخير

الاحداث الخطيرة قبيل الخامس من يونيو ١٩٦٧

حين سطرت الصفحات الثلاث الاخيرة خاتمة لبحثي « جهاد شعب فلسطين » كان الموقف في هذا الجزء من العالم العربي يصور وجود الباطل الصهيوني في جزء من فلسطين يقف عند قطاع غزة الذي تشرف الجمهورية العربية على ادارته ويحكمه مجلس تنفيذي فلسطيني ، وعند هضاب تجاور بحيرة طبريا وتشرف عليها مرتفعات جولان السورية المحصنة والمسلحة وعند خط يقسم ارض فلسطين الى اسرائيل والضفة الغربية للاردن التي تضم من بين ما تضم طولكرم والخليل وجنين ونابلس ورام الله وبيت لحم والقدس ، والتي تكون اهم اجزاء المملكة الاردنية .
ولقد زرت الضفة الغربية ووقفت عند ذلك السلك الذي يقسم قرية



بيت صفايا وجندي اردني يشرح لنا ما يبدو خلف الاسلاك المحتلة بالعدو .. ان القرية مشطورة نصفين ، وكان سكان النصف المحتل ينتظرون يوم التحرير .. اما اليوم فكلمها في ذلك الانتظار

يجب ان تشمل المعركة ضد اسرائيل الامة العربية بأسرها ، وعلى الفلسطينيين ان يقاتلوا حتى تتحرر ارضهم .

(هواري بومدين)

لقد استطاع الرئيس جونسون ان يخدع الروس ليمنعوا مصر من بدء الهجوم وخرج من ازمة الشرق الاوسط وكأنه سيد الموقف .

نيوزويك ١٠/٧/١٩٦٧

ابلغ ابادا واخلل في سراتهم
يا لهف نفسي ، ان كانت امورك
ما لي اراكم نياما في بلهنية
فأنتوا جياذكسم واحموا ذماركم
اني ارى الراي ان لم أعص قد نصعا
شتى ، واحكم امر الناس فاجتمعا
وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا

هيئات لا مال من زرع ومن ابل
يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا
قوموا قياما على امشاط أرجلكم
يرجى لغابركم ، ان انفكم جدعا
على نسائكم ، كسرى وما جمعا
ثم أفزعوا ، قد ينال الامر من فزعا

لقيط بن يعمر الايادي

الكاتب في ديوان كسرى يحذر قومه من غزو الفرس

لك قلبي يا شبابا نائرا
قدف البغي به خلف الحمى
واعد الموت فلما التقيا
وطني يا مد عيني ويدي
في غد اوراقنا الذبلي ترى
ننفض الاكفان عنا فاذا
تهتف الدنيا على اصدائنا
شد في نحر الردى ثبت الجنان
فانشى سمح الفدا صعب المران
كبر الفتح وصلى الخافقان
واماني اذا عزت اماني
لمحة النور وتحيا فيك ثاني
كل ميت ماردا طلق العنان
والربى تشدو وتزهو الضفتان

عبد المنعم الرفاعي

في قصيدته « عام » بعد الكارثة

الفصل الأخير

الاحداث الخطيرة قبيل الخامس من يونيو ١٩٦٧

حين سطرت الصفحات الثلاث الاخيرة خاتمة لبحثي « جهاد شعب فلسطين » كان الموقف في هذا الجزء من العالم العربي يصور وجود الباطل الصهيوني في جزء من فلسطين يقف عند قطاع غزة الذي تشرف الجمهورية العربية على ادارته ويحكمه مجلس تنفيذي فلسطيني ، وعند هضاب تجاور بحيرة طبريا وتشرف عليها مرتفعات جولان السورية المحصنة والمسلحة وعند خط يقسم ارض فلسطين الى اسرائيل والضفة الغربية للاردن التي تضم من بين ما تضم طولكرم والخليل وجنين ونابلس ورام الله وبيت لحم والقدس ، والتي تكون اهم اجزاء المملكة الاردنية .
ولقد زرت الضفة الغربية ووقفت عند ذلك السلك الذي يقسم قرية



بيت صفايا وجندي اردني يشرح لنا ما يبدو خلف الاسلاك المحتلة بالعدو .. ان القرية مشطورة نصفين ، وكان سكان النصف المحتل ينتظرون يوم التحرير .. اما اليوم فكلمها في ذلك الانتظار

يجب ان تشمل المعركة ضد اسرائيل الامة العربية بأسرها ، وعلى الفلسطينيين ان يقاتلوا حتى تتحرر ارضهم .

(هواري بومدين)

لقد استطاع الرئيس جونسون ان يخدع الروس ليمنعوا مصر من بدء الهجوم وخرج من ازمة الشرق الاوسط وكأنه سيد الموقف .

نيوزويك ١٠/٧/١٩٦٧

ابلغ ابادا واخلل في سراتهم
يا لهف نفسي ، ان كانت اموركم
ما لي اراكم نياما في بلهنية
فأنتوا جياذكسم واحموا ذماركم
اني ارى الراي ان لم أعص قد نصعا
شتى ، واحكم امر الناس فاجتمعا
وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

واستشعروا الصبر لا تستشعروا الجزعا

هيئات لا مال من زرع ومن ابل
يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا
قوموا قياما على امشاط أرجلكم
يرجى لغابركم ، ان انفكم جدعا
على نسائكم ، كسرى وما جمعا
ثم أفزعوا ، قد ينال الامر من فزعا

لقيط بن يعمر الايادي

الكاتب في ديوان كسرى يحذر قومه من غزو الفرس

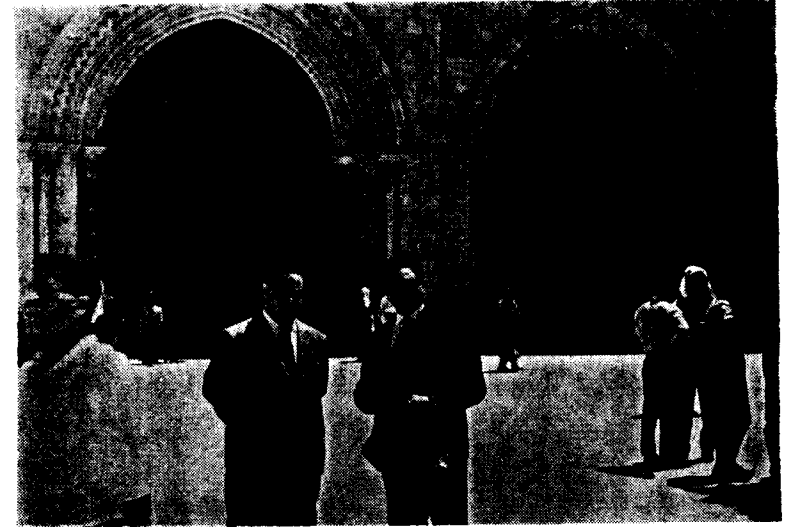
لك قلبي يا شبابا نائرا
قدف البغي به خلف الحمى
واعد الموت فلما التقيا
وطني يا مد عيني ويدي
في غد اوراقنا الذبلي ترى
ننفض الاكفان عنا فاذا
تهتف الدنيا على اصدائنا
شد في نحر الردى ثبت الجنان
فانشى سمح الفدا صعب المران
كبر الفتح وصلى الخافقان
واماني اذا عزت اماني
لمحة النور وتحيا فيك ثاني
كل ميت ماردا طلق العنان
والربى تشدو وتزهو الضفتان

عبد المنعم الرفاعي

في قصيدته « عام » بعد الكارثة

بيت صفافا الى نصفين احدهما يحتله اليهود ويقف فيه اطفال عرب يرنون بأبصار الشوق الى امثالنا من الزوار .

وزرت رامات راحيل حيث آثار المعركة التي اشترك فيها ابناء وطني الصفير ليبيا واقيم لهم مع شهداء الشمال الافريقي نصب تذكاري يخلد التضحية في سبيل الوطن الكبير ، وزرت طولكرم وجنين ونابلس والبيرة ورام الله حيث كانت لي مع المؤرخ الثبت عارف باشا العارف لقاءات وبحوث ودراسات ، وزرت القدس الخالد وتجولت في المواطن التي شهدت معارك التاريخ منذ أمنت القدس في احضان الاسلام المجيد ، وشاهدت عن كتب تلك الاحياء والشوارع التي خاض الفلسطينيون فيها انهار الدماء ، القطمون والثوري وباب العمود والشيخ جراح وغيره وغيره ، ووقفت عند الصخرة المشرفة اتذكر فيها تاريخنا وامجاده واستعيد منها احداث الزمان وتطورات الايام ، وصلت في الاقصى المبارك ورددت بلساني وفكري قول



الحرم الاسلامي في القدس الشريف بعيد صلاة الجمعة اغسطس ١٩٦٦ وتحت جدرانه تعمل المعاول اليهودية الآن بحثا عن هيكل سليمان ، واذا رضخ العرب والمسلمون فالمدينة المنورة هي هدف الاعداء القادم ...

الله العظيم « سبحان الذي اسرى عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله » ، وتجولت في شوارع القدس الفسيحة والضيقة ، فما رايت فيها الا روحا طيبا ، ومناطق محببة ، ولا شعرت

ورفاقي خلالها الا بجاذبية قوية وروحانية غامرة لمدينة يملأ القلب والبصر جمالها البسيط المحبب ، ولطفها القريب الى القلب واللذيد في الوجدان ، ولقد اخذت بعزة افراد شعبها وكرامتهم حتى اولئك الذين يعملون على سيارات الاجرة، او في الفنادق، كانوا يمثلون روح الاعتزاز وسلامة التصرف القانع فلا طمع ولا سؤال ولا مضايقة للزائر او السائح ، وانك لو اجد صعوبة في محاولة اكرام احدهم او مساعدته ماديا ، بل انك لو اجدتهم اسرع الى اكرامك والاهتمام بك ورعايتك .

هكذا رايت الضفة الغربية والقدس الخالد خلال اعوام ٦٤ و ٦٥ و ١٩٦٦ وهكذا كان الوضع حين فرغت من تسيير هذا البحث في مايو ١٩٦٧ .

ولكن هذا الوضع الذي اصفه لم يعد كما كان قبرا ، فلقد حدثت كارثة كبرى غطت احداث عام ١٩٤٨ الذي خلقت فيه اسرائيل نتيجة الانتداب البريطاني في خلال ٣٠ عاما .

فاسرائيل الان تحتل كل قطاع غزة وسيناء وتربط على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وتعطل الملاحة في القناة وتصوب سلاحها الى ضفة القناة الغربية ، وهي تحتل كل الضفة الغربية لنهر الاردن بما في ذلك القدس الجريح الخالد ، وهي تحتل مرتفعات جولان السورية التي كانت تمثل يدا قوية فعالة تهبط صاعقة لاسرائيل بين وقت وآخر ، وكان يظن انها في مأمن من غزوها قادرة على ردها وردعها .

ولقد بدأ هذا الاحتلال الجديد الذي يمثل حتى الان اسرائيل الكبرى وكاد يوصلها الى غاياتها من النيل الى الفرات ان لم يكن قد اوصلها فعلا ، بدأ في الساعات الاولى من صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ولنتحدث عن الوقائع من اولها ، لارتباطها بقضية فلسطين ، قضية المصير العربي ، ولارتباط الاحداث ايضا بجهد شعب فلسطين على مدى التاريخ .

اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ :

تربعت اسرائيل في ارضنا العربية منذ ان فرضت شروط الهدنة الثانية في ١٩٤٩ واشترط لقبولها في الامم المتحدة ان تلتزم بتنفيذ ما سبق من قرارات حول حدودها الاقل واعادة اللاجئين الى ديارهم وتعويض من لا يرغب العودة ، واعلنت اسرائيل التزامها بذلك وعلى هذا الاساس قبلت عضوا في هيئة الامم ، ولكن اسرائيل التي بنيت على الخداع لم تكن تنوي تنفيذ شيء من ذلك ولم تحاول القوى الكبرى في الامم المتحدة واعني بها

تيران وعلى مشارف خليج العقبة .

وهكذا استفادت اسرائيل من العدوان الثلاثي حيث حمت القوات الدولية سفنها وهي تعبر ذلك الخليج العربي وسرعان ما انتعش ميناء ايلات واصبح المتنفس اليهودي ، والمنفذ الى افريقيا وآسيا والشرق الاقصى . واستمرت مصر في منع السفن اليهودية من عبور القناة ومنع أي مواد استراتيجية لها ، ولكن ميناء ايلات حل ازمات كثيرة لاسرائيل واستمر احد شرايين حياتها الدافقة .

وفي فبراير ١٩٥٨ اعلنت الوحدة بين مصر وسوريا، وبرز للوجود اسم الجمهورية العربية المتحدة وطوي العلم المصري الاخضر ذي الهلال والنجمة ورفرف علم عربي جديد يحمل الالوان الثلاثة ونجمتين للبلدين الموحدتين . وكان يوم اعلان الوحدة يوما خالدا في تاريخ العرب ، حيث وقف الرئيس السوري الذي عانى كثيرا في جهاد استعمار فرنسا واحكام اعدامها المرحوم شكري القوتلي ، وقف يملن في القاهرة اني اسلم الامانة للرئيس العربي رمزا للوحدة ، وعملا على خلق امة عربية واحدة تستعيد مجدها وتبني حضارتها ، وكان القوتلي صاحب تصريح مشهور منذ استقلال سوريا عام ١٩٤٧ « اني لا اسمح بان يرتفع على العلم السوري اي علم الا ان يكون علم الوحدة العربية » . وعم السرور عالم العرب الكبير الذين اعتقدوا ان عهد الوحدة الكبرى قريب قريب .

وتغيرت معايير الامور لدى اسرائيل ، وكان يوم الوحدة يوم المحزنة لديها فلم تعاود اسرائيل الاعتداء طوال ايام الوحدة ، وحين نشبت معركة وحيدة فوق « التوافيق » بحدود سوريا تلقت اسرائيل درسا قاسيا كان آخر تحركاتها الاستفزازية في ذلك التاريخ ، واذا كانت الوحدة السورية المصرية قد دامت قرابة ثلاث سنوات فان انفصالها قد بعث الحياة في اسرائيل واشاع الفرح في ربوعها ، اعرب عن ذلك زعمائها وكتابها واتخذوا من يوم الانفصال يوم سرور وابتهاج ، واذا كان بحثنا يختص بجهاد شعب فلسطين وما تفرع عنه ، فان المجال يضيق امامنا للبحث في امور الوحدة واسباب انهيارها واستغلال الانفصاليين للظروف وتحطيم جدار قوي في بناء الامة العربية .

غير ان ما لا بد من ذكره هو ان العلاقات العربية لم تكن في مستوى الاحداث طوال تلك السنين ، وكانت المسافات تزداد بعدا في روابط الاخوة بين دول المنطقة ، وتولت كل اذاعة كيل السباب والاساءة الى الدولة الاخرى واستراحت اسرائيل ، فاعداؤها بعضهم اعداء لبعض ، وهم لذلك في صراع مرير .

بريطانيا وامريكا وروسيا ان ترغما على تنفيذ ما التزمت به فعلا وشرطا . وتجمعت الدول العربية في جامعتها وقررت فرض حصار اقتصادي على اسرائيل لا يصدر اليها من العرب ولا يستورد منها الى العرب ، وان تقاطع كل شركة او سفينة في العالم يثبت تعاملها معها ، ولم يكن لاسرائيل منفذ الا على البحر الابيض فكانت منتجاتها تبدو بقله في اسواق اوربا وكان الحصار العربي يأخذ عليها دور خناق فعال .

وحالة الحرب مستمرة فالهدنة لا تمثل صلحا والاحداث والاعتداءات تتوالى ، فتارة تعتدي اسرائيل على حدود سوريا واخرى على حدود الاردن ومرات على حدود قطاع غزة ، وملئت مكاتب الامم المتحدة باحتجاجات العرب واستنجاتهم وهم في موقف الضعيف الذي يهان ويركل ويضرب دون ان يملك عن نفسه دفاعا مجزيا .

ولكن مجموعات من ابناء فلسطين تحركوا عام ١٩٥٥ و ١٩٥٦ وبداءوا ضد اسرائيل حركات فدائية فجاسوا خلالها وفجروا الغامم في مدنها وقراها ، وضجت اسرائيل ثم قامت بغزوة سريعة فضربت سوق غزة بالقنابل وقتلت عشرات من سكانها ، وكانت دول الغرب راغبة دائما عن بيع السلاح للدول العربية ، بل كانت تقيم في سبيل ذلك الصعوبات والعقبات ، وهكذا اتجه الرئيس جمال عبد الناصر الى الكتلة الشرقية وفاجأ العالم في احدى خطبه عام ١٩٥٥ بان السلاح في طريقه الى مصر وانه لا يمكن ان تستمر اسرائيل تفزونا في قلب غزة ونصمت عن فعلها ، اما الدول الكبرى الثلاث وهي بريطانيا وفرنسا وامريكا فلم تفعل اكثر من تكرار بيانها الثلاثي من انها تضمن حدود دول المنطقة ولا تسمح بانتفاص حدود اسرائيل ولا بتعديها على حدود جيرانها ، ولكن هذه الدول كانت قد اضطربت لحصول مصر على سلاح من مصدر آخر لا تقف امامه عقبات دول الغرب .

وتلاحقت الحوادث ، فسحبت امريكا وعدها بالمساعدة في انشاء السد العالي ، ورد عليهم الرئيس العربي بتأميم قناة السويس وارجاعها الى شعبها واقامة السد من وارد هذه القناة ، وتآمرت بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل مما نتج عنه العدوان الثلاثي وشرحناه قبلا (*).

واذا كانت جيوش الغزاة الثلاثة قد سحبت من سيناء وغزة وبور سعيد ، فقد جيء بقوات دولية ترابط بين مصر واسرائيل وفي جزيرة

(* راجع الصفحات من ٤٤٨ الى ٥٢ من هذا الكتاب .

مؤتمرات القمة العربية :

اعلنت اسرائيل خلال عام ١٩٦٣ أنها ستحول مجرى نهر الاردن لتستفيد من مياهه في تعمير صحراء النقب ، وادرك العرب خطورة هذا القرار وما يتضمنه من تعد على مياه تنبع من اراضي عربية وتشرب منها شعوب عربية ، وما في ذلك من ازدهار لاسرائيل وازدياد في عدد سكانها والمهاجرين اليها .

وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٣ دعا الرئيس عبد الناصر ملوك العرب ورؤساءهم الى اجتماع للقمة لاتخاذ قرارات فعالة تحول دون الاجراء اليهودي الخطير قائلا :

« حتى نجابه اسرائيل اللي تحدثنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان حربها وقف وقال ان احنا حانحول المية غصب عن العرب ، والعرب يعملوا اللي يعملوه ، اقول لا بد من ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في اسرع وقت ممكن ، معركة فلسطين ممكن تكون مستمرة ، ومعركة الاردن جزء من معركة فلسطين(٥) » .

وتلاقى بالقاهرة ملوك العرب ورؤساؤهم في اول مؤتمر لهم ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ واصدر قراراته يوم ١٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ وجاء فيها :

بعد ان بحث المؤتمر ما اوشكت عليه اسرائيل من القيام بعدوان خطير جديد على المياه العربية بتحويل مجرى نهر الاردن والاضرار البالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه ، استهدافا منها لتحقيق المطامع الصهيونية التوسعية بجلب المزيد من قوى العدوان واقامة مراكز تهديد اخرى لامن البلاد العربية وتقدمها وسلام العالم ، وقيامها بواجب الدفاع الشرعي، وایمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس بتقرير مصيره والحد من الاستعمار الصهيوني لوطنه ، وبأن التضامن العربي هو السبيل الى درء المطامع الاستعمارية قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني المائل سواء في ميدان الدفاع او الميدان الفني او ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره .

واجتمع مؤتمر القمة للمرة الثانية بالاسكندرية خلال صيف ١٩٦٤ واجتمع للمرة الثالثة في الدار البيضاء اكتوبر ١٩٦٥ وعلى الرغم من الامال الكبار التي علقها الشعوب العربية على هذه اللقاءات القيادية الكبيرة فان تحويل اسرائيل لمجرى الاردن لم يتوقف وذهب كل مظهر للقوة كان نابعا

(٥) الرئيس جمال عبد الناصر في خطابه ببور سعيد بمناسبة عيد النصر في ٢٣ ديسمبر

من اجتماعات القمة ادراج الرياح ، اذ لم يفكر العرب في مهاجمة اسرائيل، ولم يحاولوا منع استفادتها من النهر بوسائل عملية حاسمة مأمونة .

لقد انتجت تلك اللقاءات شيئين هامين كان الاول : القيادة العربية الموحدة والتي نظرت اليها الشعوب العربية نظرة الامل لجمع جيوش العرب ، وتوحيد قيادتها ، والاستفادة منها وقت اللزوم ، وكان الثاني هو اعلان ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية وما يتبع ذلك من خلق جيش فلسطيني يعد لليوم المنتظر .

ولكن مؤتمرات القمة لم يكتب لها البقاء ، فقد عادت العلاقات العربية الى السوء من جديد ، وتلاشت الثقة بين رؤساء العرب ، واخذت مظاهر من البعد والعداء ليس هنا مكان شرحها ولا تسطيرها ، وعادت اجهزة الاعلام العربية تتحارب ، واستحبال عقد مؤتمر القمة الذي كان مقررا عقده بالجزائر .

والواقع ان الخلاف بين الدول العربية على ما فيه من ضرر بالشعوب وبالمنطقة لم يكن غريبا نتيجة احداث عديدة تصارعت فيها المصالح والنظم الاجتماعية ، وكان الامل يداعب الجميع في ان اوامر الاخوة لا بد ان تكون اعظم من مظاهر الخلاف، والشقاق . وان تلك العبارات القاسية والحملات الاذاعية ستذوب كأنها لم تكن حين تدعو المصلحة رؤساء العرب للعمل الموحد المجدي ، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية التي كان يرأسها السيد احمد الشقيري لم تكن بعيدة عن تلك الخلافات والحملات الاذاعية ، واذا كان الرؤساء يجدون دافعا لهذا فان منظمة التحرير كان يجب ان تبقى بمنأى عن ذلك وان تستمر فوق الخلافات وان تمد يدها في صداقة وتعاون مع الجميع ، كان عليها ان تقلد جبهة التحرير الجزائرية حين كانت تجعل من قضيتها منبرا مقدسا وراية للجهد ترفرف على الجميع ، هدفها مجادلة المحتل وتحرير الوطن ، حتى كان رئيس وزراء الحكومة الجزائرية عام ١٩٦٠ يتناول غدائه بالقاهرة وعشاءه ببغداد على شدة ما بين العاصمتين في ذلك التاريخ من صراع شديد حتمته احداث اليمه كان العراق مسرحها.

وتنج عن موقف منظمة التحرير التي زجت بنفسها في الخلافات ان تجمدت تقريبا فاعليتها ، وقل العون الذي كان ضروريا لجيشها ومكاتها وفروعها ، واخذ رئيس المنظمة يدعو الى تخريب بعض المدن العربية والى قتل بعض المسؤولين دعوة علنية وصحفية واذاعية ، مما دفع هؤلاء الى الحذر منه وحرمان المنظمة من العمل في جهات كانت مواجهة لاراضي فلسطين المحتلة وهي اكثر مجابهة لمواقع اعدائها ، وانقسم الراي العربي وسط هذا الخضم الخطير ، واستمرت اسرائيل تنفذ مشاريعها ، وتسرع لخصومات اعدائها فيما بينهم .

العمل الفدائي الفلسطيني :

وسط هذه الاحداث كان الشعب الفلسطيني موزعا بين الاقطار والافكار ، ومنذ ان تربعت اسرائيل في ارضه وقضيته في المجامع الدولية لم تتعد قضية لاجئين ، يفتنم العرب فرصة التقرير المقدم من مدير وكالة الغوث ليزجوا بأسباب اللجوء ، وانشاء اسرائيل وحرمان العرب من ديارهم ، وكانت هذه الفرصة تتيح للهيئة العربية العليا منذ عام ١٩٥٠ ان ترفع صوتها باسم الفلسطينيين وتلقى المساعدة من وفود الدول العربية جميعا ، ولكن تلك المحادلات والخطب وسط اللجنة السياسية والجمعية العامة على الرغم مما نتج عنها من قرارات توجب ارجاع شعب فلسطين الى دياره وتعويض من لا يرغب العودة ، فان اسرائيل استمرت تصم اذنيها عن كل قرار من هذا القبيل ، وتجدد من الدول الكبرى صمتا وتناسيا واستهانة بتلك القرارات وفعاليتها .

والشعب الفلسطيني وسط هذا عرضة لمتاعب اللجوء ، وقوانين الاقطار العربية والتشديد في اجراءات سفر افراده ، وتحركاتهم ، والحذر من توطنهم ومتابعة افكارهم وآرائهم ، والحق ان ما تعرض له الشعب الفلسطيني من تضيق وعنت كان شيئا ثقيلا في موازين الحياة العامة ، ولكنه يمثل ما اعتاد كل شعب في مثل وضع شعب فلسطين ان يجده في اعقاب المعارك التي تحقق النصر لاعدائه ، ومعلوم ان كل عمل للشعب الفلسطيني يجب ان يبنى على عون وتأييد من الدول العربية المحيطة باسرائيل وفي اغلب الاحيان كانت هذه الدول تشعر انها في اوضاع لم تستعد بعد للمعركة وانه ليس من المصلحة ان تعطي اسرائيل فرصة فرض المعركة وتحديد وقتها كما تشاء .

وكانت اسرائيل تشعر بتباعد العرب وتنافرهم ، وتستفيد من ذلك كل الفائدة ، وحدث ان ادركت اسرائيل ان العمل في منع روافد الاردن باراضي سوريا يسير سيرا مفيدا ، فسرعان ما ارسلت طائراتها في غارة خاطفة حطمت المشاريع وادواتها التي دفعت فيها مبالغ عربية طائلة .

وكان المفروض ان تتلقى اسرائيل درسا قاسيا على عملها الخطير هذا ، ولكن الامر ذهب بلا عقوبة ، ثم اعلن الرئيس جمال عبد الناصر ان السلاح الجوي العربي يحتاج لقواعد في سوريا ليتمكن من اداء واجبه وقت الزوم ، وان تلك القواعد لم تتم الموافقة عليها بعد (٦) . ولم يذهب وقت طويل حتى هاجمت اسرائيل قرية « السموع »

(٦) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في احتفال منظمة التحرير بذكرى ١٥ مايو بجامعة القاهرة ١٩٦٦ .

الاردنية بضواحي الخليل فهدمت مساكنها وقتلت عددا من سكانها ثم قفلت راجعة الى حدودها ، والحق ان العالم العربي كان في دهشة من توالي الاعتداءات الاسرائيلية ، ولكن هذه الدهشة لا تلبث ان تخمد لما هو ظاهر من خلافات عربية باعدت بين الصفوف ، واستمرت الاحداث وتوالى ، وظهرت اسرائيل في صورة المعتدي المتعجرف الطاغى الذي لا يخشى لوما ولا عقابا ، ولم تكن اجراءات مجلس الامن ضدها الا بعض عبارات اللوم الخفيف المهذب .

وسط هذا الجو المشحون المربك كان الشعب الفلسطيني يتطلع الى الفرص التي تمكنه من العمل ليعيد الى الازدهان بطولات التضحية والفداء التي شهدتها العالم منه خلال ثوراته ضد الانتداب البريطاني .

اول بلاغ للثورة :

وفي اليوم الاول من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ اصدرت منظمة فلسطينية تتخذ لها اسم حركة التحرير الفلسطينية (فتح) اول بلاغ لها وقالت فيه :

« اتكالا منا على الله ، وايمانا منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المفتصب ، وايمانا منا بواجب الجهاد المقدس ، وايمانا منا بموقف العربي الثائر من المحيط الى الخليج ، وايمانا بمؤازرة شرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت اجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٦٥ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة في الارض المحتلة ، وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة واننا لنحذر العدو من القيام باية اجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب اينما كانوا لان قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة ، وستعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب ، كما اننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو باي شكل كان لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح هذه الدول للدمار اينما كانت .

عاشت وحدة شعبنا .. وعاش نضاله لاستعادة بلاده وكرامته » .

وكان هذا البلاغ الذي اذاعته منظمة « فتح » عن اولى عملياتها الفدائية فاتحة لعمل كبير في الارض المحتلة ، وفوجيء الراي العام العربي بذلك البلاغ وتلك المنظمة ، واخذت التساؤلات تتلاحق من هم اعضاؤها ، وكيف تكونت ؟ من اين تمول ؟ وثبت مع الايام انها مجموعة من شباب فلسطين نقلت عليهم الام النكبة ، وطال بهم الانتظار فقررروا العمل باذلين اموالهم وارواحهم في سبيل ذلك ، تخلوا عن مناصبهم الكبيرة في بعض

الدول واستمروا سرا مغلقة وعملا منظما لينجح عملهم وينمو (٧) .



ثلاثة من فدائيي منظمة (فتح)

واستمرت « فتح » في اعمالها تخلق اسراييل وتقض مضجعها ، وتوجه هذه بين الحين والحين اعتداءاتها على ميطان الفدائيين كما فعلت في قرية « السموع » الاردنية مما ذكرناه قبلا .

مقدمات الحرب :

وارتفع صوت اسراييل تهدد الدول المجاورة بعمل اكبر ، اذا لم تعمل هذه الدول على إيقاف العمل الفدائي ، وردت تلك الدول انه من غير الممكن إيقاف شعب ثائر احتلت أرضه وشرده ، وصمم على استمرار النضال ضد اعدائه ، ووضحت تلك الدول انها غير مسئولة عن تلك الاعمال وغير ملزمة بالبحث والتحري عنم يقوم بها .

وفي اوائل مايو ١٩٦٧ خطب ليفي اشكول رئيس وزراء اسراييل

(٧) عرف الكثير عن هذه المنظمة حين بدأت تشر أسماء شهدائها واكثرهم من الشباب المثقف والجامعي واطن رسميا في ابريل ١٩٦٨ ان المهندس ياسر عرفات هو المتحدث الرسمي باسم « فتح » في جميع الشؤون .

واعلن ان الجيش الاسراييلي سيلحق اعداءه وانه سيحتل دمشق في سبيل ذلك .

واخذ تهديد اسراييل لسوريا يأخذ مظهر خطيرا ، وقلقت الشعوب العربية ودولها ، وتصور الجميع جيوش اسراييل وهي تحتل عاصمة بني امية ، وتدخل زاحفة الى قبر صلاح الدين ، وانتشر القلق لدى شعوب المنطقة ، واتجهت الانظار الى الجمهورية العربية المتحدة كقاعدة كبرى تمثل القوى الفعالة والامكانيات الهائلة من عسكرية وشعبية .

واذا كنا الان نؤرخ الاحداث بعد عام من حرب يونيو ١٩٦٧ فقد اتضح ما لم يكن متضحاً يومئذ ، وثبت انه فضلا عن خطاب اشكول الذي هدد فيه باحتلال دمشق ، فان الوفد البرلماني العربي الذي كان يزور موسكو خلال مايو ١٩٦٧ ابلغ رسميا من رجال الاتحاد السوفياتي ان اسراييل تعد لهجوم كبير على سوريا وان هذا الهجوم على وشك الوقوع (٨) ونهضت الجمهورية العربية المتحدة بواجبها التاريخي واعلنت ان اي اعتداء على قطر عربي من اسراييل سيعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة ، وكان البوليس الدولي يربط في سيناء وقطاع غزة وخليج العقبة للحفاظ على حدود الهدنة ، وسرعان ما اصدرت القيادة العربية امرها لهذه القوات بالانسحاب في خطاب رسمي هذا نصه :

الجمهورية العربية المتحدة
القيادة العليا للقوات المسلحة

١٩٦٧/٥/١٦

الجنرال ج.أ. ريكي قائد قوات الطوارئ الدولية - غزة
احيطكم علما انني اصدرت تعليماتي الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسراييل فور قيامها بعمل عدواني ضد اي دولة عربية .

وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية ، ولضمان امن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراقبة على حدودنا ، اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فوراً .
وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن .

فريق اول

محمد فوزي

رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة

للجمهورية العربية المتحدة

(٨) اعلن هذا رسميا الرئيس جمال عبد الناصر في التاسع من يونيو حين اعلن استقالته يوم وقف اطلاق النار مع اسراييل .

وبينما كانت اسرائيل تقيم في منتصف مايو عرضا عسكريا في القدس المحتلة لمناسبة ذكرى انشائها، تحركت القوات المصرية في سرعة بالغة الى سيناء واحتشدت على خط طوله ١٤٠ كلم . وتبع ذلك اغلاق مضائق تيران، وتوقفت الملاحة في ذلك الخليج العربي الذي تقيم على سواحل ثلاث دول عربية هي السعودية والاردن والجمهورية العربية المتحدة ، والذي استفادت منه اسرائيل فائدة كبرى منذ ان استعملته للاتصال الخارجي ، ونقل مصدراتها بعيد عدوانها عام ١٩٥٦ ، ولقد جاء اغلاق الخليج باعلان الرئيس جمال عبد الناصر : ان العلم الاسرائيلي لن يمر من خليج العقبة ، وان سيادتنا على مدخل الخليج لا تقبل المناقشة ، واذا ارادت اسرائيل الحرب فنحن نقول لها اهلا وسهلا(٩) .

وفي هذه الاثناء ووسط الجو الذي صحب هذه الاجراءات سلم السفير السوفييتي الى الرئيس جمال عبد الناصر رسالة تأييد من الحكومة السوفييتية ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي موجهة اليه والى شعب الجمهورية العربية المتحدة والى الشعوب العربية في وقفها دفاعا عن اوطانها ومبادئها ضد مؤامرات الاستعمار(١٠) .

تحرك الاعداء :

واتخذت اسرائيل اجراءات مضادة فأعلن ليفي اشكول رئيس وزرائها في البرلمان الاسرائيلي : « ان الاحداث الاخيرة حتمت على اسرائيل اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للتعبئة ولتدارك اية تطورات محتملة » وسرعان ما تحركت حكومة الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا تعارض الاجراءات العربية في الخليج ، وانها تعتبره ممرادوليا ، وتنظر الى الامر نظرة خطيرة . واعلنت امريكا ايضا ان عليها التزاما مستمرا يصون السلام في الشرق الاوسط ، وذلك على اساس التصريح الثلاثي بينها وبين بريطانيا وفرنسا الصادر في عام ١٩٥٠(١١) .

واخذ الغليان يزداد في جهات عديدة من العالم الغربي دفاعا عن اسرائيل وتمسكا لها بخليج العقبة ، واعلن متحدث عسكري بريطاني في الرابع والعشرين من مايو ان السفن الحربية والقوات البريطانية في منطقة

(٩) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر عند زيارته لمركز القيادة الجوية بسيناء

١٩٦٧/٥/٢٢

(١٠) جريدة الاهرام ١٩٦٧/٥/٢٢

(١١) افصح ان ذلك التصريح لا يعني عند الغرب الا صون حدود اسرائيل وسلامتها .

البحر الابيض قد وضعت في حالة تاهب تنفيذا لقرار مجلس الوزراء البريطاني وقد شمل ذلك القرار السفينتين الحربيتين (وبيتي) و (دنكان) ومعهما ٦ كاسحات الغام وحاملة الطائرات (فيكتوريا) والفواصة (ابنياس) ثم اعلن رئيس وزراء بريطانيا انضمام بلاده لأمريكا في ضرورة ابقاء خليج العقبة ممرادوليا تعبيرة سفن اسرائيل بحرية . وواصلت بريطانيا حماسها لاسرائيل فلم تمض أيام حتى اعلن وزير خارجيتها ان بلاده تعتبر اي اغلاق فردي لخليج العقبة عملا حربيا ، وقال « اننا لسنا على استعداد ان نعترف لاحد بحق القضاء على دولة اخرى بالشرق الاوسط ولو جرتنا ذلك للحرب (١٢) .

وفي نهاية شهر مايو صرح الاميرال وليم مارتن قائد الاسطول الامريكي السادس في البحر الابيض انه مستعد لتنفيذ اي امر يتلقاه ، وصاحب ذلك تحرك للاساطيل الامريكية لارهاب العرب وتقوية اسرائيل وتعزيز معنوياتها فعبرت قناة السويس حاملة الطائرات الامريكية « انتربيد » وعلى ظهرها ٦٦ طائرة مقاتلة والفان وخمسمائة بحار وسبعة وثمانون ضابطا .

وتحركت الدول العربية فأرسل بعضها(١٣) قسما من جيشه للمرابطة في الجبهة المصرية ، واصبحت القاهرة هدف الوفود من رؤساء العرب وملوكهم يحملون رسائل التأييد ويعرضون التعاون .

وعبئت الجماهير العربية تعبئة معنوية هائلة وانتظر الجميع اليوم الفاصل لهذه المأساة المرة الزمنة الثقيلة .

اما اسرائيل فقد تظاهرت بمظهر الضعف والمسكنة ، واخذت وفودها تقطع الاجواء الى بريطانيا وامريكا وفي الاخيرة تتم مقابلات على اعلى مستوى من الاهمية ولم يكن الرئيس الامريكي نفسه عنها ببعيد ، بل كان عمادها وعمودها ، ووصل يوثانت للقاهرة والصهيونية تلسعه بسببها لانه وافق على سحب القوات الدولية . وشرح له الموقف العربي والحق الذي يدعمه .

وبينما تنشر وكالات الانباء ان اسرائيل تستقدم المتطوعين من عدة دول اوروبية ، اذ يصرح ابا ايان قائلا : « لن نقاتل ريشما نستنفذ الوسائل

(١٢) ان الدولة الوحيدة التي يعني براون حمايتها هي اسرائيل التي نرى اليوم احتلالها وعدوانها وتحديها لقرارات مجلس الامن ، وبريطانيا صاحبة هذا التصريح الهام لا تحاول ضغطا جديا على الدولة التي صنعتها اثناء انتدابها الكريه .

(١٣) وصل سيناء قسم من الجيش العراقي والجيش الكويتي والجيش السوداني

الدبلوماسية بمعاونة هيئة الأمم ومجلس الأمن والدول الكبرى» (١٤) .

وكان تصريح ايبان هذا نوعا من الخداع والتضليل اذ ان اسرائيل حزمت امرها ونوت حربا ، ولكن ايبان كان محقا في اعتماده على الدول الكبرى ، لان هذه الدول على استعداد دائم لمساعدة اسرائيل . وفي السلم وفي الحرب يهدد زعماء اسرائيل بالهجوم على سوريا ، وياحتلال دمشق ، ويحشدون جيشهم فلا تفعل تلك الدول الكبرى شيئا ، بل تنظر الى اسرائيل نظر الوالد الخنون الى طفله الشقي ، ويبادر العرب الى الدفاع عن انفسهم ، وحماية ارضهم من العدوان الاسرائيلي المبيت ، فتتباكى اسرائيل ودول الاستعمار على السلام العالمي ، وحرية الملاحة في خليج العقبة . (*)

واستمرت الاحداث تتطور بسرعة ، ففي آخر مايو (ايار) هبط الملك حسين في القاهرة واذيع فجأة ان اتفاقية للدفاع المشترك قد عقدت بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة ، وغادر القاهرة في نفس اليوم مصطحبا معه القائد العسكري المصري المعروف عبد المنعم رياض والاستاذ احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بعد مقاطعة طويلة وخصومة حادة ، واسرعت العراق ايضا فانضمت لتلك المعاهدة فتتسق بذلك العمل بين الدول الثلاث ، وكانت سوريا مرتبطة بالجمهورية العربية المتحدة ، بل هي اصل الاحداث .

حرب او لا حرب :

ولكن هذه الوقائع كلها لم تجعل المهتمين بالامور يجزمون بالحرب ، رغم الضيق والقلق والتكبير التي أصبحت فيه اسرائيل منذ اغلاق خليج العقبة في وجه سفنها ، ذلك ان جهودا كبيرة بدأت على المسرح في سبيل خلق تفاهم حول الاحداث وتطورها :

وصل يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة للقاهرة واجتمع بالمسؤولين وانتهى مهمهم الى تفاهم مبدئي ريشما تبحث الامور كلية شريطة الاتهاجم الجمهورية العربية اسرائيل مبتدئة .

امريكا في صميم المعركة :

وتدخل لندون جونسون الرئيس الامريكى فكتب للرئيس جمال

(١٤) مؤتمر صحفي بتل ايبان في ٢٠/٥/١٩٦٧

(*) اللواء الركن محمود شيت خطاب من سلسلة مقالات قبيل الحرب بجريدة العرب

بيفداد .

عبد الناصر خطابا مسهبا كان مما جاء فيه قوله : « ان المنازعات الكبرى في عصرنا هذا ، يجب الا تحل باجتياز غير مشروع للحدود بالسلاح وبالرجال» وابدى الرئيس الامريكى رغبته في ارسال نائبه هيوبرت همفري لاجراء مباحثات مباشرة في المنطقة وحول موضوع الساعة ، وختم جونسون خطابه « اني اتوجه اليكم بهذا الخطاب في هذه اللحظة الحرجة آملا ان تشاركونني هذا التقييم ، وان يكون في امكانكم التصرف وفقه في الساعات والايام المقبلة» وقدمت مذكرة من حكومة امريكا الى الجمهورية العربية في نفس تاريخ رسالة جونسون السابقة وكان أبرز ما فيها : « ان حكومة الولايات المتحدة تعتقد انه من الضروري بصفة خاصة ان يتوقف الاتجاه الحالي لتمتمة القوات وحشدها على الجانبين ، ولقد اخذت امريكا بعين الاعتبار ان بيانات القاهرة وتل ايبان تشير الى ان تحركات قواتها المسلحة ذات غرض دفاعي، واكدت ان الولايات المتحدة تعارض معارضة صارمة اي عدوان في المنطقة من اي نوع مكشوف او في الخفاء (١٥) .

ورد الرئيس عبد الناصر على الرئيس الامريكى موضحا الموقف الذي نشأ عن تهديد اسرائيل باحتلال دمشق ، وان الاجراء العربي كان دفاعا عن النفس ، وان احتلال شرم الشيخ هو استعمال لحق السيادة وازالة لآخر اثر من آثار عدوان ١٩٥٦ . ثم ذكر جونسون بقرارات الامم المتحدة وحقوق شعب فلسطين « وهي في نظرنا اهم حقيقة ينبغي الاعتراف بها ، لقد استطاعت القوة المسلحة المعتدية ان تطرد هذا الشعب من وطنه وتحوله الى لاجئين على حدود هذا الوطن ، وتقف قوى السيطرة والعدوان اليوم حائلا دون حقهم الثابت في العودة اليه والعيش فيه ، رغم قرارات الامم المتحدة التي كان آخرها في العام الماضي »

لا يمكن ايقاف الفلسطينيين :

واشار الرئيس العربي الى قول جونسون « ان مشاكل العصر لا يمكن حلها عن طريق اختراق الحدود بين الدول بواسطة الرجال والسلاح» قائلا : « اذا كان قصدكم هو عبور بعض افراد الشعب الفلسطيني خطوط الهدنة فاني اود هنا ان اشير الى ضرورة بحث هذا الجانب في نطاق النظرة الشاملة لقضية فلسطين ، وهنا ايضا اتساءل عن مدى قدرة اية حكومة في ان تسيطر على مشاعر اكثر من مليون فلسطيني فات ما يقرب من العشرين عاما دون ان تهتم العائلة الدولية باعادتهم الى اوطانهم ، ان ما يقوم به بعض افراد الشعب الفلسطيني من عبور خطوط الهدنة ان هو في الواقع الا مظهر من

(١٥) الرسالة والمذكرة تحملان تاريخ ٢٢ مايو (ايار) ١٩٦٧ .

مظاهر الغضب الذي أصبح - عن حق - يملك هذا الشعب ازاء الانكار الكامل لحقوقه من جانب العائلة الدولية ومن جانب القوى التي تقف مع اسرائيل وتعاونها ماديا وادبيا . »

ورحب الرئيس العربي بوصول مستر همفري وانه سوف يكلف نائب الرئيس السيد زكريا محي الدين بالسفر لمقابلة الرئيس جونسون وشرح الموضوع مواجهة (١٦) .

وهكذا قدمت الولايات المتحدة اطمئنانها الى بيانات الجانبين من ان الحشود لاغراض دفاعية وانها تعارض معارضة كاملة اي عدوان في المنطقة ، فاصبح واضحا ان واجب العرب هو الا يبدأوا هجوما ، وان اليهود لن يهاجموا لان امريكا وهي حاميتهم وصانعتهم قد ضمنت ان يكون موقفهم دفاعيا .

على ان هذه الرسائل ليست كل شيء في الموضوع ، فلقد ثبت ما هو اكبر واهم ، ان الولايات المتحدة تبدي من الاهتمام ما هو اعظم من ان يكون اهتماما دوليا بأحداث الشرق الاوسط ، ويتركز هذا الاهتمام في تكرار ان الجمهورية العربية يجب ان تتحلى بضبط النفس فلا تبدأ باطلاق النار ، وان امريكا ضامنة الا تبدأ اسرائيل ذلك ، ففي السادس والعشرين من مايو (ايار) سلمت للسفير العربي بواشنطن رسالة في هذا المعنى تنذر ان مصر ستواجه نتائج خطيرة اذا بدأت اطلاق النار (١٧) بل لقد تعدى هذا الاهتمام الامريكي الاتصال المباشر ، وسرعان ما رفع الرئيس الامريكي سماعة الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو ليقول لسادة الكرملين : ان العالم مهدد بخطر حرب عالمية ، اذا تحركت القوات المصرية ضد اسرائيل ، داعيا لهم بالتدخل بينما

(١٦) كان هذا الرد يحمل تاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ .

(١٧) كان النص الرسمي الذي سلمه والت روستو مستشار الرئيس جونسون للسفير العربي بواشنطن هو : ان ابا ايبان نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ووزير الخارجية حضر وطلب مقابلة المستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية لامر لا يحتمل الانتظار دقيقة واحدة ، وذلك لانه قد وصلتهم معلومات بان الجمهورية العربية المتحدة ستقوم في هذه الليلة بهجوم مفاجيء على اسرائيل وانه مكلف شخصا من الرئيس ليندون جونسون بابلاغ الجمهورية العربية المتحدة بان هذا لو تم سيؤدي الى نتائج خطيرة للغاية ، وانه يود ان يؤكد لنا ان الحكومة الامريكية من ناحيتها سوف تبذل كل جهد من اجل منع اسرائيل من البدء بأي عمليات عسكرية ضد الجمهورية العربية المتحدة . نشر هذا في مقال (بصراحة) لمحمد حسنين هيكل بالاهرام ٢٢ يونيو ١٩٦٧ وعن وثائق وزارة الخارجية المصرية التي عرضت في اجتماع وزراء الخارجية العرب .

ضمنت امريكا الا يتحرك الجيش الاسرائيلي « (١٨) . وفي الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وبينما سكن كل شيء في القاهرة كانت سيارة واحدة تنهب الطريق الى منزل الرئيس جمال عبد الناصر ليبلغه سفير الاتحاد السوفييتي شخصا الا تكون مصر البادئة بالهجوم . (١٩) وأرادت امريكا ان يكون تدخلها افعال من كل هذا ، فاكد وزير الخارجية الامريكية للسفير العربي في واشنطن في اليوم الاول من يونيو ان امريكا لن تسمح لاي طرف بان يبدأ قتالا مسلحا ، بل لقد كانت الخدعة الامريكية اعمق واكبر حتى انها قدمت مشروعا لمجلس الامن يدعو الى التهدئة وقال مندوبها الامريكي الصهيوني المستر غولد برغ : « ان مشروعه يدعم نداء السكرتير العام لايجاد فترة تنفس كي يسمح للتوتر بان ينخفض عن مستواه الحالي ، ومن اجل هذا حث هذا القرار جميع الاطراف على ممارسة ضبط النفس اللازم ، لكي يتاح لهذا المجلس وللدبلوماسية الدولية بان تلاحق الخطوات الاخرى اللازمة لتهدئة الحالة والاتجاه نحو السلام . »

تجمعت كل هذه الاتصالات : تأكيدات امريكية على جميع المستويات وبكل السبل ، اتصال سوفييتي يرجو ويؤكد ويضمن ، تدخل السكرتير العام للامم المتحدة والاتفاق معه على عدم الهجوم ، وانتظار بحث دبلوماسي أشمل ، وراي بعض المهتمين بل راي بعض القادة العسكريين ممن كان في يدهم تحريك الجيوش ، ان المسألة ستسوى بأي طريق الا طريق الحرب (٢٠) ، على ان الوقائع اثبتت ان يوم الهجوم الاسرائيلي لم يكن سرا مغلقا على الجميع ، فقد اكد الرئيس عبد الناصر انه ابلغ القواد جميعا توقع الهجوم الاسرائيلي في الخامس من يونيو ، كما أعلن رئيس وزراء الاردن ان الملك حسين ابلغ من يهمهم الامر بهذا التاريخ الذي علمه من مخابراته ، وأذاعت وكالة الاسوشيتدبرس في اليوم الرابع من يونيو (حزيران) ان الرئيس جمال عبد الناصر لا يستبعد اقدام اسرائيل على اتخاذ خطوة متهورة ، ويدفعنا التسجيل التاريخي ان نذكر ان باحثا عسكريا عربيا كتب في اليوم الثلاثين من شهر مايو (ايار) يقول « ان اسرائيل اعلنت التعبئة العامة في اليوم الثالث والعشرين وسوف تتم التعبئة في الرابع من يونيو (حزيران) وهي حتما ستهاجم الدول العربية في صباح الخامس من يونيو » (٢١) .

(١٨) محمد صبيح ، المعتدون اليهود من موسى الى ايام دايان ، القاهرة ١٩٦٨

(١٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر يوم وقف اطلاق النار ٩ يونيو ١٩٦٧ .

(٢٠) محمد حسنين هيكل ، الاهرام ١٩٦٨/٦/٢١

(٢١) هو اللواء الركن محمود شيت خطاب بجريدة العرب ببغداد .

الراي العالمي مع اسرائيل :

وكانت الامور لدى اسرائيل تأخذ شكلا آخر ، فقد كانت التعبئة عامة وشاملة ، وكانت الاسلحة تندفق عليها من امريكا وبريطانيا وغيرهما ، ولم تأبه اسرائيل بمزارع القمح تترك بلا حصاد ولا بالمرافق تترك بلا عمال في سبيل شمول التعبئة وعمومها ، وتولت الدعاية الصهيونية تصوير الموضوع للعالم صورة مزورة ولكنها مؤثرة ، دويلة صغيرة تتزاحم عليها شعوب عربية كبيرة كثيرة للفتك بها والتهاهما ، وكتبت كل اسرة يهودية بل كل سيدة او رجل الى اصدقاء لهم في اوربا وامريكا بعضهم يشرح الاحداث وما ينتظر من خطر ، وبعضهم يسألون اصدقاءهم ان يعملوا على تجهيز غرفة صغيرة - كان يسكنها قبل ان يسكن اسرائيل - ليعود لها مع اطفاله وأسرته لاجئا من العرب ، وأقيمت الصلوات في العواصم الاوروبية بمعابد اليهود تحت اعلانات شارعية وصحفية كبيرة دعاء لانقاذ اسرائيل من محنتها ، وجسمت الدعاية الاسرائيلية تحركات العرب فصورت جنود العرب من كل بلاد وهي تستعد للفتك باسرائيل ، واخذت خطابات السيد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين بما فيها من تهديد ووعيد ونشرتها بين الشباب والاسر في العالم (٢٢) وفشلت الدعاية العربية الرخيصة في ايضاح الحق العربي ، واستفلت الصهيونية اذاعتنا التي كانت لا تنفك تهدد وتوعد وتعلن ان ساعة الفصل مع اسرائيل قد حلت ولا سبيل الى ارجائها ، وكان واضحا ان هذه الاحداث بصورها المختلفة اثرت في اوربا وشهدت بنفسها كيف كان اغلب الراي العام في بريطانيا واطاليا يقف الى جانب اسرائيل لا معنويا ولكن حتى بوسائله المادية (٢٣) ، واذا كنا لسنا في حاجة الى شرح موقف الشعبين البريطاني والامريكي حيال هذا الموضوع فراي اغلبيتهم معروف ولكننا نسوق وصفا لوضع الراي العام الفرنسي الذي يحكم بلاده الرئيس ديغول وهو رجل قوي

(٢٢) نشرت جريدة العمل اللبنانية بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ أحد احاديث السيد الشقيري وفيها هدد بابادة كل اليهود الذين هاجروا الى فلسطين فلما سئل عن مصير اليهود الذين ولدوا في فلسطين قال ان من يبقى منهم حيا يبقى في فلسطين وان تقديراتي ان احدا لن يبقى منهم على قيد الحياة وكان له خطاب في المسجد الأقصى يوم الجمعة السابقة للدوان اعلن السيد سعد جمعة رئيس وزراء الاردن ان الشقيري لم يستجب للنصح بعدم القائه وكان مليئا بالوعيد والتهديد .

(٢٣) عدت من لندن الى روما يوم ٢١ مايو ١٩٦٧ وطلبت من شركة اليطاليا السماح لي بالعودة الى مصر فاعترضت مشترطة ان امضي بقية الايام التي يحددها قانون السفر السياحي الا اذا كنت ذاهبا لتل ابيب ، فالتعليمات تقضي بعدم التقيد بالشروط في تلك الظروف ، ولما جادلتها اصرت بعنف ، وكلفت الصديق اليطالي امبرو كانيجو فاقبل بكار الشركة واتضح انها مستعدة لتسهيل السفر الى تل ابيب فقط واضطرت لالغاء تذاكرتي وشراء تذكرة جديدة .

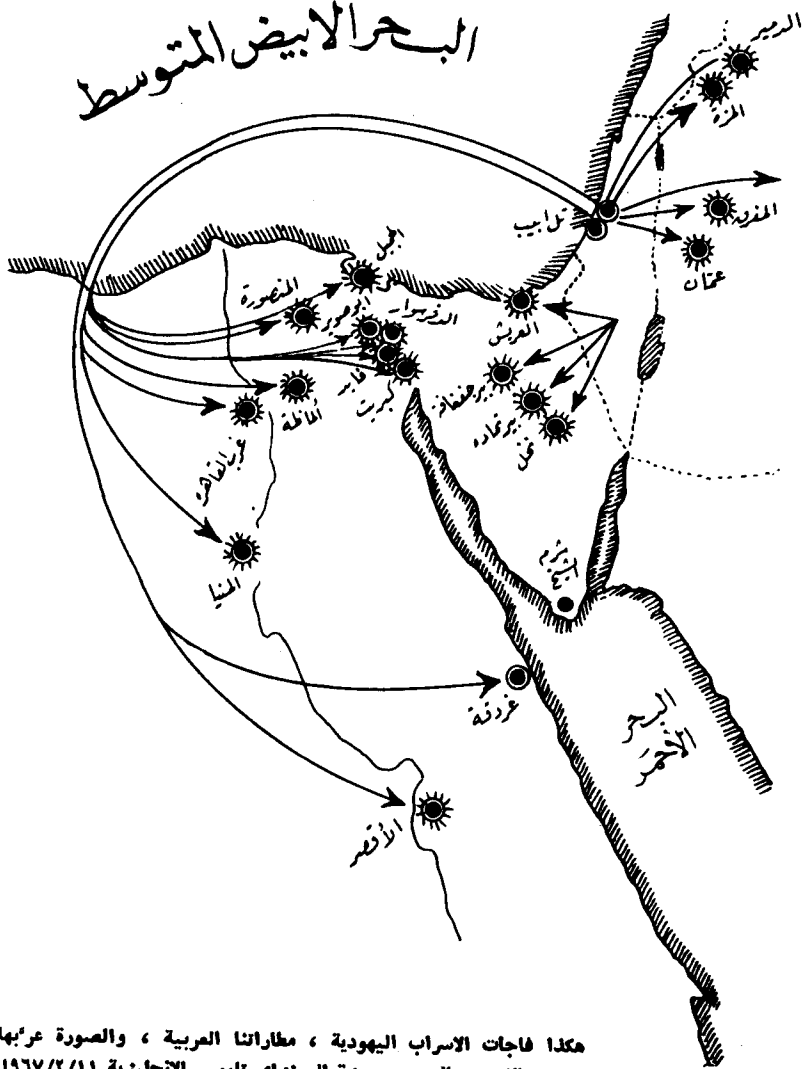
لم يخضع للصهيونية ولم يبد اي عدااء للعرب في موقفهم المهم هذا ، تصف جريدة سويسرية ذلك فتقول : « يتابع الراي العام الفرنسي بقلق وتحفز مجرى احداث الازمة في الشرق الاوسط فالاذاعات ومحطات التلفزيون والصحافة حتى اكثرها شعبية تلك التي لا تهتم عادة الا قليلا بالاحداث العالمية راحت تخصص كل يوم امكنة فسيحة جدا للموقف في هذا الجزء من العالم ، واذا كانت الحكومة الفرنسية اتبعت سياسة محايدة ، ولكن القسم الاكبر من الراي العام الفرنسي يقف مؤيدا لاسرائيل ، ولقد كان رد الفعل الشعبي هذا من القوة والعنف بحيث شمل طبقات الشعب ، واجبر الحزب الشيوعي على تخفيض دعمه لمصر وعلى الاصرار الآن على حق اسرائيل في البقاء ويتضح هذا التأييد بشعب اسرائيل في المظاهرات وبرقيات التأييد والتصريحات وتحديد الموقف ، والاجتماعات الشاملة والالتزام بخدمة اسرائيل بسائر اشكال الدعم ، وقد ضمت المظاهرات في باريس عشرات الالوف من الاشخاص ومنذ امد بعيد لم يؤد اي حدث دولي الى اجتماع مثل هذا العدد ، واطلقت نداءات في الصحافة تحض المتطوعين على تسجيل اسمائهم ، وهكذا تم خلال عدة ايام وصول ثلاثة او اربعة آلاف فرنسي الى شارع (هوش) حيث يوجد مقر « التجمع الفرنسي من اجل اسرائيل » وتبغى الاشارة الى « صندوق التضامن مع اسرائيل » الذي اقيم لجمع الاموال ، ان الراي العام مندفع بحركة سخية تعبر في آن واحد عن قلقه امام تطور النزاع ودعمه الاجماعي لاسرائيل » (٢٤) .

على ان الصهيونيين الذين نجحوا في استعطف الراي العام العالمي ، والذين سيئروا امريكا لتكون مطيتهم في منع العرب من اتخاذ اجراء حاسم سريع ، والذين استطاعوا ايضا تسخير الاتحاد السوفييتي بواسطة امريكا من ان يسهم هو ايضا في مطالبة العرب بضبط النفس وعدم الهجوم ، هؤلاء الصهيونيون استمروا حتى آخر يوم قبل هجومهم الخطير يواصلون خداع العرب ، صرح موسى دايان وزير الدفاع (٢٥) الاسرائيلي في مؤتمر صحفي عقده بتل ابيب ونشر في الرابع من يونيو (حزيران) ان اسرائيل ترحب بما تستطيع الحصول عليه من مساعدة في المجال الدبلوماسي واننا ننظر المفاوضات الدبلوماسية قبل ان تقدم على عمل من طرف واحد « وقال « ان ما لدى اسرائيل من الدبابات والجنود اقل مما لدى الجانب الآخر غير ان الكثير يتوقف على المكان الذي ستقع فيه المعركة » وقال « بما ان قاذفات القنابل البريطانية لن تقصف المطارات المصرية كما فعلت في عام ١٩٥٦ فان

(٢٤) جريدة تريبون دي جنيف ٣ يونيو ١٩٦٧

(٢٥) وكالة روتر في برقية من تل ابيب نشرتها صحف لبنان يوم ٦/٦/٦٨

ففي الثامنة صباحا كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم جميع المطارات المدنية والمسكوية في الجمهورية العربية المتحدة ، استطاعت ان تقرر عليها جميعا في وقت واحد وباسراب متلاحقة .



هكذا فاجت الاسراب اليهودية ، مطاراتنا العربية ، والصورة عربيها محمد الامين صالح عن جريدة الصنداى تايمس الانجليزية ١٩٦٧/٢/١١

أحدا ما يجب بطبيعة الحال ان يدفع الثمن اذا وقعت الحرب ، وسيسرني جدا اذا عمل جانب آخر على تأمين حرية المرور في الخليج بالوسائل الدبلوماسية واعتقد ان هذا العمل يجب ان يأخذ نصيبه من الاهتمام .
 وحين سئل دايان عما اذا كانت مصر ستستعمل الصواريخ او الغاز ، قال : « قد يحاولون وفي وسعهم ان يحاولوا » .

والذي يطلع الان بعد احداث الخامس من يونيو (حزيران) على هذا المؤتمر يدرك كيف كان عمق الحيلة والخديعة الصهيونية ، فليس في هذه التصاريح اي تهديد باستعمال العنف او الحرب وكلها تتعلق بانتظار المساعي الدبلوماسية ، وتكبر من الحجم العددي للدبابات والجنود العرب وتقر بأن في وسعنا ان نستعمل الصواريخ والغاز .

وكانت كل هذه التعبيرات تخفي الحقيقة المحددة لدى موسى دايان ، وهو انه حين كان يلقي هذا التصريح كان قد اعد فعلا سلاحه وطائراته ، وحدد لها المكان الهام الذي يجب ان يهاجم اولاً ، وعيّن لها ايضا الزمان المناسب الذي تبدأ فيه عملها ، ولم يكن كل ذلك ببعيد عن تصريحاته الا ساعات تعد وتحصى ، حيث نفذت الخديعة التاريخية التي نسجتها الصهيونية في اسرائيل وعملت على اخفائها امريكا واشركت فيها اكبر الدول عوناً لنا ومساعدة ، نفذت تلك الخديعة التي اصابت الامة العربية في صميم وطنها وكبرياتها بعيد الساعة الثامنة من صباح الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ (٢٦) .

الصباح المشؤوم (الخامس من يونيو « حزيران » ١٩٦٧) :

حين آوى الناس الى مخادعهم في مساء الرابع من يونيو (حزيران) كان آخر ما في اسماعهم ذلك النبا الذي اذيع من واشنطن ويفيد « ان الرئيس جونسون اكد ان الولايات المتحدة تكرر تعهدا بالمحافظة على الحدود الاقليمية لكل دول المنطقة بالشرق الاوسط ، وانها لن تكون الى جانب الدولة المعتدية » ، وكان تصريح رئيس الولايات المتحدة هذا يمثل القمة في استعمال الفاظ الخداع الدولي على مستوى العالم كله ، والدخول في مؤامرات وضيمة لتحطيم شعوب وبلدان واذلالها لصالح عصابات مفتضبة وجماعات فرضها باطل هزيل ، ولعل التاريخ لا يعرف مثل هذا الاسلوب من الخداع الخطير الذي استعملته امريكا ضد الامة العربية طوال ايام الازمة والى صباح الخامس من يونيو (حزيران) حيث اتضح كل شيء ، لقد دبرت اسرائيل امرها ، وخططت لحرب مفاجئة بعد ان بدلت هي وامريكا كل ما في وسع الفكر من اساليب الخديعة طوال اسبوعين كاملين .

(٢٦) انها الساعة التاسعة بتوقيت الجمهورية العربية المتحدة الصيفي .

استطاعت الطائرات الاسرائيلية ان تخرج من مطاراتها في الساعة المحددة وأن تطير متجهة غربا فوق البحر بارتفاع منخفض حتى اذا تجاوزت الاسكندرية اتجهت متوزعة في طيرانها المنخفض الى جميع المطارات تحطم ما أمكن تحطيمه وتعطب المرات الجوية وتلقي مع صواريخها وقنابلها قنابل زمنية توالي العمل في الدقائق القليلة التي تفيب فيها الاسراب المغيرة ، حتى لا يوجد وقت لتلافي الكارثة او للحاق بالعدو .

كانت هذه المفاجأة الاسرائيلية خطيرة بالنسبة للاعداد العربي ، وقد استطاعت اسرائيل ان تختار لها الطريقة التي تضمن نجاحها وأن تستعمل فيها كل سلاحها الجوي حتى لم تبق في مطاراتها الا ثمان طائرات (٢٧) .

وقد قبلت اسرائيل ان تقوم بهذه المغامرة الخطيرة التي كان من الممكن ان تنقلب شرا ودمارا عليها - لو لم تنجح في تنفيذ خطتها باتقان - في سبيل التخلص من سلاح جوي قوي هو سلاح الجمهورية العربية المتحدة والذي كان مخيفا لاسرائيل ، وكان ملتزما ايضا بالدفاع عن الجبهتين الاردنية والسورية ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه الغزو الجوي الاسرائيلي لمطارات مصر جميعها ، بدأ الهجوم البري آمننا مطمئنا ، جانب عربي يقبع في الصحراء منذ اكثر من اسبوعين تخلو سماؤه من اية حماية جوية ، وجانب اسرائيلي قصيرة خطوط تموينه ، قريب من مناطقه العامرة والمحصنة ، معزز بسلاح جوي حطم سلاح عدوه ، وتفرغ لان يكون في عون الدبابات والمشاة والمظليين .

ولقد وضع بعد ايام ان القيادة العربية في مصر اصيبت بشلل فكري نتيجة المفاجأة الاسرائيلية ، فلم يستمر توجيه الجيش الكبير والقوات الهامة المرابطة في سيناء توجيهها مدروسا ومفيدا ، فانفرط بذلك عقد النظام، وسرى الخلل في صفوف الضباط والجنود الشجعان المرابطين وسط الصحراء ، وحين وصلت بعض الاوامر كانت مربكة ، فبينما يطلب من البعض الدفاع يطلب اليه الهجوم ، وبينما يطلب من البعض الانسحاب يطلب اليه الدفاع ، وكما حدث للقيادة في القاهرة هذا الاضطراب الخطير حدث ايضا لبعض من كانت اختارتهم قوادا في الجبهة ، وقد اوضحت محكمة الثورة بالقاهرة خلال شهر ابريل ١٩٦٨ أن قائدا برتبة لواء كان يقود فرقته التي كان عددها اكبر من قوة العدو المواجهة ، ومدركاتها أكثر وأقوى مما لدى العدو ، ولم يشترك طيران العدو ساعتئذ في المعركة ، ومع هذا فقد اصدر الامر بالانسحاب للمرة

الاولى ثم للمرة الثانية ، ثم ادعى انه مطلوب في مكان بعيد وتخلي عن فرقته، الامر الذي سبب خسائر جسيمة لتلك الفرقة الشجاعة التي قاتلت وهي تنفذ أمر القائد بالانسحاب حتى استطاع العدو أن يتغلب على دفاعها المجيد في احد المعرات الضيقة بالصحراء (٢٨) .

ولا ريب أن اليوم الخامس وما بعده من يونيو (حزيران) كانت أياما عصيبة على الامة العربية وعلى جيوشها في ميادين القتال ، واذا كنا هنا نتكلم عن جيش مصر في صحراء سيناء فلأنه أكبر الجيوش وأكثرها تدريبا وأعظمها امكانات ، واذا كانت أكثر التفاصيل الكاملة لحرب الصحراء غير متوافرة الا من جهات اجنبية لا يؤمن حديثها ، فان بعض تلك التفاصيل تعطي صورة عن الاحداث الاليمة التي حلت بجيش كان امل العرب والاسلام لتواريخ بعيدة ، لقد كان الجيش الممتد على طول مائة واربعين كيلا في صحراء سيناء مخيفا لاسرائيل مرعبا لها ، ولا ريب ان بعضنا كان يرى لو انه بدأ هجومه بعيد تجمعه لتغيير وضع المنطقة ولتحدث العرب عن النصر الذي احرزوه وعلومه لاجيال وأجيال ، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر شرح عدم البدء في المعركة واطلاق الرصاص الاولي وقال : « لو كنا فعلنا ذلك لكننا عرّضنا انفسنا لعواقب وخيمة تزيد عما كان في مقدورنا احتمالها ، ولقد كان ما سوف نواجهه هو عمل عسكري امريكي مباشر ضدنا يجد الحجة والمدبر من اننا اطلقنا الرصاص الاولي » (٢٩) .

والحق ان هذا الموضوع يأخذ الآن بالاحاديث في كل مجلس عربي وفي كل بلد عربي ، هل كان ممكنا أن يكون العرب البادئين بالهجوم ؟ مع تأكيد تدخل امريكا باسطولها السادس وقواتها المستعدة ، وهل كان يجرحنا تاريخيا أن نهزم أمام قوات امريكا الكبرى واساطيلها العاملة ؟ على ان احدى وجهات النظر تتلخص في أن بدءنا بالهجوم سيمكنا في سرعة فائقة من تحطيم قوات اسرائيل الضيقة المساحة ، وسيمكن لقواتنا من أن تدخل او تشرف على أهم مدنها وعاصمتها ، وبذلك ان لم نفرض شروطنا العادلة

(٢٨) راجع محاضر محكمة الثورة وما نشرته جريدة الاهرام خلال ابريل ١٩٦٨ منقولاً عن خطاب رسمي من القيادة العامة الجديدة للقوات المسلحة العربية .
(٢٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٦٧ .

(٢٧) صرح بذلك الجنرال مردخاي قائد السلاح الجوي اليهودي .

وحققنا المهودر ، فلا اقل من ان نكسب جولة في حرب طويلة ومع عدو دخيل وسط وطننا العربي ، ولا اقل من ان ننفذ قرارات الامم المتحدة باعادة اهل الوطن الى وطنهم ، وتدخّل أمريكا ضدنا في حالة انتصارنا الخاطف قد لا يمتنعنا من ان نفرض (كمرحلة أولى لنصرنا) حدود اسرائيل الضيقة كما شاء لها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ او مشروع برنادوت الذي جعل النقب عربيا لا يفصل فيه حاجز بشري اجنبي بين الوطن الواحد ، ان هزيمة عربية امام قوات أمريكا واستعداداتها سوف لا تكون عارا يدين القيادة العسكرية العربية ويضفي هالة مجد على اعدائنا . على ان الدارسين لاعماق الامور يرون ان الموضوع لا ينحصر في ان هزيمتنا امام قوات أمريكا سوف تجد لها تبريرا في المقارنة بين الحجم والاستعداد والامكانات ، ولكن الموضوع يتعلق بالنتائج ، فلو اننا بدأنا الضربة الاولى لما وجدنا وسط ذلك التيار العالمي المعبأ ضدنا اي صوت يقف الى جانبنا ، ولغرضت علينا قوات أمريكا صلحا مريرا مع اسرائيل يضمن لها حدودا جديدة وارضيا شاسعة وامتدادا لدولة صهيون من النيل الى الفرات ، ويختلف هذا عن وضعنا الراهن ، فقد وقفت الى جانبنا فرنسا التي تمسك رئيسها ديفول بكلمته الصادقة قبيل الحرب : « ان الدولة التي ستكون البادئة باطلاق الرصاصة الاولى لن تنال موافقة فرنسا ، ومن باب أولى تأييدها » ووقفت معنا اغلب دول العالم في جمعية الامم حين ادانت اسرائيل وطالبتها بالانسحاب وشجبت اعلانها بضم القدس ، ثم جاء قرار مجلس الامن الذي قرر انسحاب اسرائيل ولم تهمله الا أمريكا وكندا ، ثم ها هي شعوب أوروبا بدأت تدرك ان ذلك الحمل الوديح الذي خدع الجميع قبيل العدوان مدّعيًا الضعف والمسكنة ، ليس الا ذئبا مفترسا يتقمص دولة توسعية ارهابية (٣٠) . ونحن الان في وضع لا نلام فيه اذا تمكنا من مهاجمة اسرائيل التي ترفض قرار مجلس الامن وتمسك بارضنا وتقيم فيها المستعمرات ، وهكذا يتضح الفرق فيما يرى البعض بين ان نبدأ الهجوم او نستعد للدفاع قبيل الخامس من يونيو (حزيران) .

وكيفما كان تصارع الآراء الآن بعد وضوح الهزيمة العربية المحزنة ، فان هذا لا يبعد بنا عن ذكر حقيقة لا يمكن الانفصام عنها ، وهي ان تخديرات اسرائيل لنا وخذعها قبيل العدوان ومشاركة أمريكا لها في تلك الخدع المريرة ، وتسخير الاتحاد السوفياتي ليسهم في مطالبتنا بضبط

(٣٠) خرجت المظاهرات في السويد وبعض المدن الأوروبية خلال شهر ابريل ١٩٦٨ تهنتف لمنظمة فتح وتقاتل ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل بالفضب والسخط حتى اخرج من ابواب جانبية .

النفس ، كل هذه لا تسمح بان نفعل عن اجوائنا وحدودنا فنؤخذ على غرة، ونهاجم فجأة ونجد انفسنا عزلا من سلاحنا الجوي ودرعنا المهم الذي تتعلق به مصائر اجيالنا وانظار شعوبنا في كل وطن عربي ، ان التحذير الامريكي والرجاء السوفياتي هو الا نبدأ الهجوم ، لا ان نترك الدفاع تصديقا للضمان الامريكي واستنتاجا من الرجاء السوفياتي .

على ان هذه الهزيمة المنكرة التي حلت بالامة العربية كشفت عن اشياء كثيرة (٣١) استلزمت اعادة البناء من جديد ، فلقد اوضح الكاتب العربي محمد حسنين هيكل (٣٢) ان قيادتنا العسكرية لم تكن في مستوى المعركة منذ ان اصيبت بكارثة السلاح الجوي ، وان الحرب كانت بين جيشين استوعب احدهما العلم وطبقه ، وبعد الآخر عن ذلك في جهل بيّن واضح ، وان تلك القيادة ربطت بين الانسحاب الضروري الذي كان في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين ما يجب ان يكون حين حطّم الطيران في الخامس من يونيو (حزيران) فأصدرت امرها بالانسحاب مستعجلة ومرتبكة ، وكان ذلك سببا جوهريا من اسباب الكارثة (٣٣) .

ان هذه الهزيمة المنكرة ليست صورة صحيحة لشعبنا العربي في مصر ولا في غيره من الاوطان ، فقد وضحت الاسباب مما ذكر عن القيادة وضعف مستواها وارتباكها ، كما وضحت بطولات عديدة وبسط ميدان القتال لم تستطع ان تدوم بسبب انحلال الجبهة ، وبعد القيادة العسكرية عن التفكير السليم والتنظيم الصحيح ، لقد صمم افراد من الطيارين العرب ان يقودوا طائراتهم رغم المدارج المحطمة والوقود القليل ، فهاجموا طوابير العدو ومقاتلاته ومطاراته ، فعلوا الكثير من ذلك بشجاعة وهم يدركون ان وقودهم لا يكفي للعودة وانهم ملاقون آخرتهم ، وقد استشهد من هؤلاء الأبطال ما لا يقل عن اربعين شهيدا (٣٤) ركبوا فرس المجد ووجب لهم الخلود بيننا وفي جنات النعيم . وحدث التحام مع العدو من بعض القطاعات في

(٣١) ثبت ان قيادة المخابرات ايضا كانت اقل من مستوى الاحداث وانها ارتكبت اخطاء كبيرة كثيرة ضد الافراد والاسر ونشرت الصحف في القاهرة نص الاتهام المهيمن عن تلك الانفصال المشينة التي تنظرها محكمة الثورة .

(٣٢) مقالته (بصراحة) اعداد الجمعة شهر يونيو ١٩٦٨ .

(٣٣) يقول الاستاذ هيكل في مقاله ٢١ يونيو ١٩٦٨ : لقد كان جو الارتباك النفسي بالغ الاثر على ميدان القتال وربما كانت المحنة التي تمرضت لها الفرقة الرابعة المدركة من ابرز النماذج الحية في تصوير حقيقة ما حدث في مساء اليوم الثاني من ايام المعركة ، صدر الامر بانسحابها دون ان نتاح لها اية فرصة للقتال وفي اليوم الثالث طلب اليها العودة الى سيناء وفي اليوم الرابع واجهت عدوها في ظرف مادي ونفسي غير ملائم بينما قائدها في القاهرة . (٣٤) انتم عليهم بنيامين البطولة بعد استهدافهم تخليدا لشجاعتهم .

سيناء الكبيرة وفي الجبهة الاردنية مجدها العدو نفسه واقر بشجاعة افرادها .

وما حدث في الجبهتين الاردنية والسورية لا يكاد يختلف الا قليلا مما حدث في الجبهة العربية بسيناء ، فلقد دخلت الاردن المعركة قبيل منتصف نهار الخامس من يونيو التزاما بمعاهدة الدفاع المشترك وكان لنجاح اسرائيل في تحطيم السلاح الجوي المصري اثر جوهري في نتائج المعركة ، فلقد تعرض الجيش الاردني وتعرضت القدس الخالدة لهجمات جوية متواصلة ، لقد كان القتال البري في الساعات الاولى يأخذ دور الانتصار للجيش العربي، حتى صرح اشكول رئيس وزراء الاعداء ان القتال يدور في ارض اسرائيل (٣٥) . واحتلت الاردن جبل المكبر وتنادى جنودها للمعركة على خطوط فاصلة تمتد ستمائة كيلومتر ، وبدأت المدافع السورية تلك المستعمرات اليهودية وتشعل فيها النار، ولكن ما ان اطمأنت اسرائيل على تحطيم القوة الجوية المصرية خلال ثلاث ساعات والتي كانت شغلها الشاغل ، حتى تفرغت ابتداء من عشية الخامس من يونيو لمعركتها مع الاردن ووجهت كل قوتها لاحتلال القدس ، كان الجيش الاردني قد قسم بين الدفاع عن القدس وبين الاتجاه جنوبا قصد الالتحام مع الجيش المصري الزاحف من سيناء ، وحين تأكدت فجيعة الطيران اتضحت معالم المعركة ومصيرها (٣٦)، ولكن القدس الخالدة شهدت دفاعا جيدا استمر ايام الخامس والسادس من يونيو (حزيران) وكان القتال مريرا استعمل العدو فيه قنابل النابالم المحرمة دوليا ، وسلط سحابت متلاحقة من طائراته تلك المدافعين والآليات والمستشفيات ليلا ونهارا ، حتى صباح السابع من يونيو (حزيران) حيث اخذ القتال مواجهة بالسلاح الابيض ومن شارع الى شارع، لقد اطمأنت اسرائيل الى الربكة التي حدثت في الجبهة الام ، وانفردت بجبهة القدس التي دفعت فيها قتلى كثيرين من جنودها وضباطها حتى دخلتها منتصرة ، وحققت بها حلم التاريخ الذي تكسر على صلابه المدافعين عنها طوال معارك عام ١٩٤٨ .

ولقد اشترك في الدفاع عن بعض خطوط الاردن وفي معركة القدس مع جيش الاردن الابي قسم من الجيش العراقي وفئة من صاعقة الجيش المصري وجموع من فدائيي منظمة « فتح » ، ورغم احتلال اليهود للقدس فقد بقيت

(٣٥) برقية وكالة الصحافة الفرنسية يوم ٦ يونيو ١٩٦٨ .

(٣٦) قال الملك حسين في خطابه اثر وقف اطلاق النار « ان قواتنا لم تخف تكاثر العدو وتفوقه خاصة في سلاح الجو بعد ان قل على غزة وبمكيدة مدبرة سلاح اخواننا الجوي الذي كان معتمدا ونصيرنا مع كل طائرات سلاحنا ، فواجهت العدو دون غطاء وما كان لها من خيار. عن جريدة الدستور - عمان ٦/٨/٦٨

اعمال القناصة العرب مستمرة في تلالها ومرتفعاتها وشوارعها حتى اليوم العاشر من يونيو .

وتعلقت انظار العرب بالجبهة السورية ذات المرتفعات المنيعة والمحصنة بالخطوط الدفاعية العسكرية المسلحة ، وحين جاء اليوم السابع من يونيو (حزيران) كانت اخبار دمشق ان جيشها يزحف على المستعمرات اليهودية يحطمها ويحتلها ، وأنه في الطريق الى الناصرة ، ولكن الاحداث اوضحت صورة اخرى بالغة الحزن والالم ، فقد استطاعت قوات اسرائيل ان توجه نقلها الى جبهة مهمة ، فترجع الجيش السوري ككل جيوش العرب في تلك الايام السوداء ، وبلغ من ربكنه ان المرتفعات لم تأخذ حقها من الدفاع ، ثم اذيع سقوط القنيطرة واضطرت سوريا ان تبعث الى مجلس الامن شاكية اسرائيل انها لم تلتزم بوقف اطلاق النار (٣٧) .

وكان واضحا ان اسرائيل اغتنتم النصر المفاجيء والذي لم يخطر لاي اسرائيلي ان يناله منذ ان وجدوا في التاريخ قبل آلاف السنين ، وبذلك لم تأبه لقرار وقف اطلاق النار في اية جبهة عربية ، لقد كان البلاغ المصري قبل الاخير الصادر صباح التاسع من يونيو (حزيران) يقول : « على الرغم من قرار وقف اطلاق النار الذي التزمت به الجمهورية العربية المتحدة وابلفته الى مجلس الامن فان قوى العدو ما زالت تواصل هجماتها ضد قواتنا في غرب قناة السويس وما زالت الغارات الجوية على منطقة القناة مستمرة » .

اما في الجبهة الاردنية فقد جاء في خطاب الملك حسين في اليوم الثامن من يونيو (حزيران) قوله : « اننا لا نمانع في وقف اطلاق النار ونقلنا هذا الى المنظمة الدولية والدول الاربعة الكبرى ، لكن المؤامرة كانت ارحب ابعادا من كل سلوك اخلاقي واذا بالعدو يقذف بكل ما لديه من قوى امام بقايا سيوفنا يريد ان يفلها الى الشمال ، وكان الغطاء الجوي هو سبب تفوق العدو » .

اما في سوريا فقد ذكرت البلاغات الرسمية من رقم ٥٦ الى رقم ٦٣ الصادرة في التاسع من يونيو (حزيران) ان القوات الاسرائيلية بدأت هجومها على المواقع السورية الامامية على الرغم من ان القوات السورية التزمت بقرار مجلس الامن وتوقفت عن اطلاق النار .

وهكذا احتلت اسرائيل بعد وقف قرار اطلاق النار بساعات وايام

(٣٧) كان مجلس الامن قد قرر وقف اطلاق النار في السادس والسابع من يونيو (حزيران) وقبلت الاردن ومصر ذلك في يومي ٧ و٨ يونيو على التوالي .

يحيون في رقعة تحتل أهم مناطق العالم ، ويتعلق بشرف ومعتقدات ستمائة مليون مسلم ينتشرون في أصقاع عديدة على جانب كبير من الأهمية العالمية، وكتابنا هذا إنما يتحدث عن هذه الكارثة من خلال علاقتها بقضية فلسطين وجهاد شعبها ، وما يتطور بذلك وعن ذلك من أحداث ، ولكن هذه الهزيمة العربية النكراء لو لم تحدث لحقق النصر لفلسطين وشعبها الابي ، ولا يمكن للامة العربية أن تطوي صفحة القلق التي عاشتها منذ عشرات السنين، ومنذ ان اتضحت الاسس البريطانية لاقامة دولة اليهود . ولهذا فان اختصار الحديث لا يسمح بأن نصمت عن ذلك السبب الجوهرى الهام الذي حقق هزيمتنا في الوسط العالمى ، لقد استعمل اليهود سلاح المباغته فنجحوا فيه، والمباغته نوع من الاسلحة المعروفة لا تقل أهمية عن الاسلحة الجوية والبرية والبحرية ، ولكنها اكثر فعالية لأنها اذا نجحت عطلت الفكر الذي يدير الاسلحة الأخرى ، وهذا تماما ما حدث معنا في ذلك الصباح الكئيب ، حيث نجحت اسراب العدو في التسلل القدير الى جميع مطارات السلاح العربى فحطمته وحطمت جميع ممراته ، وبذلك أصبحت تلك الجيوش التي ترابط في الصحراء البعيدة ، أو في مناطق الاردن وتحت مرتفعات سوريا ممرضة لطيران العدو وفاقدة القدرة الكاملة على التحرك الصحيح .

ترد هنا تساؤلات كثيرة ، فحواها ان الطيران لم يكن ضروريا في حماية مرتفعات جولان المحصنة والمتحكمة فيما تحتها من مستعمرات يهودية ، وأنه أيضا كان يمكن الا يكون اختفاؤهم كبير الضرر لو ان جيوشنا في سيناء التحمت مع العدو واستطاعت أن تنقل المعركة الى اراضيه المزروعة والعامرة، وأنه تبعا لهذين الوضعين كانت المعركة في الاردن ستكون اقل ثقلا حيث تشغل قوات اسرائيل بزحفين في داخل اراضيها يمكنان للجبهة الاردنية من عمل مجيد فعال .

وعلى ما في هذا القول من قوة تعبير تأخذ بتفكير الكثيرين ، فان الامر الذي يجب الا يفرب عن كل مهتم ومشغول بأحداثنا انشغالا صادقا نظيفا ، هو أن المفاجأة بضرب السلاح الأهم وتحطيمه لا تحصر اثرها في التحطيم المادي للسلاح ، بل هي تتعداه الى التحطيم الفكرى للقادة ، ولا تكون المفاجأة ناجحة وقديرة الا بقدر ما ينتج عنها من ربكة العدو ، وسبقه الى اتخاذ اجراء مقابل واصلاح احداث المباغته ، حتى تضيق امامه معالم المعركة ويفرق في بحر من التوهم والارتباك ، ولهذا كانت دراسة العدو لمهاجمتنا واخذنا على غرة والفدر بنا دراسة قدرت كل الاحتمالات ، حتى ان الاوامر التي صدرت الى طياريه كانت واضحة ان تعود مسرعة دون التحام مع الطيران العربى في حالة ان يكتشف امرها قبل تنفيذ المخطط الفادر .



الصخرة المشرفة وقد تخاصر حولها ابناء صهيون في وفسع لا اخلاقي
ستبقى الصخرة منتظرة شاخصة الى كل مسلم حتى تنهض النفوس ويبدأ الزحف

مساحات شاسعة من الاردن وسوريا وتوقف جيشها في وطننا العربى على الضفة الشرقية لقناة السويس وفوق مرتفعات جولان السورية المهمة وعلى ضفاف نهر الاردن مستحوذة على كل الضفة الغربية .

لا نصر بلا طيران :

لا يكفي بحث عاجل للتحدث عن اسباب الكارثة التي حلت بنا منذ الخامس من يونيو (حزيران) فالوضوع يتعلق بمصر مائة مليون عربى

على انه من الواضح لو ان القيادة لم ترتبك كما هو متوقع ككل قيادة في مثل هذه الحالة ، فان الوضع لا ينتظر ان يقود الى النصر ، بل ينحصر في ان تقل الخسائر ويتم الثبات المؤقت والانسحاب في ظل دفاع متين (٣٨) ولكن تلك الاوامر المربكة جعلت الجيش الاكبر يتلقى في انسحابه خسائر كبيرة جدا لا تقارن بخسائره اثناء الالتحام .

ومعلوم ان ضعف الفطاء الجوي واندامه امر حتمي في تقرير الهزيمة ، ولقد روت وكالات الانباء تصريحاً لمعلق عالمي ان المفاجأة التي حدثت للسلاح الجوي العربي لو حدثت لاي بلد آخر لما كانت النتيجة تختلف عما حدث للعرب .

على ان هذا ليس امراً جديداً ولا غريباً ، يقول المارشال رومل القائد الالماني الشهير حين يصور يأسه من النصر : « اثبت التفوق الجوي البريطاني والامريكي مرارا مدى فاعليته لدرجة ان أي تحركات للتشكيلات الكبيرة في الجبهة ، وخلفها نهاراً وليلاً ، قد اصبحت في حكم المستحيل » (٣٩) .

بل ان حديث رومل التفصيلي عن اثر سلاح الجو في عرقلة الجيوش وتجميدها وتحطيمها لخليق بأن يثبت هنا لندرك كم كانت قاضية تلك الضربة الموجهة لطيراننا وانفراد العدو بالسيطرة الجوية ، يقول رومل : « كان للعدو التفوق الجوي وتتوقف (لذلك) تحركاتنا بالنهار تماما على وجه التقريب ، على الطرق والخطوط الحديدية والمدقات والارض المفتوحة وذلك لنشاط تشكيلات القاذفات المقاتلة وينتج عن هذا شلل حركة قواتنا في المعركة ، ويتحرك العدو بحرية ويصبح من الصعب للغاية توصيل الامدادات الضرورية للقوات المقاتلة » (٤٠) .

والمارشال رومل يتحدث عن القتال حين بدأ الحلفاء غزوهم في منطقة نورماندي باوروبا حيث يمكن الاختفاء والحماية ، فاذا كانت سيطرة العدو الجوية في صحراء سيناء المكشوفة العارية كان الموقف رهيباً واكثر سوءاً ، يقول رومل : « وفي النهار تضطر قواتنا المقاتلة والرئاسات للبحث عن سواتر في الارض المفظة بالفتاب والاراضي الضيقة بغرض الهروب من الضرب الجوي المستمر » (٤١) .

(٣٨) الاستاذ هيكل في مقاله « بصراحة » عدد الاهرام ٢١ يونيو ١٩٦٨ : « ان الاوامر المربكة سببت لاحدى الفرق المدرعة في سيناء خسارة ٧٥٪ من المعدات .
(٣٩) مذكرات رومل ج ٦ ص ٧٧٧ تمريب فتحى عبدالله النمر .
(٤٠) المصدر السابق ص ٨١٤ .
(٤١) المصدر السابق ص ٨١٤ .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا الشواهد التاريخية عن نتائج القتال حين يفقد احد الجوانب حمايته الجوية ، ويصاب بضربة خاطفة في هجوم مباغت ، وهجوم اليابان على الميناء الامريكي بيرل هارب حيث حطم اسطول امريكا الفعال مثل سيطرة اليابان الجوية في معارك الشرق الاقصى ، حيث مكن لها من ان تحتل سنغافورة وسومطرة وماليزيا وغيرها من الاوطان والارجاء ، وانسحبت قوات بريطانيا مضطرة كسيرة لم تستطع البقاء امام القوات الجوية المتفوقة لليابان في اوائل الحرب (٤٢) .

وهكذا يتضح بما لا يدع مجالا لباحث ان يتشكك ان سبب الهزيمة كان نجاح العدو في تحطيم السلاح الجوي للجمهورية العربية المتحدة والذي كان السند المد للمعركة الكبرى في الميادين العربية كلها (✻) .

صدى الكارثة واثرها :

قضت شعوب الامة العربية يومي الخامس والسادس من يونيو (حزيران) في سرور غامر ، فالمعركة المنتظرة التي اعدنا لها وربطنا بها المصير قد بدأت ، وبلاغاتنا الرسمية التي تنقلها اجهزة الاعلام تفيد بالنصر العربي ، وبالفقت القيادات العربية في بلاغاتها ، فذكر بعضها اسقاط مئات الطائرات ، وذكر الآخر تقدم جنوده في ارض العدو ، وذكر الثالث ان مدنا كبيرة على وشك السقوط بيد جيشه الظافر المتقدم ، حتى اذا عرفت حقيقة الكارثة تحول ذلك السرور الفامر في شعوبنا جميعها الى حزن اليم شديد ، ولقد كانت تلك القلوب الطاهرة في امتنا الكبيرة تعيش الاحداث ساعة بساعة ويوما بيوم ، وتحركت الجماهير في بلداننا انفعالا بتلك الاحداث ترسل النعمة والحمد على اعوان الاعداء وممثليهم ، وتظاهرت الجموع في لبنان وليبيا وتونس والمغرب والكويت والسعودية وغيرها في الشرق والغرب تتظاهر تأييدا لجيوشها ومرسلة غضبها وحقدها على الاعداء ، واشعلت الحرائق في كثير من المحال واعتدي على

(٤٢) ان تلك الاخطاء التي رددتها الصحافة والتي تلخص في حشد الجيش كله في سيناء اياما طويلة ثقيلة ، وعدم ترك احتياطي خلف الجبهة والزج بجنود ليسوا على مستوى عال من التدريب الى الخطوط الامامية في بعض الجبهات وفشل مخابراتنا في الاحاطة بقوة العدو ومدم امتثال القيادة لنصائح بعض المخلصين من الافراد والدول الصديقة ، كلها عوامل هامة ولكن كرامة الطيران كانت حاسمة .

(✻) قال انتوني ناتنج الوزير البريطاني المروف في حديث لروز اليوسف ١٩٦٧/٦/٢٦ « لقد كنت في فرنسا سنة ١٩٤٠ وشهدت كيف انهارت معنويات الجيش الفرنسي ومعنوياتي انا شخصيا عندما تحققت سيادة الطيران الالماني على سماء فرنسا » .

ان اتحنى تماما ونهايا عن اي منصب رسمي واي دور سياسي ، وان اعود الى صفوف الجماهير اؤدي واجبي معها كاي مواطن آخر » .

وكان اعلان الرئيس عبد الناصر عن رغبته في التخلي ، صدمة اخرى لشعوب الامة العربية ورجالها ، فمصر هي القوة الكبرى وسط هذه الامة ، والرئيس عبد الناصر هو الزعيم الذي استطاع ان يقف في وجه دول الاستعمار بشجاعة وصلابة ، وتنحيه في ذلك اليوم العصيب وان كان سوف يثبت للاعداء ومن وراءهم « ان الامة العربية هي الباقية وان أي فرد مهما كان دوره ومهما بلغ اسهامه هو اداة لارادة شعبية (٤٤) » ولكنه أيضا سوف يمد الاعداء بقوة من السعادة الفامرة التي لا تحسد ، وسوف يعتبر ذلك التنحي نصرا آخر يضاف الى نصرهم العسكري ، وسوف يكون عاملا من عوامل الايلام الشديدة لهذه الامة التي عقدت العزم على التحرر ، وليس في امكانها تلقي مزيد من الصدمات ، ولهذا هبّ الشعب في الجمهورية كما هبت شعوب العرب وحكامها جميعا مطالبينه بالعدول عن ذلك القرار الخطير وان يستمر في القيادة امام طوفان الاعداء وطفانهم .

ولم يكن ممكنا ان تحدث هذه الهزيمة المنكرة دون مسؤولية فأعلنت استقالة المشير عبد الحكيم عامر (٤٥) وعدد من القواد والوزراء ، ثم بديء في تحقيق قضائي عن اسباب الكارثة ، ونحن نسطر هذه الاحداث ولم تصدر بعد الاحكام في هذا الحدث الجليل الخطير ، ولقد اتضح بمرور الايام ان الكارثة كانت اكبر مما تعيها عقول المشاهدين عن بعد حيث ثبت ان الاعداء استطاعوا ان يحطموا ليس فقط السلاح الجوي العربي ، بل لقد دمروا وغنموا المعدات الثقيلة وفتكوا بالآلاف في خطوط القتال ، حتى اصبح زحفهم الى القاهرة ميسورا لا يكاد يكون في الامكان ان يجد جيشا يصده ويدفعه الى وراء (٤٦) .

وبذلك اصبح من اللازم اعادة بناء القوات العربية بناء جديدا وسلاحا جديدا وعنصرا جديدا وهذا ما اعلن حين تقرر في مصر تجنيد رجال المؤهلات العالية دون استثناء ، حتى يكون تفهم الآلات والتصرف فيها ايسر مما كان لدى الجنود العاديين .

مؤتمر القمة بالخرطوم :

وحان للعرب ان يلتقوا بعد هذه الهزيمة ، فانعقد في التاسع والعشرين

(٤٤) جزء من خطاب الرئيس عبد الناصر ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧

(٤٥) انتحر المشير عامر في اواخر اغسطس (آب) ١٩٦٧ . وقصة ذلك مفصلة في صحف الشهر المذكور .

(٤٦) اعلن ذلك الرئيس عبد الناصر خلال نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٦٧ .

سفارات بريطانيا وامريكا ، واشتدت الدعوة الى مقاطعة هذه الدول وسحبت الودائع في ليبيا من البنوك البريطانية والامريكية . واضطرب جبل الأمان واضطر المسؤولون الى فرض منع التجول اسابيع طويلة ، واضطربت البلاد الاسلامية فخرجت المظاهرات في بلاد الافغان والباكستان واندونيسيا وتركيا تنادي بالانتصار للعرب (٤٣) . وسارت المظاهرات الضخمة في بعض دول اوروبا وامريكا ، ولكنها كانت لتأييد اسرائيل وشحن الهمم لها ومعها .

وحين اعلن وقف اطلاق النار واتضح الموقف في جبهات القتال ، كانت الصدمة شديدة مربةكة على الامة العربية ، ولم تصدق الجموع الكبيرة البريئة ان ذلك الاعداد الكبير الذي مضى عليه عشرون عاما في كل جبهة عربية ، انهار فجأة امام الاعداء كما تنهار كئشان الرمال ، وان اعداءنا والخطر الذي يتهددنا اصبح اكبر مما كان ، واخطر مما نظن ، واقرب الى اهدافه مما امل العدو وانتظر وتمنى .

وبلغ ألم الصدمة لدى بعض الافراد مبلغا خطيرا حتى ظهرت صور لاشخاص فقدوا قواهم العقلية ولأشخاص تركوا لحاهم دون تشذيب حزنا والمأ ، ولغيرهم من حرّموا صناعة الأكل في بيوتهم فلم تجتمع أسرهم على مائدة ولم يلتقوا في حديث غير حديث الحرب والكارثة ، وخطورة الاعداء . واغلقت في بعض البلدان دور السينما واللهو فلم يعد لدى الشعب وقت للاستمتاع رغم بعد المسافة عن حدود المعركة ، وعمّ عديد من بلاد العرب والاسلام مظهر عميق من الحزن الكئيب ، والكل ينتظر ساعات الفرج ، أو زحفا مقدسا تهون فيه الارواح وتعلو فيه كلمة الجهاد والتضحية ، لفسل العار وتحريز الديار .

استقالة الرئيس جمال عبد الناصر :

ولقد كان من آثار هذه الكارثة في الجمهورية العربية المتحدة اعلان الرئيس جمال عبد الناصر التخلي عن الحكم وكل عمل سياسي حيث كان خطابه للامة العربية في اليوم التاسع من يونيو (حزيران) بالغ الخطورة والاهمية اذ شرح النكسة بمقدماتها وتطوراتها ثم قال :

« لقد اتخذت قرارا اريدكم جميعا ان تساعدوني عليه ، لقد قررت

(٤٣) أصدرت السفارة العربية المصرية في انقرة يوم الثالث من يونيو بيانا تشي فيه على ابناء الشعب التركي الذين تقدمت اعداد كبيرة منهم بطلب التطوع للقتال مع جيوش الامة العربية .

من اغسطس (آب) اجتماعهم في الخرطوم (٤٧) حيث تعلقنا انظار الامة العربية رانية الى اقطابها في وقت غاصت فيه الكرامة العربية الى الاعماق .

واذا كان هذا المؤتمر قد جاء والعرب احوج ما يكونون اليه ، بعد تلك العواصف التي حالت دون انعقاده قبلا ، فان بعض الرؤساء لم يحضروا المؤتمر ، اذ تخلفت عنه سوريا واكتفت الجزائر والمغرب وتونس بايفاد مندوبين ، وكان لكل منهم عذر صحي او غير صحي ، ولكن المفهوم ان الجزائر كانت ترى ضرورة مواصلة الحرب ، وان اي مؤتمر لا يكون جدول اعماله يهدف لهذا هو مؤتمر غير ناجح ، « وان ثلاثة اشهر مضت يومئذ على العدوان دون ان تتحسن اوضاع الامة العربية بل على التقيض من ذلك ازدادت خطورتها في الوقت الذي يقوى فيه المعتدي الصهيوني ويدعم موقفه في المراكز التي استولى عليها » (٤٨) .

ومع تخلف هذا العدد من الرؤساء والاكتفاء بالمندوبين فقد حقق اجتماع الخرطوم تلاقيا هاما بين الملك فيصل والرئيس عبد الناصر ، ذلك التلاقي الذي وضعت فيه الخطوط الرئيسية في العودة الى اتفاقية جدة بين البلدين حول مشكلة اليمن (٤٩) ، وحقق ايضا بحث شؤون الساعة تلك التي تشغل امة العرب ، وكان اهم قراراته ان يعاود العرب ضخ البترول الى جميع الاطراف في العالم بحجة ان منع البترول عن اوربا سوف يحقق خسارة للدول المنتجة لا تمكنها من اداء رسالتها في العالم العربي وفي داخل بلادها ايضا ، وان ضخ البترول والاستفادة بأمواله أفيد للقضية العربية من استعماله كسلاح مؤثر لصالح تلك القضية .

البترول بين المنع والضخ :

وكان قرار ضخ البترول مفاجئا للجميع ، فقد عاشت الامة العربية عشرين عاما وهي تقرا لكتابتها وادبائها مئات المؤلفات التي كانت تسجل الحزن والالم لان البترول لم يمنع عن المستثمرين الاجانب عام ١٩٤٨ وانه لو تم ذلك لركعت اوربا على ركبتها وايقنت ان بترول العرب اهم لها من مجاملة ومناصرة اسرائيل ، وحين انعقد مؤتمر الخرطوم كانت الدول المنتجة توقف ضخ البترول منذ ايام الحرب الستة ، بعضها يوقفه عن الدول التي ايدت

(٤٧) لقد بذل حكام السودان جهدا كبيرا في دعم موقف اخوانهم وفي تحقيق عقد المؤتمر والدعوة له واستضافته فكان جهدهم طوال ايام النكبة وبعدها جهدا مخلصا يستحق التسجيل والثناء .

(٤٨) جريدة الجاعد الجزائرية ٣٠ اغسطس (آب) ١٩٦٧

(٤٩) تم بعد ذلك جلاء الجيش المصري عن اليمن وكان قد استقر بها منذ نورتها ضد النظام الملكي ، وما زلنا برغم ذلك الجلاء نرى الصراع مستمرا في داخل اليمن دون الوصول الى استقرار كامل فيه .

العدوان ، وعمدت ليبيا الى ايقاف الضخ عن الجميع ، وقد بدا واضحا ان ذلك الايقاف كان مهما وثقيل على اوربا التي ارتفع لديها سعر البترول يوما بعد يوم ، وامريكا التي اضطرت الى تموين اوربا من احتياطياتها الذي ادخرته لغير تلك الايام ، وزاد في اهمية ذلك الاجراء العربي غلق قناة السويس مما زاد في اسعار البترول المنقول عبر رأس الرجاء الصالح من حقول ايران ، وكان الوقت صيفا ولم تكن استهلاكات البترول باوروبا بالقدر الكبير الذي سوف يكون حين تبدأ ايام الشتاء القارص في ارجائها ولم تكن تلك الايام لتبعد عن مؤتمر القمة الا شهرين اثنين .

وهكذا في جلسة واحدة لذلك المؤتمر المنتظر تغيرت نظرية عشرين عاما عاشها العرب واسفوا على عدم استعمالها ، وترقبوا الوقت المناسب لها ، ثم سرعان ما انتصرت نظرية جديدة نادى بها بعض دول البترول وقدمت لها المعاذير ، سوف تتوقف المشروعات الانتاجية ، سوف تعجز الميزانيات عن دفع مرتبات الموظفين ، سوف يضطر بعضها الى الاستغناء عن الموظفين الذين يمثلون هيكل جهازه وأغلبهم من الفلسطينيين ، وسوف يكون ذلك اعلانا للعداء الصريح مع دول الغرب الذي يخشى ما تعمد اليه من تصرف بعد ذلك . والواقع ان كل هذه الحجج كان يمكن التغلب عليها ، فقد كان المنع يقلق تماما دول الغرب ويثقل كاهلها ويتعبها ، وكان وزراء الخارجية العرب بل ووزراء البترول انفسهم قد قرروا منع البترول عن الدول التي ساعدت او ايدت العدوان ، وكان هذا القرار قد نفذ فعلا منذ بدأ العدوان وخسرت الدول المنتجة واردات نقدية ولكنها كسبت بترولها بقي في آبارها . اما دول اوربا فان منع البترول عنها يعني منع اهم وسيلة من وسائل حياتها وحضارتها ومكاسبها . ولو استمر العرب في موقفهم الصلب حتى حلت شهور الشتاء في اوربا وتوقفت وسائل النقل والانتاج والتدفئة ومصانع الكيماويات البترولية لخرج سكان اوربا يطالبون بضرورة التفاهم مع العرب ، وضرورة حل المشكلة الفلسطينية حلا يتلاءم مع العدل والانصاف ، ولادركت تلك الشعوب تحت وطأة الضغط العربي ان العرب الذين عزفوا عن المال ورضوا بشهور من التقشف لا يمكن ان يفعلوا هذا الا وهم يدفعون به ظلما جائرا ، ونيرا قاتلا يستحق ان يدرس وان يعالج .

بل لقد كان من الممكن ان يكون العرب اكثر هيمنة على ارادتهم واموالهم وذلك باباحة البترول للدول التي تقف الى جانب حقهم ، وكان مثل هذا الراي يقضي بضخ البترول الى فرنسا وتركيا واليونان واسبانيا واليابان وغيرها من الدول التي لا ريب سوف تتسابق الى تأييد حقنا والشعور بخطورة الامر ، ولقد قيل ان مثل هذا الضخ قد يؤدي الى تسرب البترول لدول لا يفيد تمويلها ولا يجوز ، وسوف تقفل اسواق امام بعض الدول

كل فرد وكل دولة اخطار ما نحن فيه ، وما نحن مقبلون عليه ، لما تمسكوا بأموال ولا ثروات ، ولما تأخروا لحظة في السير الى التقشف بنفوس راضية . ولن يكون النصر شاملا للامة العربية ما لم تدرك حقيقتها ويسرع أفرادها مع حكوماتها وقبلها على ذلك ، وما لم نرغم العالم على معرفتنا ، واننا نستطيع ان نستغني عن أموال البترول المفتعلة واننا في حالات الخطر يستطيع كل فرد منا ان يدفع بقوته للمعركة وان يعيش كغيره متقشفا في حياته ، مترفعا في اهدافه ، باذلا من ماله ، في سبيل ان يبقى جزءا من أمته ، وفي سبيل ان تبقى الامم ، وفي سبيل ان تبقى الاوطان لاجيالنا القادمة مع تطورها الحضاري العريق .

ان الوطن العربي يمثل وطننا واحدا امام عدو واحد ، وهو الآن محتل بخطر مدمر ، خطر لا ينوي الجلاء ، ولا يملك وطننا يعود اليه ، فاذا لم نفق مع هذه الكارثة ترى هل نحتاج لكارثة أكبر لكي نفيق ، وهل يمكن ان يكون هناك شيء أكبر ؟؟

ونحن نقابل عدوا يمتاز بالفكر والدراسة والاعداد ، فمن الواجب ان يقابل بالفكر الرصين ، والدراسة الناقية والاعداد القوي ، وامتنا ليست قاحلة ولا ممحلة وفيها جهابذة يجب الاستفادة بهم ومنهم ، وامتنا ليست فقيرة ولكن تسخير المال كله للمعركة فرض لا يقبل الجدل ، واذا كنا نعتقد ان أموال اليهود في العالم على كثرتها وكثرة المساعدات الاجنبية جعلت من اسرائيل جنة لابنائها ، فاننا مخطئون ، لان هؤلاء الاعداء يدركون حقيقة وجودهم المصنوع ، وبذلك فكل ثرواتهم تذهب الى حيث يقرون عسكريا ، ويحاربون بها امة العرب وشعب الاسلام . « ان اخواننا في الضفة الغربية الذين زاروا يافا وحيفا وتل أبيب يقررون ان الشعب اليهودي عاش طيلة هذه السنين ، حياة تقشف وعري وفاقة وحاجة ، في حياة بسيطة ووسائل نقل قديمة، لان اسرائيل تؤمن بالتقشف وشد الاحزمة، بالعمل الجدي الحازم، تؤمن بالعقل والايمان لتستطيع ان تثبت وسط هذا البحر المتلاطم من الامة العربية » (**) .

واذا كان اليهود يتقشفون رغم ملايينهم وملياراتهم ، فانهم يعدون انفسهم للبقاء اولاً ولاتهامنا ثانياً ، وما أجدرنا نحن المغزبة بلادهم ، المحتلة ارضهم ، المهدة حضارتهم والمهزوز بقاؤهم ، ما أجدرنا بذلك وبأكثر منه ، وهو وحده الذي يقصر الطريق الى النجاح .

لقد ارتفعت دون جدوى أصوات خيرة تنادي بوجود الاستمرار

(*) جريدة الدستور الاردنية من خطاب رئيس وزراء الاردن السابق ٦٨/٧/٦

المنتجة وتفتح امام اخرى ، ولكن علاج هذا لن يكون مستحيلا حين يكون العرب في مستوى مسؤولياتهم ، واكثر ادراكا للاخطار حيث لا يصعب عليهم تأليف لجنة للاحصاء والاستفادة بالعائدات لكل الدول المنتجة في نظام حسابي لا يحابي فريقا ولا يضر غيره ، وسوف لا يكون صعبا عليهم أيضا خلق لجان مراقبة تتولى الاشراف على الضخ والشحن تقابلها لجان في البلدان المستوردة للتأكد ان المشحون لها وحدها ، ثم ان الكشوف الحسابية قبل العدوان كانت كافية لادراك كم كان احتياج كل بلد مستوردة للبترول حتى لا يتسرب منه الى من يقرر العرب حرمانهم .

اما الآثار الاقتصادية على منتجي البترول ، وعلى الدول التي اصيبت بالعدوان ، فلنكن تجاهها صريحين مع انفسنا ، صادقين للتاريخ وللجيال ، موضحين الحقائق دون تردد ، ان شيئاً من التقشف يجب ان يعود له عالم العرب كله اليوم، لانه عالم مهدد بالفناء ، مهدد بالابادة ، مهدد بتقويض حضارته ، وديانته ، ومثله . وما ايسر ان يتخلى هؤلاء العرب عن كماليات الحياة ، في سبيل الابقاء على الحياة ذاتها ، وما ايسر ان تتوقف بعض المشاريع في مختلف الاوطان في سبيل الابقاء على الاوطان ذاتها ، وما ايسر ان يحرم شعبنا مؤقتا من بعض مجدعات الرقي ، او منجزات المدنية ، في سبيل ان يبقى شعبنا ذاته ، ان الشعب العربي مهدد في وجوده من الخليج الى المحيط ولا معنى لميزانيات ضخمة تستهدف الحضارة دون ميزانيات أكبر للدفاع ، ان تلك المنشآت العظمى والانجازات الهائلة في كل بلد عربي تحتاج الى حماة وسلاح وایمان، والا فاننا نبني للاعداء ونعد للخصوم * . ان شعبنا يحيا اليوم وكان الحرب التي اذلته كانت حلما لا حقيقة ، وكان اولى بنا ان نحيا ظروف الحرب كاملة كما عاش غيرنا من الشعوب : تحديد للتموين ، وتقنين لكل شيء يتعلق بالمجتمع . ان شعبنا لا ريب مهدد ، ومهدد بأخطار لم يعرفها تاريخه لا امام جحافل التتار ، ولا تجاه تجمعات الصليبية ، انه خطر الابادة والافناء . ولنراجع انفسنا الان وقد مضى شهران بعد عام من الهزيمة ، ومضى ما يقرب من عام على مؤتمر القمة الذي اباح ضخ البترول ، هل توقف تيار الاسراف في عديد من الدول العربية ، هل ادركت الامة العربية انها على شفا جرف ، وانها توشك ان تقع في هاوية سحيقة لن ينجيها منها الا العمل المنظم السريع ، اقسام لو ادرك

* بعث لقيط بن يعمر اليبادي الكاتب في ديوان كسرى يحذر العرب من غزو الفرس ويقول :

اسوا تخافون قوما لا ابا لكم	اسوا اليكم كامثال الدبا سرا
في كل يوم يسنون الحراب لكم	لا يجمعون اذا ما غافل هجما
لا تمشروا المال للاعداء انهم	ان يظهروا يحتوكم والتلاد مما

في استعمال سلاح البترول ، قال عبدالله الطريقي الخبير العربي المعروف : « ان الشيء الذي يجب ان ندرکه ونتأكد منه ، هو ان اوربا تستهلك الان من الاحتياطي وربما استهلكت من المخزون ما يعادل حصيلة شهر تقريبا وكل الكلام الذي يقال من ان اوربا تستطيع الاستغناء عن البترول العربي قصد به التأثير على سياسة الحكومات العربية التي لا تتابع الاحداث كما يجب ، وتشعر بأن قطع البترول عن الغرب معناه هي التي تخسر وحدها ، وان الغرب يستطيع ان يأتي بالبترول من مصادر اخرى .

ان المعركة بيننا وبين المستعمرين والمعتدين هي معركة ينتصر فيها صاحب النفس الطويل ، وان مقاطعتنا لاوربا الغربية ستصيبها بأضرار اقتصادية جسيمة وستخلق بطالة في صناعتها المختلفة خصوصا وان الشتاء قد أقبل وهي قلقة على امداداتها البترولية ولهذا فهم ينشرون الاراجيف والاشاعات ليمنعوا العرب من الاصرار على قطع البترول عن المعتدين . ان العملية اقتصادية بحتة ولن يدمروا اقتصادياتهم خدمة لاسرائيل « (٥٠) .

ولا يطول بنا البحث في هذا الموضوع فقد أصدر مؤتمر القمة بالخرطوم قراراته وتنادت أغلب الصحف في العالم العربي بنجاح ذلك المؤتمر ، وانه في وقته لم يكن ممكنا شيء آخر احسن منه ، وانه استطاع ان يجعل من ضخ البترول سلاحا مفيدا تقدمه الدول المنتجة للدول التي أصابها العدوان ، وجاءت قرارات المؤتمر كما يلي :

اولا : اكد المؤتمر وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي .

ثانيا : قرر ان الاراضي المحتلة يجب استردادها على الدول العربية جميعا .

ثالثا : اتفق الملوك والرؤساء على توحيد جهودهم على الصعيد الدولي لازالة آثار العدوان وذلك على أساس عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم التفاوض معها والتمسك بحقوق شعب فلسطين في وطنه .

رابعا : عدم الأخذ برأي مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول

(٥٠) عبدالله الطريقي ، جريدة الانوار البيروتية ٩ أغسطس ١٩٦٧ .

الداعي لعدم ضخ البترول ، ذلك لان ضخ البترول يمكن ان يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يصلح لدعم الدول العربية التي تأثرت بالعدوان مباشرة .

خامسا : اقر المؤتمر مشروع الكويت لانشاء صندوق الاستثمار الاقتصادي والاجتماعي العربي .

سادسا : قرر المؤتمر ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الامداد العسكري لمواجهة كافة احتمالات الموقف .

سابعا : قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الاجنبية في الدول العربية . وقررت كل من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت والمملكة الليبية ان يلتزم كل منها بدفع المبالغ الآتي بيانها سنويا ، ومقدما عن كل ثلاثة اشهر ابتداء من منتصف اكتوبر الى حين ازالة آثار العدوان :

المملكة العربية السعودية :	٥٠ مليون جنيه استرليني
دولة الكويت :	٥٥ مليون جنيه استرليني
المملكة الليبية :	٣٠ مليون جنيه استرليني

وبهذا تضمن الامة العربية انها تستطيع ان تسير في هذه المعركة لحين الانتهاء من ازالة آثار العدوان .

وقد بدأت فعلا الدول الثلاث المذكورة تنفيذ هذا الالتزام المالي تجاه الجمهورية العربية المتحدة والمملكة الاردنية بحيث يدفع للاولى خمسة وتسعون مليوناً ويدفع للثانية اربعون مليوناً من الجنيهات . والواقع ان هذا القرار كان صورة طيبة للموقف الواجب تجاه ظروف خطيرة ، وهي ظروف لا تتعلق بوطن دون آخر بل هي تخص كل عربي يحيا في هذا الوجود بعد مكانه او قرب ، ولا تكون قد بدلنا اكثر من طاقتنا حتى لو كانت ميزانيات كل العرب مجتدة لازالة آثار العدوان وتأديب المعتدين ، ولنثبت الحق العربي وسط وطنه وفوق ارضه .

ويطول بنا الحديث لو سمحنا للفكر ان يسير مع الخامس من يونيو (حزيران) المشؤم كيف حدث ، وبأي صورة ختم ، ولماذا هزمتنا واين مسؤولية ذلك الحدث الخطير ، وكيف وقعت الكارثة ، كيف نجحت اسرائيل وفشلنا نحن ، « هل كانت هناك مؤامرة مبيتة ضدنا في الغرب أم أننا فشلنا في اكتساب الغرب الى جانبنا ، هل خذلنا الاتحاد السوفياتي أم نحن الذين خذلناه ، هل كانت الخلافات العربية هي السبب ،

What 'Fatah' means

To the Editor of The Jerusalem Post
 Sir. — In the opening instalment of extracts from the new book on the Six Day War by David Kimche, and Dan Baily, published in today's issue, the authors, in a footnote, mentioned that "the full name of the Fatah organization is *Harakat Takrir Falastin*, Fatah being the inverted initials of the name." While this is quite correct, my conjecture is that there are two reasons for this inversion of initials. First there is the positive one, in that the word means "opening," and both noun (*fatāh*) and verb have their similar equivalents in the Hebrew words (*petah*) *nnp* and *nnp*. It also means "an opening from a strait or unpleasant situation," usually veched by the grace of God, and in the Koran

it actually connotes "victory," as in the beautiful and musical combination, "*fat'h-um mubīn*," which means "manifest victory." The word is thus charged with emotional and religious connotation.

The other reason for the inversion of the initials of the name of the *Haraka* (organization or movement) is obviating the very negative meaning of the word that might otherwise have been formed by putting the initials in their right order, namely *HATF*, which means death pure and simple, that is, natural death, or as *Al-Munjid*, the Arabic equivalent of the (Concise) Oxford English Dictionary, defines it: "Death brought about either by killing nor beating."

ELIAHU KHAZOUH
 Jerusalem, May 10.

تشغل (فتح) اسرائيل فلا تغلو صحيفة فيها من الحديث عنها ، وهذه صورة جغرافية تفسر معنى « فتح » نشرته جروساليم بوست في ١٠ مايو (ايار) ١٩٦٨ يقول : « ان فتح معنى ايجابي مأخوذ من القرآن « الكريم » وتضي النصر والفرج بعد الضيق والمتاعب ، مثل « نصر من الله وفتح قريب » وفتح تتصل بالشاعر والاحاسيس الدينية وهي قلب لحروف (حركة تحرير فلسطين) اذ بدونه تعني « حتف » الموت الطبيعي غير الناجم عن القتل او الضرب .»

الفلسطينيون لا يوقفون اطلاق النار :

توقف اطلاق النار بين اسرائيل والدول العربية الثلاث، وعين مندوب من الامم المتحدة ليشرف على خطوط ايقاف النار في قنسة السويس (٥٤) ومرتفعات جولان ونهر الاردن ، ولكن شعب فلسطين كان هو صاحب الارض المفتتصة وهو الذي شاء له القدر ان يكون خط الدفاع الاول عن امة العرب والاسلام ، هذا الشعب لا يعترف بايقاف اطلاق النار وليس لاحد ان يمنعه او يقف في وجهه فان المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الاجنبي عمل شرعي اقرته الشرائع واعترفت به الامم المتحدة (٥٥) ، وشعب فلسطين

(٥٤) ان ايقاف اطلاق النار لا يكاد يعني الا ايقاف الحرب الشاملة ، اذ لم تهدأ المنطقة منذ ذلك التاريخ وقد كان اغراق الصواريخ المصرية للدمرة اليهودية « ايلات » عملا كبيرا اسباب اسرائيل في الصميم وشهدت منطقة القتال في تواريخ متعددة مسارك بالمدفعية بين الضفتين ، كان اكبرها هو التركيز الاسرائيلي على مخازن ومصافي البترول المصرية في السويس وضرب المدنيين ومنشآتهم . اما على ضفاف نهر الاردن فلا يكاد تبادل اطلاق النار يبدأ يوما واحدا منذ الخامس من يونيو وحتى الان وقد تحول في مرات عديدة الى استعمال اليهود للطائرات والمدفعية تلك بها الاردن مدنه وقراه وكان آخرها ضرب مدينة اربد خلال يونيو ١٩٦٨ ويقف الاردن جيمه بسالة وشجاعة رثم الخسائر كل يوم .

(٥٥) اعلن الرئيس ديغول في مؤتمر صحفي له ان الذين تسميهم اسرائيل اراهابيين هم رجال مقاومة وطنية كما كان يفعل الفرنسيون ايام الاحتلال النازي . واكد ديغول ان اسرائيل ذات طبيعة توسعية وحربية .

هل دخلنا الحرب على غير استعداد (٥١) . هل كنا نتحدث عن الحرب دون ان نعي تبعاتها ؟ « (٥٢)

واذا كنا قد تناولنا الاحداث الاخيرة في ايجاز فذلك لان كتابنا يتعلق بجهاد شعب فلسطين ، ولكنها احداث كانت من الثقل على كل باحث عربي حتى لا يجوز ان تمر دون ان نتحدث في قللمه امرا ، وتترك على صفحاته اثرا ، انها احداث المصير العربي سوف لا تكون تاريخا يدرس فقط بل انها بداية لتاريخ جديد يؤرخ بها وتحسب منها الايام والاعوام (٥٣) .

على ان هذه الهزيمة المنكرة والشنيعة ، قاربت الى حد كبير ، بين الامة العربية وزعمائها ، وجسمت لهم الخطر الحقيقي للعدو الذي يقسم بينهم وفي ارضهم ، ثم انها اعطت للشعب الفلسطيني فرصة العمل ، ذلك العمل الذي حاربته الظروف طوال العشرين عاما الماضية .

فلم يعد ممكنا ان تتولى الدول العربية المحطة باسرائيل حمايتها من الفدائيين ابناء الوطن السليب ولاسيما بعد ان ضمت اسرائيل الى كيانها المعروف اراضي جديدة وحيوية من الاقطار الثلاثة المجاورة سوريا والاردن ومصر .

واذا كانت حركة التحرير الفلسطيني (فتح) قد بدأت جهادها في اوائل ١٩٦٥ وتعرضت منذ ذلك التاريخ لمتاعب جسيمة وتضحيات مروعة في سبيل توحيد عملها ضد اسرائيل المفتتصة وفي سبيل استمرار فدائيتها طليعة لثورة شعبية ضد الكيان الذي نصبه الاستعمار في وطنها ، اذا كانت حركة (فتح) قد تعرضت لكثير من المتاعب فان احداث الخامس من يونيو (حزيران) اتاحت لها ان يكون جهادها علنيا وان تترعب في صدور العرب الذين هدتهم الهزيمة واحزنتهم الكارثة ، فراوا فيها معنى استمرار الجهاد ومواصلة العمل الصحيح وحمل الارواح على الراح في ايمان وتصميم وبذل .

(٥١) يقول الاستاذ هيكل في « بصراحة » باهرام الجمعة ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٦٨ اننا لم نكن مستعدين للحرب وان الهزيمة كان يمكن ان تكون اشد اذ ان ضرب الطيران على الارض لم يفقدنا الطيارين الذين لا يمضون لو ضربوا مع طائراتهم في الجو .

(٥٢) انها تساؤلات من جريدة الدستور الاردنية في ٤ اغسطس (آب) ١٩٦٧ ثم تضيف انها تشغل اذهان الجماهير بعد ان كشفت النكسة اخطاء خطيرة وقررات هائلة في التفكير والتخطيط للمعركة دلت على عيوب كبيرة .

(٥٣) تصلني اكثر من رسالة شهريا من اصدقاء كرام جمعت بيننا روح الوطنية والانشفال بامتنا ومستقبلها وتحمل تلك الرسائل الى جانب التاريخ الهجري والميلادي تاريخا جديدا منذ الهزيمة ، فيقال مثلا السابع من الشهر الخامس للهزيمة ، وهكذا ، وما وصلتنى رسالة من اولئك الاحباب ورميت البصر الى ذلك التاريخ الجديد الا توجهت بقلب خائف الى الله العظيم حتى يحقق الامل المنتظر فيضع لهذا التاريخ نهاية وللنصر المرتقب بداية .

Al Fatah men on trial

Jerusalem Post Military Reporter

LYDDA. — Two Al Fatah men faced a military court here yesterday morning on charges bearing the death penalty. The two, "Castro" (Mohammed Ahmed Mohammed Farhat) from Tulkarm and Salah Ibrahim Mohammed Abu Tays from Irbid in Jordan are both 23 years old.

The charges against them include an attempt to blow up a train on the Haifa-Lydda-line in mid-October. They are also accused of illegal possession of arms, infiltration and belonging to a terrorist organisation. Any of these charges could lead to the imposition of the death sentence, mandatory under the emergency regulations under which these men are being tried.

Tays said.

Both men refused the defence counsels offered to them by the court. The presiding judge then ordered them to accept the lawyers provided by the courts all the same.

"We came to liberate Palestine" Abu

صورة زكوفرافية لحدث محرر جيوساليم بوست العسكري بالقدس الذي يقول : « ان عضوي « فتح » محمد فرحات وصلاح ابو تاية كل منهما ٢٢ سنة واجها احتمال الاعدام بالحكمة بتهمة نسف قطار ، حيازة اسلحة ، التسلل والانضمام لمنظمة ارهابية. قال ابوتاية : « لقد جئنا لنحرر فلسطين » ورفض المستشارين القدامين من الحكمة للدفاع عنها . وهكذا يستمر شعب فلسطين في شجاعته البطولية حتى بين قفسان الاعداء .

صلى الشعب الفلسطيني نتيجة المعاناة ليجسد العمل المسلح بشكل واع « (٥٧) » .

وهذا المعنى الذي نشرته الفتح قبل عام من الان. هو نفسه الذي اعلنه موسى دبان في اواخر يونيو ١٩٦٨ حيث قال : « ان (فتح) تعني استمرار الفلسطينيين في الثورة وانها تكبد اسرائيل كثيرا من الخسائر في الاموال والارواح » (٥٨) .

وبالعودة الى اعمال (فتح) حين بدأت مسيرتها الثورية يثبت ان حركتها اتعبت فعلا دولة الصهاينة وفاجاتها حين اعتقدت انه لم يبق للفلسطينيين اثر في حياة وطنهم السليب . حتى قال التقرير الخارجي لجريدة الايكونوميست البريطانية في اوائل مارس (آذار) ١٩٦٥ : ان اعمال الفدائيين تمثل اول غزو حقيقي لاسرائيل منذ حملة سيناء . . ومنذ بدء نشاط « فتح » وجناحها العسكري ، العاصفة ، الى الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ غطى جهازها الاعلامي كل المناطق العربية بالثورة الجديدة ، كما غطت اعمالها الفدائية معظم ارض فلسطين المحتلة (اسرائيل) حتى انها استطاعت ان تقوم باكثر من ٣٥٥ هجوما على محطات المياه في المدن والمستعمرات الاسرائيلية وعلى منشآت تحويل نهر الاردن وعلى

(٥٧) تحرير الانتظار المحتلة - من مطبوعات حركة التحرير الوطني الفلسطيني اغسطس

(اب) ١٩٦٧ .

(٥٨) برقية لروبير من تل ابيب نشرتها الاحرام في ٣٠ يونيو ١٩٦٨

الذي بدأ نضاله المسلح منذ ان بدأت بريطانيا سياسة التهويد في بلاده ، لا يقدم الان على عمل جديد ولكنه يمتشق سلاحه على عادته ليواصل ثورته التاريخية وليوصل جهود اليوم بجهد الامس .

فاجت (فتح) العالم بلاغها الرسمي الاول ، وكانت النظرة اليها تحمل كثيرا من الاستفراب وعددا من التساؤلات ، فالحكومات العربية ترى ان تحديد وقت المعركة يجب ان يصدر عن القيادات السياسية والمسكرية لتلك الحكومات ، ويجاري الحكومات العربية في هذا المعنى بعض الحزبيين ومن بينهم حركة القوميين العرب . ولكن « فتح » كانت تنادي « بان العمل المسلح هو الذي سيؤدي الى تفاعل جماهير الامة العربية في حركة التحرير ، وانه اذا كانت ستة عشر عاما منذ ١٩٤٨ والى ١٩٦٥ غير كافية للبدء بمحاولة جديدة لتحرير فلسطين فان انتظار اعوام اخرى لن يؤدي الا الى اماتة القضية ، وتبين ان (فتح) كانت مصيبة . فحرب حزيران كانت بحجة العمل الفدائي ، وكان يمكن ان تقوم باية حجة اخرى ، ولكنها حرب اظهرت ان الدول العربية القادرة عسكريا لم تكن قادرة عسكريا « (٥٩) .

وليس معنى هذا الا السير في خط طويل من الانتظار حتى تجد اسرائيل ان الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها التوسعي وتبدأ المعركة كما تشاء ومتى تشاء ، ولا سبيل الى تغيير التفكير الاسرائيلي الا القيام بحرب شعبية وثورة متصلة ، يشعلها ابناء فلسطين ، ويساندهم اخوتهم في الامة العربية والعالم الاسلامي والبلدان الحرة . وبذلك تعود قضية فلسطين الى الازهان صحيحة غير مشوهة ويشمر الاعداء ان للقضية اصحابا لا يبالون الموت في سبيلها وان تغيير الخرائط ومسح اسم فلسطين منها كما فعلت اسرائيل ودول الاستعمار لا يمنع اصحاب الحق من ان يعيدوا الحقائق الى مكانها .

ولهذا لم يكن منطقا مستغربا حتى تناقلت الاسماع ذلك النداء المؤثر من مفكرين عديدين والموجه الى الدول العربية « بان يسمحوا للفلسطينيين بالحركة وان يعطوهم حق الموت داخل ارضهم وأن يمكنهم من ان يموتوا واقفين مواجهين (٥٦) » .

وهكذا بدأت (فتح) حركتها وهي تفرض الشخصية الفلسطينية في دور الجهاد والفدائية « وتنظر الى نفسها كونه المولود الذي خرج من

(*) من تعبير الاستاذ انطون بطرس في كتابه « الفدائيون » .

(٥٦) كان هذا حديث الكثير من المفكرين في الصحف والمجالس وقد نشرت الاسبوع العربي

البروتية بحثا فيما في هذا الشأن في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ .

بل أصبحت شعوب الامة العربية تتحدث عن هذا الجهاد الجديد ،
وتقلص على أفواها ذلك السؤال الدائم : أين شعب فلسطين ؟ ولما لم يثر؟
وما هي العقبات في طريق تحركه وفدائيته كما كان آباؤه الاولون .
وكانت « فتح » فاتحة الطريق لعديد من الهيئات الفلسطينية التي
أعلنت بدءها العمل الفدائي ولكن « فتح » ظلت التنظيم السري الفدائي



منظر وزعته وكالة اسوشيتدبريس في اواسط يونيو ١٩٦٨ التقط على بعد
١١ كيلومترا من الحريق الذي سببه هجوم (فتح) على مستودع الذخيرة
والصواريخ في قرية تبعد ١٢ ميلا عن تل ابيب وقد هز الانفجار المنطقة جميعها .

الوحيد المعروف طوال عامين في محور القضية الفلسطينية ، عملت في
ظروف قاسية وشديدة لأنها كانت تعمل فيما يشبه الفراغ ، خلاف
المنظمات الفدائية الاخرى التي اعقبتها ، وعملت في ظروف خلقتها « فتح »

محطات الكهرباء ومعسكرات الجنود ، بل استطاعت ان توجه انذارا
بواسطة الصليب الاحمر الدولي الى سلطات اسرائيل ، ان تكف عن تعذيب
اسيرها الاول محمود حجازي ، وانها سوف تنتقم اذا لم يسمع نداؤها هذا .
وحين ثبت ان التعذيب ما زال في عنفوانه اعلنت انها ستقتل ليفي مدير
بوليس حيفا ونفذت وعيدها الذي اعلنته . وكان لنشاط (فتح) المستمر
قبل هزيمة يونيو (حزيران) وبعدها تأثير على مصانع العدو ومشاريعه



البطل محمود حجازي الاسير الاول من « فتح » ، لدى الاعداء ، كان شجاعا في جهاده وفي محاكمته
حكم بالمؤبد ، ويبدو في الصورة مكبلا بالحديد بين جنديين يهوديين .

وحدث الدمار في القطارات والجسور والكباري ومستودعات الذخيرة (٥٩)
وتضاءلت السياحة وهي مورد هام لاسرائيل وأصبح العالم يتكلم عن شعب
فقد أرضه وتحرك لضرب اعدائه وربكهم .

(٥٩) قدرت المصادر الاسرائيلية والاجنبية خسائر اسرائيل في مستودع الذخيرة المنسوفة
بملايين الجنيهات الاسترلينية (انظر الصورة في ص ٥٦١) .

بجهاد استغرق عامين من الزمن والتضحيات الكبرى (٦٠) .

ودخول منظمات فلسطينية جديدة للعمل الفدائي امر لا تحاربه « فتح » فهي لا تتبجح باطلاق الرصاصة الاولى لتكريس زعامتها لشعب فلسطين ، « فليبارك الله كل الزنود التي ستحمل معنا شعلة النصر » كما يقول بيانها .

وكانت تلك الهيئات التي تابعت خطوات « فتح » تتمثل في « ابطال العودة » ذات الصلة بالقوميين العرب . وتلاحقت هيئات اخرى تعلن عن اتخاذها الطريق الفدائي سبيلا لعملها وهي من الكثرة والتنوع حتى زادت عن ثلاث عشرة منظمة (٦١) .

ولكن اغلب هذه المنظمات لم يرسخ قدمها في العمل الكبير الخطير ، فصدر عن بعضها بلاغ واحد او بلاغان حتى اذا حدثت وقائع الخامس من يونيو (حزيران) أصبح حتما ان تبذل الجهود لمعرفة بواطن وقوة هذه المنظمات والعمل على توحيدها في سبيل خلق حركة كبرى تسهم اسهاما جديا وسريعا في محاربة العدو .

وفي الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ دعت « فتح » الى مؤتمر عقد بالقاهرة « لضمان استمرار الثورة وتصميمها وشمولها » .

على ان ذلك المؤتمر الذي دعت اليه « فتح » (ورغم تخلف الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية) قد انتج توحيد الاجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين وحركة الشباب الثوري الفلسطيني والهيئة العاملة لدعم الثورة وحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » على ان تصدر بلاغاتها باسم « قوات العاصفة » .

كما توحدت الاجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية ولجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . اما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم ان تكون باسم فرقة خالد بن الوليد .

وهذا التجمع الذي خلقت (فتح) ركيزته وقوته ، لا ريب انه يفيد الحركة الفدائية ، على الرغم من ان بعض تلك الهيئات لا تمثل جماعة متكاملة في فدائيتها وتنظيمها ومعداتها ، ولكنها باي نوع من انواع العمل الفدائي او دعمه سيكون توحيد عملها مفيدا ومثمرا .

واليوم وقد مضى عام وشهران على هزيمة الخامس من يونيو (حزيران) وتساعد العمل الفدائي الفلسطيني تصاعدا مشرفا اقر به الصديق والعدو، فقد بدأت بوادر توحيد هذا العمل للعيان واصبحنا نقرأ بلاغات عن عمليات مشتركة بين العاصفة الجناح العسكري لفتح وبين الجناح العسكري لمنظمة التحرير . علما بان هذا الاشتراك لا يمثل الا جزءا صغيرا قليلا من العمليات التي تحدث كل يوم من قوات (فتح) و (فتح) وحدها .

والعمل الفدائي الذي بداته « فتح » وقادته وقدمت في تياره كثيرا من الشهداء تتلخص اهدافه كما سجلتها « فتح » لمؤتمر القمة العربي الثالث في سبعة بنود هي :

- ١ - التحرك في محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطيني مرتبط بترربة الوطن .
- ٢ - الايمان بان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .
- ٣ - ما دام الزمن في مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غدا .
- ٤ - ثبوت افلاس العمل السياسي والانشغال بالكلام في وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومي .
- ٥ - العمل الفدائي تمهيد لحرب شعبية .
- ٦ - المعركة لكل الشعب العربي ، والشعب الفلسطيني طليعة ذلك العمل .
- ٧ - القيادة للشعب الفلسطيني وتلاقي المنظمات يجب ان يكون في ارض المعركة .

وبهذه البنود المحددة المدروسة تهدف « فتح » الى غايات محددة هي :

- ١ - تعزيز الثقة لدى الفلسطينيين ومحاربة عوامل اليأس .
- ٢ - اقناع العالم العربي بامكان زلزلة الوجود الصهيوني وكشف اكلوبة قوة ومناعة اسرائيل .
- ٣ - اظهار الخطر الصهيوني حتى يشعر العرب بواجب الحذر والاستعداد .

(٦٠) انطوان بطرس « الفدائيون » ص ١٢ .

(٦١) من بين تلك الهيئات كانت منظمة التحرير الفلسطينية المروفة وطلائع حرب التحرير وطلائع الفداء الفلسطيني وجبهة ثوار فلسطين والنضال الشعبي وجبهة تحرير فلسطين والجبهة الشعبية الفلسطينية والشباب الثوري الفلسطيني وجبهة التحرير الفلسطينية والجبهة القومية لتحرير فلسطين والهيئة العليا لدعم الثورة وحركة اسماعيل بن ابراهيم .

{ - خلق ادراك الخطر والقتال لدى ساكني الحدود في البلدان المجاورة ولو نتيجة للعمليات الانتقامية التي تقوم بها اسرائيل .

ولا تشك « فتح » وبشارتها الكثير من ابناء الامة العربية المهتمين بالامور ، ان عملها سوف يقضي على الاستقرار في داخل اسرائيل والارض المحتلة ، ويتبع ذلك اضعاف الاقتصاد الاسرائيلي والهجرة اليهودية ، وافهام اليهود الواردين والمولودين باسرائيل انهم ليسوا اصحاب هذا الوطن .

ولا يرى احد ان اليهود سوف يجلبون بين يوم وليلة ، او انهم سوف يضجون من ضربات اوائل الحركة الفدائية ، فهم قوم اغتصبوا بلدا ودعموا فيه قواعد الاغتصاب ، وهم يدركون ان عملهم لم يكن سهلا وانهم وصلوا اليه بمساعدات قوى عالمية كبرى استغرقت عشرات السنين في سبيل اقرارهم وتمكينهم ، ولهذا فهم سوف يتحملون الضربات ويدافعون وسوف ينزلون بالسكان العرب الواقعين تحت سلطانهم اشد انواع الاذى والاذلال، وسوف يكررون تحرشاتهم بالحدود المجاورة ، يعتدون يوما على الاردن وآخر على لبنان . وهكذا يهدفون الى اشاعة الرعب ، وتقويض العمل في الاراضي الزراعية وانزال الانتقام بالمدينين والامينين حتى اولئك الذين لا شأن لهم بالعمل الفدائي ، ولكن هذا العمل اليهودي يحتاج الى احتمال عربي ايضا ، احتمال في تلقي الضربات وتقديم التضحيات ، ومواصلة للاستعداد والاعداد ، وتشجيع وتقوية للفدائيين الذين يستطيعون ان يردوا على تحركات اسرائيل ، وينزلوا بها الرعب ويرغموها على حياة الحذر الدائم القلق، فلقد اثبتت الاحداث ان جيش اسرائيل الذي لا يهزم هو اطوعها للهزيمة حين يجد ايمانا ودفاعا واستعدادا، وما يوم الكرامة عنا بعيد .

يوم الكرامة :

شملت حركة « فتح » كل اجزاء الارض المحتلة حتى غطت المناطق المختلفة في شرقها وغربها ، وفي قلب اسرائيل ، وكان لذلك اثره الواضح في زعزعة الثقة التي احاط بها جيش اسرائيل نفسه من انه قوة رادعة حطم جيوش ثلاث دول عربية ، وتربع على كرامة العرب ، وانه مستطيع ان يواصل هذا السحق فلا تقف امامه قوة ، ولا يجالده احد ، وادركت اسرائيل ان العرب لم يموتوا وان روح القتال في سبيل الواجب هي فيهم من القوة بقدر كبير ، فقررت ان تتخذ لذلك عملا .

وطوال شهر مارس (آذار) ١٩٦٨ ووكالات الانباء تنقل التصاريح الاسرائيلية بان حركات التخريب والاعتداء في داخل اسرائيل انما تتم من

الاردن وعلى الاردن ان يتحمل مسؤولية ذلك .

وتتابعت هذه التصريحات من اشكول رئيس وزرائها ، وديان وزير دفاعها ، ومناحم بيغن وزير دولتها ورئيس القصابة الارهابية المعروف ، واصبح واضحا لدى الراي العام العالمي ان اسرائيل تعد لفزوة كبير شامسل ربما استهدفت فيه احتلال الاردن بكامله ، وتحت حجة كبج جماع الفدائيين .

وفي ١٩ مارس (آذار) ١٩٦٨ اصدرت قيادة « فتح » تصريحاً هاماً لفتت فيه الانظار الى ان العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الاردن ، وانه يدعي ان « فتح » تنبع من خارج ارض فلسطين ، « فتح » التي سبق ان ادعى اشكول انه قضى على ٩٥ بالمئة من رجالها ، وختم التصريح بالعبارة التالية :

« ليفهم الراي العام العالمي ان شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعي في النضال من اجل تحرير وطنه ، بعد ان عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عاما ، وهو ماض في طريقه يحقق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير » .

وكان السؤال هو ، بما ان اسرائيل تنوي ضرب مدينة الكرامة وغزوها غزوا شاملا ضمن مخطتها لفزوة الاردن ، هل يصمد الفدائيون ام ينسحبون ؟ يقول بيان حركة التحرير الوطني الفلسطيني : « وكان الاختيار صعبا وكان القرار خطيرا » وكان لابد من الصمود لان الشعب العربي في حاجة الى معنويات جديدة بعد نكسة يونيو (حزيران) ولان قوات العدو لابد ان تحطم بانزال اكبر الخسائر بها ، ولان قوات الفدائيين لابد ان تتعاون مع افراد الجيش الاردني الباسل .

وهكذا تواجد معظم افراد « فتح » في ساحة المعركة المنتظرة. وفي الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨ بدا العدو يهاجم الاردن بمئات الدبابات والطائرات ووجنود المظلات ، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الامة العربية ، معركة اثبتت ان الانسحاب ليس دائما شرط السلامة وان ابناء العرب والاسلام يستطيعون ان يوقفوا العدوان بصمود شريف ، يقول « ايتريش شكرومان » مراسل صحيفة ذي نسيب الالمانية :

« في الساعة الخامسة واربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الاسرائيلية تجتاز الضفة الشرقية لنهر الاردن بعد ان مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الاردنية .

وفي نفس الوقت تقريبا نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الاسرائيلية للعمل وشرعت تلقي قنابلها في كل مكان ، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الهليكوبتر) تنزل المظليين في منطقة الكرامة وسادت الامور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل ابيب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا اعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الاسرائيليين ، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الفازية بالايدي ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالاسنان ، ولا تزال آثار اسنان الفدائيين واظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الاسرى الاسرائيليين دليلا ظاهرا على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم » .

وليس ابلغ من هذا الوصف الاجنبي لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوي المدافع بطلقات الرصاص ، بصيكن الاسنان تنطبق على اعناق جنود اسرائيل وفي وجناتهم ، انها حرب الشوارع والمواجه ، انها حرب الفداء ، انها حرب الايمان الذي يقرر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله . والله مع الصابرين » .

لقد ظهر جليا ان اسرائيل كانت تستهدف احتلال الاردن واذا تعسر ذلك فسوف تكثفي بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر . ولكن الوقفة البطولية التي وقفها ابطال « فتح » ورجال جيش الاردن الباسل كانت فاجعة لاسرائيل ، فلم تستطع ان تحتل الاردن ولم تستطع ان تبقى في مشارف الضفة الشرقية وامضت اغلب يومها تجر قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات .

يقول تقرير مستقى من الصحفيين الاجانب ذوي العلاقة باسرائيل امكن الحصول عليه بعد نحو اسبوعين من المعركة ما يلي : « اتصل مسئول اسرائيلي بعدد من الصحفيين الاجانب معظمهم من الامريكيين والاوربيين واليابانيين مساء يوم الاربعاء ٢٠ اذار (مارس) وطلب منهم التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعدادا لاطلاعهم على ما وصفه بأنه « مفاجأة كبيرة » . وفي الموعد اخذوا الى اريحا حيث ابلغوا وسط الضحك الصاخب : سنتنقلون الى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في انهاء جيوب المخربين وقد نتناول القهوة معا في عمان هذا المساء » (٦٢) .

ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلا عن عمان ،

فقد لاقاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعيد العاشرة صباحا وبالغهم ان الرحلة ستكون لتل ابيب حيث حضروا مؤتمرا صحفيا لا قيمة له » .

لقد كانت خسائر اسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد او تقارب ما خسرت في حرب يونيو (حزيران) . فقد قدرت الاوساط والصحف الغربية بان اسرائيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد اعطبت .

ولقد سمعت بأذني من شيخ يسكن القدس وسمح له بزيارة اقاربه في عمان وقابلته شخصا في مكان آخر : « ان سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفا من نتائج الهجوم الاسرائيلي على الضفة الشرقية ، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر ، وانهم بداوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحا حين اخذت طائرات الهليكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا ، يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى ، وحين اخذت طوابير سيارات الاسعاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهابا وايابا الى منطقة القتال مما افهم العرب في القدس ان غزوا اسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وان خسائرهم كبيرة وكبيرة جدا » . قال هذا الشيخ وعدنا الى بيوتنا نعانق اطفالنا ونحدثهم ان اطمئنوا فان امتكم ما زالت بخير ، ان امتكم لم تمت كما يقول لكم اطفال اليهود منذ الخامس من يونيو » (٦٣) .

ويصف متحدث رسمي لمنظمة « فتح » ساعات من ذلك اليوم في تصريحه اثناء المعركة فيقول :

« استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق اي من اهدافه ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدا العدو يتقهقر بدعوى وبطريقة غير منتظمة امام الضربات المذهلة التي سددتها له قواتنا ولا يزال نوارنا بلاحقون العدو ويكبدونه الخسائر الفادحة مما اضطره الى طلب وقف اطلاق النار عندما ادرك ان تفوقه الجوي والآلي لا يحميه من رجال صمموا على النصر » .

ويصف مراسل مجلة « الثورة الفلسطينية » العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول :

« بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من

(٦٢) اني احتفظ باسم هذا السيد الذي عاد من جديد للقدس داعيا الله ان الاقيه من جديد في رحاب الاقصى المقدس .

سائه ، استطاع ابطال العاصفة في الاغوار ان يعيدوا الى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن ابي وقاص ، وعكرمة وجعفر وكل ابطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين اسماء ابو امية ورؤوف وريحي وابو العيد وابوشريف ، اسماء ابتدأت بالشهيد احمد موسى عام ١٩٦٥ ولن تنتهي الا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن ان الباطل كان زهوقا .

لقد اثبتت الاصابات في الشهداء انها كلها كانت في الصدر والوجه وثبت ان طيران العدو ليس الا وهما وان براعته القتالية لا تخيف الابطال والمجاهدين ، وان جيش الدفاع الاسرائيلي ليس الا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا .

وهكذا مضى يوم الكرامة يوما خالدا دفعت فيه « فتح » مجموعة كريمة من ابنائها شهداء ، ولكنهم كانوا الثمن للتصريح ولازالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران) ولاتبات ان المقاتل العربي يستطيع ان يصمد وان يصد وان يدحر عدوه دون انسحاب ، وان كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود ابدا ظروفها المرعبة بعون الله .

وكان يوم الكرامة ميدانا لبطولة الجيش الاردني ايضا . فقد دافع هذا الجيش دفاع الابطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح والى ان تم جلاء الاعداء ودفع هذا الجيش ايضا كثيرا من رجاله شهداء في ميدان الشرف والتضحية .

وقد بدأت البلاغات الرسمية الاردنية تصف القتال في الميدان الطويل العريض ، وتعلقت الانظار والخواطر في العالم العربي بتلك البقاع الملتهبة والتي اخذت اسرائيل ترسل اليها فضلا عن دباباتها وجنودها اسرابا من طائراتها تلك المدن والقرى والطرق ، وكان خطاب الملك حسين الذي اذيع في منتصف النهار الى ملوك العرب ورؤسائهم صورة من ذلك اليوم الكبير حيث أكد ان اسرائيل لو اعتقدت بصدق وقوفنا جميعا وبعدها عن الخلف لما تجرات بهجومها الذي لا ندرى له نهاية ، وان القتال يدور بشدة من شبر الى شبر « وانني اخاطبكم الآن فستمعون منا وقد لا تسمعون الا عنا » ، ودعاهم الى مؤتمر سريع للقمعة يقرر ما يجب ان يتخذ ، ولكن تلك الدعوة الاردنية لقمعة جديدة لم تستجب حتى الآن وكان من بين الردود على رسالة الحسين ما اذاعه الملك فيصل من انه يجب اعلان فشل يارنج رسميا لتكون هناك جدوى لمؤتمر قمة جديد (٦٤) . وكان رد الرئيس عبد الناصر

(٦٤) تبادل الملك حسين و فيصل رسائل هامة في هذا الموضوع يمكن الرجوع اليها في صحافة ذلك الاسبوع ، و أعلن أخيرا في منتصف يونيو (حزيران) ١٩٦٨ ان الملك فيصل فتح اعتمادا لتحويل ما قيمته ١٥ مليون جنيه اسلحة للاردن .

ينادي بوجوب تسخير جميع القوى العربية لتقف صفا واحدا امام العدوان المستمر .

وما زال الوضع على ضفة نهر الاردن كما كان منذ الانسحاب اليرغامي لاسرائيل من الضفة الشرقية في الواحد والعشرين من مارس (آذار) الماضي ١٩٦٨ ، ولا يكاد يمر يوم دون ان يتبادل جيش الاردن اطلاق النار مع قوات الاعداء وتدعي اسرائيل ان هذه القوات تستعمل مدافعها بين الحين والآخر لحماية الفدائيين بعد كل عملية في داخلها . وترابط قوات عراقية بدباباتها ومدافعها في بقاع مختلفة الان في الاردن ، كما ترابط قوات سعودية قرب خليج العقبة .

تأييد جهاد الفلسطينيين :

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطبه المهمة التي القاها في بداية عام ١٩٦٨ انه يؤيد العمل الفدائي ويمده بكل امكانياته المادية والمعنوية ، * وكان الملك حسين قد أعلن أيضا « ان المقاومة العربية في المناطق المحتلة هي حق من حقوق الشعب وان الاردن يقدم عونا ادبيا وماديا الى المقاومة في الضفة الغربية ، ويقدم جيشه نار تفتية للماملين ... » (٦٥) وليس من ريب في أن ثوار الجزائر كانوا على ود ومساندة (لفتح) على الدوام وواضح الآن ان هذه الهيئة الفتية الشجاعة يجب ان تتلقى من العون اضعاف ما كانت تجد سواء ممن ذكرنا ، او من ليبيا والكويت والسعودية وسوريا ولبنان والعراق وغيرها ، ذلك ان الشعب الفلسطيني حين يواصل تحركه للجهاد وتقديم ارواحه على مذبح حرية الامة العربية جميعها ، فلا اقل من ان يدرك العرب والمسلمون في كل مكان ، ان هذا الخطر الذي يدفعه الفلسطينيون ليس خطرا خاصا بفلسطين ولا هو احتلال لها او لجزء منها ، ولكنه برنامج خطير ينوي لو نجح ان يقطع على التاريخ خط الرجعة وهو حينئذ سوف يكبل العالم العربي بسلاسل العبودية والابادة والافناء .



عمليات المقاومة تغطي كل ارض المحتلة وتلصق القوس

الأول من تاريخ المقاومة في فلسطين المحتلة ان للجهاد والاشتراكية وتكاملت للثورات تغطي كل ارض المحتلة في وقت واحد انتشارا و قب المقدس على ايدى البوليس الاسرائيلي وهم مشغل رجال المقاومة بمناجح «هزيمة» لصف الفلسطينيين في وادي عيبان للمرة الثانية في ايامه اسابيع قام رجال المقاومة في محاولة اغتيال - الحكم العسكري الاسرائيلي في باليمن بوضع متفجرات لتسحق حركته

تصاعد جهاد شعب فلسطين الفدائي حتى اخذ العناوين الكبرى في امهات الصحف

* من الثابت ان الفدائيين يتلقون عوننا مشرعا من الجمهورية العربية المتحدة (٦٥) هيرالد تريبيون عن واشنطن بوسنت في ١٠ نوفمبر ١٩٦٧ .

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع ارجاء فلسطين سطورا بدمائهم حروف التضحية ، وقووا العزم لدى جماهير امتنا العربية كلها ، لقد بلغ عدد شهداء « فتح » حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيدا ولا نشك ان قرابة مائتي شهيد لحقوا باخوانهم بعد ذلك حتى اليوم ، ولكن خسائر اسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها ديان وزير حربية الاعداء نفسه وليس بإمكاننا في هذه العجالة ان نعدد معارك « فتح » والفدائيين ، ولكن هذا لا يمنعنا ان نعيد للاذهان هجوم فتح على مطار اريحا والهجوم على مخازن البترول في ميناء ايلات حيث بقي الحريق ثلاثة ايام بلياليها ، والهجوم على معسكرات الاعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث ، والهجوم على قرى مجاورة لتل ابيب ، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي اعد لموشى ديان فأبقاه شهرا تحت علاج خطير ، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها اسرائيل اكثر من سبعين جنديا بين قتيل وجريح وكانت تارا للعرض العسكري بالقدس وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين . ويعلم بلاغ لفتح انه في احدى عشر عملية فدائية خسرت اسرائيل اكثر من ١٥ جندي وبعض السيارات العسكرية ، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو حتى اربكها طوال شهر مايو (ايار) ١٩٦٨

ويواصل الفدائيون عملهم كل يوم وقد بذلت الجبهة الشعبية جهدا كبيرا في معركة بيت فوريك حيث قاومت تشكيلات من طائرات العدو وسريتين من المظليين حتى فقد العدو نحوا من ستين بين قتيل وجريح .

ويطول بنا الحديث لو تناولنا المعارك مفصلة سواء من فتح او الجناح العسكري التابع للمنظمة او الجبهة الشعبية . ولقد وضع ان العمليات المشتركة بين فتح وجناح المنظمة كانت ذات اثر كبير وقوي .

ونحن نسطر هذه الصفحات وقد اذاعت الجبهة الشعبية بلاغها المهم التالي : تعلن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن خطف طائرة (العال) اليهودية من طراز بوينج ٧٠٧ بين روما وتل ابيب (مطار اللد) في ساعة مبكرة من صباح الثلاثاء ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، وقد قامت احدى وحداتنا المتخصصة بالسيطرة على الطائرة اثناء تحليقها في الجو ، وارغمت ملاحيتها على الهبوط في مطار الجزائر ، اننا نرجو من الحكومة الجزائرية ان تعتبر الطائرة وملاحيتها وركابها من الاسرائيليين رهائن لديها مقابل الاسرى والمعتقلين من رجال المقاومة الفلسطينية المنتمين الى كل التنظيمات المقاتلة والذين تقوم اسرائيل بتعذيبهم تحت ظروف قاسية وغير انسانية . ان

الجبهة تعلن مسئوليتها بمفردها وتؤكد انه لم يكن للجزائر علم مسبق بذلك . ان حركة المقاومة الفلسطينية حركة مشروعة ضد الاعتصاب الصهيوني لارض فلسطين وهي ككل حركات المقاومة في التاريخ تتطلع بأمل الى شعوب العالم وتطلب منها الدعم والتأييد وان شركة (العال) هي شركة ساهمت في معركة حزيران وليست شركة مدنية .

كان هذا البيان يشرح العمل الفدائي المهم اذ سافر بالطائرة المذكورة بعض شباب هذه الجبهة وحين كانت فوق البحر الابيض رفع احدهم قنبلة يدوية وصاح : لقد فقدت امي وابي في الحرب ولم يعد لي شيء اريده اذا لم ترفعوا ايديكم جميعا فجرت بكم الطائرة . فرضخ الجميع خاضعين وكانوا ٣٨ راكبا و١١ ملاحا . واتجه في نفس اللحظة شاب اخر الى قائد الطائرة فأرغمه بمسدسه على تغيير وجهة سيرها ، وحين عارض مساعد القائد تلقى ضربة ادمت راسه ، اما الثالث فقد وقف بمسدسه امام باب القيادة ليضمن تنفيذ كل شيء . **

واجباتنا تجاه معركة المصير :

وهكذا يتصاعد العمل الفدائي ، ويتضح ان العون للفدائيين ولكل مجهود حربي عربي هو ليس فرض كفاية يمكن ان يقوم به البعض دون البعض ، بل هو واجب حتمي على كل فرد ، وفي كل قطر وصقع من عالمنا العربي الكبير ، ولا اعتقد ان الموضوع في حاجة الى اقتناع ، فان اسرائيل تهدف الى تفتيت الوطن العربي وتمزيقه ، وهي تعمل الى اخضاع جزء من مصر يضم الاسكندرية والدلتا الى سيناء تحت علمها ، والى احتلال الاجزاء الهامة من العراق وسوريا ثم احتلال الجزيرة العربية حيث تريد ان تقع المدينة المنورة واطلال بني النضير وبني القينقاع القديمة تحت علم اسرائيل ، وقد صرح موسى ديان يوم دخوله القدس في السابع من يونيو الكارثة : لقد وصلنا اورشليم وما زال امامنا يثرب واملاك قومنا فيها . ولسنا ندري لو تم هذا ماذا بقي للعالم العربي من كيان او كرامة او وجود ، ولا نتصور ان هذا احتمال يجب الا يشغل الناس الان ، فان اسرائيل نفسها كانت احتمالا قبل عشرين عاما وان احتلالها القدس كان احتمالا قبل عام من الان . ولا نتصور ان يكون الامر خاصا بالعرب المجاورين لفلسطين ، فان

** ان التاريخ ينتظر الان الاحداث اللاحقة لهذه الحادثة الفريدة في الفدائية العربية وقد نشرت الصحف في صباح يوم الاربعاء ٢٤ يوليو ان الركاب غير اليهود وصلوا باريس وان الاخرين احتجزوا بالجزائر وبينهم يهود ليبون . واخذ اشكول يهدد مصر مدعيا ان الجبهة الشعبية مقرها بالقاهرة ويطلب باعادة الطائرة احتراماً للاضافات الدولية . وهي التي استمرت عشرين عاما تدوس القرارات الاممية ومجلس الامن .

الموضوع خاص بالجميع وخطر على الجميع ولناخذها من اولها : ان السعودية يجب ان تقدم كل امكاناتها للمعركة فان هدف اسرائيل في اجزائها وفي مدينة الاسلام التي تعتبر السعودية حفيظة عليها لم يعد سرا يحتاج الى اعلان ، وان دول الخليج العربي يجب ان تقدم كل امكاناتها فانه لا ينتظر ان يكون لها مكان ولا كيان اذا استطاع الاعداء قهر السعودية ومدينة الاسلام فيها . ان العراق يجب ان تقدم كل امكاناتها فان المعنى المرسوم على باب البرلمان اليهودي «من النيل الى الفرات ووطنكم الموعود» ، ولسنا في حاجة للحديث عن واجبات الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والمملكة الاردنية فان سيف اسرائيل قد استطاع ان يعمل في اجسامهم جميعا .

اما دول شمال افريقيا ليبيا وتونس والجزائر والمغرب فليكن واضحا امامها جميعا انه من غير المنطق ولا المعقول (اذا استطاعت اسرائيل ان تكبل منطقة الشرق العربي بفزوها) ان تبقى تلك الدول راغدة هائلة ، آمنة لبعده المسافة ، ومتعلقة بانعدام الاطماع ، اما بعد المسافة فلم يعد العالم يعترف به ، وحديثا غزت هولندا في غربي اوروبا بلاد اندونيسيا في شرقي آسيا ، وما زالت اساطيل امريكا (العون الاكبر لاسرائيل) تجوب بحارنا وتستغل موانئنا رغم بعد امريكا عنا . اما عدم الاطماع فمنطق ضعيف ، فمن اهداف الصهيونية السيطرة على العالم ، ولا ارى السيطرة على عالنا العربي اذا تهاونا الا اقرب وادنى ، وحين بحث خلق وطن لليهود قبل نصف قرن كانت برقة (٦٦) من ليبيا محلا مقترحا لذلك ، فالصهيونية تتفنن بتاريخ لها في بعض الاجزاء الليبية ، وبثورة احرقت فيها الاخضر واليابس هناك ، قبل الف ومئات السنين ، واذا استطاعت الصهيونية ان تخلق امبراطورية فوق اجسادنا ، فلا ريب انها تستطيع ان تعترض على أي مشروع اقتصادي ينشأ في الرباط والدار البيضاء باعتباره ينافس منتجاتها ، وسوف تعترض على أي مطار يقام في ليبيا او تونس او الجزائر باعتباره يهدد أمنها ، قد يقول بعض القراء ان هناك مجلس الامن وهناك الدول الكبرى ، وانا لا اجادلهم في المعنى الخرافي لهذه المسميات ، ولكني اعيد عليهم ما سبق ان تردد في التاريخ ، من ان لهذه الدول مصالح لا اصدقاء ، ومجلس الامن مجمع سياسي ليس محكمة قانون ولا مجمع ضمير ، ولا احيل احدا الى بعيد بل احيلهم الى قرار مجلس الامن الذي صدر في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ وها هو يترنح متأوها ضعيفا في حقبة السفير يارنج ، ومجلس الامن صامت كأن الامر لا يعنيه ،

(٦٦) تحت يدنا تقرير رسمي منقول عن جمعية يهودية انجليزية يشرح رحلة الخبراء الصهيونيين الى ليبيا وتفحصهم احوال برقة في اواخر العهد العثماني وفي ذلك التقرير ما ثبت اطاعهم المحددة زما ومكانا .

هل ندرك لماذا يصمت مجلس الامن ؟ انه يصمت لان احدا من اعضائه لم تتأثر مصالحه بوضعنا الدليل ، لم يفترق البترول ولم تغل اسعاره لديه ، ولم تتأثر حياة بلادهم بمقاطعة تجارية ولو غير معلنة ، وبالاعراض عن شركاتهم ولو بالخفاء ودون اعلان ، ولم يتأكدوا اننا على قوة من سلاح وانا سنحارب قريبا فيخشون تأثر مصالحهم ويدركون اننا نستطيع ان نعمل ، هذا هو مجلس الامن .

اما الدول الكبرى فقبل صداقتنا لها، يجب ان ندرك صداقاتها او على الاقل احترامها لبعضها ، وما اقدر هذه الدول على خلق المعاذير والتفاسير ، ان امريكا شجبت ضم القدس لاسرائيل ، ثم بعد قليل وجد رئيسها تفسيرا لذلك فصرح بأنه يدرك المعنى العميق لتعلق شعب اسرائيل بالقدس وحرمانه منها بفعل معتقدات (٦٧) الآخرين سنين طويلة ، وامريكا نفسها هي التي اعلنت انها سوف تكون ضد من يبدأ القتال ثم ها هي تحاول ان تستغل نصر اسرائيل لاعترافنا باسرائيل ، وتنادي بارغامنا ان نفاوضها وجها لوجه مفاوضة المهزم امام سيده الظافر .

وتلك روسيا - وهي الصديق الكبير للعرب الآن - لم تسلمنا في ساعات الكارثة عوضا عن طائراتنا المحطمة نتيجة خدمة امريكية ، انطلقت عليها واقنعتنا قبيل المعركة بها ، وكان واجب الشرف يلقي عليها مسئولية محددة ، ولو فعلت لكان ممكنا حماية جيوشنا من الترددي تحت طائرات العدو في الصحراء والسهول ، ولقلب موازين الاعداء .

اذن فليدرك العرب والمسلمون انه لا مجلس للامن (٦٨) الا أمنهم ، وقوتهم ، ومالهم ، وحسن ادراكهم وتصرفهم ، وليدرك العرب والمسلمون ان الدول

(٦٧) انه يفر معتقداتنا ويتناسى اننا اصحاب البلاد وغيرنا هو المنتصب المعتدي ، وان ديننا لم يضطهد طوال تاريخه اي دين آخر .

(٦٨) اعلنت منظمة (فتح) رفضها لهذا القرار منذ صدوره ، ثم اعد المجلس الفلسطيني المنعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ رفضه كذلك له ونحن نكتب هنا نصه دون تعليق : « ان مجلس الامن اذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الاوسط ، واذ يؤكد عدم القبول بالاستيلاء على اراضي بواسطة الحرب والحاجة الى العمل من اجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بامن . واذ يؤكد ان جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

اولا - يؤكد ان تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ويستوجب تطبيق المبدأين التاليين وهما :

١ - سحب القوات الاسرائيلية من اراض محتلة في القتال الاخير .
ب - انتهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب واحترام سيادة وحدة اراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحققها في العيش بسلام ضمن حدود

لقد واصلت (فتح) دعوتها : ان الوحدة انما تكون بين المقاتلين وفي جبهات العمل الفدائي ، وان المجلس ليس مجلس مغانم ولا مكاسب ، وانها تعترض فقط على ان يكون الفدائيون جيشا تقليديا يربط في خطوط منتظرة ، او ان يتولى غيرها جباية العون من الشعوب العربية، لقد أكدت (فتح) ان رجالها يتناولون القليل من العون من صندوقها ويتناولونه في اباء ، وانها تصرف على اسر الشهداء ، وانها تشمر بالاعتزاز والمثبة لشعوب الامة العربية من ليبيا الى الكويت الى جميعها في المشرق والمغرب ، وانها قد استطاعت خلال جهاد اربع سنوات ربط الود الثوري مع شعوب الامة العربية ودولها ولا توافق ان ينقطع جبل الود هذا ، ولا ترى لها عونا خيرا منه ، ولا تعترف قبل هذا وبعمه بطريق سليم للتحرير الا الحرب والحرب وحدها ، مهما كثر الضحايا وازداد عدد الشهداء . وبشاركتها في هذا الراي رجال الجبهة الشعبية الذين ما فتئوا يواصلون عملهم الفدائي .

ونحن نسجل خاتمتنا لهذا البحث عن شعب فلسطين والانباء تحمل لنا بيانات اسرائيلية عن معارك مع « فتح » حدثت بالامس (العشرين من يوليو ١٩٦٨) وان عشرة من شبابها قد لقوا الشهادة. ولكن بلاغ (فتح) يشير الى خسائر اسرائيل الكثيرة في العتاد والرجال في منطقة شاسعة تحركت في الجنوب والشمال ، وفاجأت العدو في اكثر من مكان .

ان هذه الحركة التي تريد للثورة في مراحلها الاولى « ان تكون



في معسكر ما من معسكرات (فتح) مع ابي عمار ياسر عرفات

الكبرى لن تحميهم من اسرائيل ، وانه لا كبرى الا الامة العربية الكبرى مع امة الاسلام تتوحد جهودها وتنظم امورها وتتعاون اجزاؤها في سبيل يوم خالد لا بد فيه من نصر مهما ثقلت الاعباء . *

ان ذلك المجمع الذي انعقد بالقاهرة في العاشر من يوليو ١٩٦٨ وضم مائة عضو من شعب فلسطين تحت اسم المجلس الوطني ، على الرغم من الفهم العميق انه لم يضم كل شخصية فلسطينية ذات اثر وعلاقة بالكفاح، وعلى الرغم من الفهم العميق ايضا ان شخصياته المائة ليسوا جميعا على مستوى الاحداث او فوقها ، وليسوا ايضا خلاصة لشعب فلسطين ، ولكن ذلك الاجتماع كان ضرورة ليتعارف السياسيون والمراقبون والمقاتلون من شعب فلسطين ، وقد كانت افكار الشعب العربي تترقب ان تتحول منظمة التحرير الى هيئة فدائية تتكون من (فتح) والفريق المقاتل من جيش التحرير والجبهة الشعبية لتكرس هذه الهيئة جهدها للقتال وتصعيد الحرب الفدائية حتى تتحول الى حرب شعبية لا تقل عما يجري الان في فيتنام .

ولكن صفة التكوين لذلك المجلس لم تكن مطابقة تماما للاحداث فوصل الى نتائج مؤقتة كان اهمها تأييد العمل الفدائي ، ورفض قرار مجلس الامن الذي يدعو الى حدود آمنة لاسرائيل ومرور في المياه الدولية والتخلي عن اراض (٦٩) احتلت في حرب الخامس من يونيو وان تبقى الهيئة التنفيذية الاولى ورؤيسها الذي جاء خلفا للسيد الشقيري حتى ينعقد مجلس جديد يتكون جديد في مدة لا تتجاوز الشهور الستة .

مأمونة ومعترف بها وحررة من التهديد او اعمال القوة .
ثانيا - يؤكد ايضا الحاجة الى :

ا - ضمان حرية الملاحة في المرات المائية الدولية في المنطقة .
ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

ج - ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح .

* لقد بذلت باكستان من الجهد في المحافل الدولية لقضيتنا ما يذكر بالاجلال والاكبار، ولم تتخلف تركيا عن الوقوف معنا كذلك ، ويبدو ان التقارب بين العرب والاتراك يأخذ طريقا مبهدا سوف يكون فيه التعاون ضد الصهيونية الباغية . قال الصحفي التركي شهاب خان بصحيفة « ابو جون » التركية في حديثه عن زيارة وزير الزراعة الليبي في يونيو ١٩٦٨ : « ان الذين يحملون العقيدة الاسلامية ينتمون باطلاع واقعي على نوايا الصهيونية التدميرية تجاه العالم الاسلامي وان الاستعمار جعل من الصهيونية اخطبوطا فظيما ، دسه باقوى اسرائيل في قلب اقطار الاسلام ، وقد ادرك رؤساؤنا ضرورة التقارب والتكاتف بينهم للالتفاف حول انوار القرآن الكريم » .

(٦٩) كانت هذه الكلمة محل صراع طويل في مجلس الامن وبقيت بلفظها الحالي اراض لا الاراضي وفي هذا بعد عن شمول الانسحاب من كل الاراضي المحتلة في حرب الياام الستة .

فلسطينية الوجه واليد ، عربية القلب والعون » (٧٠) تأخذ طريقها الفدائي كل يوم وهي في حاجة الى كل عون ، ومساندة ، لا يجوز ان يقف في طريق ذلك عائق ، ولا ان تحول الحوائل . لقد قررت « فتح » ان تكون لقضية فلسطين فقط فوق الاحزاب ، وفوق كل خلاف عربي ، وفوق كل رأي يحدث خلافا او يخلق تصدعا ، وهي مقررة ان تأخذ من كل بلد عربي الوجهة الايجابية لصالح الثورة والقضية ، حتى تصل ثورتها والثورة الفدائية كلها الى عمل حاسم تدرك به اسرائيل واعوانها انه التصميم والعزم والفداء ، وانه الطريق الى هزيمتها ونصرنا بعون الله .

وليس بعد هذا الا ان تندمج في (فتح) ومعها ، الهيئات الاخرى حتى تكون الوطنية في اوضح صورها ، وأحلى معانيها ، ولتكن فلسطين حصن العرب الاول أهم عند ابنائها من شعارات وهتافات ، ولتكن معركة المصير ادنى الى قلوبهم من أي نداء مرجع، أو فكر مميح . لقد بذلت الجبهة الشعبية بعد يوم الكرامة جهدا طيبا وشهداء كراما، وهي تدعو للوحدة العربية كعقيدة للقوميين العرب (٧١) أفلا ندعوها الى وحدة فدائية . ان في الجبهة الشعبية مجموعات كريمة من شباب صدق الوعد مع نفسه ووطنه ، ولن يكون جهدهم متكاملا وقويا وحاسما الا بالاتحاد الكامل مع (فتح) ، اتحاد قوي في العمل، كقوة العمل في نفوسهم .

ان شعوب الامة العربية بل شعوب الاسلام كلها تؤمن بالحركة الفعالة الفدائية ، وقد أصبحت « فتح » هي عنوان تلك الحركة، فلتتوحد معها كل هيئة او جماعة ليتوحد الجهد كله من العرب والمسلمين لصالحها ، ولتتوحد العمل ضد الاعداء .

اننا على ابواب جديدة من التاريخ، ولسنا نعرف كيف ستكون خريطة الوطن العربي خلال هذه السنوات المرة ، فالدعوة الحقنة هي الدعوة الى العمل والصدق، والترفع عن سفساف الامور والاتجاه الى وحدة الجهد كله من المحيط الى الخليج .

ان هزيمة الخامس من حزيران، كشفت عن قصور وتقصير في كثير من اجهزتنا، وعزت افرادا وجماعات كانوا مسئولين كبارا هم الان رهن المحاكمات، والاستفادة من تلك الدروس هي اول مظاهر تقدم امتنا وسيرها على الدرب

الصحيح . . ان المعركة خطيرة وطويلة وسيتحمل مسئوليتها كل فرد من الذين يعيشونها الان . والشعوب العربية التي نطالبها بالسخاء والعمل من حقها ان نضمن لها سلامة اموالها المدفوعة ، وثرواتها المسلمة . وانها لخير العمل الجماعي لا خوف عليها من يد عابثة ، ولا احتمال فيها لايد ناكثة . وبذلك تخلق الثقة بين حكوماتنا وشعوبها ، ويطمئن الجميع ان الجهد مسخر لمعركة مفروضة علينا ، وليس لنا عنها بديل .

لقد ذكرنا في هذا البحث الكثير من اوجه الحقد والعداوة التي تحملها الصهيونية لعالمنا العربي ، ولم يكن اليهود قد وجدوا امنا ولا سلاما الا في ارض العروبة والاسلام . وكأنما على شعبنا ان يتحمل وزر ما لاقى اليهود في مجالات اوربا ، فيخوض معركة طويلة دفاعا عن بقائه وتجاه قوى بريطانيا التي بنت وطن اليهود القومي ، وقوى امريكا التي تقف معادية لامتنا عداوة لم تنسبها ولسنا فيها بالمهاجمين .

اننا لسنا اعداء بالخلقة لهذه الدول ، ولكنه الصراع في سبيل البقاء، وعليها وحدها تقع مسئولية التاريخ ، على بريطانيا ان تصحح اخطاءها التاريخية ضدنا ، وعلى امريكا ان تدرك ان دفاعنا المشروع عن وجودنا يحتمه موقفها ضدنا ، وان صداقتنا ليس اقرب منها ولا اسهل ، اذا آمنت بحقنا في حريتنا ، ونزعت عن مهاجها سبيل مناصرة اعدائنا ، والعمل على تقويض اوطاننا ، ان دول العالم كلها شرقيها وغربيها ، حين تمد يدها لامتنا باخلاص ودون تحكم ، ستجد ايادي مئات الملايين ترحب ، وتصافح. لسنا عدوانيين بطبعنا ولكنه حق الحياة والحرية .

وهكذا يستبين الصبح لكل ذي عينين وتدرك شعوبنا وحكوماتنا طريقها السوي .

وبعد كل هذا وقبله ، لا بد من وحدة تحقق الهدف ، لا نعني بها وحدة شكلية يقبلها البعض ويعزف عنها البعض ، ولكنها وحدة المال والاجراء والسياسة والاستعداد ، ويبقى كل نظام عربي على وضعه بكامل هيئته ، ولكننا في حاجة الى وحدة تحقق الوقوف ضد الاعداء ، وتسخر امكانيات الامة ، وقد ثبت أن الجامعة العربية بوضعها الراهن ليست الكيان المفيد .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

(٧٠) من حديث معنا للفدائي ابو عمار ياسر عرفات الناطق الرسمي باسم (فتح) .
(٧١) اصدرت الجبهة الشعبية بيانا في صحف لبنان خلال ابريل ١٩٦٨ اعلنت فيه انها لا سلة لها بالقوميين العرب ، ثم علم ان ذلك البيان كان يمثل فقط قسما منها .

ملحق رقم ١

قانون يقضي بتعديل التشريعات العثمانية

فيما يتعلق بالأراضي الموات

(١٦ شباط سنة ١٩٢١)

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون الأراضي (الموات) .

المادة ٢ - تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي :

« كل من نقب ارضا مواتا او زرعها دون ان يحصل على موافقة مدير الاراضي لا يحق له ان يحصل على سند ملكية بشأن تلك الارض ويعرض نفسه فضلا عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الارض » .

ملحق رقم ٢

مرسوم دستور فلسطين

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم العاشر من شهر
آب سنة ١٩٢٢

الحضور

صاحب الجلالة الملك

الوزير شورت

رئيس الامناء

المستر مكردى

اللورد ستامفورد هام

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على ان يعهد بادارة فلسطين

الملاحق

(نشرنا في هذه الملاحق المواد ذات العلاقة ببحثنا ،
أما النصوص الكاملة باللغة العربية مصورة من مكتبة
الجامعة الامريكية ببيروت ، وباللغة الانجليزية مصورة
من المتحف البريطاني بلندن فقد اودعناها مجلدا خاصا
بمكتبه قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة
الازهر)

ملحق رقم ١

قانون يقضي بتعديل التشريعات العثمانية

فيما يتعلق بالأراضي الموات

(١٦ شباط سنة ١٩٢١)

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون الأراضي (الموات) .

المادة ٢ - تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة ١٠٣ من قانون الأراضي العثماني بما يلي :

« كل من نقب ارضا مواتا او زرعها دون ان يحصل على موافقة مدير الاراضي لا يحق له ان يحصل على سند ملكية بشأن تلك الارض ويعرض نفسه فضلا عن ذلك للمحاكمة لتجاوزه على الارض » .

ملحق رقم ٢

مرسوم دستور فلسطين

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام في اليوم العاشر من شهر
آب سنة ١٩٢٢

الحضور

صاحب الجلالة الملك

الوزير شورت

رئيس الامناء

المستر مكردى

اللورد ستامفورد هام

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على ان يعهد بادارة فلسطين

الملاحق

(نشرنا في هذه الملاحق المواد ذات العلاقة ببحثنا ،
أما النصوص الكاملة باللغة العربية مصورة من مكتبة
الجامعة الامريكية ببيروت ، وباللغة الانجليزية مصورة
من المتحف البريطاني بلندن فقد اودعناها مجلدا خاصا
بمكتبه قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة
الازهر)

التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدول الى دولة منتدبة تختارها الدول المشار اليها ، من اجل تنفيذ نصوص المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت ايضا على ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي اصدرته في الاصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واقترته الدول المذكورة لصالح انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على ان يفهم بجلاء بأنه لا يؤتى امر من شأنه ان يحجف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة الان في فلسطين او بالحقوق والاحوال السياسية التي يتمتع بها اليهود في اية بلاد اخرى .

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد اختارت جلالاته للانتداب على فلسطين

ولما كان جلالاته يتمتع بالسلطة والاختصاص في فلسطين بحكم معاهدات وامتيازات وعادات صريحة او ضمنية وغير ذلك من الوسائل المشروعة .

لذلك وعملا بالسلطات المخولة لجلالاته بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وبغير ذلك من الصلاحيات وتنفيذا لتلك الصلاحيات وعملا بمشورة مجلسه الخاص يرسم جلالاته ما يأتي :

✳ السلطة التنفيذية :

منصب المندوب السامي :

المادة ٤ - يجوز لجلالاته ان يعين ببراءة موقعة بتوقيعه ومختومة بختمه شخصا من ذوي اللياقة لادارة حكومة فلسطين ليقب بالمندوب السامي والقائد العام أو بأي لقب آخر يروق لجلالاته ويشار الى الشخص المعين على هذه الصورة فيما يلي من هذا المرسوم بالمندوب السامي .

✳ سلطات المندوب السامي :

المادة ٥ - يقوم المندوب السامي بتنفيذ كافة المهام المناطة بمنصبه بالصورة الواجبة وفقا لمنطوق المراسيم التي قد يصدرها جلالاته في مجلسه

الخاص بشأن فلسطين واية براءة تصدر اليه موقعة بتوقيع جلالاته ومختومة بختمه ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه من آن الى آخر بتوقيع وختم جلالاته من اجل تنفيذ احكام صك الانتداب ووفقا للتعليمات التي تصدر اليه بمرسوم من جلالاته في المجلس الخاص او بواسطة احد وزرائه ووفقا لكافة التشريعات والقوانين المعمول بها الآن او التي سيعمل بها فيما بعد في فلسطين .

✳ المجلس التنفيذي :

المادة ١٠ - يتألف المجلس التنفيذي لاسداء المشورة للمندوب السامي قوامه الاشخاص الذين يشير بهم جلالاته بموجب تعليمات يرسلها الى المندوب السامي من آن الى آخر تحت ختم وتوقيع جلالاته ، وبشكل بالصورة التي يوعز بها جلالاته في تلك التعليمات ويحتفظ هؤلاء الاشخاص بمراكزهم في المجلس حسب مشيئة جلالاته وبراعي المجلس التنفيذي في تصريف اشغاله القواعد التي قد تقرر في مثل تلك التعليمات من حين الى آخر .

✳ الاراضي العمومية :

المادة ١٢ (١) تناط بالمندوب السامي آئذ جميع الحقوق في الاراضي العمومية او الحقوق المتعلقة بها وله ان يمارس تلك الحقوق بصفة كون امينا عن حكومة فلسطين .

(٢) تناط بالمندوب السامي كافة المناجم والمعادن على اختلاف انواعها وواصفاتها سواء اكانت فوق اليابسة او المياه ام تحتها وسواء اكانت تلك المياه انهرها داخلية ام بحيرات ام مياه ساحلية ، على ان يراعى كل حق ممنوح لاي شخص لاستثمار هذه المعادن او المناجم بمقتضى امتياز يكور نافذا في تاريخ هذا المرسوم .

✳ سلطة المندوب السامي في هبة الاراضي :

المادة ١٣ - للمندوب السامي ان يهب او يؤجر اية ارض من الاراضي العمومية او اي معدن او منجم وله ان ياذن باشغال مثل هذه الاراضي بصفة مؤقتة وبالشروط وللمندوب التي يراها ملائمة على ان تراعى في ذلك احكام اي قانون :

ويشترط في ذلك ان تجري كل هبة كهذه او كل ايجار او تصرف كهذا وفقا لرسوم او تشريع او قانون معمول به الآن في فلسطين او سيعمل به فيما بعد او وفقا لما قد يصدر للمندوب السامي من التعليمات بتوقي

جلالته وختمه أو بواسطة الوزير ، تنفيذًا لاحكام صك الانتداب (١) .

✽ تعيين الموظفين :

المادة ١٤ - للمندوب السامي ان يعين او يجيز تعيين من يستنسب تعيينهم من الموظفين لحكومة فلسطين بالالقباب التي يراها ملائمة، وله ان يقرر حدود وظائفهم ، على ان يكون ذلك خاضعا لما ينهي به الوزير ، ويبقى هؤلاء الموظفون في مراكزهم حسب مشيئة المندوب السامي . الا حيث ينص القانون على خلاف ذلك .

✽ توقيف الموظفين عن العمل :

المادة ١٥ - للمندوب السامي ، مع مراعاة التعليمات التي يتلقاها من حين الى آخر ، ان يعزل اي شخص يشغل وظيفة عامة في فلسطين او ان يوقفه عن ممارسة مهام وظيفته وله ، مع مراعاة التعليمات الالفة الذكر ، ان يتخذ بحقه الاجراءات التأديبية التي يستصوبها اذا ظهر له ان هناك سببا كافيا يبرر ذلك .

✽ منح العفو :

المادة ١٦ - اذا ارتكبت جريمة او جرم في فلسطين او ارتكبت جريمة من الجرائم التي يجوز محاكمة مرتكبها في فلسطين للمندوب السامي ، اذا ما رأى مبررا ، ان يصدر عفوا عن اي شريك في تلك الجريمة او الجرم يعطي اية معلومات وشهادة تؤدي الى ادانة الفاعل الاصلي او الفاعلين الاصليين ، وله ايضا ان يعفو عن اي مجرم ادين بارتكاب جرم من قبل اية محكمة او قاض او حاكم صلح في فلسطين اما عفوا مطلقا او عفوا مقيدا بقيود مشروعة او ان يخفف الحكم الذي صدر بحق المجرم المذكور او ان

(١) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

13. The High Commissioner may make grants or leases of any such public land or mines or minerals or may permit such lands to be temporarily occupied on such terms or conditions as he may think fit subject to the provisions of any Ordinance.

Provided that such grant or disposition shall be in conformity either with some Order-in-Council or Law or Ordinance now or hereafter in force in Palestine, or with such instructions as may be addressed to the High Commissioner under His Majesty's Sign Manual and Signet, or through a Secretary of State, for the purposes of executing the provisions of the Mandate.

يؤجل تنفيذه للمدة التي يستصوبها وله ايضا ، اذا ما رأى مبررا ، ان يتجاوز عن اية غرامة او جزاء نقدي او مصادرة تشا او تصبح مستحقة الدفع بمقتضى حكم صادر من محكمة او حاكم صلح في فلسطين .

السلطة التشريعية : -

✽ المجلس التشريعي :

المادة ١٧ - اعتبارا من تاريخ يعينه المندوب السامي في المجلس التنفيذي بمنشور ينشر في الوقائع الفلسطينية يشكل مجلس تشريعي لفلسطين وفقا لما هو منصوص عليه في هذا المرسوم ويقوم ذلك المجلس مقام اي مجلس استشاري يكون موجودا حينئذ .

ويبقى المندوب السامي متمتعا بالسلطات المخولة له الان لسن القوانين بعد استشارة المجلس الاستشاري حتى تاريخ انتخاب اعضاء المجلس التشريعي المشار اليه .

✽ صلاحيات المجلس التشريعي :

المادة ١٨ - للمجلس التشريعي السلطة والصلاحيات التامة في اصدار ما تدعو الضرورة اليه من القوانين من اجل السلام والنظام وحسن ادارة الحكم في فلسطين دون اخلال بالسلطات المنوطة بجلالته او المحتفظ له به في هذا المرسوم ، على ان تراعى في ذلك دائما جميع الشروط والقيود المقررة في اية تعليمات يصدرها جلالته وختمه وتوقيعه بشرط ان لا يصدر قانون من شأنه ان يقيد الحرية التامة في العقيدة وحرية القيام بشعائر العبادة على اختلاف انواعها الا بمقدار ما قد يكون ضروريا لحفظ النظام العام والاداب العامة، وان لا يصدر اي قانون من شأنه ان يميز بين اهالي فلسطين على اي وجه كان على اساس العنصر او المعتقد او اللغة .

ولا يجوز ان يصدر قانون يكون مناقضا او مخالفا لاحكام صك الانتداب بوجه من الوجوه (٢) .

✽ توقيف اعمال المجلس وحله :

المادة ٢٢ - للمندوب السامي بمنشور يصدره في اي وقت من الاوقات

(٢) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

No Ordinance shall be passed which shall be in any way repugnant or inconsistent with the provisions of the Mandate.

ان يفض المجلس او يحله ، ويترتب على المندوب السامي ان يحل المجلس عند انقضاء ثلاث سنوات من تاريخ اول جلسة يعقدها .

* عدم العمل بالقوانين قبل الموافقة عليها :

المادة ٢٤ - لا يعمل باي قانون ما لم يوافق عليه المندوب السامي ويقترن بتوقيعه ايدانا بتلك الموافقة او ما لم يقره جلالته بمرسوم او بواسطة الوزير (٢)

المادة ٢٥ - للمندوب السامي ان يعلن موافقته او عدم موافقته على اي قانون بمحض ارادته مع مراعاة التعليمات الصادرة اليه بتوقيع جلال الملك وختمه .

* التشاريح الواجب تطبيقها :

المادة ٤٦ - تمارس المحاكم النظامية صلاحيتها وفقا للتشاريح العثمانية التي كانت نافذة في فلسطين في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وسائر القوانين العثمانية الصادرة بعد ذلك التاريخ والتي اعلن او قد يعلن باعلان عام سريانها في فلسطين ، ووفقا للمراسيم والقوانين والانظمة المعمول بها في فلسطين عند سريان هذا المرسوم او التي قد تطبق او تصدر بعد تاريخ هذا المرسوم ، ومع مراعاة احكام القوانين والمراسيم والانظمة المذكورة اعلاه وفي الاحوال التي لا تتناولها تلك القوانين والمراسيم والانظمة او لا تكون منطبقة عليها ، تمارس هذه الصلاحية وفقا لروح التشريع العام ومبادئ العدل والانصاف المتبعة في انكلترا ووفقا للصلاحيات المخولة لمحاكم العدل ومحاكم الصلح في انكلترا او للاصول والعادات المتبعة امام تلك المحاكم او من قبلها وبمقتضى صلاحياتها وسلطاتها المختلفة في ذلك التاريخ الابدى ما طرا او ما قد يطرأ فيما بعد على تلك الصلاحيات او الاصول او العادات من التعديل او الالغاء او التغيير او الاستبدال بموجب احكام اخرى :

ويشترط في ذلك دائما ان لا يطبق التشريع العام المذكور ومبادئ العدل والانصاف المشار اليها اعلاه في فلسطين الا بقدر ما تسمح به ظروف

(٢) النص الانجليزي هو كما يلي :

24. No Ordinance shall take effect until either the High Commissioner shall have assented thereto and shall have signed the same in token of such assent, or until the assent of His Majesty thereto has been given by Order-in-Council or through a Secretary of State.

فلسطين واحوال سكانها ومدى اختصاص جلالته الملك فيها وان تراعى عند تطبيقها التعديلات التي تستدعيها الاحوال المحلية (٤) .

* ابعاد المجرمين السياسيين :

المادة ٦٩ (١) اذا ثبت للمندوب السامي بيينة مشفوعة باليمين ان شخصا يسلك سلوكا خطرا على الامن والنظام في فلسطين او انه يسعى لانتارة العداء بين اهالي فلسطين والدولة المنتدبة او انه يكيد لسلطة الدولة المنتدبة في فلسطين ، فيجوز للمندوب السامي اذا استصوب ذلك ان يصدر امرا موقعا بتوقيعه ومختوما بالختم العمومي يقضي فيه بابعاد ذلك الشخص من فلسطين الى المكان الذي يعينه .

* عدم استئناف امر الابعاد :

المادة ٧٠ - لا يستأنف امر الابعاد الصادر بموجب هذا المرسوم .

* عقوبة الشخص المبعد اذا رجع بدون اذن :

المادة ٧١ (١) اذا رجع الي فلسطين شخص كان قد ابعد بمقتضى هذا المرسوم بدون اذن كتابي من المندوب السامي الذي يجوز له ان يمنح مثل هذا الاذن فيعتبر انه ارتكب جرما ويعاقب لدى اذنته بالحبس مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر مع غرامة لا تزيد على الخمسين جنيتها مصريا او بدونها ويعرض نفسه للابعاد ثانية في الحال .

* الاجراءات المتعلقة بالابعاد :

المادة ٧٢ (١) اذا تقرر نقل شخص او ابعاده من فلسطين بمقتضى هذا المرسوم يوقف ذلك الشخص اذا دعت الحاجة الى ذلك تحت الحفظ او في السجن بمذكرة من المندوب السامي موقعة بتوقيعه ومختومة بالختم العمومي ريثما تسنح فرصة ملائمة لنقله او ابعاده واذا كان المراد ابعاده الى ما وراء البحار فيوضع على ظهر سفينة من سفن جلالته الحربية ، او اذا لم يكن ثمة سفينة كهذه فيوضع على ظهر باخرة بريطانية او اية باخرة اخرى ملائمة .

(٤) النص الانجليزي هو كما يلي :

Provided always that the said common law and doctrines of equity shall be in force in Palestine so far only as the circumstances of Palestine and its inhabitants and the limits of His Majesty's jurisdiction permit and subject to such qualification as local circumstances render necessary.

الملحق رقم - ٢ -

دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٢٢

صدر عن البلاط الملكي في قصر بكنجهام
في اليوم الرابع من شهر ايار سنة ١٩٢٢

الحضور

صاحب الجلالة الملك

الوزير السير صموئيل هور
السير فردريك بونسبي

الرئيس
رئيس الامناء

بما ان المرسوم الصادر من جلالة الملك في مجلسه الخاص المؤرخ في
١٠ آب سنة ١٩٢٢ والمسمى بمرسوم دستور فلسطين لسنة ١٩٢٢
(ويعرف فيما بعد بالمرسوم الاصلي) قد نص على اثناء مجلس تشريعي
في فلسطين وانتخاب قسم من اعضائه .

وبما انه من المناسب تعديل المرسوم المذكور وفقا لما هو وارد ادناه .
لذلك فان صاحب الجلالة الملك بمقتضى السلطات الممنوحة له بقانون
الاختصاص الاجنبي لسنة ١٨٩٠ وخلافها وعملا بهذه السلطات وبعد
استشارة مجلسه الخاص قد رسم ما يأتي :-

* اسم المرسوم :

المادة ١ - يطلق على هذا المرسوم اسم مرسوم دستور فلسطين المعدل
لسنة ١٩٢٢ ويقرا ويفسر مع المرسوم الاصلي كمرسوم واحد .

المادة ١٧ (١) (أ) - يكون للمندوب السامي السلطة التامة لوضع
القوانين الضرورية لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين بدون
اغلاق بالسلطات المستقرة في جلالته او المحتفظ بها لجلالته بمقتضى هذا
المرسوم ، مع مراعاة الشروط والقيود التي تنص عليها التعليمات التي قد
يصدرها له جلالته مختومة بختمه وتوقيعه او بواسطة الوزير .

(ج) - لا ينفذ اي قانون يكون مخالفا او مناقضا لاحكام صك الانتداب
ولا ينفذ قانون يتعلق بامور ورد نص خاص بشأنها في احكام صك الانتداب

المادة ٨٢ - تنشر باللغات الانكليزية والعربية والعبرية، كافة القوانين
والاعلانات الرسمية والنماذج الرسمية التي تصدرها الحكومة وجميع
الاعلانات الرسمية التي تصدرها السلطات المحلية والبلديات في المناطق التي
يعينها المندوب السامي بمرسوم ويجوز استعمال اللغات الثلاث في المناقشات
والمباحثات التي تدور في المجلس التشريعي ويجوز استعمالها ايضا في دوائر
الحكومة ومحاكمها مع مراعاة الانظمة التي تصدر بين الاونة والاخرى بهذا
الصدد .

المادة ٨٤ (١) يترتب على المندوب السامي ان يستشير برأي لجنة مؤلفة
مما لا يقل عن نصف اعضاء المجلس التشريعي غير الموظفين في جميع الامور
المتعلقة بتنظيم الهجرة الى فلسطين ، ويصدر مرسوم بمنح هذه اللجنة
التفويض والسلطات اللازمة لتنظيم اعمالها وادارتها كما يتطلبه تنفيذ احكام
هذه المادة .

المادة ٨٥ - اذا كانت اية طائفة دينية او فريق كبير من سكان فلسطين
يشكو من عدم قيام حكومة فلسطين بتنفيذ صك الانتداب فيحق للطائفة
او الفريق المذكور ان يرفع مذكرة بذلك الى المندوب السامي ، بواسطة
عضو من اعضاء المجلس التشريعي وكل مذكرة رفعت على هذا الوجه ينظر
فيها بالصورة التي يقرها جلالته وفقا للاصول التي يوصي باتباعها مجلس
عصبة الامم (١) .

المادة ٨٩ - يحتفظ لجلالته ولورثته وخلفائه من بعده بعد استشارة
المجلس الخاص بسلطة اصدار التشرييع والقوانين التي يرونها ضرورية
بين الاونة والاخرى لتوطيد الامن والنظام وانتظام الحكم في فلسطين وفقا
للانتداب الممنوح له .

(١) كان صك الانتداب كله ينص على التهوديد وهذه المادة تبيح الشكوى من عدم تنفيذه
لا من عدم عدله وصلاحيته وكان النص الانكليزي كما يلي :

85. If any religious community or considerable section of the population in Palestine complains that the terms of the Mandate are not being fulfilled by the Government of Palestine, it shall be entitled to present a Memorandum through a member of the Advisory Council or other advisory body constituted under Article 17 (I) (b) of this Order or of the Legislative Council as the case may be to the High Commissioner. Any memorandum so submitted shall be dealt with in such manner as may be prescribed by His Majesty in conformity with the procedure recommended by the Council of the League of Nations.

ما لم يكن مشروع ذلك القانون قد عرض على الوزير وصادق عليه بتعديل او بدون ذلك (ه) .

الملحق رقم - ٤ -

دستور فلسطين المعدل لسنة ١٩٣٣

صدر عن البلاط الملكي في قصر سندرهام
في اليوم السابع من شهر شباط سنة ١٩٣٣

الحضور

صاحب الجلالة الملك

الرئيس : دوق لانكستر

الايبرل ستانوب

بما ان احكام الشرع الاسلامي كانت قد خولت السلطان صلاحية تحويل الاراضي « الميري » الى اراض « ملك » وورد نص بشأن هذه الصلاحية في المادة ١٢١ من قانون الاراضي العثماني والمادة ٨ من قانون التصرف بالاموال غير المنقولة المؤرخ في ٣٠ مارت سنة ١٣٢٩ :

وبما ان من المناسب تخويل المندوب السامي هذه الصلاحية بشأن كافة الاراضي الميري في فلسطين :

لذلك فان صاحب الجلالة الملك ، استنادا الى الصلاحية المخولة له بهذا الشأن في قانون الاختصاص في البلاد الاجنبية لسنة ١٨٩٠ وفي غيره من القوانين ، وعملا بمشورة المجلس الخاص يرسم ما يلي :
* اسم الرسوم :

المادة ١ - يطلق على هذا الرسوم اسم « مرسوم دستور فلسطين

(ه) النص الانجليزي كما صورناه من المتحف البريطاني بلندن هو كما يلي :

(c) No Ordinance shall be promulgated which shall be in any way repugnant to or inconsistent with the provisions of the Mandate, and no Ordinance which concerns matters dealt with specifically by the provisions of the Mandate shall be promulgated until a draft there of has been communicated to a Secretary of State and approved by him, with or without amendment.

(المعدل) لسنة ١٩٣٣ « ويقرا ويفسر مع مرسوم دستور فلسطين الصادر في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩٢٢ (المشار اليه فيما بعد بالرسوم الاصيلي) كمرسوم واحد .

المادة ٢ - تضاف المادة التالية الى الرسوم الاصيلي بعد المادة ١٦
كمادة ١٦ (مكررة) : -

المادة ١٦ (مكررة) - يجوز للمندوب السامي ، اذا استصوب ذلك ، ان يحول بمرسوم يصدره بتوقيعه وينشر في الوقائع الفلسطينية ، اية ارض في فلسطين يسميها في الرسوم من صنف « الميري » الى صنف « الملك »
المادة ٣ - ينشر هذا الرسوم في الوقائع الفلسطينية ويعمل به اعتبارا من نشره .

م.ب.ا.هانكي

الملحق رقم - ٥ -

قانون نزع الملكية

(١ آب سنة ١٩٢٦)

* اسم القانون :

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون (نزع ملكية) الاراضي.

المادة ٢ - يكون للالفاظ التالية الواردة في هذا القانون المعاني المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك -

تعني لفظة « المحكمة » محكمة الاراضي الواقعة الارض ضمن دائرة اختصاصها .

وتشمل لفظة « الارض » كل نوع من الاراضي او الاجارة وكل بناء او شجرة او شيء آخر ثابت في الارض وكل قسم من بحر او شاطئ او نهر وكل حق ارتفاع في اية ارض او مياه او عليها .

وتعني لفظة « المنشئين » الحكومة او اي مجلس بلدي او محلي او سلطة اخرى محلية او شخص يقوم او هو على وشك القيام بمشروع كما هو معرف اعلاه .

وتعني لفظة « مشروع » اي مشروع يشهد المندوب السامي ان المراد

به المنفعة العامة وكل مشروع آخر منح به المندوب السامي امتيازاً تسوغ شروطه نزع ملكية الأرض المعرفة في هذا القانون من أجل مقاصد الامتياز .

المادة ٣ - مع مراعاة احكام هذا القانون ، يحق لمنشئي اي مشروع ان يتفاوضوا ويتفقوا مع صاحب اية ارض يحتاجون اليها لمشروعهم ومع كافة الاشخاص الذين لهم حقوق في تلك الارض اما من اجل شرائها شراء باناً او للتصرف فيها او استعمالها لمدة معينة او لاستملاك اي حق ارتفاق فيها ضروري للمشروع .

المادة ٤ - يحق لجميع مالكي اية ارض يقتضيها المشروع او اية حقوق فيها ان يبيعوا تلك الارض او الحقوق لمنشئي المشروع او يؤجروها لهم او يتصرفوا فيها لهم بأي وجه آخر وان يعقدوا معهم كافة الاتفاقات اللازمة لذلك . ويجوز بوجه خاص لاية شركة او متول او وصي او ولي او قيم او اي شخص آخر ينوب عن شخص فاقد للاهلية القانونية ان يبيع او يؤجر او يتصرف بتلك الارض او الحقوق وان يعقد الاتفاقات اللازمة لذلك بحكم هذا القانون بالرغم من ورود ما يخالف ذلك في اي تشريع او عقد تأسيس شركة او نظام شركة او اي مستند آخر .

المادة ٥ (١) - اذا عجز منشئو اي مشروع عن الاتفاق مع صاحب او اصحاب ارض يحتاج اليها المشروع او مع اي شخص له حق فيها فيجوز لهم ان يرفعوا الى المندوب السامي لاجل موافقته اعلان او اعلانات المفاوضة المشار اليها في الفقرة التالية وللمندوب السامي السلطة اما ان يمسك عن ابداء موافقته او ان يمنحها بعد اجراء التعديلات التي يستصوبها في اعلان او اعلانات المفاوضة ، ثم يبلغ المنشئون اعلان او اعلانات المفاوضة بالصورة التي وافق عليها المندوب السامي الى الاشخاص المذكورين في الفقرة (٤) بالكيفية المعينة .

المادة ٦ - يجوز تعيين مقدار التعويض الواجب دفعه عن الارض المذكورة في اعلان المفاوضة بالاتفاق بين المنشئين وسائر الفرقاء الذين يملكون حقوقاً فيها .

المادة ٧ - اذا قصر الشخص الذي بلغ اعلان المفاوضة في تقديم تفاصيل ادعائه بالاراض البحوث عنها خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تبليغه الاعلان المذكور او تخلف عن المفاوضة مع المنشئين بشأن مقدار التعويض الذي يدفع له او اذا لم يتفق المنشئون مع هؤلاء الاشخاص على مقدار ذلك التعويض خلال خمسة عشر يوماً .

(١) - فيحق للمنشئين ان يضعوا يدهم في الحال على الارض المشار

اليها في الاعلان المذكور :

ويشترط في ذلك انه اذا رفض اصحاب الارض او مشفلوها السماح للمنشئين بوضع يدهم على الارض فيجوز للمنشئين ان يقدموا طلباً بذلك الى رئيس المحكمة ، فاذا اقتنع رئيس المحكمة بان للمنشئين الحق في وضع اليد على الارض بمقتضى هذه المادة ، يصدر قراراً بتوقيعه يقضي فيه بتسليم الارض للمنشئين :

ويشترط في ذلك ايضاً انه اذا اريد استملاك الارض من قبل هيئة او شخص خلاف الحكومة فيجوز للرئيس ان يأمر بايداع المبلغ الذي يستصوبه في المحكمة قبل اصدار القرار المذكور .

(ب) - ويعين مقدار التعويض الواجب دفعه من قبل المنشئين عن الارض التي وضعوا يدهم عليها بمقتضى هذه المادة وفقاً للاحكام التالية من هذا القانون .

المادة ١٥ - يجوز للمنشئين ، لدى او بعد مرور ثلاثة اشهر من التاريخ الذي تم فيه الاتفاق على مقدار التعويض عن اية ارض او من تاريخ تقديره بصورة اخرى ، اذا تعذر ايجاد الاشخاص المستحقين للتعويض المذكور او اذا عجز هؤلاء المستحقون عن اثبات حقهم فيه او اذا لم يتمكن المنشئون لاي سبب كهذا من الحصول على ابراء صحيح لقاء دفع ذلك التعويض او اي قسم منه ، ان يدفعوا ذلك التعويض للمحكمة ، وتبرأ ذمة المنشئين لدى دفع التعويض على هذا الوجه من كل تبعة بشأن المقدار المدفوع من التعويض .

المادة ١٧ - تستقر ملكية الاراضي المطلوب استملاكها بمقتضى هذا القانون من حين دفع التعويض عنها في المندوب السامي بالنيابة عن حكومة فلسطين ، اذا كانت حكومة فلسطين هي المنشئة ، او في المنشئين اذا كان المنشئون سلطة اخرى او شخصاً آخر ، وتعتبر شهادة المحكمة الدالة على ان التعويض المحكوم به قد دفع وفقاً لاحكام هذا القانون سلطة كافية لمدير الاراضي لاجراء القيد الضروري في سجلات الاراضي .

المادة ٢٠ (١) - اذا اصبحت الارض المستملكة او اي قسم منها حسب رأي المنشئين في وقت ما غير لازمة لغايات المشروع فيحق لهم ان يتفاوضوا مع اي شخص لبيعها له :

ويشترط في ذلك ان يكون لصاحب الارض السابق الذي استملك المنشئون منه الارض ان كان لا يزال على قيد الحياة ، حق الشفعة فيها

لقاء دفعه التعويض المنفق عليه او المحكوم به مع قيمة ما اجري في الارض من تحسينات منذ اشغالها من قبل المنشئين ، فان تعذر الاتفاق بين الفريقين حول قيمة تلك التحسينات فتقدرها المحكمة .

الملحق رقم ٦ -

قانون المهجرة

(٣١ آب سنة ١٩٣٣)

المادة ١ - يطلق على هذا القانون اسم قانون المهجرة .

المادة ٢ - يكون للالفاظ والمبارات التالية الواردة في هذا القانون المعاني المخصصة لها ادناه الا اذا دلت القرينة على غير ذلك : -

تعني لفظة « المعال » شخصا تتوقف معيشته واعالته كليا ومباشرة على احد المهاجرين او احد المقيمين اقامة دائمة في فلسطين اما قبل وصوله اليها او لدى وصوله ويكون من اقارب ذلك المهاجر او المقيم الدائم، أي انه :
(ا) زوجته ، او

(ب) احد والديه او جديه او احد والدي زوجته او جديها ، او

(ج) ابنته او حفيدته او اخته او ابنة اخته او ابنة زوجته او حفيدتها او اختها او ابنة اختها سواء اكانت غير متزوجة ام ارملة مطلقة ، او

(د) - ابنه او حفيده او اخوه او ابن زوجته او حفيدها او اخوها او ابن أخيها اذا كانت سنه دون الثامنة عشرة او اذا تجاوز هذه السن وكان مصابا بعاهة دائمة لا يستطيع معها اعالة نفسه .

وتعني لفظة « المدير » الموظف الذي يعينه المندوب السامي بأمر او مرسوم للاشراف على تنفيذ هذا القانون .

وتعني لفظة « اجنبي » كل شخص غير فلسطيني الجنسية .

وتعني لفظة « مهاجر » كل اجنبي لا يقيم في فلسطين اقامة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع بقصد الاقامة فيها بصورة دائمة .

وتعني عبارة « مأمور المهجرة » كل موظف يعينه المندوب السامي للقيام بأية وظيفة لها علاقة بمراقبة المهجرة سواء اكان يقوم بهذه الوظيفة وحدها ام بالاضافة الى واجباته الاخرى .

وتعني عبارة « فلسطيني » كل شخص فلسطيني الجنسية بمقتضى قانون الجنسية المعمول به اذ ذلك .

وتعني لفظة « مسافر » كل اجنبي لا يقيم في فلسطين بصورة دائمة ولكنه دخلها بوجه مشروع لا يقصد الاقامة الدائمة فيها ولا سعيا وراء عمال ولا لاجل القيام بعمل سبق ان قيل به .

المادة ٥ (١) - لا يحق لاجنبي تنطبق عليه احكام هذا القانون ان يدخل فلسطين -

(ت) - ثم عدت المادة انواع المنوعين من معتوه او غير مرغوب ف من المندوب السامي : ثم قالت :

(ز) - اذا رغب في دخول فلسطين كمسافر دون ان يكون حاملا جو سفر قانوني صادر اليه من حكومة البلاد التي هو من رعاياها او تبعها بالنيابة عنها او مستندا آخر يثبت جنسيته وهويته لدرجة يقنع المندوب السامي ، على ان يكون هذا الجواز مظهرا تظهيرا قانونيا ان بريطانيا ، او ان كان غير بريطاني فعوضا عليه بالاعتماد (فيزا) القانوني قنصل او ضابط مراقبة جوازات بريطاني او مفتش مهاجرة وعليه صو الشمسية ، الا اذا كانت حاملة الجواز امرأة مسلمة :

ويشترط في ذلك ان يجوز للمندوب السامي في بعض الاحوال الاستثنائية ان يمنح اذنا بالدخول الى فلسطين كمسافر الى اي شئ لا يستطيع حقيقة ان يحصل على جواز او مستند سفر اما لعدم اعتراف دولة بانه من رعاياها او تبعها او لاي سبب آخر ولكنه حسب شخص يليق دخوله الى فلسطين ، او

(ح) - اذا رغب في دخول فلسطين كمهاجر دون ان يكون حاصلا شهادة مهاجرة او اذنا ممنوحا له من المدير وفقا لاي نظام صادر بهذا القانون بالاضافة الى جواز السفر او المستند المطلوب بالفقرة (ز)

المادة ١٥ (١) - يحق للمندوب السامي في المجلس التنفيذي ان ينظم لتأمين مراقبة المهجرة الى فلسطين بصورة وافية .

الملحق رقم - ٧ -

نظام المهجرة (الذيل)

نظام صادر من المندوب السامي لفلسطين بمقتضى قانون المهجرة
اسم النظام

المادة ١ - يطلق على هذا النظام اسم نظام المهجرة .

المادة ٢ - لا يحق لاي مسافر ان يقيم في فلسطين مدة تتجاوز ثلاثة اشهر :

ويشترط في ذلك ان يجوز لاي مسافر ان يقدم طلبا الى المدير حسب النماذج المثبتة صيغتها في المحققين السابع والاول لهذا النظام لمنحه اذنا

(أ) - اما بتمديد اقامته في فلسطين لمدة لا تزيد على تسعة اشهر ، ويعود منح الاذن لرأي المدير ، او

(ب) - بالاقامة الدائمة في فلسطين كمهاجر ، وللمدير ان يصدر هذا الاذن اذا اقتنع بأنه يجوز السماح للطالب بدخول فلسطين كمهاجر فيما لو لم يكن موجودا في البلاد عندئذ .

المادة ٤ (١) - لا يمنح احد شهادة مهاجرة او اذنا الا اذا كان ينتسب الى احد الاصناف التالية : -

الصف (٢)

ذوو الوسائل المستقلة ، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي : -

(١) - كل شخص يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن الف جنيه :

ويشترط في ذلك انه اذا اراد هذا الشخص تعاطي الزراعة فيجوز ان يشمل رأس المال ثمن الارض والادوات الزراعية والمواشي ، وان تحسب منه قيمة الارض والادوات الزراعية والمواشي التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة الاستعمار الزراعي واي مال تسلفه له على ان يسدده على مدار عدد من السنين . واذا اراد تعاطي الاشغال الصناعية يجوز ان يشمل رأس المال موقع الارض

الذي ستنشأ عليه المؤسسة الصناعية والآلات والماكنات دون ان تحسب منه قيمة الارض التي قد تضعها تحت تصرفه لمدة من السنين اية وكالة معتبرة من قبل الحكومة تعنى بمساعدة المشاريع الصناعية واي مال تسلف له على ان يسدده على مدار عدد من السنين .

(٢) - كل شخص ينتسب الى احدى المهن الحرة ولديه وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن ، رأس مال لا يقل عن خمسمائة جنيهاً ويشترط في ذلك -

(أ) - ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حساب رأس المال الذي يملكه ذلك الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لمهنته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .
(ب) - ان يقتنع المدير بوجود حاجة في فلسطين لزيادة عدد المنتسبين الى تلك المهنة .

(٣) - كل شخص حاذق في احدى الحرف او المهن او الصنائع ولد وتحت تصرفه المطلق ، دون تحديد في الزمن ، رأس مال لا يقل عن مائة وخمسين جنيهاً :

ويشترط في ذلك -

(أ) - ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حساب رأس المال الذي يملكه هذا الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها مما لا غنى عنها لحرفته او صناعته بالنسبة لمقدار ما يستصوبه رأس المال .

(ب) - ان يقتنع المدير بأن طاقة فلسطين من الوجهة الاقتصادية تسمح باستيعاب ذلك الشخص في المهنة او الحرفة او الصناعة التي ينتسب اليها .

(٤) - كل شخص له ايراد ثابت لا يقل عن اربعة جنيهات في الـ ما عدا الايراد الذي يكسبه بنفسه .

(٥) - كل من يملك في الواقع ويوجد تحت تصرفه المطلق رأس مال لا يقل عن خمسمائة جنيه :

ويشترط في ذلك -

(أ) - ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، عند حساب رأس المال

الشهادة وفي هذه الحالة يذكر اسمه في الشهادة او الاذن .

(٣) - يحق للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بفلسطين ان تبلغ المدير، حسب صيغة النموذج المثبت في الملحق الخامس لهذا النظام ، وجود آمال معقولة لاستخدام عدد من الاشخاص في فلسطين ، سواء بذكر اسمائهم ام بدون ذكرها ، وان تطلب منه ان ياذن لهم بدخول فلسطين على ان ترفق كل طلب بكفالة لاعالة الشخص او الاشخاص الذين قدمت الطلبات بشأنهم لمدة لا تقل عن سنة واحدة .

المادة ٨ (١) رغبة في تعيين عدد الاشخاص الذين يقعون تحت الصنف (ج) ويجوز ادخالهم الى فلسطين يعد المدير ، من حين الى آخر ، جداول عمال معتبرا في ذلك الاقتراحات التي تبديها اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بذلك الشأن ويعد جدولا واحدا عن الاشهر الستة التي تنتهي : ٣٠ ايلول وجدولا آخر عن الاشهر الستة التي تنتهي في ٣١ اذار ويذكر كل جدول اقصى عدد من اصحاب الحرف والصناعات والمهن المختلفة . كلا الجنسين ممن يجوز منحهم شهادات مهاجرة كمهاجرين من الصنف (ج) خلال المدة المشمولة بذلك الجدول .

(٢) - لدى اتمام وضع كل جدول من جداول العمال يرفع ا المدرب السامي في الوقت الذي يعينه ، فاذا اقرن بموافقته يصاد موافقته عليه تحريريا .

المادة ٩ - اذا رأى المدير انه يوجد عمل لعدد من المهاجرين من الصنف (ج) لم يرد لهم ذكر في الجدول لسبب وجود حاجة ماسة لعمال المهاجرين ظهرت بعد اتمام جدول العمال والموافقة عليه فيجوز له ان يص شهادات مهاجرة اضافية لعدد من الاشخاص اللائقين (٦) .

(٦) واضح من جميع ما التبتنا من قوانين انجليزية ان كل التسهيلات التي تضمنت خاصة بتسهيل غزو المهاجرين اليهود لفلسطين واغتصابهم الارض وتمكينهم فيها .
المؤلف

يملكه ذلك الشخص ان يأخذ بعين الاعتبار قيمة الادوات والمخزونات التي يملكها والمتعلقة بالشغل او العمل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه بالنسبة لمقدار ما يستصوبه من رأس المال .

(ب) - ان يقتنع المدير -

(١) - بأن استيطان هذا الشخص في فلسطين لن يؤدي الى ايجاد منافسة لا مبرر لها في العمل او الشغل الذي ذكر بأنه ينوي تعاطيه .

(٢) - وان رأس المال الذي يملكه يكفي لتأمين نجاح العمل او الشغل الذي ينوي تعاطيه نجاحا معقولا .

(٣) - وانه اهل للقيام بذلك العمل او الشغل وتمكنه بنيته من ذلك .

الصنف (ب)

الاشخاص المؤمنة لهم اسباب المعيشة، ويعتبر هؤلاء شاملين من يلي:

(١) - كل يتيم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره المؤمنة وسائل معيشته في احدى المؤسسات العامة او بواسطتها ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

(٢) - كل من يقوم بوظيفة دينية ومؤمنة له وسائل العيش .

(٣) - كل طالب امن دخوله الى معهد علمي في فلسطين وضمنت له وسائل العيش ريثما يصبح قادرا على اعالة نفسه .

الصنف (ج)

الاشخاص الذين لهم امل ثابت في الاستخدام في فلسطين .

الصنف (د)

(١) - الذين يعيهم احد المقيمين الدائمين او المهاجرين في فلسطين ممن ينتسبون الى الاصناف (ا) و (ب) و (٢) و (ج) :

ويشترط في ذلك ان يجوز للمدير بمحض ارادته ، ان يمنح شهادة مهاجرة الى اقارب المقيم الدائم او المهاجر الادنون او لخطيبته ، ممن تتوقف معيشتهم عليه كليا ومباشرة (وان كانوا لا يعتبرون مموليه ايفاء للغاية المقصودة من هذا القانون) .

(٢) - يجوز لمعمل حامل شهادة المهاجرة او الاذن ، ان يصحب حامل

الأراضي التي استولت عليها بريطانيا من ملاكها العرب وأسمتها غابات حكومية ليتصرف بها المندوب السامي *

الأراضي المفتوحة - الجرمق			الغابات	
مجموع مساحة الغابة المحفوظة	المساحة بالمونمات الترية	اسم المني ملاكيتها	المساحة بالمونمات الترية	الواقع
٧١٥	١٥٣	ورثة عبد الجيد قدورة وشركاهم	٥٥٢	(أ) ضمن منطقة قرية قباطية
٤٧٤			٤٧٤	(أ) ضمن منطقة قرية حر فيش
			٦١٧	(أ) ضمن منطقة قرية سمسج
١٩٩٠	٢١	اسعد قدورة وعبدالفي السيد	١٢٨٩	(ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سمسج وبيت جان
	٤٧	اسعد أبو الشهاب وشركاه	١٦	(ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي سمسج وجنيس
	٦٢	مشاع قرية صفصاف	٨٥١	(أ) ضمن منطقة قرية صفصاف
٩٢٤	٦٩	علي حسن	١١	(أ) ضمن منطقة قرية جنس
	٢٢	جميل قدورة	٩٢١	(أ) ضمن منطقة قرية مبرون

* صدر بذلك امر رسمي منشور في الوقائع الفلسطينية العدد ١٢٢٩ في ٢٤ ايلول ١٩٢٢

مجموع المساحة	المساحة بالمونمات	القطع المفتوحة - الجرمق	اسم المني ملاكيتها
١٠٣٢	٢٣	٢٧	حسين ومحمد زيدان
	٣٧	١٣	محمد حسين المني
	٨٩	٢٢	ورثة احمد حسن قناع
	١٠	١٣	ورثة قبالان وشركاه
	٥٨	١٣	كنج قبالان وشركاه
	١٣	١٣	سعيد اسعد طاقش
	٢٤	١٣	فاسم صالح ملحم وزيد أبو سوده
	٢٣٦	١٣	فاسم اسعد محمد الحسين
	٢٢	١٣	حسين علي قبالان
	١٣	١٣	سليمان علي السويدي
	١٣	١٣	علي يوسف وشركاه
	١٣	١٣	علي فارس سليمان وشركاه
٧٩٩٨	١٥٥	١٣	علي قبالان
	٢٣٦	١٣	محمد سعيد نجم
١٢١١	٢٣٦	١٣	حسين عبدالله
١٣٧٥٤	٨٣٨٦		

المساحة	الغابات	الواقع
٧٠٠٩		(أ) ضمن منطقة قرية بيت جان
		(ب) ضمن المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان ومبرون
		(أ) ضمن منطقة قرية سحماتا
١٣٧٩٧٥٩		المجموع

مجموع المساحة	المساحة بالمونيات	القطع المفتحة - الجرفق	اسم المديني ملكيتها
١٢٩	١٢	١٨	ورثة يوسف قبلان
	١٨	٥	ورثة حامد جمولة
	٥	٢	ناجي محمد الحلبي
	٢	٢	ملحم صالح قبلان
١.٢٩	٢	٢	فوقل قاسم جمولة
	٢	٢	ورثة حسين ومحمد الحمد
	٢	٢	احمد العمود
	٢٢	٢١	احمد العمود وشركاه
	٢١	٤٥٢	نعيم سليمان
	٤٥٢	١٥٣	سليمان خير
	١٥٣	٨	علي الحسين
	٨	١٢٢	محمود الصالح
١٧٩٢	١٢٢	١٢٢	مشاع قرية ببيعة
١٧٩٣	١٢٢	٤٠	محمد سلامة العمرة
	٤٠	١٥٦	محمود يوسف الاحمد
	١٥٦	١.٥٥	احمد سليمان العمرة
	١.٥٥	٢٥	محمد علي الزين وشركاه
	٢٥		محمود صالح السليمان

المساحة	القطاعات	الواقع
١٢٦٣		
١.١٢		
١٥٣٨١	ضمن منطقة قرية سحمان	١
		٢
		١

١) ضمن منطقة قرية الببيعة ٣٣٦٦١

مجموع المساحة	المساحة بالمونيات	القطع المفتحة - الجرفق	اسم المديني ملكيتها
١٣٥٥	٢٢	١٤	مشاع قرية الببيعة
	١٤	٧٢	علي حمد العلي
	٧٢	١.٥٣	صالح احمد عبد الله
٤١٢٩	١.٥٣	١١	نايف سليمان وشركاه
	١١	٦	فارس محمد سعيد
	٦	١	فارس جاييم مزارحي
	١	٦.٠	حسن محمد تقاع
	٦.٠		احمد يوسف العلي
			فانز محمد سعيد نجم

المساحة	القطاعات	الواقع
١٤٢٦		

١) ضمن منطقة قرية بيت جان ١٤٢٦

١
٢
١

٨٥٩٥٢ مجموع الكلي

١) ضمن منطقة قرية سحمان ٢٧.٥٥

١) المنطقة المتنازع عليها بين
٥٧٧٣
٨٤٧٥٨ مجموع المساحة الكلية

٨٨٧٢	٦٨٣٤	
٢٨٣	٦٥	اسم سعد عثمان
	٦	مصطفى حسين علي
٥٨٤	٦٧٧	صالح محمد الاسمد
٨٦٧	١٩٦	محمد سليمان

١) المنطقة المتنازع عليها بين
٥٧٧٣
٨٤٧٥٨ مجموع المساحة الكلية

القطع المتلصقة - جيب

مجموع المساحة	المساحة بالمونفات	اسم المدي ملكيتها
١٠	١٠	فرحان صالح ابراهيم وشركاه
٧٠	٧٠	علي اليوسف وشركاه
		فرحان صالح ابراهيم وعلي اليوسف وشركاه
	١١٩	فرحان صالح ابراهيم وشركاه
	٢٢	محمد قبلان
	٩٩	مصطفى صالح مصطفى
	١٥	محمد اسعد ابو قاسم
	٣٦	زيدان صالح المصطفى
	١٠	عبدالله مبروط
	٢	نعمان حرب
	٥٢	محمد سلامة الخطيب
	٥٠	احمد ابو القاسم
	٧	فرحان صالح
	٥	فارس حسين علي الفارس
	٢٤	سليمان قاسم ابراهيم
	٤	ورثة حسين الحمد
	٥	هاني محمد الخطيب
	٦	

الفسايات الموضع

(١) ضمن منطقة قرية بيت جان ٥٢٣٩ المساحة

القطع المتلصقة - جيب

مجموع المساحة	المساحة بالمونفات	اسم المدي ملكيتها
٥٧٠٥	١٠	علي قبلان
٥٩٢		
٢٤٥		
	١٢	فرحان صالح ابراهيم وشركاه
٩١٨	٤	فرحان صالح ابراهيم وشركاه
	٧	محي الدين الصالح
	٤	حسن السوقي
	٤	جابر رشيد
	٣٦	عبدالله الحسن وشركاه
	١٩٠	مشاع قرية قراضية
	٤٠	ابراهيم علي خليل
	٣١	صالح يوسف كروم
٥٧٦٤	٦٨٥	يوسف الجبيني

الفسايات الموضع

(ب) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان والرامة ٥٩٢ المساحة
 (ج) المنطقة المتنازع عليها بين قرية بيت جان والسوقي ٢٤٥ المساحة
 (د) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان وسرون ٩٠٢ المساحة
 (هـ) ضمن قريتي الرامة والمنطقة ضمن قرية قراضية ٤٧٧٣٥ المساحة
 (ب) ضمن منطقة قرية قراضية ٤٧٧٣٥ المساحة

٥٢
 ١٠٦
 ١٣٣٨٢
 ١٠٢٢٥٥
 ١٣٣٨٢

ج) المنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان وسرون والمنطقة المتنازع عليها بين قريتي بيت جان والسوقي

المصادر والمراجع

المصادر :

- اولا : وثائق لم يسبق نشرها صورت من المتحف البريطاني في لندن :
- ١ - مرسوم دستور فلسطين (باللغة الانجليزية) الصادر في ١٩٢٢ .
- ثانيا - وثائق لم يسبق نشرها صورت من مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت ومحفوظة بها تحت رقم ٥٦٩ - ٣٤٩ :
- ١ - قانون الاراضي الموات . ١٩٢١ .
٢ - مرسوم دستور فلسطين . ١٩٢٢ .
٣ - مرسوم الخنسية . ١٩٢٣ .
٤ - قانون نزع ملكية الاراضي . ١٩٢٦ .
٥ - قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي . ١٩٢٨ .
٦ - قانون المهجرة . ١٩٣٣ * .
٧ - مجموعة اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص الاراضي التي تحت يد اصحابها العرب .
٨ - اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تملك الجمعيات اليهودية اراضي قرى عربية .
٩ - اوامر صادرة من المندوبين الساميين البريطانيين في فلسطين بخصوص تشكيل لجان تسوية ملكية الاراضي من اقلية يهودية ساحقة .
١٠ - صورة اخذت لعقد سلم لنا من الاستاذ فوزي الفصين مستشار وزارة العدل في ليبيا حاليا والمستشار القانوني بالجامعة العربية سابقا ومساعد النائب العام في فلسطين سابقا بخصوص نقل ملكية اراضي قرى عربية كاملة الى اليهود .

ثالثا - وثائق منشورة :

- (١) - وثائق نشرتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية - الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين بين عامي ١٩١٥ - ١٩٤٦ ، القاهرة ١٩٥٧ .

* كل هذه المستندات اودعناها مصورة مكتبة قسم التاريخ في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

- (٢) - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٢٢ .
(٣) - الكتاب الابيض البريطاني ١٩٣٠ .

رابعا - تقارير :

- ١ - تقرير لجنة توماس هايكرت قاضي القضاة البريطاني بفلسطين . ١٩٢١ .
٢ - تقرير لجنة والترشو البرلمانية . ١٩٢٩ .
٣ - تقرير لجنة جونسون وتقرير فرانش . ١٩٣٢ .
٤ - تقرير لجنة بيل الملكية لتقسيم فلسطين . ١٩٣٧ .
٥ - تقرير اللجنة الفنية البريطانية باستحالة التقسيم . ١٩٣٨ .
٦ - تقرير لجنة التحقيق البريطانية الامريكية المشتركة . ١٩٤٦ .
٧ - تقرير لجنة التحقيق الدولية . ١٩٤٧ .

المراجع :

- ١ - احمد سويلم العمري
الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤ .
- ٢ - دكتور احمد طربين
محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الصهيونية حتى نش
الثورة الكبرى ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٣ - احمد الشقيري
محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، معهد الدراسات العربية ال
التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٥٤ .
- ٤ - دكتور احمد الشرباصي
امير البيان ، شكيب ارسلان ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ٥ - اميل الغوري
الؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ومحق العرب ، دار النيل للطب
القاهرة ١٩٥٥ .
- ٦ - امين الحسيني
حقائق عن قضية فلسطين الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٧ .
الكتاب العربي .
- ٧ - امين سعيد
الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع
ثلاثة اجزاء ، مطبعة الحلبي بمصر .

- ٨ - **امين سعيد**
الدولة العربية المتحدة ، جزعان ، مطبعة الحلبي بمصر ، لم يذكر سنة الطبع .
- ٩ - **انيس صايغ**
الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ .
- ١٠ - **انيس صايغ**
الهاشميون وقضية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .
- ١١ - **ارسكين تشيلدرز**
في الطريق الى السويس ، تعريب خيرى حماد .
- ١٢ - **ارسكين تشيلدرز**
حول العالم العربي ، ترجمة محمد عبدالله الشقفي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
- ١٣ - **ارنولد توينبي**
فلسطين جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديراوي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ١٤ - **اكرم زعيتر**
القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٥ .
- ١٥ - **برجير المير**
اليهودية دين لا قومية ، دار المعارف ، القاهرة .
- ١٦ - **ب. جنسين**
مؤامرة فلسطين ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- ١٧ - **بشير كعدان**
هؤلاء الصهيونيون ، تعريب شفيق شالاتي .
- ١٨ - **بيير روندو**
مستقبل الشرق الاوسط ، تعريب ناجدة هاجر ، سعيد الفزي ، بيروت .
- ١٩ - **جامعة الدول العربية**
الامانة العامة لادارة فلسطين ، الهجرة اليهودية في فلسطين، القاهرة.
- ٢٠ - **جامعة الدول العربية**
الامانة العامة لادارة فلسطين ، املاك العرب واموالهم المجمدة في فلسطين .
- ٢١ - **جامعة الدول العربية**
الامانة العامة لادارة فلسطين ، اللاجئون الفلسطينيون .

- ٢٢ - **دكتور جلال يحيى**
المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦
- ٢٣ - **جلال كامل**
فلسطين وتجميع القوى العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، سلسلة اخترنا لك .
- ٢٤ - **جورج انطونيوس**
بقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية ، تعريب الدكتورين ناصر الدين الاسد واحسان عباس ، بيروت ١٩٦٢ .
- ٢٥ - **جورجي زيدان**
تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، القاهرة .
- ٢٦ - **حافظ وهبه**
جزيرة العرب في القرن العشرين .
- ٢٧ - **حسين فوزي النجار**
السياسة الاستراتيجية في الشرق الاوسط ، مكتبة النهضة المصرية.
- ٢٨ - **حاييم وايزمان**
التجربة والخطأ ، مطبعة المنار بدمشق ، ١٩٥٠ .
- ٢٩ - **خيري حماد**
التطورات الاخيرة في قضية فلسطين ، كتب قومية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ .
- ٣٠ - **ع . ك . كارنيجيا**
خنجر اسرائيل ، ترجمة مروان الجابري بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر .
- ٣١ - **سعدي بسيسو**
اسرائيل جنابة وخيانة ، حلب مطبعة الشرق ١٩٥٦ الطبعة الثانية.
- ٣٢ - **سعدي بسيسو**
الصهيونية دراسة علمية وسياسية وتاريخية وقانونية للصهيونية والانتداب البريطاني القدس ، المطبعة التجارية .
- ٣٣ - **سيد نوفل**
رواية بن جوريون للتاريخ ، جامعة الدول العربية ادارة الاستعلامات، القاهرة ١٩٦٢ .
- ٣٤ - **شاكر عمار**
العرب واسرائيل ، دار الكشاف بيروت ١٩٥٤ .

- ٣٥ - شحاته الخوري ونقولا الدر
تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية
- ٣٦ - شفيق ارشيدات
فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦٢
- ٣٧ - شكيب ارسلان
لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم .
- ٣٨ - صلاح دسوقي
امريكا مستعمرة صهيونية ، مطابع الناشر العربي القاهرة ١٩٥٧ .
- ٣٩ - عارف العارف
نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود سبعة اجزاء المكتبة العصرية
للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٤٠ - عارف العارف
المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف القدس ١٩٦١ .
- ٤١ - عبدالله التل
كارثة فلسطين ، مطبعة مصر ، ١٩٥٩ .
- ٤٢ - عبدالله التل
خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحة دار القلم ، القاهرة ١٩٦٤
- ٤٣ - عبد الرحمن الرافي
مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ١٩٥٠ .
- ٤٤ - عجاج نوبهض
مجلة الحوادث اللبنانية ١٩٦٥ .
- ٤٥ - علي محمد علي
فلسطين في ماضيها العربي وحاضرها الصهيوني ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٤٦ - عز الدين فودة
الاستعمار الصهيوني ، الدار القومية للطباعة والنشر
- ٤٧ - عيسى السفري
فلسطين بين الانتداب والصهيونية ، القدس ١٩٣٧
- ٤٨ - فتحي الرملي
الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار ، القاهرة ١٩٥٦ .
- ٤٩ - فخري البارودي
كارثة فلسطين العظمى ، مطبعة ابن زيدون دمشق ١٩٥٠ .
- ٥٠ - قسطنطين زريق
معنى النكبة ، دار العلم للملايين ، بيروت
- ٥١ - كامل اسماعيل
صفحات من التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٣
- ٥٢ - محمد علي الطاهر
كتاب احمر عن فظائع الانجليز وغدر اليهود ، مكتب الاستعلام
الفلسطيني العربي ، القاهرة .
- ٥٣ - محمد فوزي وعمر رشدي
الصهيونية ورببتها اسرائيل ، مطبعة مصر ١٩٦٢
- ٥٤ - محمد عزة دروزه
الوحدة العربية ، بيروت ١٩٥٨ .
- ٥٥ - محمد حافظ غانم
المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي ، مطبعة
الدراسات العربية ١٩٦٥
- ٥٦ - محمد كمال عبد الحميد
الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي ، مكتبة الانجلو المصرية ٥٩
- ٥٧ - محمد عطية واكد
اسرائيل وكر الاستعمار ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القا
١٩٥٩ .
- ٥٨ - محمد البشير الابراهيمي
مجلة البصائر الجزائرية .
- ٥٩ - محمد عبدالله عنان
نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين
- ٦٠ - محمد علي علوية
فلسطين والضمير الانساني .
- ٦١ - محمد علي علوية
الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب .
- ٦٢ - محمد طلعت الفخيمي
قضية فلسطين امام القانون الدولي منشأة المعارف الاسكندرية ٦١
- ٦٣ - محمد عمر الخطيب ، مكسيموند
تاريخ الحروب الصليبية من اثر النكبة .
- ٦٤ - ناصر الدين النشاشيبي
تذكرة عودة ، المكتب التجاري ، بيروت ١٩٦٢
- ٦٥ - نجيب صدقة
قضية فلسطين ، دار الكتاب العربي بيروت .

- ٦٦ - نقولا الدر
هكذا ضاعت وهكذا تعود ، بيروت ١٩٦٣
- ٦٧ - وليد قمحاوي
النكبة والبناء في الوطن العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٩ .
- ٦٨ - وديع تلحوق
الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ١٩٤٨ .
- ٦٩ - يحيى عويس
اسرائيل والدول الكبرى ، دار المعارف القاهرة .
- ٧٠ - جريدة الاهرام - اعداد مختلفة من السنوات :
١٩١٨ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٥ - ١٩٢٩ - ١٩٣٦ - ١٩٣٧ -
١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ١٩٤٢ - ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ١٩٤٨ .
- ٧١ - جريدة المصري لأعوام ٣٦ و ٣٧ و ١٩٣٨
- ٧٢ - جريدة الشورى لأعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٦
- ٧٣ - جريدة الشباب لأعوام ١٩٣٧ و ١٩٣٨
- ٧٤ - جريدة القبس الدمشقية ١٩٤٨
- ٧٥ - جريدة صوت الاحرار البيروتية ١٩٤٨
- ٧٦ - جريدة الحياة البيروتية ١٩٥٠
- ٧٧ - جريدة الحارس المراقية ١٩٥١
- ٧٨ - جريدة بريد بركة الليبية ١٩٣٠

مراجع ومصادر غير عربية :

- Hurewitz. J.C. Diplomacy in The Near and Middle East 2 Vols New-York 1956 T. 2.
- Kimche Jon; Seven Fallen Pillars, The Middle East, 1915-1950 London 1950.
- Steiv Leonard; The Balfour Declaration, London, 1961.
- Middle East Journal January, 1948.
- Bloomfield L.M. Egypt, Israel and The Gulf of Aeqaba in international Law. Toronto, Canada 1957.
- Chain Weizmann; Trial and Error. London 1950.
- David Hunter Miller; My Diary at the Conference of Paris. New York 1924.
- John Bagot Glubb, Soldier with The Arabs. London, 1957.
- Antonius George The Arab Awakening. Beyrouth, 1955.
- Kermit Roosevelt; Arabs Oil and History. (Londo n1949)
- Alfered M. Liliental, What Price Israel, Chicago, 1953.